بوب ماتيوز ليز روس

الدليل العملى لمناهج البحث فى العلوم الاجتماعية

ترجمة وتقديم وتعليق

محمد الجوهرى



المركز القومى للترجمة

2319



هذا كتاب غير تقليدى يأخذ القارئ فى رحلة - يوجه فيها هذا القارئ نفسه بنفسه - خلال الأبواب الخمسة للعملية البحثية، التى تمثل الأبواب الخمسة لهذا الكتاب. إذ يستطيع كل قارئ أن يتخذ لنفسه المسار الذى يناسبه. ورغم أننا نوصى بأن تستهل عملك - فعلاً - ببداية هذا الكتاب، فإنه من المحتمل أن ينتهى بك الأمر عند مرحلة مختلفة عن المراحل التى ينتهى عندها الآخرون، وهو الأمر الذى يتوقف على متطلبات مشروعك البحثى.

ستجد هذا الكتاب سهل التناول وافيًا فى عرضه، ونافعًا لك فى عملك. ونأمل أن يؤول بك الأمر إلى أن تفهم حقيقة البحث الاجتماعى، وأن توفيه قدره، وأن تستمتع بممارسته.

تصميم الغلاف: رحاب حسن

الدليل العملى لمناهج البحث
فى العلوم الاجتماعية

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

- العدد: 2319
- الدليل العملى لمناهج البحث فى العلوم الاجتماعية
- بوب ماتيوز، وليز روس
- محمد الجوهرى
- الطبعة الأولى 2016

هذه ترجمة كتاب:

RESEARCH METHODS: A Practical Guide for the Social Sciences
By: Bob Mathews and Liz Ross

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

الدليل العملى لمناهج البحث
فى العلوم الاجتماعية

تأليف: بوب ماتيوز
ليز روس
ترجمة وتقديم وتعليق
محمد الجوهرى



2016


دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

ماتيوز، بوب.
الدليل العملي لمناهج البحث فى العلوم الاجتماعية / بوب ماتيوز، ليز روس، ترجمة وتقديم وتعليق محمد الجوهرى - القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠١٦.
عدد الصفحات:٨٧٢ صفحة. المقـــــاس: ١٧ × ٢٤ سم.
تدمك ٩ ٧٤٦ ٩٢٠ ٩٧٧ ٩٧٨
١ - العلوم - البحوث - ادلة.
أ- روس، ليز (مؤلف مشارك)
ب - الجوهرى، محمد (مترجم ومقدم ومعلق)
جـ - العنوان.

٥٠٧,٢٠٢٥

رقم الإيداع
٢٠١٦ / ١٥١٨٣

مطابع الأهرام التجارية - قليوب

محتويات المجلد الأول

الباب الأول
التفكير فى البحث

الباب الثانى

الإعداد للبحث

الباب الثالث
جمع البيانات

محتويات المجلد الثانى

الباب الرابع
تحليل البيانات

الباب الخامس
عرض البيانات والتقارير

ملحق الكتاب

قائمة المصطلحات والمفاهيم الأساسية

تقديم الترجمة العربية

هذا الكتاب إسهام بارز فى نهضة البحث الاجتماعى العربى

محمد الجوهرى

الكتابة الجادة فى علم الاجتماع باللغة العربية فى مصر تقترب الآن من تسعين عاما، أما التخصص الأكاديمى فى تدريس علم الاجتماع فقد بدأ مبكرًا جدا، حيث تخرجت أول دفعة من دارسى علم الاجتماع فى كلية الآداب - جامعة القاهرة عام 1929. وقد سبق أن كتبنا - وكتب غيرنا - عن تشخيص العوامل والملابسات المسئولة عن تخلف البناء التنظيمى لعلم الاجتماع المصرى والعربى(*).

ولعل من أبرز العوامل التى اتفقت الكتابات السابقة على تحميلها مسئولية هذا الوضع المتعثر للبحث السوسيولوجى النقل غير النقدى عن التراث النظرى الأجنبى. ويتساوى فى الأهمية مع هذا العامل تقصير علم الاجتماع المصرى فى دراسة واقع المجتمع المصرى. وهو تقصير ناجم عن إهمال تخصص البحث الاجتماعى وطرقه وعملياته. هذا فضلا عن تقصير المجتمع فى توفير الاعتمادات المالية والإمكانيات الضرورية لإنجاز بحوث ميدانية ومكتبية رصينة فى ميدان علم الاجتماع. ومن فضول القول أن ننبه إلى أن اضطراد حركة البحث الاجتماعى العلمى وتراكم مخرجاته كان يمكن أن يتكفل بإثراء الرؤية النظرية الوطنية الأصيلة لعلم الاجتماع المصرى. كما كان سيساعد - بالتأكيد - على الحوار الخصب (النقدى الإيجابى) مع التراث النظرى السوسيولوجى فى الغرب والشرق، بما يثرى حركتى التنظير والبحث فى حقل علم الاجتماع فى بلادنا.

(*) انظر على سبيل المثال ما كتبه عزت حجازى، ومحمد سعيد فرح، وكاتب هذه السطور، وغيرهم. راجع : محمد الجوهرى، قراءة نقدية فى تاريخ علم الاجتماع فى مصر، المجلة العلمية لجامعة القاهرة، العدد الأول، ١٩٨٩، ص ص ١٧-٥٦.

أزمة البحث الاجتماعى العربى فى مصر

ولــو ألقينــا نظرة مقربة على أزمــة البحث الاجتماعى المصــرى والعربى فسوف نتمكــن - بــلا شك - من وضــع أيدينا على بعضــ الحقائق/ المشــكلات التى تغذى هذه الأزمة وتعمل على استدامتها، والتى يمكن أن نجملها فيما يلى:

1 - كــان تدريس مواد طرق البحث على امتداد التاريخ الأكاديمى لعلم الاجتماع المصرى والعربى يمثل أحجية أو لغزا تعجيزيا. والسبب بسيط وواضح كل الوضوح. فالكتابــة الرصينة فى البحث الاجتماعــى - فلسفة وتقنيات - تستلزم أن يتوفر لصاحبها خبرة بحثيــة ميدانية عريضة. ولما كان هذا الأمر عسير التحقق فى المراحل الأولى من عمــر علم الاجتماع الأكاديمى، كان طبيعيا أن تأتى غالبية الكتابات فى هذا التخصص مدرسيــة ونظرية وقليلــة الجاذبية للطــلاب. وبذلك كانت بعض الكتــب الدراسية فى البحث الاجتماعى، خاصة فى خمسينيات وستينيات وسبعينيات القرن العشرين عاملا أساسيــا من عوامل تخلف البحث الاجتماعى العربى. وهو الأمر الذى سيزداد اتضاحا فيما بعد.

2 - لابــد أن نزيد نظرتنا تقريبا وتركيزا لكى نتعــرف على القائمين بتدريس هذا التخصصــ المهم: البحث الاجتماعى فى ذلك التاريخ الباكر. يلفت النظر للوهلة الأولى أن الخــبرات البحثية للمعلم الــذى يتــولى تدريس تخصص البحــث الاجتماعــى كانت محــدودة كما ومتواضعة كيفا. بذلك تدعــم التسطيح والشكلية فى تدريس طرق البحث الاجتماعى للطــلاب المتخصصين فى علم الاجتماع. والسبب هنا واضح وبسيط: ففاقد الشيء لا يعطيه.

3 - وتــزداد أزمــة البحث الاجتماعى حدة بسبب عامــل أكاديمى، ليس ناجما فى نظــرى عــن جهل من المسئولين بقدر ما هــو راجع إلى تقصير وإهمــال المسئولين عن تخطيــط التعليم الجامعــى فى توفير الشروط اللازمة التــى كان يتعين تضمينها اللوائح الجامعية لأقسام الاجتماع.

لقــد التحق كاتب هــذه السطور بقسم الاجتماع فى كليــة آداب القاهرة فى منتصف خمسينيــات القــرن الماضى، وكانت لائحــة الدراسة فى القسم وقتهــا تشترط أن ينجز

الطالـب فى السنة الرابعـة دراسة ميدانيـة (بشكل منفرد أو مـع مجموعة صغيرة من زملائـه)، تتم مناقشتها - الامتحان فيها - شفويا. وكان الطالب لا يحصل على درجة الليسانس إلا بعد النجاح فى هذه المادة، حتى ولو نجح بتفوق فى جميع المواد الأخرى.

ولكـن مع التوسع فى التعليم الجامعى، وتقديمـه مجانا لكل راغب فيه (وليس لكل قـادر عليه) أصبح مثل هذا الشرط عسير التنفيـذ، وتدريجيا، وعند أول تعديل للائحة بعـد ثـورة 1952، تم غض الطرف عنه. وبـات تدريس الاجتماع يتـم على صعيد نظـرى مدرسى جاف لا يلامس الواقع إلا نـادرًا، إذ من المؤكد أن الظروف لم تبخل -علينا ولا على تلاميذنا - ببعض المعلمين «الأساتذة» أصحاب الأفق النظرى الواسع، والفكر النقـدى، والإحسـاس بالمسئوليـة والدور الوطنـى للعلم الاجتماعى، وأخيرا - وليس آخرًا - أصحاب خبرات ميدانية عريضـة فى البحث الاجتماعى. ولكن لأن أمثال هؤلاء قلة أو استثناء، فإنهم لا يكذبون القاعدة العامة، بل يؤكدونها.

وبسبـب تراكم الخبرات البحثيـة الميدانية لدى ذلك الجيل، ورغـم النقص الشديد فـى التمويل آنذاك، جرت عـادة قسم الاجتماع فى آداب القاهـرة على إجراء دراسة ميدانيـة كبرى مرة كل سنة. يشرف عليها طاقم من هيئة التدريس ويشارك فيها أعداد كبيرة نسبيا من الطـلاب (الجميع كان يعمل متطوعا). وأذكر من تلك البحوث دراسة مسحية عن بعض قرى محافظة الجيزة المحيطة فى الجامعة (أم خنان، كفر طهرمس، زنـين) (إشراف طلعت عيسى، 1957)، وأول دراسـة أنثروبولوجية ميدانية يجريها فريـق بحث كبير (25 طالبـا + المشرف والمعيدين) على مجتمـع قرية «غرب أسوان» النوبيـة (إشراف محمد الجوهـرى، 1975)، وأول دراسة سوسيولوجية مصرية عن سكان المقابر (إشراف محمود الكردى ومحمد الجوهرى، 1979). والمقصود بجماعية هذه البحـوث أن الطلاب والمعيدين كانوا شركاء للمشـرف فى تصميم البحث، وجمع البيانات، والمراجعات الميدانية، وتفريغ البيانات وإعدادها، وإعداد التقرير النهائى.

إننـى أؤكد أن اشتراط إعداد الدارس لهـذا التخصص لبحث (أو رسالة مصغرة) يطبق فيها مـا تعلمه من تقنيات البحث الاجتماعى، وتكـون فرصة نادرة لتدريب من يرغب لاحقا فى إعداد رسالة ماجستير أو دكتوراه فى تخصص علم الاجتماع .. أؤكد أن هذا الشرط هـو عامل فعـال فـى النهوض بهذا التخصص على الصعيد الأكاديمى،

ومنه إلى الصعيد الاجتماعى العام ، لأن خريجى أقسام الاجتماع هم الذين سيمارسون رسالة البحث العلمى الاجتماعى فى شتى مراكز البحوث الاجتماعية والإدارات الحكومية والمؤسسات الخاصة.

4 – هناك عامل تكميلى، ولكنه جوهرى ، لابد من أخذه فى الاعتبار إذا أردنا النهوض بهذا التخصص تأليفا وتدريسا وتطبيقا ، وأعنى به عنصر التمويل. ويمكننى أن أقول – من واقع خبرة عريضة بالإدارة الجامعية – إن ميزانيات الجامعات (وبالتالى كليات الآداب وأقسام الاجتماع) تكاد تخلو – بل هى تخلو فعلا أحيانا – من أى مخصصات لتمويل بحوث الطلاب الميدانية أو البحوث التى يمكن أن تجريها الأقسام أو الجامعات(*). ومن الإنصاف القول إن بعض عمليات التطوير الحديثة للوائح الجامعية قد نصت على ضرورة تنظيم رحلات ميدانية أو برامج تدريب عملى أو معملى لطلاب بعض أقسام كليات الآداب: كالجغرافيا، والتاريخ، والمكتبات، وعلم النفس، وعلم الاجتماع... إلخ. ولكن هذه البرامج ما زالت تفتقر إلى التمويل المناسب، وإلى تحديد وزنها النسبى فى إنجاح الطالب ومنحه رخصة مزاولة هذا التخصص. أين هذا الوضع – الرمزى – من وضع البحث الميدانى فى الخمسينيات وأوائل الستينيات كشرط حاكم للنجاح فى ليسانس الاجتماع؟

5 – يمكن أن تطول قائمة العوامل المسئولة عن البحث الاجتماعى بوصفه تخصصا علميا ومهنة يحتاج المجتمع إليها، ولكننا نرى من اللازم الإشارة إلى ظاهرة استجدت خلال ثمانينيات القرن الماضى، ولكنها ازدهرت وما زالت فى آخر عقود القرن العشرين وأول عقود هذا القرن، وهى المكاتب المتخصصة (الخاصة) فى إجراء البحوث

(*) يمكن للقارئ أن يقدر ذلك إذا استعرضنا بنود ميزانية السلفة التى قدمتها الكلية للصرف على رحلة غرب أسوان، والتى يتحتم الالتزام بها. وكانت إيرادات الرحلة فى مجموعها كالآتى:

أولا : سلفة كلية الآداب – جامعة القاهرة (300 جنيه) مقسمة على البنود التالية : الانتقال بالسكك الحديدية (85 جنيها)، الانتقالات الداخلية (90 جنيها)، التغذية (100 جنيه)، المبيت (25 جنيها).

ثانيا : سلفة اتحاد طلاب الكلية (50 جنيها) دون تحديد بنود الإنفاق.

ثالثا : مساعدة صندوق خدمة الطالب بالكلية (25جنيها).

رابعا : اشتراكات الطلاب والمشرفين (بواقع جنيهين للشخص الواحد، بلغت 46 جنيها، بسبب إعفاء طالبين من دفع الاشتراك).

الاجتماعيــة. وواضح أن سنــوات هذين العقدين هى التى شهــدت تدفق الاستثمارات والقروضــ الدوليــة لتنفيذ بعض المشروعات الكبرى. ويعــرف كل من له دراية بهذا العالم أن أى مشروع من هذا المستوى يجب أن يحصل على شهادة اجتماعية، تقيم بكل دقة الآثار الاجتماعية التى يمكن أن تترتب على تنفيذ مثل هذا المشروع، والفئات التى قد تتضرر من تلك الآثار السلبية، والإجراءات والسياسات التى يتعين اتباعها لمواجهة ذلك.

هذا الموضوع يبدو من الظاهر طيبا لا ضرر منه، بل قد يراه البعض تطورا صحيا لمســار البحث الاجتماعى ودفعة قوية لدعمه وازدهاره. ولكن المزيد من التدقيق سوف يكشــف لنا بوضوح أن العكس هــو الصحيح على طول الخط. فكثير من تلك المكاتب لا تضــم أصلا باحثين محنكين على مستــوى رفيع فى البحث الاجتماعى. بل إن غالبيتها مكاتب هندسية - أو حتى مكاتب تعمل فى أى مجال - «تستأجر» متخصصا لأداء المهمة بموجب عقد خاص محدود. هذا المكتب - بلا مواربة - هو فى هذه الحالة يجرى البحث بنظام «المقاولة». وهذا «الخبير» الذى تعاقد يتحول بدوره إلى «مقاول من الباطن»، يستعين بعدد من الشباب الذين ليسوا فى الحقيقة باحثين، بالمعنى الدقيق للكلمة، ولكنهم مجرد جامعــى بيانات. ففى هذه الحالة يكون «مقاول البحــث» هو المسئول وحده عن رســم خطة البحث ووضــع إطارها، وصياغة فروضها، وتحديــد المفاهيم الإجرائية، وتصميــم أدوات البحث . . . إلخ. إننا لسنا بصدد إدانــة مثل هذا الأسلوب فى العمل، أو هــذه النوعية من البحوث، لأنه من المؤكد أن هناك قلة من الأسماء التى يعرفها أهل المهنة ممــن يمارسون بحوث تقويم المشروعات هذه بنــاء على خبرة، وفى ظل التزام علمى ووطنى صارم. ولكن للأسف هذه قلة استثنائية لا تنفى الحكم العام، بل هى التى تؤكدهــا، وهى التى تثبت لنا أنه ليس من المستحيــل إنجاز بحوث تقويم محترمة، حتى ولــو كانت بنظام المقاولة ولحساب صاحب عمل ولهــدف شكلى، هو فى النهاية الوفاء بشرط من شروط هيئات التمويل الدولية.

6 - كنــت أؤمن دائمــا أن تخصص ومهنة البحث الاجتماعى لــن ترتقى وتكسب دفعة حقيقية إلى الأمام إلا بجهد مؤسسات البحث الاجتماعى، كالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، وأكاديمية البحث العلمى، والمجالس القومية المتخصصة وغيرها. كما تعانى كثير من تلك الجهات من قلة التمويل رغم ثرائها بالكفاءات. ومن انصراف

جهـد باحثيها إلى إنجاز البحوث اللازمة للترقيـة، أو التدريس . . . إلخ دون التركيز بالقدر الكافى على البحوث الميدانية والتطبيقية.

7 – أشــرت فى كتابات سابقـة إلى أهمية وخطورة مشـكلات التأليف والنشر فى مجال العلـم الاجتماعى فى التأثير على كيان ذلك العلم وعلى مساره فى المستقبل. وقد خلصنا من ذلك العرض – الذى رصدنا فيه وضع هذه المشكلة منذ عشرين عاما، والذى ما زال ماثلا، بل إنه يتفاقم – خلصنا إلى أن وضع قضية النشر فى نطاق علم الاجتماع المصرى يختلف عن وضع نفس القضية فى حقل علم الاجتماع فى البلاد الأكثر تقدما. فالمؤلف الأمريكــى أو الأوروبى ينشر إنتاجه وتقارير بحوثه وتأملاته النظرية وسائر إسهاماتــه العلمية فى صورة مقالات فى الدوريات العلميــة أساسا، بينما يتطلب تأليف الكتب الدراسية تمويلا وإمكانيات ليست متاحة للجميع.

ولكن الفقر الشديد للساحة الثقافية المصرية فى المجلات الثقافية والعلمية المتخصصة، عــلاوة على الإغـراء المادى لنشر الكتب قـد خلق عندنا صورة معاكســة لما يحدث فى الخارج.

وكان مـن الطبيعــى أن يـؤدى ذلـك إلى سير علـم الاجتماع فى حلقـة مفرغة، فالتلخيص والترجمــة وإخراج الكتب يدفع صاحبه بعيدًا عن مشقة العمل الميدانى (وهو دارس مجتمع !!)، ثم إن نقص الخبرة الميدانية – بل وانعدامها كلية فى أحيان كثيرة – يدفع صاحبه إلى الانكباب على تأليف الكتب المدرسية . . . وهذا بدوره يزيده بعدا عن البحث. وهكذا تكتمل الدائرة وتحكم حصارها حول أصحاب هذا العلم.

ولــو أن هذا حدث فى ميدان منعزل من ميادين المعرفة، أو فى تخصص بعيد عن اهتمام الناس، أو فى موضوع من الموضوعات التى أبلاها الكتاب، لجاز أن يمر دون أن يحــدث أثرا، أو يخلق مشكلة. ولكــن المأساة أن هذا التطور المؤلم قد حدث فى حقل من أكثر حقول المعرفة الإنسانية حيوية وأشدها اتصالا بحياة الناس اليومية وألزمها لكل نظام مستنير وعصرى من نظم الحكم.

أما البحوث الميدانية فظلت أمدا طويلا على تخلفها، بل تعرضت فى بعض الأحيان للمسخ والتشويه، حيث اندفعت بعض رسائل الماجستير والدكتوراه إلى استخدام تقنيات

البحث الميداني دون تدقيق أو إتقان. وعجزت في أغلب الأحوال عن الربط الناجح والكفء بين النظرية والبحث. إذ كان الباحث ينطلق إلى موضوعه دون رؤية نظرية مسبقة، ثم ينغمس خلال البحث في «مفردات» موضوعه وجزئياته، ولا يرى الغابة التي يمشي وسطها من كثرة الأشجار حوله. فيخرج في النهاية بنتائج جزئية لا تساهم في بلورة أي إطار، ولا تقدم إضافة لبناء العلم، ولا ترفع علم الاجتماع أو أهله درجة إلى أعلى.

خطوات على طريق النهوض بتخصص البحث الاجتماعي

سارت أبرز تلك الخطوات في اتجاهين:

الأول هو تصدى بعض الأساتذة لإعداد كتب دراسية في تخصص طرق البحث الاجتماعي. طبيعي أنها تتفاوت من حيث درجة الجودة ومستوى الإحاطة والشمول وكثافة الشواهد الميدانية والنماذج التي تحتويها من بحوث اجتماعية أجريت بالفعل أو يمكن أن يجريها الدارس قارئ تلك الكتب. وعلى الرغم من كل هذا استطاعت تلك الأعمال أن تطور تخصص البحث الاجتماعي وتثريه وتفتح أمامه آفاقا جديدة. أذكر منها – على سبيل المثال لا الحصر – كتب عبد الباسط حسن، ومحمد على محمد (رحمه الله)، وعلى جلبي، وغريب سيد أحمد، والسيد خيري، وفتحي أبو راضي، وعبد الحميد عبد اللطيف، وأحمد زايد، وكاتب هذه السطور، وغيرهم.

وقد صدرت تلك الأعمال على امتداد نحو أربعين عاما، وما زال بعضها يطبع – بنفس نصه أو بعد تحديثه – حتى اليوم. ويمكن القول إنها جميعًا تعاني – بما فيها مؤلف كاتب هذه السطور – من نواحي قصور تتنوع وتتفاوت جسامة من عمل لآخر. وأشير في هذا الصدد إلى نموذجين اثنين من نواحي القصور هذه:

1 – أن النسبة الغالبة من بحوث العلوم الاجتماعية أصبحت تجرى اليوم اعتمادا على بيانات ثانوية. والسبب في ذلك تقدم أنشطة جمع البيانات بصفة دورية، أو بشكل إلزامي (كما في التعدادات) في دول العالم المتقدم وإتاحتها للباحثين بكل سهولة وبشكل مجاني تقريبا. فلم يعد الباحث مطالبا بأن يجمع – في كل مرة – بياناته بنفسه، نظرًا

لوجود ذلك الكم الهائل الذى تتيحه الإدارات الحكومية والمؤسسات العامة والخاصة. وكثير منها - كما سنطالع فى الكتاب الذى بين أيدينا - متاح على شبكة الإنترنت. وهذا النوع الجديد من البيانات الثانوية كان ثمرة من ثمار تقدم نظم الإحصاء والاهتمام المعاصر بجمع البيانات الرسمية المنتظمة، والتطور الهائل فى نظم رسم السياسات الاجتماعية، واستقرار نظم الحكم الديمقراطية التى تقوم على الشفافية، والمتابعة والتقويم المستمر، وأخيرا الانفجار المعلوماتى الذى حققته شبكة المعلومات الدولية.

2 - برزت مؤخرا بعض الاتجاهات الجديدة فى البحث الاجتماعى التى تأخذ بمبدأ ديموقراطية البحث، أى ضرورة مراعاة بعد القوة بين الباحث والمبحوث فى عملية البحث. فلم يعد الباحث هو الطرف الأقوى الأكثر علما وخبرة وحكمة، وليس المبحوث مجرد «مصدر معلومات» ليس عليه سوى أن يدلى بما يسأل عنه من بيانات. المبحوث لم يعد يسمى بهذا الاسم، وإنما أصبح يسمى «شريك البحث»، وهى ليست اعترافا لفظيا بدوره فحسب، وإنما تعنى أنه يجب أن يعرف - قبل أن يقرر المشاركة بالإدلاء بالبيانات - كل شيء عن موضوع البحث، وخطته، وعن مصير البيانات التى ستجمع منه . . . إلخ(*).

هذه الرؤية الجديدة لديموقراطية العملية البحثية أثمرت اهتمامًا معاصرا بالبحث الكيفى، فتغيرت النظرة إليه ولم يعد البحث الاجتماعى «استمارة» لجمع البيانات، وعمل عدد من الجداول، والكشف عن الرابطة بين بعض المتغيرات، وبلورة بعض النتائج. وقد يحدث كل هذا - بل هو يحدث أحيانًا - دون أن يقودنا إلى فهم حقيقى لكل أبعاد الظاهرة المدروسة.

الثانى أن نهضة البحث الكيفى قد فتحت مجالات جديدة وقدمت أدوات جديدة مهمة وحاسمة للبحوث الاجتماعية، كفلت للباحثين المعاصرين فهم الدلالات الاجتماعية لتلك البحوث. ويأتى فى مقدمة تلك المجالات والأدوات بحوث الوثائق والبحوث التى تعتمد على السرد، أو دراسة المواد الشفاهية التى يدلى بها المشاركون (المبحوثون)، أو الحالات. . . إلخ، وجميعها تقنيات جديدة تكفل لنا الفهم المكتمل للظواهر والمشكلات المدروسة.

(*) انظر مثلا: هس - بيبر وليفى، البحوث الكيفية فى العلوم الاجتماعية، ترجمة: هناء الجوهرى، مراجعة وتقديم: محمد الجوهرى، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ٢٠١١، (الكتاب الثالث من سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين).

سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين

نافذة للدارس العربى على التقدم العلمى

هـذه السلسلة مشروع كبير لترجمة أمهـات الكتب العلميـة التأسيسية فى مجالات فروع العلوم الاجتماعية، وهو المشروع الذى يجرى تنفيذه فى رحاب المركز القومى للترجمـة بالقاهرة، منذ أكثر من ثلاث سنوات. وقد انتهـى العمل فعلا فى نحو عشرة كتـب من هذه السلسلـة، ساهم كاتب هـذه السطور فى ستة منهـا (ثلاثة صدرت فعلا وثلاثة أخرى فى المطبعة الآن).

ويتبنـى المشرفون على متابعة المشروع نظرة حداثية تؤمن بوحدة وتضافر العلوم الاجتماعية، التى كانت تتصارع حتى عهد قريب دفاعًا عن الحدود الفاصلة بين بعضها البعض.

وعلـى هـذا الأساس تم تشكيـل اللجنة الاستشاريـة القائمة علـى متابعة المشروع (برئاسـة الدكتور فيصل يونس) وتضم أعضاء من تخصصات علم النفس، والتاريخ، وعلـم الاقتصاد، وعلم السياسة، وعلم الاجتمـاع، والأنثروبولوجيا. وهم لا يمثلون تخصصاتهم وحدها، ولكنهم يتبنون تلك النظرة التكاملية إلى العلوم الاجتماعية. ويؤكد ذلك ويدلل عليه اختياراتهم للأعمال التى تقرر فعلا ترجمتها فى إطار هذا المشروع.

والحقيقة أن مشروعا كهذا قد تأخر كثيرا؛ لأن الوطن كان يحتاج إليه أشد الاحتياج على الصعيدين الأكاديمى والاجتماعى السياسى العام. فالكتب المقرر ترجمتها يشترط فيها أن تخدم الباحثين فى تلك التخصصات وكذلك طلاب الدراسات العليا فيها. فهؤلاء يمارسـون البحث العلمى - بحكم موقعهم - وعليهم أن يكونوا متابعين لأحدث تيارات البحـث فى مجالهم، ولكن إمكانياتهم اللغوية الأجنبية قد لا تسعفهم، كما أن عملية إيفاد البعثات الدراسية إلى الخـارج قد تراجعت بشكل حاد، الأمر الذى يعنى أن تمثل كتب هـذا المشروع نافذة لأولئك الباحثين والطلاب على اتجاهـات العلم الحديث فى العالم. ولكـن كل ذلـك لا ينفى أو يتعارض مع أن تتوجه تلك الأعمـال المترجمة - فى الوقت نفسه - للجمهور المثقف العام المتابع لثقافة العلم العولمى المعاصر.

أمـا عن رسـالة هـذا المشروع فقد عرضها فيصل يونـس (المشرف على المشروع) موضحًا أنها تخدم عددا من الأهداف:

1 – تقـديم مجموعة من الكتـب الأساسية فى العلوم الاجتماعيـة تركز على النظريات والمناهج المعاصرة فى العلوم الاجتماعية المختلفة.

2 – تمكـين القراء مـن فهم هذه التوجهـات النظريـة والمنهجية واستيعابهـا، ومعرفة مصطلحاتهـا باللغـة العربية للدارسـين، الأمر الذى يساعدهم علـى التقدم، فى مراحـل لاحقة، إلى قراءة النصوص الأجنبية فى التخصص مسلحين بفهم أعمق للمصطلح والنظرية والمنهج، مما ييسر عليهم استيعابها وفهمها.

3 – أن تتـاح هذه الترجمات بأسعار فى متناول شرائح الدارسين الأقل دخلا بما يسهل عليهم الحصول على أكبر عدد منها.

هذا الكتاب

مـن الصعـب أن أتحدث فى هذا الحيـز المحدود عن نقاط القوة التـى يتميز بها هذا الكتـاب، والتى يتفوق بها على سائر مداخل البحـث الاجتماعى. ولذلك أدعو القارئ الكـريم أن يبدأ التعرف على هـذا الكتاب من المقدمة الممتـازة لمؤلفيه العظيمين. وألفت النظـر إلى عدد مـن الأدوات المساعدة التى استعـان بها المؤلفان لتوصيـل رسالتهما. فسوف تجد على امتداد هذا الكتاب ما يلى:

• **أمثلـة** من الحياة الواقعية لمساعدة القارئ على فهم القضايا التى يجرى طرحها فى كل موضع.

• أمثلـة من «**بحوث أجريت فعلا**» (**البحث الواقعـى**)، أى أمثلة من البحوث التى نفذها الباحثـون الاجتماعيون بالفعـل فى تشكيلة عريضة ومتنوعة من فروع العلم الاجتماعى.

• مربعـا أو "براويـز" مخصصـة **لمزيد من التأمـل** فى الموضـوع (**فكر فى هذا الموضوع**)، وهى أسئلـة وأفكار من شأنها أن تحمل القـارئ الدارس على التفكير بمزيد من العمق فى هذا الموضوع.

• **بحثك** الذى تقوم به، ويشمل ذلك: الأسئلة، والأنشطة، وقوائم المراجعة والفحص المقدمة لك للانتفاع بها فى مساعدتك فى التفكير على امتداد خطوات المشروع البحثى الذى تجريه.

• **ما هــو . . . أو ما هى. . .** : وهى تساؤلات تقـدم تعريفات لمصطلحات البحث الاجتماعى.

دليل عملى للباحثين

يتناول هذا الكتاب موضوع إجراء البحث الاجتماعى، وهو موضوع نشرت فيه مئــات المؤلفات الجيــدة. ولكن ما يتسم به هذا الكتاب من طبيعــة عملية هى التى تمثل نقطــة قوته الكبرى (سواء فى لغتــه الأصلية أو فى ترجمته العربيــة). ويؤكد مؤلفاه علــى طابع الكتــاب كدليل عملى يستهـدف توجيه عمل الباحثــين: «ورغم أنه موجه خصيصا لمــن يقومون بالبحث الاجتماعــى للمرة الأولى، فإننا نتصــور أن الباحثين الأكــثر خبرة وتمرسا بالبحــث قد يجدون فيه دليلا مثاليا لتنفيــذ البحوث الأكثر تقدما والأعلى مستوى».

ويطلــب المؤلفان من القارئ أن ينظر إلى هــذا الكتاب بوصفه مجموعة متكاملة مــن الأدلة التى تخدم المراحــل الخمس المحــددة لأى بحث، وهــى: 1- التفكير فى موضــوع البحــث، 2 - الإعداد لإجــراء البحث، 3 - جمع البيانــات، 4 - تحليل البيانــات، 5 - عرض البيانات وكتابة تقرير البحث (وهــذه المراحل الأساسية هى نفسها أبواب هذا الكتاب).

البناء المحكم للموضوع والكتاب

هــذا كتــاب ضخم - بالنظــر إلى وظيفته دليــلا عمليا - ولكنه عمــل متماسك شديد الإحــكام. فهو يتكون من خمسة وثلاثين فصلا موزعة علــى خمسة أبواب. وهو أمر يبــدو شديــد التشعيب والتفريــع، ويوحى بالإغــراق فى عرض تفاصيــل ودقائق كل موضوعات طرق البحث وما قد تثيره من مشكلات أو صعوبات فى وجه الباحث.

ولكــن اللافت أن البناء الموضوعى للكتاب قد جاء مذهــلا، بسبب إحكامه وترابط

فصوله. فأول فصول الكتــاب ينبنى على بقية الفصول والأبواب ويشير إليها وينبه إلى دورهــا، بل إن كل فصل يحــوى عشرات الإحالات إلى بقية فصــول الكتاب. وهكذا الأمــر فى كل حالة لأن المؤلفين يتبنيــان «نظرة كلية» إلى مشروع البحث (راجع مثلا الفصل الأول من الباب الثانى، وعشرات المواضع الأخرى).

هذا كتاب لعصر الإنترنت والحاسبات

تضطلع شبكة الإنترنت بدور حيوى فى دعم قارئ الكتاب بتوفير مادته العلمية فى موقــع خاص على الشبكة، وعدة مواقع لتلقى الأسئلــة والتكليفات الدراسية، واقتراح موضوعات للبحــوث . . . إلخ. كما يتلقى الموقع ردود الباحثين والطلاب على الأسئلة وكتاباتهم التــى أجابوا فيها عن مختلف التكليفات («الواجبــات») العلمية . . . إلخ. كل ذلك يتم بشكل تفاعلى لا ينقطع على مدار الساعة، ويخدم كل سكان العالم ممن يهتمون بالبحث الاجتماعى.

فضلا عن ذلك أفاض المؤلفان فى الحديث عن طرق جمع المعلومات من المبحوثين عــبر الحاسب (بواسطة: الاستبيان، والمقابلــة، وجماعات المناقشة . . . إلخ). والأهم من ذلــك الوصف المسهب لاستخــدام إمكانيــات الحاسب، والحرص علــى الاستفادة القصوى من تلك الإمكانيات (خاصة تلــك التى تتيحها حزم البرامج الإحصائية للعلوم الاجتماعية مثل SPSS وإن فيفو Nvivo وغيرهما).

وقــد حرص المؤلفان علــى دعم شرحهما لأى فكــرة أو قاعــدة، أو خطوة علمية بشواهــد من البحوث والخبرات البحثية. هذا فضلا عن توجيه القارئ بشكل مستمر إلى مصادر المعلومات. وبديهى أن يحيل الكتاب القارئ إلى المواقع الإلكترونية التى يمكن أن تفيده على امتداد الفصول.

وإنــى أرى أن مثل هــذا التوجه نحو الشبكة ونحو الاستعانــة بالحاسب ليس جديدا علــى الكتابات العربية فى علم الاجتماع فحســب، ولكنه جديد وغير مسبوق - فى هذا القــدر من التفصيل ودقة التوجيه - فى الكتابات الأجنبية نفسها. ومن فضول القول أن أشــير إلى الجهد الذى بذل فى ترجمة مصطلحات هذا الميدان الجديد الذى تتغير مفاهيمه وعملياته كل صباح. وأرجو أن تكون النتيجة التى تحققت نافعة للقارئ ويسيرة عليه.

وبعد

إننى أنظر بغير قليل من الأسى إلى أطفال وشباب هذه الأيام وهم يمضون الساعات الطوال فى الإبحار – ليلا ونهارا – فى مواقع الإنترنت، بحثا عن طرائف، ومشاهدة الأفلام والكليبات، وانغماسا على مدار اليوم فى "الدردشة" مع من يعرفونهم ومن لا يعرفونهم... إلخ. إننا لا نطالب أحدا بالإقلاع عن ذلك، خاصة إذا كان لا يسمع ولن يفعل (فهو حرفيا: حاضر أمامك يسمع صوتك ولا يسمع كلماتك، وبالتالى فالاتصال من طرف واحد). كل ما نريده من خلال هذا الكتاب وأمثاله أن يقتنع الشاب اليوم أن هناك إلى جوار الاستخدامات الحالية للإنترنت، والتى تتمحور حول شتى أشكال التسلية والاستمتاع وقتل الوقت؛ هناك وظائف وخدمات مفيدة – وذات طابع علمى لا يخلو من المتعة – يمكن لكل دارس وباحث، أو حتى هاو، أن يفيد منها فى الارتفاع بمستواه العلمى وتنمية قدراته الفكرية.

والله الموفق

محمد الجوهرى

القاهرة أول سبتمبر 2012

تنويه مهم للقارئ

يمكنك أن تزور موقع هـذا الكتاب على شبكة الإنترنت www.pearsoned. co.uk/ Mathews حيـث تجد مـادة تعليمية قيمـة لمساعدة الطالـب الذى يدرس هـذا الكتاب، وتشمل:

- فيديـو لاثنين من جماعـات المناقشة المركزة، تجسد أمامك هـذه الطريقة المثيرة فى جمع المادة.
- فيديوهـات لمقابلات، مع نص الحوار الذى دار فيها، وذلك لتدريبك على عمليات تصنيف وتحليل البيانات المستخلصة من المقابلات.
- بعض العمليـات الحسابية الروتينية التى تُعرض بصورة متحركة لكى تطلعك على بعض أساسيات عمليات جمع وتفسير البيانات.
- قوائـم وتمارين من الكتاب، طبعت بصورة مستقلة، وذلـك لكى تقوم باستيفائها، بحيث ينتهى بك الأمر إلى رؤية مشروعك بصورة مكتملة.
- تمارين على عمليات اتخاذ القـرار بصورة تفاعلية تستهدف مساعدتك على اختيار أنسب طرق البحث لتنفيذ مشروعك.
- نماذج لبعضـ الاستبيانات الحقيقية (التى استخدمت فعلا فى بحوث سابقة)، وعينة من قاعدة بيانـات بالنتائج بنظام Excel، بحيث تتيح لك التمرن على عملية وضع الأسئلة وعلى مهارات التحليل.
- روابـط مفصلة لمواقع على الإنترنت خاصـة ببعض الهيئات التى يمكن أن تقدم لك العون للتقدم فى مشروعك البحثى.
- مسردًا إلكترونيا (قاموسا مصغرًا) لشرح بعض المصطلحات الأساسية.
- بطاقات خاطفة تحوى أسئلة لاختبار مدى فهمك للمصطلحات الأساسية.

شكر وتقدير

نتقدم بـكل الشكر والتقدير للسـادة الآتية أسماؤهم الذين تفضلـوا بقراءة مخطوط الكتاب ولما قدموه من تعليقات متعمقة وبناءة ، وهو الأمر الذى أسهم فى تشكيل مضمون هذا الكتاب بالصورة التى خرج بها.

Ann-Katrin Backlund, Lund University

Fred Cartmel, University of Glasgo

Pauline Dooley, University of Gloucestershire

Jonas Edlund, Umea University

Robert Evans, Cardiff University

Alice Feldman, University College Dublin

John Gelissen, University of Tilburg

Sheila Gilford, Staffordshire University

Jeni Harden, Edinburgh Napier University

Emma Head, Keele University

Adam Hedgecoe, University of Sussex

Monica Magadi, City University

Julian Matthews, University of Leicester

David Orr, University of Central Lancashire

Faiza Qureshi, Anglia Ruskin University

Emma Uprichard, University of York

Jon Warren, Durham University

مقدمة

يتناول هــذا الكتاب موضوع إجــراء البحث الاجتماعى، وهــو أمر جذاب ومثير ويــثرى المعرفة، وينير العقل. وقــد يستغرق القيام بالبحــث الاجتماعى وقتا طويلا، وقد يمثل تحديا للباحث، كما قد يؤدى - فى بعض الأحيان - إلى الإحباط أيضا. وهو الطريقة التى بها نكتشف كيف يعمل العالم الاجتماعى.

وهنــاك كــثرة من الكتب التــى تدعى أنها تعلمــك كيفية إجراء البحــوث فى العلوم الاجتماعيــة. ويزعــم هــذا الكتاب أيضا أنــه يسعى لتحقيــق نفس الهــدف، فهو **دليل عملى**- بحق - لتوجيه عمــل الباحثين، ورغم أنه موجه خصيصا لمن يقومون بالبحث الاجتماعــى للمــرة الأولى، فإننا نتصور أن الباحثين الأكثر خــبرة وتمرسا بالبحث قد يجدون فيه دليلا مثاليا لتنفيذ البحوث الأكثر تقدما والأعلى مستوى.

ويقــوم المؤلفان كلاهما بتدريس تخصص طــرق البحث فى كلية العلوم الاجتماعية جامعــة برمنجهام، كما أنهما وظفا خبرتهما التى جمعاها كمدرسين وباحثين ودارسين فــى ابتكار كتاب يسير الفهم يأخــذ بيدك مباشرة خلال العملية البحثية ابتداء من الأفكار الأوليــة التى تــراودك عن البحث وانتهــاء باستكمال تنفيذ المشروع، ســواء أكان هذا المشروع رســالة علمية مجازة أو كان عملا منشورا، فى صورة كتاب أو مقال علمى أو نحــو ذلك. وعلى امتداد هذا الطريق ستجد أمثلــة مستمدة من عدد كبير من مختلف مجــالات العلــم الاجتماعى التى توضح كيفيــة استخدام البحث فــى «العالم الواقعى»، وتستعرض الفرص المتاحــة لــك لترى كيف يمكنك الانتفاع بهذه التقنيات (الأساليب الفنية) فى مشروعك البحثى.

وليس هذا الكتاب مصمما ليقرأ من الغلاف للغلاف فى جلسة واحدة. فالأحرى أن تتصــوره باعتباره مجموعة متكاملة من الأدلة (جمع دليــل) التى تخدم خمس مراحل محددة للبحث هى:

- التفكير فى موضوع البحث.
- الإعداد لإجراء البحث.
- جمع البيانات.

• تحليل البيانات.
• عرض البيانات وكتابة تقرير البحث.

ويضم كل باب من أبواب الكتاب عددًا من الفصول المترابطة. وعلى امتداد الكتاب كله ستجد إحالات إلى فصول أخرى فى الكتاب (مثلا: الفصل 2 من الباب 1، والفصل 3 من الباب 2، والفصل 4 من الباب 3 . . . وهكذا)، ومن شأن ذلك أن يساعدك على تحقيق أفضل استفادة ممكنة من دراستك لهذا الكتاب.

وسوف تتبين على امتداد هذا الكتاب أننا ننظر إلى البحث باعتباره **عملية**، أى مهمة مستمرة (رغم أنها مؤلفة من مراحل مترابطة قليلة العدد) ومتواصلة مع بعضها. ومن شأن ذلك أن يساعد القارئ على أن يدرك - مثلا - أن من المحال الاكتفاء بجمع البيانات «فقط». فلا بد أن يفهم الباحث أن هذه المعلومات وهذا البحث لا يوجدان فى فراغ، بل يعتبران جزءًا من كلٍ أكبر حجما يندرج فيه أسلوب تفكيرنا فى أنفسنا وفى عالمنا الاجتماعى، وفى أفكارنا وآرائنا النظرية، كما تندرج فيه القضايا العملية ذات الطبيعة الأكثر مباشرة، مثل قضية تصميم الاستبيان أو تحليل البيانات الإحصائية. ويتم التأكيد طوال الكتاب على أهمية هذه الصلات وعلاقات الارتباط بأسلوب يساعد القارئ على أن يستوعب كلا من الدلالات الفردية لكل جزئية والطريقة التى بها تترابط هذه الجزئيات بعضها ببعض.

ويمكن القول - على وجه العموم - إن ما يتسم به هذا الكتاب من طبيعة عملية هى التى تمثل نقطة قوته الكبرى، إذ إنه قادر على إدراك كيف تستخدم الكتب الأخرى مختلف النظريات والتقنيات (وكيف تعمل تلك النظريات والتقنيات معا) لزيادة فهمنا لطريقة عمل العالم الاجتماعى الذى نعيش فيه، ولتغيير ذلك العالم بطبيعة الأمر، جنبا إلى جنب التفكير فى الطريقة التى بها تستطيع القيام ببحثك الخاص بك.

وسوف يجد الطلبة الجامعيون الذين يكتبون البحث العلمى الخاص بسنة التخرج أن هذا الكتاب سوف يفيدهم فعلا. ولا تقتصر هذه الفائدة على كونه دليلا توجيهيا لطريقة إجراء البحث، وإنما يضم - فوق هذا - ذلك الباب الخاص بعرض نتائج بحثك بعدة طرق وأساليب مفيدة، ويدعم بشكل عام مجمل عملية كتابة تقرير الرسالة العلمية وعرض ما انتهت إليه من نتائج.

هذا الكتاب

هــذا كتاب غير تقليدى إلى حــد ما، لأنه لم يكتب، كما هو شائــع فى كتابة الكتب، إمــا فى صورة عدد كبير من الفصول المترابطة ترابطا ملموسا، وإما فى صورة قائمة بالأساليب المختلفة لجمع البيانات. بل إن هذا الكتاب يأخذ القارئ فى رحلة - يوجه فيها هــذا القارئ نفسه بنفسه - خــلال الأبواب الخمسة للعملية البحثية. إذ يستطيع كل قارئ أن يتخــذ لنفسه المســار الذى يناسبه ويختاره هو. ورغم أننــا نوصى بأن تستهل عملك -فعــلا- ببداية هذا الكتاب، فإن من المحتمل أن ينتهى بك الأمر عند مرحلة مختلفة عن المراحل التى ينتهى عندها الآخرون، وهو الأمر الذى يتوقف على متطلبات مشروعك البحثى.

الباب الأول: التفكير فى موضوع البحث

هــذا الباب معنى بسلسلة مــن القضايا المترابطة، التى تــدور بالأساس حول طبيعة العمليــة البحثية، حيث تُناقش - فــى أول الأمر - طبيعة البحث مع إبراز أهمية ضمان إنجاز البحث بمستــوى عال من الجودة. ويعقب هذا فصل يتناول النظريات والنماذج والتوجهــات الفكرية، ثــم يربط هذه الأمور غــير الملموسة بالعــالم الواقعى للممارسة البحثيــة. بعد ذلك نحاول إمعان النظر فى الطبيعة المعقدة للبيانات جنبًا إلى جنب النظر فــى أساليــب استخدام هذه البيانــات فى إثراء فهمنــا أو تصوراتنا للحيــاة الاجتماعية. ويــدور الفصل التالى عليــه - وهو فى الفصل الرابع من البــاب الأول - حول البحث فــى الأساليب التى بها يمكننا طــرح الأسئلة ذات المغزى وصياغة التعريفات الإجرائية الواضحة التى يتعين بلورتها إذا تقرر لعملنا هذا أن يكون موضع اعتداد الآخرين وأن يكون مفهوما لهم. ويقوم الفصل الأخير من هذا الباب بتأمل القضايا الأخلاقية والثقافية الواردة فى البحث، وفحص الأساليب التى يتعين اتباعها فى معالجة هذه القضايا لضمان الالتزام بالإجراءات السليمة فــى معاملة المشاركين فى البحث (أى المبحوثين) بالتوقير والاحــترام، ولضمان عدم تعريض الأفراد ذوى الظروف الحساسة أو الخاصة لأى خطر، ولضمان ألا يلحقنا - كباحثين - أو يلحق الآخرين أى أذى.

الباب الثانى : الإعداد لإجراء البحث

هـذا الباب يصحـب القارئ خلال أولى مراحـل «الشّغل» فى البحـث ، حيث يبدأ بمعالجـة كيف تخطط مشروعـك وينتقل إلى عملية استعراض الـتراث العلمى المنشور حـول موضوع البحث ، وهو جزء من أهم أجزاء عملية إجراء أى بحث . ويناقش هذا الفصـل عملية ابتكار نوع من المراجعة النقدية للتراث العلمى حول الموضوع ، محاولا أن يغطـى كل القضايا الخاصة بكيفيـة العثور على المعلومات ، وكيـف تقيّمها ، وكيف نضمّن تقرير البحـث فصلا مفيدا لاستعراض التراث العلمى المنشور حول الموضوع . وتقوم بقية فصول هذا الباب بإلقاء الضوء على مختلف تصميمات البحث ، حيث تبحث هذه الفصول كيف يمكنك توظيف هذه التصميمات لصالح بحثك ، كما تقوم بتقليب أوجه النظر فى موضوع كيفية اختيار طرق البحث التى تتلاءم مع مشروعك البحثى . كما أنه من الطبيعى أن تتنـاول هذه الفصول المعركة الفكرية المتواصلة بين «المناهج الكيفية فى مواجهة المناهج الكمية» ، وكذلك مناهج البحث المختلطة التى تجمع بين الكيفى والكمى . وينتهى هذا الباب من الكتاب بفصول تتناول موضوع اختيار العينة ، وهو الأمر الذى تكـون الإحاطة به ذات أهمية خاصـة إذا كنت تريد أن تستخرج بعض التصميمات من بحثك ، كما تتناول هذه الفصول موضوع كيف تكتب خطة البحث .

الباب الثالث: جمع البيانات

يتحدث البـاب الثالث عن عمليات جمع البيانات ويناقشـ مسألة المهارات المطلوبة لهـذا الجزء ذى الطابع العملى الشديد من أجـزاء العملية البحثية . ثم ينتقل بعد ذلك إلى بحث أهم أساليب جمع البيانات ، والتى تضم استخدام الاستبيانات ، وجماعات المناقشة المركزة ، والمقابـلات ، والملاحظة ، والوثائق ، والصور القلميـة الموجزة vignettes ، والبيانـات الثانوية ، وجمع البيانات السردية . ويحتوى كل فصل من فصول هذا الباب علـى تفصيلات عن العمليات المذكورة فيه ، وعلى نماذج من البحوث الواقعية ، وعلى مزايـا ومثالب (عيـوب) كل أداة من هـذه الأدوات . وقد عرضنـا كل فصل من هذه الفصول على نحو يسمح لكل قارئ أن يختار الأسلوب الأكثر ملاءمة لبحثه . وتتضمن

هذه الفصول تمرينات تفاعلية وتمرينات تأملية مجتمعة معا بجانب أمثلة متعددة مستمدة مـن الحياة الواقعيـة لمساعدتك على فهم هـذه القضايا المعقدة وعلـى تحديد الاختيارات المناسبـة لعملك. ينتهى هذا الباب بفصل عن جمع البيانات إلكترونيا (أى: عبر استعمال الكومبيوتر) وهو مجال يتنامى بوتيرة متسارعة.

الباب الرابع: تحليل البيانات

نعتقـد أن هـذا الباب الرابع من الكتاب هـو أشد أجزاء الكتـاب تعقيدًا. ولا يقتصر هـدف هذا الباب على وصف الإجراءات الضرورية لتحليل البيانات، بل يشتمل كذلك على ضمـان أن يكون لهذا التحليل هدف معين يسعى إليـه. وهكذا ينتهى الباب بفصل (الفصل العاشر من الباب الرابع) يتناول موضوع استخلاص النتائج ويكفل ألا يتساءل الناس قائلين «وماذا بعد؟» عندما يطلعون على نتائج أحد المشروعات البحثية.

ومـع ذلك فإن مستهل هذا الباب يتطـرق إلى الحديث عن الأسباب الداعية للتحليل (إذ يبـدو أن كثيرا من الباحثـين يتصورون أنه يكفى جمع البيانـات وعرضها. ولكن الأمر ليس كذلك أبدًا). كما يستعرض الأسس التى تقوم عليها هذه العملية. وينتقل هذا البـاب ليتناول فى فصل مستقـل كيفية التعامل مع البيانات التـى نجمعها، وهو الفصل الـذى يـولى اهتماما خاصا للفـروق والاختلافات بـين البيانات المقننـة والبيانات غير المقننـة، كما يتناول كيفية التصرف فـى بياناتك. وينتقل بعد ذلك – من خلال مجموعة مـن الفصول – إلى تناول الأساليب والإجراءات المختلفة للتحليل. والمجالات الرئيسية التـى عرضنا لها هى: مجال التحليل الإحصائى (الفصـل الثالث) ومجال تحليل الفكرة المحوريـة لموضوع البحث (فى الفصـل الرابع)، حيث إن هذيـن النوعين من التحليل همـا أكثر الأساليب شيوعًا لدى الباحثين. وثمة فصـول أخرى تتناول أساليب التحليل الأخرى التى تشمل – من بين ما تشمل –: أسلوب التحليل السردى، وتحليل الخطاب، وتحليـل المضمـون، والنظرية الموثقـة. ويضطلع فصل مستقل بمهمـة تأمل موضوع استخدام الكومبيوتر فى كل من التحليل الكمى والتحليل الكيفى.

الباب الخامس: عرض البيانات وكتابة تقرير البحث

يتحدث هذا الباب الأخير من الكتاب عما يتعين أن يحدث بعد أن يتم استكمال البحث نفســه، أعنى بذلك ما يتعــين عمله بالنتائج، بــدءًا بمناقشة أهمية الجمهــور الموجه إليه البحث، وهى خطوة أولى وحاسمة فى كيفية عرض بياناتك داخل أطر مختلفة وبيئات مختلفة، وكيفية تقديمها لأفراد مختلفين.

يتنــاول الفصل الثانى من هذا الباب موضوع الكتابــة والبحث. وهو يولى اهتماما خاصــا بالتقنيــات العملية ويقدم نصائــح وتوجيهات فيما يتصل بكتابــة تقارير البحوث والرسائــل العلميــة الجامعية. كما يعالج أسبــاب قيامنا بهذه المهــام والأنشطة المختلفة، وكيفيــة تنظيمك وتخطيطك لهذا النوع من العمل. ويمكــن للأمثلة والدروس المستمدة مــن هــذا الفصل أن تطبَّــق بطريقة مفيدة على معظــم ما يقوم به الدارســون من كتابة التقارير والحكم على قيمتها العلمية والعملية.

ويعنــى الفصــل الثالث من هذا الباب بالنظر فى التقنيــات الخاصة بعرض البيانات مع تأكيد خاص علــى الممارسات التى تشهد حاليا مزيدا من الرواج والانتشار، والتى تضم: أشكال العرض الشفاهى، وأشكال العرض باستعمال الملصقات. ويتناول الفصل الأخــير من هذا البــاب موضوع نشر بحثك بين جمهور أوســع نطاقا، كما يلفت النظر إلى أن المشروع البحثــى لا يمكن فى الواقع أن يكون كاملا ونهائيا أبدا، إذ يوجد على الدوام مجال لإجراء مزيد من البحوث فى المستقبل.

وسوف تجد على امتداد هذا الكتاب ما يلى:

- **أمثلة** من الحيــاة الواقعية لمساعدتك على فهم القضايــا التى يجرى طرحها فى كل موضع.
- أمثلــة من "**بحوث أجريــت فعلا**" (**البحث الواقعى**)، أى أمثلــة من البحوث التى نفذهــا الباحثــون الاجتماعيون بالفعل فــى تشكيلة عريضة متنوعة مــن فروع العلم الاجتماعى.
- مربعــات أو "براويــز" مخصصــة **لمزيد من التأمل** فى الموضــوع **(فكر فى هذا**

الموضـــوع)، وهى أسئلة وأفكار من شأنهــا أن تحملك على التفكير بمزيد من العمق فى هذا الموضوع.

- **بحثك** الذى تقوم به، ويشمل ذلك: الأسئلة، والأنشطة، وقوائم المراجعة والفحص المقدمة لك للانتفاع بها فى مساعدتك فى التفكير على امتداد خطوات المشروع البحثى الذى تجريه.

- **مــا هو... أو ما هى...** : وهــى تساؤلات تقدم تعريفــات لمصطلحات البحث الاجتماعى.

إننا واثقون من أنك ستجد هذا الكتاب سهل التناول وافيا فى عرضه، ونافعا لك فى عملــك. ونأمل أن يؤول بك الأمــر إلى أن تفهم حقيقة البحث الاجتماعى، وتوفيه حق قدره، وتستمتع بممارسته.

الباب الأول

التفكير في موضوع البحث

الفصل الأول

ما البحث؟

محتويات الفصل

عن السياق

ما الذى نعنيه بالبحث الاجتماعى، ولماذا نقوم به؟ فى هذا الفصل التمهيدى نبدأ بالتأمل فى هذه المسائل عن طريق التفكير فيما نعنيه بالبحث، والتفكير فى بعض التعريفات. وسوف نطرح على القارئ بعض خصائص البحث الاجتماعى وبعض أهدافه، ونرى أن من المفيد التفكير فى البحث الاجتماعى باعتباره عملية تحتاج إلى تخطيط وتنظيم محكم. كيف لنا أن نعرف أن بحثنا الاجتماعى جيد بأى درجات الجودة؟ ولهذا سوف نقترح هنا المعايير المستخدمة فى التحقق من جودة البحث الاجتماعى.

ثمة إحساس ما بأننا جميعا باحثون. ففى كل يوم نطرح أسئلة ونتطلع إلى الحصول على إجابات عليها، أو نبحث عن تلك الإجابات. من ذلك مثلا:

- كيف أصل إلى المركز الرياضى؟
- ما الذى سأتناوله فى الغداء؟
- إلى أين سنذهب لقضاء أيام العطلة؟
- لماذا أصبت بالصداع؟

فى بعض الحالات نعرف أين نجد الإجابة، وفى حالات أخرى يتعين علينا أن نبحث الموضوع محل التساؤل أو نتفحصه بمزيد من التعمق لكى نتمكن من الحصول على الإجابة المنشودة. أما كيف نكتشف المزيد من المعرفة بالموضوع فيعتمد على ما لدينا من إمكانيات وموارد: كالكتب، والخرائط، والإنترنت.. وما إلى ذلك. كما نعتمد فى ذلك على وجود أفراد نستطيع أن نسألهم، وكذلك على خبرتنا السابقة بهذا الموضوع.

ومع أننا جميعا على ألفة بهذا البحث الشخصى الذى نمارسه فى حياتنا اليومية، فإنه لا يكفى لكى يؤهلنا – اللهم إلا قليلا – للوفاء بمتطلبات وتحديات البحث الاجتماعى الذى سيمكننا من طرح الأسئلة واكتساب المعرفة بالعالم الاجتماعى الذى نحن جزء منه، وفهمه. وفى هذا الفصل نقدم بعض الخصائص الأساسية لتلك البحوث الاجتماعية ونمعن النظر فيما نعنيه **بجودة البحث** (انظر قائمة المصطلحات فى نهاية الكتاب).

ماهية البحث

إن التحدث عن **كيفية** القيام بالبحث أيسر من التحدث عن **ماهية** البحث. ويرجع ذلك – جزئيا – إلى أننا جميعا نتصور أننا نعرف ما البحث، ولذلك لا نشعر غالبا بأى ضرورة لتعريفه تعريفا دقيقا، وهو تصور ليس مفيدًا على الدوام. إن التعريف «بكيفية» القيام بالبحث هى الهدف الأساسى لهذا الكتاب، لذلك فإننا لا ننوى مناقشة هذا الموضوع الآن.

فكر فى هذا الموضوع

ما أهمية البحث ؟

البحث فى العلوم الاجتماعية أمر متميز أشد التميز: فهو **عملية** (سوف نعود لشرح هذا المصطلح المهم فيما بعد) نستخدمها لفهم عالمنا بأسلوب يتجاوز كثيرا مستوى الوصف البسيط، أو الفهم الشائع، أو الحكاية. (Pole and Lampard, 2002, 21)

إن البحث قد لا يزودنا دائمًا بالنتائج التى نتوقعها أو نريدها، بل يعطينا شيئا مما أشار إليه تولكين J.R.R. Tolkein مؤلف "ملك الخواتم" The Lord of the Rings عندما قال: (وعلى نحو يستحق التقدير):

" . . . ليس أمامك سوى البحث، إن كنت تريد اكتشاف شيء ما. ومن المؤكد أنك سوف تكتشف – بعد أن تقوم بالبحث – شيئا ما عادة، إلا أنه لا يكون دائمًا نفس الشيء الذى كنت تسعى للوصول إليه".

وعلى مستوى المبادئ الأساسية نؤكد أن البحث هو **العملية** (انظر قائمة المصطلحات فى نهاية الكتاب) التى نقوم بها عندما:

- يكون لدينا سؤال مطلوب الإجابة عنه.
- ونحتاج لتحصيل معرفة بشأنه.
- ونريد أن نوسع نطاق فهمنا للعالم الاجتماعى.

تعريفات البحث

تماما، كما أن **البحث** يتم إجراؤه فى تشكيلة متنوعة من الظروف والبيئات وبواسطة أفراد لهم تصورات متباينة فيما يتصل بإجراء البحث ولهم دواع مختلفة للقيام به؛ فكذلك توجد تشكيلة متنوعة من طرق تعريف عملية البحث نفسها. وسوف نكتفى هنا بتقديم مجموعة مختارة من التعريفات فى البرواز المعنون: «**ما هو**: . . . .» أدناه.

ما : البحث؟

(1) . . . هـو الاستقصاء المنظم، والمنضبـط والإمبيريقي[*]، والنقدى للفروض التـى توضع بشأن بعض العلاقات التى يفترض وجودها بين الظواهر (Kerlinger 1970, 8).

(2) «البحـث» فى مفهـوم اللائحة التى تنظم عملية «تقييـم البحوث الجامعية فى المملكة المتحدة»[**] هو: عملية استقصاء أصيل (مبتكر) يتم القيام به من أجل تحصيل المعرفـة وبلوغ الفهـم. ويغطى مثل هذا البحـث أمورا تتصل مباشـرة باحتياجات التجـارة، والصناعة، وبأعمال كل من القطاع العام والقطاع التطوعى، وبقضايا الدرس العلمى، وباختراع وتوليـد الأفكار، والصور الذهنيـة، وفنون الأداء، والأعمـال الفنية التى تقوم على التصميم الفنى؛ وهى الأمور التى تؤدى للوصول إلى رؤى جديـدة تتسم بالعمق والإتقان الفائـق. كما يشمل هذا الاستقصاء الانتفاع

(*) empirical وقد فضلنا إمبيريقى على خَبْروى أو تجربى أو واقعى. ويستخدم المصطلح فى علم الاجتماع استخداما فضفاضا فى الغالب، لوصف نوع من التوجه فى البحث يؤكد أهمية تجميع الحقائق والملاحظات على حساب تأمل المفاهيم والبحث النظرى. أما النزعة الإمبيريقية بمعناها الدقيق فهى الاسم الذى أطلق على التراث الفلسفى الذى تطور – فى صورته الحديثة – فى سياق الثورة العلمية التى شهدها القرن السابع.

وقد شهد مفهوم الإمبيريقية تطورا خصبا منذ ذلك الحين وحتى القرن العشرين. فقد اتجه الشكل المتميز من إمبيريقية القرن العشرين، وهو ما عرف باسم الإمبيريقية المنطقية أو الوضعية المنطقية عند جماعة فيينا، اتجه إلى مسايرة مظاهر عدم اليقين العميق التى روجتها ثورة أول القرن العشرين فى ميدان علم الفيزياء. ويمكن القول على وجه العموم إن أصحاب النزعة الإمبيريقية قد رفعوا مستوى التحقق الإمبيريقى كوسيلة للدفاع عن العلم، وللتصدى لمزاعم الميتافيزيقا واللاهوت فى المقام الأول، ثم مواجهة المزاعم والأفكار شبه العلمية المعاصرة كالماركسية والتحليل النفسى. وكانت مشكلتها الرئيسية هى أن تؤدي هذه المهمة دون أن تقضى على كل، أو غالبية، أنواع المعرفة العلمية الحقيقية باستخدام نفس المعيار. انظر المزيد فى مادة الإمبيريقية فى موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهرى وزملاؤه، المركز القومى للترجمة، ٢٠١٢. (المترجم)

(**) RAE = Research Assessment Exercise.

بالمعرفة المتوفرة فعلا فى عمليات التطوير التجريبى التى تستهدف إنتاج مواد علمية جديدة أو محسنة تحسينا فائقًا وإنتاج معدات ومنتجات وعمليات جديدة، بما تنطوى عليــه من تصميم وتشييد (تنفيــذ). ومن شأن هذا الاستقصـــاء أن يستبعد من نطاق اهتمامــه مجال الاختبار الروتينى والتحليل الروتينـــى لأمثال تلك المواد والمكونات والعمليــات الخاصة بالالتزام بالمعايــير القومية (للجودة مثــلا)، وذلك باعتبار أن هذه المجالات مختلفة بشكل واضح عن مجال تطوير التقنيات التحليلية الجديدة. كما يستبعــد هذا الاستقصاء من نطاق اهتمامه تطوير المواد التعليمية التى لا تنطوى على أى بحث مبتكر (www.rae.ac.uk, 2008) .

(3) البحــث عملية تدريجية تتضمن جمع المعلومات وفحصها ونحن نقوم بالبحث كى نحسّن معرفتنا بالعالم الذى نعيش فيه وفهمنا له. ويتضمن البحث - فى الغالب- اكتشاف شيء جديد.

http://info.canceresearch.uk.org/cancerandesearch/whatisresearch

(4) البحــث هو تنقيــب أو استقصاء موجه لاكتشاف حقيقة مــا عن طريق التأمل الدقيق أو الدراســة الدقيقة لموضوع ما. فهو مسار للدرس النقدى أو العلمى. وهو يعنـــى التنقيب (أو التفتيش) عن مادة أو موضوع معـــين: أى استقصاؤه أو دراسته على نحو دقيق (OED, 1989).

فكر فى هذا الموضوع

مــا الأمور أو العناصــر المشتركة بين هــذه التعريفات ؟ اكتــب تعريفك الخاص للبحــث، وذلك اعتمادا على السمات الأساسية الواردة فى المجموعة التى أوردناها من التعريفات.

تضمــن كل تعريف مما ذكرنا سابقا تعريف البحث باعتباره «عملية» أو ممارسة نستطيــع بفضلها توسيع نطــاق معرفتنا أو العثور على إجابــات على أسئلتنا. ومن الأمــور ذات الأهمية الحاسمة هنــا، أن هذه العملية قابلة للنقل أو التحويل؛ وأعنى

بذلك أنها لا تقتصر – في العادة – على موضوع البحث أو على الباحث. وهذه نعمة من الله: إذ لا يتوجب علينا – على الأقل – أن نعيد اختراع العجلة في كل مرة نشرع فيها في إجراء بحث جديد.

أسباب إجراء البحث

يقوم الباحثون بإجراء البحوث لأسباب كثيرة: فقد تكون لدينا فكرة ما عن أمر معين، ونريد أن نعرف ما إذا كانت صحيحة أم لا. مثال ذلك أننا قد نعتقد أن حوادث السطو على المنازل تزداد معدلات حدوثها عندما تحدث زيادة في معدلات البطالة. ولكن إلى أن نجمع البيانات ونحللها لإثبات أو دحض هذه الفكرة، لا يكون بإمكاننا أن نعرف الحقيقة على وجه لا ريب فيه.

البحث الواقعي

السطو على المنازل والبطالة

تنشر وزارة الداخلية «المسح الاجتماعي للجريمة في بريطانيا» كل سنة. وفي سنة 2001 أمعن «تريسي بَدْ» Tracey Budd النظر في بيانات هذا المسح وأثبت أن حوادث السطو على المنازل تزداد في المناطق التي تعاني معدلات مرتفعة من البطالة. للاطلاع على مزيد من التفاصيل انظر: www.homeoffice.gov.uk/rds/prgrpdfs/brf501pdf.

ولكننا قد نحتاج لتوظيف البحث لأغراض أخرى كذلك. فقد نحتاج – مثلا – إلى التأكد من أسباب حدوث واقعة معينة، أو قد نحتاج إلى فهم المزيد عن الطريقة التي بها يستجيب الناس للمثيرات والمحفزات الاجتماعية. ولا يوجد – في الواقع – حد لما يمكننا بحثه، وذلك على الرغم من وجود بعض العوامل الخارجية (كعامل الوقت وعامل المال) التي يمكن أن تحد من قدرتنا على إجراء البحث.

الخصائص المميزة للبحث

تعد عملية البحث، من نواح عديدة، عملية فى غاية البساطة، إذ إن بالإمكان النظر إليها – فى أبسط صورها – باعتبار أنها تتكون من ثلاثة عناصر فقط هى:

1 – السؤال .

2 – عملية البحث .

3 – الإجابة .

ولا ريب أن العنصر رقم (2) هو أشد العناصر تعقيدًا، كما أنه يمثل الهدف الرئيسى لهذا الكتاب (رغم أن أسئلة البحث تعتبر هى الأخرى عنصرًا ذا أهمية حاسمة، وسوف نتطرق إلى مناقشتها فى بعض فصول هذا الكتاب، خاصة الفصل الرابع من هذا الباب).

ما طبيعة البحث؟

طبيعة البحث أنه:

- مقنّن وهادف (فى جمعه للبيانات وفى تفسيره لها).
- صارم فى دقته.
- متين وقابل للدفاع عنه.
- منظم منهجيا.

طبيعة البحث أنه ليس:

- مجرد جمع المعلومات أو الحقائق (وذلك على الرغم من أن هذا الجمع قد يكون عنصرا مهما من عناصر هذه العملية).
- منفصلا عن الحياة العملية: فبعض البحوث تتناول الأفكار المجردة أو بلورة النظريات، وتقوم أنماط أخرى من البحوث بالسعى لتغيير العالم «الواقعى» وتغيير إحساسنا به أو معايشتنا له، وغالبا ما يكون هذا التغيير نحو الأفضل.

مقنّن وهادف

إن البحث ليس مجرد أمر «يحدث فحسب». بل ينبغى أن يكون له هدف على الدوام. (وهذا لا يعنى بالضرورة أنه لا بد أن يكون لنتائج البحث تطبيقا عمليا، رغم أن كثيرا من البحــوث لابد أن تكون كذلك. فالتنقيب عن المعرفة المجــردة يعد هو الآخر سببا مشروعا للقيــام بالبحث). ولايعنى هــذا أن الوصف، أو الحكاية، أو الفهــم الشائع لا قيمة لها ولا جــدوى، فهى تشــكل إسهاما له أهميته لفهمنا للعالم. إلا أن البحــث ينبغى أن يقدم المعرفة التى تكون متينة، ويمكن الدفاع عنها، ومفيدة أيضا(Pole and Lampard 2002, 2) .

صارم فى دقته

ينبغــى أن يُخطــط البحــث وأن يُنفذ بشكل دقيــق وصــارم، ولا يقتصر ذلك على المجالات الواضحة المتعلقة بجمع البيانات وتحليلها، بل يشمل كذلك تلك الأمور الأخرى كالتصميم (الفصل3 من الباب 2) والاعتبارات الأخلاقية (الفصل 5 من البابـ 1).

متين وقابل للدفاع عنه

غالبــا ما يكــون البحث (خاصة البحــث الجامعى) عرضة للنقد مــن زملائنا أو من جانــب المشرفــين علينا المكلفين بتقييــم بحوثنا كطلاب ووضع درجات لهــا؛ لذلك لا بد لبحثنــا أن يكــون قويا فــى كل عناصره سواء من حيــث التصور العــام، أو من حيث التصميم والتنفيذ، بحيث يستطيع منتقدونا أن يفهموا كيف خلصنا إلى ما توصلنا إليه من نتائج، وبحيث يستطيع الباحث أن يدافع عن تلك النتائج.

منظم منهجيًا

يعنــى هــذا المصطلح المهم - ببساطة - أن كل شيء جــرى تناوله فى البحث (الذى يمكن أن يكون أفرادًا، أو حالات، أو مجموعات بيانات مثلا) هذا الشيء قد تم معالجته بنفس الطريقة.

ليس مجرد عملية جمع حقائق

ليســ البحث مجرد عملية جمع حقائــق و/أو بيانات وتجميعها معــا ووصفها، إنما هــو أكثر من ذلــك كثيرا. كما أنه ينصــب -عادة- على التفســير، إلى جانب الوصف التفصيلى أيضا.

جودة البحث

حتى نستطيع أن نقول إن بحثنا صارم فى دقته ومتين، يتعين علينا أن نمعن التفكير فى قضية الجودة. فما البحث الجيد؟

يمكن للبحوث أن تختلف فيما بينها اختلافا كبيرا من حيث الموضوع الذى تتناوله، والاتجاه النظرى الذى تتبناه، واختيار طرق جمع البيانات . . . ونحو ذلك؛ إلا أن هناك – مع ذلك – بعض المفاهيم الأساسية التى تساعد الباحثين على ضمان أن يستوفى بحثهم معايير الجودة التى يتوقعها غيرهم من الباحثين (والتى يتوقعها – فى حالة الطلاب – أساتذتهم المشرفون على مشروعاتهم البحثية).

البحث الواقعى

معايير جودة البحث

قام بيكر Becker وزملاؤه (2006) بتنفيذ مشروع بحثى معقد لتحديد "الجودة" فى بحوث السياسة الاجتماعية. وقد استعملوا عدة طرق بحثية مختلطة، والتى منها طريقة المسح الاجتماعى الإلكترونى (عبر الاتصال بالكومبيوتر)، وجماعات المناقشة (المركزة). وكان مجتمع البحث مكونا من الأساتذة الجامعيين المعنيين بميدان السياسة الاجتماعية. وقد نشر بيكر وفريقه (2006، ص5) قائمة تضمنت 36 معيارا من معايير الجودة مرتبة حسب أهميتها. وكانت المعايير الخمسة التى جاءت على رأس القائمة هى:

1- أن يكون البحث مكتوبا بطرق تكون مفهومة لدى الجمهور المخاطب بالبحث.

2- تصميم البحث على نحو يضمن تركيزه بوضوح على سؤال البحث (أو أسئلته).

3- الشفافية فى عمليات جمع البيانات وتحليلها.

4- وصف واضح للطريقة التى أجرى بها البحث.

5- أن يقدم البحث إسهاما إلى المعرفة.

مفاهيم الجودة

فى البحث الاجتماعى توجد أربعة عناصر أساسية لجودة البحث. وسوف نقدم هذه العناصر هنا، كما سنعود إلى مناقشتها لاحقا (فى الفصل 3 من الباب 1). وتشمل هذه العناصر الأساس الذى تقوم عليه «اختبارات جودة البحث» التى ستصادفها عند كل المراحل الأساسية على امتداد هذا الكتاب.

الثبات المنهجى أو الاعتمادية (كما يسمى أحيانا: «القابلية للتكرار»)

يتعين عليك – فى حقيقة الأمر – أن تطرح السؤال التالى بخصوص البحث الذى تنوى إجراءه، وهو:

«هل يمكن لنتائج بحثى أن تتكرر بمعرفة باحثين آخرين يستعملون نفس طرق البحث؟»

ويتوقع الباحثون فى العلوم الطبيعية – كعلم الفيزياء أو الكيمياء –مثلا– أن يحصلوا فى العادة على نفس النتائج تماما عند إعادة نفس التجربة (ومع ذلك انظر البرواز الوارد فيما بعد عن «البحث الواقعى» تحت عنوان «ماذا حدث للاندماج النووى البارد؟»).

أما فى العلوم الاجتماعية فإننا نتعامل – فى الأغلب – مع البشر، وليس مع الكيماويات أو الأوزان الساقطة. وكل شخص هو فرد ومختلف. ولهذا السبب لن يتوقع باحث سليم العقل الوصول إلى نفس النتيجة **تماما** (عند تكرار بحث ما)، بل ينبغى أن تكون هذه النتيجة متشابهة بالنسبة للمجموعات المتشابهة من الأفراد. ومن الأمور المهمة هنا أن هذا البحث الثابت (منهجيا) الذى يعتد به ليس خصيصة فى الباحث، بل ينبغى لأى باحث أن يستعمل نفس طرق البحث على مجموعة متشابهة من الأفراد إذا أراد أن يتوصل إلى نتائج مشابهة. فالأمر الذى يعنينا فى البحث الاجتماعى هو

أن علــى الباحثين الآخرين أن يتوقعوا الحصول علــى نفس النتائج إن هم نفذوا البحث باستعمــال نفــس الطرق ، أو يتوقــع الباحث الحصول على نفــس النتائج إن هو حاول تكرار البحث بنفس الطريقة.

البحث الواقعى

ماذا حدث للاندماج النووى البارد؟

فــى سنة 1989 أعلــن اثنان من علمــاء الفيزياء – فى سولت ليــك سيتى بولاية يوتــاه – الولايــات المتحدة – أنهما قــد توصلا للمــرة الأولى إلى إحداث الاندماج النــووى المحكوم داخــل قنينة زجاجية فــى معملهما (وكانت قد جــرت العادة أن ينفــذ هذا الاندماج إما فى الشمســ – كالقنابل الذرية – أو داخل مفاعل نووى بالغ الضخامــة، وفائق التخصص، والخطورة أيضا). وقد كانت الحرارة المتولدة من هــذه التجربة إيذانــا بالتوصل إلى مصدر جديد للطاقــة لاستخدام سكان الأرض، وإيذانا كذلك بنهاية ظاهرة الاحتباس الحرارى الكونى، وبشرى كذلك بالحصول على عوائد مالية ضخمة.

ولســوء الحظ عجز علمــاء الفيزياء الآخــرون عن إعادة تحقيق هــذه النتيجة. وعلــى الرغم من عدم وجود ما يوحى بأن الباحثين الأصليين كانا يحاولان –بأى طريقة– تضليل المجتمع العلمى، فإن تجربتهما أخفقت فى تأكيد ثباتها ومصداقيتها، الأمر الذى ألحق بمصداقيتهما الشخصية أفدح الضرر.

يرتبــط مفهــوم **الاعتمادية** (انظر قائمــة المصطلحات) عادة بطــرق البحث الكيفية (الفصــل 4 من الباب 2)، إلا أنه قابل للتطبيق علــى معظم الاتجاهات البحثية. وعادة مــا يطبق هذا المفهوم على سمة الاتساق فى الممارسة البحثية، وذلك للتأكد –مثلا– من أن كل البيانــات قد تم إدراجها، وأنه لم تُفقد أى بيانات بسبب عيب فى أجهزة التسجيل الصوتيــة، أو بسبب قصور فى أجهزة النسخ أو فى كفــاءة الأشخاص القائمين بالنسخ (المقصود بالنسخ: نقل البيانات من وسيلة ما إلى وسيلة أخرى مختلفة فى طبيعتها).

يتـم البرهنة على توفر صفة الثبـات (المنهجى) والاعتمادية فى أى بحث من خلال كون العملية البحثية والقرارات التى يتخذها الباحث **شـفافة** (انظر قائمة المصطلحات) ومتاحة للآخرين للتدقيق فيها وتمحيصها.

الصدق والمصداقية

يطرح هذا المفهوم الواضح البساطة من مفاهيم الجودة السؤال التالى فى الواقع:

هل أقوم فعلا ببحث الأمر الذى أتصور أننى أبحثه؟

كما يطرح السؤال التالى:

هل البيانات التى أقـوم بجمعها ذات صلة بسؤال بحثى (هل ستساعدنى فى الإجابة عن سؤال البحث أو فى اختبار فروضى)؟

ينصب الاهتمام هنـا على قرارات الباحث بشأن تحديد ماهيـة البيانات التى يتقرر جمعهـا، وتفسير البيانات التى جمعت فعـلا. وعادة ما يشير هذا المفهوم إلى ما إذا كان الباحـث يقوم فعـلا - أو لا يقوم - بقياس ما يتصور أنه يقيسـه، ومشتغلا باكتشاف ما يتصور أنه يكتشفه. كما يشير إلى مدى صلة ذلك القياس والاكتشاف بأسئلة بحثه.

فكر فى هذا الموضوع

ما الذى تسأل عنه فى حقيقة الأمر؟

كان «التقريـر الأسود»(*) لسنة 1980 (Townsend and Davidson, 1982) أول

(*) هذا تقرير بحث شهير كانت له آثار واسعة على حركة بحوث الصحة والمرض فى حقل علم الاجتماع، بحيث كانت ثمانينيات القرن الماضى (البحث انتهى ١٩٨٠ ونشر فى سلسلة بنجوين الشعبية ١٩٨٢) هى عصر ازدهار بحوث علم الاجتماع الطبى. وقد أشار الزميل مصطفى خلف إلى التقرير موضحا أن تسميته بتقرير بلاك راجع إلى اسم أحد باحثيه الرئيسيين، وقد تأكدنا من عدم صحة هذا الزعم لأن كلا الباحثين الرئيسيين تاونسند ودافيدسون لا يحمل - لا فى اسم العائلة كما نرى - ولا فى الاسم الشخصى اسم «بلاك». فهو لذلك «التقرير الأسود»، وليس «تقرير بلاك». وهناك عرف فى الكتابات السياسية أن يسـمى التقرير أو البيـان الذى=

دراسة مفصلة أجريت عن الحالة الصحية للأفراد فى الطبقات الاجتماعية المختلفة فى بريطانيا. وكانت النتيجة الرئيسية لهذا التقرير هى أن أعضاء الطبقة الاجتماعية الأدنى المعرضين للوفاة قبل بلوغ سن التقاعد عن العمل تزيد نسبتهم بمقدار مرتين ونصف عن معدل تعرض أفراد الطبقة الاجتماعية الأعلى للوفاة.

لو فرض أنك حاولت تحديث عمل هذين الباحثين فى وقتنا الراهن، فهل سيكون كافيا أن تدرس العلاقة بين سن الأفراد عند الوفاة وانتمائهم الطبقى الاجتماعى؟

ما الأمور الأخرى التى قد تكون ذات صلة بالموضوع؟

اكتب بعض أفكارك حول ذلك فيما يلى:

____

____

____

____

(توجد إجابات مقترحة لهذا السؤال فى نهاية هذا الفصل).

من المفاهيم ذات الصلة: مفهوم **المصداقية** (انظر قائمة المصطلحات). ويتم اختبار مصداقية (أو درجة الثقة فى) تفسيرات الباحث للبيانات التى جمعها؛ يتم هذا الاختبار عن طريق شفافية عمليات تحليل وتفسير هذه البيانات. ويتحقق ذلك - مثلا - عن طريق فحص أو اختبار التفسير المقدم لهذه البيانات مع المشاركين فى البحث (أى المبحوثين) أو عن طريق وضع هذه التفسيرات فى إطار النظرية الموجودة.

القابلية للتعميم والقابلية للتحويل

يشير **مفهوم القابلية للتعميم ومفهوم القابلية للتحويل** (انظر قائمة المصطلحات) إلى السؤال التالى:

= يتحدث عن مآسى أو كوارث أو فضائح بأنه تقرير أسود أو كتاب أسود. فهذا الكتاب جاء ليقول للبريطانيين بكل وضوح إن الفقراء لا يتعذبون بفقرهم فقط، وإنما يعذبهم المرض، ويعاجلهم الموت قبل الميسورين. (المترجم)

«إلى أى مـدى أستطيع أن أدعى أن النتائج المستمدة من بحثى تصدق على المجتمع الأوسع، أم أن دلالتها تتصل ببيئة مختلفة؟»

وبالنسبـة لبعض البحـوث تعتمد هذه الدعاوى على بيـان أو وصف إحصائى يبين أن بالإمـكان النظر إلى النتائج المستمدة من إحـدى العينات باعتبارها تصدق - إلى حد مـا - على مجمل أفـراد المجتمع. وفى حالات أخرى يكون بالإمـكان نقل هذه النتائج المستمـدة من سياق معـين أو فى زمن معين - بتطبيقها على سياقـات أخرى أو أوقات أخرى، أو يكـون بالإمكان إقامة الدليل على أمر ما يتصل بسياق آخر أو يتعلق بوقت آخر عن طريق الرجوع إلى النظرية ذات الصلة أو إلى بحث آخر. ومن المهم الإقرار بأن بالإمكان أن يكون للبحث المحدود النطاق قيمته مع هذا، وذلك رغم أنه من النادر الادعاء بأنه قابل للتعميم. وعلى نفس القدر من الأهمية ألا تدعى لنتائج بحثك دلالة أكثر أو أوسع مما يمكنك البرهنة عليه بصورة واضحة يرضى عنها الباحثون الآخرون.

الممارسة الأخلاقية

هنا نطرح السؤال التالى:

هـل أوليت اهتماما كامـلا بالطريقة التى أتصـرف بها كباحث فيمـا يتصل بالبشر الآخرين الذين تناولهم بحثى؟

تتضمن ممارسة البحث الاجتماعى مشاركة أفراد من البشر والاشتغال بالمعلومات المتعلقـة بالناس (انظر الفصل 5 من البـاب 1). ويمكن للبحث الذى يتصف بالجودة أن يثبت أنه قد أولى العنايـة الواجبة للقضايا الأخلاقية المتعلقة بتنفيذ البحث، وبالأثر الذى يمكن أن يحدثه فى شركاء البحث (أى المبحوثين)، وكذلك القضايا المتعلقة بأمانة الباحث وتدقيقـه فى عمله. ويرى بعض الباحثـين أن هذا من شأنه أن يشمل - كذلك - التفكير فـى قيمـة البحث فى ضوء مـا ينطوى عليه من فائـدة يمكن أن يحققهـا للمبحوثين، أو -بمعنى أوسع - لجماعات معينة من الناس، كما يتضمن العمل على جعل نتائج البحث هذه متاحة على أوسع نطاق ممكن.

من هم الباحثون الاجتماعيون؟

يمكـن القول بأن أى امرئ يطرح - فى أى وقـت - سؤالا عن أسلوب حياتنا، أو

عن كيف تسير الأمور من حولنا، أو لماذا تسير الأمور هكذا . . هو فى الحقيقة باحث أو يمارس مهمة البحث على نحو ما. ومع ذلك فإن البحث – كما سبقت الإشارة – يتعلق بما هو أكثر بكثير من طرح الأسئلة (أو حتى تقديم الأجوبة): فهو يتعلق بالطريقة التى نُجرى بها البحث.

والباحثون الاجتماعيون موجودون فى كل مكان. وهم يعملون لحساب الإدارات الحكومية المحلية والحكومة المركزية، ولحساب المؤسسات الخيرية، والمدارس، والنوادى، وفرق كرة القدم، وغيرها كثير. ولكن أن تكون باحثًا «جيدًا» أمر يتطلب وقتا وجهدًا وفهما لقضايا الجودة المرتبطة بعملية البحث.

الطريق نحو الأمام

ليس إجراء البحث الاجتماعى بالأمر اليسير دائمًا؛ إذ توجد كثرة من القضايا الصعبة التى يتعين علينا مواجهتها على امتداد الطريق (وستطلعك بقية فصول هذا الكتاب على هذه القضايا وعلى كيفية التغلب عليها بشكل فعال). وأيا ما كان الأمر فمع المثابرة يأتى النجاح.

بحثك

بعض الأمور التى يفيدك أن تتذكرها:

- البحث عبارة عن **عملية** (أى مكون من خطوات متتالية).
- يتعين أن يكون البحث مخططا له، فهو لا يحدث صدفة.
- ليس من اللازم أن تكون الحقائق والبيانات مطابقة لما نعرفه سلفا.
- ليس الوصف شبيها بالتفسير.
- لابد أن يكون البحث متينا (قويا): فلا بد أن يكون قادرا على الصمود أمام الانتقادات والاعتراضات التى تصدر من الأفراد والمنظمات التى قد لا توافق على طرق البحث المستخدمة أو على النتائج التى خلص إليها البحث.

فكر فى هذا الموضوع

بعض الأجوبة المقترحة

ما الأمر الذى تسأل عنه فعلا؟

كان «التقرير الأسود» لسنة 1980 (تاونسند ودافيدسون، 1982) أول دراسة علمية مفصلة عن الحالة الصحية للأفراد المنتمين إلى طبقات اجتماعية مختلفة فى المجتمع البريطانى. وكانت النتيجة الرئيسية التى انتهى إليها هذا التقرير أن الأفراد المنتمين إلى الطبقة الاجتماعية الأدنى معرضون للوفاة قبل سن التقاعد عن العمل بمعدل يزيد مرتين ونصف عن معدل تعرض المنتمين إلى الطبقة الاجتماعية الأعلى للوفاة.

لو فُرض أنك تريد تحديث عملهما هذا فى وقتنا الحالى وتنفيذه مرة أخرى، فهل يكفى دراسة العلاقة بين سن الأفراد عند الوفاة والانتماء الطبقى الاجتماعى؟

ما الأمور الأخرى التى ربما يتعين الالتفات إليها عن دراسة هذا الموضوع؟

من الواضح أن الأسئلة الخاصة بالعلاقة بين السن عند الوفاة والانتماء الطبقى الاجتماعى تعد ذات أهمية محورية بالنسبة لهذا البحث. ومع ذلك فإنها لن تزودنا إلا بالمعلومات الأساسية فقط، كما يحتمل ألا تكون نافعة كل النفع فى تفسير هذا الفرق فى معدلات الوفاة. وقد تحتاج إلى إمعان النظر فى طرق أخرى لقياس الحالة الصحية. وعلى أية حال فإن طرحك لمثل هذه الأسئلة البسيطة يوحى بأنك ربما لم تفكر فى هذا السؤال تفكيرا عميقا وافيا. ونحن نرى أن ثمة قضايا أخرى، كقضية الدخل، والحالة العملية، وظروف الجغرافيا والبيئة، والتعليم، والصحة، والسياسة، والصفات الوراثية، والعدالة الاجتماعية، (وقضايا أخرى كثيرة) تعد محجوبة أو مخفاة داخل هذين السؤالين البسيطين، ونرى أن هذه القضايا تحتاج إلى إمعان النظر فيها قبل محاولة التوصل إلى نتائج.

المراجع وقراءات للاستزادة

Becker, S., Bryman, A. and Sempik, J. (2006) *Defining 'Quality' in Social Policy Research: Views, Perceptions and a Framework for Discussion*, SPA, Lavenham in conjunction with JUC.

Budd, T. (2001) Burglary: Practice Messages from the British Crime Survey, Home Office Briefing Note 5/01, July. Available from www.homeoffice.gov.uk/rds/prgpdfs/brf501.pdf (accessed 6 August 2009).

Cancer Research UK (2004) What is research? *Cancer and Research, About Cancer Research* (online), Cancer Research UK. Available from http://info.cancerresearchuk.org/cancerandresearch/aboutcancerresearch/whatisresearch/ (accessed 6 August 2009).

Corbetta, P. (2003) *Social Research: Theory, Methods and Techniques*, London: Sage.

Kerlinger, F. N. (1970) *Foundations of Educational Research*, New York: Holt, Reinhart & Winston.

Pole, C. and Lampard, R. (2002) *Practical Social Investigation: Qualitative and Quantitative Methods in Social Research*, Harlow: Pearson Education.

Research Assessment Exercise (2008) *Guidance on Submissions (Annex B)*, available from www.rae.ac.uk/Pubs/2005/03/rae0305.doc (accessed 6 August 2009).

Taubes, G. (1993) *Bad Science: The Short Life and Weird Times of Cold Fusion*, New York: Random House.

Townsend, P. and Davidson, N. (1982) *Inequalities in Health: The Black Report*, Harmondsworth: Penguin.

الفصل الثانى
المعرفة والنظريات والنماذج والتوجهات الفكرية

محتويات الفصل

- من أين نبدأ؟
- ما طبيعة موضوع البحث الاجتماعى . . ما «العالم الاجتماعى»؟
- بوصفنا جزءا من العالم الاجتماعى: ما الذى نعرفه عنه، وما الذى يمكننا أن نعرفه عنه؟
- ما الذى يوجد فى العالم الاجتماعى مما يتعين معرفته أو الكشف عنه؟ ولماذا يرى الناس الأمور على وجوه مختلفة؟
- ما الطرق المختلفة المتاحة "للنظر" إلى العالم الاجتماعى والتى يمكنها مساعدتنا فى التفكير فيما نريد أن ندرسه، وكيف يمكننا أن نقوم بذلك؟
- ما الذى نحاول عمله عندما نقوم بإجراء البحث الاجتماعى؟
- كيف يمكن أن تساعدنا النظريات فى بحثنا الاجتماعى؟
- ما الذى يعنيه ذلك لى كباحث اجتماعى فى مرحلة الدراسة؟
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

هل سبق لك أن تساءلت لماذا يفكر الناس ويتصرفون بهذه الأساليب المختلفة ؟ يدعوك هذا الفصل إلى أن تفكر فى هذا الأمر انطلاقا من وجهة نظر بحثية. فهو يناقش موضوع المعلومات والمعارف، وكيف نعرف الأمور ونفهمها، وكيف نستخدم معرفتنا وفهمنا فى بناء أسلوب معين لتدبر أمور العالم الاجتماعى. ورغم أن هذا قد يبدو محيرا أو مربكا ويصعب استيعابه، فإنه من الأمور الفائقة الأهمية أن نلاحظ: أنه إن لم نفهم كيف ينظر الباحثون إلى العالم، فمن المحتمل أن نجد من الصعب علينا فهم بحوثهم.

من أين نبدأ؟

كما رأينا فى الفصل الأول من هذا الباب، فإننا جميعا باحثون. فمعظم الأفراد على دراية وألفة بفكرة «القيام ببحث» موضوع ما كواجب دراسى، أو القيام ببحث حول شيء ما تريد شراءه، أو بحث عن عطلة ما تريد قضاءها. فنحن جميعًا نمارس البحث فى كل شئون حياتنا اليومية، إذ إننا محتاجون لاكتشاف الحقائق أو التعرف على ما يفكر فيه شخص آخر بشأن أمر ما أو يتصل بشخص معين، بدءًا من الحقائق المتعلقة بصديقة جديدة ننوى التعرف عليها وانتهاء بالحقائق المتعلقة بسياسة الحكومة فى مجال الطاقة النووية.

إن كنت تقوم ببحث موضوع ما كلفت بدراسته، فمن المحتمل أنك ستسعى للوصول إلى مزيج من **المعلومات** (انظر قائمة المصطلحات) المختلفة الأنواع، التى قد تكون فى شكل الإحصائيات، أو آراء وأفكار كبار الأكاديميين والباحثين فى هذا المجال، أو النظريات أو الأنساق الفكرية التى يبدو أنها تشكل أساس نظرة الناس إلى موضوع البحث وفهمهم له، والتى قد تكون مهتما باكتشاف المزيد عنها من زاوية تخصصك العلمى. ومن أمثلة هذه المعلومات: سياسة الحكومة فيما يتصل بهذا الموضوع، والاقتصاديات المتعلقة به، وبجوانبه الثقافية الخاصة المميزة له، وما إلى ذلك.

عندما تجمع معلومات عن موضوع كلفت بدراسته فإنك ستعمل على انتقاء المعلومات التى ستساعدك فى الإجابة عن سؤال معين وفى إثبات صحة **فهمك** (انظر قائمة المصطلحات) لكل من السؤال والمعلومات التى تنتفع بها فى مناقشة القضايا التى أثارها هذا السؤال. وفى ثنايا قيامك بالإجابة عن الأسئلة الواردة فى دراستك سوف تتبين أنك تقوم بأكثر من مجرد سرد الحقائق أو عرض مجموعة من الأفكار، إذ سيكون من المتوقع منك أن تنتفع بهذه المعلومات لتمكنك من مناقشة موضوعك، وشرحه، وتحليله بصورة نقدية، ويمكنك كذلك من استخلاص بعض النتائج.

ما - إذن - الأمر المختلف الذى يميز عملية إجراء البحث **الاجتماعى**، ولماذا يتعين علينا إمعان التفكير فيه بدرجة أكبر قليلا بوصفنا دارسين نعمل فى هذا الفرع أو ذاك من فروع البحث العلمى؟ بوصفنا دارسين متخصصين فى مجالات: علم الاجتماع، والسياسة الاجتماعية، وعلم السياسة، وعلم الاقتصاد، والأنثروبولوجيا الاجتماعية،

والقانــون الجنائــى، والخدمة الاجتماعية ونحــو ذلك؛ نحتاج فى المقــام الأول إلى أن نطبق مهاراتنا وخبراتنا اليومية كدارسين على موضوع **البحث الاجتماعى** نفسه. وقد يكــون هذا أمرا مثــيرا للدهشة قليلا، أو قد يكــون أمرا لم تتوقع من قبــل أن تقوم به. ولكننا سنحاول أن نجعل هــذا الأمر جديرا بالاهتمام، وأن نبين لك مدى أهميته وأنت فى مستهل التفكير فــى بحثك الاجتماعى الخاص بك. وكما هو الحال مع كل التكليفات الدراسيــة الجيدة فإننا نبدأ بعنــوان ومقدمة، وسنحاول أن نقدم فيما بعد مثالا على ذلك (تجــد هذا المثــال معروضا فى البرواز التــالى) والذى سيتكرر ذكــره على امتداد هذا الفصــل لكى يسهم فى تجلية النقاط ووجهات النظــر التى نعرض لها هنا. كما سنقترح بعضــ الأنشطة لمساعدتك على التفكــير فى موضوع بحثك الذى تنــوى إجراءه. كما ستوجــد مواضع أخرى تحيلك إلى فصول أخرى فى هذا الكتاب من شأنها أن تساعدك على التفكير فى عناصر الموضوعات المتصلة ببحثك الاجتماعى الخاص بك.

وهكذا قد يكون عنوان «الواجب» الذى نكلفك بدراسته شيئًا من هذا القبيل:

مــا البحث الاجتماعى؟ وما الأفكار والنظريــات والتوجهات الفكرية التى تؤثر على الطريقة التى بها يتم تنفيذ البحث الاجتماعى؟

وللإجابة عن هذا السؤال سنعمد إلى مناقشة الأمور التالية فى هذا الفصل، وهى:

- طبيعــة موضــوع البحــث الاجتماعــى، أي مــا **العــالم الاجتماعى**؟ (انظــر قائمة المصطلحات)

- بوصفنا جزءا من هذا العالم الاجتماعى، ما الذى «نعرفه» عنه أو ما الذى يمكننا أن نعرفــه عنــه؟ وبوصفك إنسانا – وجزءا من العــالم الاجتماعى – ما فى رأيك هى – علاقة الباحث الاجتماعى بالعالم الاجتماعى الذى يقوم بدراسته ؟

- مــا الذى يتعين دراستــه، أو الكشف عن حقيقته، أى مــا **الأنطولوجيا**؟ (انظر قائمة المصطلحات) ولماذا يرى الناس الأمور بطرق مختلفة؟

- التفكير فيمــا يتعين دراسته، وكيف يمكننا أن نقوم بذلك؟ ما الطرق المتبعة فى رؤية العــالم الاجتماعى، أى **الإبســتمولوجيا** (انظر قائمة المصطلحــات) التى يمكنها أن

تساعدنا على أن نفكر فيما نريد دراسته وكيف يمكننا أن نقوم بذلك؟

- ما الذى نحـاول عمله عندما نقوم بإجراء بحث اجتماعى (انظر كذلك الفصل الأول من هذا الباب).
- كيف يمكن للنظريات أن تساعدنا فى بحثنا الاجتماعى؟
- ما الذى يعنيه هذا لى كباحث اجتماعى فى مرحلة الدراسة؟

المثال (2-1)

- «عـدد حالات الزواج ينخفض إلى معدل قياسـى». (صحيفة الجارديان، 22 فبراير، 2007).
- «العـوالم مفككة: استطلاع للرأى يثبت أن الوالدين لا يتواصلون مع أبنائهم». (صحيفة الجارديان، 24 فبراير، 2007).
- "جماعـات الرماية بين المراهقـين ظاهرة راجعة إلى تفـكك الأسرة" (صحيفة الجارديان، 23 فبراير، 2007).
- "مطلـوب من الآباء: قدموا المزيـد من الرعاية والاهتمـام لأطفالكم" (صحيفة الجارديان، 27 فبراير، 2007).
- "الأمهـات يتحملـن" وطأة التمييز فى مـكان العمل - النظـر إلى النساء ذوات الأطفال الصغار باعتبار أنهن أقـل جدارة للاعتماد عليهن". (الجارديان، 1 مارس، 2007).

يحتـوى هذا الفصل على مادة علمية ذات طابـع على جانب كبير من التجريد، لذلـك أدرجنا أحد الأمثلـة لمساعدتك على فهم نقاطـه الأساسية. وسوف تجد على امتداد هـذا الفصل "براويز" تقـدم أمثلة سوف تصحبك أثنـاء استعراض الرؤى والأفكار المتعلقة بمجال معين من مجالات العالم الاجتماعى؛ هو مجال **الأسرة**.

أثنـاء تأليفنا لهذا الكتـاب تصّدر عناوين الصحف من جديـد موضوع، قلّ أن يكـون بعيدا عن الأخبار فى المملكة المتحدة. فعلـى امتداد الجزء الأخير من القرن العشريـن وأوائل القرن الواحد والعشرين، أصبحـت الأسرة - بتركيبها المتغير،

وبالـدور الذى يرى البعض أنه يتعين عليها القيـام به فى جوانب كثيرة من الحياة اليوميـة والاجتماعيـة – أصبحـت الأسرة موضوعـا يهتم به الناسـ وتجرى فيه البحوث ، كما أنها تعد إحـدى الوحدات الاجتماعية التى يعايشها معظم الناس فعلا بشكل أو آخر .

وتحتـوى الأسرة – بوصفها وحدة اجتماعية – على عدد من العناصر المختلفة ، نذكر منها :

- أنها من الممكن أن تضم أفرادا تربطهم ببعضهم رابطة الدم ، أو رابطة القانون ، أو رابطة الاختيار الشخصى.
- وأنهـا من الممكن أن تشتمل على العلاقات بين الوالدين (أى الأب ، أو الأم ، أو كليهما) والطفل .
- ويمكنهـا أن تشتمـل على العلاقـة القانونيـة أو علاقة الاختيـار الشخصى بين البالغين .
- قد يعيش أعضاء الأسرة فى نفس المنزل ، وقد لا يعيشون .
- وقد تحتوى على عناصر أخرى كثيرة .

والأســرة بوصفهـا وحدة اجتماعية تحظـى باهتمام كل من صنـاع السياسة ، والاقتصاديين ، وبناة المساكن ، والجهات التى تقدم الرعاية الاجتماعية والصحية ، والشرطة ، وتجارة التجزئة ، والجهـات التى تقدم الخدمات التعليمية ، ووكالات السفر والرحلات ، وصناع السيارات ، والمحامين ، وكثيرين غيرهم .

ومن بـين التغيرات التى كان لهـا تـأثير على الأسرة كوحـدة اجتماعية خلال الخمسين سنة الأخيرة نذكر ما يلى:

- القوانـين التى تنظـم الطـلاق ، والمعاشرة (الإقامـة المشتركة بـدون زواج) ، وأشكال وعلاقات الزواج المدنى .
- الوسائل الفعالة لمنع الحمل وللإجهاض .
- فرص التعليم والتوظف المتاحة للنساء .
- إطالة أمد الحياة .

ما طبيعة موضوع البحث الاجتماعى . .

ما العالم الاجتماعى؟

بوصفنا علماء اجتماعيين نبدأ فى التفكير فيما يثير اهتمامنا فى هذا العالم الذى نعيش فيه. ويمكن القول إننا مهتمون بالجوانب «الاجتماعية» لهذا العالم. فنحن نتحدث عن البشر بوصفهم «حيوانات اجتماعية»، تشترك مع سائر الحيوانات فى بعض الخواص البدينة، إلا أن خواصنا الاجتماعية هى التى تجعلنا كائنات إنسانية.

عندما يتحدث العلماء الاجتماعيون عن شيء بوصفه «اجتماعيا» فهم يتكلمون - فى العادة - عن موقف توجد فيه علاقة وتفاعل بين فردين أو أكثر. ويعتمد التفاعل والعلاقات الاجتماعية على اللغة - وهى الوسيلة الرئيسية للتواصل بين الأفراد - بوصفها الطريقة التى نستطيع بها أن نكون كائنات **اجتماعية**. إن لغة التواصل والتفاعل هى التى تمكننا من التعامل معا، ومن تنظيم أنفسنا فى جماعات ووحدات اجتماعية، وهى التى تمكننا من اتخاذ القرارات الجماعية وتنفيذها. ونحن ككائنات إنسانية، لدينا خبرات اجتماعية كثيرة نشارك فيها الآخرين الذين يعيشون فى بقاع جغرافية مختلفة (أو حتى فى عصور مختلفة)، ومن أمثلة ذلك : التعلم، والعمل، والحياة الأسرية. وعلى الرغم من أن الشكل المحدد أو الإطار المحدد للأفكار المتعلقة بمثل هذه الخبرات الاجتماعية قد يختلف ويتنوع، فإن المرجح أن ثمة أوجه تشابه بينها، وهو الأمر الذى يمكننا من تحديد بعض الجوانب المشتركة والأساسية للحياة الاجتماعية أو للعالم الاجتماعى.

ومع ذلك فإننا لسنا كائنات اجتماعية فحسب، فنحن أفراد فى الوقت نفسه. فكل شخص - بوصفه فردا متميزًا - لديه إحساس ما «بالذات» (وهى الطريقة المحددة والشخصية التى بها يتفاعل مع «الآخرين»). ويتيح لنا ذلك - كأفراد متميزين - أن نتأمل علاقاتنا مع الآخرين وتفاعلاتنا معهم، وأن «نروى قصتنا الخاصة بنا» (أى نبلور رؤيتنا الخاصة بنا ونعبر عنها)، وذلك بناء على منظورنا الشخصى للواقع الاجتماعى كما يبدو لنا. ونحن قادرون على أن نصف سلوك الأفراد الآخرين وأن نحاول تفسيره، وقادرون أحيانا على تحديه والاعتراض عليه (كما أن سلوكهم قد يؤثر - بدوره - على الطريقة التى نتبعها فى الإحساس بهم وفى الإحساس بأنفسنا. كما أن سلوكنا قد يؤثر عليهم بنفس الطريقة).

هذا – إذن – هو محور اهتمام العلماء الاجتماعيين ، وأعنى : العلاقة الاجتماعية بين الأفراد والعالم الاجتماعى ، بجانب مسألة كيف ولماذا يوجد العالم الاجتماعى؟ وكيف ولماذا صار إلى ما أصبح عليه؟ ويصف تشارلز رايت ميلز C. Wright Mills (وهو عالم اجتماع أمريكى شهير) يصف هذه المسألة بأنها "الخيال السوسيولوجى"، فيقول:

«توصلنا إلى معرفة أن كل فرد يعيش ، من جيل للجيل التالى ، فى مجتمع ما: فهو يعيش حياة شخصية ما ، وهو يعيشها فى تسلسل تاريخى معين. وبمقتضى حياته هذه ، فإنه يساهم – ولو بقدر ضئيل جدا – فى تشكيل هذا المجتمع وفى تحديد مسار التاريخ ، تماما كما أن هذا الشخص نفسه من صنع المجتمع وما يتصف به من نفوذ وضغط تاريخيين».

«إن الخيال السوسيولوجى هو الذى يمكننا من فهم التاريخ وفهم السيرة الشخصية والعلاقات بين الأمرين داخل المجتمع. فهذه هى مهمته وبشيره الواعد بالنجاح» (رايت ميلز، 1959).

فكر فى هذا الموضوع

كثيرا ما تدرس **الأسرة** وكثيرا ما يتحدث الناس عنها بوصفها وحدة اجتماعية ، وهى وحدة يكون فيها لأفراد الأسرة المختلفين أدوارهم الخاصة بهم تجاه بعضهم البعض ، لكنهم يشكلون مجتمعين معا وحدة كلية متكاملة. إلا أن لكل فرد على حدة خبرته الخاصة أو الشخصية داخل وحدة الأسرة نفسها.

إذا كان لك أشقاء وشقيقات فقد يسهل عليك أن تدرك إدراكا جيدا أن لدى كل منهم خبرات مختلفة فى نطاق أسرتك يشعرون بها تجاهك ، كما أنهم يرون ما تشترك فيه الأسرة من أحداث وروايات انطلاقا من مواقف شخصية مختلفة كل الاختلاف.

فحكاية من منهم هى «الحكاية الحقيقية»

وهكذا يتضح أن من الأمور ذات الأهمية الخاصة فيما يتعلق بكون المرء عالما اجتماعيا أو باحثا اجتماعيا أننا ندرس شيئا نحن جزء منه. فنحن أعضاء هذا العالم الاجتماعى

الـذى يزودنا بمادة البحث لدراستنا. وهذا الوضع هو ما يميز العلماء الاجتماعيين عن **«العلماء الطبيعيين»**(انظر قائمة المصطلحات فى نهاية الكتاب).

فعلى حـين يضطلع البشر بدراسـة العالم المادى، تكون مـادة البحث أو موضوع الدراسة التى يجرونها مادية وليست اجتماعية، كما أنها تكون مستقلة عنهم وعن طريقة فهمهـم لها. ويمكن القول - بعبارة أخرى - إن للشجرة كيانا وبناء ماديا خاصين بها، وذلـك بصرف النظر عن العالم الذى يدرسـ طريقة نموها وتطورها. فهل يمكننا أن نقول نفس هذا الكلام عن **«الظاهرة الاجتماعية»** «(انظر قائمة المصطلحات)، من قبيل إحدى المنظمات، أو الأسر، أو المجتمعات المحلية؟

وسـوف نتبين لاحقا أن هذه الملاحظة تمثـل مسألة فلسفية أساسيـة كانت مثار إزعاج للعلمـاء الاجتماعيين على الـدوام. كما توجد مجموعات من الأفـكار المختلفة المتعلقة بهذه المسألـة، والتى تمثـل الأساس الذى ارتكزت عليه عملية تطـور طرق البحث الاجتماعى علـى امتداد المائـة سنة الماضيـة، وما زالـت تمثل خلفيـة طريقتنا فى التفكـير فى البحث الاجتماعى فى وقتنا الحاضر.

يمكن للقارئ أن يقف على تاريخ موجز للبحث الاجتماعى فى نهاية الفصل الثانى من هذا الباب. ونقترح عليك أن تقرأ هذا التاريخ جنبا إلى جنب قراءتك لهذا الفصل أو بعده. فمن شأن ذلك أن يمكنك من التعرف على موقع المناقشة الواردة فى هذا الفصل داخل إطار تاريخ البحث الاجتماعى وتطوره.

بوصفنا جزءًا من العالم الاجتماعى: ما الذى نعرفه عنه وما الذى «يمكننا» أن نعرفه عنه؟

بوصفنـا كائنات إنسانية اجتماعيـة فإننا نعرف -بالفعل- الشـيء الكثير عن العالم الـذى نعيشـ فيه، كما أننا نعرف - تحديـدا - ما له صلة بالبيئـة المحيطة بنا، والعصر التاريخـى، والموقع الجغرافى، والأطـر الاجتماعية التى نعيش داخلهـا، وأعنى بها مثلا: أسرتنـا، والقسم العلمى فـى جامعتنا، ومركز التسوق الخاصـ بحينا السكنى، ونحـو ذلك. كما أننا نعرف أن هناك المزيد الذى يتعين علينا اكتشافه، وأن لدينا بعض الوسائل للوصول إلى فهم تام لهذه **المعرفة**.

ما : المعرفة؟

(1) هـــى المعلومـــات المتعلقة بشيء مـــا ، أو قضية ما ، أو واقـــع معين ، أو الوعى بذلك .

(2) هى فهم حقيقة ، أو واقع معين ، أو قضية معينة .

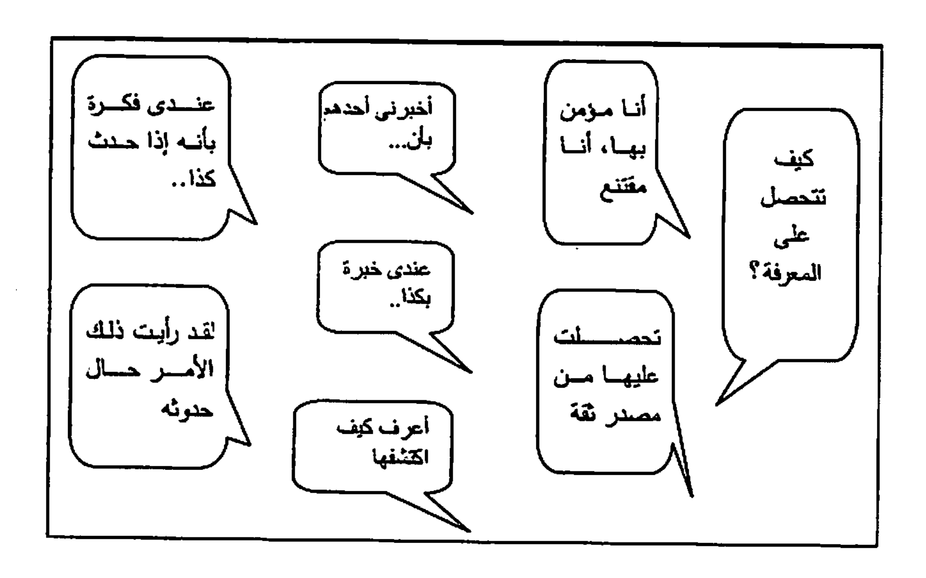
وقـــد أصبح بوسعنا هـــذه الأيام الوصول إلى الكتب التـــى دونت منذ سنوات كثيرة مضـــت أو تلك التى دونت فى وقـــت أحدث ، كما أنه يمكننا اجتيـــاز المسافات للوصول إلى المعلومات المتاحة حاليا والتى تم جمعها فى الجانب الآخر من العالم عبر الإنترنت . كذلك تصل إلى أسماعنا أخبار البحوث الجارى تنفيذها والتى تتنبأ بما سوف يحدث فى المستقبل ، كتلك التى تستخدم نماذج تغير المناخ مثلا .

فكر فى هذا الموضوع

إذن كيف نعرف ما نعرفه؟

دون فـــى إيجاز الأمور التى تعرفها عن أسرتـــك وأعمل فكرك فى الطريقة التى بها تحصلت على هذه المعرفة:

أسرتى	كيف عرفت هذا الأمر
1- -------------	-----------------
2- -------------	-----------------
3- -------------	-----------------
4- -------------	-----------------
5- -------------	-----------------



شكل 2-1 طرق تحصيل المعرفة

فى ضوء نوعية البيانات التى كتبتها عن أسرتك ، قد تكتشف بالفعل أنك تقدم الدليل على وجود طرق مختلفة لتحصيل المعرفة عن أسرتك (انظر شكل 2-1)

وقد اعتمد بيكر وبرايمان (Becker and Bryman 2004) على ما كتبه بيرنز (Burns 2000) وبريتشين وسيدل (Brechin and Siddel 2000) فى تحديد وتصنيف خمس طرق مختلفة لتحصيل المعرفة. وقد ربطنا هذه الطرق بالمثال الذى سوف نقدمه فيما بعد عن المعرفة المتعلقة بالأسرة. ولكن إلى أى مدى تعد هذه المعرفة مفيدة لنا كباحثين اجتماعيين؟ اقرأ ما يلى أدناه ولاحظ أنك قد تحتاج - كباحث اجتماعى - إلى التفكير أو تقليب وجوه النظر فى - أو التشكك أو الاعتراض على - بعض المعارف أو المعلومات التى أتيت بها فى بحثك.

خمس طرق لتحصيل المعرفة

(1) **الاعتقاد:** أحيانا ما نؤمن بما نعرفه لأننا نعتقد أنه حق. وقد لا يتم تغيير المعتقدات القوية حتى فى حالة وجود برهان مضاد لها.

مثال ذلك : أننى قد أؤمن بأنه من الأفضل دائمًا للأطفال أن يتربوا فى كنف

الوالديـن الطبيعيين. وقد يكون مصدر إيمانى العميق هذا توليفة من الخبرة التى عشتها والخبرة التى لاحظتها، وقد يرجع إلى قيمى الأخلاقية أو إلى إيمانى الدينى. وقد يكون اعتقـادى هذا قويا بدرجة تكفى فى نظرى لأن أتجاهل الأمثلة والحالات الأخرى التى تختلـف عن تصورى الخاص، وذلك - مثلا - حين ينجح الأطفال الذين تمت تربيتهم مـع أحد الوالدين فقط، أو تربوا فى أسرة بديلة، أو فى حين يتعرض طفل لإساءة من جانب واحد من أبويه الطبيعيين.

- لهـذا ربما يتعـين علينا - كباحثين اجتماعيـين - أن نراجع معتقداتنـا ومسلماتنا الشخصية ونتشكك فيها.

(2) **المعرفة الرسـمية أو المرجعية:** قد نشعر أننا مقتنعون بأن أمرًا حق وصحيح مرجعا محل ثقتنا (كالكتاب المقدس، أو القرآن، أو أحد القادة أو أحد المعلمين) يقول لنا إنه حق. فنحن نرى أن مثل هذه المعرفة لها مرجعية أعلى من مرجعية المعرفة المكتسبة من خبراتنا الشخصية.

مثـال ذلك: أننـى قد أشعر أننى أعرف أنه حـق أن زواج الرجل بالمرأة هو أفضل شكل للعلاقة بينها لأننى أخبرت بذلك من قبل شخصية مرجعية دينية أو من قبل قائد أو مرشد، أو ربما أعرف ذلك لأن «أمى أخبرتنى بذلك».

- لهذا قد يتوجب علينا - كباحثين اجتماعيين - أن نضع مصادر المعرفة هذه موضع التساؤل والبحث.

(3) **المعرفة المستمدة من الخبرة:** بوسعنا كذلك تحصيل المعرفة من الخبرة المكتسبة على امتداد سنوات كثيرة. وقد لا ندرك أننا نملك مثل هذه المعرفة بالفعل، كما قد يكون من العسير التعبير عنها وتوصيلها للآخرين.

مثال ذلك: أننى كجدة تتوافر لى خبرة بالأطفال الذين تربوا فى كنف تشكيلة متنوعة من الوحـدات الأسرية المختلفة، وانطلاقا من خبرتى هذه قـد أجد من الصعوبة الزعم بـأن الأطفـال الذين تربوا فى كنـف الوالدين الطبيعيين أكثر نجاحـا وتوفيقا مما يحققه أولئـك الأطفال الذين تربوا فى ظل أوضاع أسريـة أخرى. كما أن خبرتى فى قضاء الوقـت مع الأطفال الصغـار ساعدتنى على تطوير مهاراتى فـى التعامل مع الأطفال الصغار وفى القيام برعايتهم.

• وهكـذا قد نحتاج - كباحثـين اجتماعيين - إلى التأمـل وتقليب وجوه النظر فى المعرفـة والمهارات التى اكتسبناها من خبرتنا، وفى مـدى تأثير هذه المعرفة والمهارات فى الموضوع الذى نهتم به وفى السلوك الذى نقوم ببحثه.

(4) **التحصـيل النظرى للمعرفة**: يساعدنا ما لدينا من نظريات أو مجموعات أفكار على بلورة إجابة لمسألة ما أو تفسير أحد وجوه حياتنا الاجتماعية.

مثـال ذلـك: إن كنت أرى (أى: إن كنت أعرف نظريـة تقول) إنه يوجد عدد من العوامـل المختلفة التى تؤثر علـى الطريقة التى ينمو الطفل وفقا لها، وهى العوامل التى تشمل الأفراد الذين يعيش معهم الطفل بصفة دائمة، والمدرسة التى يذهب إليها، والحى السكنى الذى يعيش فيه وما أشبه ذلك من العوامل، فمن المرجح حينئذ أن أحاول تفسير سلوك هؤلاء الصغار وفقا لهذه الاعتبارات، ولا أقتصر فى تفسيرى على عامل تكوين الأسرة فقط.

• مـن هنا يمكننا - كباحثين اجتماعيين - أن نبـدأ بتحديد النظريات التى نستعملها فـى الحياة اليومية والنظريات التـى يستعلمها غيرنا ممن يدرسـون نفس الجوانب من الحياة الاجتماعية.

(5) **المعرفة الإمبيريقية**: وهذه معرفة قائمة على أساس الشواهد البحثية المتوفرة، أى مـن واقع البيانات التـى تم جمعها بقصد الإجابة عن أسئلـة البحث أو بقصد اختبار الفروض التى يمكن التحقق من صحتها عن طريق إجراء المزيد من البحث.

مثـال ذلـك: أحد العناويـن الموجودة فى المثـال (2-1) والذى يقـول: «جماعات الرمايـة بين المراهقين ظاهـرة راجعة إلى تفكك الأسرة»؛ فقـد كان عنوانا لجزئية من بحـث كان يسأل الناسـ عما يعتبرونه السبب المسئول عن الزيـادة فى جرائم استعمال الأسلحة النارية بين الفتيان. وقد وافق ثمانون بالمائة من الألف فرد (جميعهم تجاوزوا سـن 18 سنة) الذين تمت مقابلتهم؛ وافقوا على الحكم الذى يقول: «من عوامل انتشار جماعـات الرماية بـين المراهقين عامل الانهيـار الأسرى ونقص التربيـة فى المنزل» (البحـث الذى قامت بـه مؤسسة ICM، اعتمـادا على استطلاع الـرأى الذى أجرته صحيفة الجارديان فـى شهر فبراير سنة 2007 - عبر شبكات الاتصال الإلكترونية -

وهـو متاح فى الموقع التالى: www.icmresearch.co.uk/pdfs/2007__febraury__ guardian__february__poll.pdf. (وقـد تم آخـر دخول على هـذا الموقع بتاريخ 6 أغسطس 2009). ولكن هذا البحث يدلنا على ما **يتصوره الناس**، ولكنه لا يقول لنا ما إذا كانت جرائم استعمـال الأسلحة النارية راجعة إلى الانهيار الأسرى ونقص التربية فـى المنزل، من عدمه. وقد يساعدنا بحـث آخر - قد يأتى لاحقا - فى استكشاف المزيد من خبايا هذه المسألة.

- معنى هذا أننا نحتاج - كباحثين اجتماعيين - إلى تطوير المهارات التى تمكننا من جمـع البيانات للإجابة عن أسئلة البحث أو اختبـار الفروض ووضع النظريات القائمة على المعرفة.

المصدر: نقلا بتصرف من بيكر وبرايمان (2004) صفحة 41. نشر بتصريح من دار نشر بوليتى برس Polity Press.

<u>بحثك</u>

عُـدْ للنظر فى الأمـور الخمسة التى تعرفها عن أسرتـك، وحدد أى هذه الطرق الخمسة لتحصيل المعرفة التى تمثلها كل جملة من الجمل التى كتبتها؟ فى هذه المرحلة قد ترغب كذلك فـى تجربة القيام بنفس التمرين مرة ثانية، واضعًا موضوع بحثك فى كلمة "أسرتك".

موضوع بحثى	كيف توصلت إلى معرفة ذلك؟
1-----------	-------------------
2-----------	-------------------
3-----------	-------------------
4-----------	-------------------
5-----------	-------------------

المعرفة والحقيقة

يتضح من الأمثلة التى أوردناها أن المعرفة ليست مجرد جمع للوقائع. بل تتعلق بفعل التعرف أو فعل تحصيل المعرفة، وبما نشعر أننا نستطيع أن نقول عنه إننا نعرفه. كما يمكن أن تكون المعرفة هى أساس القدرة على الفعل. فبدون المعرفة التى نتحصل عليها من جدول مواعيد قيام ووصول القطارات، نعجز عن ضمان استطاعتنا اللحاق بالقطار، من عدمه. وبدون المعرفة التى يتم جمعها فى البحوث المتعلقة بالأسرة والتى تحدد التأثيرات التى تحدثها التغيرات الاجتماعية، لا يمكننا أن نقرر ما إذا كان ينبغى البدء بسياسة جديدة أو بممارسة جديدة لمحاولة معالجة هذه التأثيرات.

ومع ذلك فإن معرفة شيء ما لا تعنى أن بإمكاننا القول بأن ذلك الشيء حقيقى أو صادق، رغم أن العارف قد يعتقد أنه كذلك. ففى الحياة اليومية غالبا ما تكون المعرفة كافية فى نظرنا للتصرف على أساس كونها حقيقة. وفى بعض الظروف قد يتم توفير الأدلة والبراهين لتعزيز حكم معرفى ولمحاولة إقناعنا بصدقه، على نحو ما يحدث فى قاعة المحكمة، أو قد تتم تهيئتنا لتقبل أن المعلومات التى قدمت لنا حقيقية أو صادقة لأننا نثق فى مصدر هذه المعلومات، أو لأننا نعرف من التجربة فرص كون هذه المعلومات صادقة.

والواقع أن البحث الاجتماعى مشغول انشغالا شديدا بالحقيقة: أى فيما يتصل بمدى قدرتنا على أن نقول إن معرفتنا عن ظاهرة اجتماعية معينة تتوافق مع واقع هذه الظاهرة ذاتها أو هى هذا الواقع بعينه. ولهذا يثير هذا الوضع التساؤل عن طبيعة أو واقع ظاهرة اجتماعية ما وما الذى يوجد بشأنها مما يمكن معرفته وكيف يمكننا أن نعرف ما هو موجود ويتعين علينا معرفته.

تخيل أنك دعيت لحضور حفل عائلى (وهو ظاهرة اجتماعية) دعتك إليها أسرة صديقتك أو أسرة صديقك. فى نهاية السهرة، ما الذى تستطيع أن تقول إنك تعرفه عن حقيقة هذا الحفل؟

- فأنت تعرف كل ما لاحظته فى الحفل باستعمال ما لديك من حاستى البصر والسمع (وربما حاستى الذوق والشم أيضا).

- وتستطيع استخدام خبرتك فى تفسير ملاحظاتك أو فهمها.
- وتعرف ما أخبرك به الآخرون مثل: أسماؤهم، وعلاقات القرابة بينهم، وأعمالهم، وآراؤهم فيما يتصل بالحكومة وما إلى ذلك.
- قد تساعدك خبرتك بالمناسبات المشابهة على معرفة ما هى طبائع الأمور التى تجرى أمامك.
- قد تساعدك خبرتك بالمناسبات المشابهة على تحديد الأمور التى أثرت على مسارها ونتائجها، أو تمييز الأمر الذى جعلها حفلة جيدة، أو التعرف على أسباب ما قد يكون أثار خلافا أو أفضى إلى نزاع ما.
- وقد تستطيع وضع نفسك موضع بعض الأفراد الموجودين فى الحفل وتحاول أن تفهم تقييم هذا الحفل من وجهة نظرهم.

ولكن إلى أى مدى تتطابق معرفتك عن هذا الحفل تطابقا دقيقا مع الواقع الحقيقى له؟ وهل لهذا الحفل حقيقة منفصلة عن الخبرات والإدراكات الحسية المرتبطة بها والتى شعر بها الحاضرون فى الحفل أنفسهم؟

هذه هى القضايا المحورية **للأنطولوجيا والإبستمولوجيا** "(انظر قائمة المصطلحات فى نهاية الكتاب). إذ يميل قلة من الباحثين الاجتماعيين إلى أن يوردوا فى نتائج بحثهم ادعاء بأنهم اكتشفوا «الحقيقة»، على حين يميل أغلب الباحثين الاجتماعيين إلى التسليم بأنه لا يمكن للمعرفة إلا أن تكون منحازة بسبب طبيعة العالم الاجتماعى، وبسبب وضعهم الخاص كجزء من ذلك العالم الاجتماعى. ومع ذلك توجد -كما سوف نرى- رؤى مختلفة لطبيعة الحياة الاجتماعية ولما يمكن أن نعرفه عنها. وهذا يعنى أنه توجد مواقف فكرية مختلفة أو نزعات متباينة إزاء الدعاوى التى يتم طرحها بشأن المعرفة المكتسبة من دراسة هذه الحياة الاجتماعية. ويرى بليكى Blaikie أن ثمة ثلاثة توجهات- على الأقل - للنظر إلى الحقيقة، وهى توجهات تعكس الطرق المختلفة التى وفقا لها يفهم الباحثون الاجتماعيون العالم الاجتماعى، وفى ذلك يقول:

" يتبنى أحد الاتجاهات النمطية الشائعة وجهة النظر التى تذهب إلى أنه توجد

حقائــق يمكن التعــرف عليها فيما يتصل بالطريقة التى يعمل بهــا العالم الطبيعى والعالم الاجتماعــى. فأوجــه الانتظــام التى تشــكل الحقيقة الموجــودة بصــورة مستقلة يمكن اكتشافهــا، ووصفهــا، وتفسيرها عن طريــق النظريات، وهــى النظريات التى يمكن اعتبارها مستقرة ومؤكدة. ويذهب اتجاه آخر إلى أن كل المعارف المتعلقة بهذين العالمين (الطبيعــى والاجتماعى) تعتبر معارف تقريبية غير مقطوع بهــا. فنحن لا نستطيع إلا السعــى وراء الحقيقة ولكننا لا نعرف أبــدا متى توصلنا إلى الكشف عنها فعلا. فمعرفتنا محــدودة بسبب استحالة ملاحظــة الحقيقة مباشرة، إنما تجــرى ملاحظة الحقيقة فقط مــن خلال المفاهيم والنظريات التى نفضل استعمالهــا (فى البحث عن الحقيقة)، فإن تم تغيير هذه المفاهيم والنظريات فسوف يتغير معها ما يبدو لنا أنه الحقيقة. ويدعى موقف فكــرى أكثر تطرفا أن جميع المعارف المتعلقة بهذين العالمين – خاصة تلك المتعلقة بالعالم الاجتماعى – هى معارف نسبية من حيث الزمان ومن حيث المكان، فلا توجد فى رأى أصحاب هذا الموقف حقائق مطلقة". (بليكى، 1993، ص69).

المعرفة الموقفية

كذلك تتحدد المعرفة تبعا لمواقف الأفراد المعنيين أو تبعا لسياقات محددة. فهى معرفة يؤمن بها الأفراد الذين "يعرفونها"، ولذلك يتعين علينا – كباحثين اجتماعيين – إمعان النظر فيمن سوف نجمع معرفتهم الذاتية. وقد سبق أن لاحظنا مثلا أن مختلف الأفراد فــى نفس الأسرة قد يكون لكل منهم روايـــة مختلفـة (أو معارف مختلفة) عن خبــرات الأسرة التـــى تقاسموها معا. وبالمثل إذا أمعنـا النظر فــى الروايات التى يحكيها رواد هذا الحفل، فمن المرجح أن تختلف وجهات نظر الأفراد المختلفين إلى مدى بعيد، إلا أن الروايـــة الأبرز التى تصف هذا الحفل بأنــه "حفل جميل" هى التى يمكن أن تصدر من هؤلاء الأفراد الذين ينظر إلى آرائهم على أنها مهمة، وذلك فى الوقت الذى قد تعد فيه آراء وخبرات الأعضاء الآخرين و"الأغراب" غير مهمة.

ويذهــب بعض الباحثين الاجتماعيين (انظر المثــال رقم 2–7 فى هذا الفصل لاحقا) إلى أن المعرفــة التى تؤمن بها الجماعــات الأكثر قوة هى التى تهيمن على الطريقة التى يتــم بها معرفة العــالم الاجتماعى وفهمه، وأن المعرفة التـــى تؤمن بها الجماعات الأقل قوة يتم تجاهلها أو حجبها، وأن هذا الوضع يؤثر – كما سنرى لاحقا – على الاتجاهات

التـى يتخذها الباحثـون الاجتماعيون فى دراسة العـالم الاجتماعى وفى طرق البحث المستعملة فى جمع البيانات. وتجد فى الفصل الخامس من الباب الأول مناقشة للعلاقات الأخلاقية وعلاقات القوة التى تربط الباحثين الاجتماعيين بمصادر بياناتهم.

معنـى ذلك أن آراءنـا وتوجهاتنـا إزاء المعرفة سوف تؤثر على مـا نعرفه وكيف نعرفـه، أى على الطريقة التى نفكر بها فى البحث الاجتماعـى وأسلوبنا فى تصميمه، وسننتقـل الآن إلى محاولة التأمل فى الطرق المختلفـة للتكفير فى العالم الاجتماعى، ما الذى يتعين علينا معرفته وكيف نستطيع التوصل إلى معرفته.

ما الذى يوجد فى العالم الاجتماعى مما يتعين معرفته أو الكشف عنه؟ ولماذا يرى الناس الأمور على وجوه مختلفة؟

إن التفكـير فى الطرق المختلفة لتحصيل المعرفـة من شأنه أن يساعدنا على البدء فى التفكير أيضـا فيما يتعين علينا معرفته داخل العالم الاجتماعـى. لقد تبينا للتو أن معرفة الأفـراد الشخصيـة بعالمهم الاجتماعى تأتي من مجموعة من المصـادر المختلفة: أى من اعتقاداتهـم، التى قـد تكون مرتبطة بقيمهم، ومـن الأشخاص الذيـن يتخذهم الأفراد مرجعيـة لهم فيما يتصل بمختلف جوانب حياتهم الاجتماعية، ومن خبراتهم الشخصية؛ ومن فهمهم الشائع لكيفية حدوث الأمور، ومن النظريات التى يتبنونها هم والآخرون فيمـا يتصل بكيفية حدوث الأمور وبأسباب حدوثها على الصورة التى تقع بها؛ وأخيرا مـن عمليات التجميع المنظمة للبيانـات أو المعلومات بهدف اختبار فكرة معينة أو نظرية ما، أو محاولة إدراك ما هو موجود فعلا.

الأنطولوجيا

لكى نبدأ التفكير فيما يعنيه هذا لنا كباحثين اجتماعيين، نحتاج الآن لإلقاء نظرة على أحـد المصطلحات التى وردت فى ثنايا عرضنا من قبل، وهـو مصطلح الأنطولوجيا. ويشـير هذا المصطلح إلى الطريقـة التى ننظر بها إلى العـالم الاجتماعى وإلى الظواهر

أو الكيانــات الاجتماعية التى يتركــب منها هذا العالم. ويمكــن أن تشمل هذه الظواهر التكوينات الاجتماعية التى تتكون من بعض الأفراد، كالأسرة أو النوع الاجتماعى أو الجماعة العرقية أو المؤسسات أو المنظمات المختلفة. كما تشمل كذلك المواقف والأحداث الاجتماعية ووقائع السلــوك الاجتماعى (بما فى ذلك عملية البحث الاجتماعى نفسها). مــا الــذى يمكننا معرفته عن هــذه الظواهر الاجتماعيــة؟ وما طبيعة المعرفــة المتاحة لنا كباحثين اجتماعيين؟

هناك ثمة مواقف فكرية أنطولوجية مختلفة سنحاول إمعان النظر فيها، وأعنى بها: النزعة الموضوعية، والنزعة التصورية، والنزعة الواقعية.

النزعة الموضوعية

تؤكد **النزعة الموضــوعية** "(انظــر قائمة المصطلحات فى نهايــة الكتاب) على أن الظواهــر الاجتماعية التى يتكون منها عالمنا الاجتماعى لها وجودها المستقل الخاص بها (فيما يشبه الشجرة التى ذكرناها فى مثالنا السابق)، وذلك بمعزل عن - وبالاستقلال عن الفاعلــين الاجتماعيين المشاركين فى هذه الظواهر. لذلك تعد علاقة الباحث الاجتماعى بالعالم الاجتماعى والظواهر الاجتماعية التى يدرسها علاقة ملاحظة موضوعية.

وتستمــد النزعة الموضوعية أصولها من ذلك الاتجاه الــذى غالبا ما يأخذ به العلماء الطبيعيــون ممــن يدرسون الطريقــة التى تتصرف بهــا مكونات العــالم الطبيعى من: حيوانات، ونباتــات، وخلايا، وذرات، ونويات (جمع نــواة)، وعناصر كيميائية. ويضفى هذا الاتجاه قيمة كبيرة على موضوعية الباحث واستقلاله، كما يحدد خصائص العــالم الاجتماعــى فى ضــوء الكيانات المنظمــة التى يمكــن التنبؤ بها والتعــرف عليها وتسجيلها بدون التأثير على هذه الكيانات نفسها.

فكر فى هذا الموضوع

الأسرة من وجهة نظر النزعة الموضوعية

يمكــن النظر إلى الأسرة كوحدة اجتماعية تضم أفرادا يرتبطون ببعضهم برابطة

الــدم أو رابطة القانــون . وهذه النظرة يمكن التوسع فيهــا لتطبيقها على الجماعات المكونة مــن الأفراد الذين - رغم عدم ارتباطهم ببعضهم برابطة الدم أو القانون - يعيشــون كما لو كانوا مرتبطين بتلك الرابطة ، ويعتبرون أنفسهم أسرة . وقد تتحدد طبيعة العلاقات بينهم بمقتضى القانون أو العادات ، بحيث تشمل المسئوليات المتعلقة مثــلا بالترتيبات المالية والسلوك الاجتماعى ، خاصة فيما يتصل بالأطفال . وتوجد أحداث حياتية معينة تؤشر على حدوث بعض التغيرات داخل الأسرة - كالزواج ، وولادة طفل ما ، والطلاق ، ونحو ذلك - والتى يمكن تحديدها والتعرف عليها .

وعلــى الرغم من أن كل أسـرة مفردة تختلف عن غيرها من الأسر ، فإن الفكرة التــى تنظر إلى الأسرة كوحــدة اجتماعية هى فكرة تمثل حقيقــة مستقلة عن الأفراد المعينــين الذيــن هــم أعضاء فيهــا . وتمثل الأســرة مجموعة محددة مــن العلاقات والسلوكيات التى يمتثل لها مختلف الأعضاء بدرجات متفاوتة من الالتزام .

النزعة التصورية

تؤكد **النزعة التصــورية** «(انظر قائمة المصطلحات فى نهاية الكتاب) أن الظواهر الاجتماعيــة التى تشكل عالمنا الاجتماعى لا تعد ظواهــر حقيقية إلا بمعنى أنها أفكار يتم تصورها ، ويقوم الأفراد الذين يتبنونها (أى الفاعلون الاجتماعيون) بمراجعتها وإعادة تشكيلها باستمرار من خــلال التفاعل الاجتماعى والتأمل (النقدى) . فلا وجود **لحقيقة** اجتماعيــة بمعزل عن معنى الظاهرة الاجتماعية فــى نظر هؤلاء المشاركين فيها . ومع ذلك يكون ممكنا لنا دائما دراسة المعانى التى تعزى إلى ظاهرة اجتماعية ما (كتنظيم أو منظمة معينة ، أو أسرة ، أو مجتمع محلى ، أو مؤسسة رعاية اجتماعية ، أو قانون ما) ، وكذلك دراسة التصورات المتعلقة بها التى يتصورها الفاعلون الاجتماعيون .

والأهم من ذلــك أن الباحث الاجتماعى يُدخل على الدراسة التى يجريها - بوصفه جزءا من هذا العالم الاجتماعى نفسه - ما لديه من معان وتصورات شخصية .

فكر فى هذا الموضوع

الأسرة من وجهة نظر النزعة التصورية

يُنظر إلى الأسرة على أنها موجودة فى إطار زمانى ومكانى معين، داخل إطار ثقافة معينة. وهى محصلة للمعنى الذى يضفيه عليها المشاركون فى تلك الأسرة. ويمكن القول - بعبارة أخرى - إن الأمر المثير للاهتمام، والذى يمكن دراسته، هو تصور الأفراد أنفسهم عن «الأسرة» وكيف يستخدمون هذا التصور لفهم حيواتهم معا باعتبارهم أسرة.

ويلاحظ أن العلاقات - كتلك التى تربط بين عضو الأسرة وأحد الوالدين، أو الطفل، أو الأخ الشقيق، أو الشريك- يتم تشكيلها على أساس يومى، كما أن معنى كون المرأة أبا / أو أما، مثلا، تتم مراجعته وإعادة تشكيله باستمرار من خلال التفاعل الاجتماعى مع كل طفل ومع غيره من أعضاء الأسرة الآخرين، وكذلك من خلال الخبرات والتصورات السائدة فى زمنهم وفى ثقافتهم.

ويعنى هذا أن الأفكار المتعلقة بالوالدية داخل الثقافة نفسها يتم بلورتها وإعادة بلورتها باستمرار كذلك على يد أعضاء هذه الثقافة، كما يعنى أن هذه الأفكار المتصورة تفصح عن نفسها فى الطرق التى وفقا لها تناقش مسألة الوالدية أو يُكتب بها عنها.

الواقعية

غالبا ما تقدم وجهة النظر الموضوعية ووجهة النظر الآخذة بالنزعة التصورية على أنهما وجهتا نظر متضادتين، حيث ترفض كل وجهة نظر منهما وجهة النظر الأخرى. وهذا يعطى الانطباع بأن وجهتى النظر هاتين تغطيان كل ما يمكن معرفته عن العالم الاجتماعى.

إلا أن هناك بعض العلماء الاجتماعيين الذين يرون أن هناك جانبا كبيرا مما يتصل بحقيقة العالم الاجتماعى (من معلومات وحقائق) لا يمكن ملاحظته بالحواس. وتسلم

الواقعية (انظر قائمة المصطلحات) بأن للعـالم الاجتماعى حقيقته المنفصلة عن الفاعلين الاجتماعيـين المشاركين فيه، وأن بالإمكان معرفة ذلك من خلال الحواس. ومع ذلك يوجد علاوة على هذا بعدٌ محجوب عن الحواس، يكون خفيا لا يمكن ملاحظته ملاحظة مباشـــرة. ويرتبط هذا البعد «الخفى» بما نعرفـه عن العالم الاجتماعى بوصفنا كائنات اجتماعيـة تعد جزءا من هـذا العالم وتؤثر على الطريقة التـى نتصرف وفقا لها، ومن خلالهـا نفهم حياتنا الاجتماعيـة. ويوصف هذا البعد بأنه يشتمل علـى الأبنية والآليات التـى تستحث الواقع الاجتماعى الذى يمكن ملاحظتـه أو تؤثر فيه. وعلى حين تكون هـذه الآليات وهـذه الأبنية غير قابلـة للملاحظة، فإن من الممكـن ملاحظة تأثيرها فى طريقة تصرف الناس.

فكر فى هذا الموضوع . . .

الأسرة من وجهة النظر الواقعية

تمثل الأسرة – فى الظاهر – جماعة من الأفراد تربط بينهم مجموعة من العلاقات التى يمكن ملاحظتها. وتذهب وجهة النظر الواقعية إلى أن هناك آليات وأبنية خفية لابد من توفرها لكى يتسنى للأسرة أن تتخذ شكلا خاصا أو محددا. ويمكن أن تشمل هـذه الآليـات والأبنية – مثلا – حاجة الأطفـال النفسية للأمـان، والرعاية المادية والتواصل، كمـا تشمل التكاثر البيولوجى الذى يتطلـب مشاركة ذكر وأنثى فيه؛ وتشمل أيضا تشكيل هوية النوع الاجتماعى الذى يتضمن الحياة الجنسية، والأبوة، وحمل الأطفال، وكذلك سائر الحاجات الإنسانية للدعم العاطفى والاجتماعى.

إننا نستخدم النظريات المتعلقة بعالمنا الاجتماعى والمتعلقة بأنفسنا ككائنات اجتماعية لتساعدنا فى تمييز الآليات الخفية الكامنة وفى فهم الطريقة التى تعمل بها.

ما الطرق المتاحة «للنظر» إلى العالم الاجتماعى ويمكن أن تساعدنا على التفكير فيما نريد دراسته وكيفية عمل ذلك؟

حاولنا فيما سبق أن نحدد ونناقش ثلاث وجهات نظر فى فهم طبيعة العالم الاجتماعى ومـا يمكن دراسته عـن هذا العـالم، وهى وجهة النظـر الموضوعيـة، والتصورية،

والواقعيــة. ثم نحاول فيما يلى استخدام وجهات النظر هــذه فى التفكير فى كيفية تأثير تبنى وجهــات النظر المختلفة فى طبيعــة العالم الاجتماعى على الطــرق التى يمكننا بها جمــع المعرفة عن الظواهر الاجتماعية الموجودة فى هذا العالم الاجتماعى. ونريد الآن أن نقــدم مصطلحا آخر، هــو الإبستمولوجيا. ويشير هذا المصطلح إلى ما يمكن اعتباره معرفــة تتعلق بظاهرة اجتماعية ما، كما تهتــم الإبستمولوجيا بتحديد نوع المعرفة الذى يكون استخدامه مقبولا لمساعدتنا فى دراسة تلك الظاهرة كباحثين اجتماعيين.

ما: الإبستمولوجيا (2)

الإبستمولوجيا نظرية للمعرفة، وهى تطرح رؤية ما وتبريرا لما يمكن اعتباره معرفــة، أى ما الذى يمكن معرفته، وما المعايير التــى لا بد لمثل هذه المعرفة أن تستوفيهــا لكى تستحق أن تسمى معرفــة وليست اعتقادات (بليكى، 1993، ص 6 – 7).

سنقدم ثلاثا من وجهات النظر الإبستمولوجيا المختلفة هى: الوضعية، والتأويلية، والواقعيــة. وفى ثنايا تجليها لذهنــك تدريجيا، ستبدأ فــى إدراك مدى ما يمكن أن تحدثه هــذه الرؤى على اختيــارك لموضوع البحث تحديدا علــى أسئلة البحث التى تطرحها.

الوضعية

أشرنــا من قبــل إلى أن بعض العلماء الاجتماعيين قد ذهبــوا إلى أن التوجهات التى تتبناهــا العلــوم الطبيعية يمكن تطبيقها فــى دراسة الظواهر الاجتماعيــة، وأن الاتجاه الإبستمولوجــى الأول الذى يتعين استعماله هو ذلك الاتجــاه الذى جرت عادة العلماء الطبيعيين على الأخذ به تقليديا، وأعنى به **الاتجاه الوضعى** (انظر قائمة المصطلحات). ويتبلور هذا الاتجاه انطلاقا من وجهة النظر الأنطولوجية ذات النزعة الموضوعية التى ترى أن الحقيقة الاجتماعية توجد مستقلة عن الباحث وعن المبحوثين.

ويتسم الاتجاه الوضعى بعدد من السمات المتميزة، هى:

- يتم تعريف المعرفة بأنها هى ما يمكن ملاحظته بالحواس.

- ترتكـز معرفـة الظاهرة الاجتماعية علـى ما يمكن ملاحظتـه وتسجيله وليس على التصورات الذاتية.
- عـادة مـا يجرى جمع البيانات بقصـد اختبار **فرض** (انظر قائمـة المصطلحات) تم توليده من إحدى النظريات القائمة.
- الباحث مستقل عن هذه البيانات وليس له تأثير عليها، أى إن الباحث موضوعى.

ما: الاتجاه الوضعى

يعنى "الاتجاه الوضعى" فى البحث الاجتماعى عادة ما يلى:

- جمع البيانات الكمية .
- قياس مختلف جوانب العالم الاجتماعى، أى الظواهر الاجتماعية.
- البحث عن العلاقات السببية القائمة بين الجوانب المختلفة للعالم الاجتماعى.
- غالبا مـا تستخدم المجموعات الضخمة من البيانات، كمـا تستخدم الإحصاءات. (انظـر الفصل الأول من هذا الباب، والفصل 4 من الباب 2 للاطلاع على مزيد من المعلومات عن هذا الاتجاه).

مثال 2-2

اتجاه وضعى فى دراسة العلاقة بين التفكك الأسرى

والزيادة فى جرائم استخدام الأسلحة النارية

سبـق أن سلطنـا الضوء على استطلاع للرأى العام وجـد أن 80 % من البالغين الذيـن تم سؤالهم كانوا يرون أن التفكك الأسرى ونقص التأديب فى البيت هما من عوامـل الزيادة فى الجرائم المرتبطة باستخـدام الأسلحة النارية بين الفتيان. فكيف ينبغـى علينا أن نبحث العلاقة بـين التفكك الأسرى والفتيـان المشاركين فى جرائم الأسلحة النارية؟

إذا كنا سنتبنى اتجاها وضعيا، فإنه ينبغى علينا الآتى:

1- أن نصوغ فرضا مؤداه أن الفتيان الذين عانوا من التفكك الأسرى يزداد احتمال تورطهم فى الجرائم الخطيرة بمعدل يفوق الفتيان الذين لم يمروا بتجربة التفكك الأسرى.

2- ينبغى أن نعرِّف "التفكك الأسرى" وفقا للمؤشرات القابلة للملاحظة، والتى منها مثلا: الحضور الدائم أو الغياب الدائم للوالدين الطبيعيين، وطلاق الوالدين، وتورط بعض أعضاء الأسرة الآخرين فى أنشطة إجرامية.

3- ينبغى أن نتأمل النظريات المتعلقة بموضوع الفتيان والجريمة، والتى منها مثلا نظرية أن الفتيان العاطلين عن العمل أو غير الملتحقين بالتعليم يزداد احتمال ارتكابهم للجرائم.

4- ينبغى أن نجمع بيانات عن عينة كبيرة من الفتيان، بحيث تحتوى هذه البيانات على شواهد دالة على وجود "التفكك الأسرى" أو وجود أى نشاط إجرامى. كما ينبغى أن نجمع بيانات تتعلق بالنظريات الأخرى التى سوف نأخذها فى اعتبارنا.

5- ينبغى أن نستخدم التحليل الإحصائى لتحديد العلاقات (والتى يحتمل أن تكون علاقات سببية) بين مختلف المتغيرات على نحو ما تعكسه هذه البيانات.

النزعة التأويلية

تدور داخل نطاق العلوم الاجتماعية معركة فكرية طال عليها الأمد وتتعلق بما فى وجهات النظر البحثية التى يأخذ بها العلم الطبيعى من فائدة لدراسة العالم الاجتماعى، كما أن جزءًا لا يستهان به من هذه المعركة الفكرية يدور حول فائدة استخدام الاتجاه الوضعى فى دراسة الظواهر الاجتماعية. ذلك أن كثيرين من العلماء الاجتماعيين يؤمنون أنه لا بد للبحث الاجتماعى أن يشتمل على التصورات والتفسيرات المتعلقة بالظواهر الاجتماعية التى لا تكون بالضرورة قابلة للملاحظة عن طريق الحواس،

بل يمكن تأويلها من قِبَل كائن إنسانى آخر، ويقصد به هنا الباحث الاجتماعى. وتسمى وجهة النظر الإبستمولوجية (المعرفية) التى انبثقت وتبلورت من هذا الاتجاه: "**النزعة التأويلية**" (انظر قائمة المصطلحات).

وهكـذا تمثل هذه النزعـة وجهة نظر تعطى الأولوية لما يـراه الأفراد من تأويلات وتصورات ذاتية للظواهر الاجتماعية، ولما يقومون به من أعمال وتصرفات شخصية، كما أن بالإمكان ربط وجهة النظر هذه بوجهة النظر الأنطولوجية للنزعة التصورية، والتـى ترى أن ظاهرة اجتماعية ما نجدها ماثلة فـى التصورات والمعانى التى يعزوها الفاعلون الاجتماعيون لهذه الظاهرة الاجتماعية:

"ينظر إلى المعرفة باعتبار أنها مستمدة من مفاهيم ومعانى الحياة اليومية، فالباحث الاجتماعـى يدخـل إلى العـالم الاجتماعى لكى يتمكن مـن الإلمام بالمعانـى التى صنعها المجتمـع، ثم يعمل بعد ذلك على إعـادة صياغتها فى لغة العلـم الاجتماعى. وعند أحد المستويـات، تعد تلـك التقارير (التى يقدمهـا الباحث) إعادة صياغـة أو إعادة وصـف واقـع الحال السائـد فى الحياة اليومية. وعنـد مستوى آخر، يتم تطويـر هذه التقارير والتفسـيرات (التى قدمها الباحـث) وبلورتها فى صورة نظريـات" (بليكى، 1993، ص96).

ويتسم الاتجاه نحو النزعة التأويلية بالسمات التالية:

- تشتمل المعرفة التى يجمعها الباحث على تفسيرات الأفراد وتصوراتهم.
- ينصـب الاهتمـام الرئيسى علـى الطريقة التى بهـا يفسر الناس العـالم الاجتماعى والظواهر الاجتماعية، مما يمكنهم من استكشاف مختلف الرؤى ووجهات النظر.
- يقـوم الباحث بتفسير تفسيرات الآخرين فى ضوء النظريات والمفاهيم الموجودة فى تخصص الباحث الاجتماعى، أى إنه يدرس الظاهرة الاجتماعية هذه كما لو كانت دراسته تلك تتم من خلال عيون الأفراد الجارى بحثهم (المبحوثين).
- يستعمل الباحث ما يتم جمعه من بيانات ليصوغ نظرية.

ما: الاتجاه التأويلى

يعنى الاتجاه التأويلى فى البحث الاجتماعى عادة ما يلى:

- جمع البيانات الكيفية (أى الغزيرة فى التفاصيل والوصف الدقيق).
- كشف النقاب عن المعانى الذاتية، واستخدامها مادة البحث.
- تأويل المعنى فى إطار سياق محدد.
- الفهم المتعاطف، أى: "وضع الباحث نفسه فى موضع الشخص الآخر" (المبحوث).

(انظر الفصل 3 من هذا الباب، والفصل 4 من الباب 2 للوقوف على مزيد من المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع).

مثال 2 – 3

اتجاه تأويلى فى دراسة العلاقة بين التفكك الأسرى والزيادة فى جرائم استخدام الأسلحة النارية

سبق أن سلطنا الضوء على استطلاع للرأى وجد أن 80 % من البالغين الذين اشتركوا فى هذا الاستطلاع كانوا يرون أن التفكك الأسرى ونقص التأديب فى المنزل هما من عوامل زيادة أعداد الجرائم المرتبطة باستخدام الأسلحة النارية بين الفتيان: فكيف ينبغى علينا أن نبحث هذه العلاقة التى بين التفكك الأسرى والفتيان المتورطين فى جرائم مرتبطة باستعمال الأسلحة النارية؟

فإذا أردنا تبنى الاتجاه التأويلى فإنه يتعين علينا ما يلى:

1– أن نستكشف بالتعاون مع الفتيان الذين سبق لهم أن تورطوا – أو الذين هم متورطون حاليا – فى أنشطة تشتمل على حيازة الأسلحة النارية، نستكشف معهم كيف يرون موقفهم الشخصى فيما يتصل بالآخرين المشتركين معهم

وكذلك فيما يتعلق بالأفراد الذين كانوا ضحايا لهم بالفعل أو يحتمل أن يكونوا ضحاياهم.

2- وأن نمكّن الفتيان من أن يحكوا قصتهم الشخصية الخاصة عن كيفية تورطهم فعلا فى أنشطة تشتمل على حيازة أسلحة نارية.

3- أن نتفحص الطرق التى يتبعها أولئك الفتيان فى التحدث والكتابة على الإنترنت عن الأسلحة النارية وعن الجريمة.

4- وأن نتيح للوالدين الذين لهم أبناء من الفتيان الذين قد يحوزون أسلحة نارية، وقد يكونون متورطين فى جرائم مرتبطة باستخدام تلك الأسلحة؛ نتيح لهم فرصة تقديم تصورهم لدورهم كآباء وأمهات.

5- من واقع ما تم جمعه من البيانات الغزيرة والتفصيلية ينبغى علينا أن نبلور التفسيرات الممكنة لاشتراك بعض الفتيان فى الجرائم المرتبطة باستخدام الأسلحة النارية.

النزعة الواقعية

اعتاد المفكرون النظر إلى كل من الوضعية والتأويلية باعتبارهما نزعتين متضادتين لبعضهما البعض، كما أن العلماء الاجتماعيين الذين ينطلقون فى بحوثهم من إحدى هاتين النزعتين أو من الأخرى قد طوروا ما يخصهم من مناهج البحث وطرقه (انظر الفصل 4 من الباب 1 والفصل 4 من الباب 2). ومع ذلك ظل العلم الاجتماعى يواصل العمل على ابتكار وتطوير طرق جديدة لتناول قضية دراسة العالم الاجتماعى الذى يكون الباحث عضوا فيه. من ناحية أخرى تقدم الواقعية - كما رأينا - رؤية أخرى لطبيعة العالم الاجتماعى ولما يمكن معرفته عنه.

تنطلق **الواقعية** (انظر قائمة المصطلحات) من رؤية شبيهة بالوضعية من حيث الاعتراف بوجود حقيقة اجتماعية تعد خارجية بالنسبة للباحث، وفى الإيمان بأن بالإمكان بحث هذه الحقيقة باستخدام الاتجاهات الشبيهة بتلك المستخدمة فى العلوم

الطبيعية. أما الواقعية فتذهب إلى ما هو أبعد من ذلك حيث ترى أن الحقيقة الاجتماعية الظاهرة ترتكز على بعض الأبنية والأساليب الخفية، التى تتسم فى الوقت نفسه بأنها قوية. وهذه الأساليب لا يمكن ملاحظتها مباشرة، إلا أن تأثيراتها ونتائجها تكون جلية، لذلك فإن بالإمكان تجميع هذه التأثيرات والنتائج لتقديم الدليل على وجود هذه الأبنية أو الأساليب الأساسية. ويوجد كذلك **اتجاه واقعى نقدى** يعطى الأولوية لتحديد الأبنية أو الأساليب التى ينتج عنها مظاهر عدم المساواة أو الظلم، وبذلك يتيح هذا الاتجاه الفرصة لإحداث التغير الاجتماعى عن طريق تغيير أو إبطال تأثير هذه الأساليب البنائية التى تسبب هذه التأثيرات. ولا ينطبق هذا الاتجاه (الواقعى النقدى) انطباقا تاما على الاتجاه الأنطولوجى الوضعى أو التصورى، لأنه يركز على عملية بلورة المعرفة التى تكون واقعية ولكنها غير قابلة للملاحظة أكثر من تركيزه على ما يترتب على هذه المعرفة من نتائج. وهكذا يتمثل الهدف الرئيسى للباحث الواقعى النقدى فى التعرف على كل من الأساليب الخفية والنتائج الظاهرة الملحوظة.

ما : الاتجاه الواقعى النقدى؟

جرت العادة على تعريف الاتجاه الواقعى النقدى فى البحث الاجتماعى على أنه:

- الكشف عن الأبنية والأساليب الخفية .
- كشف النقاب عن علاقات القوة والإيديولوجيات المسيطرة.
- البحث الذى يؤدى إلى الفعل (أى التدخل).
- جمع البيانات الكيفية و /أو البيانات الكمية.

(انظر الفصل 3 من الباب 1، والفصل 4 من الباب 2 للوقوف على مزيد من المعلومات عن هذا الموضوع).

مثال 2 - 4

اتجاه الواقعية النقدية فى دراسة العلاقة بين التفكك الأسرى والزيادة فى عدد جرائم استخدام الأسلحة النارية

سبق أن سلطنا الضوء على أحد استطلاعات الرأى الذى وجد أن 80 % من البالغين الذين استطلعت آراؤهم كانوا يرون أن التفكك الأسرى ونقص التأديب فى المنزل هما من عوامل زيادة جرائم استخدام الأسلحة النارية بين الفتيان. فكيف يتسنى لنا دراسة العلاقة بين التفكك الأسرى والفتيان المتورطين فى جرائم ترتبط باستعمال الأسلحة النارية؟

إذا أردنا تبنى الاتجاه الواقعى النقدى فإنه يتعين علينا :

1- الانطلاق من الواقع الماثل أمامنا، وهو أن اشتراك الفتيان فى الأنشطة المرتبطة بالأسلحة النارية آخذ فى الازدياد، وأنه يبدو مرتبطا بحالة من حالات التفكك الأسرى أو ناجما عنها.

2- محاولة التماس البحوث الأخرى فى هذا المجال والمتصلة بتعيين الأساليب الممكنة التى قد تؤدى إلى أن يصبح بعض الفتيان الذين يعانون من التفكك الأسرى متورطين فى الجرائم المرتبطة باستعمال الأسلحة النارية، وتأمل النتائج التى انتهت إليها تلك البحوث.

3- التعرف على الآليات الاجتماعية التى يحتمل أن تكون مرتبطة بالتفكك الأسرى، والتى قد تتسبب فى اشتراك الفتيان فى أنشطة إجرامية باستخدام الأسلحة النارية. ومن هذه الآليات على سبيل المثال : ما يتعرض له هؤلاء الفتيان من استبعاد اجتماعى أو وصم اجتماعى بتصويرهم فى صورة نمطية جامدة، كما أن من هذه الآليات ما يتصل بأنماط الأدوار الاجتماعية التى يؤديها هؤلاء الفتيان، وما يرتبط بمفهومهم عن الهوية الذكورية.

4- بعد القيام بجمع البيانات الكيفية والكمية يتعين علينا أن نستكشف ما إذا كانت هناك ثمة آلية خفية أم لا، ونستكشف الطريقة التى تعمل بها تلك الآلية بحيث تتسبب فى تورط بعض الفتيان فى النشاط (الإجرامى) المرتبط باستعمال الأسلحة النارية.

ما الذى نحاول عمله عندما نقوم بإجراء البحث الاجتماعى؟

بدأنـا نفكـر فى طرق دراسـة الظواهر الاجتماعيـة ومختلف أشـكال المعرفة التى قـد تكون ملائمة لوجهات النظـر الإبستمولوجية (المعرفية) المختلفـة. وننتقل الآن إلى محاولة إلقاء نظرة على ما نحاول فعله عندما نقوم بإجراء بحث اجتماعى ما.

"يقوم البحث الاجتماعـى على استكشاف جانب ما من العالم الاجتماعى، ووصفه بالتفصيـل، وفهمه، وتفسيره، والتنبؤ به، وتغيـيره، وتقييمه... أى يتعلق بالأسئلة التى تبدأ بالكلمات: ماذا، ولماذا، وكيف". (بليكى، 1993، ص4).

فنحن كباحثين اجتماعيين نحاول بالأساس القيام بما يلى:

(أ) أن **نصف** بالتفصيل **ونستكشف** ظاهرة اجتماعية ما (أو عدة ظواهر اجتماعية).

(ب) ونحاول - عادة - أن **نفهم ونفسر** كيف ولماذا تكون هذه الظاهرة على ما هى عليه، أو كيف ولماذا يفهمها البعض على النحو الذى تفهم به.

ولتوضيـح ذلك نقول إننا نحـاول أن نصف هـذه الظاهرة ونستكشفهـا باستعمالنا للأسئلـة التى تبدأ بالكلمات: ماذا؟، ومن؟، وأين؟، ومتى؟، ونحاول أن نفهم ونفسر هذه الظاهرة الاجتماعيـة باستعمال أسئلة مثل: كيف؟ ولماذا؟ (انظر الفصل الرابع من هذا الباب).

وفـى ممارستنـا لهذه المهمة قد نقـوم بالإجابة على أكثر من سؤال واحـد من هذه الأسئلة الواردة فى بحث معين، إذ من الممكن أن تكون هذه الأسئلة مترابطة فيما بينها، أو قد تتوقف الإجابـة عن سؤال معـين على إجابة سؤال آخر. ويذهب شـات Shutt (انظر جدول 1-2) إلى أنـه من المعهـود أن توجد أربعة أنماط من البحـوث، وأن بالإمكان إيضاح هذه الأنماط باستعمال المثال الخاص ببحث موضـوع مشاركة بعض الفتيان فى جرائم باستخدام الأسلحة النارية.

جدول 2 – 1 : الأنماط الأربعة للبحث

البحث الوصفى	من هم الفتيان الذين يتورطون فى جرائم باستخدام الأسلحة النارية؟
البحث الاستكشافى	ما الصورة التى يكون عليها العضو فى إحدى هذه العصابات؟
البحث التفسيرى	لماذا ينضم الفتيان إلى العصابات التى تشارك فى جرائم مرتبطة باستخدام الأسلحة النارية؟
البحث التقييمى	ما التغييرات التى يمكن إحداثها فى مجال السياسة وفى مجال الممارسة، والتى من شأنها أن تقدم أفضل مساعدة للفتيان حتى لا ينضموا لأمثال تلك العصابات؟

المصدر : نقلا بتصرف عن شات (1996، ص13) وتم النشر بإذن.

بحثك

أعمل فكرك فى المجال الخاص ببحثك وحدد أربعة أسئلة أو أربعة عناصر ينبغى أن توليها عنايتك:

- البحث الوصفى
- البحث الاستكشافى
- البحث التفسيرى
- البحث التقييمى

وسوف نبحث هذه النقطة بمزيد من التعمق فى الفصل الرابع من هذا الباب، بمناسبة مناقشة موضوع أسئلة البحث.

فى معظم البحوث الاجتماعية يمكننا أن نتوقع وجود محاولة (واحدة) على الأقل **لتفسير** ما يحدث وتفسير طبيعة الظاهرة الاجتماعية، فى ضوء السؤال عن: لماذا وكيف صارت هذه الظاهرة إلى ما هى عليه الآن؟ هذا هو ما نفعله عندما نتعامل مع بياناتنا أثناء مرحلة التحليل فى بحثنا (موضوع الباب الرابع من هذا الكتاب).

قد تتخذ التفسيرات عددا من الأشكال المختلفة نذكر منها:

- قـد يكـون التفسير متعلقا بهـذه الظاهرة، أو الحـدث، أو الظرف تحديـدا (وغالبا مـا يسمى الواحد من هذه الأمـور: **متغيرا**) (انظر قائمـة المصطلحات) المتسبب فى إحداث تلك الظاهرة – أى إن هذا التفسير يتعلق بوجود **علاقة سـببية** (انظر قائمة المصطلحات).
- وقـد يكون التفسير متعلقـا بالتوصل إلى فهـم أفضل للكيفية التى يعـزو بها الأفراد المعانى والتصورات لما يحدث لهم.
- وقد يتعلق التفسير بالبحث عن الظروف أو الأبنية التى يبدو أنها تحدد ما الذى يفعله الأفراد وما الذى يفكرون فيه.

سـوف تـرى أن هـذه الأشـكال الثلاثة مـن التفسـير تتطابق مع وجهـات النظر الإبستمولوجيـة (المعرفية) الثـلاث التى سبق تحديدها، وهـى: الوضعية، والتأويلية، والواقعيـة. كما سوف نـرى أن هذه التفسيرات تستخدم أنماطـا مختلفة من المعارف. وفـى الوقت الذى يصدق فيه هـذا الكلام عموما على أشـكال التفسير المذكورة، وكما سنتبـين عندما نبدأ فى إعمال الفكر فى تطوير أسئلة البحث واختيار طرق البحث، فإن هذه الاتجاهات الثلاثة فى التفسير ليست متضادة بالضرورة، أى لا يستبعد الواحد منها التفسيرين الآخرين. (انظر الفصل 4 من هذا الباب، وكذلك الفصل 4 من الباب 2).

كيف يمكن أن تساعدنا النظريات فى بحثنا الاجتماعي؟

يقوم البحث الاجتماعي أساسا على جمع البيانات وتحليلها وفق طرق من شأنها أن تساعدنا على فهم وتفسير الظواهر الاجتماعية. وقد رأينا أنه توجد طرق مختلفة لتحصيل المعرفة، وأن لدى العلمـاء الاجتماعيين طرقا مختلفة للنظر إلى العالم الاجتماعى. كما أنهـم يقبلـون أنماطا مختلفة من المعارف التى يعدونها مفيـدة لهم فيما يحاولونه من فهم وتفسير.

سلفت الإشارة فى ثنايا حديثنا عن **النظريات**، وهى فى هذه الحالة النظريات المتعلقة بالمعرفة، وما هى المعرفة الموجودة فيما يتصل بالعالم الاجتماعى، وكيف يمكن استخدام المعرفة المتعلقة بها العالم فى مساعدتنا على فهم وتفسير الظواهر. وتعتبر وجهات النظر الأنطولوجيـة والإبستمولوجيـة - فى حد ذاتها - نظريات للمعرفـة. ولأننا قد تبينا أن هنـاك نظريات مختلفة، أو مجموعـات مختلفة من الأفكار، عـن طبيعة المعرفة وعن كيفيـة التوصل إلى معرفتهـا أو كيفية تحصيلها. وتقوم وجهـات النظر الإبستمولوجية التى تعرفنا عليها على أساس نظريات المعرفة، وهى - بصفتها هذه - تزودنا بنظريات البحـث الاجتماعى، وأعنى علـى وجه الخصوص النظريات التـى تحاول أن تشرح طبيعة البحث الاجتماعى نفسه.

ما: النظرية؟

النظرية مجموعة أفكار أو مفاهيم مترابطة يمكن استخدامها لشرح وفهم حدث، أو موقف، أو لشرح وفهم الظواهر الاجتماعية.

ما: المفهوم؟

المفهوم فكرة مجردة تشتمل على طريقة فى وصف ظاهرة اجتماعية ما، كظاهرة الأسـرة، أو ظاهـرة الفقر، أو القوة، أو الصحـة، أو التفكير فيها. (انظر الفصل الرابع من هذا الباب للوقوف على المزيد فيما يتصل باستخدام المفاهيم).

وأيـا ما كان الاتجاه الـذى نأخذ به فى بحثنا، فستكون النظريـة جزءا منه. ولأننا جميعـا باحثون، فإننا نعتبر جميعـا مفكرون نقوم بالتنظير (التفكـير على هدى نظرية مـا) فى كل يوم. وتعتبر النظريات مجموعات من الأفكار التى تحاول شرح أو تفسير أمـر مـا، أى تفسـير العلاقة بـين خاصيتين أو سمتـين، وتفسير سبب حـدوث وقائع معينة، وتفسير كيف يؤول الأمر ببعض الأفراد إلى الإيمان برؤى معينة أو التصرف بأساليب معينـة. ونحن فى كل طريق نسلكه فى حياتنا اليومية، نعتمد على ما نؤمن به من نظريات فى تفسير ما يحدث لنا.

أظـن أننـى أديت هـذه المهمـة أداء جيـدا، لأننى أمضيـت ساعات فى المكتبة العامة أقرأ حول موضوعات

النظريــة: كلما زاد الوقت الـذى تنفقه فى القـراءة، ارتفع مستوى جـودة أدائك للمهمة البحثية (وهى نظرية من الممكن دحضها - أى تكذيبها- بسهولة تامة).

إنها لم تتحصـل على درجات عالية فى هـذه السنة لأنها مـرت بأوقات عصيبة، فقد انفصـل أبواها وكانت جدتها مريضة.

النظريــة: يمكن أن يتأثر العمـل الدراسى الأكاديمى بمظاهر القلق والضغوط الشخصية.

كثيرا ما نحـاول - فى محاوراتنا - تفسير أنفسنا للآخريـن بالاعتماد على الأفكار المتعلقـة بالطريقة التى تجرى بها الأمور، أو قل الطريقة التى ينبغى أن تجرى الأمور وفقـا لها، وذلك بجانب الاعتماد على الأفكار المتعلقـة بكيف تسير الأمور وكيف تفعل فعلها: وتعتمد هذه الأفكار على خبرتنا العامة المشتركة المستمدة من كوننا كائنات إنسانية اجتماعيـة. ونحن نستخـدم خلاصة خبرتنـا، وقدرتنا على التعاطف مـع الآخرين، ومفهومنا لطريقة تطبيق نظرياتنا على الآخرين.

وإلى جانب استخدام العلماء الاجتماعيين (والعلماء الطبيعيين أيضا) لنظريات البحث الاجتماعـى، يقومون بتطوير النظريات واستخدامهـا فى محاولة شرح طبيعة الظواهر التـى يدرسونها. وكما أنه توجد طرق مختلفة لشـرح طبيعة البحث الاجتماعـى، يوجد -بالمثـل تمامـا - طرق مختلفة لشرح كيفيـة النظر إلى ظاهرة اجتماعيـة معينة كالأسرة مثـلا، أو كيفية فهمهـا على ما هى عليه. ونحـن كباحثين اجتماعيين بحاجـة إلى أمرين اثنـين معا هما: أن نحدد ما يخصنا من نظريـات تتعلق بموضوع بحثنا، وأن نحيط علما بالنظريـات التى استعملها الباحثون الآخـرون أو طوروها من واقع النتائج التى انتهت إليها أبحاثهم.

يستعمـل أوبريان O'Brian (نقلا عن جيلـبرت Gilbert، 1993، ص: 11) المثال الخاصـ بالكاليدوسكوب (أو المشكال المتعدد الصـور والألوان) ليوضح الطريقة التى تساعدنا بها النظريات فى دراسة العالم الاجتماعى، فيقول:

"عندما تدير الأنبوبة وتنظر إلى ما هو موجود تحت عدسة الكاليدوسكوب، سوف تجـد أن الأشكال والألوان التى يمكن رؤيتها فـى القاع تأخذ فى التغير. وكلما أديرت الأنبوبة تشـترك عدسات مختلفة فى العمل، وتتحول توليفـات الألوان والأشكال من نمط إلى آخر".

وهكذا تشبه النظريات العدسات، فهى تضع عناصر مختلفة من العالم الاجتماعى فى نطاق رؤيتنا، كما أنها تستطيع مساعدتنا على رؤية العالم الاجتماعى بطرق جديدة.

فكر فى هذا الموضوع . . .

سبق أن سلطنا الضوء على استطلاع للرأى وجد أن 80 %من البالغين الذين طرحت عليهم الأسئلة كانوا يرون أن التفكك الأسرى ونقص التأديب فى المنزل، يعد ضمن العوامل التى تؤدى إلى زيادة جرائم استخدام الأسلحة النارية بين الفتيان.

ما النظرية أو النظريات التى ترى أن الأفراد الذين يؤمنون بهذا الرأى ربما يكونوا قد استخدموها؟

مثال 2 – 5

أمثلة للنظريات المتعلقة بالمثال الخاص بعصابات المراهقين والأسرة

- الذكورة مفهوم يتشكل (أى يتم فهمها وإضفاء المعنى عليها) اجتماعيا. ويتم ذلك بطرق مختلفة تتباين باختلاف العصور والثقافات (النظرية التصورية الاجتماعية).
- يتأثر تطور الطفل بالثقافة، والجيرة، والأسرة (وهى النظرية المعروفة باسم النموذج الإيكولوجى التفاعلى).
- من وظائف الأسرة أن تنشّئ الأطفال تنشئة اجتماعية (النظرية الوظيفية).
- هناك بعض جماعات الصبيان التى يتوقع لها أن تخفق فى التحصيل الدراسى (نظرية التفكير النمطى الجامد/ أو نظرية الوصم).
- ينضم بعض الفتيان للعصابات لأن ذلك يعطيهم إحساسا بالانتماء وبالهوية، وهو الأمر الذى قد يفتقدونه فى الجوانب الأخرى من حياتهم (نظرية الهوية).
- الطفل الذى يشاهد العنف قد يصبح عدوانيا، ويرى أن العنف أمر عادى (نظرية التعلم الاجتماعى).

كثيرا ما توصف النظريات الاجتماعية بأنها ذات مستويات مختلفة فيما يتصل بمجالات العالم الاجتماعى التى يمكن القول بأنها تغطيها: المستوى الماكرو (أو الكبير)، والمستوى المتوسط، والمستوى المايكرو (أو الصغير).

النظريـــات الماكرو (الكبرى) (انظر قائمة المصطلحات فـــى نهاية الكتاب)، والتى تسمـــى أحيانا نظريـــات الوحدات الكـــبرى أو الواسعة النطاق، وهـــى التى تحاول أن تستوعب كل جوانب العالم الاجتماعى بمفاهيم ومصطلحات عامة.

النظريات الوســـطى (انظـــر قائمة المصطلحـــات): وهى النظريـــات ذات المستوى المتوسط المتعلقة بالظواهر الاجتماعية المعتادة، مثل: المنظمات، والمؤسسات، والمجتمع المحلى، والأسرة.

النظريات الصـــغرى (المايكرو)(انظـــر قائمة المصطلحات): وهـــى النظريات ذات النطـــاق المحلى المحدود أو الصغير، والتى ترتبط بمجال محدد، أو بجماعة محددة من الناس، أو بجانب محدد من جوانب العالم الاجتماعى.

تؤثـــر النظريات الكبرى (الماكرو) على الطريقة التى يفكر بها العلماء الاجتماعيون فى العـــالم الاجتماعى باعتباره وحدة كلية متكاملة، كمـــا أن بإمكانها أن توفر الأساس الـــذى يقوم عليه تطوير نظريـــات ذات مستوى أدنى ترتبط بجوانـــب أكثر تحديدا من جوانب الحياة الاجتماعية.

مثال 2 – 6

مستويات النظريات المتعلقة بمثال عصابات المراهقين والأسرة

النظرية ذات المستوى الكبير (أو الماكرو): تقول إن الذكورة مفهوم تتم صياغته اجتماعيـــا (أى إنـــه يتم فهمها وإضفاء المعانى عليها بطـــرق مختلفة فى شتى العصور والثقافات).

النظرية ذات المستوى المتوسط: تقول إنه إن حدث فى نطاق ثقافة معينة أن تم تصـــور الذكورة اجتماعيا باعتبارها قوية ومهيمنة، فـــإن هذا التصور سوف يتضح من الطريقة التى يتم بها بناء الأسر والمنظمات.

النظرية ذات المستوى الصغير (أو المايكرو): تقول إنه غالبا ما يفتقد الفتيان الذين ينضمـــون للعصابـــات التى يسيطرون بهـــا على الجوانب الأخـــرى لحياتهم، وأنهم يسعون لاكتساب القوة من خلال عضويتهم فى عصابة ما وارتكابهم للجرائم).

النماذج النظرية

تحاول النظريات الكبرى (الماكرو) أن تستوعب العالم الاجتماعى كله، كما تغطى مجمل الظواهر الاجتماعية موضوع البحث الاجتماعى نفسه، وينضوى تحتها أفكار تتعلق بطبيعة العالم الاجتماعى وبالطرق المتفق عليها لدراسته. وهذا معناه أن اتجاها نظريا معينا يمكنه أن يضم فى إطاره موقفه الأنطولوجى والإبستمولوجى (المعرفى) الخاص به. وأحيانا ما توصف صيغة الجمع بين نظرية عن العالم الاجتماعى ومواقف أنطولوجية وإبستمولوجية معينة بأنها **نموذج نظرى**.

ما: النموذج النظرى؟

(1) هو مجمل الاعتقادات، والقيم، والأساليب الفنية وما يتصل بها من الأمور التى يتوافق عليها أعضاء جماعة (علمية) معينة (كون Kuhn، 1970، ص175).

(2) هو مجموعة مترابطة من الاعتقادات والأحكام القاطعة التى يعتبرها العلماء المشتغلون بتخصص معين أو بفرع معين من فروع العلم مؤثرة على تحديد ما يتعين دراسته، وكيف ينبغى إجراء البحث وكيف يجب تفسير النتائج، وما إلى ذلك (برايمان، 1988، ص4).

فالنماذج النظرية تعكس - كما يوحى هذا التعريف - مصالح الجماعات البحثية واهتماماتها وما يركزون عليه من موضوعات للبحث، أو ما يشغل العلماء الاجتماعيين المنتمين إلى تخصص معين أو الذين يشتركون فى الأخذ بمجموعة من الاعتقادات المستوحاة من بعض النظريات المتعلقة بالعالم الاجتماعى؛ نقول إن النماذج الفكرية تعكس ما يشغل هؤلاء العلماء من اهتمامات. ويمكننا أن نحدد من هذا القبيل داخل نطاق العلوم الاجتماعية على سبيل المثال: النسوية، وما بعد الحداثة، وما بعد البنيوية بوصفها نماذج فكرية (انظر المثال (2-7) الوارد أدناه للوقوف على مناقشة النسوية وعلى وجهات النظر الأنطولوجية والإبستمولوجية المتضمنة فى النظرية النسوية). ويتحدث الباحثون أحيانا عن الطريقة التى بها يقوم نموذج فكرى معين بتعزيز بحثهم فيصفونه بأنه **الإطار النظرى** (انظر قائمة المصطلحات). ويوحى ذلك بأن الأفكار والاتجاهات النظرية المتعلقة بالنظرة إلى المعرفة وجمعها هى التى توفر الطرق الأساسية لمعالجة موضوع البحث. ويصف مارلو Marlow النموذج النظرى بأنه أشبه بالخريطة، "إذ

يوجهنا – بشكل نافع – إلى المشكلات التى يكون من المهم معالجتها، وإلى النظريات التى تعد موضع قبول واتفاق، وإلى الإجراءات اللازمة لحل هذه المشكلات". مارلو، 2001، ص7).

مثال 2 – 7

النسوية : النظرية، والأنطولوجيا، والإبستمولوجيا

فى الجزء الأخير من القرن العشرين قام النسويون – وهم الأفراد الذين يؤمنون بمجموعة من الأفكار والاتجاهات فى دراسة وتفسير العالم الاجتماعى تعطى الأولوية لخبرات النساء ورؤاهن – نقول: قام النسويون بتحدى الباحثين الاجتماعيين أن يتناولوا بحوثهم انطلاقا من منظور نسوى. فالباحثون النسويون يرون أن العلاقة بين النوعين (الذكور والإناث) والفروق بينهما أمر أساسى لا بد منه لفهم وتفسير العالم الاجتماعى. كما يرى المنظور النسوى أن أغلب البحوث الاجتماعية قد ركزت على دراسة الرجال وعالمهم الاجتماعى، وأنها بذلك عملت على إخفاء أو تجاهل أصوات وخبرات النساء. وهكذا جرى طرح اتجاه جديد فى البحث الاجتماعى يسعى من أجل دمج الأفكار النسوية داخل هذه الأنطولوجيا والإبستمولوجيا.

ويصف الباحثون النسويون طبيعة العالم الاجتماعى (أى الأنطولوجيا) على اعتبار أنه يتم صياغتها وفهمها اجتماعيا، كما يرى هؤلاء الباحثون النسويون أن العالم الطبيعى والعالم الاجتماعى كليهما قد خضعا لهيمنة الرجال على تشكيلهما وتصورهما، أى إن ما قدمه الرجال من المعانى والتصورات المتعلقة بطبيعة الظواهر الاجتماعية كان لها الأولوية فى المحاولات التى بذلت لفهم وتفسير العالم الاجتماعى. لذلك تشتمل الأنطولوجيا النسوية على تصورات متعددة، كما أنها تؤكد بصفة خاصة على الفروق فى المعانى والتصورات بين الرجال والنساء.

وتعطى الإبستمولوجيا النسوية الأولوية لخبرات النساء، باعتبارها الأساس الذى تقوم عليه أى معرفة بظاهرة اجتماعية ما، كما تركز تلك الإبستمولوجيا على الخبرات، والمشاعر، والانفعالات التى يشترك فيها الجميع. فهى تنطوى على نوع من التأكيد على أهمية طرق جمع البيانات التى تضع الباحث جنبا إلى جنب

شريك البحث (المبحوث) وهما يتعاونان فى العمل لتوليد المعرفة (انظر: "طرق البحث القائمة على المشاركة" فى الفصل الأول من الباب الثالث، وانظر أيضا: "موضوع القوة فى البحث الاجتماعى" فى الفصل الخامس من هذا الباب). كما يوجد -غالبا- التزام صريح بالتغيير فى العلاقات القائمة على النوع الاجتماعى بين النساء والرجال.

دراسة المثال المذكور انطلاقا من نموذج نظرى نسوى أو إطار نظرى نسوى

1- ينبغى أن يركز البحث على جمع معلومات عن خبرات ومشاعر النساء المرتبطات بالفتيان المتورطين فى ارتكاب جرائم استخدام الأسلحة النارية، وبخاصة الأمهات والأخوات.

2- ينبغى أن يتخذ البحث اتجاها نقديا فى دراسة القوة والنفوذ داخل العلاقات الأسرية لهؤلاء الذين تشملهم الدراسة.

3- ينبغى أن يتعمق البحث فى دراسة الطرق التى يتم بها تصور الأفكار المتعلقة بالذكورة فى مقابل الأفكار المتعلقة بالأنوثة.

4- ينبغى أن ينظر البحث نظرة نقدية إلى الأفكار التى مفادها أن الأسر -وبخاصة الأمهات- هى المسئولة عن سلوك الفتيان.

إلى جانب النموذج النظرى النسوى، قامت اتجاهات نقدية أخرى فى دراسة العالم الاجتماعى بتطوير ما يسميه كريسول Cresswell "بحوث الدعوة إلى الرأى"(*)، أو البحوث القائمة على المشاركة (بين الباحث والمبحوث) (كريسول، 2003، ص9).

(*) بحوث الدعوة إلى الرأى: Advocacy Research هى نوع من البحوث التطبيقية الوصفية يقوم بإجرائها الأفراد الذين يهتمون اهتماما عميقا ببعض المشكلات الاجتماعية، كالفقر أو الاغتصاب مثلا. وتسعى دراساتهم تلك إلى قياس المشكلات الاجتماعية بهدف زيادة الوعى العام بها، وتقديم عامل تحفيز لمقترحات السياسات أو البرامج التى تستهدف التخفيف من المشكلة محل الاهتمام: ويحدث فى بعض الأحيان أن تعمد بحوث الدعوة إلى لوى عنق مناهج البحث المستخدمة من أجل تضخيم حجم المشكلة الاجتماعية التى تتحدث عنها، ومن ثم تدعم الدعوة إلى العمل العام الموجه إلى تلك المشكلة. انظر المزيد حول هذا الموضوع فى: موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهرى وزملاؤه، المركز القومى للترجمة(3مجلدات) الطبعة الرابعة، 2012. (المترجم)

وكما هـو الحال فى البحـوث الاجتماعية النسويـة، تضم هذه الاتجاهـات الناشئة اتجاهات تسعى إلى دراسة العالم الاجتماعى انطلاقا من منظور جماعات الأفراد الذين تعرضت تصوراتهم وخبراتهم – المتعلقة بالعالم الاجتماعى – للتجاهل أو الإخفاء، من قبيل: الأفـراد المصابين بمختلف أشكال العجز البدنـى، والسود، والمثليين من الذكور والسحاقيـات من الإناث (انظر الفصل الخامس مـن هذا الباب). ويتعين على البحوث التـى تتم داخل نطاق هذه الأطر النظرية أن تركز على الخطاب أو اللغة التى يستعملها الأفراد الآخرون (خارج هذه الجماعات)، والذين ينظر إليهم باعتبار أنهم أكثر قوة، وذلك لوصف هذه الجماعة وصفا تفصيليا. كما ينبغى أن يؤكد البحث على أهمية تمكين المبحوثـين، وعلى أهمية البحـوث القادرة على تحـدى أشكال الخطـاب والممارسات الراهنة، ومن ثم تصبح إيذانا بالبدء فى التغيير.

بحثك

لـكل تخصص علمـى داخل العلـوم الاجتماعيـة مجموعـات مختلفة من المواقف النظريـة التى يتم تدريسها، كما أنها تضفى علـى البحوث فى هذا التخصص طابعها المميز.

هـل تستطيع، وأنت تفكر فيما يتصل بفـرع تخصصك العلمى أن تحدد النظريات ذات المستـوى الكبير (الماكرو)، أو ذات المستوى المتوسط، أو ذات المستوى الصغير (المايكرو)؟

النظريات الماكرو (أو ذات المستوى الكبير).

النظريات الوسطى.

النظريات الصغرى (أو المايكرو).

استخدام النظرية فى البحث الاجتماعى

إذن، كيف تستخدم النظرية فى التفكير فى بحثك الاجتماعى وفى تطويره؟ ثمة خمس طرق أساسية هى:

استخدام نظرياتك ونظريات الآخرين الموجودة حاليا

عند شروعك فى التفكير فى موضوع بحثك، ستكون مشغولا بالقراءة فى مجال موضوع بحثك، مما يجعلك على دراية جيدة بالأعمال البحثية الأخرى التى أجريت فى هذا الموضوع، كما يدفعك إلى أن تتأمل فى مدى تلاؤم خبرتك الخاصة ومعرفتك الشخصية مع دراستك. ومن المحتمل أن قراءتك ستعرفك على النظريات التى بلورها الباحثون الآخرون فى هذا المجال، التى قد تكون فى نطاق تخصصك العلمى، أو فى مجال التخصصات العلمية الأخرى. وهنا سوف تعثر على مجموعات من الأفكار المتعلقة بموضوع معين تحاول تفسير ما يجرى بشأنه من أمور. ولا ريب أنك قد تعثر على عدد من النظريات المختلفة أو المتعارضة مما يتصل بموضوع بحثك. (انظر البراويز التى تضم أمثلة عن النظريات المختلفة فى مجال الشباب والجريمة). كما سيتعين عليك التفكير فى موقفك الفكرى ما إذا كنت تجد موقفا فكريا أو غيره أقرب فى نظرك للاستحسان أو القبول. ولكنك سوف تعتمد كذلك على نظرياتك الأولية أو التمهيدية، ونعنى بها ما لديك من أفكار يمكن بها تفسير ما يحدث من أمور. وقد تكون هذه الأفكار مستمدة من خبرتك أو دراستك، أو قد تكون مجرد توليفة أفكار تعطيك "دفعة أولية للأمام". حاول عند هذه المرحلة أن تتحقق مما إذ كانت أفكارك مشابهة لتلك الأفكار التى سبق أن كتب عنها الآخرون. وقد تحتاج كذلك إلى مراجعة العمل الذى نُفذ فى المجالات المرتبطة بمجال بحثك، فإن كنت تبحث – مثلا – فى القضايا الخاصة بالتمييز القائم على أساس العمر، فلعلك تحتاج لتأمل البحوث التى أجريت فى مجال التمييز القائم على أساس النوع الاجتماعى، وفى مجال التمييز القائم على أساس العجز البدنى. إذ قد يمكن – فى بعض الأحيان – أن تكون بعض النظريات قابلة للنقل والتطبيق على موضوعات مختلفة يجمعها وجه ما من أوجه التشابه (انظر الفصل الثانى من هذا الباب).

استخدام نظريات البحث الاجتماعي والمعرفة

فى المراحل المبكرة لقيامك ببحثك، سوف تعتمد كذلك على النظريات المتعلقة بالبحث الاجتماعى نفسه. ولاحظ أن كل مناقشاتنا فى هذا الباب - حتى الآن - تنصب على النظريات، أو مجموعات الأفكار المتعلقة بكيف نرى العالم الاجتماعى وكيف ندرسه. وقد تجد من المشقة أن تحدد لنفسك موقفا أونطولوجيا أو موقفا إبستمولوجيا (معرفيا) معينا، ولكنك وباعتمادك على المعرفة المتاحة فى تخصصك العلمى، تستطيع البدء فى التفكير فى تحديد ما الجوانب التى تثير اهتمامك من بين جوانب دراستك. وقد يساعدك ذلك على التأمل فى موقفك الفكرى الذى تتبناه فيما يتصل بطبيعة العالم الاجتماعى وكيف يمكن دراسته. وفى الأمثلة الواردة فى هذا الباب إيضاح لإحدى طرق القيام بهذا العمل. وفى إمعانك التفكير فيما يعنيه كل اتجاه إبستمولوجى (معرفى) للدراسة الخاصة بموضوع بحثك قد تجد أنك تفتح الباب على مصراعيه لجوانب مختلفة من موضوع البحث ولمجموعة أكبر من الأسئلة البحثية المحتملة التى يمكنك الاختيار من بينها (انظر الفصل الرابع من هذا الباب).

كيفية التعامل مع النظرية

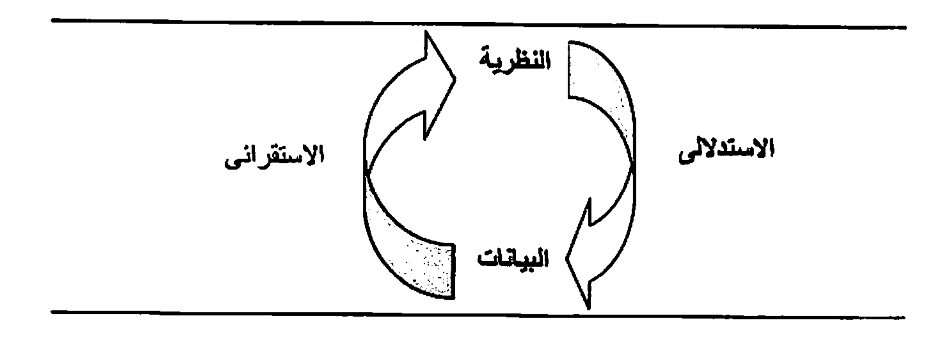
تعد النظريات بوصفها مجموعات من الأفكار التى تحاول تفسير مختلف جوانب العالم الاجتماعى؛ تعد ذات أهمية محورية لا غنى لك عنها فى تخطيط منهجية بحثك وفى تحديد طبيعة البيانات التى تجمعها (انظر الفصل الثالث من هذا الباب). وسوف تجد أنك يمكن أن تتعامل مع النظرية - بطرق مختلفة - وفقا لموقفك الفكرى المعرفى (الإبستمولوجى) الشخصى. (انظر الفصل الثالث من هذا الباب). فإن أخذت -مثلا- باتجاه وضعى، أو ربما أخذت باتجاه واقعى نقدى، فقد تبدأ بالشروع فى اختبار فرض قائم على أساس نظرية موجودة بالفعل. ويسمى هذا الاتجاه **الاستدلالى أو الاستنتاجى** فى استخدام النظرية. ومع ذلك، فإنك إن كنت تأخذ باتجاه تأويلى، فمن المرجح أن تبدأ بالأسئلة البحثية (التى قد تكون مستلهمة من هذه النظرية الموجودة فعلا)، وأن تقوم بعد ذلك بجمع البيانات وتستخرج تفسيراتك - أى تصوراتك النظرية المؤقتة وغير النهائية - من هذه البيانات نفسها، ويعرف هذا الاتجاه باسم **الاتجاه الاستقرائى.**

والملاحظ أن النظرية تستخدم - فى معظم البحوث - بالشكل الاستقرائى وبالشكل

الاستـدلالى معا. وإذا فكرنا فى البحث باعتباره مستلهما من النظرية ومولجا للنظرية كذلـك، فإن بالإمكان تصور عملية البحـث باعتبارها دورة (تتحرك في شكل دائرة) كما هو مبين فى الشكل (2-2).

بلورة أسئلة البحث وفروضه

أيـا مـا كان الموقف المعرفى الـذى تأخذ به، فـإن النظريات ستكـون متضمنه فى فرضك أو فى أسئلة بحثك بشكل ظاهر أو ضمنى (انظر الفصل الرابع من هذا الباب). وها أنت الآن تحدد بوضوح الموضوعات التى سوف تقوم بجمع بيانات عنها، كما أنك ستقوم بتطوير أسئلة البحث وفروضه كى تساعدك فى شرح عناصر موضوع بحثك. فإن كنـت تقوم بتطوير أحد الفروض، فقد تعتمد على نظرية موجودة فعلا، أو تطور نظرية خاصة بك.



شكل 2-2: الاتجاه الاستقرائى والاتجاه الاستدلالى

وذلـك بغرض تأسيـس هذه النظريـة واختبارها عن طريق جمـع البيانات. وإن كنت تقوم بتطويـر أسئلة البحث فسوف توجه أسئلة تعتمـد على نظرية وعلى معارف موجـودة فعلا وتطرح أسئلة ليتـم معالجتها عن طريق البيانـات التى تم جمعها (انظر الفصل الرابع من هذا الباب).

شرح بياناتك

وفـى النهاية، عندما تكون قد جمعت بياناتـك واستخدمتها، وناقشت النتائج (انظر الباب الرابع من هذا الكتاب)، ستكون قادرا على إثبات مدى صحة فرضك، أو دحضه

(تكذيبه)، ومدى ما قدمته لك بياناتك من دعم ومساعدة فى شرح الأسئلة التى طرحتها ومعالجتهـا، كما قد تكـون قادرا على تطويـر نظريتك الخاصـة، ومجموعة أفكارك الخاصة، أو تكون قادرا على الإضافة إلى إحدى النظريات الموجودة فعلا.

ما الذى يعنيه ذلك لى كباحث اجتماعى فى مرحلة الدراسة؟

حاولنـا فيما سبق أن نمعن النظـر فى بعض النظريات أو الأفـكار الفلسفية الكامنة وراء تطويـر بعضـن المواقف الفكرية المتعلقة بدراسة العـالم الاجتماعى، كما كنا نتأمل الأهمية المحورية لأساليب التفكير المختلفة فى دراستنا لأننا نضطلع فى مثل هذه البحوث بدراسـة شىء نحـن جزء منه. وتسلـط مناقشتنا لهـذه المواقف الفكريـة الأنطولوجية الضـوء على الطرق التى ينظر بها العلمـاء الاجتماعيون إلى العالم الاجتماعى، وعلى سبـب اختلاف كثير من هؤلاء العلماء مع الاتجاهـات الموضوعية للعلم الطبيعى. ومع أن هذه الاتجاهات، تعد مواقف فكرية أساسية، وأنه من الأرجح أن تكون وثيقة الصلة بالاتجاهات الإبستمولوجية (المعرفية) التى قد نأخذ بها، فإن من الأهمية أن تنتبه إلى أن هناك أمورا أخرى يجلبها معه الباحث الاجتماعى إلى دراسته، وهى أمور يتعين عليه استكشافها، كما قد يحتاج إلى أن يتبنى منها موقفا نقديا، ولو بالنسبة لنفسه على الأقل.

فالملاحظ أن جميع الباحثين الاجتماعيين، والدارسين، وكبار الأساتذة الجامعيين، والمسئولـين الحكوميين، والاستشاريين المستقلـين يقبلون على بحوثهم الاجتماعية وهم يصطحبـون معهـم مقدارا معينا من العناصـر النظرية، والثقافيـة، والآراء والرؤى المستمدة من تخصصاتهم العلمية، كما قد يجلبون كميات غير قليلة من القيم والاعتقادات التـى يؤمنون بها أشد الإيمان وبالرغبة فـى تغيير العالم. فالباحثون الاجتماعيون إنما هـم كائنات اجتماعية فى المقـام الأول، كما أنه يجدر بالتفكير قليلا فى كيف ولماذا يقتنع امرؤ ما اقتناعا تاما بالدرس والبحث فى هذا المجال. إذ يرى بعض الباحثين أن البحث الاجتماعـى الذى لا يكون مرتبطـا بالتغيير الاجتماعى أو الفعـل الاجتماعى الإيجابى إنمـا هو بحث لا معنى له ويدعو للإحباط، بينمـا يرى غيرهم أن الرغبة فى الوصول إلى فهـم أدق للطريقة التى يعمل بها العالم الاجتماعى ترتكز على أمل يراودهم فى أن مـا يطورونه من نظريات سوف يؤثر على هؤلاء الباحثين ذوى التوجهات التى يغلب عليها الطابع التطبيقى.

بحثك

حاول الكتابة إلى (أو حاول تخيل محاورة مع) أحد الأصدقاء تشرح له فيها كيف آل بك الأمر إلى الاهتمام بموضوع بحثك، موضحا العناصر التالية:

- أى خبرات تكون قد اكتسبتها مما يكون له صلة بموضوع بحثك.
- أى قيم أو قناعات تؤمن بها مما يكون له صلة بهذا الموضوع.
- ما الذى تعلمته فى أثناء دراستك لهذا الموضوع.
- أى نظريات أو مجموعات أفكار تتبناها عن هذا الموضوع.

ما الذى تعلمته مما يتصل باهتماماتك الخاصة، وقيمك ودوافعك الشخصية مما قد يؤثر على الطريقة التى تفكر بها فى بحثك؟

حاولنا فى هذا الباب أن نمعن النظر فى الأفكار التى يستخدمها الباحثون الاجتماعيون لمساعدتهم على التفكير فى موضوع بحثهم، وعلى تحديد أسئلة البحث أو فروضه، وعلى تصميم البحث، وهى الأمور التى تمكنهم من معالجة هذه الأسئلة. وقد حاولنا أن نزودك بهذه المنطلقات التى يمكن أن تعينك فى المراحل الأولية لبحثك:

- أنت كدارس شأنك شأن أعضاء العالم الاجتماعى الذى تقوم بدراسته، لابد أن تصطحب معك فى بحثك معرفتك الخاصة. كما أنه من المفيد البدء بالتفكير فى موضوع بحثك بمراجعتك لما تعرفه وتقليب النظر فيه.

- توجد طرق مختلفة للنظر إلى العالم الاجتماعى، كما توجد أساليب مختلفة لجمع المعارف عن الظواهر الاجتماعية. لذلك يتعين عليك قبل أن تقرر ما الاتجاه الذى سوف تأخذ به، أن تحاول التفكير فى الطريقة التى سوف تتناول بها موضوع بحثك انطلاقا من المواقف الفكرية الأنطولوجية والإبستمولوجية المتنوعة.

- إن فكرت فى العالم الاجتماعى والظواهر الاجتماعية بطرق مختلفة، فإنه سيكون

عليك أن تبدأ بتحديد شتى أنواع البيانات التى قد تكون متاحة لك فى مجال بحثك (انظر الفصل الثالث من هذا الباب، للوقوف على المزيد عن طبيعة البيانات).

- من شأن التفكير فى المواقف الفكرية الأنطولوجية والإبستمولوجية المختلفة أن يفتح الباب على مصراعيه لإمكانيات استخدام بعض مناهج البحث الأخرى، وبعض الطرق الأخرى فى جمع البيانات وتحليلها. وعلى حين ترتبط طرق البحث الكيفية وطرق البحث الكمية -عادة- بمواقف إبستمولوجية (معرفية) معينة، فإن البحوث التى تستخدم مزيجا من طرق البحث أصبحت أكثر شيوعا وانتشارا، كما أن بالإمكان معالجة البيانات الكيفية والبيانات الكمية بوسائل متنوعة (انظر الفصل الرابع من الباب الثانى للوقوف على مناقشة أكثر تفصيلا لهذه الجزئية).

- سوف يفيدك أن تراجع الأبحاث والدراسات السابقة الأخرى فيما يتصل بالأفكار والاتجاهات النظرية التى استخدمها الباحثون الآخرون فى دراسة مجال الموضوع الذى تنوى بحثه، لأن ذلك سوف يعينك على تحديد النظريات التى قد تتخذها منطلقا لك فى دراستك، أو حتى إطارا نظريا للدراسة التى ستجريها (انظر الفصل الثانى من الباب الثانى).

البحث الواقعى

عرض موجز لتاريخ البحث الاجتماعى

تمتد جذور البحث الاجتماعى إلى الفلسفة، وتتجسد فى نوع من الاهتمام الشديد بترسيخ الاتجاهات الموثوق بصحتها والصادقة فى دراسة الكائنات الإنسانية. ويمكن أن نلمس بعض مظاهر الاهتمام القوى بالحقيقة والموضوعية، وبالطريقة التى يدرس بها الباحث العالم الذى هو جزء منه؛ نلمسه فى كتابات ديكارت(*) فى القرن السابع عشر. ففى كتابه "مقال فى المنهج" (1637) (ديكارت، 1999) يبسط بجلاء فكرته عن

(*) يعد الفيلسوف الفرنسى ديكارت Descartes (١٥٩٦-١٦٥٠) مع كل من كانط وهيوم أحد الرواد المؤسسين للفلسفة الغربية الحديثة. وكانت أشهر مؤلفات ديكارت دراسته المعنونة مقال حول المنهج والتأملات، بالإضافة إلى مؤلفيه الآخرين اللذان استخدم فيهما منهجه فى الشك المنهجى من أجل الوصول إلى بعض الأسس غير المشكوك فيها التى يمكن منها استنباط بعض المعارف اليقينية. للمزيد عنه انظر: موسوعة علم الاجتماع (٣ مجلدات)، مرجع سابق. (المترجم)

البحث عن الحقيقة، كما أكد أهمية الموضوعية وأهمية توافر الشواهد المؤيدة. من ناحية أخـرى أكد دافيد هيوم(*) – فيما كتبه فى القرن الثامن عشر – أن معرفة العالم تنبع من الخبرة الإنسانية، وأن هذه المعرفة إنما تتحصل بطريقة موضوعية من خلال الحواس. (ويليامز Williams وماى May 1996، ص16).

وقد ذهب أوجست كونت(**) إلى أن بالإمكان دراسة العالم الاجتماعى باستخدام نفس الطرق المستعملة فى فهم العالم الطبيعى، وفى هذا أوضح تحديدا: أنه توجد "قوانين" عامة يمكن تحديدها وإدراكها تتعلق بالطريقة التى يعمل بها العالم الاجتماعى والتى لا يعتريها التغير. وواضح أن هذا التصور يمثل الأساس الذى يقوم عليه الموقف الفكرى الوضعى الذى كان هو الموقف الفكرى السائد بين العلماء الاجتماعيين طوال أواخر القرن التاسع عشر وأغلب القرن العشرين. كما أن أوائل علماء الاجتماع بمن فيهم دوركايم(***) (دوركايم، 1982)، والذى كان يعتبر الظواهر الاجتماعية أشياء

(*) دافيد هيوم D.Hume (1711–1776) أهم فلاسفة عصر التنوير الاسكتلندى ومن أبرز مؤسسى النزعة الامبيريقية. اشتهر هيوم بتحليله للعلية، ومشكلة الاستقراء المرتبطة بها. كما أن العلماء يذكرون لهيوم إصراره على أن القيم الأخلاقية لا يمكن استخلاصها إطلاقا من المقدمات الواقعية. كما يذكرون له رفضه لمنظور «المصلحة الذاتية» إلى الطبيعة الإنسانية وإلى الأخلاق. وحاول هيوم – فضلا عن ذلك – أن يرسى أسس الدراسة العلمية الإمبيريقية للطبيعة الإنسانية، للمزيد عنه انظر : موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق. (المترجم)

(**) أوجست كونت A.Comte (1798–1857) منظر اجتماعى فرنسى يرجع إليه الفضل فى صك مصطلح علم الاجتماع. أسهم كونت بتطوير ما أسماه "الفلسفة الوضعية". ويلاحظ أن الكثيرين ممن استشهدوا باسم كونت دون أن يقرؤوا أعماله، قد ضللهم استخدامه لمصطلح الفلسفة الوضعية، فعلى الرغم من أن كونت اتخذ من العلوم الطبيعية نموذجا له، فإنه استخدم المصطلح بمعنى أن يكون مدخله إيجابيا (لاحظ أن كلمتى إيجابى ووضعى العربيتين يقابلهما مصطلح إنجليزي واحد هو positive) وليس سلبيا، ولا يعنى – كما يفترض عادة– أنه يتضمن أى نوع من النزعة الإمبيريقية. راجع المزيد عن كونت فى موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق. (المترجم)

(***) إميل دور كايم E. Durkheim (1858–1917) أكثر علماء الاجتماع الفرنسيين شهرة، ويعد الأب المؤسس للنزعة الوظيفية، وحديثا ناله مديح وتقدير وافرين من جانب أعلام البنيوية وعلم اللغة الاجتماعى وأنصار ما بعد الحداثة، الذين وجد جميعهم فى كتابات دوركايم أفكارا ورؤى يسهل استيعابها فى أطرهم النظرية.
ولكن الأهم أن دوركايم كان صاحب فضل لا ينكر فى تأسيس مكانة علم الاجتماع كواحد من أبرز العلوم الاجتماعية فى عصره، وأكسبه اعترافا مجتمعيا وأكاديميا حاسما. وأسهم –فضلا عن ذلك– فى إنشاء "حولية علم الاجتماع"، التى أضحت خلال فترة قصيرة أرفع الدوريات السوسيولوجية=

يتعين ملاحظتها ودراستها - طوروا هذا الموقف الفكرى فى محاولاتهم لاكتشاف النظريات العامة التى تفسر العالم الاجتماعى، والتدليل عليها.

ومع ذلك، فقد كان هناك مفكرون آخرون عمدوا إلى التركيز - بمعدل أكبر - على الفهم والتفسير الإنسانى، بمن فيهم كانط(*) مثلا، وهو الذى ذهب فى كتابه "نقد العقل الخالص" (1781) إلى أن بالإمكان معرفة العالم الاجتماعى من خلال تأمل وتفسير كل ما يمكن ملاحظته ومعايشته، بجانب كتابات ديلتاى Dilthey(**) فى النصف الأخير

=مكانة فى فرنسا ومركز إشعاع المدرسة الدوركايمية ذات التأثير فى الفكر الاجتماعى.

نشر دور كايم عددا من الأعمال الخالدة في حقل علم الاجتماع، وترجم أغلبها إلى كثير من اللغات العالمية (بما فيها العربية). نذكر منها: "قواعد المنهج فى علم الاجتماع" (1895)، ورسالته للدكتوراه عن "تقسيم العمل الاجتماعى" (1893)، ودراسته الشهيرة عن "الانتحار" (1897)، وكتابه المهم "الأشكال الأولية للحياة الدينية" (1912) . . . إلخ.

ومن اللافت للنظر فى جميع هذه الأعمال عمق الرؤية التى اتسم بها دوركايم فى بحثه الذى لم يعرف الكلل عن الأسس الاجتماعية والأخلاقية للمجتمع الصناعى الناشئ. وما يزال دوركايم موضعا لتقريظ النقاد والمحللين من اليمين واليسار السياسى. ولقد فقد تصنيفه كمفكر محافظ - عن حق - مصداقيته منذ زمن طويل، وذلك فى ضوء إسهامه فى نظرية تكافؤ الفرص التى تتجلى مثلا فى كتاباته عن التربية. . راجع المزيد عن دور كايم فى موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق.

وانظر أيضا ترجمة عربية لكتابه قواعد المنهج فى علم الاجتماع، أعدها محمود قاسم، وقدم لها كاتب هذه السطور، وصدرت عن المركز القومى للترجمة، القاهرة، سلسلة (ميراث الترجمة)، 2012. (المترجم).

(*) يعد عمانويل كانط I. Kant (1724-1804) من أعظم - إن لم يكن أعظم - الفلاسفة المحدثين، بسبب ما يمارسه من تأثير عميق ومستمر على الفلسفة نفسها وعلى علوم أخرى كثيرة، بما فيها علم الاجتماع بطبيعة الحال. يتمثل جوهر الفلسفة النقدية عند كانط - بصفة عامة - فى التوليف بين تراث اتجاهين كبيرين متنافسين هما: النزعة الإمبيريقية والمذهب العقلى، وهما الاتجاهان اللذان سيطرا على نظرية المعرفة فى زمن كانط.

ونلاحظ أن الاتجاهات المعرفية غير الوضعية الأساسية التى كانت ذات تأثير فى علم الاجتماع كانت مستمدة من مختلف الاتجاهات الأوروبية فى تفسير وحل تلك التوترات المطروحة فى فلسفة كانط. ومن أبرز تلك الاتجاهات المناوئة للوضعية فى علم الاجتماع: الكانطية المحدثة، والفينومينولوجيا أو الظاهراتية، والتأويل. انظر المزيد عن كانط فى موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق. (المترجم)

(**) فيلهلم ديلتاى W. Dilthey (1833 - 1911) فيلسوف ألمانى كان من أعظم رواد التأويل فى علم الاجتماع، حيث يمثل الشغل الشاغل لديلتاى فى إرساء أساس راسخ -يتسم بالكفاءة - للمعرفة فى العلوم الإنسانية أو التاريخية. وكان يرى أن عالم التاريخ الإنسانى والثقافة الإنسانية يتكون من "صور التعبير" عن الخبرة الإنسانية فى الحياة (أى الخبرات المعاشة) التى يتعين=

مـن القرن التاسع عشر ، والذى ركز على "الخبرات التـى يعايشها الأفراد" (ويلياامز وماى ، 1996 ، ص62) . وقد تبنى ماكس فيبر(*) هذا التصور ، حيث ركز على المعنى الاجتماعى لأفعال الأفراد داخل السياقات المختلفة ، وعلى تصوراتهم لتلك الأفعال من أجـل فهمها . ومع أن فيبر أقر أن بالإمكان أن يأتى فهم العالم الاجتماعى من الملاحظة المباشـرة ، فإنــه أكد فى الوقت نفســه ، أن الفهم يأتى كذلك فى تأويـل الخبرات الذاتية والمعانى الذاتية . وهو يعرِّف علم الاجتماع بأنه :

"علم يحاول التوصل إلى الفهم التأويلى للفعل الاجتماعى من أجل الوصول - بهذه الوسيلة - إلى تفسير سببى لمسار هذا الفعل ونتائجه" . (فيبر ، 1994 ، ص 88) .

فـى أوائل القرن العشرين أدخل شوتز(**) فـى العلوم الاجتماعية لأول مرة أفكار

=فهمها وتأويلها بطرق تختلف تمام الاختلاف عن مناهج العلوم الطبيعية وطرائقها ، وغير قابلة للاختزال إلى تلك المناهج العلمية الطبيعية . وقد تبنى بقوة اتجاها تأويليا فى فهم النظم ، والديانات ، والمؤسسات وغير ذلك من ظواهر تتعدد بتعدد الخبرات الإنسانية المعاشة . (المترجم)

(*) يعد ماكس فيبر M . Veber (1864-1920) إلى جانب إميل دوركايم وكارل ماركس مؤسسو علم الاجتماع الحديث كعلم اجتماعى متميز . وإن كانت أعمال فيبر هى الأكثر تركيبا وطموحا ، وما زالت تمثل معينا ثريا للتفسير والإلهام بفكر جديد .

والحق أن إسهام ماكس فيبر فى علم الاجتماع كان هائلا بكل المقاييس . فقد قدم الأساس الفلسفى اللازم للعلوم الاجتماعية ، وعددا من الدراسات الممتازة التى شملت كافة الأديان العالمية الكبرى ، والمجتمعات القديمة ، والتاريخ الاقتصادى ، وعلم الاجتماع القانونى ، والدراسة الاجتماعية للموسيقى ، وغيرها من فروع الدراسة السوسيولوجية .

ومن إسهامات فيبر تمييزه بين الظواهر (أى العالم الخارجى الذى ندركه) والشىء ذاته (أى الوعى الذى يضطلع بعملية الإدراك) . وقد تحول هذا التقسيم فى علم الاجتماع عند فيبر إلى تمييز بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية ، حيث تختص الأخيرة بمعالجة الأشكال التى ندرك بها العالم . وهكذا فعلى حين أننا قد نعمد إلى وضع قوانين عامة فى مجالات العلوم الطبيعية ، فذلك ليس مهمة العلوم الاجتماعية ، حيث إن اهتمام تلك العلوم ينصب على التفسير العلى وعلى فهم الأفعال الاجتماعية فى سياقها التاريخى الخاص . وهكذا يمثل الفعل الاجتماعى الموضوع الحقيقى للعلم الاجتماعى ، وهو الفعل الموجه تجاه الأشخاص الآخرين الذين يمثلون أهمية للفاعل ، وهو أيضا الفعل الذى نضفى عليه معنى ذاتيا . ويحاول علم الاجتماع تقديم وصف تفسيرى (تأويلى) لتلك الأفعال مستخدما منهجية "النمط المثالى" . وقد طور فيبر تصنيفا رباعيا شهيرا للفعل الاجتماعى . راجع المزيد عنه فى موسوعة علم الاجتماع ، مرجع سابق . (المترجم) .

(**) يبدو للبعض - من السطح - أن الفينومينولوجيا لا تقدم الكثير من الثراء الفكرى لعلم الاجتماع=

الفلسفة الظاهراتيــة (أى الفينومينولوجيا)، وهى اتجاه فلسفى معنى بالطريقة التى يفهم بها الأفراد العالم المحيط بهم. وقــد تم استكمال وتدعيم هذه الأفكار فى القرن العشرين عندما أصبح البحــث الاجتماعى أكثر شيوعا وانتشارا، وقام بتطوير اتجاهات وطرق بحث جديدة. واعتمد الباحثون الاجتماعيــون على أعمال علماء الأنثروبولوجيا، من أمثال مارجريت ميد(*)، ومالينوفسكى(**)، كما أولوا اهتمامهم لتطوير طريقة الملاحظة المشاركــة، (انظر الفصل 6 مــن الباب 3) والبحوث الإثنوجرافيــة(***) التى نذكر منها علــى سبيل المثال أعمال مدرسة شيكاغــو(****) (انظر دراسة ويليام فوت وايت White

---

=فقد انطلق هوسرل Husserl (1859-1938) من الوعى الفردى، ثم وجد نفسه فى مأزق إثبات أن الآخرين موجودون بالفعل. وجدير بالذكر أن الفلسفة الظاهراتية قد تلقت دفعات قوية إلى الأمام من جانب كبار الفلاسفة الوجوديين فى القرن العشرين. وكان شوتز - تلميذ هوسرل- هو الذى أنشأ الجسر المختلف عليه بين الفينومينولوجيا وعلم الاجتماع. ويمثل كتابه: "فينومينولوجيا العالم الاجتماعى" (1932) عرضا أصيلا للمبادئ الأساسية تعلم الاجتماع الظاهراتى. انظر المزيد عنه فى موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق. (المترجم).

(*) مارجريت ميد M. Mead (1901-1978) أمريكية متخصصة فى الأنثروبولوجيا الثقافية وتلميذة روث بندكت. انظر المزيد من حياتها وأعمالها فى موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق. (المترجم).

(**) مالينوفسكى B. Malinowski (1884-1942) عالم أنثروبولوجيا أمريكى (بولندى الأصل) يرجع إليه الفضل فى تطوير وبلورة ما أصبح الآن منهجا كلاسيكيا فى العمل الميدانى المكثف، يعتمد على الإقامة الطويلة فى مجتمع الدراسة. والأهم من ذلك أن اسم مالينوفسكى قد ارتبط بالنظرية الوظيفية، حيث يرى أن كافة الثقافات الإنسانية يمكن فى الواقع أن تختزل إلى إشباع الاحتياجات الأساسية. وقد ترتب على ذلك رفضه النظريات التطورية، والتركيز على التحليل الآنى، وإبراز أهمية التوازن المتناغم لأى مجتمع. انظر المزيد عن حياته وأعماله فى: موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق. (المترجم).

(***) للاستزادة انظر : روبرت إيمرسون وآخرون، البحث الميدانى الإثنوجرافى فى العلوم الاجتماعية، ترجمة هناء الجوهرى، المركز القومى للترجمة (سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين - الكتاب الأول)، القاهرة، ٢٠١٠. (المترجم).

(****) مدرسة شيكاغو Chicago School مدرسة ذات تقاليد بحثية اقترن اسمها بجامعة شيكاغو خلال العقود الأربعة الأولى من القرن العشرين، استطاعت أن تهيمن على علم الاجتماع فى أمريكا الشمالية طوال تلك الفترة. وقد أسست أول قسم لعلم الاجتماع (١٨٩٢)، وبتأسيسه بدأ نشر أول دورية علمية رئيسية فى علم الاجتماع (منذ ١٨٩٥)، وأعقب ذلك إنشاء الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع (١٩٠٥) ... إلخ=

للحى المتخلف بمدينة بوسطن، والمنشورة فى كتابه بعنوان "مجتمع النواصى" (وايت، 1955)، ودراسة بيكر Becker عن الانحراف بعنوان "اللامنتمون" (بيكر، 1963) (وانظر الفصل 3 من الباب 2)، وبحوث الإثنوميثودولوجيا(*) (أو منهجية الجماعة) (جارفينكل، 1967)، وبحوث التفاعلية الرمزية(**) (بلومر، 1969).

ثم شهدت فترة أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين تطبيق طرق البحث

= وقد تأثرت تقاليد هذه المدرسة بشدة بالنزعة الفلسفية البراجماتية، والملاحظة المكتسبة بالخبرة المباشرة، وتحليل العمليات الاجتماعية الحضرية. ويرتبط اسم مدرسة شيكاغو عادة بثلاث قضايا: الأولى شهرة هذه المدرسة فى إجراء الدراسات الميدانية الإمبيريقية. وترتب على ذلك ممارسة قدر كبير من التدريب على أدوات البحث، وفى مقدمتها تطوير أدوات الملاحظة المشاركة، ومنهج دراسة الحالة. وتتعلق القضية الثانية بدراسة المدينة، بنائها الاجتماعى، وإيكولوجيتها، ومشكلاتها. أما القضية الثالثة فتتمثل فى كتابات جورج هربرت ميد، التى ركزت على موضوعات خلق وتنظيم الذات، وهو ما عرف فيما بعد - عبر كتابات بلومر - باسم التفاعلية الرمزية. راجع المزيد فى موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق. (المترجم).

(*) الإثنوميثودولوجيا Ethnomethodology هى أحد مداخل علم الاجتماع التى ظهرت كثمرة لفترة انهيار الإجماع التقليدى (الأصولى) فى أواسط ستينيات القرن العشرين. وقد صك المصطلح عالم الاجتماع الأمريكى جارفينكل، الذى وضع أساس الإثنوميثودولوجيا، سواء كنظرية أو كنقد واع ذاتيا لعلم الاجتماع التقليدى برمته.

وهناك فكرتان أساسيتان فى الإثنوميثودولوجيا هما : الإشارية والانعكاسية (التأمل النقدى). الأولى تؤكد أنه ليس هناك تعريف شامل واضح لأى كلمة أو مفهوم لغوى، حيث تستمد المعنى من خلال الإحالة إلى كلمات أخرى وإلى السياق الذى يتم التحدث فيه. أما فكرة الانعكاسية فتشير إلى أن إحساسنا بالنظام هو نتيجة لعمليات محادثية، أى تتخلق أثناء الكلام. ومع ذلك فنحن نعتبر أننا نصف النظام القائم حولنا فعلا. وفى رأى أصحاب الإثنوميثودولوجيا أن وصف الموقف معناه أننا نخلقه فى الوقت نفسه. راجع المزيد فى موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق. (المترجم).

(**) التفاعلية الرمزية Interactionism نظرية أمريكية بارزة فى علم النفس الاجتماعى تركز اهتمامها على طرق تكون المعانى خلال عملية التفاعل. وهى تضع فى المحل الأول من اهتمامها تحليل معانى الحياة اليومية، عن طريق الملاحظة المباشرة اللصيقة، وزيادة درجة الألفة الحميمة مع المبحوثين، ثم تعتمد على ذلك فى الوصول إلى فهم للأشكال الأساسية للتفاعل الإنسانى. وقد تأثرت التفاعلية الرمزية تأثرا قويا بالبراجماتية وبمدرسة شيكاغو، وكتابات جورج هربرت ميد. أما المصطلح نفسه فقد صكه هربرت بلومر عام 1937. راجع المزيد فى موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق. (المترجم).

الاجتماعى فى الدراسات ذات التوجه العملى والتطبيقى التى أجراها بعض الإصلاحيين الاجتماعيين، مثل هنرى مايهيو H. Mayhew، وتشارلز بوث(*)، وراونترى(**). إذ كان هؤلاء الرجال على وعى بمشكلات الفقراء، كما سعوا لجمع البيانات بقصد تصوير مدى وطبيعة الفقر فى المدن الصناعية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. وأسهمت أعمالهم إسهاما بارزا فى تطوير طرق جمع البيانات وفى إدراك قيمة بيانات البحوث بوصفها دليلا يعتمد عليه فى دعم عمليات التغيير فى السياسة والممارسة، وفى تسليط الضوء على الوضع الذى تعيش فيه جماعات معينة من الناس.

كما تطورت فى تلك الأثناء طرق البحث القائمة على المسوح الاجتماعية الكبرى (الواسعة النطاق)، كما أن استعمالها من قِبَل الباحثين الجامعيين، والحكوميين، والقائمين ببحوث التسويق قد شهد نموا سريعًا فى النصف الثانى من القرن العشرين. وكانت الوضعية، باستعمالها للمسوح الاجتماعية الواسعة النطاق وللتقنيات الإحصائية المتزايدة الدقة؛ كانت هى الموقف الفكرى المهيمن على البحوث الاجتماعية فى منتصف القرن العشرين، كما كان يُنظر إلى الاتجاهات التى يغلب عليها الطابع التأويلى أو

(*) تشارلز بوث Ch. Booth (1840-1916) رجل أعمال ومصطلح اجتماعى من العصر الفيكتورى، أجرى أول مسح إمبيريقى مهم بعنوان "حياة وعمل سكان لندن" فى 17 مجلدا فيما بين عام 1891 وعام 1903. وباستخدام حد الكفاف كتعريف للفقر، وجد بوث - وعلى عكس ما كان يتوقع - أن حوالى 31 % ممن شملهم المسح يعيشون فى فقر. وقد كان عمله هذا أول مسح رئيسى فى علم الاجتماعى البريطانى، وأثر فى كافة الحوارات اللاحقة حول الفقر. (المترجم)

(**) بنجامين راونترى B. Rowntree (1871-1954) كان فى الأصل رجل أعمال، كما عرف - فضلا عن ذلك - كمصلح اجتماعى ومحب للأعمال الخيرية، ثم هو إلى جانب كل ذلك باحث اجتماعى كانت له اهتمامات قوية بالإدارة العمالية والصناعية وبمسألة الفقر. وفى هذا الصدد اشتهر بصفة خاصة بدراسته الإمبيريقية المفصلة عن الفقر فى مدينة يورك.

وقد قرر راونترى - متأثرا فى ذلك بدراسات بوث عن الفقر فى لندن - أن يتحقق من حجم الفقر فى مدينة يورك. وهناك نفذ أول مسح له عن الفقر فى عامى 1897/ 1898 نشرها تحت عنوان "الفقر: دراسة فى حياة مدينة" (1901).

وفيما بعد - وكان قد تبين عدم دقة بعض المفاهيم والمقاييس - أجرى بعض الدراسات عن نفس الموضوع، الثانية فى عام 1936 والثالثة فى عام 1950. وفيهما طبق مقاييس معدلة إلى حد ما، وأظهرت أن هناك بعض الانخفاض فى حجم الفقر. راجع المزيد فى موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق. (المترجم).

الكيفى باعتبار أنها اتجاهات "ليِّنة" (أو هشة) وغير علمية وتفتقد الدقة والصرامة.

وإلى جانب هذا الموقف الفكرى جرت بين العلماء الاجتماعيين مناقشات حول طبيعة النظرية الاجتماعية، كما أن المحاولات المبكرة لتطوير نظريات "كبرى" أو "عامة" كانت محلا للاعتراض والرفض على أساس ضعف جدواها كأطر نظرية للبحث الاجتماعى. والواقع أن الباحثين الاجتماعيين كانوا يستخدمون ما أسماه ميرتون (1957) "النظريات المتوسطة المدى". وعلاوة على ميرتون قدم بيرجر ولوكمان فى كتابهما المعنون "التصور الاجتماعى للواقع" (بيرجر ولوكمان، 1967) تطويرا للنظرية القائمة على أساس الاتجاه التصورى لفهم العالم الاجتماعى وعلى التأكيد على تعدد المعانى والتوجهات فى رؤية الظواهر الاجتماعية. وكان من الواضح أن الموقف الفكرى التأويلى فى دراسة العالم الاجتماعى كان مرتبطا بهذا الاتجاه الفكرى التصورى، كما أن ما يتصل بهذين الموقفين من منهجيات البحث، وطرق جمع البيانات (والتى يشار إليها عادة بأنها طرق البحث الكيفية) أخذت تتطور باضطراد ويتسع نطاق استخدامها بين الباحثين (انظر على سبيل المثال لينكولن Lincoln وجوبا Guba، 1985؛ وبوجدان Bogdan وتايلور Tylor، 1975؛ وجليزر Glazer وستراوس Strauss، 1967).

وفى أثناء عقد السبعينيات من القرن العشرين وُجهت الانتقادات كذلك إلى الفلسفة الوضعية من جانب العلماء الاجتماعيين الذين ارتابوا فى مدى سلامة استخدام الاتجاهات التجريبية فى دراسة الكائنات الإنسانية، وارتابوا - بصفة خاصة - فيما إذا كان البحث الاجتماعى الذى يتجاهل المعانى والتصورات التى تدور فى أذهان الفاعلين الاجتماعيين الذين يشملهم هذا البحث؛ ارتابوا فيما إذا كان بإمكان مثل هذا البحث أن تكون له أى جدوى فى ذاته، خاصة عند وجود تشكيلة متنوعة واضحة من التصورات التى تدور فى أذهان الأفراد بشأن المواقف والأحداث والسلوكيات المشتركة. وقد جاءت بعض الاعتراضات - على وجه الخصوص - من جانب الباحثين النسويين الذين أكدوا أن الاتجاه الوضعى العلمى يمثل فى حد ذاته فهما وتفسيرا ذكوريا للعالم الاجتماعى، وأن سيطرة المنظورات والتصورات الرجالية للعالم هى التى أدت إلى الظلم. إذ قامت الاتجاهات النسوية بتطوير نظرية ركزت على العلاقة بين الباحث والمبحوثين، كما انكبت على دراسة مظاهر التعقيد والتشابك فى خبرات النساء (انظر

علـى سبيل المثال كتـاب ستانلى Stanley المعنـون "العمل النسـوى"، 1990؛ وكتاب روبرتـس Roberts بعنوان "القيام بالبحث النسوى"، 1981). وأكد باحثون آخرون من الآخذين بمنظـور نقدى شبيه بالمنظور النسوى أن الظـروف المادية والتفاوت فى القوة لهما تأثير كبير فى حياة الأفراد وتصوراتهم، وأنه ينبغى تحليل نتائج البحوث فى ضـوء اعتبارات، منها مثلا: اعتبار العرق، والنوع الاجتماعى، والطبقة. كما ينبغى أن تُعطـى الأولويـة للتصورات التى تدور فى أذهان جماعـات الناس ذوى الخبرات والمنظورات المختلفة.

تشـكك علماء اجتماعيون آخرون فى التقسيم الأنطولوجـى الثنائى إلى موضوعية وتصوريـة، وادعوا بـأن الواقع يجمع بين كونـه خارجيا بالنسبة للكائنـات الإنسانية الاجتماعيـة وكونه " فى نفس الوقت بعدا يشتمل على ما لدينا من معرفة بالواقع حددها المجتمـع وصاغها لنـا" (دانرمارك Danermark وآخـرون، 2002). وقد أصبح هذا الموقـف يعرف باسم "الموقف الواقعى النقدى"، كمـا أن بهاشكار Bhaskar (1978)، وباوسن Pawson وتيلى Tilley (1997)، وهؤلاء أمثلة من بين مفكرين آخرين طوروا اتجاهـات بحثية تتوغل تحت السطح الظاهر للأفعال، والتنظيمات، واللغة للكشف عن الآليات والأبنية التى لا يمكن ملاحظتها مباشرة، كما تبحث هذه الاتجاهات – على نحو نقدى – كيف تمارس هذه الآليات تأثيرها على العالم الاجتماعى.

وعندما كان القرن العشـرون يقترب من نهايته، كانت المعارك الفكرية فى مجال البحـث الاجتماعى لا تزال تركز علـى طبيعة المعرفة وطبيعة البيانـات وسياقها، مع التأكيـد الفائق على أهمية علاقات القوة المرتبطة باللغة والمعنى وملكية المعرفة. وقد أكد بعضـن الباحثين على أهمية علاقات القوة داخل عملية البحث الاجتماعى نفسها وطالبوا بقدر أكبر من المساواة بـين الباحث والمبحوثين، ودعوا إلى تبنى الاتجاهات التشاركية والتعاونية فى تنفيذ البحث (انظر على سبيل المثال: ريزون Reason، 1994 فيما يتصل بموضـوع البحث التشاركـى – أى القائم على المشاركـة – وجرينوود Greenwood، 1998 فيمـا يتصل بموضوع البحوث التطبيقيـة). وتسبب ذلك فى زيادة التركيز على المنظور الفكرى للباحث، كما دعا البعض إلى الأخذ باتجاه أكثر اعتمادا على النقد وأقل حيادية، وذلك بجانب طـرق البحث التى تتناول السرد وسير الحياة الشخصية، وهى طـرق البحث التى تم تطويرهـا لتمكين المشاركـين فى البحث (المبحوثـين) من حكاية

قصصهم (انظر على سبيل المثال: بلامر، 2001، وميلر، 2000).

أما القرن الواحد والعشرون فقد أخذ يشهد تأكيدًا متزايدا على الاتجاهات التى تتسم بالمزيد من البراجماتية فى البحث الاجتماعى، التى تضع نصب أعينها هدف البحث، وقيم الباحث الاجتماعى ومنظوره الفكرى وطبيعة سؤال البحث، والبيانات المطلوبة لمعالجته. وتتزايد الدعوة إلى استخدام طرق البحث المختلطة (التى تمزج بين الطرق الكمية والطرق الكيفية) فى جمع البيانات واستخدامها، باعتبار ذلك اتجاها فى معرفة العالم الاجتماعى (انظر على سبيل المثال: كريسول، 2003).

المراجع وقراءات للاستزادة

Becker, H. (1963) *Outsiders: Studies in the Sociology of Deviance*, New York: Free Press.

Becker, S. and Bryman, A. (eds) (2004) *Understanding Research for Social Policy and Practice: Themes, Methods and Approaches*, Bristol: The Policy Press and the Social Policy Association.

Berger, P. and Luckmann, T. (1967) *The Social Construction of Reality*, London: Allen Lane.

Bhaskar, R. (1978) *A Realist Theory of Science*, Leeds: Leeds Books.

Blaikie, N. (1993) *Approaches to Social Enquiry*, Cambridge: Polity Press.

Blumer, H. (1969) *Symbolic Interactionism*, Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.

Bogdan, R. and Taylor, S. J. (1975) *Introduction to Qualitative Research Methods: A Phenomenological Approach to the Social Sciences*, New York: John Wiley.

Brechin, A. and Siddell, M. (2000) Ways of knowing, in R. Gomm and C. Davies (eds) *Using Evidence in Health and Social Care*, London: Sage.

Bryman, A. (1988) *Quantity and Quality in Social Research*, London: Routledge.

Burns, R. B. (2000) *Introduction to Research Methods*, London: Sage.

Cresswell, J. W. (2003) *Research Design: Qualitative, Quantitative, and Mixed Methods Approaches*, London: Sage.

Danermark, B., Ekstrom, M., Jakobsen, L. and Karlsson, J. C. (2002) *Explaining Society: Critical Realism in the Social Sciences*, London: Routledge.

Descartes, R. (1999) *Discourse on Method and Related Writings*, London: Penguin.

Durkheim, E. (1982) The rules of sociological method: and selected texts on sociology and its method, in S. Lukes (ed.) *Contemporary Social Theory*, London: Macmillan.

Garfinkel, H. (1967) *Studies in Ethnomethodology*, Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.

Gilbert, N. (ed.) (1993) *Researching Social Life*, London: Sage.

Glaser, B. G. and Strauss, A. L. (1967) *The Discovery of Grounded Theory: Strategies for Qualitative Research*, Chicago, IL: Aldine de Gruyter.

Greenwood, D. (1998) *Introduction to Action Research: Social Research for Social Change*, London: Sage.
Kuhn, T. S. (1970) *The Structure of Scientific Revolutions*, University of Chicago Press.
Lincoln, Y. S. and Guba, G. E. (1985) *Naturalistic Inquiry*, Beverly Hills, CA: Sage.
Marlow, C. (2001) *Research Methods for Generalist Social Work*, Belmont, CA: Brooks/Cole.
Merton, R. (1957) *Social Theory and Social Structure*, New York: US Free Press.
Miller, R. L. (2000) *Researching Life Stories and Family Histories*, London: Sage.
Pawson, R. and Tilley, N. (1997) *Realistic Evaluation*, London: Sage.
Plummer, K. (2001) *Documents of Life 2: An Invitation to Critical Humanism*, London: Sage.
Reason P. (ed.) (1994) *Participation in Human Enquiry*, London: Sage.
Roberts, H. (ed.) (1981) *Doing Feminist Research*, London: Routledge & Kegan Paul.
Schutt, R. K. (1996) *Investigating the Social World*, Thousand Oaks, CA: Sage.
Smith, B. (2003) Ontology, in L. Floridi (ed.) *The Blackwell Guide to the Philosophy of Computing and Information*, Oxford: Blackwell.
Stanley, L. (ed.) (1990) *Feminist Praxis: Research, Theory and Epistemology in Feminist Sociology*, London: Routledge.
Weber, M. (1949) *The Methodology of the Social Sciences*, New York: Free Press.
Whyte, W. F. (1955) *Street Corner Society: The Social Structure of an Italian Slum*, University of Chicago Press.
Williams, M. and May, T. (1996) *Introduction to the Philosophy of Social Research*, London: UCL Press.
Wright Mills, C. (1959) *The Sociological Imagination*, New York: Oxford University Press.

الفصل الثالث

طبيعة البيانات

محتويات الفصل

- خواص البيانات.
- استخدام البيانات بوصفها تصويرا للواقع الاجتماعى.
- هل هذه البيانات جيدة بما فيه الكفاية؟
- ما نوع البيانات التى ستجمعها وتعالجها؟
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

حاولنا فى الفصل الثانى التفكير فى النظريات التى يرتكز عليها الباحث الاجتماعى، وفى الطريقة التى يتبعها الباحثون فى النظر إلى العالم الاجتماعى وفى دراسته، كما تعرفنا على المواقف الفكرية المختلفة فيما يتصل بما يمكن معرفته عن أى ظاهرة اجتماعية. وفى هذا الفصل نتابع مهمتنا بالتفكير فى المادة - أى البيانات - التى يتعين على الباحثين الاجتماعيين أن يقوموا بجمعها ومعالجتها. وسوف ندقق النظر فى خواص البيانات وفى الأنماط المختلفة للبيانات التى قد تكون متوافرة للباحثين الاجتماعيين، ثم نقدم بعض المعايير أو المقاييس التى يطبقها الباحثون الاجتماعيون على البيانات التى يجمعونها ويعالجونها .

تمثـل **البيانات** بديلا عن الواقع الاجتماعى الذى نرغب فى دراسته. فليس بإمكاننا أن نعـرف **ظاهـرة اجتماعية** (انظر قائمـة المصطلحات) معينة ببساطـة، وإنما يمكننا الإلمام بها ومعرفتها كبيانات تمثل هذا الواقع الذى نعيشه، ونلاحظه، ونطرح الأسئلة المتعلقة به أو نحاول تفسيره. وبوصفنا كائنات اجتماعية فإننا جميعا نقوم بجمع البيانات واستعمالهـا فى كل يوم أثنـاء مشاركتنا فى الحياة الاجتماعية مـن خلال المحاورات، والقـراءة، والملاحظة (أى رصد الوقائع ودراستهـا)، والكتابة. ويتناول هذا الفصل موضـوع البيانات التى تنتجهـا الكائنات الاجتماعية فى العـالم الاجتماعى كما يتناول الطريقة التى بها يمكننا البدء بالتفكير فى جمع تلك البيانات واستخدامها، بصفتنا باحثين اجتماعيين.

ما: البيانات؟

هى مجموعـة من الحقائق (أو المعلومـات الأخـرى، كالآراء والقيم مثلا) التى يمكـن تحليلها، كمـا يمكن استخراج النتائج منها (مـع أن كلمة data هى جمع كلمة datum فإن "قاموس أوكسفورد للغة الإنجليزية" يقر أن صيغة الجمع هذه - وهى كلمة data - تستعمل عادة بوصفها مفردا، كما هو الحال فى هذا الكتاب.

تقـوم الكائنات الإنسانية بخلق كثير من الطرق المختلفة لتبادل الخبرات الاجتماعية وتبادل الأفكار، وتشكل هذه الخبرات والأفكار البيانات المتاحة لنا كباحثين اجتماعيين. وسوف تعتمد الطرق التى بها يمكننا جمع البيانات واستخدامها على اتجاهنا الفكرى فى دراسة العـالم الاجتماعى وما يمكن معرفتـه عنه (الفصل الثانى)، وعلـى أسئلة بحثنا (الفصـل الرابع)، وعلى طبيعة هـذه البيانات نفسها . . . وهذه هـى النقطة التى نمعن النظـر فيها فى هذا الفصـل. وعلى امتداد هذا الفصل ستوجد إشـارات إلى ما ورد فى البـاب الثالث من هذا الكتاب عن طرق جمـع البيانات ذات الصلة، كما تشير إلى أمثلة البيانات المستمدة من مثال «الحفلة العائلية» الذى قدمناه فى الفصل الثانى من هذا الباب.

خواص البيانات

اللغة بوصفها بيانات

عادة ما تكون البيانات التي نستعملها كباحثين اجتماعيين (وككائنات اجتماعية) فى صورة اللغة، لأن اللغة هى الوسيلة التى نملكها لفهم الواقع الاجتماعى والتأمل فيه ووصفه بالتفصيل. مثال ذلك أنه بالإمكان أن نشعر - كأفراد - بالألم شعورا بدنيا، ولكننا نحتاج إلى الكلمات لنطلق عليه فعلا اسم «الألم» ولنخبر الآخرين (ونخبر أنفسنا) أن الألم حقيقة واقعة نشعر بها. والحقيقة أن إطلاق اسم معين على شيء ما هو الذى يمنحه وجودًا ككائن حسى أو مفهوم نظرى. وقد نحتاج بعد ذلك لأن نوجد كلمات أخرى لوصف طبيعة هذا الألم ولتوصيل ذلك للأفراد الآخرين بطريقة يدركون معها أن ذلك الأمر وصف لشيء يفهمونه، وربما يكونون قد خبروه بأنفسهم من قبل.

وأحيانا ما نستعمل وسائل أخرى غير الكلمات للتعبير عما نشعر به (كالألوان، والصور، والموسيقى، والحركة، وتعبيرات الوجه، والممارسات السلوكية) فى محاولة منا للتواصل بدون كلمات. ومع ذلك فإنه فى حالة إجراء البحث الاجتماعى، فسيتم فى مرحلة ما تحويل أمثال تلك المحاولات - عادة - إلى كلمات، لأن الكلمات هى الوسائل التى بها يستعمل الباحثون البيانات، ثم يتبادلون نتائج بحوثهم وتفسيراتهم مع غيرهم من الباحثين.

النص المنطوق والنص المكتوب

يمكن للبيانات اللفظية، أو النص الشفاهى، أن يكون إما منطوقا أو مكتوبا، كما أن هناك ثمة فروقا فى طبيعة البيانات المنطوقة، والبيانات المكتوبة. فالكلام المكتوب يمكن لصاحبه أن يكتبه منفردا، ويستغرق وقتا، ويمكن تعديله وإخراجه فى صورة بارعة، بينما يقل احتمال إعداد الكلمات المنطوقة بنفس هذه الدرجة من العناية. وعادة ما نكتب وفى أذهاننا هدف ما، كأن ننقل رسالة مثلا، أو نسجل حادثة أو نشاطا، أو نلخص ما قيل من كلام، أو نعبر عن المشاعر أو الآراء. والكلام المنطوق، رغم أن بالإمكان تحضيره والتدرب على النطق بطريقة مشابهة، كأن يكون كلاما معدًا لخطبة أو محاضرة مثلا، يغلب عليه أن يؤثر فى شخص واحد على الأقل والتجاوب معه. وفى هذا الشأن قارن الروايات المختلفة التى وردت فى المثال 1-3 عن الحفلة العائلية.

المثال 3-1

بيانات الحفلة (A)

دعيت لحضور حفلة عائلية عند جدة صديقتك، وبعد الحفلة كتبت لها خطاب الشكر التالى:

عزيزتى مسز جونز

أكتب إليك معبرا عن شكرى على الحفلة التى حضرتها ليلة أمس وتمتعت بها أشد استمتاع. لقد كان جميلا أن ألتقى بك وبأعضاء أسرتك الآخرين وأن أشارك فى هذه المناسبة المهمة. لقد كان الطعام لذيذا فعلا. أتمنى لك عيد ميلاد سعيدا كل السعادة وأرجو أن تظلى فى صحة طيبة دوما. مع أطيب تمنياتى.

كيف كانت الحفلة؟

كانت الحفلة جميلة بحق، وكانت أفضل مما كنت أتوقع. كانت الجدة ودودة كما كانت تستطيب الفكاهة. لقد كان الطعام لذيذا جدا حقيقة، كما كانت المشروبات كثيرة للغاية.. لقد تناولت الكثير منها إلى حد ما.

وعادة ما يحدث الاتصال بالكلام المنطوق أثناء الحضور الجسدى الفعلى لمتلقى هذه الكلمات المنطوقة، كما يكون مرتبطا بالقدرة على قياس التأثير الذى تحدثه الكلمات المنطوقة ورد الفعل الذى يعقب هذا التأثير. وعندما توجه الكلمات المنطوقة إلى شخص آخر حاضر، فقد يكون من المحتمل استخدام كلام غير شفاهى، بما فى ذلك الصوت، كما أن المستمع يسمع الكلمات باعتبارها جزءا من حزمة اتصالية من شأنها أن تؤثر على وقع تلك الكلمات وعلى رد الفعل المترتب عليها. أما المكالمات الهاتفية فتحرم المتحاورين من رؤية هذا الجانب البصرى لرد الفعل، ويعتمد المتحدث كلية على التواصل السمعى الذى قد يحتوى على لحظات صمت وعلى تغيرات فى نغمة الصوت كذلك. وفى حالة الكلمات المكتوبة، قد يتوقع الكاتب رد فعل القارئ أو الجمهور الأكبر، أو لا يكون على دراية ببعض الأفراد الذين قد يقرؤون هذا الكلام. وبالمثل قد يكون القارئ، أو لا يكون، على بينة من هوية الكاتب، أو سماته الشخصية أو مكانته الاجتماعية.

وقد أخذنا نشهد مؤخرا امتزاج الكلام المكتوب والكلام المنطوق فى إنتاج طرق التراسل الإلكترونى، والرسائل البريدية الإلكترونية، والنصوص التى تبعث على الهاتف المحمول مثلا، حيث يستعمل قالب (فورمة أو صيغة) مكتوب على نحو يلتزم الأعراف والمصطلحات الأشيع استعمالا فى الكلام المباشر، كما يحتوى على الصور التى تعبر عن بعض الانفعالات المعينة (الأيقونات الانفعالية emoticons) (انظر المثال 3-1). وتعنى التطورات التكنولوجية الأخرى فى مجال الاتصال - ضمن ما تعنيه من دلالات - أن الاتصال يحدث باستعمال الإنترنت وغيرها من الأنظمة التى تمكن الأفراد من كل من الاستماع لبعضهم البعض ورؤية بعضهم لبعض حتى لو كانوا موجودين فى بقاع جغرافية مختلفة.

فكر فى هذا الموضوع . . .

خصائص البيانات (1)

- عادة ما يكون النص المكتوب أكثر تقنينا وأكثر خضوعا لإعمال النظر من النص المنطوق.
- عادة ما يكون النص المنطوق أكثر حساسية وتجاوبا مع جمهور المستمعين.
- كثيرا ما يضاف إلى النص المكتوب ما يعززه من وسائل الاتصال غير اللفظى التى يراها المستمع.

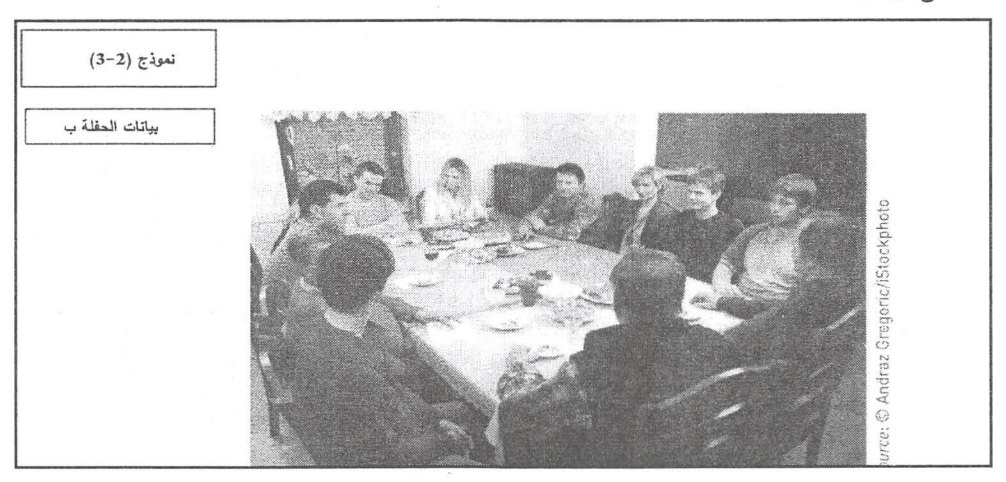
الاتصال غير اللفظى

كذلك يتم التواصل بشكل غير لفظى، كما يمكن أن يكون هذا الشكل من الاتصال متاحا لنا باعتباره بيانات يتم ملاحظتها (انظر الفصل 6 من الباب 3) على الرغم من أن عملية تحويل التعبيرات غير اللفظية عن الواقع الاجتماعى إلى بيانات تشتمل على تحويلها إلى كلمات ملفوظة أو صريحة. ويعنى الاتصال غير اللفظي ببساطة أنه لا يستخدم الكلمات، وإنما تستخدم فيه وسائل أخرى (وعادة ما تكون وسائل بصرية،

وسمعيـة أيضا). وقد يشتمل الاتصال غير اللفظى علـى تعبيرات الوجه، والأصوات التـى ليست كلمـات، والصـور المرسومـة بالأقـلام أو اللوحات الزيتيـة، والصور الفوتوغرافيـة، والسلوك، والحركة، والأصوات غير البشرية، كالموسيقى وغيرها. وكما هو الحـال مع البيانات اللفظية، نحتاج كباحثين اجتماعيـين إلى إعمال الفكر فيما يلى:

- ما الذى يريد الشخص أن يقوله أو يعبر عنه؟
- لماذا اختار هذه الوسيلة للتعبير عما يريد قوله؟
- ماذا كان وقع هذا الكلام على الطرف المتلقى؟

مثال 3-2



فكر فى هذا الموضوع . . .

اكتـب وصفا لفظيـا موجزا لهـذه الصـورة الفوتوغرافية. ما الـذى تتصور أن الشخص الذى التقط هذه الصورة أراد أن يقوله أو يعبر عنه؟

قد تكون إحدى الصــور الفوتوغرافية لحفلة عائلية مفيدة كبيانات بصرية من حيث محتـوى هذه الصورة باعتبارهــا تسجيلا للحظة من الزمن (حيـث قد تحتوى -مثلا- على عدد الأفراد الذين كانوا مدعوين للحفل، وماذا كانوا يفعلون آنذاك)، وكذلك من حيث التفكير فى معنى الصورة الذى دار فى ذهن الشخص الذى التقطها.

فكر فى هذا الموضوع . . .

خواص البيانات (2)

- عادة ما يتم تفسير التواصل غير اللفظى باستعمال الكلمات.
- كثيرا ما يكون الاتصال غير اللفظى مصحوبا بكلام منطوق.
- يعتمد الاتصال غـير اللفظى على التصورات الشائعة والمشتركة، كما هو الحال مع الاتصال اللفظى.

العبارات الواقعية والعبارات التقييمية كبيانات

قـد تكـون البيانات واقعيـة، أى واضحة ومتاحـة للملاحظة أو يـدلى بها صاحب المعرفة:

مثال ذلك: أنا أنثى، وعمرى 30 سنة، وأعيش فى المملكة المتحدة منذ سنة 2000.

أو قد تكون مثل هذه العبارات مصحوبة بتقييم معين:

مثــال ذلك : أنا شابة، سعيدة بكونى امرأة، كما أنى سعيدة لأننى جئت للمعيشة فى المملكة المتحدة.

البيانات الواقعية

يشــار إلى البيانــات التى قد تمثل بصورة مباشرة ما يمكــن ملاحظته، بأنها بيانات واقعيـة. مثال ذلـك أننا نستطيع أن نلاحظ (فى العادة) مــا إذا كان شخص ما ذكرا أو

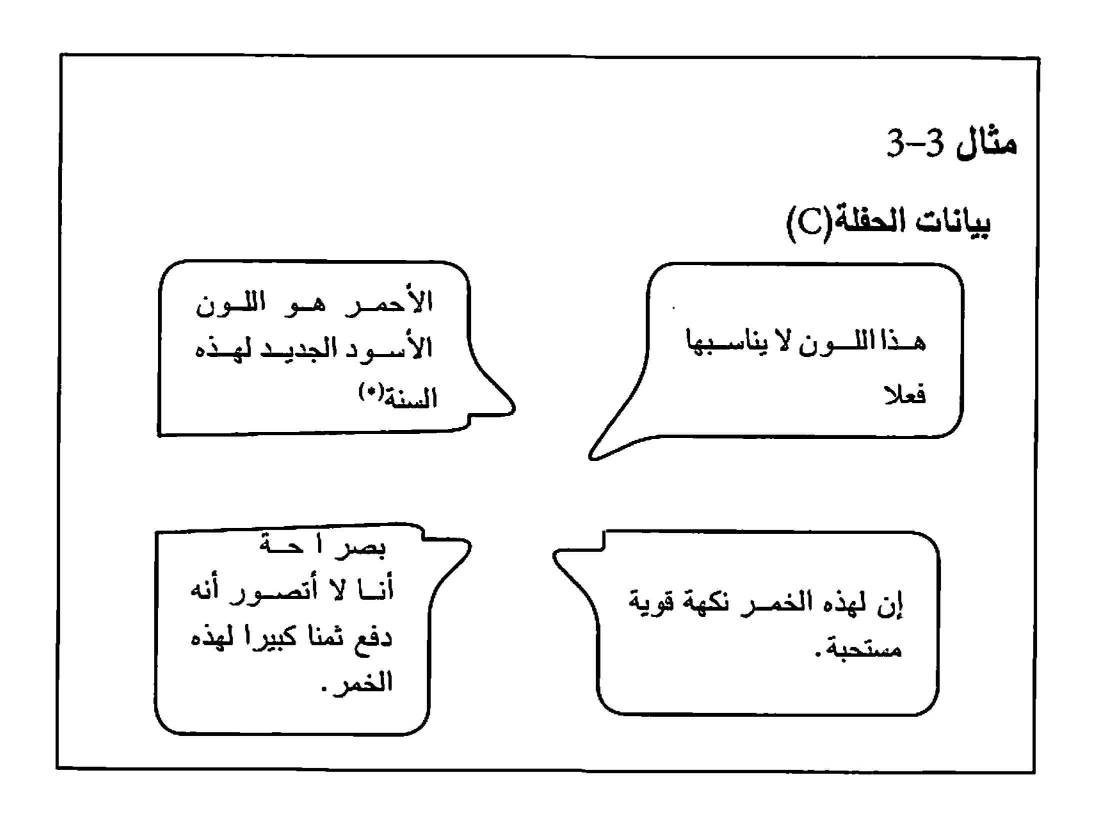
أنثـى ، ونستطيع أن نعد كم رجـلا وكم امرأة كانوا حاضرين فـى الحفلة العائلية. فى هـذه الحالة تعتمد البيانات التى نجمعها على نوع من الملاحظة التى تعتمد على الفوارق الحسية الملحوظة بين الذكر والأنثى وعلى قدرتنا على عد أو حساب عدد كل من الذكور والإناث .

وبإمكاننـا أن نجمع المزيد من المعلومات وفقا لاعتبارات مشابهة، وذلك من قبيل : كـم عدد كئوس الشراب التى تناولها كل شخص من المدعوين أو كم عدد النساء اللائى كن يرتدين فساتين حمراء؟ ومع ذلك، فإننا قد نجد أنه إن طلبنا من اثنين من المشاركين أن يقومـا ببحـث ما، وقـام كل واحد منهما بجمـع هذه البيانـات، فإنهما قـد يأخذان باتجاهين مختلفين، كما قد يوجد بعض التضارب أو التباين فى نتائج بحثيهما، من ذلك أن أحدهمـا قد يلجأ إلى اتخاذ موقع لنفسه بجوار زجاجات المشروبات ويدون ملحوظة فى كل مرة يأتى فيها شخص ليملأ كأسه. وقد يذهب المشارك الآخر فى نهاية الحفلة إلى كل شخصـ من الحضور، ويسألهم كم عدد كئوس الشراب التى تناولها كل منهم. فى الحالة الأولى لا نستطيع أن نتأكد مما إذا كان كل شخص قد احتسى فعلا الشراب الذى أفرغـه فى كأسه. وفى الحالـة الثانية نعتمد على ذاكرة الفـرد وأمانته. فإن كنا نسعى إلى الحصول علـى معلومات واقعية دقيقة، فسوف نحتاج لإيجاد طريقة مختلفة لقياس المقدار الذى تم تناوله من الشراب.

وعنـد حساب عدد الحاضرات من النساء اللاتـى يرتدين فساتين حمراء، فقد يتفق هذان الباحثـان المشاركان على فساتين بعض النساء، ولكنهمـا يختلفان عندما يعرض لهمـا ثوب هو مزيج من الألوان، أو يكون فـى نظر أحدهما قرنفلى اللون. فإن أردنا معلومـات واقعية صحيحـة، فسيحتاج هذان الملاحظان إلى الاتفـاق على المعيار الذى يستخدمانه لتقرير ما إذا كان ثوب ما أحمر اللون أم لا.

العبارات أو الأحكام التقييمية

قـد يريد هذان الباحثـان كذلك أن يكتشفا ما إذا كان بعضـ الحاضرين قد استمتعوا بالشـراب أم لا، ومـا إذا كان البعضـ الآخر من الحاضرين يـرون أن هذه الفساتين الحمراء تظهر النساء اللاتى يرتدينها أكثر جاذبية وأناقة أم لا. من الراجح وجود آراء مختلفة بشأن هاتين المسألتين، كما أن البيانات التى يتم جمعها ستكون فى شكل **عبارات تقييمية** (انظر قائمة المصطلحات) تشبه العبارات الواردة فى المثال 3-3.



تعتبر هذه العبارات إشارات دالة على رأى كل شخص، كما أن هؤلاء الأشخاص يستخدمـون حكمهم ومعاييرهم ليشرحوا للباحثين كيـف يقيّمون الخمر (أو الشراب)، وكيف يقيّمـون الفساتين الحمراء. وقد يرغب أحد الباحثـين الاجتماعيين فى اكتشاف عدد الأفراد الذين يتبنون آراء مشابهة، لكن من المرجح أيضا أن يرغب فى استكشاف هـذه الآراء بمزيد من التعمق بدلا مـن قبولها على ما هى عليه فى ظاهر الأمر، وذلك ليكتشف أى المعايير يستعملها الأفراد عندما يصدرون حكما ما، وما مدى قوة اعتقادهم فـى رأى مـا، وكيف يصل الأفـراد إلى وجهـات نظرهم هذه؟ ولمـاذا يؤمنون بهذه الآراء؟

فكر فى هذا الموضوع . . .

خواص البيانات (3)

- تعتمد البيانات الواقعية على ما هو متفق عليه من التعريفات والمعايير والمقاييس.
- غالبا ما تحتاج العبارات التقييمية إلى المزيد من الاستكشاف بغرض الاهتداء إلى كيف ولماذا قيلت هذه العبارات أو أصدرت هذه الأحكام.

بناء البيانات وتصنيفها

يمكن تنظيم البيانات وتصنيفها لكى تفى باحتياجات معينة. فعندما نصف حدثا ما لبعض الأفراد الآخرين نقوم - فى العادة - باختيار وصياغة البيانات التى نتقاسمها معهم عن هذا الحدث بطريقة من شأنها أن تساعدهم على فهم طبيعة هذا الحدث رغم أنهم لم يكونوا حاضرين أثناء وقوعه. وقد ينظم بعض الباحثين بياناتهم وفقا لترتيب زمنى معين، ويقدمون وصفا أو بيانا لما حدث ساعة بعد ساعة، أو يوما بعد يوم. وقد يركز البعض على جانب من الحدث ويشرحه بالتفصيل قبل الانتقال إلى وصف الأوضاع المحيطة والسياق، أو قد يبدؤون باستعراض السياق والموقع حتى يستطيع المستمع أن "يكوّن صورة" للحدث. وقد يروى غيرهم قصة اشتراكهم فى الحدث، وماذا كانوا يفعلون، وكيف كانوا يشعرون، وما أشبه ذلك. وهناك من يعمد إلى استخلاص بعض الحقائق الأساسية عن الحدث، وعدد الأفراد الذين شهدوه، وطول الوقت الذى استغرقه الحدث، والأنشطة التى اشتمل عليها ونحو ذلك، ثم يقدمون هذه الحقائق لمن يستمع إليهم. ألق نظرة على المثال 3-4 الذى يحتوى على أربع روايات تصف الحفلة العائلية.

مثال 3-4

بيانات الحفلة (D)

1- كان يوجد حوالى أربعين شخصا فى الحفلة، وكان عدد الرجال مساويا لعدد النساء، وكان معظمهم تحت سن الثلاثين. أثناء الجزء الأول من الأمسية كان الأفراد من كبار السن جالسين يتسامرون بينما كان الشباب يرقصون. ثم قمنا فى الساعة التاسعة لتناول وجبة طعام فى البوفيه ونشرب نخب الاحتفال بالجدة الكبرى التى كان عيد ميلادها يوافق ذلك اليوم.

2- كان منزلا بديعا به حجرات فسيحة متصلة ببعضها، بحيث كنا نستطيع أن نسمع الموسيقى فى حجرة، بينما كان الآخرون يستطيعون أن يجدوا ركنا هادئا يتسامرون مع بعضهم فيه، وذلك بجانب وجود حجرة أخرى كانت جميع أنواع الطعام معدة فيها ليتناولها الحاضرون. وكان منظر الطعام رائعا فعلا، فهو مأدبة بكل معنى الكلمة، فضلا عما كان يقدم معه من مقادير كبيرة من الشراب . . .

3- قضيت وقتا رائعا. تعرفت على عدد كبير من الأفراد الجدد، ومن أقارب صديقتى الذين لم يسبق لى الالتقاء بهم من قبل. كان لها كثير من أبناء وبنات العمومة والخؤولة فى نفس العمر، وكان بعضهم طلابا فى الجامعة أيضا. قابلت "سايمون" الذى يدرس علم الاجتماع مثلى، لذلك أخذنا نعقد المقارنات الخاصة بملاحظاتنا التى لفتت نظرنا فى الحفلة.

4- كانت حفلة مقامة للاحتفال بعيد الميلاد التسعينى للجدة الكبرى لصديقتى، لذلك كانت مناسبة عائلية حقا بما حوته من عدد كبير من الأقارب والأصدقاء من كل الأعمار. كانت الجدة سيدة مسنة جذابة، كما كان من الواضح فعلا أنها استمتعت بحضور كل أفراد عائلتها فى هذا المكان للاحتفال بها . . .

إن ما نكتبه من تقارير تصف ظاهرة اجتماعية ما أو خبرة اجتماعية معينة يمكن أن تصنف أو تنظم بعدة طرق مختلفة وبدرجات مختلفة أيضا. فالتقرير المكتوب ليقدم إلى أحـد المديرين يكون بطبيعة الحال أكثر تنظيما من المحـاورة العفوية مع أحد الأصدقاء مثـلا، وذلك حينما يكون من المحتمل أن ننتقل من موضوع لآخر بطريقة غير منتظمة إلى حد ما.

فكر فى هذا الموضوع . . .

فكر فى حدث شهدته مؤخرا وحاول صياغة تقريرك عن هذا الحدث بعدة طرق مختلفة.

كمـا سنرى فى البابين الثالـث والرابع من هذا الكتاب، يمكـن للباحث الاجتماعى أن يختـار طريقة تنظيم البيانات التـى قام بجمعها، وذلك باستخدام عدة أدوات مختلفة فى جمع البيانـات (الفصل 1 من الباب 3)، والتى منها مثلا الاستبيانات (الفصل 3 من الباب 3)، والمقابلات (الفصل 4 من الباب3) والسبيل الآخر أن يستخدم تقنيات تحليلية مختلفـة لمعالجة البيانات المقننة والبيانات شبه المقننـة والبيانات غير المقننة (الفصل 2 من الباب 4). وسوف نناقش هذه النقطة بمزيد من التعمق فى الفصل الرابع من هذا الباب فى سياق حديثنا عن البحوث الكمية والبحوث الكيفية.

فكر فى هذا الموضوع

خواص البيانات (4)

- معظم البيانـات يمكن تنظيمها وتصنيفها بمعرفة الشخص أو الجماعة التى قامت بجمعها.
- البيانات التى تصور ظاهرة اجتماعية معينة يمكن تنظيمها وتصنيفها بعدة طرق مختلفة.
- البيانات التى جمعهـا الباحث الاجتماعى يجرى تنظيمهـا وتصنيفها -بدرجات مختلفة - بمعرفة الباحث على اعتبار ذلك جزءا من عملية جمع البيانات.

البيانات : المحتوى والمعنى

يتـم تنظيم البيانــات وتصنيفها بمعرفة فـرد أو جماعة. ويتم إعـداد التقرير الذى يصف حدثـا ما أو خبرة معينة بمعرفة مقدم التقرير الذى لا يقتصر عمله على تحديد ما هى المعلومات التــى يُضمنها تقريره فقط، بل يحدد أيضا كيف ستعرض البيانات، وما الجوانب التى سيتم إبرازها والتأكيد على أهميتها، وما الجوانب التى يتقرر حذفها، وما إذا كان الحـدث سيعرضــ بصورة معينة أم لا (مثال ذلـك : هل كان هذا الحدث مثيرا للاهتمــام ؟ أم كان مدعــاة للإحباط؟). ومن المحتمل أن تشتمـل البيانات على كل من العبـارات الواقعية والتقييمية، وأن تدخـل فى حسبانها المستمع أو الجمهور المتلقى. يتم اختيـار اللغة التى يستعملها المتكلم أو الكاتب (على مستـوى الشعور أو على مستوى ما تحت الشعور) لتقديم تقرير محدد عن هذا الحدث.

يكون القدر الأعظم من البيانات التى يتم تبادلها بين الكائنات الاجتماعية إما منطوقا أو مكتوبا باستعمال لغة تعد مفهومة للجميع، ولو بدرجة معينة على الأقل. فنحن نتحدث أحيانــا عن أفراد "لا يتكلمــون نفس اللغة" عندما نقصد القول إنهـم لا يفهمون بعضهم حتى لو كانوا كلهم يتكلمون الإنجليزية. فاللغة ليست مكونة من مجرد كلمات (فصيحة) لهــا تعريفات بالقاموس يستعملها كل امرئ بشكل دقيق. بل إن الكلمات تستعمل لتبادل المعانــى والتصورات التــى يكون بعضها مشتركا وسهل الفهـم، ويكون بعضها الآخر على غير هذه الصفة. كما أن الكلمات تستعمل بطرق مختلفة من قبل الجماعات المختلفة مــن الناس، وفى الأماكــن والأزمنة المختلفــة. ويمكن حدوث صور مــن سوء الفهم بــين الأفراد الذيــن يفهمون اللغة التى تستعمل بطرق مختلفــة. ويمكن للغة أن تستعمل لاستبعــاد مــن لا يفهمون الكلمات الشائعة. أما الأمر الذى يمثــل تحديا مضاعفا لنا فهو أننا - كباحثين اجتماعيين - نقوم كذلك باستخدام اللغة فى معالجة البيانات التى جمعناها وفى تفسيرها وشرحها. لذلك تعد طبيعة اللغة قضية إشكالية بقدر ما هى قضية محورية فى عملنا.

والغالب ألا يقتصر اهتمامنا - كباحثين اجتماعيين - على مضمون ما يقوله الأفراد أو يكتبونه، أى العبارات المواقعية والتقييمية، بل نهتم كذلك بالطريقة التى يستعمل بها الأفــراد اللغة ليشرحوا تصوراتهم ومقاصدهم التــى يرمون إليها. حاول إمعان النظر

فـى الطرق المختلفة لاستخدام كلمة "العائلة" فى البيانات الواردة فى المثال 3-5. وفى كلا الحالتين نحتاج إلى تأمل الطريقة التى تستعمل بها هذه الكلمة، والمعانى والتصورات التـى تشتمل عليها كلمة العائلـة، والطريقة التى آل بها أمر المتحـدث فى استعمال هذه الكلمة بتلك الطريقة المعينة.

مثال 3-5

بيانات الحفلة (E)

1 - كانت حقا حفلة "عائلية"، فقد كان كل من فيها أقارب لبعضهم.

2 - جرى قدر كبير من الأمور "العائلية" التى لم أفهمها فى الواقع.

3 - كانت الحفلة تتمتع بوجود إحساس "عائلى" جميل بها، لقد شعرت بحق أننى جزء منها.

فكر فى هذا الموضوع . . .

مـا هو فى تصورك معنـى كلمة "العائلة" فـى نظر المتحدث فـى كل عبارة من العبارات الثلاثة الواردة فى المثال 3-5.

والمعـروف أن اللغـة تُستخدم وتُفهـم بصور مختلفة عـبر الثقافات وعلـى امتداد الأزمنة، مثال ذلك أن كلمة "العائلة" قد تشتمل على تصورات وخبرات مختلفة بالنسبة لرجلين يعيشان فى المملكة المتحدة فى القرن الحادى والعشرين إذا كان أحدهما من طائفة "السيـخ"(*) وكان الآخر من أبناء جزر الكاريبى السود (انظر الفصل الخامس من هذا الباب للاطلاع علـى مناقشة لموضوع البحث الاجتماعى كقضيـة ثقافية). ولاكتشاف كيفية استعمال هذه الكلمة، لابد أن نعلم المزيد عن المتحدثين بها، وعن خبراتهم، وعن تصوراتهم.

(*) جماعة دينية بالهند وباكستان، يبلغ تعدادها حوالى عشرين مليون نسمة، يقطن أكثرهم فى البنجاب. تأسست الديانة فى القرن السادس عشر الميلادى، ونادت بالتوحيد والتقارب الأساسى لجميع الأديان. تحولت بعد وقت غير طويل إلى جماعة محاربة، وأدخلت عليها عادة لبس العمائم وعدم حلق الشعر. (المترجم)

فكر فى هذا الموضوع . . .

خواص البيانات (5)

- يمكن أن تحتوى البيانات على المعانى والتصورات التى يتم التعبير عنها بالكلمات (ومن خلال الاتصال غير اللفظى).
- يمكـن أن تحتوى البيانات على الطريقة التى تستعمل بها اللغة على ألسنة مقدمى البيانات، وهم يستعرضون ما فى أذهانهم من المعانى والتصورات.

البيانات التى يقدمها الأفراد أو الجماعة

يمكن أن يقدم البيانات أفراد أو جماعات من الأفراد. فبوسع الفرد أن يصف حدثا أو خبرة (وصفا منطوقا أو مكتوبا، وفى قالب لفظى وغير لفظى) لأفراد آخرين يشكلون جمهورا يستمع إليه. وقد يتأثر وصفه للواقع الاجتماعى بالأفراد الذين يتحدث إليهم أو يكتـب لهم، وبالسيـاق الذى تقدم فيه هذه البيانات. وفى أوضـاع أخرى، قد يتعاون أفـراد جماعة معينة فى تقديم البيانات، على نحو ما يحدث مثلا فى إحدى المحاورات، أو المناظرات أو أحد اللقاءات، أو عندما نعمل معا فى دراسة وثيقة، أو خطبة أو عرض مسرحـى. فالبيانات يتم إنتاجها فـى ثنايا تفاعل الأفراد مع بعضـ، وعندما يتبادلون الآراء والوقائـع أو عندمـا يعترضـون ويتشككون فى هـذه الآراء والوقائع، وعندما يتفقـون وعندما يختلفون. وبينما يكـون للفرد سيطرة أكبر علـى البيانات التى يقدمها بنفسـه، فإن التفاعل مع الآخريـن، والاستماع إلى آراء وخبرات الآخرين أحرى أن يؤثر علـى إسهامه فيما تنتجه الجماعة من بيانات. ذلـك أن جزءا من الخبرة والمعرفة الشخصيـة للفـرد قد يكون خفيا أو محجوبا، كما قد يتجاهـل أعضاء الجماعة الآخرون جانبـا آخر من هـذه المعارف والخبرات الشخصية، كما قد يكون جـزءا ثالثا منها مبنيا علـى ما قدمه الآخرون وما طوروه. وقد تصبح بعض البيانات التى كانت فى الأصل تخصـ فردا معينا -بعد فترة- غير مقصورة على هذا الفرد وحده، ومن ثم تنسب إلى مجمـل البيانـات التى تنتجها الجماعة. ذلـك أن قدرا كبيرا من البيانـات التى نستعملها يوميـا بوصفنا كائنات اجتماعية تعـد بيانات من إنتاج الجماعة أكـثر من كونها بيانات أنتجها الأفراد.

المثال 6-3

بيانات الحفلة (F)

لـورا وصديقهـا سام وابنة عمها راشيـل يناقشون موضوع الحفلـة العائلية التى أقيمت بمناسبة عيد الميلاد التسعيني للجدة الكبرى للورا وراشيل .

لورا: أرى أن الحفلة لم تكن سيئة إذا راعينا أن . . .

سام : لقد استمعت بها فعلا .

راشـيل : لقد كان شيئا جميلا أن أرى الجدة الكبرى تستمتع إلى هذا الحد البعيد. إنهـا تحب حقا أن يكون لها كل هذه العائلة، كمـا أن الأمر جدير بإقامة هذه الحفلة لمجرد رؤيتها وهى سعيدة.

لـورا: نعم، ولكـن كان ينبغى عليك أن تفكرى فى أنـه كان بمقدروهم أن يأتوا بفرقـة أفضل لعزف الموسيقى، وفى كل هؤلاء العجائـز الجالسين فى ذاك الركن يتحدثون عن الأيام الخوالى، وفى كل هذا العدد الضخم من أفراد العائلة.

راشـيل: أهذه هـى صورة العائلات فـى نظرك؟ إننا لا نقيم مثـل هذه الحفلات كثـيرا، وإنه لأمر طيب أن أظفر برؤية سام وألتقـى به، وأن أرى الطفل الجديد الذى أنجبته جوان وأن . . .

لـورا: ولكنها لا تعدو أن تكـون عائلة، وبصراحـة أنا لا يعنينى أبـدا أن أرى بعضهـم فيما بعد ذلـك، وأقصد بذلك أنه لا توجـد أى آراء أو ميول مشتركة بينى وبين جوان.

سام: أرى أن الطفل كان جذابا فعلا.

راشيل: إنه لأمر طيب – فى تقديرى– أن تلتقى العائلات معا، وإن هذه الأنواع من المناسبات لهى مناسبات مهمة حقا، إنها أمر جرت به التقاليد.

لورا: كفاك خداعـا. أتقولين كل هذا الكلام عن الحفلة التـى قدمنا منها، وكيف تمتعنـا جميعا بها، وعن هؤلاء الأشخاص غريبـى الأحوال الذين لا نتحدث عنهم .. كل ما فى الأمر أننى لا أريد أن أعرفهم .

سام: أتمنى أن تكون لى عائلة كعائلتك . . .

راشيل : أهذا رأيك؟ ما أطيبه من رأى. ها هو إنسان يتفق معى فى الرأى . . .

فكر فى هذا الموضوع . . .

بالنسبة لكل المشاركين فى المناقشة الجماعية المذكورة التى أوردناها فيما سبق، ما الذى عرفته عما يقصدونه بكلمة «العائلة»؟

قد نهتم – كباحثين اجتماعيين – بالطريقة التى بها يقدم الأزواج (الذين تربطهم علاقة الزواج، أو الخطوبة، أو الحب) أو الجماعات وصفا لظاهرة اجتماعية معينة معا (انظر الفصل 5 من الباب 3) بما فى ذلك النقاط التالية:

- كيف يتم إثراء المناقشة بالمعلومات، والخبرات، والمنظورات المختلفة.
- كيف يتفاعل الأفراد مع بعضهم بعضا، ومن الذى يأخذ زمام المبادرة، ومن الذى يسهم بالقدر الأكبر ومن الذى يسهم بالقدر الأقل.
- ما الكلمات المستخدمة، وما التصورات المشتركة التى تبدو واضحة فى الكلمات المستخدمة.

فكر فى هذا الموضوع . . .

خواص البيانات (6)

- البيانات التى تقدمها جماعة معينة تشتمل على البيانات المرتبطة بالطريقة التى بها يتفاعل أعضاء الجماعة مع بعضهم بعضا.
- تعد البيانات التى تقدمها جماعة ما بيانات جماعية وليست مجموعة من البيانات الفردية.

البيانات التأملية (النقدية)

ويقصد بها البيانات التى يقدمها الأفراد أنفسهم عندما يفكرون فيما يفعلون، وفيما يعايشون من خبرات وما يشعرون به من أحاسيس، وعندما يحاولون أن يفهموا واقعهم الاجتماعى. ويجلب الباحثون الاجتماعيون، بوصفهم كائنات اجتماعية تمثل

جـزءا من العـالم الاجتماعى الذى يدرسونـه؛ يجلبون إلى بحوثهم بعضـ ما يخصهم شخصيا من سيرة ذاتية وخبرات ومشاعر وجدانية فتختلط بالبيانات التى يلاحظونها، ويسمعونهـا ويستخدمونها. كما أنهم يستطيعون أن يتأملوا فى الطريقة التى بها يفهمون مـا يقومون هم أنفسهم بعمله ومعايشته كباحثين اجتماعيين. ومن الممكن أن تشتمل هذه **البيانـات النقدية** (انظر قائمـة المصطلحات) على مشاعر الباحـث وخبراته الشخصية المتعلقـة بموضوع البحـث، وعلى تفكيره فـى القضايا المتضمنـة، وردود أفعاله تجاه مبحوثيه وبيانات بحثه، وكيفية اتخاذه القرارات المتعلقة بجمع البيانات وطرق تحليلها. وقـد تسجل هذه الأفكار التأملية النقدية فى صورة ملاحظات بحثية أو فى دفتر يوميات البحث وتناقش تحت إشراف المسئول عن البحث. كما أنها قد تُحلل تحليلا نقديا جنبا إلى جنب البيانات الأخرى للبحث الاجتماعى.

فكر فى هذا الموضوع . . .
خواص البيانات (7)
• البيانات التأملية النقدية بيانات يقدمها الباحث الاجتماعى.
• البيانـات التأمليـة النقدية يمكـن أن تشتمل على تفكير الباحـث، وتصوراته، وأفعاله المرتبطة ببحثه.

البيانات الأولية والبيانات الثانوية

يمكن للباحثين الاجتماعيين أن يعالجوا البيانات التى جمعوها خصيصا للبحث الذى يقومون بإجرائه، وتسمى: **البيانات الأولية** (انظر قائمة المصطلحات)، والبيانات التى سبق أن قدمها غيرهم من الباحثين، وهى: **البيانات الثانوية** (انظر قائمة المصطلحات).

ويتم جمـع البيانات الأولية بمعرفـة الباحث الاجتماعـى باستعماله لإحدى طرق جمـع البيانات التى تتلاءم مع نمط البيانات التى يجـرى جمعها. ويجد القارئ مناقشة مفصلـة لطائفـة من طرق جمع البيانات فى الفصول مـن 3 إلى 9 من الباب 3. وتجمع البيانـات الأولية خصيصا من أجل مشـروع البحث الاجتماعى باستعمال طريقة لجمع

البيانات يكون الباحث قد اختارها وفضلها على غيرها، وباستعمال أداة لجمع البيانات، كالاستبيـان أو دليل المقابلة مثلا، والتى يصممها الباحث فى العادة (قد يستعمل الباحث أحيانا استبيانا أو أداة أخرى صممها باحث آخر إلا أنه يراها مناسبة لبحثه هو).

ويوجد عدة أنواع من البيانات الثانوية نذكر منها :

1 - البيانـات التى جمعها باحث اجتماعى آخـر باستعمال إحدى طرق جمع بيانات البحـوث، كالاستبيان أو المقابلـة مثلا. وبهذا الشكل تكون هـذه البيانات متاحة لإجراء مزيد من التحليل عليها.

2 - البيانـات التى تجمعها الحكومة أو منظمة أخرى لأغراضها البحثية أو أغراضها الخاصـة بتسجيل البيانات، كبيانات التعدادات السكانية، وبيانات المرضى الذين يعالجون فى المستشفيات.

3 - البيانـات التى يتم إنتاجها أثناء ممارسة إحـدى المنظمات لنشاطها المعتاد، ومنها مثلا: وثائق الشرطة، أو الوثائـق القانونية، أو "سجلات الحالات" التى يكتبها الأطبـاء عن مرضاهم أو التى يكتبهـا الأخصائيون الاجتماعيون عن عملائهم. وهنا تكون هذه البيانات قد أنتجت من أجل غرض معين، كما أنها قد تكون أو لا تكون متاحة لاطلاع عموم الناس عليها.

4 - البيانات التـى ينتجها الأفراد أو الجماعات بوصفها وسيلتهم الشخصية للتواصل فيمـا بينهم، مثال ذلك: الخطابـات، والمذكرات الشخصيـة (اليومية)، وقصائد الشعـر، والأعمال الفنية، وأفلام الفيديو. ويقال عن هـذه البيانات أيضا إنه تم إنتاجهـا من أجل غرض معين. كما أنها قد تكون، أو لا تكون، متاحة لاطلاع عموم الناس عليها.

وعلـى الرغـم من أن البيانات الثانويـة لم تكن منتجة فى الأصل مـن أجل الباحث الاجتماعـى، فإنـه سوف يتعين عليـه أن يُعمل عقله فى الكيفية التـى بها تم اختيار هذه البيانات، وجمعها، وتحليلها، كما يلزمه التفكير فى الكيفية التى سيتبعها هو نفسه مستقبلا فـى الاختيار من بين هذه البيانات وفى استعمالها. وسوف نتأمل فيما بعد (فى الفصل9 من الباب 3، وفى الفصل2 من الباب4) بمزيد من التعمق كيف يمكننا أداء مهمتين معا:

كيف نجمع البيانات الثانوية، وكيف نستخدمها. كما سنتعمق فى بحث القضايا الخاصة التى يثيرها استخدام الباحث الاجتماعى للبيانات التى لم تكن قد جمعت بوصفها جزءا من البحث الذى يجريه، والقضايا المتعلقة بمعالجته لأسئلة بحثه هذا.

> **فكر فى هذا الموضوع . . .**
>
> **خواص البيانات (8)**
>
> • يتم جمع البيانات الأولية بمعرفة الباحث خصيصا بقصد معالجة أسئلة البحث.
>
> • يتم جمع البيانات الثانوية بمعرفة أطراف أخرى من أجل تحقيق بعض الأهداف البحثية أو غيرها من الأهداف.
>
> • يتم جمع البيانات الثانوية من أجل تحقيق أهداف أخرى غير هدف معالجة الأسئلة التى يطرحها الباحث.

استخدام البيانات بوصفها تصويرا للواقع الاجتماعى

يهدف هذا الفصل إلى تعريفك بمجموعة من أنماط البيانات التى نتعامل معها يوميا بوصفنا بشرا، وهى بيانات متاحة للباحث الاجتماعى باعتبارها قابلة الجمع والمعالجة من أجل دراسة الظواهر الاجتماعية. ويمثل هذا الفصل همزة وصل بين التفكير فى النظرية التى ينطلق منها البحث الاجتماعى على نحو ما عرضنا فى الفصل الثانى من هذا الباب، وهو تمهيد - فى الوقت نفسه - للانتقال إلى تطوير أسئلة البحث (فى الفصل 4 من هذا الباب) ثم إلى عملية تصميم البحث (فى الفصلين 3و 4 من الباب 2 من هذا الكتاب). وقد تعرفنا فى الفصل الثانى من هذا الباب على بعض الطرق المختلفة لمعرفة العالم الاجتماعى، وسوف يتضح لنا بكل جلاء أن كل موقف معرفى (من المواقف التى عرضناها لها فى الفصل الثانى من هذا الباب) سوف يتطلب الحصول على أنماط مختلفة من البيانات وعلى طرق متباينة لمعالجتها. ونلاحظ - على وجه الخصوص - أن البحث الذى يتبنى توجها وضعيا من الأرجح ألا يتعامل أساسا إلا بالمادة التى تمثل حقائق أو قيما يمكن ملاحظتها، وقياسها، وعدّها. ويطلق على هذا التوجه فى البحث

الاجتماعى – فى العادة – اسم الاتجاه **الكمى**، وسوف نشرحه تفصيلا فى الفصل 4 من الباب 2. أما الباحث الذى يتبنى توجها تأويليا فسوف يحرص على جمع البيانات التى من شأنها أن تسمح له بفهم المعانى والتصورات المنسوبة للظاهرة الاجتماعية محل الدراسة وتفسيرها. وهو يحقق ذلك عن طريق مراعاة أسلوب تنظيم البيانات وطبيعة اللغة المستخدمة فى سياق اجتماعى معين. ويعرف هذا الاتجاه فى البحث الاجتماعى – عادة – بالاتجاه **الكيفى**، وسوف نناقشه تفصيلا فى الفصل 4 من الباب 2. وقد زادت مؤخرا أعداد الباحثين الاجتماعيين الذين يعتمدون فى تنفيذ بحوثهم على تشكيلة متنوعة من أنواع البيانات يرون أنها تتيح لهم الإجابة عن أسئلة بحوثهم، ويعرف هذا الاتجاه أحيانا باسم اتجاه **الطرق المختلطة** (انظر قائمة المصطلحات)، وسوف نعرض له لاحقا فى الفصل 4 من الباب 2.

هل هذه البيانات جيدة بما فيه الكفاية؟

إذا كانت المادة التى نعتمد عليها فى توصيف ما فهمناه عن الواقع الاجتماعى، فإنه يترتب على ذلك أن نقرر ما إذا كانت البيانات قادرة على تصوير الواقع الاجتماعى الذى تمثله تصويرا دقيقا. وهنا يعمد الباحثون الاجتماعيون إلى تطبيق بعض المقاييس والمعايير على هذه المادة التى تم جمعها: طريقة جمعها، وتحليلها، وعرضها. وتمثل هذه الخطوة أساس منهجية البحث الاجتماعى وطرق جمع البيانات وتحليلها التى يتناولها هذا الكتاب الذى بين يدى القارئ.

وقد سبق أن ألمحنا إلى هذه المعايير فى الفصل الأول من هذا الباب، ولكننا سنعود إلى طرحها مرة أخرى فى البابين الثالث والرابع من هذا الكتاب، تبعا لطبيعة المادة وتبعا للطرق المستخدمة فى جمع البيانات وتحليلها، وكذلك المعايير المناسبة أو اختبارات الجودة التى يجرى إعمالها.

والشاغل الأول لنا كباحثين اجتماعيين هو إلى مدى يمكننا القول إن البيانات – التى نخطط لجمعها ومعالجتها فى بحثنا لكى نجيب عن الأسئلة المطروحة – هى تصوير دقيق وأمين لذلك الجانب من الواقع الاجتماعى الذى نقوم بدراسته. وهذا هو المقياس الذى يعرف عادة بمعيار **الصدق** (انظر قائمة المصطلحات). وقد سبق أن واجهنا هذه القضية عندما كنا نتحدث عن بحثنا الصغير عن كميات الشراب وأعداد سيدات حضور

الحفـل اللائى كن يرتدين فساتين حمراء. فقد تبنى الباحثان أسلوبين مختلفين فى تقدير كمية الشراب التى تناولها كل شخص من الحضور، مما أدى إلى توصلهما إلى إجابتين مختلفتـين عن السـؤال. وقد لاحظنا أن كلا الإجابتين ربمـا لم تتسما بالدقة فى تصوير الواقـع الـذى حدث فعلا. لهذا نحتـاج - كباحثين اجتماعيـين - إلى البحث عن طرق لجمـع المادة تضمـن لنا أن المادة التى نجمعها بها تعكـس الواقع الذى تصوره على نحو أقرب ما يكون إلى الصحة.

وقـد تناولنا فى هذا الفصل البيانات التـى تعتمد على تفسير (تأويل) مضمونها وفهم طريقة استخدام اللغة نفسها. وحاولنا أن نتبين ذلك من خلال استعراض الاستخدامات المختلفـة لكلمـة "العائلـة" والطـرق المختلفـة لوصف الحفلـة. ويتعين علينـا كباحثين اجتماعيـين أن نكون قادريـن على بيان كيف قمنا بتفسير البيانـات، وعلى إيضاح أن تفسيراتنا وتصوراتنا تتسم **بالثبات** (انظر قائمة المصطلحات) أو **المصداقية** (انظر قائمة المصطلحات)، بمعنى أنها معقولة وتحظى بتصديق الآخرين.

ولذلـك يتعين علينا أن نتأكـد - كباحثين اجتماعيين - وذلـك على خلاف الباحثين اللذين حضـرا الحفلة ووصفاها؛ نتأكد أن عمليات جمع البيانـات وتحليلها التى قمنا بها تتسـم بالاتساق، بمعنى أننا استخدمنا نفس الإجراءات ونفس التعريفات (مثل المقصود "بالفستان الأحمر") - وهو المفهوم المعروف باسم **الثبات** - وأن جميع العمليات البحثية التى قمنا بها تتسم بالشفافية، وأن بوسع الآخرين فهمها (وربما إذا أرادوا) **تكرارها**.

فنحن نريـد أن نكون قادرين على التأكد من أن نتائج بحثنا لم تتعرض لأى تشويه بسبب الطريقة التى استخدمت فى جمع البيانات، أو نوع المادة التى قمنا بجمعها. وفى حالـة جمع أنواع مختلفة من المادة للإجابة على أسئلة البحث ذاتها؛ فى هذه الحالة يمكن استخـدام كل نـوع من أنواع المادة لاختبـار النتائج التى تم استخلاصهـا من البيانات الأخـرى. وتسمى هذه العملية **التعدد المنهجى** (انظـر قائمة المصطلحات) أو استخدام أكـثر من أداة لجمع المـادة وأكثر من طريقة من طرق البحـث. (انظر المزيد عن هذه العملية فى الفصل 4 من الباب 2).

ما نوع البيانات التى ستجمعها وتعالجها؟

مـن الأرجح أنك قد تود، بـل قد تحتاج، أن تجمع كمية منوعـة من البيانات ذات السمات المختلفة لكى تستطيع دراسة موضوعك على الوجه الأنسب. وإلى جانب تباين سمـات البيانات التـى ستجمعها، هناك عـدة قضايا يجب الانتباه إليهـا وتتعلق بطريقة جمـع المادة، ومستوى جودة البيانات، وكيفيـة معالجتها. لذلك يتعين عليك - كباحث اجتماعى - أن تقرر طبيعة البيانات التى ستجمعها وتقوم بمعالجتها، كما سيكون عليك أن تدلل على أن هذه البيانات تصور بدقة وصدق الواقع الاجتماعى الذى تمثله.

بحثك

بعد أن أعملت فكرك فى موضـوع بحثك: ما نوع البيانات التى يمكن أن تقوم بجمعها ومعالجتها؟

بيانات : منطوقة أم مكتوبة؟

- يلاحـظ أن النص المكتوب يكـون أكثر تنظيما من النصـ المنطوق، كما أنه يكون مكتوبا بعد كثير من التروي.
- النص المنطوق يكون فى العادة أكثر تجاوبا مع المستمعين.
- الغالب أن يكـون النص المنطوق مصحوبا ببعضـ العناصر الاتصالية غير اللفظية، التى تكون مرئية للمستمع.

بيانات: حقيقة واقعة أم تقييمية؟

- تعتمد البيانات الواقعية على استخـدام تعريفات، ومعايير، ومقاييس تكون محل اتفاق.
- الأغلب أن تتطلب العبارات التقييمية مزيدا من الفحص والتأمل لاستكشاف كيف ولماذا صدرت تلك العبارات؟

ما طريقة تنظيم البيانات؟

• يتم تنظيم وتصنيف القسم الأكبر من البيانات بمعرفة الشخص أو الجماعة التى قامت بجمعها.

• البيانات التى تمثل ظاهرة اجتماعية معينة يمكن تنظيمها وتصنيفها بعدة طرق مختلفة.

• البيانـات التى يقوم الباحثون الاجتماعيـون بجمعها يتم تنظيمها وتصنيفها إلى درجات مختلفة بمعرفة الباحث الذى جمعها كجزء من عملية جمع البيانات.

بيانات :أولية أم ثانوية؟

• البيانـات الأوليـة هى تلـك التى يقوم الباحـث بجمعها خصيصـا للإجابة عن تساؤلات البحث.

• البيانات الثانوية هى تلك التى قام آخرون بجمعها لإجراء بحوث أو لأغراض أخرى.

• البيانـات الثانوية تم جمعها لأغراض غير الإجابة عن تساؤلات البحث الذى تجريه.

الاتصال اللفظى أم غير اللفظى؟

• الاتصال غير اللفظى يتم تفسيره عادة باستخدام الكلمات.

• الاتصال غير اللفظى يصاحب النص المنطوق فى العادة.

• يتوقـف الاتصال غـير اللفظى على التصورات والمفاهيـم المشتركة شأنه شأن الاتصال اللفظى.

المعانى والتصورات؟

- يمكــن أن تحوى البيانات المعانى والتصــورات التى يتم التعبير عنها بالكلمات (وكذلك عناصر الاتصال غير اللفظى).
- يمكن كذلك أن تحوى البيانات الأسلوب اللغوى الذى استخدمه جامعو البيانات للتعبير عن المعانى والتصورات الخاصة بهم.

البيانات : من صنع فرد أم جماعة؟

- تشتمل البيانات المتحصلة من جماعة على إيضاح طريقة تفاعل أفراد الجماعة المتحصلة مع بعضهم بعضا.
- البيانــات المتحصلــة من الجماعة تكــون بيانات جماعيــة وليست مجموعة من البيانات الفردية (المتحصلة من أفراد).

هل البيانات : تأملية نقدية؟

- البيانات التأملية النقدية يقوم بإنتاجها الباحث.
- يمكــن أن تشمــل البيانات التأمليــة النقدية العناصــر التالية: تفكــير الباحث، وتصوراته، وأفعاله المتصلة بالبحث.

هل ستعبر البيانات تعبيرا دقيقا وأمينا عن الواقع الاجتماعى الذى تمثله؟

المراجع وقراءات للاستزادة

Bachman, R. and Schutt, R. K. (2001) *The Practice of Research in Criminology and Criminal Justice*, Thousand Oaks, CA: Pine Forge Press.

Coolican, H. (1996) *Research Methods and Statistics in Psychology*, London: Hodder & Stoughton.

Graziano, A. M. and Raulin, M. L. (2004) *Research Methods: A Process of Inquiry*, 5th edn, London: Pearson Education.

Leedy, P. D. and Ormond, J. E. (2005) *Practical Research: Planning and Design*, Upper Saddle River, NJ: Pearson Education.

Patton, M. Q. (2002) *Qualitative Research and Evaluation Methods*, London: Sage.

الفصل الرابع

أسئلة البحث، وفروضه، وتعريفاته الإجرائية

محتويات الفصل

عن السياق

يدور هذا الفصل حول توضيح كيفية البدء بتحويل أفكارك البحثية إلى كلمات، وكيف تفكر - وأنت تفعل ذلك - فى التساؤلات التى تريد أن تطرحها حول موضوعك. والغالب أن يبدأ الباحثون الاجتماعيون بمجال أو جانب معين من الحياة الاجتماعية يكون محل اهتمامهم، سواء من واقع خبرتهم الخاصة أو دراسات سابقة، أو لأن قضية اجتماعية معينة تفرض نفسها على الاهتمام العام.

وبمجرد أن تبدأ التفكير فى موضوعك سوف يبدو لك بوضوح عدد كبير من التساؤلات المختلفة التى يمكن أن تطرحها حول موضوع معين، ولذلك تستشعر أنك فى حاجة إلى أن تقرر وضع هذه التساؤلات تحديدا بالنسبة للموضوع الذى تنوى دراسته. عندما تنجز ذلك ستجد نفسك تبدأ بصياغة تساؤلات البحث. وقد تكون هذه التساؤلات فى بادئ الأمر واسعة وعامة إلى حد كبير، ولكن عندما

تبـدأ فى التركيز بوضــوح على التساؤلات وتفتيتهـا إلى عناصرها الفرعية، ستجد تساؤلاتك تصبح أكثر تحديـدا وأدق تعريفا. وتشكل هذه التساؤلات البحثية أساس كل مـا ستتخـذه من قـرارات بشأن تصميم البحـث (انظر الفصل 3 مـن الباب 2) وطرق جمع المادة التى سوف تستخدمها فى عملك (انظر الفصل4 من الباب 2).

ما تساؤلات البحث؟

لا شـك أن فكرة السؤال ليست بالأمر الجديد عليك، فكلنا نألف فكرة توجيه الأسئلة وتقييـم الإجابـات منذ مراحـل مبكرة فى حياتنـا. فعندما نريد أن نعـرف شيئا ما عن موضوع معين، أو نحصل على بعض المعلومات أو نقرأ فصلا معينا فى كتاب لمساعدتنا على كتابة مقال، فإننا نعمد فى العادة إلى وضع بعض التساؤلات التى يمكن أن تساعدنا فـى العثور على المعلومات التى نبحث عنها، ومن ثـم تمكننا من التركيز على المعلومة التى نحتـاج إليها. والغالب أننـا نمارس مثل هذه العمليـة دون تفكير مباشر وصريح فيهـا، أما فى حالة تسـاؤلات البحث الذى ننوى إجراءه، فلا بـد أن نمعن التفكير فى تساؤلاتنـا بكل عناية ووضوح، وذلك كى نضمـن أن تصميم البحث سوف يمكننا من الإجابـة عـن التساؤلات التى سنطرحهـا. ويمكن القول من حيث المبـدأ أنه إذا لم يكن هناك ثمة سؤال، فلن تستطيع الوصول إلى أية إجابة. فتساؤلات البحث ركن جوهرى مـن أركان مشروعك، وهى التى تتيح لك التعمق فـى موضوع بحثك والتركيز على مختلـف جوانبه. من هنا يمكن القول إن سـؤال البحث يعمل - من ناحية - على إجلاء الهـدف من مشروعك البحثى، ويسهم - من ناحية أخرى - فى توجيه مسارك طوال عملية البحث. وبذلك يتضح أن سؤال البحث ليس مجرد عبارة بسيطة، حيث إنه لا بد وأن يتضمن قدرا من التعبير المفصل عن الطبيعة الكلية للبحث. معنى هذا أن تساؤلات البحث تختص دائما بمشروع بحثى معين.

تحديد تساؤلات البحث وتصميمها

سبـق أن بينا فى الفصل الثانــى من هذا الباب أننا نحاول كباحثين اجتماعيين تحقيق ما يلى:

(أ) **وصف، وإيضاح** ظاهرة اجتماعية معينة (أو عدة ظواهر اجتماعية).

(ب) وأن نعمل عادة على **فهم**، **وتفسير** كيف أصبحت الظاهرة على ما هى عليه (أو بالصورة التى يفهمها الناس بها) وأسباب ذلك.

لذلك تبدأ تساؤلاتنا البحثية عادة بـ: ماذا؟ من؟ أين؟ متى؟ كيف؟ ولماذا؟

أنواع تساؤلات البحث

هنـاك – كما عرفنا فى الفصل الثانى – أربعـة أنواع مختلفة من التساؤلات البحثية هى: الاستكشافى، والوصفى، والتفسيرى، والتقييمى.

1 – **التسـاؤل الاستكشـافى:** ويمثل محاولة أولية لفهم أو إيضاح إحدى العمليات أو الظواهـر الاجتماعية عندما تكون أنت (ربما كفـرد، أو ربما أحيانا الجماعة العلمية التى تنتمى إليها) لا تملك إلا قدرا محدودا من الفهم المسبق للمجال أو القضايا التى تنوى دراستها.

2 – **التسـاؤل الوصـفى:** يترتب هذا النوع من التساؤل على الأسئلة الاستكشافية التـى سبق طرحها. إذ تهتم التساؤلات الوصفية عـادة بقياس الأبعاد الكمية للمجال أو القضايـا أو الظواهر المراد دراستها، من قبيـل: ما مقدار حجمها؟ كم عددها؟ أين هى؟ كم نسبة الناس الذين يتأثرون بها؟

3 – **التسـاؤل التفسيرى:** وهذا التساؤل يطرح عادة فى صورة تساؤل عن السبب أو الأسباب (لمـاذا؟). فهو يبحث عن الأسباب وعن النتائج أو الآثار، مثل: لماذا حدث ذلك؟ كيف حدث؟ ما العمليات الفاعلة فى حدوث ذلك؟

4– **التسـاؤل التقييمى:** يهتـم التساؤل التقييمـى بمعرفة قيمة ممارسـة أو ظاهرة اجتماعية معينة، وذلك عن طريق طرح مثل هذه التساؤلات: ما أكثر الجوانب نجاحا؟ مـا مدى نجاحها (أو مدى إخفاقها)؟ ما مدى فاعلية ذلك؟ والغالب أن يشتمل هذا النوع من البحـوث على وضع توصيات بشأن كيفية تحسـين أو تغيير شىء معين، وهو أمر لابد وأن يكون متضمنا فى تساؤلات البحث.

والحقيقة أن بحثك سوف يندرج تحت واحد أو أكثر من هذه الأنواع، ولا يجب أن يمثـل ذلك أى مشكلة على الإطلاق، ذلك لأن الغالبية العظمى من المشروعات البحثية تطرح فى العادة أكثر من نوع من التساؤلات البحثية.

فكر فى هذا الموضوع . . .

يركـز أحد الأمثلة التـى أوردناها فى الفصـل الثانى من هذا البـاب على بعض التساؤلات البحثية التى يمكن طرحها فيما يتعلق باستخدام عصابات الشباب للأسلحة النارية، وذلك على النحو التالى:

البحث الوصفى: من الشباب المتورطون فى جرائم استخدام الأسلحة؟

البحث الاستكشافى: ما معنى أن يكون المرء عضوا فى عصابة؟

البحث التفسيرى: لماذا يشارك الشباب المنتمون إلى العصابات فى اقتراف جرائم بالأسلحة النارية؟

البحث التقييمى: مـا التغيرات فى السياسة والممارسة التـى يمكن أن تسهم على النحو الأفضل فى الحيلولة بين الشباب وبين الانضمام لمثل هذه العصابات؟

ويهتـم أحد الباحثين الاجتماعيين بدراسة العلاقات التى يمكن أن تكون موجودة بـين البطالـة والصحة العقليـة. هل يمكـن أن تساعد ذلك الباحـث باقتراح بعض التساؤلات البحثية له؟

البحث الوصفى: ------------------
البحث الاستكشافى: ------------------
البحث التفسيرى: ------------------
البحث التقييمى: ------------------

وعليـك كما سبـق أن أشرنا فى الفصـل الثانى أن تحدد أربعـة تساؤلات تتعلق بموضوع بحثك. ربما يحسن بك أن تراجع ذلك الموضوع الآن مرة أخرى.

الفروض

تمثـل **الفروض** نوعا معينا من تساؤلات البحث، وهـى وإن لم تكن تساؤلات فى الحقيقـة، فهى نوع من العبـارات أو التأكيدات بوجود علاقات بين مفهومين أو أكثر. فالتساؤل هنا مطروح بشكل ضمنى وليس صريحا أو مباشرا، وذلك على النحو التالى مثـلا: «هل أستطيع أن أثبـت (أو أنفى) وجود علاقة بين هذين المفهومين؟». هنا يتمثل هدف البحث فى اختيار حقيقة الزعم بوجود هذه العلاقة بهدف تأكيد الفرض أو نفيه.

ما: الفرض؟

تأكيـد - مطـروح للاختبار - بوجود علاقـة أو علاقات بـين مفهومين أو أكثر (وليـس الفرض بالضرورة تعبيرا عن حقيقة مؤكدة، ولكنه أمر مطروح للإثبات أو النفى).

مثال 4-1

الفروض المتعلقة بوجود علاقة بين الجريمة والانتماء الإثنى

الفرض المطروح

أعضـاء الجماعة الإثنية (أ) أكثر احتمـالا أن يقترفوا الجرائم من أعضاء الجماعة الإثنية (ب).

يؤكد هذا الفرض وجود علاقة بين الانتماء الإثنى واقتراف الجرائم.

من هنا يمكن القول إن التساؤل البحثى عن تناول هذا الموضوع هو:

هل هناك علاقة بين الانتماء الإثنى وارتكاب الجرائم؟

ويمكن طرح تساؤل فرعى حول نفس الموضوع هو:

هل أعضاء الجماعة الإثنية (أ) أكثر احتمالا أن يرتكبوا الجرائم من أفراد الجماعة الإثنية (ب)؟

والأمـر الأكـثر شيوعا أن تستخـدم الفروض فى فحص العلاقات بـين مفاهيم أو ظواهر يمكن اختبارها إحصائيا، أو بعبارة أخرى:

- أن يكـون كل مفهـوم قابلا للتحديـد والقياس (انظر فيما بعد حديثنـا عن **التعريفات الإجرائية**).
- أن يكون من الممكن جمع بيانات عن كل مفهوم خاضع للدراسة.
- أن يكـون بالإمكان اختبـار البيانات باستخـدام النظرية الإحصائيـة للتأكد من أن الفرض يمكـن إثباتـه أو نفيـه إحصائيا بمعنى وجود علاقة إحصائية يمكن (أو لا يمكن) تبينها والكشف عنها.

وهنـاك نوعـان رئيسيان من **العلاقــة أو الارتباط** التـى تتناولها بحـوث العلوم الاجتماعيـة بهذه المناسبة. وتلك هى **العلاقة العلّية** (انظر قائمة المصطلحات) **والعلاقة الارتباطية** (انظر قائمة المصطلحات).

وكمـا سـترى فى المثـال 4-2 فيما بعـد فإن إثبـات طبيعة العلاقات بـين الظواهر فـى البحـوث الاجتماعية نادرا ما يتم بشـكل مباشر وصريـح، وأن الأرجح أن تمثل الفروض مجـرد نقطة انطلاق للبحـث الاجتماعى. فنجد على سبيـل المثال أن وجود علاقة إحصائية بين مفهومين، أو خاصيتين أو حدثين سوف يقودنا إلى طرح مزيد من التسـاؤلات التى نحاول من خلال الإجابة عنها تحديد طبيعة هذه العلاقة والتوصل إلى تفسيرات لها.

فالتفكير فى العلاقات المحتملة - هى فى هذا المثال أسباب حصول (أو عدم حصول) بعضـ التلاميذ على درجـات مرتفعة فى الامتحانـات - التفكير فيها فـى هذه المرحلة سيساعدك على أن تضمن جمع بيانات عن كل العلاقات التى يمكن أن تكون مفيدة لبحثك ومرتبطة بـه. فإذا سألت التلاميذ مثلا عن الدرجات التـى حصلوا عليها فى الامتحان وعـن عدد الساعات التى أمضاها كل منهم فى الاستـذكار «بتركيز»، فقد تتوصل فى ضوء ذلك إلى أن هناك ارتباطا (أو عدم وجود ارتباط) بين هذين العنصرين. ولكنك لـن تستطيع فى مثل هذه الحالة أن تنتبه إلى الأسباب المحتملة لهذا الارتباط، ما لم تكن قد قمت بجمع بيانات عن بعض الجوانب الأخرى لمذاكرة أولئك التلاميذ التى قد يكون

لهــا تأثير على الدرجات التى حصلوا عليها فــى الامتحان . لهذا السبب يتعين أن يكون لديك مجموعة من الفروض ، أو أن تجمع بين عدد من الفروض البسيطة فى حكم (أو فرض) أكثر تعقيدا.

على أن الفروض - كأحكام يمكن اختبارها - لا تستخدم فقط فى البحوث التى تقوم على جمع بيانات يمكن اختبارها إحصائيا . وإنما يمكن كذلك الاعتماد عليها فى البحوث التى تقــوم على جمع بيانات ومعالجتها بطرق أقل تقنينا وأقـل اتصافا بالطابع الكمى . فالعلاقــات العلية والارتباطية المحتملة بين مختلـف الخبرات ، والخصائص والأحداث يمكــن تحديدها والتعــرف عليها من واقع البيانـــات والروايات التـــى نحصل عليها من المقابــلات شبه المقننة على سبيــل المثال (انظر الفصول 1 ، 2، 4، 5 من الباب 4). كما يمكن أن نتبين وجود علاقات علية وارتباطية - وأن نتتبعها - من خلال البيانات التى يحصل عليها الباحث من دراسة عدد من الحالات على أن يتم بعد ذلك تحليل عدد آخر من الحالات للتحقق من وجود هذه العلاقات فيها .

مثال 4-2

العلاقات

العلاقات العلّية

يتم تصوير العلاقات العلية فى أغلب الأحيان بيانيا على النحو التالى:

أ → ب

فنستطيــع أن نؤكد - مثلا - أن زيادة التركيز فــى الاستذكار تؤدى إلى زيادة الدرجات التـــى يحصل عليها الطلاب الجامعيون . وفى هذه الحالة نصور العلاقة بيانيا على النحو التالى:

↑ ↑

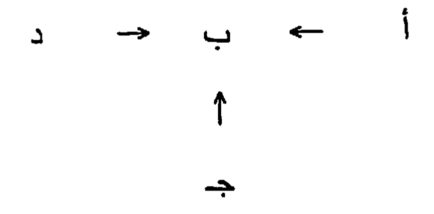
أ → ب

وهكــذا تؤدى الزيادة فى المتغير (أ) - وهو الاستــذكار بتركيز - إلى زيادة فى المتغير (ب)، وهو درجات الامتحان .

العلاقات الارتباطية

علـــى أن هناك بعض الأحوال التى لا نستطيع فيها إثبات أن (أ) هو الذى يسبب (ب) رغــم وجــود علاقــة إحصائية بين زيــادة التركيز فى الاستــذكار وارتفاع درجات الامتحان. وقد يرجع ذلك إلى عدة أسباب:

1 – أن هنــاك عديدا من الأسبــاب لحصول الطالب على درجات مرتفعة، وقد يكون مــن الصعب إثبات أن الاستذكار بتركيز هــو المسئول وحده عن الدرجات المرتفعة فى الامتحان.



2 – قــد يكــون صحيحا أن الطــلاب الذين يحصلون على درجــات مرتفعة فى الامتحــان هم فى نفس الوقت الذين يرون أن الاستذكار بتركيز هى أفضل طرق الاستذكار ملاءمة لهم.

← أ → ← ب →

3– قــد يكون ثمــة عامل ثالث يؤثر علــى كمية الاستــذكار بتركيز والدرجات المرتفعــة فى الامتحان. مــن ذلك مثلا وجود مدرس لجماعــة من الطلاب يتوقع أن طلابــه يقومون بالمذاكرة العادية لما درســوه قبل المحاضرات، وقد قام خلالها بتحديد بعضــ أسئلة الامتحان. فهو يرى أن أولئك الطــلاب يذاكرون تلك المادة علـــى سبيل المراجعة. (وهكذا يحصلون على درجات مرتفعة رغم أنهم لم يقوموا بالاستذكار المركز).

أ → جـ ← ب

تطوير أسئلة البحث والتعريفات الإجرائية

تفكيك وتحليل تساؤلات البحث

ربما يتعين عليك أن تبدأ ببعض التساؤلات المبدئية، من نوعية تلك الأسئلة التى وردت فى برواز «فكر فى هذا الموضوع . . .» السابق، ولكن قبل أن تتمكن من وضع أسئلة أو فروض لبحثك من شأنها أن تعينك على تصميم بحثك واختيار طرق جمع البيانات؛ قبل ذلك يحسن بك أن تقوم بعملية تحليل تساؤلاتك المبدئية لكى تضمن أنك تعرف بدقة ما الذى تقوم ببحثه، ومن ثم تقوم بجمع البيانات التى تتيح لك الإجابة عن تلك التساؤلات. ويتضمن ذلك صياغة بعض **التعريفات الإجرائية** (انظر قائمة المصطلحات) التى سنتناولها فيما بعد. وبموازاة ذلك العمل يجدر بك أن تبدأ بمراجعة التراث المنشور عن موضوع بحثك (الدراسات السابقة) (انظر الفصل 2 من الباب 2)، إذ إن من شأن ذلك أن يساعدك على صياغة تعريفاتك الإجرائية، وتدقيق أسئلة بحثك، وربما كذلك تطوير بعض **الأسئلة البحثية المساعدة** (انظر قائمة المصطلحات).

التعريفات الإجرائية

قبل أن نتمكن من طرح أسئلة مفيدة عن قضية أو موضوع معين، يتعين علينا أن **نعرِّف** بدقة طبيعة ذلك الموضوع. ونحاول فى العادة عمل ذلك عن طريق وضع تعريف إجرائى، أى تعريف نستطيع أن نستخدمه عمليا فى بحثنا. فنحن نحتاج إلى التعريفات الإجرائية لكى نركز سؤالنا، وبالتالى نحدد طبيعة البيانات التى سنقوم بجمعها لكى نتمكن من إجابة على تلك الأسئلة. ويطلق على هذه العملية أحيانا «وضع التعريفات الإجرائية». ويصف جوب Jupp وزملاؤه (2000، ص62) هذه العملية بأنها:

> تحديد القواعد التى يتم إعمالها عندما تتحقق بعض عناصر المفهوم.

ويمكن القول بعبارة أوضح إن هدف التعريف الإجرائى هو تزويدك بمؤشر يتيح لك أن تعرف أن الشىء الذى تدرسه متحقق أو موجود. فأغلب أسئلة البحث تتضمن **المفاهيم** (انظر قائمة المصطلحات) وتدور حولها، وكيفية معرفة المزيد عنها، وطبيعة علاقتها ببعضها بعضا. فالمفاهيم أفكار يمكن تعريفها ويمكن فهمها بطرق مختلفة باختلاف الأفراد أو الجماعات، أو باختلاف العصور، ومن هنا يتحتم أن تكون لديك

تعريفات واضحة لمختلف المفاهيم التى تستخدمها، ولابد أن يكون التعريفات صالحة للاستخدام العملى فى بحثك، أى يكون ملائما إجرائيا.

وعليه لا بد أن يكون التعريف الإجرائى:

- صادقا ومرتبطا تمام الارتباط بالبحث، فلابد أن يكون صالحا للاستخدام فى جمع البيانات التى تساعدك على معالجة أسئلة بحثك.
- وأن يكون مرتبطا كلية بسياق البحث، ومصمما خصيصا للمشروع البحثى، بحيث إنه قد يكون عديم الجدوى بالنسبة لأى مشروعات بحثية أخرى.

مثال 4-3

البطالة والصحة العقلية - تعريفات إجرائية

سبق أن طلبنا منك أن تفكر فى بعض التساؤلات البحثية التى ترتبط بالعلاقات التى يمكن أن توجد بين البطالة والصحة العقلية.

فالبحث الذى نحن بصدده يتناول العلاقة بين مفهومين هما: **البطالة والصحة العقلية**. ويتعين علينا قبل أن نتمكن من وضع وبلورة تساؤلاتنا البحثية ومن تصميم بحثنا؛ يتعين أن نضع تعريفات إجرائية لهذين المفهومين.

فما الذى نقصده فى هذا البحث بكون الفرد عاطلا؟

وفيما يلى بعض الاقتراحات فى هذا الصدد:

1- كل بالغ لا يعمل بأجر.

2- كل بالغ كان يعمل بأجر، وأصبح الآن لا يعمل بأجر.

3- كل بالغ كان فى المرحلة العمرية من 16-65 سنة يعمل بأجر، ولكنه أصبح لا يعمل بأجر منذ أكثر من عام.

4- كل بالغ يتلقى إعانة بطالة أى من «أصحاب معاش البطالة».

5- كل بالــغ لا يعمل بأجر ويرغب فــى العمل بأجر، أى يكون «مقيدا فى قوائم طالبى العمل»

6- كل بالغ لا يعمل.

وعلينا أولا أن نعرف تحديدا بؤرة تركيز البحث وسؤال البحث قبل أن نتمكن من اختيار التعريف الإجرائى الذى سنستخدمه. من ذلك مثلا: إذا كان سؤال البحث:

أ - ما آثار البطالة طويلة الأمد على الصحة العقلية للعاطلين؟

هنــا يكون التعريــف الإجرائى رقم (3) هــو الأنسب، ومن ثم يمكــن استخدامه لتحديد العينة المناسبة من المبحوثين الذين يمكن إجراء دراستنا عليهم.

أو هل يمكن أن يكون؟

سنلاحظ أننا يمكن أن نقع فى شباك التعريف الإجرائى لمفهوم واحد - هو **البطالة** - إذا استخدمنا فى تعريفه مفهومــا آخر هو **العمل بأجر**. لذلك يتعين علينا وضع تعريف إجرائى للعمل بأجر. وربما يصح أن يكون هذا التعريف على النحو التالى: «العمل لــدة 35 ساعة أسبوعيا - على الأقــل - كل أسبوع، تكون مدفوعة الأجر». فمثل هذا التعريف يستبعد أولئك الذين يعملون أقل من 35 ساعة أسبوعيا، ولكنه بالنسبة لطبيعة بحثنا الذى يهتم بالبطالة الطويلة الأمد يعد تعريفا مقبولا.

ب - هــل الناس الذيــن لا يعملون بأجر أسعد أم أتعس مــن أولئك الذين يعملون بأجر؟

قــد يبدو فى الظاهر أن التعريف الإجرائى رقم (1) قد يكون الأكثر ملاءمة هنا، ولكن هذه المجموعة - المكونة من أفراد بالغين لا يعملون بأجر - تضم تنويعة هائلة مــن الناســ: كأولئك الأفراد الذيــن لا يرغبون أو لا يحتاجــون إلى العمل بأجر، وكالمتقاعديــن، والأفراد غير القادرين على ممارســة العمل بأجر، وأولئك الذين يسعون إلى عمل بأجر وأولئك الذين يعملون تطوعا بدون أجر. ولذلك ربما يكون مــن الأفضل تدقيق التعريف بأن نحدد أى مجموعات من الناس هى التى يمكن أن يركز عليها بحثنا.

فكر فى هذا الموضوع . . .

ما المقصود بالصحة العقلية

فيما يلى بعض التعريفات المقترحة:

1- وجود أو عدم وجود أحد أنواع الاضطراب العقلى التى يتم تشخيصها إكلينيكيا.

2- الحالة العقلية التى يمكن قياسها باستخدام الاختبارات النفسية.

3- كيفية شعورنا بحياتنا وبذواتنا.

فأى تعريف إجرائى من هذه التعريفات المقترحة سوف تنوى استخدامه لدراسة كل سؤال من هذه التساؤلات؟ وهل يمكنك اقتراح أساليب أخرى لوضع تعريف إجرائى للصحة العقلية؟

أ - ما تأثيرات البطالة الطويلة الأمد على الصحة العقلية للناس؟

ب - هل الناس الذين لا يعملون بأجر أسعد أو أتعس من أولئك الذين يعملون؟

على أن التعريفات الإجرائية لا تستخدم فقط لمساعدة الباحثين على تدقيق تساؤلاتهم البحثية. وإنما تؤدى - فضلا عن ذلك - وظيفة ضرورية عندما نشرح فى التفكير فى كيفية جمع المادة التى سوف نستخدمها فى الإجابة عن تساؤلات البحث.

فمن اللازم أن نتمكن من جمع بيانات بحثنا فى ضوء التعريفات الإجرائية. وبالنسبة للمثال الذى أوردناه نحتاج إلى:

- أن نستطيع العثور على الأشخاص - أو أن نجمع معلومات عن الأشخاص - الذين تتوفر فيهم معايير التعريف. وهم فى حالة التعريف المذكور: البالغون الذين تتراوح أعمارهم بين 16 و65 سنة الذين يعملون بأجر (لمدة 35 ساعة على الأقل أسبوعيا) ولكنهم لم يعملوا بأجر - خلال ذلك العمر - لمدة تجاوزت عاما واحدا.

- فى هذه الحالة يكون للتعريف الإجرائى الذى اخترناه دلالات مهمة بالنسبة لعملية اختيار عينة البحث ، أى تحديد الأشخاص الذين تتوفر فيهم معايير التعريف ، أو تكون لهم صلة بالبيانات الثانوية التى يمكن الاستعانة بها فى البحث.
- أن نتمكن من أن نجمع منهم أو من غيرهم البيانات التى تسمح لنا – فى حالة المثال المذكور – "بقياس" حالتهم الصحية العقلية.
- فى هذا المثال تكون المسألة المهمة هى مشكلة القياس ، وكيفية جمع البيانات. فإذا تأملنا –على سبيل المثال – التعريفات الإجرائية الثلاثة المقترحة للصحة العقلية:
- بالنسبة للتعريف الإجرائى رقم (1) سوف أحتاج إلى الحصول على بعض المعلومات الطبية الضرورية (أو أن أقوم أنا بنفسى بعمل تقرير أشخص فيه الحالة الصحية العقلية).
- أما بالنسبة للتعريف الإجرائى رقم (2) فإنه سيتطلب من الباحث تطوير اختبار نفسى ، أو أن يستخدم أحد الاختبارات التى صممها علماء النفس لهذا الغرض ، ثم أقوم بتطبيق الاختبار على المبحوثين.
- أما التعريف الإجرائى رقم (3) فيتطلب وضع بعض الأسئلة التى تستهدف التعرف على مشاعر الأفراد تجاه حالتهم الصحية العقلية. وهذه مسألة ذاتية خالصة ، وطبيعى أن يكون لدى الناس أفكار مختلفة بهذا الصدد ، فما معنى قولهم –مثلا– إنهم سعداء. حقيقة أن **السعادة** هى الأخرى مفهوم يحتاج إلى وضع تعريف إجرائى له ، بحيث نستخدمه فى جمع بيانات تساعدنا على أن نقرر هل السعادة متوفرة فعلا أم لا.

فكر فى هذا الموضوع . . .

ما الأسئلة التى يتعين أن توجهها إلى المبحوثين لكى تعرف:

(أ) ما إذا كانوا يعتبرون أنفسهم سعداء؟

(ب)ماذا يقصدون بكلمة السعادة؟

مـن هنا نرى أننا عندما نحاول وضع تعريف إجرائى لمفهوم معين، قد نقع بسهولة فـى فخ استخدام مفهوم آخـر كجزء من ذلك التعريف الإجرائى. كمـا رأينا أنه عندما نقـوم بتصميم واختيار طرق جمع البيانات قد نضطـر فى بعض الأحيان إلى الاعتماد على بعض المفاهيم، التى تحتاج هى الأخرى إلى تعريفها إجرائيا، لكى نضمن أن نجمع البيانات الصالحـة للإجابة عن الأسئلة التى نود استيفاءها. ونعتقد أن استعراض المزيد مـن الأمثلة سوف يبرز ضـرورة العناية بصياغة تساؤلات بحثـك، وصياغة الأسئلة التى ستوجهها - بالتالى - إلى المبحوثين.

صياغة السؤال

إذا كان بحثنـا مهتما - مثلا - بالوقـوف على خبرات الناس الخاصة بترددهم على طبيبهم، وكان أحد الأسئلة يقول:

هـل اضطررت إلى الانتظار أكثر من اللازم حتى يجىء دورك فى الدخول على الطبيب؟

هنا سنواجه عددا من المشـكلات. أبرز تلك المشكلات أن المبحوثين سوف يعرّفون «أكـثر من اللازم» بأساليب شتى مختلفة. فهناك من يرى أن خمس دقائق مدة طويلة (خاصـة إذا كانوا قد تركوا سياراتهم فى أماكن الانتظار السريع فى فناء تلك المستشفى) وعليه فسوف يجيبون عن السؤال المذكور: نعم. وهناك طائفة أخرى من الناس تعتبر أن الانتظـار لمـدة أربعين دقيقة فـى قاعة انتظـار مكيفة الهواء متعـة محببة، ومن ثم يجيبـون عن ذلك السؤال: لا. وعندما نتأمل الإجابتين لن نستطيع التوصل إلى معرفة شـىء عن طول مدة الانتظار، ولماذا تعتـبر «أطول من اللازم» (أو لا تعتبر كذلك). وأيا كانت الأسباب سوف يقدم الناس لنا إجابات مختلفة ومتفاوتة لن تفيدنا كثيرا عندما نشـرع فى التحليل. ولهذا لكى نحصل على البيانات المفيدة لنا يتعين أن نوجه المزيد من الأسئلة من قبيل:

- كم من الوقت انتظرت فى العيادة قبل أن يسمح لك بالدخول على الطبيب؟
- هل كنت راضيا أم غير راض عن اضطرارك إلى الانتظار طوال هذا الوقت؟
- ما سبب رضائك أو عدم رضائك عن الانتظار طوال ذلك الوقت؟

المفاهيم المرتبطة بالسياق الاجتماعى والثقافى ومشكلة الصياغة

الحقيقـة أن التعريفات الإجرائية ترتبط عادة بالسيـاق الاجتماعى والثقافى. ومن الواجـب أخذ هـذا الجانب من جوانب التعريف الإجرائى فـى الاعتبار لكى نضمن أن يفهـم المبحوثون ما نوجهـه إليهم من أسئلة ومن ثم يتمكنون مـن الإجابة عليها، ولكى نضمن كذلـك أن يقودنا توجيه هذه الأسئلة إلى الحصـول على بيانات صادقة. ويعنى هـذا فى النهايـة أن كل المبحوثين قد فهموا الأسئلة على نفـس النحو (أى بنفس المعنى)، وأنهـم قدموا لنـا إجابـات دقيقة على نفس السـؤال. فـإذا سألنا مثلا بعض المبحوثين -الذين ينتمون إلى اللون الأبيض، والطبقة الوسطى، والثقافة البريطانية - عن تحديد الأقارب المباشرين داخل أسرهم، فمن غير المتوقع أن يتجاوز عدد هؤلاء (فى الأسرة الواحـدة) 15 فردا. ولكـن إذا وجه نفس هذا السؤال إلى فرد مـن طائفة "السيخ" فلن يكون من المستغـرب أن يتجاوز هذا الرقم 100 (راجـع www.jamardaresources.com)، لأن لدى الجماعات الثقافية المختلفة مفاهيم مختلفة عن الأسرة. ويدلنا هذا المثال علـى أهمية أن نضمـن أن تراعى التعريفـات الإجرائية السيـاق الاجتماعى والثقافى للمبحوثـين، وأنه من الضرورى أن يكون تصميم البحث قادرا على استيعاب إجابات شديدة الاختلاف على نفس السؤال.

الحصول على نفس نوع الإجابة

مـن أهداف وضـع تعريفات إجرائيـة واستخدامها فـى وضع الأسئلـة أن يضمن الباحـث الحصول على نفس **نوع** الإجابة فى جميع الأحوال. من ذلك مثلا أن السؤال عن: "أيـن تعيش؟" يمكن الإجابة عليه بعدة طرق مختلفة. وقد يجيب عليه المبحوثون على النحو التالى:

* فـى مدينة برمنجهام، * فى بيتى، * مع والـدىّ، * على مقربة من الحديقة العامة، ... إلخ.

ولكن الباحث الـذى يحصل على مثل هذه الإجابات المتنوعـة لن يستطيع استخدام البيانـات التى حصـل عليها بعد توجيه هـذا السؤال بسبب أن المبحوثـين فهموا السؤال وأجابوا عنه بطرق مختلفة. لذلك يتعين عليه صياغة الأسئلة بكل دقة لضمان أن يفهمه

الجميع بنفس الطريقة. من ذلك مثلا:

- ما القسم الإدارى الذى تعيش فى دائرته؟
- هل تعيش فى بيت، أم فى فيلا، أم فى شقة، أم فى نوع آخر من المساكن؟
- من الأشخاص الذين يعيشون معك فى نفس البيت؟
- فى أى شارع تعيش، أو ما رقمك البريدى؟

استخدام تعريفات الناس الآخرين

عندما تعتمد فى بحثك على بيانات ثانوية (انظر الفصل 9 من الباب 3)، أو تستخدم بحثًا أجراه شخص آخر فى بلورة أفكارك (انظر الفصل 2 من الباب 2) فسوف تواجه تعريفات إجرائية اعتمد عليها الباحثون الآخرون أو من قاموا بجمع البيانات، ويتعين عليك أن تأخذها فى اعتبارك. والمشكلة فى مثل هذه الحالة أنك قد لا تكون على دراية تامة بالطريقة التى اتبعها الباحثون الآخرون فى وضع تعريفاتهم الإجرائية أو الأسئلة التى وجهوها للناس. بل إنك قد لا تعرف - فى بعض الأحيان - الصيغة المحددة للسؤال الذى تم توجيهه، ومن شأن ذلك أن يؤدى بك إلى إساءة فهم ما انتهوا إليه من نتائج. بل حتى عندما تقف على الصيغة المحددة للسؤال الذى تم توجيهه، فقد لا تكون على علم بالتعريف (أو التعريفات) الإجرائى الذى انطلقت منه صياغة السؤال. لذلك يتعين عليك فى مثل هذه الأحوال أن تتعامل مع البيانات بحذر، وأن تستفيد من تلك التعريفات لإثراء ما تحاول أنت بلورته من تعريفات، ولا تحاول أن تقتصر على تبنى تعريفاتهم وحسب.

التعريفات الإجرائية فى الدراسة الاستطلاعية

من الصعب على أى فرد أن يتوصل إلى وضع تعريفات إجرائية صادقة وثابتة. فالكثيرون منا لا يملكون القدرة على مراعاة عدد كبير من المنظورات والاحتمالات وأخذها جميعا بعين الاعتبار فى نفس الوقت. ولهذا يحسن بدء مشروعك البحثى باختبار تعريفاتك فى **دراسة استطلاعية** (انظر قائمة المصطلحات). وقد يعنى ذلك - فى أبسط صوره - استشارة عدد قليل من الزملاء أو الأصدقاء للتأكد من فهمهم

للتعريفـات، والتحقق من أنها تـؤدى إلى الحصول على نفس نـوع الإجابة فى جميع الأحوال.

فـإذا أتيحت لك فرصة إجراء دراسة استطلاعيـة تستخدم فيها أسئلتك مع مجموعة صغـيرة من المبحوثين؛ فسـوف يمكنك ذلك من اختبار مدى صـدق أسئلتك، ومن ثم إجـراء مـا يلزم إدخاله عليها مـن تعديلات، وأن تقوم كذلك بتدقيـق تعريفاتك بحيث تضمن أنك ستجمع بيانات صالحة للاستخدام، وأن يتم كل ذلك قبل مباشرتك العمل فى البحث الأساسـى. ومن الشائع أن يطلب الباحثون – فى مرحلة الدراسة الاستطلاعية – من المبحوثين تأمل تلك التجربة وإعمال فكرهم فيها، بحيث يمكنهم تحديد الأسئلة التى يجدونها غير واضحة لهم وأن يناقشوا معهم كل ما قد يظهر من سوء فهم لتلك الأسئلة.

بحثك

أسلوب الزرافة والسلحفاة فى وضع التعريفات الإجرائية

يمكـن وضع التعريفات الإجرائية باستخدام أسلـوب الزرافة والسلحفاة. ونعنى بذلك تقسيم عملية وضع التعريف إلى مرحلتين.

1- مرحلة الزرافة

فى تلك المرحلة تكون رأسك – كالزرافة – مرتفعة كثيرا عن الأرض، مما يتيح لك الرؤية العامة الأشمل لكل ما يوجد حولك. ويمكن مقارنة ذلك بالمرحلة الأولى من مراحل وضع التعريف الإجرائى: أى تكوين صورة عامة شاملة، هى المفهوم أو الفكـرة العامـة عما تريد قياسه فـى بحثك. قد يكون الشىء المـراد دراسته هو **الجريمـة**، أو يكون علاقة يفترض وجودها بـين **الفقر والجريمة**، أو تكون أى شيء آخر تجد نفسك مهتما بدراسته.

وهكـذا عندما تكون فـى وضع الزرافة تستطيع أن تتصفـح بعينيك قمم الأشجار من حولـك، فأنت تكوّن صورة عامـة شاملة، ولكنك لست ملتفتـا بعد كثيرا إلى التفاصيل.

ويمكـن أن تسفر المرحلة الأولى من بلورة سؤال البحـث أو فرض البحث (أى مرحلـة الزرافة) الخاص بالعلاقة بين الفقر والجريمـة؛ يمكن أن تسفر عن نتيجة قريبة مما يلى :

هناك ثمة علاقة ارتباط بين الفقر والجريمة.

وهذا كلام لا غبار عليـه، ولكنه يفتقر فى الحقيقة إلى الكثير من التفاصيل. وفى هذا قد يقول أحد المدرسين – على سبيل المزاح – شيئا من هذا القبيل:

حسنـا، ولكن ما الجريمة؟ وكيف ستقيسها؟ وهل تقصد بالجريمة جرائم الاعتداء على الممتلكات أم الاعتداء على الأشخاص؟ وهل ستدخل ضمن الجريمة المخالفات المرورية؟ وإذا كنت ستفعل فما الوضع بالنسبة لمخالفات أماكن انتظارك السيارات؟ ونفس التساؤلات يمكن أن تطرح عن الفقر. من ذلك مثلا: هل تقصد بالفقر: الفقر المطلق أم الفقر النسبى؟ وكيف ستقيس هذا أو ذاك؟

واضـح أن الزرافـة لا تستطيـع الإجابة على مثل هذه التسـاؤلات، فهى مجرد أفكار عامة كل العمومية. ولهذا يتعين هنا أن ننتقل إلى المرحلة الثانية، وهى:

2- مرحلة السلحفاة

سنجد أنفسنا فجأة على الأرض. كما سنلاحظ أننا نتحرك ببطء. ثم إننا لا نستطيع أن نـرى الأشياء الموجودة على بعـد كبير منا، ولكن ما نستطيع أن نراه، نلاحظ أننـا نراه بكثير من تفاصيله، لأنـه أمام أعيننا مباشرة، ولأننـا نستطيع أن نطيل النظر إليه كما يحلو لنا.

الآن نستطيـع إذن تكويـن تصور عـن تفاصيل تعريفنا الإجرائـى. نستطيع أن نحدد هل سنركز اهتمامنا علـى الكميات أم على المشاعر والأحاسيس، هل سنأخذ بالتعريفـات الرسمية أم نضع لأنفسنـا تعريفات خاصة بنا؟ هنا يتكشف أمامنا عدد كبير من الاحتمـالات والإمكانيات، ونضع أيدينا على كثير من التفاصيل. ولكن عليك فـى الواقع أن تلاحظ دائما أنك تبحث عن شـىء يمكنك استخدامه والإفادة منه، وأن عليك أن تتخذ قرارات محددة. والنتيجة النهائية التى نسعى وراءها أن نجعل الشىء الغامض غير الملموس قابلا للقياس وللتحديد.

[ملحوظـــة: قد يبـدو التشبيه بالزرافـة والسلحفاة مسألة طفوليـة بعض الشيء. ويحسن بك أن تعيد النظر إلى غلاف هذا الكتاب. فإذا نظرت إلى غابة من مسافة بعيـدة، فإنـك لن ترى سوى كتلة ضخمـة من الأشجار التـى لا تستطيع أن تميز أنواعهـا بدقة. ولكن عندما تدقق النظـر إلى شجرة معينة -من مسافة قريبة- فماذا ستـرى؟ ربما فـروع تلك الشجـرة. وماذا ستـرى عندما تقـترب بعينيك من فرع الشجـرة؟ إن التعريفـات الإجرائية شـيء معقد، كثيرا ما يكون متعـدد المستويات، ولكنه دائما أمر لازم كل اللزوم لإجراء البحث. عليك فقط ألا تكون زرافة فحسب]

وضع أسئلة بحثك

الوضـع بالنسبـة لغالبية الباحثـين أن تسير عملية وضع وتدقيـق أسئلة البحث جنبا إلى جانـب عملية مراجعة الـتراث العلمى حول موضوع البحـث (انظر الفصل 2 من البـاب 2)، وبالتـوازى أيضا مع عمليـة تصميم البحث (انظر الفصـل 3 من الباب 2) وعمليـة اختيار طرق البحث التى سيجرى استخدامها (انظـر الفصل 4 من الباب 2). وقد أوضحنا فيما سبق أن الأرجح أن تبدأ العملية بسؤال عام (مستوى نظر الزرافة). بعد ذلـك يتم تفكيك هذا السؤال العام (إلى بضع أو عشرات أو مئات الأسئلة) لكى يتيح الباحـث إمكانية البـدء بتعريف المفاهيم بطرق تنتهى إلى بلـورة التعريفات الإجرائية. وبمجرد الانتهاء من وضع التعريفات الإجرائية ستصبح أسئلة البحث أكثر دقة وتحديدا وتركيزا، الأمر الذى سيفتح الباب أمامك لتوليد الأسئلة البحثية الفرعية المساعدة. وهذه الأسئلة الأخيرة هى التى ستساعدك على تحديد عناصر موضوع بحثك بدقة أكبر، مما يتيـح لك التركيز عليها فى عملك. وسوف نلاحظ من المثال (4-4) أن الأسئلة الفرعية هـى التى ستبين لك بوضوح أكبر نوعيـة البيانات التى ستقوم بجمعها، وكيف ستصبح قادرا فى هذا المثال على تحديد **الحالة العقلية** للناس وقياسها.

وقد حددنا فيما سبق أربعة أنواع مختلفة من التساؤلات البحثية، وأكدنا فى حينه أن كثـيرا من المشروعات البحثية تتضمن أكثر من نوع واحد من التساؤلات البحثية. فإذا تناولـت موضوع بحثك بطريقتين أو أكثر (من ذلك مثلا: 1- وصف طبيعة موقف أو مشكلـة وبيان حجمها، و2 - البحث عن تفسيرات بعض عناصر الموضوع المدروس)؛ إذا تناولتـه بطريقتين أو أكثر فسيكون لديك سؤالان بحثيـان رئيسيان أو أكثر، فضلا عن الأسئلة الفرعية المرتبطة بكل واحد منها.

مثال 4-4

وضع تساؤلات البحث باستخدام التعريفات الإجرائية

السؤال البحثى المبدئى

ما تأثيرات البطالة طويلة الأمد على الصحة العقلية للناس؟

التعريفات الإجرائية

العاطل: الشخص الرشيد الذى يتراوح عمره بين 16 و 65 سنة، وكان يعمل فى وظيفة بأجر طوال العامين الأخيرين، ولكنه تعطل عن العمل بأجر لمدة تجاوزت العام الواحد.

الصحة العقلية: ما مشاعرك تجاه نفسك تجاه حياتك. ويمكن أن يتم السؤال عن تعريف الصحة العقلية بطرق نذكر منها:

- كيف تصف نفسك؟
- هل حاولت الحصول على مساعدة أحد - بسبب مشاعرك تجاه نفسك وتجاه حياتك - كطبيب، أو مستشار (نفسى)؟ أو موجه؟
- ما فى رأيك الأمور التى يمكن أن تجعل حياتك أفضل؟

تدقيق سؤال البحث

ما تأثيرات كيفية شعور الناس الذين كانوا يعملون بأجر بأنفسهم وبحيواتهم عندما يتعطلون عن العمل لمدة تتجاوز العام؟

الأسئلة الفرعية

يمكن بالاعتماد على التعريف الإجرائى والاسترشاد بأساليب وضع الأسئلة؛ يمكن صياغة بعض الأسئلة الفرعية على النحو التالى:

- كيف يصف الناس - الذين فى هذا الموقف - أنفسهم؟
- هل سعوا إلى طلب مساعدة بسبب مشاعرهم تجاه أنفسهم خلال فترة التعطل عن العمل؟
- ما نوع (أو أنواع) المساعدة التى حاولوا الحصول عليها، وماذا كانت أسبابهم فى ذلك؟
- ما التغيرات التى يأمل الناس - الذين فى هذا الموقف - أن تحدث فى أنفسهم وفى حيواتهم؟

حاول هـذا الفصل أن يأخذك فى جولة تتعرف فيها علــى إحدى العمليات التى تتم بالتــوازى والتزامن مع بعض عمليات الإعداد الأخرى لمشروعك البحثى. وستلاحظ أنــه عند كل مرحلة من مراحل تلك العملية تــزداد بؤرة بحثك اتضاحا، وبذلك تقترب من عملية جمع بيانات البحث. فهذه العملية - إذن - هى عملية تركيز، ثم تعريف، ثم تدقيـق، وهى حريصة فى المقام الأول على صدق بحثك، بمعنى أن تصبح قادرا على أن تثبت بوضوح أنك سوف تدرس ما تفكر فى دراسته فعلا (وليس شيئا آخر)، وأنك ستجمع من البيانات ما سيساعدك على الإجابة عن تساؤلات بحثك.

بحثك

لجودة البحث: اختبار الصدق

- هـل وضعت تعريفـات إجرائيـة لمفاهيم الواردة فـى تساؤلات بحثـك أو فى فروضه؟
- هـل ستمكنـك تعريفاتـك الإجرائية من جمـع البيانـات الكفيلـة بالإجابة عن تساؤلات بحثك؟
- هل ستساعدك تعريفاتك الإجرائية على وصف المفهوم المستخدم على نحو يتيح لك أن تحدده وتقيسه؟
- هل ستجمع بيانات من - أو عن - الحالات، أو الأفراد، أو المواقف التى تعنيها فى بحثك فعلا؟
- هل تـرى أن تعريفاتك الإجرائيــة تراعى تماما السيـاق الاجتماعى والثقافى لبحثك؟
- هل تعريفاتك الإجرائية مفهومة تماما لمبحوثيك؟
- هل أنت واثق أنك ستحصل على البيانات التى تفكر فى الحصول عليها؟

بحثك

السؤال المبدئى فى بحثى هو ----------------------

وضع التعريفات الإجرائية للمفاهيم

مفهوم: ---------------------------------------

تعريفاته الإجرائية: -------------------------------

مفهوم ---------------------------------------

تعريفاته الإجرائية:---------------------------------

تدقيق سؤال البحث: -------------------------------

أسئلة البحث الفرعية:

المراجع وقراءات للاستزادة

Campbell, J. P., Daft, R. L. and Hulin, C. L. (1982) *What to Study: Generating and Developing Research Questions*, London: Sage.

Jamarda Resources (2007) Sikhs. Available at http://jamardaresources.com/Training%20Sikhs.php (accessed 1 August 2009).

Jupp, V., Davies, P. and Francis, P. (eds) (2000) *Doing Criminological Research*, London: Sage.

Kimchi, J., Polivka, B. and Stevenson, J. (1991) Triangulation: operational definitions, *Nursing Research*, 40(6): 364-6.

King, G., Keohane, O. and Verba, S. (1994) *Designing Social Inquiry: Scientific Inference in Qualitative Research*, Princeton University Press.

Miles, M. and Huberman, A. (1984) *Qualitative Data Analysis*, London: Sage.

Punch, K. F. (1998) *Introduction to Social Research: Quantitative and Qualitative Approaches*, London: Sage.

Silverman, D. (1997) *Qualitative Research: Theory, Method and Practice*, London: Sage.

الفصل الخامس

البحث بوصفه قضية أخلاقية وثقافية

محتويات الفصل

عن السياق

يتناول هذا الفصل القضايا الأخلاقية المتعلقة بالبحث. وسوف نقدم لك بعض التعريفات للمقصود بالأخلاق، وأمثلة لبعض القضايا الأخلاقية التى يمّكن أن يواجهها الباحث الاجتماعى. كما نتناول بالمناقشة مفاهيم: الموافقة عن علم، وعلاقات القوة، والحماية من الضرر (بالنسبة لكل من الباحث والمبحوث، والجماعات الهشة)، وبعض القضايا الثقافية تفصيلا. ونختم الفصل بطائفة من المقترحات الخاصة بأساليب امتثال طالب البحث للشروط الأخلاقية للبحث العلمى الاجتماعى.

تنطـوى جميع البحوث الاجتماعية على بعض الـدلالات الأخلاقية، كما تتعرض لمواجهة بعض المآزق الأخلاقية. وهكذا فإن ما يتعين علينا فعله عندما نفكر في موضوع **الأخلاق**، هو مراعـاة القيم الاجتماعية والأخلاقية الداخلة فـى عملية إجراء أى بحث اجتماعى، خاصة سؤال أنفسنا عن كيفية معاملتنا لمبحوثينا.

ما : الأخلاق

يمكـن القول بأن الأخلاق عبارة عن مجموعة من القواعد التى بواسطتها يحافظ الأفراد وتحافظ المجتمعات على الالتزام بالمعايير الأخلاقية فى حياتها.

ويعرفها ماكولى (McAuley2003: 95) على النحو التالى:

تعنـى أخلاقيـات البحـث الاجتماعـى خلق علاقة احـترام متبادل بـين الباحث والمبحوثين، تعود على الطرفين بالفائدة، ويقبل فيها المبحوثون -بكل رضا- على الإجابـة عن الأسئلة بصراحة، وتؤدى إلى نتائج صادقة، بحيث يعتبر المجتمع هذه النتائج مفيدة وبناءة..

ويعرفها مجلس بحوث العلوم الاقتصادية والاجتماعية (2009) على النحو التالى:

يشـير مصطلح «أخلاقيات البحـث» إلى المبادئ والأسـس الأخلاقية التى توجه البحث منذ بداياته الأولى وحتى اكتماله ونشر نتائجه، وحتى فيما بعد هذا كله. (من ذلك على سبيل المثال: عملية حفظ وثائق البحث (*) من بيانات ميدانية وعينات مادية بعد نشر نتائج البحث).

(*) حفظ وثائق البحث curation يقصد بها تكليف أمين أو مشرف يكون مسئولا عـن المحافظـة على عدد من الموضوعـات أو الأشياء، وذلك مـن خلال حفظها أو عرضها للناس.

ويمكن القـول -بصراحة- إن أغلـب القواعد الأخلاقية للبحـوث الاجتماعية هى أمـور بديهية: ففى المرحلة الأوليـة عليك أن تسأل نفسك كيف تريـد أن يعاملك الناس (الباحثـون) إذا دعيـت للمشاركة فى مشروع بحـث يجريه أحدهـم. إلا أن البحوث

الاجتماعية تتعرض الآن أكثر فأكثر لعدد من الضوابط والقيود التى تفرض عليها. ولذلك يصبح من الحكمة دائما أن تحرص على أن تعرف بداية ما إذا كانت هناك بعض الشروط الصريحة المعلنة فى تخصصك العلمى أو فى مجال بحثك (انظر المثال 5-1).

المثال (5-1)

الإرشادات الأخلاقية

هناك كثير من المنظمات والهيئات التى تلزم أعضاءها بعدد من الإرشادات والتوجيهات الأخلاقية الرسمية. ولا شك أن معرفة مثل هذه الإرشادات يمكن أن تكون مفيدة لك. تأكد أولا مما إذا كان تخصصك العلمى أو المهنة التى تعمل بها لديها مثل هذه القواعد الأخلاقية. وفيما يلى بعض الأمثلة على ذلك:

الجمعية البريطانية لعلم الاجتماع British Sociological Association

العنوان الإلكترونى: www.britsoc.co.uk/equality/Statement+Ethical+Practice.htm (accessed 10August 2009)

جمعية البحوث الاجتماعية Social Research Association

العنوان الإلكترونى: www.the-sra.org.uk/documents/pdfs/ethics03.pdf (accessed 10August 2009)

الجمعية البريطانية للاختصاصيين الاجتماعيين

British Association of Social Worker

العنوان الإلكترونى: www.basw.co.uk/Portals/0/CODE%200F%20ETHICS. pdf (accessed 10August 2009)

بارناردوس Barnardos

العنوان الإلكترونى: www.barnardos.org.uk/resources/research__and__tips/research__and__publications__research.htm (accessed 10August 2009)

مجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية

Economic and Social Research Council

العنوان الإلكترونى: www.esrc.ac.uk/ESRCInfoCentre/Images

-ESRC__Re__Ethics__Frame__tcm6-11291.pdf (accessed 10August 2009)

وحدة البحوث الاجتماعية الحكومية (الخدمة المدنية)

Government Social Research Unit (Civil Service)

العنوان الإلكترونى: www.civilservice.gov.uk/networks/professional/gsr/

professional-guidance/GSR__Code__Legal__and__Ethical.aspx (accessed 10August 2009)

من الملاحـظ أن هناك مجموعات مختلفة من الإرشـادات والتوجيهات الأخلاقية التى قد تختلف فيما بينها من بعض النواحى، ولكن المؤكد أن هناك - إلى جانب ذلك- عـددا من القضايـا التى يتعين أخذها فـى الاعتبار فى كل مرة تشـرع فيها فى إجراء بحـث. ومع ذلك فمن المهـم أن تتذكر دائمًا أن الأخـلاق -أو جانبا منها على الأقل- يرتبـط بالسياق الاجتماعـى الثقافى. وليس المقصود بذلك مجـرد القول بأنها تتغير، وإنمـا الأحرى أننا يجب أن نبذل اهتماما خاصـا عندما نكون بصدد إجراء دراسة فى مناطـق معينة، أو عندما نولى اهتمامنا البحثـى لجماعات معينة. ومع أنه من البديهى أن كل شخصـ ندرسـه جدير بأن نوليه كل اهتمام وعناية، إلا أنه من المهم - مع ذلك - أن نضـع نصب أعيننا أن هناك بعضـ الفئات أو الجماعات التى تكون أكثر هشاشة (ضعفـا) مـن غيرها. لهذا السبب سـوف نأتى فى موضع لاحق مـن هذا الكتاب على ذكـر بعض المراجع المتخصصة بموضوع القواعد والمعايير الأخلاقية، لذلك يمكن أن تعد هذا الفصل تمهيدا أو تأسيسا لموضوع الاعتبارات الأخلاقية وكذلك الحصول على القبول الأخلاقـى وعلى موافقة المبحوثين، ولكنه لا ينوى أن يحكى لك القصة الكاملة لموضوع الأخلاق فى البحث الاجتماعى.

وهكـذا تشتمل الفقرات التالية على ما نعتقد أنه يمثـل المجالات الأساسية التى يتعين

أخذهـا فى الاعتبار **قبل** أن تبدأ العمل فى مشروعك البحثى، وأن تضعها نصب عينيك وأنـت تقـوم بتصميم المشروع. فقد يكـون عليك أن تحصل - فى هـذه المرحلة - على الموافقة الأخلاقية على خططك البحثية. أما إذا كنت بصدد إعداد مقترح بمشروع بحثى (انظر الفصل6 من الباب 2) فيتحتم عليك أن تبين فى مقترحك هذا ما إذا كنت قد راعيت أو تناولت - بالفعل - أى قضايا أخلاقية.

القبول الأخلاقى

يلاحـظ الآن أن غالبيـة مشروعـات البحـوث الاجتماعيـة، بمـا فيهـا تلـك التى يتم إجراؤهـا بمعرفـة الطـلاب لنيـل درجـات علميـة؛ تخضـع لعمليـة قبـول أخلاقـى يتعـين استكمالهـا قبـل البدء فـى البحـث. وتختلـف عمليـات القبـول الأخلاقى عن

المثال (5-2)

الإرشادات والتوجيهات الأخلاقية

مجلـس البحوث الاقتصاديـة والاجتماعية هو المسئول عـن تمويل عدد كبير من البحوث الأكاديمية فى العلوم الاجتماعية، وقد وضع القواعد التالية بوصفها المبادئ الأساسية لأخلاقيات البحوث:

- يتعين أن يتم تصميم البحث، والإشراف عليه وتنفيذه بما يضمن النزاهة والجودة.
- يجـب أن يكون جميع العاملين فـى البحث، وكذلك كل المبحوثين على دراية تامة بالهدف مـن البحث، وطـرق البحث المستخدمـة والاستخدامـات المتوقعة منه، وتبعات الاشتراك فيه وطبيعة المخاطر - إن وجدت - المرتبطة بهذه المشاركة.
- الحفاظ على سرية المعلومات التى يدلى بها المبحوثون، وإخفاء هوياتهم.
- يجـب أن تكـون مشاركة أى مبحوث طواعية تماما وغـير مرتبطة بأى نوع من أنواع القهر.
- يتعين تحاشى إلحاق أى ضرر أو أذى بالمبحوثين.
- لابـد أن يكون استقلال البحث واضحـا كل الوضوح، وأن يتم الإفصاح عن أى تضارب فى المصالح أو أى تحيز من أى نوع.

المصدر: مجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية (2009).

بعضهــا اختلافا كبــيرا حسب المنظمات المختلفة وتبعا لمستويــات وأنواع البحوث. فإذا كنــت تنوى - مثلا - التخطيط لبحث عن «الصحة» علــى البشر يتضمن إعطاء عقاقير أو إجــراء جراحات معينة، فعليك أن تتوقع (وبحق تمامــا) اتخاذ ضوابط وإجراءات أمــان صارمة لحماية المبحوثين. ومع أن مثل هــذا الموقف يمثل حالة متطرفة، إلا أنك ستحتــاج - مع ذلــك - إلى مراعاة إجراءات الأمان حتى لــو كان البحث ينوى مجرد استطــلاع آراء بعض الناس أو الحصول منهم على إجابات عن بعض الأسئلة. وهكذا تهــدف عملية القبول الأخلاقى أساسا إلى التأكد مــن أن مبحوثيك ليسوا معرضين لأى مخاطر بسبب البحث الذى ستجريه، أو التأكد - فى حالات كثيرة - من أن هذه المخاطر المتوقعة معقولة، وأن المبحوثين يتفهمونها تماما.

والحقيقــة أن عمليــة القبــول الأخلاقى أكثر فائدة لــك مما يبدو الأمــر فى الظاهر. فمــن المؤكد أن الهدف النهائــى هو التأكد من أن البحث مطابــق للإرشادات الأخلاقية المناسبة، غير أنه يتيح - علاوة على هذا - فرصة للباحث للتفكير فى العملية بتفاصيلها، وهو أمر يمكــن أن يكون عظيم الفائدة من حيث تحسين طرق جمع البيانات وتدقيقها. فعملية القبول الأخلاقى سوف تؤدى - فى حدها الأدنى - إلى زيادة وعي الباحث بكل تفاصيل العملية البحثية.

وستلاحــظ عند الشروع فى محاولــة التعرف على موضوع الأخــلاق فى البحث أنك بصدد طوفان من المعلومات عن الأخلاق فى البحوث «الطبية»، التى تحكمها قواعد شديدة الصرامــة. ويتم الحصول على القبــول الأخلاقى للبحوث الطبية فــى المملكة المتحدة عادة تحــت إشراف لجــان أخلاقيات البحوث التابعــة لوزارة الصحة، مع العلــم بأن الحصول علــى الموافقة يمكن أن يكون عملية طويلة ومعقدة (للوقوف على مزيد من التفاصيل راجع الموقع التالى : www.nres.npsa.nhs.uk وفقا لآخر دخول على الموقع بتاريخ 7 أغسطس 2009). أمــا البحــوث التى تتم فى إطار الجامعات فيشرف عليهــا - كقاعدة عامة - نظام اللجان الأخلاقية أيضا، ولكنها تتطلب فى الغالب مستويات مختلفة من الموافقات تبعا لطبيعة البحث. والمعتــاد بالنسبة لمقترحات البحوث التى يتقدم بها طلاب الليسانس والبكالوريوس فى مجال العلوم الاجتماعية أن تعتمد الموافقة من جانب الأستاذ المشرف بطريقة غير رسمية (نسبيــا). وطبيعى على كل حــال أن يكون للمؤسسات المختلفــة متطلبات مختلفة للحصول على ذلك القبول. ولذلك إذا كنت ستجرى البحث فى جامعة أو معهد عال فإنه يتعين عليك أن تستعلم عن إجراءات عملية القبول التى يجب عليك الالتزام بها فى مؤسستك.

وسنحاول فيما يلى إلقاء الضوء على أهم الاعتبارات التى يجب مراعاتها عندما تفكر فى الجانب الأخلاقى لبحثك، وستجد لهذا الغرض "قائمة" بها فى نهاية الفصل.

الموافقة عن علم

الأساس فى عملية **الموافقة عن علم** (انظر قائمة المصطلحات) هى التأكد من أن الأشخاص الذين سيشاركون فى البحث يفهمون جيدا ما يوافقون عليه. وقد يبدو هذا الأمر واضحا كل الوضوح، غير أن هناك عدة أشياء يتعين على الباحث القيام بها للتأكد من الالتزام بالعملية الأخلاقية. (انظر فقرة «البحث الواقعى» الواردة لاحقا التى توضح هذه الأشياء تفصيلا).

- **يجب أن تتم الموافقة طواعية**. ليس من المقبول إجبار الناس على الاشتراك فى البحث. وقد يكون هذا الأمر فى النهاية مسألة قوة، فقد يرغب بعض الناس فى إرضائك بمساعدتك على إنجاز بحثك، أو أنهم قد يرونك بادى الانزعاج والقلق مما يجلعهم يخشون أن يرفضوا طلبك. وعندما تكون بصدد التفكير فى اختيار أفراد عينتك، فربما يتعين عليك ساعتها أن تفكر كيف يمكن أن تشجع الناس على الاشتراك، دون أن تجبرهم على ذلك.
- **عليك أن تقدم لمن تعرض عليهم المشاركة معلومات واضحة وكافية**. عليك أن تتأكد أن الناس يفهمون تماما الأمر الذى يطلب منهم الموافقة على الاشتراك فيه. فالناس الذين سيكونون جزءا من دراستك يستحقون أن ينالوا احترامك واهتمامك. فالأمر الأرجح أنهم سينفقون وقتهم فى هذا العمل دون مقابل. وقد يكون سبب قبولهم التضحية بوقتهم معقدا، من ذلك مثلا أنهم قد يرون أن مشروعك مثير للاهتمام ويستحق هذه التضحية، أو قد يظنون أنك جدير بأن يبذلوا من وقتهم لأجلك. ونعتقد أن أفضل طريقة للحصول على الموافقة هى استخدام استمارة معلومات رسمية تنتهى بصيغة إقرار بقبول المشاركة طبقا لما هو مبين فى أمثلتنا. وهكذا يمكن القول إنه لا بد أن يحيطوا بالأمور التالية كحد أدنى:
- **ماذا يمكن أن يعنى هذا البحث بالنسبة لهم**: غالبا ما يعنى الأمر بالنسبة للبعض الإحساس بالرضا لأنهم ساعدوا شخصا ما على إجراء بحثه، وإن كان الأمر يمكن أن يكون أعقد من ذلك أحيانا (فقد يكون لدى البعض منهم اهتمام شخصى قوى بموضوع البحث، مثلا). وفى أحيان أخرى قد يتلقى المبحوثون أجرا أو نوعا

آخـر من المكافأة على ما بذلـوه من وقت. وإذا كان مشروعـك يتضمن دفع أجور للمبحوثين، فسيكون عليك أن تدبر التمويل اللازم وأن تقرر هل سيُدفع المقابل نقدا أم فـي صورة إيصالات لاستـلام هدايا مثلا (وعلينا أن نلاحـظ هنا أن دفع أجور للمبحوثين هو بمثابة حقل ألغام، ويمكن أن تكون له عواقب مهمة كضرورة إخضاع المكافأة لضريبة الدخل، أو التثير على حجم الإعانات التى يتلقاها الشخص).

- **لمـاذا تجرى هذا البحث؟** لا شك أن التفسـير والتبرير الواضحين غالبا ما يؤديا إلى تشجيـع الناس علـى المشاركة، خاصـة إذا أحسُوا أن بحثك سيكـون ذا قيمة وفائدة بالنسبة لهم أو بالنسبة لجماعتهم الاجتماعية.

- **ما الأعباء العملية التى ستترتب على قبولهم المشاركة؟** هل سيكون عليهم -مثلا- أن يخصصوا لهذه المشاركة قـدرا كبيرا من وقتهم؟ أو هل سيطلب منهم القيام بتمارين أو عمليـات عقلية معقدة؟ أو سيطلب منهم الاشتراك مع أشخاص آخرين فى جماعة مناقشة لتعمق بعض الموضوعات؟

- **الاشـتراك فى البحث طوعى وللمشـارك الحق فى الانسحاب من المشروع فى أى وقـت.** لا شك أنـه سيكون أمرا محبطـا فعلا لو قرر بعضـ المبحوثين ممارسة حـق الانسحاب هذا، خاصة إذا كان حجم عينتـك صغيرا. ولكن من المهم أن تتفهم تمامـا أنه لا عقاب على من يمارس هـذا الحق، فمبحوثك لم يفعل أكثر من أنه قرر أن يسحـب موافقته على الاشتراك. وعليـك أن تفكر فى مرحلة تصميم البحث ماذا ستفعل بالمادة التى جمعتها من شخص أو أشخاص انسحبوا أثناء إجراء البحث.

- **هل هناك أى مخاطر يمكن أن تنجم عن المشاركة؟** لا بد أن يكون مبحوثوك على بينة منذ البداية مما إذا كانت مشاركتهم يمكن أن تعرضهم لأى مخاطر (انظر الفقرة الخاصة بالحماية من الضرر فى هذا الفصل).

- **ماذا سـتفعل بالبيانات التى سـتجمعها منهم؟** يريد الناس أن يعرفـوا ماذا ستفعل بالمعلومـات التى سوف تجمعها عنهـم (راجع كذلك فقرة «الحماية من الضرر» فى هذا الفصل).

- **ما صـلاحياتك؟** يريد الناس - فى الغالب - أن يعرفوا مـا الصلاحيات التى تخول لـك إجـراء هذا البحـث؟ لاحظ هنا أن معظم عمليات الحصـول على الموافقة بشكل

أخلاقى تتطلب أن يكون لك مرجعية معينة تضمن للناس أن يثقوا بك (وستكون هذه الجهــة التى يمكن الرجوع إليها بالنسبة للطالب - عادة - القسم العلمى الذى يدرس فيـه، أو الأستاذ الذى يشرف على دراسته). ويتعين أن يكون المشاركون على علم بكيفية الاتصال بك أو بالجهة التى كلفتك بالبحث).

- **يجــب أن يكون بوســع المبحوثين الإقرار بقبولهم الاشــتراك عــن علم.** هناك بعضــ الظروف التى تفرضــ عليك أن تعرف أن مبحوثيك قــادرون على إعطاء موافقتهــم - علــى المشاركة - عن علــم. والعادة أن معظم الطــلاب الذين يجرون بحوثهم لا يتوقعون أن يمثل هذا الأمر مشكلة كبيرة، ولكنك يجب أن تعى أن هناك بعضــ الأفراد الذين ليسوا مؤهلين - أو ليسوا قادرين - على تقديم إقرار بالموافقة، ويرجــع ذلك عــادة إلى الاعتقاد بأنهم غير قادرين على فهــم دلالات هذه المشاركة ومــا قد يترتب عليها. وفى مثل هذه الأحوال قــد يطلب من أشخاص بالغين آخرين أن يقدمــوا هم الموافقة على اشــتراك أولئك الأفراد بالنيابة عنهــم. وذلك كأن يقدم الوالــدان الموافقة على اشتراك أولادهــم نيابة عنهم، ومن ذلك أيضا الموافقة بالنيابة عن الأشخاص المصابين ببعض القصور كالعته أو الخرف (للاستزادة من معلومات عن هذا الموضوع راجع نورمان وآخرين، 2006، ص ص 228-233).

بحثك

فيمــا يلى قائمة من الموضوعات التى قد تحتاج إلى أن تضمنها صفحة المعلومات التــى تعرِّف فيها ببحثك. اكتب جملة أو فقرة عــن كل موضوع منها لكى تستوفى صفحات المعلومات عن البحث.

علــى أنه ينبغى أن تتذكر أنه ليس من الممكــن أو المعقول دائما الحصول على الموافقة عن علم فى بعض الأحوال، عندما يدور البحث - مثلا - حول ملاحظة سلوك جماهير المشاهديــن لمباراة كرة قدم (انظــر الفصل 6 من الباب 3). على أنه لا يجوز أن يستخدم مثل هذا الاستثناء للالتفاف حول موضوع الموافقة، فعلى الباحث - كلما كان ذلك ممكنا - أن يحصل دائما على الموافقة عن علم.

مثال(5-3)

صيغة الإقرار بالموافقة على الاشتراك فى البحث

جامعة كذا . . .

قسم العلوم الاجتماعية

التاريخ :

صيغة الإقرار

اسم مشروع البحث:______________

اسم الباحث:________________

عنوان البريد الإلكترونى للباحث ورقم تليفونه:

1 - أقـر بأنى اطلعت على صفحة المعلومات الخاصـة بالدراسة المذكورة وفهمتها، وأمامى فرصة طرح بعض الأسئلة. **نعم / لا(*)**

2 - فهمت أن مشاركتى فى البحث طواعية، وأن لى كل الحرية فى الانسحاب من المشـروع فى أى وقت، دون الحاجة إلى إبداء أية أسباب، ودون أن يؤثر هذا الانسحاب على سلامتى أو على حقوقى القانونية. **نعم / لا(*)**

3 - أوافق على الاشتراك فى الدراسة المذكورة أعلاه. **نعم/ لا(*)**

—	—	—
اسم المشارك فى البحث	التاريخ	التوقيع
—	—	—
اسم الباحث	التاريخ	التوقيع

(*) من فضلك اشطب الخيار الذى لا يوافقك.

شكل (5-1) نموذج لصيغة إقرار أحد المشاركين فى البحث بالموافقة

جامعة كذا . . .

قسم العلوم الاجتماعية

معلومات تهم المشاركين (المبحوثين)

اسم مشروع البحث:------------------------

سيتولى تنفيذ البحث:------------------------

يهتم المشروع بموضوع:----------------------

- ما المهام التى سأقوم بها؟
- ما الفوائد التى ستعود عليَّ من المشاركة فى الدراسة؟
- هل هناك أية مخاطر يمكن أن أتعرض لها إذا وافقت على المشاركة؟
- هل ستحملنى هذه المشاركة أية تكاليف أو أعباء مالية؟
- ماذا يمكن أن يحدث لو رفضت المشاركة فى البحث؟
- ما كيفية التصرف فى المعلومات التى سيتم جمعها؟
- مـاذا يمكن أن يحدث لى لو أننى غـيرت رأيى وقررت الانسحاب من المشاركة فى الدراسة؟
- ماذا أفعل عندما أود طرح بعض الأسئلة، أو إذا وجدت شيئا غير مفهوم لى؟
- ماذا سيحدث بعد انتهاء الدراسة؟

ملاحظة : إذا كان ثمة أمور أخرى تشغلك بشأن الدراسة وأردت أن تتصل بأحد لمناقشتها معه، فيرجى الاتصال برقم التليفون التالى :----

شكل (5-2) نموذج صيغة «المعلومات التى تهم المشاركين».

البحث الواقعى

الموافقة عن علم

تقول الكلية الملكية للتمريض:

«الموافقة عن علم هى قبول مستمر من قبل شخص ما على أن يتلقى علاجا، أو يخضع لإجراءات معينة، أو يشارك فى بحث بعد أن تبين له بوضوح كاف المخاطر، والمزايا، والبدائل المترتبة على هذه الموافقة...».

وتعد الموافقة عن علم التى يتم إقرارها بحرية ذات أهمية محورية للمبحوثين -من البشر- الذين يشملهم بحث ما، أو الذين تستخدم معهم أنسجة بشرية أو مواد وراثية. والسبب فى ذلك أنه من الضرورى التأكد من أن الأشخاص الذين سيشاركون فى البحث قد فهموا جيدا ما سيترتب عن البحث بالنسبة لهم. وينطبق ذلك على كل من سيشارك سواء كانوا مرضى أو أصحاء متطوعين لإجراء اختبارات أو تجارب عليهم.

ومن شأن الموافقة عن علم أن تساعدنا على التأكد من أن هؤلاء الأشخاص لم يُخدعوا أو يتم إجبارهم على المشاركة فى البحث.

ولكى يقدم المشاركون موافقتهم عن علم يتعين أن يفهموا الأمور التالية فهما جيدا:

- هدف البحث.
- الجوانب العملية والإجراءات التى تنطوى عليها تلك المشاركة.
- مزايا المشاركة ومخاطرها، وأنواع العلاج البديلة حسب الأحوال.
- كيف سيتم معالجة البيانات التى يدلون بها وكيف سيتم استخدامها؟
- صيغة الإقرار بالموافقة.
- دورهم فى البحث إذا وافقوا على المشاركة فيه .

- كيف سيتم تزويدهم بالمعلومات طوال فترة إجراء البحث؟
- أن تكون موافقتهم طوعية تماما.
- أنهم يستطيعون الانسحاب من المشاركة فى البحث فى أى وقت يريدون، دون الحاجة إلى إبداء أية أسباب، ودون أى تعديل فى التعامل معهم أو علاجهم فى المستقبل.
- ترتيبات التعويض التأمينى نتيجة تنفيذ البحث، إذا تطلب الأمر ذلك.
- أن يكون البحث قد حصل على موافقة لجنة أخلاقيات البحث.

ومن اللازم أن تقدم المعلومات التالية لمن تطلب منهم الموافقة:

- تفاصيل كيفية الاتصال مع المسئولين عن البحث فى حالة ما خطرت لهم بعض الأسئلة أو أرادوا الانسحاب من البحث.
- معلومات تفصيلية عن الجهة التى ترعى البحث وعن الهيئة التى تتولى تمويله.

الموافقة المستمرة

الموافقة عن علم متطلب مستمر، ولذلك يتعين على الباحثين أن يضمنوا للمشاركين (أى المبحوثين) ما يلى:

- أنهم ما زالوا يفهمون المعلومات الموضحة أعلاه، وأن يتم إطلاعهم على أى تغييرات تطرأ عليها.
- استمرار موافقتهم على المشاركة طوال فترة إجراء البحث.

المصدر: نقلا بتصرف عن المصدر التالى: الكلية الملكية للتمريض (2005)، «الموافقة عن علم فى بحوث الصحة والرعاية الاجتماعية»، ص2. نشر بتصريح من الناشر. والمصدر متاح على الموقع التالى:

www.rcn.org.uk/__data/assets/pdf__file/0003/56703/informedconsentdec05.pdf

(وقد تم آخر دخول على هذا الموقع بتاريخ 2009/8/7).

علاقات القوة

عرضنــا لهذا الموضوع فى سيــاق معالجتنا لموضوع الموافقة عــن علم، ولكن هناك بعضــ العواقب الأخرى لــه التى يتعين أن تضعها فى اعتبــارك، لأنها يمكن أن تؤثر على عملية جمع البيانات التى ستقوم بها.

هــل يعتبرك المشارك (المبحوث) «قويا»؟ (لاشك أن ذلــك يمكن أن يحدث دون أن يكون المبحوث على وعى به). وهو قد يراك كذلك لعدة اعتبارات، منها مثلا أنك أنت «الخبــير» فى موضوع البحث، ولذلك لا يريــد المبحوث أن يخالفك الرأى. كما أنه قد يعتــبرك قويا لأنك على صلــة أو اطلاع بأمر ما (من ذلك مثــلا: المعرفة والخبرة، أو علاقــات مهمة، . . . إلــخ) يمكن أن يستفيد منها المبحوث. ومــن شأن مثل هذه النظرة إليك أن تغير إجابات المبحوث على بعض أسئلتك.

ثم هناك - علاوة على هذا - بعض الأمور العامة. فلو كنت تجرى بحثك -مثلا- مع شباب حديث السن، فقد يرونك متفوقا عليهم لأنك أكبر منهم سنا (كما قد يكون لهذا الاعتبار عواقــب معينة عندما تجرى بحثك مع أشخاص من ثقافات متباينة، وسوف نعرض لهذا الموضــوع بمزيد مــن التفصيل فى الفصل 1 من الباب 3). وعليــك كباحث اجتماعى أن تكــون على وعى بأن أفراد الجماعات المختلفة سوف يرونك بعيون ومواصفات مختلفة. فالبعضــ قد تهوله مهاراتك البحثية، أو يــرى البعض الآخر أنفسهم متفوقين عليك لأنهم أكــبر سنا منك. ولذلك من المهــم أن «تتأمل مليا» هذه الدلالات قبــل أن تبدأ عملية جمع بيانات بحثك، بحيث تستطيع أن تعملَ حسابا لأى تأثير لها على عملك.

حماية المبحوث من الضرر

يجــب أن يكــون واضحا كل الوضوح أن من حق أى مشــارك فى بحثك أن يحظى بالأمــان أثناء ذلــك. وهناك بعض الأمــور القليلة التى يحســن أن تتدبرها جيدا، لكى يتحقق هذا الهدف طوال فترة العمل، لا أن يصبح أمرا يحدث بالمصادفة وحسب.

الضرر البدنى

يجــب ألا يتعرض مبحوثوك لأى مخاطر يمكن أن تلحق بهم ضررا بدنيا (المفترض

فــى حديثنا هذا أنــك لا تجرى أيه تجارب طبيــة أو جسمانية عليهــم، لأنه فى مثل تلك الحالات سوف يتعين عليك الالتزام ببعض القواعد الخاصة). وتعنى تلك الحماية - فى حدها الأدنى - أن تكون الأماكن التى تعقد فيها جلسات جمع البيانات أماكن آمنة (ليس فقــط بمعنى سلامة المبنــى بحيث لا يقع السقف على رؤســ الناس، ولكن كذلك بمعنى الذهــاب إليه والعودة منــه). وعلى الباحث ألا يفترض أن المبحــوث سوف يشعر بأن المكان آمن وحسب، وإنما الإحساس البدهى السليم قد يفيد هنا: فكثير من الناس يسعدهم أن تتــم دعوتهم إلى اللقاء فى مكان يوجــد فيه بشر آخرون كثيرون، كحى سكنى على سبيل المثال، أو منطقة وسط المدينة.. ونحو ذلك. فعليك أن تتحلى بالمرونة عند اختيار المكان الذى ستعمل فيه.

الضرر النفسى

كذلــك يتعين حمايــة مبحوثيك من التعرض لأيــة أضرار نفسية. وهــذا الأمر أكثر صعوبة مــن الأخطار الأخرى. فإذا كنا نبحث فى موضوعــات حساسة، فهناك دائما احتمال أن يتأثر مبحوثك بإثارة مثل هذه الموضوعات. ولأن أغلبنا ليسوا أطباء نفسيين أو معالجين مدربين، فإننا قد لا نكون مؤهلين التأهيل الكافى للتعامل مع مثل هذا النوع مــن ردود الفعل. على أن هناك مع ذلــك إمكانية لحل هذه المعضلة، وذلك بأن نضمن إتاحة الفرصة للمبحوثين لمناقشة أى مسائل يجدونها غير مريحة أو تمثل مصدر إزعاج لهــم وذلك خارج موقف جمع البيانات. ولعــل ذلك يتم معك شخصيا بوصفك الباحث المسئول، كما يمكن أن يتحقق بمساعدة طرف آخر تراه قادرا على معالجة هذا الأمر.

> ### فكر فى هذا الموضوع
>
> افترضــ أنك تجرى بحثا عن المرافق التى يستخدمها بعض الناس الذين يعانون مــن مرض مزمن، كمرض السكــر أو مرض القلب. فى هذه الحالة ستوجه بعض الأسئلــة عن المرافــق التــى يستخدمونها، كالعيــادات الخارجيــة، أو المستشفيات، والأطبــاء المتخصصــين، وقد يــؤدى ذلك إلى إحســاس المبحوث بأنــه لا يتلقى كل الخدمــات التى يحتاجهــا أو يتصور عندها أن حالته الصحيــة أخطر مما كان يظن. وهنا قد يداخله شعور بالقلق.

حقيقـة أنك لست متخصصا فى الطب ، ولكنك تستطيع أن تتأكد من حصول هذا المبحـوث المريض على المشـورة الطبية والمساعدة اللازمـة ، وذلك مثلا من خلال إطلاعــه على نشرات المعلومات التى يعدها الأطبـاء المتخصصون ، هذا طبعا فضلا عن أن تقترح عليه الاتصال بطبيبه المعالج للاستفسار عن أى أمر يعن له بخصوص مثل هذه الخدمات .

بعض العواقب الأخرى للمشاركة

هنــاك بعض أنــواع الضرر الأخرى التــى يحتمل أن يتعرض لهــا المبحوث والتى تستأهـل منا بعض التفكير . فمــا عساك أن تفعل – مثلا – إذا ترتــب على مشاركة أحد المبحوثــين أن فقد وظيفتــه؟ إن مثل هذا الأمر ليس مستحيــلا (وإن كان بعيد الاحتمال جــدا) . لهذا يجب أن يتيقن المبحــوث أن أية معلومات شخصية يبوح لك بها سوف تظل طى الكتمــان (انظر برواز «البحث الواقعى» أدناه) . كمــا يحتمل أن تشتد رغبتهم فى المشاركة لــو أنهم فهموا الهدف من البحث ومن الذى سيقرأ فى النهاية تقرير البحث أو الرسالــة الجامعيــة التى سوف تتضمن مادة البحث ونتائجه . ومــن الممكن أن ينشأ مثل هــذا الموقف الحرج فى حالة قيام المبحوث بإفشــاء معلومات عن بعض السلوكيات غير القانونية (المحظورة): ترى ما استجابتك فى هذه الحالة؟ (انظر برواز «بحثك» الوارد أدناه فى هذا الفصل) .

البحث الواقعى

فى بعض الأحيان قد يكون من الصعب حماية الناس من الضرر عند دراسة المنظمات . من ذلك ما قام به روجرز Rogers (2001) من تنفيذ مشروع بحثى عــن نظم الإدارة فــى إحدى مؤسسات تقــديم الخدمات الصحيــة . ولأن عدد العاملــين فى تلك المؤسسة كان قليلا جدا ، فقد ظهرت بعض المشكلات التى كان مــن اللازم التصدى لها وحلهــا . كما كان من المستحيل – إلى حد ما – الاحتفاظ بمجهوليــة المبحوث وسرية المعلومات بشكل تام ، وذلك لأن "كل واحد يعرف كل النــاس" . ولذلك لم يكن مفاجأة أن يشعــر العاملون أنهم قد "انكشفوا" أمام المديرين ، ومن ثم فإن وظائفهم أصبحت فى خطر . وقد أمكن التغلب على هذه المشكلــة بالتفاهــم الصريح مع المبحوثين على الكيفية التــى يريدون بها توصيف أنفسهم وطريقة إخفاء هوياتهم الحقيقية .

المخاطرة

لم ينقطع الجدل حول إمكانية السماح بتعريض المبحوثين للمخاطر فى أثناء مشروع البحـث، حتى لو أحيطوا علما بكل تفاصيل هذه المخاطر. (للوقوف على مناقشة مفصلة لهـذا الموضـوع راجع لاروسـا وزملائـه .Larossa et al، 1981، صـ ص 303-313). ويمكن القول بأن هذه المشكلة ليست واردة بالنسبة لمعظم (وربما للكل) البحوث التـى يجريها طـلاب الليسانس، فمن الأمور البعيدة الاحتمـال تماما السماح بتعريض المبحوثين المشاركين فيها لأية مخاطر.

السرية/ وإخفاء الهوية

من الواجب عادة أن نضمن للمبحوثين إخفاء هوياتهم فى تقرير البحث، وأن كل ما سيدلون به من بيانات أثناء البحث سوف يبقى طى الكتمان. كما يتعين إخبارهم بطريقة نشر نتائج البحث الذى شاركوا فيه، بحيث يتخذوا القرار الصحيح بشأن مشاركتهم.

وعلى الرغم من أنه من اليسير تماما إخفاء هوية المشاركين، فإنه يتعين على الباحثين أن يدركـوا أن تحقيق ذلك قد لا يكون ميسورا فى كل الحالات. فإذا شملت عملية جمع بيانـات البحث -مثلا- إجراء بعض الأحاديث مع مدرس فى إحدى المدارس، فهناك احتمـال أن تثـور فى هذه الحالـة مشكلة تعوق سرد نتائـج مناقشاتك مـع إخفاء هوية المتحـدث، وذلك لأن هنـاك مدرسا أول واحدا، فـإذا نسبت أى بيانـات إلى المدرس الأول فمعنى ذلك إفشاء هويـة صاحبها. ولهذا يجب على الباحثين أن يأخذوا مثل هذه الأمـور فى الاعتبار عندما يكونـون بصدد التخطيط لعملية كتابـة تقرير بنتائج البحث (فمن الممكن فى مثل هذه الحالة أن يكتب الباحث فى تقريره «وقال أحد قدامى المدرسين أن ...»)، وأن يتأكد الباحثون من أن المبحوثين أنفسهم يدركون مدى حرص الباحث على إخفاء هوية كل واحد منهم.

وهناك - فضلا عن هذا - قيد ضمنى يحول دون استخدام البيانات التى جمعتها لأى غرضـ آخر غير ذلك الذى أخـبرت المبحوثين به. ذلك أن سلوكا من هذا النوع يعد - عموما - سلوكا غير أخلاقى.

الصدق

يتعين عليك – على وجه العموم – أن تكون صادقا وأمينا مع مبحوثيك، وألا تضللهم أو تخدعهم سواء فيما يتعلق بطرق البحث المتبعة أو بهدف البحث. ويعنى هذا – من ضمن ما يعني – أن تستخدم طرق بحث ظاهرة أو طرقا صريحة في دراستك. على أن هناك بعض الظروف التي لا تصلح لها **طرق البحث الظاهرة** (انظر قائمة المصطلحات)، ويتعين فيها استخدام **طرق بحث مستترة** (انظر قائمة المصطلحات). من ذلك مثلا عندما تكون بصدد دراسة مدى أمانة العاملين في المتاجر. إذ من الواضح أنهم لو عرفوا أنهم مراقبون من الباحثين، فسوف يكون الأرجح أنهم سوف يتصرفون على نحو فوق مستوى الشبهات. والأمر الذى يتعين اتخاذ قرار فيه في مثل هذه المواقف ما إذا كان أخلاقيا استخدام حيلة ما، وما إذا كان ثمة مبررات يمكن تقديمها لفعل ذلك: ولعل اللجوء على مثل هذه الحيلة يتطلب تبريرا واضحا وقويا في خطة مشروع البحث قبل الحصول على موافقة عليها من الناحية الأخلاقية. كما أن القيام بعملية جمع البيانات بطرق ظاهرة قد يتضمن ملاحظة أو جمع بيانات عن بعض السلوكيات غير الأمينة (كما في المثال المذكور)، وربما حتى سلوكيات تقع تحت طائلة القانون. وسوف نتطرق فيما يلى إلى استعراض بعض القضايا المتعلقة بهذه المواقف.

حماية البيانات

هناك بعض الالتزامات التي يفرضها عليك «قانون حماية البيانات» (الصادر عام 1998) الذى يلزمك بالحفاظ على سرية «البيانات الشخصية» (كالوثائق الشخصية وسجلات الكومبيوتر التي تخضع للحماية وفقا لهذا القانون). ويُلزم هذا القانون –عموما– بمراعاة الأمور التالية فيما يتعلق بالبيانات الشخصية:

- أن يتم الحصول عليها ومعالجتها بأمانة وبشكل مشروع، وألا تتم معالجتها إلا بمراعاة شروط معينة (يحددها هذا القانون).
- أن يتم الحصول عليها لأغراض محددة وبشكل مشروع، وألا تتم معالجتها بأى طريقة لا تتفق مع هذه الأغراض.
- أن تكون بيانات كافية وافية، ومرتبطة بموضوع البحث، بحيث لا تتجاوز أهداف البحث.

• أن تكون دقيقة ويتم تحديثها حتى آخر تاريخ.

• ألا يتم الاحتفاظ بها أطول مما يلزم لخدمة أهداف البحث .

• أن تتم معالجتها بما يتفق مع حقوق صاحب البيانات.

• أن يحافظ الباحث عليها في مواجهة أى جهة أو شخص ليس مخولا له ذلك، وأن يحافظ عليها من أن تتعرض للضياع أو الإتلاف.

• ألا يتم نقلها إلى أى بلد خارج بلاد منطقة السوق الأوروبية، إلا إذا كان لدى تلك الدولة مستويات مماثلة من حماية البيانات الشخصية.

(**المصدر**: إدارة الشئون القانونية بجامعة برمنجهام «ملخص قانون حماية البيانات»، منشور على الموقع التالي:

www.legalservices.bham.ac.uk/data__prctection__policy/

(تاريخ آخر دخول على الموقع 7 أغسطس 2009).

الجماعات الهشة (الضعيفة والمعرضة للأخطار)

أشرنا من قبل إلى أن هناك بعض الجماعات التى نجرى عليها بحوثنا والتى تتسم «بالهشاشة» أو الضعف، وهى التى تستحق من جانبنا بذل اهتمام إضافى خاص بالتعامل معها. وتهدف هذه المعاملة الخاصة – فى جانب منها – إلى أن نتأكد من عدم تعرض أفراد هذه الجماعات لأى مخاطر أو أضرار، وأن نحرص فى نفس الوقت على عدم تعرضهم لأى استغلال.

ولا شك أن محاولة عمل إحصاء كامل لمثل هذه الجماعات الهشة قد يكون قليل الفائدة لك، والمطلوب منك – كحد أدنى – أن تمعن التفكير فى كل المسائل والملاحظات التى عرضناها فيما سبق عندما تكون بصدد إجراء دراسة على أشخاص يتسمون بالخصائص التالية:

1 – صغار السن، ونقصد بهم (بصفة عامة كل العمومية) الأشخاص دون سن السادسة عشرة.

2 – كبـار السـن، خاصـة الكبار الذين يعيشـون وحدهم: ويصعب هنـا تحديد فئة عمرية معينة، ولكن يمكننا القول إن عليك وضع ترتيبات خاصة عندما تتصدى لدراسة أفراد تجاوزوا السن القانونية للتقاعد.

3 – أولئك الذين يعانون من بعض أنواع العجز البدنى أو صعوبات التعلم.

4 – أولئك الذيـن يعانون من مشكلات تتعلق بالصحة العقلية: وهناك تشريع خاص (هو قانون اللياقة العقلية الصادر عام 2005) يكفل حماية المبحوثين من أصحاب المشكلات الصحية العقليـة. وهو تشريع معقد، فإذا اضطرك البحـث إلى التعامل مع أفراد من هذه الفئة، فيتحتم عليك التماس نصيحة فنية من أحد أخصائى الطب العقلى.

ولعلـك تلاحظ أن هذه القائمـة ليست كاملة أو تامة. وكل مـا عليك أن تأخذ هذا الأمـر فى اعتبارك عندما تكون بصدد إعداد خطة بحثك، وأن تبذل أقصى ما تستطيع من جهد للتعامل مع أفراد الجماعات الهشة على النحو اللائق.

ملكية البيانات التى تم جمعها

تعد مسألة ملكية البيانات شيئا مهما، مع أنها لا تبدو للوهلة الأولى قضية أخلاقية. فـإذا كنت تملـك البيانات فمعنى ذلك – فـى العادة – أنك تستطيـع أن تفعل بها ما يحلو لـك (وذلـك بالطبع فى حدود القيـود والضوابط التى أشرنا إليها فيمـا سبق). على أنه يتعين عليك أن تتأكد من هذه الملكية. ومع أن هذه المسألة لا تمثل مشكلة بالنسبة لأغلب الطـلاب الذين يجرون بحوثا، فإن البحوث التى يتم تمويلها من جهة عامة – سواء من جانب مجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية أو من جانب إحدى الجمعيات الخيرية– تتم بموجـب عقود تتضمن فى الغالب شروطا صريحة فيمـا يتعلق بملكية البيانات التى يتـم جمعهـا ونشرها ونشر نتائج البحث. من ذلك مثـلا أن مجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعيـة يشترط وضع تقارير البحوث على بعض قواعـد البيانات المركزية التى يسـمح للكـل بالدخول عليهـا (راجـع بهـذا الخصوص موقعـه الإلكترونـى (www.esrcsocietytoday.ac.uk/ESRCInfoCentre/index.aspx) (آخـر دخـول بتاريـخ 2009/8/7). وهناك أيضا بعض الهيئات التـى لا تريد أن يطلع أى أحد على المـادة التى دفعت تكلفة جمعها. ولا شك أنه سيكون أمرا لا أخلاقيا – وربما غير قانونى – الإخلال بهذه الشروط والمتطلبات الواضحة.

السلوكيات غير القانونية

من الأمــور التى تدهش الباحثين المبتدئين دائمًا أن يفضـــى إليهم بعض المبحوثين بأشيــاء ومعلومات فى غاية العجب. فمن الأمور الطبيعية أن يفضى إليك بعض الناس بتفاصيل شديـدة الخصوصية عن حياتهم وعن علاقاتهـم بالآخرين. وكلما كنت باحثا ممتــازا صادفت الكثير من هذه المعلومــات والأمور الخاصة. على أن هذا الوضع يثير مشكلة كبرى: ترى كيف ستتصرف إذا أفضى إليك أحد المبحوثين بأنه قد اقترف جرما معينا؟ ما هو موقفك فى هذه الحالة؟

بحثك
إذا اكتشفــت أنك توصلــت إلى معرفة بعض الجرائم التـــى تقع تحت طائلة قانــون الطفل (الصادر عام 2004) أو قانــون الإرهاب (الصادر عام 2006)، فإنه **يتوجب عليك** أن تبلغ الشرطة.

يحسن بــك أن تتخذ قرارا مسبقا -فى مرحلة تصميـم المشروع - بكيفية تصرفك إزاء كثير من المسائل الأخلاقية، بدلا من الانتظار إلى حين ظهور بعض المسائل أمامك فـــى الميدان. وقد يكون من الصعب تقديم نصائــح بخصوص المسار الصحيح للأمور، لأن مثــل هذه المشــكلات تتباين وتتنوع تماما. ومع ذلك نقترح عليــك أن تأخذ النقاط التاليــة فى اعتبــارك عند التفكير فى كيفية تعاملك مع مثل هــذه المواقف التى قد تنطوى على مشكلة أخلاقية:

1 - نعتقد أن أول ما يجب أن تأخذه فى اعتبارك أن تتذكر دوما أنك إنسان وعضو فى مجتمع، وأن ذلك له أولوية تسبق دورك كباحث.

2 - إذا قــررت أن تبلغ الشرطة عمــا اقترفه مبحوثك، فمن المحتمل أنك لن تستطيع استخــدام مــا أدلى به هذا الشخص من بيانات فى بحثــك. كما أنه من المحتمل أن يتقوض مشروعك البحثى بأكمله.

3 - إذا كنــت قد قــررت ألا تبلغ الشرطة أو تتخذ أى إجراء، فهل أمعنت التفكير فى الأمــر وبررت مسلكك هذا فى خطة البحث عند إعدادها؟ كيف ستتناول مثل هذا

الأمر فى تقرير بحثك؟ (انظر برواز "فكر فى هذا الموضوع" الوارد أدناه).

4 - تذكر كذلك أنه يتعين عليك أن تكون مرتاحا وراضيا عما اتخذته من قرارات.

ومن طرق التعامل مع السلوكيات غير المشروعة أن تكون صريحا وواضحا مع مبحوثيك من البداية. وربما ترى أنه من اللازم أن تتناول الموضوع فى صفحة التعريف التى تكتبها للمبحوثين (أو قد ترى أن تشير إليه بكل وضوح فى أول لقاء لك معهم)، وذلك انطلاقا من الاعتبار الأساسى التالى:

«عليك أن تعرف أنه إذا كشفت لى عن سلوكيات غير مشروعه، فسوف أقوم بإبلاغ الشرطة عنها».

على أنك لست مضطرا طبعا إلى أن تكون بمثل هذه الصرامة فى تناولك للأمر. إذ يرى البعض أن هناك بالتأكيد فرق بين تصريح شخص بأنه تجاوز السرعة القصوى أثناء قيادته ذات مرة وأن أحدا لم يلحق به ضرر جراء ذلك، وتصريح لشخص آخر يقر فيه بالقيام بسطو مسلح على أحد مكاتب البريد (وهو نموذج واقعى حدث بالفعل مع أحد مؤلفى هذا الكتاب أثناء عمله فى مكتب المراقبة)(*). وأيا كان الأمر فمن الصعب تحديد خط فاصل بين ما يتعين الإبلاغ عنه أو ما يمكن تجاهله: وهو أمر يمثل معضلة أخلاقية فى حد ذاته.

حقيقة أن التوضيح المكتوب (عن نيتك إبلاغ الشرطة عن أى سلوكيات إجرامية) واضح وميسور الفهم لكل إنسان. إلا أن هناك بعض الصعوبات الأساسية التى قد تترتب عليه:

1 - من المحتمل أن يقرر المبحوث الانسحاب من البحث عند قراءته هذا التحذير.

2 - إن تحذيرا مثل هذا سوف يجعل من المستخيل عليك أن تتناول فى حديثك مع

(*) المراقبة هى وضع مسجون مفرج عنه أو حدث متهم فى بيئته الطبيعية مستمتعا بحريته الاجتماعية إلى حد كبير. ولكنه يكون خلال فترة المراقبة تحت ملاحظة وإشراف «ضابط المراقبة» الذى تعينه المحكمة (ضابط شرطة أو أخصائى اجتماعى بالحى). فإذا أحسن سلوكه رفعت عنه العقوبة، إذا ارتكب جرمًا آخر أو أخل بشروط المراقبة عاد إلى السجن واستكمل مدة عقوبته. (المترجم)

المبحـوث أى سلوكيات غير مشروعة، مــع العلم بأن مثل هذه السلوكيات تشغل اهتمام كثير من البحـوث فى ميادين علم الاجتماع، والدراسات الثقافية، وعلم الإجـرام وغيرها. كما أن هذا التحذير قد يجعل مــن الصعب مجرد أن تتطرق حتى إلى دراسة الاتجاهات إزاء مثل هذه السلوكيات غير المشروعة.

فكر فى هذا الموضوع . . .

المعضلات الأخلاقية والقانون

نــورد فيما يلى بعض الأسئلــة التى يجب أن تطرحها علــى نفسك وأنت بصدد وضع تصميم البحث. وجميع هذه الأسئلة مستمدة من «مواقف واقعية» فى الحياة:

1- هل ستبلــغ الشرطة عن شخص أخبرك بأنه تجــاوز الحد الأقصى للسرعة بسيارته هذا الصباح وهو فى طريقه لمقابلتك؟

2- هل سيختلف قرارك (بإبلاغ الشرطة) إذا أخبرك أنه تسبب فى حادث سير أصيب فيه شخص ما نتيجة لتجاوزه السرعة المقررة؟

3- ماذا ستفعل لو أخبرك المبحوث أنه يدخن الماريوانا (شبيه الحشيش)؟

4- ماذا ستفعل لو أخبرك المبحوث أنه يتاجر فى بودرة الكوكايين؟

5- ماذا ستفعل إذا أخبرك المبحوث أنه اعتاد سرقة قطع الشوكولاتة من أكشاك بيع الصحف؟

6- ماذا ستفعل لو أخبرك المبحوث أنه قام بالسطو على مكتب بريد؟

الاعتبارات الأخلاقية والتنوع فى البحوث

لا تتعرض هذه الفقرة لكيفية إجراء البحوث الخاصة ببعض الثقافات أو جماعات الأقليــات المختلفة، وإنمــا نحاول فيها أن نتناول بعض الــدلالات الأخلاقية للاختلاف والتنوع الثقافى فى إطار ما تجريه من بحوث.

الملاحـظ أن غالبيـة كتب مناهج البحـث لا تتطرق على الإطـلاق إلى موضوع التنوع أو الاختلاف الثقافى، وذلك على الرغم من توفر كم متزايد من الشواهد (انظر مثـلا: Smaje، 1995; Alexander، 1999; Sheldon 1992) التـى تثبت لنا أن الباحثين لا يلتفتـون بالقـدر الكافي إلى الاختلاف والتنوع الثقافى وهـم يجرون بحوثهم. ومن الواضح – من الناحية الأخلاقية – أن المبحوثين الذين ينتمون إلى ثقافات مختلفة سوف تختلـف استجاباتهم عندما يطلب منهم المشاركة فى أحد البحوث، بافتراض توفر شرط القبول عن علم ونحو ذلك (Ryen، 2007). فهناك بعض الثقافات التى لا تقيم وزنا كبيرا لموضـوع الخصوصية بالقـدر الذى تراه أنت، وهناك ثقافـات أخرى تستغرب بعض الأمور، مثل الإقرار الكتابى بالموافقة على الاشتراك فى البحث (Ryen، 2007:220).

ولذلـك نرى أنه من المهم أن تضـع نصب عينيك دائما طبيعة مجتمع بحثك (انظر الفصـل 5 من الباب2). فنحن نعيش فى المملكة المتحدة فى مجتمع شديد التنوع والتباين فـى تكوينه، ويضم هذا التكوين أفرادا من كثير مـن الجماعات الاجتماعية، والعرقية والدينية المختلفة. على أن هـذه النواحى ليست هى كل الاختلافات، فالناس تتباين فيما بينها من نـواح عدة، نذكر منها على سبيل المثال: الاختـلاف حسب النوع، والعمر، والطبقـة الاجتماعيـة، والسلـوك الجنسـى، ومحل الإقامـة والسمـات والخصائص الجسمانيـة. فإذا كانت أهداف بحثنا وتساؤلاته تتطلب منا أن نقدم صورة لهذا التنوع، فـلا بد إذن أن نضع هذه الفروق فى اعتبارنا عند وضع تصميم البحث (انظر الفصل3 مـن الباب2) وعند اختيار طرق البحث (انظر الفصـل4 من الباب2). غير أن ذلك لا يحـدث فى كل الأحوال، وربما كانت غاية همنـا أن ندرس خصائص السكان البيض الذيـن تتجاوز أعمارهم الثمانية عشر عامـا ويعيشون فى الأحياء الحضرية. وإذا كان الأمـر كذلك فستكون الأمور واضحة كل الوضـوح ولا لبس فيها (وإن كان هذا يعنى فرضا مسكوتا عنه وهو أن هذا الباحث نفسه رجل أبيض أيضا). إنها لفكرة حصيفة أن تتذكر دوما أن الناس ليست لديهـم نفس خبراتك وتجاربك، ولذلك فإن رؤيتهم للعالم من حولهم سوف تختلف طبعا عن رؤيتك. ويصدق هذا الحكم بشكل خاص فى المملكة المتحدة على أى شخص ينتمى إلى جماعة «أقلية» أو إلى جماعة «مقهورة».

إن مـن أهـداف عملية الالتـزام الأخلاقى فـى البحـث أن نتأكد مـن أننـا لا نستبعـد –بالمصادفة– قطاعا من مجتمعنا بسبب الطريقة التى نتبعها فى اختيار المبحوثين وإشراكهم فى عملنا. وسنحاول فيما يلى أن نتطرق إلى بعض القضايا الأخلاقية المتعلقة بالثقافـة والتنـوع، والتى نعتقد أنها يجـب أن تؤخذ فى الاعتبار عنـد تصميم مشروع البحث.

اللغة

قـد يبدو هذا الأمـر واضحا كل الوضـوح ، ولكن لابد أن يتكلـم كل من الباحث والمبحـوث لغة واحـدة. والفرضـ القائل بأن كل شخصـ فى المملكـة المتحدة يتحدث الإنجليزية بطلاقة هو فرض خطر وخاطئ فى نفس الوقت. كما أن الاعتماد فى بعض مجتمعـات البحث على لغة واحدة من شأنه أن يؤدى إلى استبعاد مجموعات كبيرة من المشاركين (أى الذين كان يمكن أن يشاركوا).

الإثنية والعرق

لا شك أن تصميم بحثك هو الذى يحدد أى الجماعات الإثنية و«العرقية» هى التى ستدخـل ضمن مجتمع البحث. ومع ذلك فإن من أهـداف الالتزام الأخلاقى أن تكون أنـت كباحث قد أخذت هـذا البعد فى الاعتبار ، وما يمكن أن يكـون له من تأثير (أو لا يكـون) على مشروعك البحثـى. فإذا كنت مهتما بمؤشرات عمـوم السكان فى مجتمع بحثـك (مثل سكان قلـب مدينة برمنجهام) ولكـن عينتك لا تضم سـوى ذكور بيض ، فمعنـى هذا أنك ستواجه مشكلة وأنه يتعين عليك مراجعة تصميم بحثك ، وطرق البحث التى اخترتها ، وطريقة اختيار العينة.

ومـن الممكن أن تثور قضايا من هذا النوع بالنسبة للتقسيمات والفئات الاجتماعية الأخرى: **كالنوع ، والعمر ، والسلوك الجنسى ، ومحل الإقامة ، والطبقة الاجتماعية ، وأنواع العجز والإعاقة** ، وذلك تبعا لموضوع بحثك وأهدافه.

الظهور(*)

وقـد أوردنا هذا المصطلح الغريب بعض الشىء ، لا لكى نقول إن مبحوثيك يجب أن يكونوا ظاهرين بالمعنى المادى ، وإنما لكى نوضح أنه قد يكون من الصعب فى بعض

(*) Visibility : ويمكن أن نجد فى كل مجتمع فئات من هذا النوع تتباين حسب ظروف وأوضاع ذلك المجتمع. فى مقدمتهم من يمارسون عملا غير مشروع قانونا (كالدجل والشعوذة ، خاصة السحر) ، ومنهم جماعات الغجر في مصر وفى بلاد أخرى أيضا ، وفى بعض قرى الصعيد (خاصة الصعيد الأعلى) " المطاريد " الذين يعيشون فى كهوف حصينة فى الجبال المحيطة بتلك القرى ، وكذلك الطبيب الذى يجرى عمليات غير مشروعة (كالإجهاض وغيره) . . . فهؤلاء جميعا ليسوا ظاهرين ، وبعضهم يحرص على أن يبقى كذلك. (المترجم)

الأحيان تحديد أماكن الناس (المحتمل دراستهم) أو الاتصال بهم. وقد ترجع هذه المسألة إلى عدة أسباب متنوعة منها: أن بعض الجماعات قد تكون صغيرة الحجم جدا أو تكون مبعثرة جغرافيا، وهناك فئات أخرى تريد ألا يراها أحد (من هؤلاء -مثلا- أولئك الأشخاص الذين يقيمون فى الدولة بشكل غير مشروع). والأفضل أن نعد هذه المسألة من مسائل «التنوع» بمصطلح الالتزام الأخلاقى. لهذا تأكد أنه من المهم ألا يتم استبعاد بعض الناس من بحثك عمدا.

«الثقافة»

هناك عدة معان مختلفة لمصطلح «**ثقافة**» (انظر قائمة المصطلحات)، ويغطى تعبير «الفروق الثقافية» مجالا واسعا ومتنوعا من السلوكيات والتصورات الاجتماعية. وسوف نقتصر هنا على طرح بعض الأمور التى يتعين أخذها فى الاعتبار عند تخطيط مشروع البحث.

يجب عليك عندما تفكر فيما يخص بحثك من ناحية الأخلاق والفروق الثقافية، أن تتأكد أنت من سلامة فهمك لدلالاتها بالنسبة لمشروع بحثك. وسنورد فى البرواز التالى بعض الأمثلة التى يمكن أن تنشط تفكيرك فى هذا الموضوع.

فكر فى هذا الموضوع . . .

- هناك كثير من الثقافات (خاصة فى شرق آسيا كالصين وكوريا واليابان) توقر كبار السن وتنزل على رغباتهم. وقد ينطوى ذلك على بعض الأمور ذات الدلالة لبحثك، نذكر منها:
- هل أنت أكبر سنا من مبحوثيك؟ فإذا كان الأمر كذلك فقد تجدهم يحجمون عن مخالفتك (فلأنك الأكبر سنا قد يعتبروك الأكثر حكمة).
- هل أنت أصغر سنا من مبحوثيك؟ عندئذ قد يعتبروك شخصا غير مهم، ولذلك لن يقبلوا على مساعدتك.

- هنـاك بعض الثقافات (فكر مثلا فى بعض البلاد الإسلامية أو فى سكان بعض مناطـق الهند التى تسـود فيها الديانـة الهندوسية) هذه الثقافـات تتبنى أفكارا مختلفة عن "التواضع" وعن أدوار النوعين (الرجال والنساء):
- فهـل أنت كباحث امرأة تحـاول إجراء مقابلة مع رجـل؟ أم أنك رجل يحاول إجراء مقابلة مع امرأة ؟ فى هذه الأحوال سيصبح التواصل صعبا إذا تجاوزت حدود دور نوعك الذى يعتبر المبحوث "أمرا طبيعيا".
- فى بعض المجتمعات (كبعض مناطق المملكة المتحدة مثلا) تمثل الطبقة الاجتماعية أساسا مهما لتقسيم الناس:
- فهـل أنت كباحث تنتمـى إلى طبقة اجتماعية "عليا" وتحـاول إجراء مقابلة مع أحد أبناء الطبقات "الأدنى" (أو العكس بالعكس)؟ قد يعتقد الطرف الآخر أنك تفتقر إلى المصداقية أو القدرة على فهم ظروف الأفراد الآخرين.
- هنـاك بعضـ الشعوب (مثـل أغلب البلاد العربيـة أو سكان كنـدا الأصليين) التى تعتز ثقافاتها بقيـم "كرم الضيافة" و "السلوك المهذب"، ولذلك يندر أن تصادف فيها من يرفض تقديم يد العون لك.
- هل قمت فعلا بإعطاء مبحوثك (أو مبحوثيك) فرصة عدم الاشتراك فى البحث؟

ويتمثل الحل الأنسب لبعض هذه المشكلات (على الأقل فى بعض البحوث الكبرى المولـة تمويلا جيدا) فى اختيار بعض الباحثين المحليين وتدريبهم، إذ إن من شأن ذلك أن يساعد على تجاوز بعض هذه العوائق والمشكلات. وثمة حل آخر يتمثل فى التماس النصح من زملائـك الطلاب، أو أعضاء هيئة التدريس أو الأصدقاء الذين ينتمون إلى المجتمع الذى تنوى دراسته.

حماية الباحث من الضرر

من حق الباحث أيضا – وإن لم يكن على نفس المستوى من الأهمية الأخلاقية – أن يكــون فى أمان أثناء إجرائه البحــث . ولا شك أنك قد وضعت هذا الأمر فى الاعتبار ، لو أنك قمــت بتصميم بحثك بعناية. وعليك أن تتأكد من عــدم تعريض نفسك للمخاطر التالية:

- ويعنى ذلك من الناحية البدنية المخاطر التالية على الأقل:
- لا تقم بعملية جمع البيانات فى أى مكان يبدو بشكل ظاهر أنه غير آمن.
- لا تسافر وحدك أثناء الليل أو تتحرك وسط مناطق معروفة بأنها غير آمنة.
- تأكد من أن أحدا ما يعرف أين أنت، وماذا تفعل، ومتى ينبغى أن تعود أدراجك.
- عندما تقدم معلومات تفصيلية عن كيفية الاتصال بك، يكون من الحكمة ألا تفصح عن عنوان بيتك أو رقم تليفونك.

- أما على المستوى النفسى فلابد أن تدرك أن بعض عمليات جمع المعلومات قد تكون مزعجة، أو حتى مؤدية للاضطراب النفسى أحيانا. ولذلك يجب أن تتضمن وجود شخص ما قادر على مد يد العون النفسى لك. وبالنسبة للطلاب الذين يتدربون على البحث يكون هذا الشخص فى العادة هو أستاذك أو المشرف على بحثك.

الأخلاق ومشروعك البحثى

تعــد المسائــل الأخلاقية من الاعتبــارات المهمة عند التخطيط لإجــراء أى بحث ، وذلك لأن البحث الاجتماعى يتناول أفرادا من البشر ، ولأن معظم البحوث الاجتماعية يدرس هــؤلاء البشر ، وتجاربهم واتجاهاتهم وأفكارهــم دراسة مباشرة ، وكذلك لأن المشاركــة فــى البحث الاجتماعى نفســه إنما هى نشاط اجتماعى لــه تأثيره على كل من الباحــث والمبحوثين . والمسائل الأخلاقية التى أثرناها فى هذا الفصل قد لا يمكن تجنبها ، وإنما يمكن الانتفاع بما أوردناه لكى تضمن أن يخرج بحثك على المستوى الممتاز .

فكر فى هذا الموضوع

تمثل العبارات التالية بعض الاعتراضات الشائعة على عملية الحصول على الموافقة الأخلاقية. فما رأيك فى تلك الاعتراضات بعد أن فرغت من قراءة هذا الفصل؟

1 - ليس لدى الوقت الكافى لتنفيذ كل هذه المتطلبات، ولابد من إنجاز مشروع بحثى فى غضون ثمانية أسابيع.

2 - إن بحثى لا يثير أية مسائل أو مشكلات أخلاقية.

3 - أعتقد أن "لجنة الأخلاق" لا تفهم موضوع بحثى.

4 - لا يوجد أى اتفاق على المقصود بمفهوم الأخلاق، فلماذا يتعين علىّ أنا أن أهتم بها وأقلق عليها؟

لقد تم تطوير الإرشادات الأخلاقية وعملية الحصول على الموافقة الأخلاقية من أجل مساعدة الباحثين الاجتماعيين على مراعاة هذه المسائل الأخلاقية فى موضوع بحثهم وفى العمل فى مجتمع البحث، ومن الممكن فى معظم الأحوال أن تخدم هذه الإرشادات عملية الحصول على الموافقة. ولكن هناك حالات معينة يمكن أن تمثل المسائل الأخلاقية تحديا حقيقيا، ومن ثم تفرض على الباحث إعمال فكره بعمق والاستعداد لها (قد يكون من بينها إدخال تعديلات على خطة البحث)، ولكن المؤكد أنه ستؤدى إلى إنتاج بحث من نوعية ممتازة. فكر فى المسائل الأخلاقية التى يمكن أن تكتنف بحثك باستخدام القائمة التالية.

بحثك

قائمة المسائل الأخلاقية

نـورد فيمـا يلى بعض الأسئلة التـى نأمل أن تساعدك علـى إعمال الفكر فيها ومراعاة الاعتبارات الأخلاقية فى بحثك لكى تحصل على الموافقة الأخلاقية:

- هل يمثل عنوان بحثك وصفا دقيقا للبحث الذى تنوى إجراءه؟
- هل تعلم المدى الزمنى لبحثك (وهل لديك جدول زمنى لمهام البحث؟)
- هـل استكملت استعداداتك المناسبة فيما يتصـل بالمعلومات عن البحث والمهارات التى يتطلبها؟
- هـل تعرف لماذا تجرى هذا البحث (من ذلك مثـلا أنك تعرف أن عدد البحوث التـى أجريت عن موضوعـه قليلة، أو لأنك تريد تقييم مبـادرة من مبادرات السياسة الاجتماعية، أو لأنك تريد أن تفهم مدى التعاون والتآزر بين النظرية والمنهج فى عملية البحث . . . إلخ)؟
- هل قمت بصياغة تساؤلات بحث إجرائية واضحة؟ (راجع حول ذلك الفصل 4 من الباب 1).
- هل فرغت من تصميم وتخطيط بحثك؟ (راجع الباب 2 من هذا الكتاب).
- هل حددت نوعية العينة التى تحتاجها؟ (راجع الفصل 5 من الباب 2).
- هـل حددت طرق جمع البيانات التى سـوف تستخدمها؟ (انظر الباب 3 من هذا الكتاب).
- هل فرغت من تصميم أدوات بحثك (مثل: الاستبيان، ودليل المقابلة. . . إلخ)؟
- ما هو الموقف بالنسبة لمسألة إخفاء الهوية ومسألة الحفاظ على السرية؟
- هل ستكون بيانات بحثك فى أمان (قانون حماية البيانات الصادر عام 1998)؟

- هل فكرت فى المخاطر التى يمكن أن يتعرض لها مبحوثوك؟
  - هل سيكونون فى أمان من الناحية البدنية؟
  - هل تنطوى مشاركة المبحوثين على أية مخاطر نفسية؟
  - هل يمكـن أن تتسبب مشاركة المبحوثين فى مشروعك فـى تعريض وظائفهم، أو علاقاتهم، أو أحوالهم المالية . . إلخ للخطر؟"
  - هل تضمن إخفاء هوياتهم، والحفاظ على سرية ما أدلوا به من بيانات؟
- هل أخذت فى اعتبارك حصول موافقة المبحوثين عن علم؟
- هل فكرت فى علاقات القوة بين الباحث والمبحوث؟
- كيف ستتعامـل مع مسائل التنوع فى بحثك (مثلا: من حيث النوع الاجتماعى، و"العـرق"، والسلـوك الجنسـى، والعجـز، والعمر، والحـالات الصحية العقلية)؟
- هل هناك أية مخاطر يمكن أن يتعرض لها الباحث؟
- ماذا ستفعل لو أن المبحوث باح لك ببعض المعلومات عن أمور من قبيل:
  - أنشطة إجرامية؟
  - إساءة إلى أطفال؟

المراجع وقراءات للاستزادة

Alexander, Z. (1999) *Study of Black, Asian and Ethnic Minority Issues*, London: Department of Health.

Economic and Social Research Council (2009) *Research Ethics Framework*, Swindon: ESRC. Available at www.esrc.ac.uk/ESRCInfoCentre/Images/ESRC_Re_Ethics_Frame_tcm6-11291.pdf (accessed 7 August 2009).

Gallagher, B., Creighton, S. and Gibbons, J. (1995) Ethical dilemmas in social research: no easy solutions, *British Journal of Social Work*, 25: 295–311.

Homan, R. (1991) *The Ethics of Social Research*, London: Longman.

Hood, S., Mayall, B. and Oliver, S. (eds) (1999) *Critical Issues in Social Research: Power and Prejudice*, Buckingham: Open University Press.

James, T. and Platzer, H. (1999) Lesbians' and gay men's experiences of health care: a personal perspective, *Nursing Ethics*, 6: 73.

Larossa, R., Bennett, L. A. and Gellese, R. J. (1981) Ethical dilemmas in qualitative family research, *Journal of Marriage and the Family*, 43(2): 303–13.

Leathard, A. and McLaren, S. (eds) (2007) *Ethics: Contemporary Challenges in Health and Social Care*, Bristol: Policy Press.

McAuley, C. (2003) Ethics, in R. L. Miller and D. Brewer (eds) *The A–Z of Social Research*, London: Sage.

Minkler, M. (2004) Ethical challenges for the 'outside' researcher in community-based participatory research, *Health Education & Behavior*, 31: 684–97.

Minkler, M., Fadem, P., Perry, M., Blum, K., Moore, L. and Rogers, J. (2002) Ethical dilemmas in participatory action research: a case study from the disability community, *Health Education & Behavior*, 29: 14.

Norman, R., Sellman, D. and Warner, C. (2006) Mental capacity, good practice and the cyclical consent process in research involving vulnerable people, *Clinical Ethics*, 1: 228–33.

Oliver, P. (2003) *The Student's Guide to Research Ethics*, Maidenhead: Open University Press.

Rogers, H. J. (2001) *Partnership Working: A Case Study of Adult Mental Health Services*, University of Birmingham.

Ryen, A. (2007) Ethical issues, in C. Seale, G. Gobro, J. F. Gubrium and D. Silverman (eds) *Qualitative Research Practice*, London: Sage.

Sheldon, T. A. (1992) The use of 'ethnicity' and 'race' in health research: a cautionary note, in W. I. U. Ahmad (ed.) *The Politics of 'Race' and Health*, University of Bradford & Ilkley Community College.

Smaje, C. (1995) *Health, 'Race' and Ethnicity: Making Sense of the Evidence*, London: King's Fund Institute.

University of Birmingham Legal Services (1998) Summary – Data Protection Act 1998, Birmingham. Available at www.legalservices.bham.ac.uk/data_protection_policy/ (accessed 7 August 2009).

Walker, B. and Haslett, T. (2002) Action research in management: ethical dilemmas, *Systemic Practice and Action Research*, 15(6): 523–33.

الباب الثاني

الإعداد للبحث

الفصل الأول: التخطيط لمشروع البحث

الفصل الثانى: مراجعة التراث المنشور عن الموضوع.

الفصل الثالث: تصميم البحث.

الفصل الرابع: اختيار طرق البحث.

الفصل الخامس: اختيار العينة.

الفصل السادس: مقترح مشروع البحث.

الفصل الأول
التخطيط لمشروع البحث

محتويات الفصل

- التعريف.
- الإجراءات العملية.
- أهمية النظرة الكلية (إلى مشروع البحث).
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

يتناول هذا الباب من أبواب الكتاب عمليات الإعداد التى يجب القيام بها لتنفيذ مشروع بحثى ناجح. وهو مقسم إلى مجموعة من الفصول العملية التى من شأنها أن تدفع مشروعك قدما. ويختص هذا الفصل الأول بموضوع التخطيط، الذى يعد خطوة مهمة قد يغفلها البعض أحيانا. ويحاول الفصل أن يقدم لك الخطوط العامة للعملية التى يتعين عليك أن تفرغ منها قبل أن نتمكن من وضع مقترح البحث. (انظر الفصل السادس من هذا الباب).

تمثل الخطــة التفصيلية جزءًا جوهريــا من استراتيجيتك البحثيــة، ولذلك ليس من الحكمــة متابعــة العمل فى المشروع بدونهــا. ونحرص فى هذا الفصــل على أن نقنعك أن إعمال الفكر و**التخطيط** (انظــر قائمة المصطلحات) للمشروع برمته منذ البداية (أى تبنى **النظرة الكلية**) أمر عظيم الأهمية. ومع أنه من المحتمل - مع ذلك - إدخال بعض التعديــلات علــى الخطة بعد هذه المرحلة، إلا أن الأمــر يستحق بذل ما يلزم من الوقت لإعداد خطة كاملة قدر الإمكان، بحيث لا تفاجأ بوجود ثغرات فى تسلسل العمليات بعد أن تبدأ تنفيذ المشروع فعلا. إن الوقت الذى تنفقه فى التخطيط لن يذهب سدى أبدًا.

إذا كنت قد طالعت الباب الأول من هذا الكتاب عن «التفكير فى موضوع البحث»، فمن المحتمل أنه أصبح بوسعك الآن تحديد بعض الاختيارات التى يمكن أن تضمنها فى عملية التخطيط للبحث.

ولكل فــرد أسلوبه فى القيام بالتخطيــط: فالبعض يستخدمــون أسلوب «التخطيط الذهنــى»، وآخــرون يفضلون استخــدام رسم بيانــى تخطيطى، أو قوائــم بالعناصر والمراحل المختلفــة، أو يستعينون بكتابة ملاحظاتهم علــى أوراق لاصقة صغيرة ... إلخ. وننصحك أن تستخدم العملية التى تجد نفسك موفقا فيها، دون أن تشغل نفسك بما يفعله الآخرون. ولكن هدفك الأساسى هو إعداد خطة عملية تستطيع:

- أن توجهك وترشدك فى كتابة مقترح البحث النهائى.
- وتمكنك من أن تنفذ مشروعك بنجاح فى عالم الواقع.

لا شــك أن كل مشروع بحثى يختلف عن غيره فى بعض التفاصيل، ولكن المؤكد أننــا جميعًا نستخدم نفس العمليات التخطيطية. ولكن نلتــزم بذلك تمام الالتزام إذا قمنا بتقسيم تلك العمليات إلى مجموعتين: التعريف، والتخطيط/ والتنفيذ العملى.

التعريف

إن أول مــا يجــب التفكير فيه هو هدف إجرائك البحــث، أو السبب الذى يدعوك إلى ذلــك. فبالنسبة للطالب قد يكون البحث مجرد متطلب البرنامج الدراسى الذى يريد اجتيــازه (وهو فى هذه الحالة سبب كاف تماما). أمــا إذا كنت قد قطعت شوطا أبعد فى

السلك الأكاديمى أو فى مجال الأعمال التجارية، فقد تحتاج إلى إجراء بحث عن بعض موضوعات التسويق أو عن قياس الاتجاهات، أو قد تكون بحاجة للحصول على تمويل لإجراء البحث. ونوصيك هنا بأن تلتزم أقصى درجات الوضوح قدر الإمكان فيما يتعلق بالإفصاح عن دوافعك لإجراء البحث، وأن تكون على بينة تامة من الشروط التى يتعين عليك الوفاء بها لكى تستكمل - مثلا - إنهاء رسالتك الجامعية بنجاح.

> **بحثك**
>
> حاول أن توجز الغرض من بحثك فى جملة واحدة.

ومع ذلك فقد لا تكون بعد على بينة تامة - فى هذه المرحلة - مما تحتاجه لتنفيذ مشروعك البحثى، إلا أنه من الواجب عليك وأنت تتابع العمل فى مرحلة الإعداد أن تفكر مليا فى الأمور التالية:

- ما الموارد التى تحتاجها لكى تنفذ مشروعك (وما المتاح لك منها) من قبيل: الوقت، وأجهزة التسجيل، ومعدات التصوير والنسخ، وقاعات إجراء المقابلات... إلخ.
- ما البحوث التى أجريت بالفعل فى المجال الذى تنوى دراسته، وما علاقة بحثك بتلك البحوث (راجع الفصل 2 من هذا الباب).
- كيف ستبدأ التفكير فى الأمور التالية:
  - جمع بيانات بحثك (راجع الباب الثالث).
  - تحليل البيانات التى جمعتها (راجع الباب الرابع).
  - عرض النتائج التى توصلت إليها (راجع الباب الخامس).
- ما فى تصورك الحصيلة التى تتوقعها لعملك، مثل: الرسالة الجامعية التى تحتل صدارة الاهتمام لدى الطلاب الجامعيين، ولكنك قد تفكر - فضلا عن هذا - كيف يمكن لصناع السياسة الاجتماعية أن يستفيدوا من بحثك هذا، وكيف يستطيع هذا البحث أن يؤثر على اتجاهات الناس.

الإجراءات العملية

عليك – ثانيا – أن تراعى التخطيط العملى لمشروعك على النحو التالى:

- هـل ستنفذ مشروعك (أ) **منفردا** أم (ب) **كعضـو فى فريـق بحث**؟ فإذا كنت عضوا فـى فريق بحث فلا بد أن تكون لديك رؤية واضحة لمسئولية كل عضو عن كل جزء مـن أجزاء مشروع البحث (ومثـل هذا الوضوح مفيد أعظم الفائدة فى حالة حدوث اختلاف بين أعضاء الفريق أو إذا حدث أمر بعيد الاحتمال وهو تقصير أحد الأعضاء فى أداء نصيبه من العمل).

- **ما الجدول الزمنى لمشروعك؟** إن موعد نهاية البحث بالنسبة لك كطالب هو تسليم تقريـرك للمشرف للحكم عليه وتقييمه، وهو أمـر لا يمكنك التحكم فيه. ومع ذلك فمـن المفيد لك أن تحاول تحديـد مختلف المهام التى ستنفذ علـى مدار البحث، وأن تحـدد الموعد المحتمل لتنفيـذ كل مهمة منها. وهناك قيـود زمنية مفروضة على كل باحـث، ولذلك يجب أن يحـدد الباحث متى سيفرغ من تنفيـذ المشروع فى حدود الإطـار الزمنى المتاح. وفى جميع الأحوال يجب أن يكون جدولك الزمنى واقعيا (ولذلـك يجـب أن تحاول تقدير المـدة التى سـوف يستغرقها تنفيـذ كل مرحلة من مراحل البحث).

- **كيف ستتأكد من أن مشروعك يتقدم على الوجه المناسب؟** ربما تحتاج إلى ترتيب لقاءات مع أستاذك أو مع المشرف عليك لمناقشة مدى تقدم العمل فى المشروع. ويجب أن تحرص – على أى حال – على أن تفكر فيما يمكن أن يمثل نجاحا لمشروعك، وقد يتطلـب ذلـك أن تحدد لنفسك أهدافا محددة على امتـداد مسيرة عملك. من ذلك مثلا أن تقـرر أن مراجعة التراث المنشور عن الموضوع يجب أن تستكمل بعد شهر واحد من بدء العمل.

وتبعـا لطبيعة المشروع الذى تنفذه قد تحتـاج – فضلا عن ذلك – إلى أخذ الأمور التالية فى اعتبارك:

- المــوارد التنظيميــة (آلات تسجيــل الصــوت، آلات التصويــر، وقــت العمل على الكومبيوتر . . . إلخ).
- كيفية التصــرف فى بقية الوقت المتاح لك لكى تتمكن مــن إنهاء المشروع فى موعده المحــدد (فقد يكون مفروضا عليك متابعة دراسة مــواد أخرى أو أداء أعمال أخرى معينة فى نفس الوقت الذى تجرى فيه البحث).

أهمية النظرة الكلية (إلى مشروع البحث)

نحــن نعتقد - علــى وجه العمــوم - أن الباحثين الطلاب يمتــازون بالقدرة على تعريــف طبيعة مشروعهــم، وعلى اختيار طرق جمــع البيانات. ولكــن تدلنا خبرتنا العمليــة مع بحــوث الطلاب أن أغلبهم لا يولون الاهتمــام الكافى لتخطيط عملية تحليل البيانات (انظر الباب الرابــع). لهذا كله نؤكد على أهمية محاولة التفكير فى مشروعك بنظــرة كلية. وقــد تم تصميم هذا الكتاب علــى النحو الذى يساعــدك على التفكير وفق هــذا المنظور الكلى، ولذلك نشجعك على الإفادة مــن نقاط الاتصال مع فصول الكتاب الأخرى، بحيث تستطيع التفكير فى شتى عناصر مشروعك البحثى فى وقت واحد.

ولكــى تكمل تخطيطــك بنجاح يتعين عليــك اتخاذ مجموعة من القــرارات بشأن العمليــات التى سوف تنفذهــا. ولمساعدتك على عمــل ذلك وضعنا القائمــة التالية التى يمكنــك أن تستخدمهــا كجزء من عمليــة التخطيط التى تقوم بها. ولهــذا تذكر ما أشرنا إليــه فى السابق من ضرورة عــدم التوقف عن القراءة عن المراحل التالية من مشروع بحثــك، وذلــك إلى حين يأتى وقت تنفيذهــا. لهذا نرى أن تقــوم بتخطيط بحثك بشكل متسلســل بالاستعانــة بهــذا الكتاب، من ذلك مثــلا لا تكف عن التفكير فــى استراتيجية التحليــل التى ستتبعها (الباب الرابع) إلا بعــد أن تكون قد فرغت من جمع بيانات بحثك (الباب الثالث).

بحثك

قائمة عمليات تخطيط المشروع

	الفصل/الباب	√
هل فكرت فى موضوع بحثك جيدا، وهل أنت ملم بالنظريات والنماذج النظرية والاتجاهات الفكرية المختلفة؟	فصل٢ باب ١	
هل كونت فكرة واضحة عن طبيعة البيانات التى تحتاج إلى جمعها وعن الطرق التى سوف تستخدمها فى جمع تلك البيانات؟	فصل ٣ باب ١	
هل حددت طبيعة مشروع بحثك؟	فصل١ باب ٢	
هل راعيت الجوانب العملية لبحثك؟ (ومنها على وجه الخصوص جانب الموارد والتمويل؟)	الفصل ١ من الباب ٢	
هل فكرت فى كيفية الوصول إلى التراث العلمى المنشور عن بحثك، وتقييم المتاح منه؟	الفصل ٢ من الباب ٢	
هل انتهيت من تحديد تصميم بحثك (هل سيكون مثلا: دراسة حالة، أم بحثا تجريبيا أم بحثا إثنوجرافيا . . . إلخ)	الفصل ٣ من الباب ٢	
هل اخترت فعلا الطرق التى سوف تستخدمها فى جمع بيانات بحثك؟	فصل٤ باب ٢ وباب ٣	
هل حددت مجتمع بحثك، وعينة البحث؟	فصل٥ باب ٢	
هل وضعت تساؤل البحث أو فرض البحث؟	فصل٤ باب ١	
هل راعيت الاعتبارات والمسائل الأخلاقية؟	فصل٥ باب ١	
هل حصلت على أى موافقة رسمية يتطلبها تنفيذ البحث؟	فصل٥ باب ١	
هل فكرت كيف ستقوم بتحليل بيانات البحث؟	الباب الرابع	
هل فكرت فى أسلوب عرض نتائج البحث ونشرها؟	الباب الخامس	

لا شك أنك تدرك أن هذه القائمة تتسم – بالطبع – بشيء من التبسيط، وأنه لا يمكنها لذلك أن تستوعب كافة المتغيرات التى قد تصادفها فى مشروع بحثك. ومع ذلك فعندما تستطيع أن تكتب علامة (√) على جميع البنود فسوف يعنى ذلك أنك فى وضع مناسب يمكنك من كتابة مشروع البحث، ثم تبدأ فى تنفيذه.

المراجع وقراءات للاستزادة

Beins, C. B. (2004) *Research Methods: A Tool for Life*, Harlow: Pearson.

Leedy, P. D. and Ormond, J. E. (2005) *Practical Research: Planning and Design*, Boston MA: Pearson Education.

Sharp, J. and Howard, K. (2002) *The Management of a Student Research Project*, 3rd edn, Aldershot: Gower.

Walliman, N. (2001) *Your Research Project: A Step-by-Step Guide for the First-time Researcher*, London: Sage.

الفصل الثاني

مراجعة التراث المنشور عن الموضوع

محتويات الفصل

- لماذا تعد مراجعة التراث المنشور عن الموضوع جزءًا من عملية الإعداد للبحث؟
- ما المقصود بالتراث المنشور عن الموضوع؟
- التقييم النقدى للتراث المنشور عن الموضوع.
- البحث عن التراث المنشور عن الموضوع.
- الجوانب العملية لمراجعة التراث العلمى.
- عملية مراجعة التراث المنشور عن الموضوع.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

تعد عملية الاطلاع على التراث المنشور عن الموضوع أحد الأسس التى يقوم عليها أى بحث اجتماعى. فمن واقع الاطلاع على التراث العلمى فى موضوع بحثك، يمكنك وضع أفكارك أنت عن موضوع البحث فى سياقها، وتتعلم من خبرات الباحثين الذين عملوا فى مجال هذا الموضوع، ومن ثم تصبح قادرا على التفكير بشكل نقدى فى دلالات تلك البحوث بالنسبة لمشروعك أنت. ويبدو هذا العمل فى بعض الأحيان مهمة كبيرة، إذ يكاد يوجد عن كل موضوع ثروة هائلة من الكتب، والمقالات، وتقارير البحوث، وشتى أنواع الوثائق الأخرى التى يتاح لنا الاطلاع عليها. ولكن يتعين علينا أن نركز جهدنا ونكثفه – على نحو نقدى – عند قيامنا بمراجعة التراث العلمى. وسنحاول أن نعرفك فى هذا الفصل بطائفة عريضة من مصادر استقاء التراث، وأن نناقش معك كيف يمكنك أن تنجح فى مراجعة التراث العلمى فى موضوعك ملتزما توجها نقديا وقادرًا فى نفس الوقت على التركيز على موضوعك.

من الأجزاء المهمة لعملية الإعداد للبحث أن تأخذ فى اعتبارك كيف تناولت البحوث السابقة موضوعك؟ وكيف فكر فيه الآخرون؟ وماذا كتبوا عنه؟ والأهم كيف يمكن أن تساعدك هذه المعلومات على بلورة أفكارك عن البحث وتجويدها. فإلى جانب تفكيرك فى تساؤلات بحثك، ومناهج تناوله، وطرق جمع البيانات الخاصة به؛ يسير إلى جانب ذلك فى خط مواز استعراض شتى أنواع التراث المتصلة بمضوع بحثك. وتبدأ عملية مراجعة التراث فى مرحلة مبكرة عند شروعك فى التفكير فى البحث وبدء عمليات الإعداد له. ولكنها يمكن أن تتواصل أثناء قيامك بوضع تساؤلات البحث، واتخاذك القرارات المحددّة لتصميم البحث، وطرق جمع البيانات وتحليلها.

ونلاحظ هنا أن مراجعة التراث العلمى تعد عملية فى ذاتها، يمكن أن تنقسم إلى أربع مراحل:

1 - **قراءات عامة** «حول» الموضوع، بحثا عن أفكار، ومحاولة للتعرف على ما تم إنجازه بالفعل، والإفادة من تلك المعلومات فى بلورة موضوع بحثك أنت.

2 - القيام بعد ذلك **ببحث مفصل** عن مصادر المعلومات، وتكوين سجل جامع لتلك المعلومات.

3 - **قراءة وتقييم** كل ما عثرت عليه من معلومات.

4 - **تصميم مكونات** عرض التراث (فى بحثك) وكتابتها.

لماذا تعد مراجعة التراث المنشور عن الموضوع جزءًا من عملية الإعداد للبحث؟

هناك جملة من الأسباب التى تدعوك إلى القيام بعملية مراجعة التراث العلمى مراجعة نقدية. وتلقى القائمة التالية الضوء على أكثر تلك الأسباب شيوعا، بدءًا بالأهم:

فمراجعة التراث العلمى المنشور سوف تمكنك من:

- التحليل النقدى للموقف الراهن فى مجال البحث:

- سوف تتمكن من الإحاطـة بما هو معروف فعلا عن موضوع بحثك. والعادة أنك لن ترغب فى تكرار البحوث التى أجريت بالفعل (إلا إذا كنت تود معالجة نفـس القضية أو نفس البيانات بطريقة مختلفـة). فمن أهداف مراجعة التراث العلمـى أن تتعـرف على الوضـع الراهن للمعرفـة بالموضوع، مـاذا دُرس بالفعل، وما الذى يتعين دراسته مستقبلا. وفى بعض الأحيان نقول إننا نسعى إلى التعرف على «الثغرات» التى تركتهـا البحوث السابقة، أى الأجزاء التى تم تجاهلهـا أو لم يُلتفت إليها فـى الماضى. وقد تعد هذه النقطة مزيدًا من تعرفك على الوضع الراهن للمعرفة.
- سيمكنك ذلك من التعرف على مختلف الاتجاهات النظرية والمنهجية التى تبناها الباحثـون فى السابق (وإلى أى مدى حققـت تلك الاتجاهات نجاحا، بحيث لا تكرر أخطاء الآخرين).
- سوف تقف على نوع الأطر والاستراتيجيات التحليلية التى استخدمها الباحثون الآخرون، وتقرر لنفسك مدى صلاحيتها لبحثك.
- عمل مقارنة والمقابلة بين شتى المصادر وآراء الخبراء.
- وضع بحثك فـى سياقه. ففى دنيا العلـوم الاجتماعية ترتبط بحوثنـا عادة بالمسائل والأحـداث الأخرى فى المجتمع، من ذلك مثلا: تطبيق سياسة اجتماعية جديدة، أو حدوث ركود اقتصادى، أو ظهور تغيرات فى الأفكار المتعلقة بالقضايا الأخلاقية، أو حدوث تغير فى المناخ.
- اكتساب دراية "بلغة" أو مفردات موضوع دراستك.
- تحديد المسائل أو المتغيرات المهمة فى موضوعك. فقد تقودك مراجعة التراث العلمى إلى إضافة بعض الأشياء التى ربما تكون أغفلتها.
- التفكير فى تساؤلات بحثك وتعريفها بشكل أفضل، وربما يمكنك بفضل هذه المراجعة طرح مزيد من تساؤلات البحث أو المسائل التى يمكن تضمينها داخل الدراسة.
- التعـرف بشكل أفضل على الأسلوب الـذى يمكن أن تتناول به نتائج بحثك، وربما تستطيع كذلك أن تربطها بالبحوث التى أجريت من قبل.

- تساعدك على تبين الصلات بين الممارسة البحثية والنظرية (وفقا لمجال بحثك بطبيعة الحال).
- تزويدك بتوليفة تجمع كافة المعلومات بطريقة تجعل رسالتك الجامعية أو تقرير بحثك ميسور الفهم للقارئ، وهو الأمر الذى من شأنه أن يدعم الجهد الذى بذلته.

ما المقصود بالتراث المنشور عن الموضوع؟

ربما كان يكفى منذ بضع سنوات قليلة أن نقول إن **التراث العلمى هو الكلام المكتوب المنشور**، أى إنه المادة المطبوعة على ورق. ولهذا كنا نقصد حينذاك: الكتب، والمجلات العلمية، والدوريات، والصحف. وما زالت هذه الأشكال من التراث العلمى تمثل بداية جيدة للتعريف بالموضوع، ولكن أصبح من المحتم علينا أن نضيف إليها شتى أنواع المصادر الإلكترونية، والوسائل السمعية البصرية.

ما : التراث العلمى؟

التراث العلمى مصطلح مركب وشامل، ولذلك إذا حاولنا وضع قائمة حصرية لعناصره ومكوناته، فسوف يكون ذلك: (أ) وضع قائمة بالغة الطول، و(ب) سرعان ما ستصبح مثل هذه القائمة شيئا باليا عفا عليه الزمن. ومع ذلك نورد فيما يلى قائمة بالمكونات الرئيسية للتراث:

- الكتب.
- المجلات العلمية المحكمة.
- المجلات العلمية غير المحكمة.
- الرسائل الجامعية وبحوث المؤتمرات.
- الصحف والمجلات.
- التلفزيون والراديو.
- تقارير المؤسسات والهيئات.
- الوثائق الرسمية.
- تقارير البحوث.
- شبكة الإنترنت.

الكتب

لقد تغير الزمن بشكل حاسم خلال الخمسة عشر عاما الأخيرة أو نحوها. ففى تسعينيات القـرن العشرين كانت الكتب الدراسية هى المصدر الأساسى للمعلومات بالنسبة لطلاب الليسانس. ولكن السهولة التى نلمسها حاليا فى الاطلاع على المجلات العلمية، والوثائق الرسميـة وغيرها مـن المصادر الإلكترونيـة للمادة؛ هذه السهولـة أصبحت تعنى الآن أن بوسـع الطلاب اللجوء إلى طائفة كبيرة من مصـادر المعلومات، وإن ظلت الكتب الأكاديمية تمثل حتى اليوم أحد أكثر مصادر المعلومات نفعا. وتجد فى أغلب الجامعات مكتبـات كبرى للكتب الدراسية، التى يضاف إليها المزيد عاما بعد عام. وغالبية الكتب الأكاديميـة من تأليف خبراء وباحثين أكاديميـين متخصصين فى مجال معين، وكثيرا مـا يجمعون بين الخبرة البحثية والأصالة الفكرية فـى تقديم عرض مفيد لموضوع ما. والعـادة أن يعتمد مؤلفو الكتـب الدراسية على خبراء آخرين ويشـيرون إليهم، سواء كانوا خبراء على المستوى القومى أو العالمى.

وغالبـا ما تكون هذه الكتب بداية ممتازة تبدأ منها فى استعراض التراث المنشور عن الموضـوع، لأنها تزودك بإشارات إلى مصادر أخـرى للمعلومات، والبحوث، والأفكار التى تستطيع أن ترجع إليها وأنت بصدد بلورة أفكارك عن موضوع بحثك. ومثـل هذه الكتب - بحكـم طبيعتها - تكون مكتوبة بأقـلام مؤلفين معروفين، وتكون مزودة بفهارس مختلفة، كما أنها سهلة الاستخدام. ونقطة الضعف فى الكتب أنها يمكن أن تتقادم بسرعة، كما أن أسعارها مرتفعة عادة (وإن كانت بالطبع متوفرة فى المكتبات العامـة، حتى لـو لم تكن متوفرة فى مكتبة الحـى أو المكتبة المحليـة)، وبرغم كل ذلك ستظـل الكتب مصـدرا نافعا على امتداد المستقبل المنظور، بـل إن الطبعات الأقدم منها كثيرا ما تكـون مفيدة فى إلقاء الضوء على الموقف العـام لدراسة الموضوع، وأسلوب التفكير فيه فى عصر معين.

المجلات العلمية والدوريات

هـذا النوع من الأعمال العلمية يتخذ فى الأساس شكل المقال العلمى المنشور (وإن كان الكثـير منهـا أصبح متاحا على الإنترنت فى الصـورة الإلكترونية)، ويندرج من حيـث قيمتـه العلمية فيمـا نسميه المقالات التـى تخضع **لمراجعة الزمـلاء** (انظر قائمة

المصطلحات). وتعد الدوائر الأكاديمية المقالات التى روجعت بمعرفة الزملاء هى «الأفضل» مستوى، وذلك بسبب الطريقة التى يتقرر بها صلاحيتها للنشر. المعروف أن الغالبية العظمى من المقالات التى خضعت لمراجعة الزملاء تكون من تأليف أعضاء هيئة تدريس جامعيين، وعندما ترد إلى إدارة تحرير المجلة العلمية المتخصصة فى نشر مقالات راجعها الزملاء مقالة من هذا النوع، يتم إرسالها إلى عدد من الخبراء المتخصصين فى المجال المحدد للمقالة. ويقوم هؤلاء الخبراء (أو الزملاء) بكتابة تعليقهم للمجلة، الذى يتناولون فيه الحكم على جودة العمل ومدى صلاحيته للنشر فى المجلة. وعلى أساس هذا التقييم يقرر محرر المجلة نشر المقالة أم لا. ونجد حتى بين المجلات التى تنشر المقالات المراجعة من الزملاء تدرجا فى المستوى، تأتى فى قمته المجلات العالمية التى تعد أعلاها قيمة فى العادة. والسبب فى ذلك أن جمهور هذه المجلات منتشر عبر العالم، ويخضع للتقييم من جميع الأكاديميين المتخصصين فى كافة أنحاء الأرض. وتحتوى أغلب المجلات على مقالات تستعرض بحوثا أجراها مؤلفوها، كما تنشر مقالات تستعرض القدرات العلمية والفكرية لصاحبها، أى خبرته فى الموضوع الذى يكتب عنه وقدرته على تطوير أفكار أصيلة ونظرية فى الغالب. وفى بعض الأحيان يقدم الدارسون الأكاديميون أوراقا علمية إلى المؤتمرات العلمية المتخصصة، وذلك قبل تقديمها للنشر. وقد تكون - أو لا تكون حسب الظروف - متاحة للاطلاع عليها فى هذه المرحلة بعد مراجعة الزملاء.

ومن المجلات التى تنشر المقالات المراجعة من الزملاء: «مجلة السياسة الاجتماعية»، «علم الاجتماع»، «دراسات السياسات»، «الثقافة»، «علم الإجرام»، «الصحة والرعاية الاجتماعية فى المجتمع المحلى»، «الاقتصاد الدولى»، «السياسة الاجتماعية والمجتمع»(*). وهناك علاوة على تلك المجلات كم هائل، وأى بحث عابر على شبكة الإنترنت (انظر فيما يلى فقرة «البحث عن التراث العلمى») سوف يزودك بعناوين مئات المجلات العلمية.

(*) Journal of Social Policy، Sociology، Policy Studies، Culture، Criminology, Health and Social Care in the Community, International Ecomomics Social, Policy and Society.

أما محـررو المجلات والدوريات غـير المحكمة فإنهم ينشرون مـا يرونه جديرًا بالنشـر وفقا لسياسة التحرير التى ينتهجونهـا (من تلك المجلات مثلا ، The Economist New Statesman) . كمـا قد يعمد المحرر إلى طلب مقالات من بعض الكتاب أو تكليفهم بكتابتهـا ، ثم يقرر هو ما يصلح للنشر منها وينشره . حقيقـة أن المقالات المنشورة بهذه الطريقـة لم تخضع للفحص بمعرفة الخبراء ، ولكنها يمكـن أن تكون مفيدة على أساس أنهـا تقدم وجهات نظر مختلفة حول موضوع أو مجـال معين ، وكذلك لأنها قد تكون مكتوبة بأقلام خبراء لهم تجاربهم مثلا فى الممارسة الميدانية أو فى العمل ذاته . وتندرج ضمـن هذه الفئة بعض المجلات المتخصصة (مثل: "مجلة الخدمة الصحية" ، و"الإدارة اليوم" ، تايمز للتمريض" ، و"رعاية المجتمع المحلى") .

الإعلام

تأتى فى المرتبة التالية من حيث القيمة الصحف وغيرها من وسائل الإعلام ، ونعتقد أنـه من الواجب التزام الحذر فـى التعامل مع هذه النوعية من مصادر المعلومات . فإذا أردت استخدام معلومات مستمدة من بعض الصحف (أو المجلات مثل مجلة "التسويق" أو مجلـة "الحيـاة الريفيـة") فلا بد أن تفكر كيـف يمكنك الاعتماد علـى دقة المعلومات التـى تحتويها تلك المقـالات ، واضعا فى اعتبارك أن الهـدف الأول لتلك المجالات هو تحقيـق الربح من وراء بيع تلـك الصحف ، والمجلات ، والإعلانـات . ومع ذلك فإن الميزة الأساسية للمجلات أنها تنشر مادة معاصرة ، وبذلك يمكنها أن تضعك فى صورة الأحـداث والقضايا الاجتماعية ، والسياسيـة ، والاقتصادية ، وفى مشكلات السياسات العامـة والممارسـة يوما بيوم . أمـا الصحف فتميل إلى التركيز علـى تلك الجوانب من القضايـا والأمور التى تتسـم بقدر خاص من الطرافة أو الإشكالية ، ومن ثم تمكنك من التعـرف على القضايا ، وعلى الناس ، وعلى تقاريـر البحوث وغيرها مما تستطيع أن تتتبعه بنفسك فيما بعد .

ومن المهم أن تدرك أن هنـاك بعض المصادر الأخرى التى يمكن اعتبارها تراثا حـول الموضوع . فإذا وسعنا تعريفنا قليلا بحيث يستوعـب **المادة المتاحة فى المجال العام**، فسوف تتوفر لنا عـدة مصادر أخرى ، كبرامج التلفزيون والراديو ، وشرائط

الفيديـو، والتسجيلات الصوتيـة(*)، وأجهزة الاتصال المحمولـة Podcasts، وغيرها مـن وسائـل الإعلام والاتصـال. فجميع هذه المصـادر واعدة بقدرتهـا على تزويدنا بالمعلومـات، ولكن لأنها ليست معروضة فى قالب يمكـن استخدامه مباشرة فى معظم البحوث التى يجريهـا الطلاب، فلا بد لمستخدم هذه المصادر أن يُعمل فكره فى الطرق الممكنة لمعالجتها بحيث تكون صالحة لأن يستخدمها فى بحثه (من ذلك مثلا أن تقرر فى النهاية اختيار تدوين أجزاء من المادة المسجلة التى تحتوى مقابلة إذاعية أو فيلما تلفزيونيا تسجيليا).

تقارير المؤسسات والهيئات

هناك نـوع من التراث المنشور حول الموضوع غالبا ما يتـم إغفاله أو تجاهله هو **تقارير المؤسسـات والهيئات** (انظر قائمة المصطلحات). ويشير هذا المصطلح "Grey Litertature" إلى تلـك الوثائق التى تعدها بعض المنظمات أو الشركات، أو يتم إعدادها لحسابهـا. وتكـون مثل هذه التقارير عـادة فى صورة مطبوعـة (وبعضها الآن متاح – فـى بعض الأحيان علـى المواقع الإلكترونية لتلك المنظمـات أو الشركات)، ولكنها

(*) تمثل مثل هذه التسجيلات مصدرا مهما للباحثين فى كثير من المجالات بدءًا من البحوث والدراسات السياسية ومرورا ببحوث الصحة والعلاج وصولا إلى دراسات التراث الشعبى (من أدب شعبى ومعتقدات وعادات شعبية ... إلخ). وتتعاظم أهميتها فى المجتمعات التى تغلب عليها الأمية وتسودها الثقافة الشفاهية ويقل فيها توافر المصادر المدونة، خاصة تلك التى يدونها عموم الناس (كمذكرات الإنفاق المنزلى للأسرة، والمذكرات الخاصة ... إلخ مما هو متوفر بكثرة فى المجتمعات الغربية). ومن تلك التسجيلات: تسجيلات المحاضرات العامة أو بعض الخطب السياسية الحزبية أو غير الحزبية، وتسجيلات الحكايات والسير الشعبية، وبعض تسجيلات لأحاديث أو برامج إذاعية قديمة أو ذات أهمية خاصة، كأحاديث مع طه حسين، أو عباس العقاد، أو نجيب محفوظ مما يمكن أن يلقى الضوء على أعمالهم ورؤاهم الفكرية وكذلك على المناخ الفكرى فى عصرهم. ومن أهم وأخطر هذا النوع من المصادر تسجيلات خطب الجمعة والدروس الدينية وجلسات الوعظ التى وصل الأمر إلى حد طبعها بالملايين وبيعها للناس، فهى لدارس هذه الموضوعات مصدر لا غنى عنه. (المترجم)

عموما ليست متاحة لعموم الناس فى المجال العام(*). (وفى المملكة المتحدة أتاح صدور قانون حرية المعلومات الذى صدر عام 2000 إمكانية الاطلاع على كثير من هذه الوثائق بسهولة أكبر، وإن كان ذلك يمكن أن يتم بمقابل مادى). وإن كانت هناك ثمة مشكلات تكتنف مثل هذا الاطلاع منها مثلا: أنك لابد أن تكون على علم أصلا بوجود مثل هذه الوثيقة، أو أن تستطيع - على الأقل - توجيه سؤال حذر ودقيق لكى تتمكن من الحصول على المعلومات التى تريدها، وتمثل هذه التقارير - عموما - مصدرا ثريا بالمعلومات لأولئك الذين يدرسون القطاع العام أو عمليات تنفيذ السياسات، وغيرهم من الدارسين أيضا.

الوثائق الرسمية

قد تفرض عليك طبيعة موضوع بحثك وميدان تخصصك العلمى أن تدخل ضمن مراجعة التراث المنشور بعض الوثائق الكثيرة المتنوعة التى تصدرها الحكومة وغيرها

(*) هذا النوع معروف فى مصر، وفى بعض البلاد العربية، منذ فترة غير بعيدة، ولكنه آخذ فى الانتشار والتزايد فى الآونة الأخيرة، وسوف يزداد عددا ويتحسن نوعية كلما ذاعت وترسخت قيم الشفافية والمحاسبة فى المجال العام، سياسيا كان أم اقتصاديا أم غير ذلك. ومن أهم هذا النوع من المصادر تقارير الأمن العام التى تصدرها وزارة الداخلية سنويا، لأنها المصدر الأساسى لدراسات الإجرام والانحراف والأحداث والتسول ... إلخ. وبديهى أن هذا النوع من التقارير محدود التوزيع، ولا يسمح بالاطلاع عليه إلا للمختصين، ومع ذلك فمع تصاعد مناخ التعتيم السياسى وعدم الشفافية فى السنوات الأخيرة من حكم مبارك حجبت تقارير الأمن العام عن العامة والخاصة على السواء.

ومن هذه التقارير ما تصدره البنوك، خاصة البنك المركزى (الذى تحوى تقاريره بيانات مفصلة عن الإنفاق العام، والتجارة الداخلية والخارجية، والديون المحلية والخارجية ... إلخ) وهى لازمة إلى أقصى حد لكثير من الباحثين.

ومنها أيضا تقارير المجالس الخاصة العليا كالمؤسسة المعروفة باسم «المجالس القومية المتخصصة»، والمجلس القومى للمرأة ... إلخ، وكذلك تقارير بعض الهيئات شبه الحكومية كالمجلس القومى لحقوق الإنسان، أو منظمات المجتمع المدنى، أو كبرى الشركات فى شتى مجالات الإنتاج والخدمات ... إلخ. وكثير من هذه التقارير محدود أو مقيد التوزيع، وهذا أمر بديهى بالنسبة لقلة انتشار قيم الشفافية. (المترجم)

من المؤسسات الرسمية. وتشمل هذه الوثائق تلك المتعلقة بالسياسات المتبعة مثل قرارات البرلمان، وتقارير اللجان الملكية(*)، والتوجيهات والقواعد التنفيذية، والبيانات البيضاء(**)، والبيانات الخضراء(***)، وتقارير لجان الفحص والمراجعة، وبحوث الهيئات الحكومية، وما إلى ذلك.

تقارير البحوث

من أهم أسباب مراجعة التراث المنشور حول موضوعك أن تتبين وتتعلم مما توصلت إليه البحوث التى أجراها باحثون آخرون حول مجال الموضوع الذى تدرسه. ويشمل هذا النوع من البحوث البحوث الأكاديمية التى تجرى فى الجامعات، والبحوث التى يجريها الباحثون فى المؤسسات البحثية المختلفة (مثل مؤسسة جوزيف راونترى)، والتى يجريها الباحثون العاملون فى عديد من المؤسسات العامة والخاصة والقطاع التطوعى. وسوف تتبين أن بعض تلك البحوث ينتمى بالفعل إلى نوعية "تقارير المؤسسات والهيئات" ذات النشر المحدود، ومن ثم لن يتم الاطلاع عليها إلا بعد الاتصال بالمؤسسة المعنية أو زيارة مواقعها على شبكة الإنترنت. فى حين ستجد أن بحوث المؤسسات الأخرى - كتلك التى تصدرها مؤسسة جوزيف راونترى (www.jrf.org.uk) - متاحة بكل سهولة على مواقع تلك المؤسسات على شبكة المعلومات.

وهناك نوع آخر من تقارير البحوث هو الرسائل التى تقدم لنيل الدرجات الجامعية المختلفة. ويقوم بإعداد تلك الرسائل طلاب الجامعات بدءًا من رسالة البكالوريوس، مرورا برسائل الماجستير، ووصولا إلى رسائل الدكتوراه، وهى أعلى درجة علمية

(*) اللجان الملكية Royal Commission لجان تقصى حقائق يشكلها الملك (فى المملكة المتحدة) بناء على طلب الحكومة لدراسة موضوع معين. ويناظرها فى الولايات المتحدة "اللجان الرئاسية" التى يأمر بتشكيلها الرئيس الأمريكى لدراسة موضوع معين. (المترجم)

(**) البيان الأبيض White Paper تقرير حكومى رسمى (فى المملكة المتحدة) عن موضوع معين يحوى معلومات أو مقترحات. (المترجم)

(***) البيان الأخضر Green Paper تقرير حكومى مبدئى (فى المملكة المتحدة) يحتوى على مقترحات للمناقشة فى موضوع معين. (المترجم)

تمنحها الجامعات. ومثل هذه الرسائل تكون متاحة لاطلاع عموم الناس، وكذلك الأمر بالنسبة لبعض رسائل الدكتوراه. ومع أن هذه الرسائل الجامعية قد تكون مفيدة إذا كانت تركز على مجال موضوعك، فإنه يتعين عليك أن تتعرف على مستوى الدرجة التى أجيزت بها الرسالة، كما أنك لن تستطيع أن تعرف شيئا عن التقييم العلمى للرسالة.

الإنترنت

من المهم – أولا وقبل كل شيء – التمييز بين أنواع "التراث المنشور" التى ستجدها على شبكة الإنترنت.

نلاحظ – أولا – أن كثيرا من أنواع مصادر التراث المنشور، التى عرضنا لها فيما سبق، أصبحت متاحة الآن على شبكة الإنترنت، وقد تجدها أحيانا بنفس القطع الذى كان يمكن أن تصدر به فى صورة ورقية. من ذلك على سبيل المثال كثير من المجلات والدوريات الأكاديمية، وتقارير البحوث سوف تجدها متاحة على شبكة الإنترنت، ومن ثم يكون الاطلاع عليها أيسر كثيرًا مما كانت عليه الأحوال فى الماضى، بل إن بإمكانك تحميل بعضها على جهاز الكومبيوتر الخاص بك، وبذلك تحتفظ بها للرجوع إليها مستقبلا عند الحاجة.

كما نلاحظ –ثانيا – أن بعض التراث المنشور الذى تريد أن تستخدمه ليس متاحا إلا على شبكة الإنترنت. فهناك على سبيل المثال بعض الوثائق الرسمية التى ليست متاحة إلا على المواقع الحكومية على الشبكة، بل إنه قد يتعذر أحيانا العثور عليها عن غير هذا السبيل.

الأمر الثالث أن بعض مواقع الإنترنت تمثل هى نفسها جزءًا من التراث المنشور التى يتعين عليك مراجعته. من تلك المواقع مثلا: مواقع بعض الهيئات مثل "جمعية رعاية المسنين"، و"جمعية الألزهايمر"، و "المعهد القومى للتميز الإكلينيكى" (وجميعها فى المملكة المتحدة)، وتحتوى جميعها على مادة مهمة وقد تكون وثيقة الصلة بموضوع يتعلق مثلا بآثار مرض "عته الشيخوخة" على كبار السن، وأن تلك المعلومات قد لا تكون متاحة بأى صورة أخرى غير تلك.

الملاحظــة الرابعــة أن شبكة الإنترنت تتيح لك البحث عــن المعلومات المتوفرة فى موضوعك فى عدد غير محــدود من المصادر كتبها طائفة متنوعة من المؤلفين من شتى بقــاع العالم. معنى ذلك أن البحث على الشبكة يمكــن أن يقودك إلى آلاف المواقع التى يحتمل أن تكون مفيدة لك، ومن ثم يتعين عليك بذل كل جهد وعناية لتحديد أيها سفيديك بالفعــل. وسبب ذلك أن الشبكة تحــوى كما هائلا من المعلومــات. وبإمكان محركات البحــث أن تدلك على مئات آلاف المراجع حول أى موضوع، حتى ولو كنت تستخدم أحــد محــركات البحــث المتخصصة فــى البحــوث الأكاديمية، مثل محــرك " جوجل سكــولار " Google Scholar. ولا يستطيــع أى إنسان أن يجد الوقت اللازم لتصفح أو تقييم كل البيانات التى يحصل عليها، ولذلك قد تغفل بسهولة بعض الأعمال المهمة، أو أن تنجرف نحو بعض المواقع غير الدقيقة أو حتى المضللة.

لذلك عليك أن تنتبه إلى ما يلى:

- تعمــد معظم محركات البحــث إلى عرض موادها وفق ترتيــب المواقع الأكثر رواجا (وكذلــك بعض المواقع التي تدفع أموالا لكى تحظى بمركز متقدم على هــذا الترتيــب). ومما يؤسف لــه أن ذلك لا يعنى فى كل الأحــوال أن المواقع المتقدمة فى هذا الترتيب هى الأكثر دقة.
- ســوف يوفر لــك البحث العام فى الشبكة معلومات مــن عدد كبير من المصادر والبلاد المختلفة. وكثــيرا ما يمثل هذا الوضع مشكلة للباحثين: كيف للباحث أن يعــرف مدى ارتباط تلك المعلومات بموضوع بحثه؟ وحتى لو حصرت نطاق بحثــك فى الوثائق المنشورة باللغة الإنجليزية، فمن غير المحتمل أن تكون المادة المتعلقة بنظم التوظيف فــى استراليا مرتبطة بشكل مباشر ببحثك عن التوظيف فى المملكة المتحدة.
- بوســع أى إنسان أن ينشــر أى شيء على الإنترنت. مــن ذلك مثلا موسوعة "ويكيبيديــا" Wikipedia على الشبكــة تتسم بأن المادة التــى تتضمنها تكون من وضع وتحريــر زوار الموقع الذين يستخدمونه، وطبيعــى فى مثل هذه الحالة أن بعضــ هذا المحتوى لا يتصــف بالمستوى المنشود من الدقــة. حقيقة أن مثل هــذه المواقع يمكن أن تمثل مؤشرات مفيدة للبحــوث أو للباحثين الذين يعملون فى مجــال موضوعك، ولكن بشــرط أن تتعقب التقارير البحثيــة أو الكتابات الأصلية، وألا يعتمد على المعلومات التى تنشرها مثل هذه المواقع.

ولا تعنى تلك الملاحظات أن الإنترنت ليست مفيدة للباحث. وإنما هى – على العكس – يمكن أن تكون مصدرا بالغ الأهمية للمعلومات إذا استخدمت بعناية. فعليك أن تتخذ موقفا حذرا ونقديا – وربما أحيانا متشككا بعض الشيء – فى بحثك عن مصدر تلك المعلومات. حقيقة أن مطلب الحذر يصدق على أسلوب استخدامك لكافة أنواع التراث المنشور التى يمكن أن نستفيد بها فى بحثنا. وننتقل فيما يلى على تأمل قضية التقييم النقدى للتراث المنشور حول الموضوع.

فكر فى هذا الموضوع

تقييم مواقع الإنترنت

لأن هناك عددا كبيرا من المواقع ومصادر المعلومات المختلفة على شبكة الإنترنت، ولأن بوسع أى إنسان أن ينشر كل ما يريد من مواد على تلك الشبكة، لذلك تتبقى بعض الأسئلة الإضافية التى يتعين طرحها عند استخدامك تلك المواقع:

- من الذى قدم هذه المعلومات؟ فرد أم مؤسسة؟
- لماذا قدم هذا المصدر تلك المعلومات؟
- هل يحوى هذا الموقع بيانات عن مؤلفى تلك المعلومات وعن ناشريها؟
- متى طرحت تلك المعلومات على هذا الموقع؟
- متى نشرت تلك المعلومات لأول مرة على الشبكة كلها؟
- هل يتم تحديث هذا الموقع بكثرة؟
- هل سيبقى هذا الموقع إلى الغد؟
- أين تم الحصول على تلك المعلومات؟
- ممن تم الحصول على هذه المعلومات؟

يمكنك استخدام "الأداة الموحدة لتحديد مصدر المادة المنشورة على الإنترنت"(*)، أو الاستعانة بعنوان الموقع للوقوف على حقيقة مصدر المادة المنشورة.

الأداة الموحدة لتحديد مصدر مادة الإنترنت

ستزودك هذه الأداة الموحدة بفكرة عن:

- المؤسسة أو الهيئة التى تمتلك هذا الموقع.
- نوع هذه المؤسسة أو الهيئة.
- الدولة التى توجد فيها هذه المؤسسة (وإن كان يحدث أحيانا أن تكون المؤسسة فى داخل الدولة التى تنشر هذا الموقع).

المؤسسات والهيئات

غالبا ما يكون اسم المؤسسة أو الهيئة هو المقطع الأول من العنوان الإلكترونى، على حين يكشف المقطع الأخير من العنوان عن نوعية تلك المؤسسة. من ذلك مثلا:

- المواقع الأكاديمية : .ac.uk or.edu.
- المواقع التجارية : .co.uk or.com
- مواقع المؤسسات والهيئات التطوعية وغيرها من المؤسسات غير الهادفة إلى الربح : .org.uk or.org
- المواقع الحكومية: .gov.uk or.gov

الدول

يدل المقطع الأخير من العنوان عادة على الدولة التى نشأ فيها الموقع أصلا (ماعدا الولايات المتحدة التى ليس لها ذكر يدل عليها فى العنوان الإلكترونى)، من ذلك مثلا:

- المملكة المتحدة = .uk
- أستراليا = .au
- كندا = .ca

(*) URL = Uniform Resource Locator.

التقييم النقدى للتراث المنشور

عن الموضوع

هنـاك مرحلتـان لتقييـم التراث المنشـور للتأكد مـن أن هذا العمل سـوف يفيدك فـى تطوير أفكار بحثك. المرحلـة الأولى يتعين عليك أن تقدر فيهـا قيمة هذا العمل فى ضوء مصـدره والهدف منه. وجوهر التساؤل فى هـذه المرحلة يدور حول من كتب هـذا العمل، ولماذا كتبـه؟ أما المرحلة الثانية فتتعلق بالنظر فـى محتوى العمل فى ضوء المعلومات والأفكار التى يحتويها.

ما: الاتجاه النقدى؟

هو طريقة حكمنا (من واقع معرفتنا وخبرتنا أو ملاحظاتنا) على قيمة البيانات، والمعلومات، والمعرفة... إلخ مما يتضمنه العمل موضوع التقييم.

وعندمـا نصف تقييمنا بأنه «نقدى» فإننا لا نعنـى أى معنى سلبى: وإنما نقصد «التقييـم» وحسب. وطبيعى أن نتأمل أحد أشـكال هذا التراث المنشور-الذى سبق أن عرضنـا له - وعندها سنطرح بعض الأفكار عن الأشياء التى يتوجب عليك أن تتفحصها وتتأملها.

ما الهدف من وضع العمل المنشور؟

لكى نقف على حقيقة الهدف من وراء تأليف أى عمل من أعمال التراث المنشور، سـواء كان ورقة بحثيـة، أو تقريرًا علميـا، أو فيلما تلفزيونيا وثائقيـا؛ لكى نقف على الهدف يتعين علينا طرح بعض الأسئلة عن مؤلف هذا العمل أو منتجه، ثم نطرح بعضا من هذه الأسئلة علينا نحن. بديهى أننا لا نستطيع أن نسأل المؤلف أو منتج العمل مباشرة عن هدفـه، ولذلك يتحتم علينا أن نمعن النظر فى التعرف على مصدر العمل، ونتأمل فـى أسباب وضعه وكيف تم وضعـه أو إنتاجه على هذا النحو تحديـدا. وما المعلومات أو الخـبرات التى استعان بهـا الكاتب أو المنتج فى إعداد هذا العمل؟، وهل تم الإفصاح بوضـوح عن القضايا التى تناولها؟ وهل تم تناولها فعلا؟ بعد ذلك عليك أن تسأل نفسك

لكى تتعرف على جدوى هذا العمل لك فى ضوء تساؤلات بحثك، مستخدما ما لديك من معلومات وخبرات لتقدير قيمة مثل هذا العمل بالنسبة لك كباحث.

أسئلة يتعين توجيهها	
إلى المؤلف أو المنتج	وإلى نفسك
لماذا كتبت هذا العمل؟	لماذا أقرأ هذا العمل؟
لمن كتبت هذا العمل ؟	هل هذا العمل موجه «لى»؟
ماذا كان هدفك من وراء ذلك؟	ماذا أبغى الحصول عليه من هذا العمل؟
ما التساؤلات التى طرحتها فى عملك؟	ما التساؤلات التى يمكن أن أطرحها؟
ما الإجابات التى توصلت إليها؟	هل يمكننى العثور على إجابات موثوق بها؟
ما الشواهد والبراهين التى استندت إليها؟	هل أنا أقبل الشواهد والبراهين المعروضة؟
ما النتيجة التى انتهت إليها؟	هل أوافق على النتائج التى انتهى إليها؟

إن من شأن طرح تلك التساؤلات أن يعينك على معرفة نوع المصدر الذى عثرت عليه، والوقوف على سبب تأليفه أو إنتاجه. أما طرح الأسئلة على نفسك فمن شأنه أن يساعدك على أن تقرر ما إذا كنت سترجع إلى هذا العمل وتستخدمه كواحد من تراث الموضوع الذى ستعرض له، وعلى أن تحدد كيفية استخدامك له.

بحثك

اختر كتابا، أو مقالا منشورا فى مجلة علمية، أو تقريرا فى صحيفة مما يتعلق بموضوع بحثك، واطرح بشأنه الأسئلة الموجهة - افتراضيا - إلى المؤلف، وتلك الموجهة إليك.

ما موضوعات الأعمال المنشورة حول موضوعك؟

وما مدى فائدتها لتفكيرك فى بحثك؟

سوف تعتمـد الأسئلة التى ستطرحها بشأن مضمـون العمل المنشور ضمن تراث الموضـوع على نـوع المصدر الذى تكون بصدد تقييمه. فمـن المصادر التى يرجح أن تضمنها التراث الذى ستعرض لـه البحوث الأخرى التى أجريت فى مجال اهتمامك. فـى هذه الحالة سـوف يهمك بشكل خاص أن تعرف لماذا وكيـف أجرى هذا البحث؟، وعندها ستجـد نفسك تطرح عددًا من الأسئلة التى ستساعـدك على فهم هذا العمل فهما كاملا. وطبيعى أن تلك الأسئلة سوف تختلف من مقال لآخر، وذلك تبعا لنوع البحث الـذى يتناوله المقـال. ويجدر بك أن تتذكر فى هذا المقام أن عملية تحرير المجلة وحدود الحجـم المفروضـة على العمـل المطبوع يمكن أن تـؤدى أحيانـا إلى أن بعض عناصر المشـروع لا يتم عرضها بمقـدار التفصيل الذى كنت تتوقعه. ذلـك أنه عند نشر تقرير البحث فى صورة مقال فى مجلة علمية – مثلا– فإن المجلة لا تركز إلا على جانب واحد فقـط من جوانب البحث، وقد ينصب المقال برمته علـى مناقشة النتائج التى انتهى إليها البحث دون الحديث مفصلا عن الجوانب المنهجية مثلا.

وعلى هذا يمكنك أن توجه إلى نفسك الأسئلة التالية:

- هل أهداف البحث وغاياته واضحة؟
- هل قام المؤلف بشـرح فروضه، وتساؤلات البحث، والنظريات التى سيعتمد عليها؟ (راجع الفصلين 2 و4 من الباب 1).
- هـل واضح من الذى أنفق على البحـث (أى هل هناك احتمال وجود تضارب مصالح)؟
- هل تم عرض تساؤلات البحث وتعريفاته الإجرائية بشكل جلى؟ (انظر الفصل 4 من الباب 1).
- هـل الجوانـب المنهجية للبحـث واضحة وملائمـة للموضوع؟ وقـد يشمل هذا التساؤل أيضا طرح أسئلة عن الموضوعات الآتية:

- مناقشة القضايا الأخلاقية (انظر الفصل 5 من الباب 1).
- تفسير يبرر تصميم البحث على هذا النحو (انظر الفصل3 من الباب 2).
- شرح ومناقشة للأدوات المستخدمة في جمع البيانات ولعمليات تحليل البيانات (من ذلك مثلا: هل تم إجراء دراسة استطلاعية، سلامة التحليلات الإحصائية التى أجريت).
- تعريف المتغيرات (حسب الأحوال).
- تصميم عينة البحث وعمليات اختيارها (انظر الفصل 5 من الباب 2).
- مناقشة أدوات البحث المستخدمة (مثل: الاستبيان دليل المقابلة . . . إلخ)، وما أدخل عليها من تطوير وتعديل.
- هل تمت مناقشة القيود والحدود المنهجية المفروضة على البحث؟
- هل النتائج التى تم التوصل إليها مفهومة، وهل نوقشت على النحو الملائم؟
- هل خلاصة البحث واضحة؟
- هل نوقش موضوع إمكانية تعميم نتائج البحث (بمعنى تطبيقها على مجتمع البحث بأكمله وليس على أفراد العينة فقط)؟
- هل هناك صلات واضحة بين النتائج ومنظور البحث؟
- هل جرت مناقشة دلالات النتائج؟ (من ذلك مثلا: هل هناك ثمة حاجة لتغيير السياسة المتبعة بسبب ما انتهى إليه البحث؟).

بحثك

استعرضنا فى الفصل 1 من الباب 1 بعض اختبارات جودة البحث، وتجدها معروضة بشكل أكثر تفصيلا ووضوحا فى الفصل 3 من الباب 2. والمطلوب منك عندما تكون بصدد عرض أعمال التراث المنشور عن موضوعك أن تستخدم هذه الاختبارات للحكم على جودة البحث الذى ستستعرضه.

لاحـظ أنه ليسـت كل المصـادر التى ستعثر عليهـا ستركز علـى موضوع بحثك بالذات، وفى هذه الحالة سيكون عليك الاستعانة بمجموعة مختلفة قليلا من الأسئلة التى ستتيـح لك تقدير مدى فائدة هذا المصدر لك. ونورد فيما يلى بعض الأسئلة المقترحة فى هذا الصدد:

- هل أهداف الكتاب، أو المقال، أو البحث، أو البرنامج واضحة؟
- هل قدم المؤلفون شرحًا لأسبـاب كتابة هذه المادة أو إنتاجها؟ هل يتسم المؤلفون بمهارات أو اهتمامات أو خبرات خاصة؟
- هل هذا العمل مكتوب من منظور معين، أم أنه يتضمن عرض مختلف وجهات النظر؟
- هل يحيلك هذا العمل إلى مؤلفين، أو إلى مقالات، أو بحوث أخرى؟
- هل القضايا والمسائل الأساسية مفهومـة وواضحة، وهل تمت مناقشتها مناقشة وافية؟
- هـل تم تقديم الشواهد والبراهين التى تؤيد الأحكام التى تم التوصل إليها؟ وهل الدليل المقدم نفسه جدير بالتصديق؟ وهل فى إمكانك الوصول إليه ومعرفته؟
- هل توصل العمل إلى أية نتائج؟
- هـل جرت مناقشة لـدلالات النتيجة (أو النتائج) التى خلصـ إليها العمل؟ (من ذلـك مثلا: هل يقترح العمل إجراء تعديلات معينة فى السياسات أو الممارسات المتبعة؟ هل تتنبأ تلك النتائج بأحداث أو مواقف معينة؟).

وهكـذا يمكن القول باختصـار أن التناول النقدى لأحد مصـادرك أو تقييمه إنما هو عبـارة عن طرح بعض التساؤلات بشأنه. على أنك قد لا تستطيع أن تجيب لنفسك علـى كل التسـاؤلات التى طرحتها فـى ضوء ما جمعته من معلومـات، كما أن بعض إجاباتـك على هذه التساؤلات قد لا تكون مرضية لك. غير أن هذا لا يعنى أن مثل هذا المصـدر أو غيره يجب ألا يستخدم فى البحث. وإنما الأصـح أن ذلك الموقف يعنى أن عليك التزام الحذر عنـد استخدام معلومات يحويها هذا المصدر، كما يعنى أن تتأكد من عرض نواحى الضعف وكذلك نواحى القوة التى يتسم بها هذا المصدر فى ثنايا عرضك للتراث .

البحث عن التراث المنشور عن الموضوع

نقاط البدء

تكون نقطة البداية عادة هى القراءة عن خلفيات الموضوع، انطلاقا من معلوماتك الأولية عنه. من هذا -مثلا- أنك إذا كنت بصدد إجراء بحث عن أسباب الفقر فى مرحلة الطفولة، فالأرجح أن تنطلق فى قراءاتك من أحد الكتب المدرسية الأساسية، مثل: «دليل الطالب إلى السياسة الاجتماعية» (من تأليف ألكوك Alcock وزملائه، 2008). فمثل هذا الكتاب سيعرفك ببعض القضايا ويزودك ببعض الأفكار المهمة عن موضوعى: الفقر، والطفولة. كما سيوحى إليك ببعض الأفكار الطريفة، وسيزودك بقائمة من المراجع التى يمكنك الاستزادة منها. ولو سلكت هذا النهج فى العمل، فمن الأرجح أنك ستتعرف على أسماء مجموعة من الكتاب البارزين فى هذا المجال. بعد ذلك يمكنك أن تبحث عن الأعمال التى ألفها هؤلاء الكتاب بعدة سبل مختلفة. والأغلب أنك ستستعين بقوائم الكتب وبقواعد البيانات الإلكترونية لمعاونتك فى البحث عن هذه الأعمال، كما ستلجأ - فى هذا البحث الإلكترونى - إلى استخدام "الكلمات المفتاحية" المساعدة فى العثور على الكتب، والمقالات، والمواد الإعلامية ... إلخ التى تتعلق بموضوع بحثك.

ما: الكلمة المفتاح (الكلمة المرشدة) Keyword؟

الكلمات المفتاحية هى المصطلحات التى توجه قواعد البيانات (مثل: قوائم المكتبات العامة، أو محرك بحث عن المراجع) إلى ما يراد منها أن تبحث عنه. ومن الواضح أنه لا بد أن يتم اختيار الكلمات المفتاحية بكل عناية، وأن تربط بين أكثر من كلمة لكى تضيّق نطاق البحث.

وتتيح لك قواعد البيانات المختلفة ومحركات البحث استخدام أدوات معينة (مثل: "&" أو "+" أو AND للربط بين أكثر من كلمة مفتاحية. كما تسمح لك باستخدام OR أو "/" للاختيار بين كلمتين مطلوبتين) ولذلك يجب أن تتأكد مقدما ما هى الأدوات (أو العلامات) التى تصلح للنظام الإلكترونى الذى تستخدمه.

1 - **قوائـــم المكتبات العامة:** هى نقطـــة البداية الصحيحة دائمًـــا. ومعروف أن غالبية قوائم المكتبات العامة الآن موضوعة على قاعدة بيانات، ولذلك أصبح استخدامها سريعـــا وسهلا. كل ما عليك هو أن تبحث باستخـــدام **الكلمات المفتاحية**، أو باستخدام أسماء المؤلفين، أو حتى بالبحث عما هو منشور فى تاريخ معين. ويمكنك أن تربط بين سبل البحث هذه كلها إذا كنت تستخدم نظاما حديثا يتسم بالمرونة.

2 - **الكتب المدرســية، والمجـــلات العلمية وغيرها من المـــواد المطبوعة:** معـــروف أن قوائـــم المكتبـــات العامـــة سوف تدلـــك على مصـــادر مطبوعـــة وأخرى إلكترونية. ولا شك أن مراجعة الكتب المدرسية والمقالات المنشورة فى المجلات العلمية ستدلك على المصادر التى رجع إليها مؤلف الكتاب أو المقال، ولذلك سيكون ذلك وسيلة عظيمة الفائدة لتوسيع نظرتك إلى موضوع بحثك.

3 - **قواعـــد البيانـــات الإلكترونيـــة:** ويلاحـــظ أن قواعـــد البيانات هـــذه تكون متخصصة، كل منها بمجال معين. من ذلك مثلا "دليل ومستخلصات العلوم الاجتماعية التطبيقية ASSIA، الذى يحوى أسماء مراجع ومستخلصات (المستخلص: موجز قصير لكتاب أو مقال) لمقالات المجلات العلمية". وهناك عدد كبير من هذه الخدمات. ويمكن القول إنه يتوفر - وقت كتابة هذه السطور - عدد من هذه الخدمات، نذكر منها:

- ISI Web of Knowledge: http://wos.mimas.ac.uk/
- BIDS (Bath Information and Data Services): www.bids.ac.uk/
- SSCI (Social Sciences Citation Index): http://liberary.wellcome .ac.uk/
- ASSIA (Applied Social Sciences Index and Abstracts)

ويمكنك الدخول عليها عبر مكتبة جامعتك.

(إذا كنـــت تدرس بإحـــدى الجامعات أو المعاهـــد العليا فعليك البـــدء باستخدام هذه الخدمـــات عـــن طريق المكتبة العامة لجامعتـــك أو معهدك. وبعض هـــذه المواقع يتطلب وجـــود ترخيص بالدخـــول تحصل عليه مـــن مكتبة جامعتك. وفى كثـــير من الحالات تتوفـــر روابط من قاعدة البيانات لتحميل نسخة كاملة من المقال، أو التقرير، أو الكتاب الإلكترونى).

4- **استشـــارة الخـــبراء:** إذا كنــت تدرس في مدرســة، أو معهــد، أو جامعة، فالأرجح أن بــين هيئة التدريس بعض "الخبراء" الذيــن يستطيعون إثراء تفكيرك فى موضــوع بحثك، بإلقــاء أضواء جديدة عليه. كما أن طاقــم العاملين بالمكتبة الجامعية، الذيــن يكونون عادة متخصصين فى مجالهم، كثيرا ما يكونــون على استعداد لإفادتك بخبراتهم.

مثال 2-1

أسباب فقر الأطفال: اختيار الكلمات المفتاحية

من المعروف أن اختيار الكلمات المفتاحية التى سيجرى البحث على هديها يتطلب قدرًا من الخيــال. وسبب ذلك ببساطة أننا لا نستخــدم جميعنا نفس المصطلحات لوصف الموضوعــات التى نود البحث عنها، كما أنــه يحدث فى بعض الأحيان أن يستخدم الباحثون والكتاب تعريفات مختلفة للمفاهيم المستعملة فى كتاباتهم.

ويمكنــك البدء باستخدام المصطلحات المفتاحية المتضمنة فى سؤال بحثك، وهما فى حالة مثل هذا البحث: "الطفولة" و"الفقر".

ولاشك أن البحث عن كل منهما على حدة سوف يأتى بعدد هائل من المصادر، التى قد تكون غير متصلــة بموضوعك، من ذلك مثلا أن البحث عن "الطفولة" وحدهــا قد يأتى لك ببحوث عن أمراض الأطفال، وعن النمو النفسى للأطفال، وأنشطة اللعب عن الأطفال . . . إلخ.

كما أن البحث عن "الفقر" وحده قد يأتى لك ببحوث عن أوضاع الفقر فى مختلف البلاد، وعن أنواع الفقر المختلفة، وأخيرا عن الفقر بين الكبار وبين الأطفال.

لذلــك يكون من المفيــد أن تبــدأ بالربط بــين المصطلحين عنــد البحث، وذلك باستخــدام حــرف العطف "AND"، لكى توضح أنك تريــد البحث عن مصادر تشمل مصطلح "الطفولة و الفقر".

ولعلك تود بعد ذلك أن تركز البحث على "فقر الأطفال" "فى المملكة المتحدة"، كإحدى الكلمات المفتاحية التى سوف تستخدمها.

علـى أنه سـوف تتبقى – مع ذلـك – بعض المقالات والبحـوث التى قد تكون مفيدة لك، ولكنها لا تتضمن مصطلح "فقر الأطفال" فى عنوانها، أو حتى داخل المقـال نفسه. وربما يرجع ذلك إلى أن المؤلف قـد استخدم فى مقاله مصطلحات أخـرى، مثل "الأطفـال الفقراء"، وقد يرجـع ذلك أيضـا إلى أن المقال يدور حـول موضوع وثيق الصلة بمجال بحثك، ولكن بتوصيف آخر، مثل: "أطفال الأسـر الفقيرة"، أو "الأطفال الذين يعيشون فى مناطق محرومة"، أو "أطفال الطبقات الاجتماعية الدنيا". لهذا يتعين عليك القيام بمزيد من عمليات البحث.

وأخـيرا هل أنـت مهتم بالشبـاب بقـدر اهتمامـك بالأطفـال؟ إذا كان الأمر كذلك، فسـوف تجد مصادر تتعلق أساسا بفئة "صغـار السن"، و"المراهقين"، و"الشباب"، وقد يكون بعضها مرتبطا بموضوع بحثك.

فكر فى هذا الموضوع . . .

إذا كنت تجرى بحثا عن أنشطة وقت الفراغ الخاصة بكبار السن، فما الكلمات المفتاحية التـى سوف تستخدمها فى البحث عن دراسات وبحوث أخرى عن هذا الموضوع؟

استراتيجية البحث عن التراث المنشور

بعـد أن تبدأ فى جمع بعض التراث المنشور وقراءته، سيكون من المفيد أن تتأملها جيدًا، ثم تضع خطة للتعامل معها:

(أ) ما الذى تبحث عنه، فى ضوء الكلمات المفتاحية والموضوعات التى جمعتها؟

(ب) أى أنواع المصادر سوف تحرص على تضمينها فى بحثك؟

(جـ) كيف ستبحث عن موضوعك فى تلك المصادر؟

والملاحظ أن طلاب البحث يفاجؤون فى البداية إما بالوفرة الهائلة فى عدد المصادر التـى توصلوا إليها، والتى بدا لهم أنهـا قريبة من موضوع بحثهم، أو بالقلة الشديدة فى عدد المصادر التى يمكن أن تكون مرتبطة بموضوعهم. وفى كلتا الحالتين يكون الوقت قد حان لأن تركز على الدراسات السابقة الأكثر اتصالا بموضوع بحثك أنت.

وأحـد السبـل المكنة لتنفيـذ ذلك أن تبـدأ برسم شكل تخطيطـي عنكبوتي لمختلف عناصـر موضوعك التي تريد أن يغطيها بحثك. والملاحظ في أغلب الحالات أن هناك مجالين رئيسيين أو أكثر تدور حولها أسئلة بحثك. من ذلك مثلا: إذا كنت مهتما بدراسة العلاقـة بين "فقر الطفولـة" و "التحصيل الدراسي" (ربما متأثـرا في ذلك بالعناوين المنشـورة في الصحف، والواردة في برواز "البحـث الواقعي" أدناه)؛ في هذه الحالة يتعـين عليك أن تراجع بدقة بعض الدراسـات السابقة المتعلقة بفقر الأطفال وبالتحصيل الدراسـي، كل على حدة مبدئيا. على أنك قـد لا تكون مضطرا إلى تفحص الدراسات السابقـة المتعلقـة بكل عنصر من عناصـر الموضوعين. ويعرض المثـال (2-2) بعض عناصـر موضوعك التي يتعـين عليك أن تضمنها موضوع بحثـك. وستلاحظ في هذا المثـال أن الموضوعـات الموضوعة على حافـة الدائرة ستزودك بالمعلومـات الأساسية والخلفية العامة لاستعراضك للتراث، بينما تمثل الموضوعات القريبة من مركز الدائرة عناصر موضوعـك التي يتعين عليك أن تركز عليها عندما تشرع في تأمل العلاقة بين عنصري البحث: فقر الأطفال والتحصيل الدراسي.

البحث الواقعي . . .

من موضوعات الإعلام : الحراك الاجتماعي في بريطانيا

ما زالت الثروة والتعليم الخاص هما مفتاح الالتحاق بالمهن التخصصية العليا

يرسـم تقرير الحلقـة النقاشية التي شاركت فيها كل الأحـزاب - والتي رأسها الوزيـر السابـق آلان ملبـورن - صـورة رهيبـة لبلد تمثل فيه ثـروة الأسرة، والتعليـم الخاصـ، وأسبقية الالتحاق بالجامعات ؛ تمثل مفتـاح الالتحاق بالمهن التخصصية العليا ذات الدخول العالية . . .

. . . وتدل التقديرات على أن ٢٩ ٪ فقط من طلاب الجامعات و١٦ ٪ فقط من طلاب جامعات «مجموعة راسل» ينتمون إلى أوساط اجتماعية اقتصادية متدنية، رغم أن شباب تلك الأوساط المتدنية يمثلون ٥٠ ٪ من إجمالي عدد الشباب في بريطانيا.

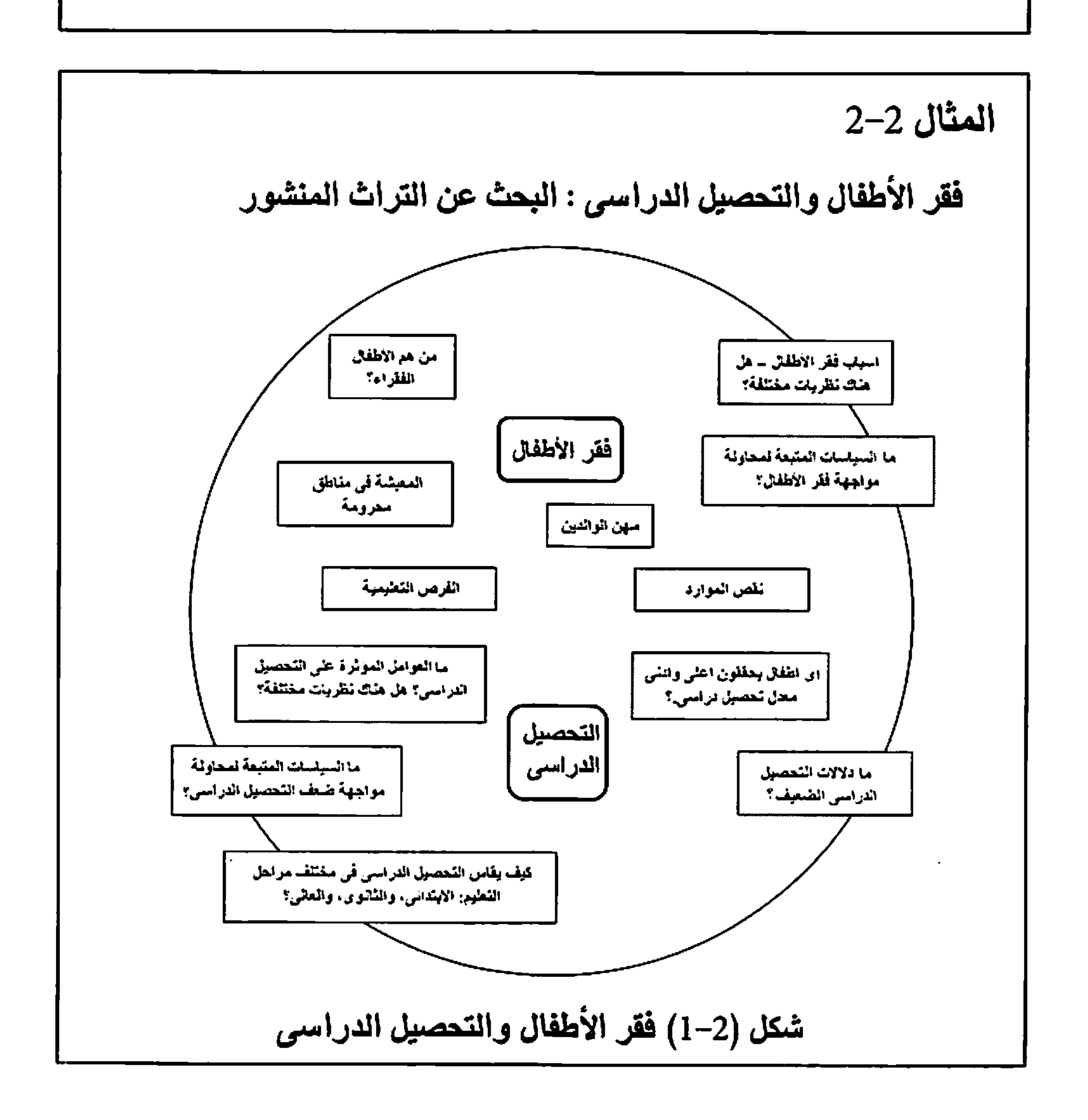
وتشـير صحيفـة «الجارديـان» البريطانيـة فى هـذا المقال إلى تقريـر لمجلس الـوزراء صدر عام 2009 بعنوان «إطلاق الطموح: التقرير النهائى عن إتاحة فرص عادلة للالتحاق بالمهن التخصصية العليا»، الذى يمكن الرجوع إليه على الموقع التالى:

www.cabinetoffice.gov.uk/strategy/work__areas/accessprofessions.aspx

(آخر دخول على الموقع بتاريخ العاشر من أغسطس 2009).

المثال 2-2

فقر الأطفال والتحصيل الدراسى : البحث عن التراث المنشور



شكل (2-1) فقر الأطفال والتحصيل الدراسى

وستلاحـظ أن أغلب عمليات البحث عن التراث المنشـور تزداد تركيزا وتحديدا كلما تقدم مسارها، وكلما ازدادت درجة وضوح أسئلة البحث. ويجد كثير من طلاب البحث أن موضوع البحث المبدئي يكون شديد الاتساع والعمومية، على نحو ما ترى فى المثـال الذى قدمناه عن فقر الأطفال والتحصيل الدراسى. وبعد العثور على الدراسات السابقة المتصلـة بالموضوع، والاطلاع عليها ودراستها؛ بعد ذلك تضيق وتتحدد بؤرة البحـث وتصبح أكثر وضوحا. ففى المثال المعروضـ قد يقرر الباحث قصر موضوعه علـى مرحلة واحدة من مراحل التعليـم – الابتدائى أو الثانوى أو العالى – كما قد يرى التركيز على دراسة خبرات أطفال إحدى جماعات الأقليات الإثنية. وقد يختار طالب آخر أن يركز بحثه على دراسة تأثير الفرص التعليمية فى إحدى المناطق المحرومة، أو يركزه على أثر الوالدين – الذين ينتمون إلى أوساط اجتماعية اقتصادية مختلفة – على التحصيل الدراسـى لأطفالهم. وهكذا ترى أن الشـكل التخطيطى المعروض فى المثال (2-2) ليس سوى نقطة البداية فقط.

ولا شـك أن اختيارك لموضـوع البحث هو الذى سيحدد مختلـف أنواع المراجع والمصـادر التى قـد تقرر تضمينهـا استعراضك للتراث المنشـور. فاستعراض التراث الـذى يركز على السياسات المتبعة قـد يتضمن التعرض لبعض الوثائـق الرسمية. أما إذا كان عرضـ التراث سيركز علـى القضية الاجتماعية الراهنـة، فسوف تحتاج فى هذه الحالة إلى البحث فى وسائل الإعلام المعاصرة للحصول على البيانات والتوجهات المطلوب عرضها. ولكن سيكون من المفيد ولا شك أن تبحث عن المصادر الممكنة للتراث المنشـور، فضلا عن قوائم المكتبات العامة، وقواعـد البيانات الإلكترونية، وذلك لكى تقرر فى البداية حجم ونوع التراث المنشور الذى يمكنك الوصول إليه.

وتأكد أن كل دراسة سابقة سوف تقودك إلى دراسة أخرى. ذلك أن كل كتاب، أو مقـال، أو تقرير بحثـى يتضمن – بطبيعة الحال – قائمة بالمراجـع التى اعتمد عليها المؤلف فى عمله هذا، وسوف تقودك هذه المراجع إلى مصادر أخرى.

الجوانب العملية لمراجعة التراث العلمى

القراءة

سبق أن أشرنا إلى أنك ستعثر على عدد كبير من المصادر التى يمكن أن تكون مفيدة لموضوع بحثك. وسيكون معنى هذا أن أمامك قدر هائل من المواد التى يتعين قراءتها خلال مدة زمنية قصيرة. لهذا يحسن تبنى أسلوب مركز فى القراءة، إذ إن من شأن ذلك أن يساعدك على اختيار الدراسات الأكثر نفعا لك فى بحثك، وذلك بأن تركز فى تلك الدراسات على أجزاء المقال أو فصول الكتاب أو التقرير التى ترتبط ببحثك مباشرة.

فكر فى هذا الموضوع . . .

تبنى أسلوب التركيز فى القراءة

عليك قبل أن تبدأ القراءة:

- أن تلقى نظرة سريعة على الكتاب أو المقال إجمالا، مع الانتباه إلى بنيته، وعناوين موضوعاته.
- اقرأ أى مقدمات منشورة فيه، وكذلك صفحات الملخصات (ملخصات الفصول أو الأبواب) وفهرس المحتويات.
- إذا كان العمل يحتوى على كشاف موضوعات، فاستخدمه فى معرفة الفصول التى يمكن أن تكون ذات فائدة لك.
- اسأل نفسك: لماذا أقرأ هذا؟
- قرر بعد ذلك ما الفصول أو الأجزاء التى ستقوم بقراءتها؟

ثم يتعين عليك بعد ذلك:

- اقرأ قراءة سريعة بدايات كل فقرة لتتعرف على اتجاه الفصل.
- حدد مرة أخرى: هل سيكون هذا الجزء مفيدا لى؟
- اقرأ الفصل/ أو الفقرة بعناية، وفى ذهنك موضوع بحثك، مع تدوين ملاحظات عن المادة المرتبطة ببحثك.
- لا تنس أن تدون أرقام صفحات النقاط أو الأفكار أو الاقتباسات التى قد تنوى استخدامها لاحقا. وانتبه إلى الأجزاء أو الفصول التى تنوى العودة إلى قراءتها فيما بعد .
- سجل بكل دقة بيانات المرجع المستخدم كاملة.

عملية التسجيل

مـن الواضح أنه لا مبرر لـكل هذه القراءات وتقييمها مـا لم تسجل كل ذلك بدقة ونظام. ولا يكفى إطلاقا أن تقنع بعمل قائمة بعناوين تلك الكتب وأسماء مؤلفيها. وأقل مـا يمكنك عمله أن تسجـل كل البيانات البيليوجرافية، التى ستحتـاج إليها فيما بعد عند إعـداد قائمة المراجـع أو قائمة ببليوجرافية بالبحوث المنشورة فـى الموضوع، أو كتابة الفصـل الخاص بالدراسـات السابقة. ولتتأكد من أنك تسجـل كل المعلومات اللازمة، يتعـين أن تحدد فى البداية نظام توثيـق المراجع الذى يفترض أن تستخدمه، وأن تحدد كذلك العناصر المعلوماتية اللازمة لإثبات المرجع بشكل واف.

على أن ذلك ليس سوى الحد الأدنى لما هو مطلوب منك، إذ الأرجح أنك ستحتاج إلى تسجيـل معلومات إضافية عن مصادر المادة (المراجع)، والملاحظات التى دونتها، وربما بعض الاقتباسات، وبعض الآراء المحورية، بحيث تستطيع العودة إليها فيما بعد عندمـا تشرع فى كتابة فصل الدراسات السابقة. ولاحظ هنا أن تختار طريقة التسجيل التـى تناسب أسلوبك فى العمل كشخصية فردية. فهنـاك كثير من الناس يقنعون بنوع من نظام التسجيـل الورقى. ويتوقف تعقيد هذا النظـام وصعوبته على حجم المشروع ومـدى تشعبه وتعقيـده. فبالنسبة لإعداد مقال علمى، سـوف يعمد غالبية الباحثين إلى استخـدام مفكرة أو "نوته" عادية، وقد تكون البطاقـات المفهرسة أكثر جدوى بالنسبة لمن يعد رسالة جامعية للماجستير والدكتوراه.

وإلى جانـب ذلك هناك طرق أخـرى لتسجيل تلك البيانات، كما أن هناك برامج كومبيوتـر يمكن أن تساعد فى ذلك. ومن أنواع هذه البرامج : ، Citation، Endnote، Biblioscape; Papyrus and Procite، Bookends. فهـذه كلهـا برامج جاهزة تحتوى علـى قواعد بيانات مصممة سلفـا، يمكنك أن تدخل عليها معلومـات عن المرجع الذى سـوف تحتـاج إليه عند الكتابة. ونقطة القوة فى مثل هـذه البرامج الجاهزة هى قدرتها على إخراج هذه المعلومات التى تتبع طرق أو أساليب إحالة مختلفة، مثل نظام هارفارد أو نظـام APA. ولكـن مع كل المزايا فإنـه يعيبها أمر مهم: فكل هـذه البرامج الجاهزة مكلفة، ويستغرق تعلمها وقتا طويلا. تأكد أولا مما إذا كان مرخصا لجامعتك أو كليتك باستخـدام هذه البرامج، بحيث يسمح لك باستخدامها مجانا (أو بأسعار رمزية) بالنسبة لك كطالب.

ونحــن لا نوصيك هنا باستخدام نظام معــين ، ذلك أن المساعدة التى يقدمها الموقع يمكــن أن تكون أكثر أهمية من الميزات الخاصة لهذا البرنامج أو ذاك . فالقلم والورقة أو البطاقــة المفهرسة يمكن أن تخدمــك بنفس الكفاءة ، لذلك ننصحــك باستخدام النظام الــذى يناسبك . ولا ننسى أن بعض الطلاب الذين لهــم دراية بتكنولوجيا المعلومات قد يفضلون أن يصمموا قاعدة البيانات الببليوجرافية باستخدام عوامل مساعدة أخرى مثل برنامج قاعدة بيانات مايكروسوفت Microsoft's Access .

عرض الدراسات السابقة

بعــد أن تفرغ من الاطــلاع على الدراســات السابقة ، ستجــد أمامك عدة طرق لتقــديم هذا التراث ، وسيتوقف اختيارك على طبيعــة مشروعك البحثى . فإذا كنت تعد بحثــا للتخرج من البكالوريوس ، أو رسالة للماجستــير والدكتوراه سوف تناقشها لجنة علمية ، فى كلا الحالتين سيكون مطلوبا منك كتابة فقرة فى البحث أو فصل فى الرسالة لاستعراضــ الــتراث المنشور ومناقشتــه . أما إذا كنــت بصدد كتابــة تقرير عن بحث أجريته ، فطبيعى أن يختلــف الأمر ، وقد يكون كل المطلوب هو أن تستخدم الدراسات السابقة فى موضوعك كخلفية أو مادة إطارية للتقرير ، أو أن تذيل تقرير البحث بقائمة ببليوجرافيــة مشروحة بالدراسات السابقة . وفيما يلى نتأمل بإيجاز كل أسلوب من هذه الأساليب .

عرض ومناقشة الدراسات السابقة

يمثــل الفصل الخاصــ باستعراض الدراســات السابقة جــزءا أو فصلا مهما من بحــث البكالوريوس أو الرسالة الجامعية ، ويأتى فى العــادة قريبا من صدر البحث أو الرسالــة ، بعــد المقدمة وقبل فصل المنهج . ولب الموضوع فى فصــل الدراسات السابقة أنــه المــكان المناسب لتطوير الأفكار العامــة فى الموضوع بشكل مبدئــى ، والتعمق فيها باستخــدام الدراسات السابقة ، مع التركيز بشــكل خاص على البحث الذى نكتب عنه . وبهذا يمثل فصل الدراسات السابقة حلقة الوصل بين مقدمة بحثك وتساؤلات هذا البحث وقضايــاه المنهجية . وهنــاك عدة طرق مختلفة يمكن اتباعها فــى استعراض الدراسات السابقة ، والطريقة الأوسع انتشارا هى تقديم تعريــف عام لموضوع بحثك ، بما فى ذلك استعراضــ الإطــار التاريخى ثم الوضــع الراهن للبحوث فى الموضــوع ، وذلك قبل

الانتقال إلى إلقاء الضوء على مجالات بحثك بشكل متعمق، وبذلك تتحول تدريجيا إلى التركيز على مجال البحث الذى تقوم بإجرائه.

ويقوم استعراض التراث على كتابة مناقشات موجزة، أو مقالات مختصرة، يكون التركيز فيها على المجالات الرئيسية لموضوعات البحث، وتستمد من تلك الدراسات السابقة الشواهد التى تعتمد عليها فى تأكيد الآراء التى تبديها. ومن الواجب أن تلتزم فى عرض مادة الدراسات السابقة توجها نقديا، وأن تتخذ جانب الحذر، وأن تتبين قيمة المصدر الذى تستخدمه، ونقاط القوة والضعف التى يتسم بها بالنسبة للعرض الذى تقدمه.

المثال 2-3

فقر الأطفال والتحصيل الدراسى

تنظيم استعراض الدراسات السابقة

1 - نظرة عامة على الإطار التاريخى لدراسة الموضوع وتحديد أهم القضايا المعاصرة.

2 - ما فقر الأطفال؟

(أ) الطرق المختلفة لتعريف الفقر.

(ب) أى أنواع الأطفال هم الذين يعانون من الفقر؟

(جـ) ما نظريات تفسير أسباب فقر الأطفال؟

(د) ما الآثار الناجمة عن فقر الأطفال؟

3 - ما المقصود بالتحصيل الدراسى؟

(أ) كيف يتم قياس التحصيل الدراسى؟ وكيف يتم ذلك القياس فى مراحل التعليم المختلفة؟

(ب) ما سمات أصحاب أعلى وأدنى الدرجات؟

(جـ) ما العوامل التى تؤثر على تحصيل الطفل الدراسى؟

(د) ما عواقب ذلك بالنسبة لمعيشة أولئك الأطفال فى فقر؟

4 - استعراض الدراسات السابقة التى تربط بين فقر الأطفال والتحصيل الدراسى.

(أ) ما النتائج الرئيسية لتلك الدراسات ؟ وما القضايا التى جرى طرحها فيها ؟

(ب) ما قضايا السياسة والممارسة التى ترتبط بتلك العلاقات بين فقر الأطفال والتحصيل الدراسى؟

(جـ) ما آثار تلك البحوث، والسياسات، والممارسات على الأطفال المنتمين إلى جماعة إثنية معينة من تلك التى تعانى الفقر فى الطفولة؟

5 - استعراض النتائج حيث يتم المزج بين استعراض الدراسات السابقة وطرح أسئلة بحثك أنت.

عرض التراث المنشور كإطار

العادة أن عرض التراث فى أى تقرير بحثى يكون أقصر كثيرًا، وأنه سيركز بالأساس على الإطار العام للبحوث السابقة، ولماذا اعتبرت دراسة مثل هذا الموضوع أمرًا ضروريًا، وخلفيات تلك الدراسة. وفى هذه الحالة يتعين الإحالة إلى عدد من تلك الدراسات السابقة، وعرض موجز لوجهات النظر الرئيسية التى طرحتها، أو تقديم عرض موجز لنتائج تلك البحوث مع تقديم قائمة بالمراجع التى تمكن القارئ من الرجوع إلى تلك المصادر إذا رغب فى ذلك.

القائمة الببليوجرافية المشروحة

قد تكون القائمة الببليوجرافية المشروحة لازمة كجزء من الرسالة الجامعية (للماجستير والدكتوراه) أو فى بعض البحوث الأخرى. وهذه القائمة هى ببساطة

عبــارة عن قائمة من المراجــع التى تثرى دراسة موضوع معــين، ويعقب كل مرجع فقرة قصيرة تتضمن موجزًا مختصرا للدراسة، أو نتائجها الرئيسية، أو وجهات النظر التى تطرحها، مــع تقدير لقيمة كل ذلك بالنسبة لدراسة هذا الموضوع. وهكذا يتم تقييم كل مرجــع علــى حدة، إذ ليس هنــاك أى مناسبة لمقارنة نتائج الدراســات المختلفة، أو استعراض الفروق بين المراجع الواردة فى القائمة.

عملية مراجعة التراث المنشور عن الموضوع

لاحــظ أن مراجعة التراث عمليــة مستمرة، وأنك سوف تعــود إليها فى مراحل مختلفة مــن البحث. فالقــراءة الأولية للبحث السابــق ستعمل على إثــراء أفكارك عن موضوعــك وتساعدك على بلورتها وبلــورة أسئلة بحثك التى تنــوى طرحها. (انظر الفصل 4 من الباب 1). ثم يؤدى اضطراد البحث فى التراث والتدقيق فيه إلى المساعدة على توضيح مجال البحــث والتركيز بشكل متزايد على تساؤلات البحث، الأمر الذى سيمكنــك من البدء فــى تحديد تصميم البحث (الفصل 3 من البــاب 2)، والبت فى كيفية اختيــار عينة البحــث (الفصل 5 من الباب 2)، وطرق جمــع البيانات (الباب الثالث). كمــا أن مراجعة التراث المنشور سوف تــثرى تحليلك، وتساعدك على التخطيط للنهج الذى ستتبعه فى التحليل، وتحديد الموضوعات الأساسية أو القضايا التى ستحرص على التماسها وســط نتائج الدراسات السابقة (الفصل 1 من البــاب 4). وفى مرحلة مناقشة النتائج ستجد أنه من المفيد لك الرجوع إلى الدراسات السابقة لتستكشف من أى النواحى تختلــف أو تتفق نتائــج بحثك مع النتائج التــى انتهت إليها الدراســات السابقة، أو لكى يساعــدك ذلــك على تفسير نتائج بحثك فــى ضوء النظريات والنتائج التــى انتهى إليها الآخرون.

بحثك

البحث عن التراث المنشور

موضوع البحث:	------------------------------ ------------------------------ ------------------------------

القراءة الأولية:	------------------------------ ------------------------------ ------------------------------

الشكل التخطيطي «العنكبوتي» يبين عناصر موضوعك

الكلمات المفتاحية:	------------------------------ ------------------------------ ------------------------------
القوائم، وقواعد البيانات، وأدوات البحث:	------------------------------ ------------------------------ ------------------------------
خطة عرض التراث المنشور:	------------------------------ ------------------------------ ------------------------------

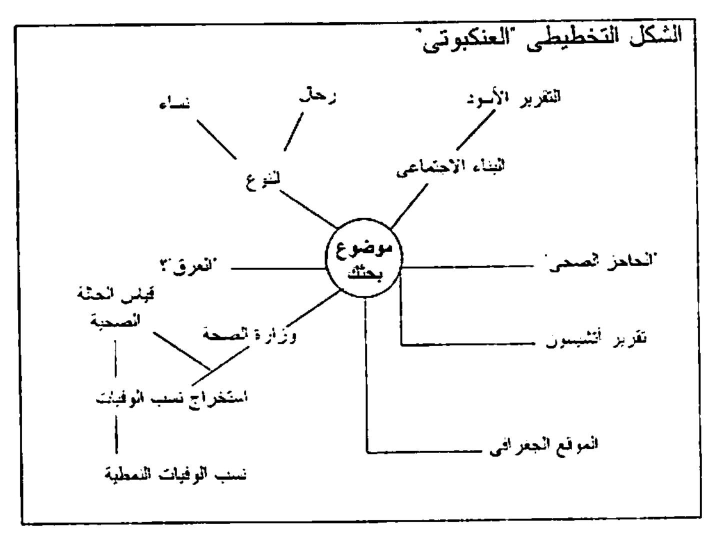
بحثك

البحث عن التراث المنشور

موضوع البحث:	عدم تكافؤ فرص الرعاية الصحية

القراءة الأولية:	السياسة الصحية للمملكة المتحدة، العدد الخاص من صحيفة الجارديان بتاريخ 2/10/2009، التقرير الأسود 1980.

الشكل التخطيطي «العنكبوتي»



الكلمات المفتاحية:	عدم تكافؤ الفرص الصحة وزارة الصحة الوفيات النسب

القوائم، وقواعد البيانات، وأدوات البحث: Assia Medweb Bids Library

خطة عرض التراث المنشور: التاريخ - القياس - التقارير - القضايا المثارة حاليا

المراجع وقراءات للاستزادة

Alcock, P., Erskine, A. and May, M. (eds) (2008) *The Student's Companion to Social Policy*, 3rd edn, Oxford: Blackwell.

Berg, B. L. (2007) *Qualitative Research Methods for the Social Sciences*, Boston: Pearson Education.

Hart, C. (1998) *Doing a Literature Review: Releasing the Social Science Research Imagination*, Buckingham: Oxford University Press.

Hart, C. (2001) *Doing a Literature Search: A Comprehensive Guide for the Social Sciences*, London: Sage.

Pole, C. and Lampard, R. (2002) *Practical Social Investigation: Qualitative and Quantitative Methods in Social Research*, Harlow: Pearson Education.

Ticehurst, G. W. and Veal, A. J. (2000) *Business Research Methods: A Managerial Approach*, Frenchs Forest: Longman.

Wintour, P. (2009) Britain's closed shop: damning report on social mobility failings, *Guardian*, 21 July.

الفصل الثالث

تصميم البحث

محتويات الفصل

- أوجه التشابه والاختلاف .
- العلاقات .
- كيفى أم كمى؟
- مستوى الدراسة ووحدتها .
- اختبارات جودة البحث .
- تصميمات البحث .
- استراتيجيات البحث .
- أى التصميمات البحثية هو الأنسب لك؟
- المراجع وقراءات للاستزادة .

عن السياق

ننتقل الآن من مرحلة التفكير فى اختيار موضوع البحث إلى مرحلة التفكير فى كيفية دراستك لهذا الموضوع . وتعتمد عملية تصميم البحث على جميع الاستعدادات التى قمت بها ، كما أنها ستفيدك فى وضع إطار شامل للبحث الذى ستجريه. وبناء على تصميم بحثك ستقوم باختيار طرق جمع البيانات التى سوف تستخدمها (الفصل4 من الباب 2) وستحدد كيفية اختيار المبحوثين أو الحالات التى سيجرى دراستها (الفصل 5 من الباب 2)، وذلك قبل وضع مقترح مشروع البحث (الفصل 6 من هذا الباب 2).

تعنـى عملية تصميـم البحث أن تعـود إلى تساؤلات بحثك (الفصـل 4 من الباب 1) والتفكـير فيمـا تأمل أن تفعلـه بالبيانات التى ستقوم بجمعها لكـى تتمكن من الإجابة على تلك التساؤلات. وفى هذا الفصل سنتخذ مثالا للبحث موضوع: «الطلاب وتناول المشروبات الكحولية فى مؤسسات التعليم العالى».

البحث الواقعى

الطلاب وتناول المشروبات الكحولية فى مؤسسات التعليم العالى

نقلا عن أخبار هيئة الإذاعة البريطانية BBC بتاريخ 2008/3/31:

صرح اتحاد طلاب جامعة ليفربول أنه لن يشجع بعد الآن تقديم مشروبات كحولية مخفضة السعر تخفيضا كبيرا فى حفلات السمر حرصا على صحة الشباب لتناولها.

نقلا عن صحيفة الجارديان بتاريخ 2009/3/27:

تلقت الحكومة طلبات برفع سعر المشروبات الكحولية، بعد أن أثبتت البحوث أن الشبـاب فى المملكة المتحدة يعانون أعلى معدلات تعاطى المشروبات الكحولية فى حفلات السمـر، والسُكْر، وسائر المشكلات المرتبطـة بتعاطى الكحول على مستوى القارة الأوروبية.

المصدر: أخبار BBC [2008]، وسميثرز [2009].

ووفقـا لسؤال بحثك وفروضك البحثية التى اخترتها، سيكون عليك أن تسعى إلى جمع البيانات التى من شأنها أن تساعدك على ما يلى:

(أ) **وصـف** الموقف الراهن (أو الماضى): ويعنى ذلك هنـا توضيح طبيعة ومقدار تعاطى المشروبات الكحولية بين مختلف الجماعات الطلابية وفى شتى الظروف.

(ب) **تفسير** أوجه الاختلاف والتشابه بين مختلف الجماعات الطلابية والظروف عن طريق وضع يدك على العلاقات العلية المحتملة.

(جـ) **استكشاف دلالات** البيانات التى جمعتها للبحث عن الأسباب المحتملة للفروق

بـين مختلف جماعات الطـلاب والظروف، وذلـك سعيا وراء بلـورة بعض الأفكار المتعلقة بأسباب تعاطى الطلاب للمشروبـات الكحولية، وآراؤهم فيما إذا كانوا يعدون ذلك «مشكلة» وأسباب ذلك.

ويمكـن القول - على وجـه العموم - إن مـا ستفعله ببيانـات البحث الاجتماعى ينـدرج تحت فئتـين اثنتين هما: البحث عـن أوجه التشابه والاختـلاف، والبحث عن العلاقات؛ فهذان البندان يشكلان الأساس الراسخ لتصميم بحثك.

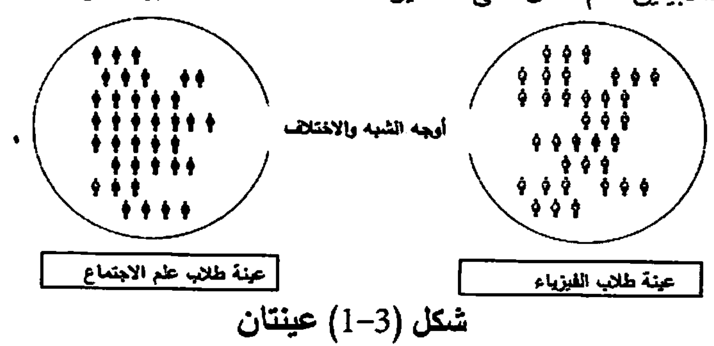
أوجه التشابه والاختلاف

عليك إمـا أن تختار البحث عن الفروق (أو أوجه الاختلاف) بين جماعتين أو أكثر من الأفراد أو الظروف، أو تختار استكشاف التغيرات التى حدثت عبر الزمن. وفى كلا الحالتين سيكـون عليك أن تجمع بيانات يمكن المقارنة بينها بخصوص الجماعات المختلفة، أو الظروف المتباينة أو الفترات الزمنية المتتابعة، وذلك لكى تتمكن من اكتشاف الفروق أو التغيرات.

المثال 3-1

الطلاب والمشروبات الكحولية
أوجه التشابه والاختلاف

قـد تسعى إلى اكتشاف أوجـه الاختلاف فى كميات الكحول التـى يتعاطاها الطلاب مـن عدة جامعات مختلفة، أو طـلاب التخصصات المختلفة، أو فى ظل ظروف مختلفة. مـن ذلك مثلا أن تختار عينة من الطلاب الذين يدرسـون علم الاجتماع، وعينة أخرى من الطلاب الذين يدرسون الفيزياء، ثم تحاول استكشاف أوجه التشابه والاختلاف بين الجماعتين الطلابيتين، ثم تعمل على التفسيرات المحتملة لتلك التشابهات والاختلافات.



شكل (3-1) عينتان

العلاقات

تتمثل الخطوة التالية فى أن تنتقل إلى البحث عن العلاقات بين السمات أو المتغيرات المختلفة، مثل : الفئات العمرية، والنوع، والانتماء الإثنى، والدين، والوضع المالى. . . إلخ.

وعندما تكون بصدد البحث عن العلاقات، سيكون عليك أن تتفحص البيانات التى جمعت من عدد من الحالات لتضع يدك على أى مؤشرات تدل على وجود (أو عدم وجود) ارتباط بين بعض السمات والمتغيرات. وربما تعمد إلى تأسيس هذا النوع من تصميم البحث بفرض يتصور العلاقة بين متغيرين. كما يمكنك - بدلا عن ذلك - أن تبلور سؤالا بحثيا يهدف إلى استكشاف العلاقات الممكنة بين المتغيرات المختلفة، وأن تقوم بعملية **تنميط** (انظر قائمة المصطلحات)، أو تحديد النموذج الشائع لارتباط بعض المتغيرات ببعضها.

المثال (3-2)

الطلاب والمشروبات الكحولية

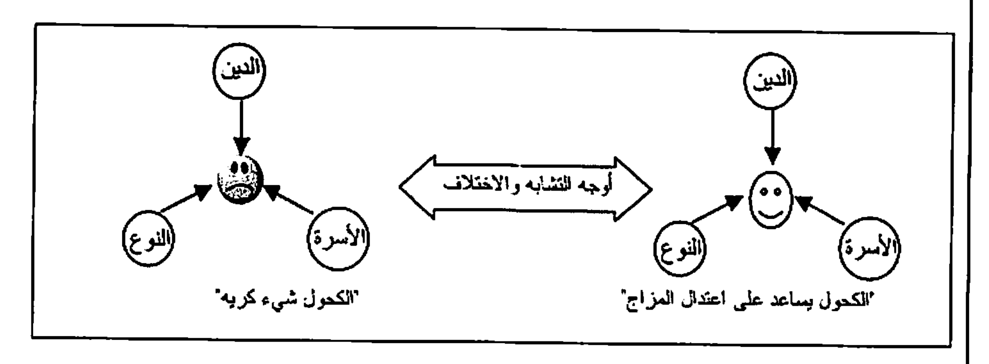
العلاقات بين المتغيرات

عليك أن تتبين ما إذا كان ثمة ارتباط بين بعض سمات أفراد الجماعة الطلابية واتجاهاتهم إزاء تعاطى الكحول. ولكى تفعل ذلك قد تفحص العلاقات المحتملة بين بعض المتغيرات، مثل : الديانة، والظروف الأسرية، والنوع من ناحية، والاتجاهات المختلفة إزاء تعاطى المشروبات الكحولية من ناحية أخرى.

وهذا التصميم يتسم بقدر غير قليل من التعقيد، وذلك لأن عليك:

(أ) أن تتبين العلاقات الممكنة بين تبنى اتجاه معين إزاء المشروبات الكحولية، وديانة الطالب، ونوعه، وظروفه الأسرية.

(ب) عقـد مقارنة (أى البحث عن أوجه التشابه والاختلاف) بين الطلاب الذين يتبنون هذا الاتجاه من ناحية، والطلاب الذين لهم اتجاهات أخرى من ناحية ثانية.



الشكل (3-2): مقارنة العلاقات بين الديانة، والنوع، والظروف الأسرية، والاتجاهـات إزاء تعاطـى المشروبـات الكحوليـة بين طـلاب ذوى توجهات مختلفة.

يـدو واضحا من الشـكل (3-2) أن البحث سيغطى غالبـا مختلف جوانب هذين التوجهين لكى يمكن معالجة التعقيد الذى تتسم به تساؤلات البحث.

بحثك

فى ضوء موضوع بحثك وتساؤلاتك البحثية حاول استخدام النموذج التخطيطى المستخـدم فى المثـال (3-2) لكى توضح العلاقات، وأوجـه التشابه والاختلاف التى تهمك فى البحث.

كيفى أم كمى؟

لا يتوقـف تصميـم البحث على ما إذا كنـت ستستخدم طرقا كميـة، أم كيفية، أم مختلطـة (كميـة وكيفية معـا) (الفصل 4 من هذا البـاب) فى عملية جمـع البيانات وفى التحليـل. ذلك أن قرار تبنى طرق كيفيـة أو كمية يرجع أساسا إلى سؤال بحثك، وإلى طبيعـة البيانات التى تنوى جمعها وتحليلها فى سبيل الإجابة عن تساؤل البحث (الفصل 3 مـن البـاب 1، والفصل 4 مـن هذا الباب). لذلك فـإن كافة أنـواع التصميم البحثى المعروضـة هنا يمكن أن تشـكل الإطار العام لعمليات جمع البيانـات والتحليلات سواء

كانت كمية أو كيفية، أو حتى ذات توجه مختلط. ومع ذلك سوف تتبين لاحقا أن بعض أنواع التصميم البحثى أميل إلى استخدام الطرق الكيفية أو الكمية.

مستوى الدراسة ووحدتها

من الممكن أن تدرس موضوع بحثك على عدة مستويات مختلفة. فبوسعك أن تجرى دراسة مقارنة عن مواقف بعض الدول، أو الأديان، أو المدن من موضوعك، وكيف تُصنع السياسات التى تستهدف خدمة هذه المواقف. كما يمكنك - من ناحية أخرى - أن تهتم بسلوكيات أو خبرات أو آراء بعض الأفراد أو الأسر بهذا الموضوع. معنى ذلك أن جزءًا من تصميم بحثك يتمثل فى تحديد مستوى وطبيعة الوحدة التى ستجمع منها البيانات وتدير حولها التحليلات التى تستهدف الإجابة على سؤال بحثك. فقد تقوم بجمع بيانات عن بعض الدول، أو الجامعات، أو الأسر، أو الأفراد، فما **وحدة الدراسة** (انظر قائمة المصطلحات) التى ستجمع عنها البيانات؟ والمعتاد أن يُجرى البحث الاجتماعى على أحد المستويين:

- إما المستوى الميكرو (المحدود) الذى يركز على الفرد بوصفه «الفاعل الاجتماعى».

أو

- على المستوى الماكرو (الكبير) الذى يركز على منظمة، أو كيان اجتماعى كبير، أو نسق، أو بناء.

على أن الأغلب أن أى باحث لن يستطيع معالجة تساؤلات بحثه على الوجه الأكمل دون اللجوء إلى جمع البيانات من الأفراد. وبيانات عن المنظمات أو البيئات التى يعيش فيها أولئك الأفراد. وهناك بعض تصميمات البحوث (انظر مثلا تصميم دراسة الحالة الوارد أدناه) التى تشمل فى العادة جمع البيانات على أكثر من مستوى، فعلى المستوى الماكرو يجمع مثلا بيانات عن منظمة، وعلى المستوى المايكرو يجمع بيانات عن الأفراد العاملين لحساب تلك المنظمة. معنى ذلك أن بيانات البحث تجمع من أكثر من وحدة تحليل واحدة. على أن المهم أن طرق جمع وتحليل البيانات تختلف باختلاف مستويات التحليل ووحدات الدراسة. ولذلك يتعين عليك أن تفكر فى كيفية تحليل مجموعات البيانات المختلفة، وكيف ستعرض نتائجها؟

المثال (3-3)

الطلاب والمشروبات الكحولية

مستوى التحليل ووحدة الدراسة

بعض مستويات ووحدات التحليل الممكنة

المستوى الماكرو (الكبير): البلاد، والجامعات، والأقسام العلمية، والجماعات الطلابية، والمجتمعات.

المستوى المايكرو (المحدود): مجموعات السنوات الدراسية، طلاب الليسانس، طلاب الدراسات العليا، الطلاب المقيمون مع أسرهم، الطلاب المقيمون في المدينة الجامعية، أو خارج المدينة.

بحثك

فكر في الموضوع الذى تنوى دراسته، ثم اكتب قائمة بمستويات وحددات التحليل المحتملة:

على المستوى الماكرو: --------------------

على المستوى المايكرو: --------------------

اختبارات جودة البحث

عليك أن تراعى مختلف جوانب جودة البحث طوال عمليات تصميم البحث، واختيار طرق البحث، وعينة الدراسة. وتعنى هذه العملية فى جوهرها اختبار قيمة بحثك فى ضوء بعض معايير البحث الاجتماعى التى تضمن أن يكون بحثك على مستوى جيد. ولذلك يجب أن تستطيع فى نهاية الأمر أن تثبت أن البحث الذى أنجزته، والنتائج والمناقشة التى قدمتها تنهض على بحث تم تصميمه وتنفيذه وفقا لتلك المعايير. ويستخدم الباحثون البيانات أداة لفهم الواقع الاجتماعى (الفصل 3 من الباب

1)، ولهذا يتحتم أن نقدّر ما إذا كانت تلك البيانات تؤدى المهمة المرجوة منها على الوجه الصحيح كبديل أو شبيه للواقع الاجتماعى الذى تعبر عنه. ولكى نتمكن من تقدير جودة البيانـات، لابد أن نأخذ فـى اعتبارنا طريقة تصميم البحث على نحـو يضمن أن جمع البيانـات، وتحليلها، وعرضهـا ينصب فعلا على معالجة تسـاؤلات البحث وفروضه بالطريقة التى كنا خططنا لها. لذلك يجب تقييم تصميم البحث فى ضوء تساؤلات بحثك وفروضــه وفقا لمعايير الصدق والثبـات، وقابليتها للتعميم أو التحويل (أى من مستوى وحــدة الدراســة إلى مستوى أعلى أو أدنــى). وسوف نستخدم هــذه المفاهيم – فى هذا الفصل – لاستعراض قضايا جودة البحث فى كل نوع من أنواع تصميمات البحث التى نتناولهــا. كما سترد إشارات إلى تلــك القضايا بمناسبة الحديث عن عملية جمع البيانات (الباب 3) وتحليلها (الباب4) أيضا.

بحثك

ملاحظة مهمة

تذكــر عند التفكير فى جودة تصميم بحثك ما يلــى: من شأن معايير الجودة أن تساعــدك على أن تفكر – بأسلوب نقدى – فى خطط بحثك، وأن تتبين نقاط القوة ونقــاط الضعف فى تصميــم بحثك، وفى الطــرق التى اتبعتها فى جمــع البيانات وتحليلها. وتأكد أنك لن تكون قادرا على أن «تؤشر بعلامة (√) فى كل الخانات». إن ادعاءاتــك بشأن نتائج بحثك ستكون محدودة بالضرورة، وهو ما يتعين عليك الاعــتراف به وتفســيره. وسيكون مثل هذا المسلك محل تقديــر أكبر مما لو قدمت عرضا غير نقدى للنتائج يدعى ما يتجاوز الحقيقة فعلا.

تصميمات البحث

نستعرضــ فى هــذا الفصل أربعــة أنواع رئيسيــة من تصميمــات البحث، هى: **التجريبى، والمسحى المقارن، والتتبعى** (الطولى)، **ودراسات الحالة**. ثم ننتقل بعد ذلك إلى تنــاول أربع استراتيجيات بحثية تعد تنويعات على هــذه التصميمات البحثية، والتــى تناسب أنواعــا معينة من التســاؤلات البحثيــة، وهى: الاستراتيجيــة **المقارنة، وبحوث التقييم، والطريقة الإثنوجرافية، والنظرية الموثقة.**

تصميم البحث التجريبى

نستهـل هذا العرض بالحديث عن التصميم التجريبـى للبحث ، وهو - للمفارقة - التصميـم الأقل احتمالا أن تصادفه أو تستخدمه فى الممارسة الفعلية للبحث الاجتماعى. ومـع ذلك توجـد مبررات قويـة للبدء بهـذا النوع مـن التصميم ، وذلـك لأن بعض خصائصـ التصميم التجريبى تشكل الأساس الذى تقـوم عليه بعض الأنواع الأخرى التى تستوفى معايير البحث الجيد ، والتى تنفع الباحثين الاجتماعيين .

التصميـم التجريبى يمثـل - إذن - أساس القسط الأكبر من البحوث الاجتماعية ، وهـو ينطلق من فرض مؤداه أن المـادة أو الحالات التى ندرسهـا يمكن إدخال بعض تعديـلات عليها بمعرفة الباحث ، على نحو أو آخر ، بما يتيح قياس ما يطرأ من تغيرات أو فروق عقب هذا التغير . من ذلك مثلا : يمكن إضافة مادة كيميائية إلى أنبوبة اختبار بهـا ماء ، فينطلق منها غاز يمكن معرفته ، وقياس كميته. ومثال آخر: يتم فيه تعريض بعض النباتـات المتماثلة لكميات متفاوته من الضوء ، وبعد ذلك يقيس الباحث معدلات نمو كل فئة وفقا لمقـدار الضوء الذى تعرضت له. ففى هاتين التجربتين وأمثالهما يقوم الباحـث عامـدا **بإدخال** شيء **على** شيء آخر ، لكى يستثـير رد فعل أو استجابة معينة ، وبعدها يقوم **بقياس** هذه الاستجابة.

على أنه قد لا يكون بوسعنا فى أغلب الأحيان أن نتدخل فى مصادر البيانات بهذه الطريقة ، خاصة فى البحوث الاجتماعية. فنحن لا نستطيع - مثلا - أن نحرم طفلا من التعليم المدرسى ، لكى نرى كيف سينمو وتتطور حياته بدون تعليم مدرسى.

والسبـب فـى ذلك أن مثل هـذا الأمر - لو حـدث - يعد شديد البعـد عن القواعد الأخلاقيـة. هذا من ناحيـة ، ومن ناحية أخرى سيكون تصرفـا غير عملى وغير مفيد لأن هنـاك جوانب أخرى عديدة فى الحياة الطبيعية للطفل التى ليس بوسعنا التحكم فيها أو التأثـير عليها. فالأطفال يرثون عديدا من المهـارات والقدرات ، وقد يحصل بعض أولئـك على التعليم منزليا من آبائهم ، وطائفة أخرى قد لا تلقى - من هذه الناحية - أى اهتمـام مـن جانب الوالدين. معنى ذلـك أن نتائج تجربتنا لن تكـون حاسمة ، لأننا لن نستطيع التحكم فى كافة المتغيرات التى يمكن أن تؤثر على كل طفل.

وعلـى الرغم مـن ذلك هناك سبـل أخرى يمكن بهـا الاستفادة مـن الخصائص الرئيسيـة للتجربة عند تصميم البحث الاجتماعى، بحيث تجعل الموقف البحثى قريبا من الموقف التجريبى.

ذلك أن لكل تجربة فى العادة عنصران رئيسيان:

1 - **الجماعـة التجريبية** (انظر قائمـة المصطلحات): وهى مجموعـة الأفراد أو المواد التى يتم التدخل فيها أو تغييرها على نحو ما .

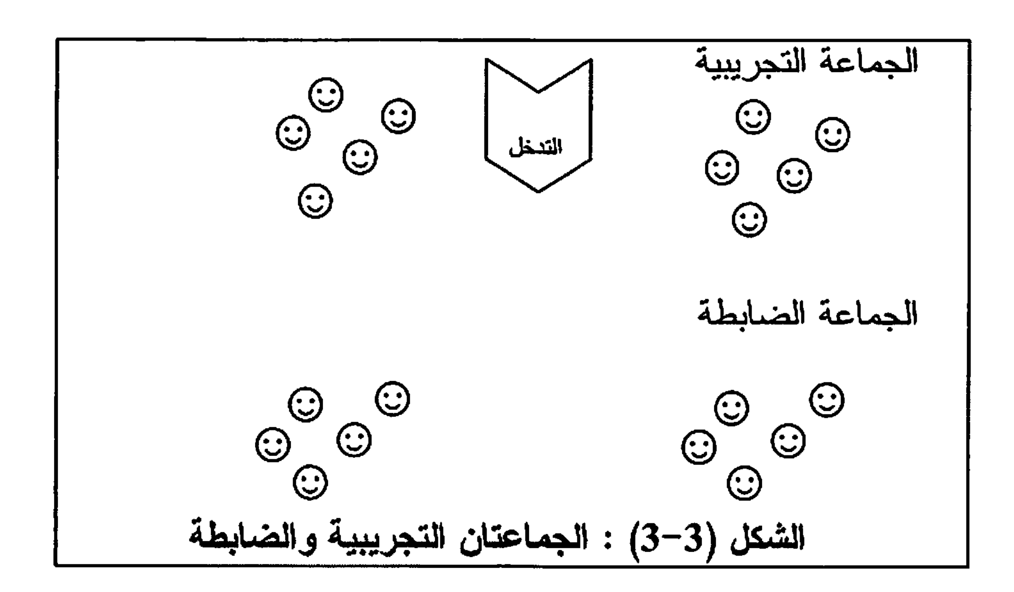
2 - **الجماعة الضابطة**(انظر قائمة المصطلحات): وهى مجموعة الأفراد أو المواد التى تشبه المجموعة التجريبية من كل النواحى **فيما عدا** إحداث تدخل أو تغيير فيها.

والعـادة أنه يتم إجراء التجربة لاختبار صحة فرض يرتبط بتأثير التغير الذى تم إحداثه.

بمعنى : إذا أضيف (أ) إلى (ب) فسوف يحدث (جـ) [وهو التغير].

وإذا أجريـت التجربة بعنايـة وكان الفرق بين المجموعتـين مقتصرا على نقطة التغير أو التدخـل، فإن تلك التجربة تستطيع الادعاء بأنه من الأرجح أن تأثير التدخل أو التغير الذى طرأ على الجامعة التجريبية إنما هو راجع إلى ذلك التدخل أو التغيير.

ولكى يمكن ضبط مثل هذه التجارب واستبعاد أى فروق أخرى بين الجماعتين، لابد من إجراء غالبية التجارب فى ظل ظروف منضبطة، كأن تجرى فى معمل مثلا. والحقيقة أن بعض أهم التجارب البحثية الاجتماعية فى ميدان علم النفس الاجتماعى قد أجريت فى ظل ظروف منضبطة ومحكومة (انظر أدناه برواز : «البحث الواقعى») .



الشكل (3-3) : الجماعتان التجريبية والضابطة

البحث الواقعى

البحث الاجتماعى التجريبى

عن مقال ميلجرام [1963] بعنوان : «دراسة سلوكية للإذعان (الطاعة التامة)»، مجلة علم النفس الاجتماعى المرضى.

فى أعقاب الحرب العالمية الثانية صرح أغلب الأفراد أمام المحكمة التى كانت تحاكمهم على جرائم الحرب التى اقترفوها -فى معسكرات الاعتقال النازية مثلا- بأنهم كانوا « ينفذون الأوامر الصادرة إليهم »، حين كانوا يعذبون الضحايا أو يقتلوهم. هل يمكن أن يفعل الناس أى شيء إطاعة للأوامر ؟ لهذا قام عالم النفس ستانلى ميلجرام بإجراء تجربة للإجابة على السؤال التالى : «إلى أى مدى زمنى يمكن لشخص ما أن يسلط صدمات (كهربائية) على شخص آخر لمجرد أنه أمر بأن يفعل ذلك، حتى لو خطر بفكره أن تلك الصدمات يمكن أن تؤذى الشخص الآخر؟».

ماذا فعل الباحث؟

تم تجميع أربعين رجلا للمشاركة فى تجربة عن موضوع «الذاكرة والتعلم»، وذلك مقابل أجر يحصلون عليه. والتقى كل واحد من المشاركين فى التجربة بالباحث، وبواحد آخر من المشاركين. والحقيقة أن ذلك الشخص الآخر لم يكن مشاركا فى البحث، وإنما كان ممثلا يؤدى دور المشارك، وهو أمر لم يكن معلوما للمشارك الأول. وأسند إلى المشارك الحقيقى دور «المدرس»، بينما أسند إلى الممثل دور «طالب العلم».

وشاهد «المدرس» «الطالب» مقيدا إلى الكرسى الجالس عليه وعلى جسده مجموعة من الأقطاب الكهربائية. وطلب من المدرس أن يجلس فى غرفة أخرى وأمامه مولِّد لإرسال الصدمات الكهربائية، وذلك دون أن يرى «الطالب». وكان يوجه إلى «الطالب» مجموعة من الأسئلة، ثم يوجه إلى «المدرس» أمر بمعاقبة «الطالب» فى كل مرة يجيب فيها إجابة خاطئة، وهذا العقاب عبارة عن تسليط صدمة كهربائية إليه. ومع كل إجابة خاطئة ترتفع قوة التيار الكهربائى. وكان بوسع «المدرس» أن يسمع صراخ «الطالب/ الممثل» من شدة الألم، واستغاثته للمدرس أن يوقف تسليط الصدمات عليه. والحقيقة – بالطبع – أنه لم يتم توجيه صدمات كهربائية، ولكن المهم أن «المدرس» لم يكن يعلم بتلك الحقيقة. وانتهت التجربة بعد توجيه ثلاث صدمات كهربائية بقوة 400 فولت، بعدها صمت «الطالب/ الممثل». فى ذلك الوقت كان الباحث يجلس فى نفس الغرفة مع «المدرس» يشجعه على إطاعة الأوامر.

النتائج

اتضح أن معظم «المدرسين» شعروا بالانزعاج من إيقاع الألم، ولكن المهم أن المشاركين الأربعين (أى «المدرسين») استمروا فى إطاعة الأمر حتى وصول قوة الصدمة إلى 300 فولت. واستمر 25 من الـ 40 «مدرسا» فى توجيه الصدمات حتى بلوغ الحد الأقصى لقوة الكهرباء المسلطة.

تصميم البحث

لم يتسنى تنفيذ تساؤل البحث إلا فى ظروف معملية، وفى إطار موقف خلقت فيه بعض الظروف التى جعلته شبيها بالموقف الاجتماعى الحقيقى. وقد تم الإعداد للتجربة بكل عناية للتأكد من أن جميع المشاركين فى التجربة يعيشون نفس الخبرة. وعلى الرغم من أن «الطلاب» (فى التجربة) لم يتعرضوا لأى ضرر، فإن هناك بعض المحاذير الأخلاقية فيما يتعلق بتأثير تلك الخبرة على «المدرسين» المشاركين فى البحث (الذين كانوا يسلطون الصدمات الكهربائية)، فقد تعرض بعضهم بالفعل لقدر كبير من الضغط النفسى كلما كان يُطلب منهم إيقاع الألم بالآخرين.

التجارب المنضبطة عشوائيا

من صعوبات دراسة البشر أنهم يختلفون عن بعضهم البعض اختلافا كبيرا. معنى هذا أنه من المستحيل أن تعثر على مجموعة كبيرة - نسبيا - من الناس يتشابه أفرادها وفقا لعدد كبير من المعايير، بحيث يمكن تقسيمهم إلى مجموعة ضابطة ومجموعة تجريبية يتم إحداث التدخل فيها. كل ما هو ممكن أن يتشابه أفراد فى مثل هذه المجموعة فى عدد قليل من المعايير: كالعمر، أو النوع، أو المهنة، أو الانتماء الإثنى. ولكن إذا أردنا أن نأخذ فى الاعتبار ما إذا كان أحد الأشخاص ذا مزاج انبساطى أو انطوائى، يتسم بالامتثال أم بالتمرد، بالهدوء أم بالقابلية للاستثارة، بالاكتئاب أم بالسعادة . . . فسوف يتضح لنا على الفور أن معرفة ذلك أمر بالغ الصعوبة والتعقيد. فالخصائص التى تميزنا كبشر يمكن إرجاعها إلى عدد لا نهائى من العوامل المختلفة، فمع أننا قد نعرف - مثلا - أن شخصا ما مصاب بالاكتئاب، فإننا لا يمكن أن نعرف كل الأسباب التى قد تكون مسئولة عن هذا الاكتئاب.

ومن السبل المتاحة لمواجهة هذه الحقيقة، ورغبة فى مراعاة الجوانب العديدة والعشوائية التى نختلف فيها عن بعضنا البعض؛ من هذه السبل إجراء تجارب على أعداد كبيرة من الناس يجرى تقسيمهم إلى مجموعة تجريبية ومجموعة ضابطة بطريقة **عشوائية**.

ما : العشوائى؟

يعنى أنه لا يمكن التنبؤ به، ولا يأخذ فى الاعتبار سمات أو خصائص محددة. ففى حالة **المعاينة الإحصائية** (الفصل 5 من الباب 2) – مثلا – يتم اختيار **العينة العشوائية** من بين أفراد **مجتمع البحث** بحيث يتاح لكل حالة فرصة مساوية لإدراجها فى العينة التى يجرى اختيارها، ويعنى ذلك أنه لا يمكن التنبؤ بطبيعة تكوين العينة.

وقد تعمد **الدراسة المنضبطة عشوائيا** (انظر قائمة المصطلحات) فى البداية إلى تقسيم المبحوثين إلى مجموعات رئيسية على أساس العمر، أو النوع أو الانتماء الإثنى أو غير ذلك من الخصائص المرتبطة بموضوع البحث. ومن شأن ذلك أن يضمن تشابه المجموعتين التجريبية والضابطة فى السمات الأساسية العامة. فيتجنب –مثلا– أن تتكون الجماعة التجريبية كلية من أفراد تزيد أعمارهم عن 65 عاما. بعد ذلك يقسم المبحوثون عشوائيا إلى مجموعة ضابطة وأخرى تجريبية. وإن كانت التجربة تشمل جماعات كبيرة العدد (تغطى الدراسات المنضبطة عشوائيا عادة أكثر من ألف حالة)، فإن التباين بين أفراد المجموعتين التجريبية والضابطة سيكون متشابها على الأرجح.

وتستخدم التجارب المنضبطة عشوائيا فى العادة عندما يراد اختبار تأثير عقاقير أو علاجات طبية معينة، حيث تقوم فى الغالب على أسلوب «الاختبار غير المعلن»، حيث لا يكون المبحوث (ولا الطبيب أحيانا) على دراية بما إذا كانوا يتعاطون علاجا طبيا أو معالجة شكلية (والمعالجة الشكلية عبارة عن بديل للعلاج الطبى يكون لها نفس المظهر ولكن دون التأثير الطبى). والهدف من ذلك التأكد من أن تأثير العلاج الطبى على المبحوثين لا يرتبط بمشاعرهم تجاه العلاج.

وفى بعض الأحيان تتاح للباحثين الاجتماعيين فرص لإجراء دراسات منضبطة عشوائيا. من ذلك مثلا: لنفترض أننا بصدد إدخال طريقة جديدة لتعليم الأطفال القراءة فى عدد من المدارس. عندها يتم فى كل مدرسة توزيع بعض التلاميذ عشوائيا على فصول تعليمية لتطبيق هذه الطريقة الجديدة فى التعليم (وتكون هذه المجموعة هى «الجماعة التجريبية»)، وكذلك على فصول أخرى تتبع أسلوب التعليم القديم (وهذه هى «الجماعة الضابطة»). ويتعين قياس مهارات القراءة عند أولئك التلاميذ قبل فترة

التدريس وبعدها، وكذلك تقدير حجم الفروق العامة بين المجموعتين. ولا شك أن هناك بعض القضايا الأخرى التى يتعين أخذها فى الاعتبار. فالطبيعة الإنسانية هى الاهتمام بالشيء الجديد والمختلف، ولهذا قد نجد المعلمين الذين يستخدمون الطريقة الجديدة أكثر (وربما أقل) حماسا واجتهادا فى تدريسهم، وقد يكون التلاميذ أكثر حماسا واهتماما بالمتابعة. والمعتاد أن تكون الخبرة الأولى لأى نشاط جديد مختلفة عن الخبرات التالية، الأمر الذى قد يؤدى إلى أن تفقد الطريقة الجديدة جاذبيتها الأولى لدى كل من التلاميذ والمدرسين بعد أن يعتادوا عليها.

المثال (3-4)

الطلاب والمشروبات الكحولية : التصميم التجريبى للبحث

مع أنه من الصعب أن نتصور القيام بتجربة منضبطة حول موضوع تعاطى الطلاب للمشروبات الكحولية، إلا أنه من الممكن تصميم بحث حول تأثير المشروبات الكحولية على حياة الطلاب. من ذلك مثلا: توزيع إعلانات لدعوة الطلاب المستجدين إلى حفلة يقيمها اتحاد الطلاب، ويتم توزيع تلك الدعوات عشوائيًا. كذلك يتم توزيع دعوات أخرى تنص صراحة على تقديم مشروبات كحولية مجانية (على حين لم ترد فى الدعوات الأولى أى إشارة إلى المشروبات الكحولية). وعند الحفلة يتم سؤال كل طالب لدى حضوره عن نوع الدعوة التى تلقاها، وما الذى جذبهم إلى الحضور؟

أشباه التجارب

نتطلع - كباحثين اجتماعيين - إلى الفرص التى تتيح لنا جمع البيانات فى ظل ظروف «طبيعية»، وهو ما يعنى بعبارة أخرى جمع بيانات عن بعض المواقف، أو الأمور، أو الآراء الموجودة فى الحياة اليومية، دون اللجوء إلى تصميم ظروف تحاكى الظروف المعملية. ويمكن استخدام **التصميم البحثى شبه التجريبى** (انظر قائمة المصطلحات) فى بعض المواقف التى يمكن فيها تحديد مجموعتين أو أكثر من المبحوثين أو البيانات التى تختلف «بشكل طبيعى»، وتستخدم إحداها كجماعة ضابطة والأخرى كجماعة تجريبية.

ويلاحـظ على المثال السابق الخاص بتعليم طريقة جديدة للقـراءة أنـه قد يكون مـن المتعذر توزيـع التلاميذ عشوائيا على فصلين مختلفين، فقـد يؤدى ذلك إلى تعطيل التلاميـذ وتمزيقهم، بحيث يؤثر على تعلمهم من نـواح أخرى. ومع ذلك يمكن اتخاذ أحد الفصول بمثابة جماعة ضابطة (حيث تستخدم الطريقة التقليدية فى تعليم القراءة)، واتخاذ فصل آخر بمثابة جماعة تجريبية (حيث تستخدم الطريقة الجديدة)، وفى النهاية يتـم مقارنة النتائـج مـن واقع قياس مستويـات مهارات القراءة قبـل تطبيق الطريقة الجديـدة وبعدها. ويمكن أن يعد ذلك الإجراء **شبه تجربة** (انظر قائمة المصطلحات)، لأن تكويـن الجماعتين الضابطة والتجريبية قـد تم ترتيبه مسبقا. ولكنها مع ذلك تكون أقرب إلى «الطبيعة»، لأن التلاميذ لم يكونوا على دراية بأى تغييرات.

البحث الواقعى

أشباه التجارب الأقرب للطبيعية

(عـن مقال فيشر، وميس، وشميـدت (2007) بعنوان: «هل هو تفكيك لجدار العقـل»؟ الاتصال الثقافى بـين الألمان، فى المجلة الدوليـة للعلاقات بين الثقافات، عدد 31، ص ص 163-179).

أتاحت عملية توحيد ألمانيا فى عام 1990 فرصة للباحثين لاختبار نظرياتهم عن أثر الاتصال الشخصى بين الناس الذين ينتمون إلى ثقافات مختلفة. وكانت ألمانيا قد قسمت إلى دولتين منذ 45 عاما (ألمانيا الشرقية، وألمانيا الغربية)، وعاشت الدولتان الألمانيتـان فى ظـل نظم سياسية واقتصاديـة واجتماعية ثقافية مختلفـة، لم تتح فيها للسكان فرص كافية لاتصال أبناء كل دولة اتصالا شخصيا بأبناء الدولة الأخرى.

وقـد ركز فيشر وزميـلاه فى بحثهم علـى دراسة تأثير الاتصـال بين الأفراد المنتمـين إلى ثقافـات مختلفة على أولئـك الأفراد أنفسهم. بمعنى: هـل شعر الأفراد الذيـن اتصلـوا اتصالا شخصيا مع أفـراد من الدولة الألمانية الأخـرى بالرضا عن حياتهم هم؟

ماذا فعل الباحثون؟

تم اختيـار عينـة عشوائيـة قوامها أكثر من ثلاثـة آلاف فرد مـن دولتى ألمانيا السابقتـين. كمـا كانت هذه الدراسـة دراسة تتبعيـة، حيث أرسلـت إلى المبحوثين الاستبيانـات فـى أعـوام: 1996، و1998، و2000 لمعرفـة مـا إذا كانت خبرات المبحوثـين قد تغيرت نتيجة زيادة فرص الاتصال الشخصى بأبناء القسم الآخر من ألمانيا. وكان الاستبيان يسـأل عن كمية ونوع الاتصالات التى أجراها كل فرد مع سكان القسم الآخر (الذى كان دولة مستقلة قبل الوحدة)، ويستفسر كذلك عن مدى رضائهم عن حياتهم هم.

نتائج البحث

مـع أن تأثيرات الاتصال مع أفـراد من ثقافة أخرى كانـت إيجابية على وجه العموم، فإنه تبين وجود فروق بين أبناء ألمانيا الغربية السابقة، وأبناء ألمانيا الشرقية السابقة. ومن أبرز تلك الفروق أنه على الرغم من أن الاتصالات كانت تعد عموما أكـثر فائدة ونفعا لأبنـاء ألمانيا الشرقية، فإنها أدت فى الوقـت نفسه إلى جعلهم أكثر وعيا بأوضاعهم السيئة.

تصميم البحث

كان الباحثون يميلون فى البداية ميلا واضحا إلى النظرية التى ترى أن الاتصال بـين أبناء الثقافات المختلفة يفيـد كل من يمارسه. وقد كانت عملية إعادة توحيد ألمانيا فرصة فريدة لاختبار صحة هذه النظرية، وذلك للاعتبارات التالية:

(أ) عاشت الدولتان الألمانيتان فى ظل نظم ثقافية اجتماعية مختلفة.

(ب) أنـه خلال فترة تقسيم ألمانيا التـى امتدت 45 عاما لم تتوفر فرص لحدوث اتصالات شخصية حقيقية بين أبناء الدولتين .

(جـ) فى أعقـاب الوحدة عام 1990 تم تشجيع قيـام الاتصالات الشخصية بين القسمين اللذين أصبحا كيانا واحدا.

وقـد تم استخدام التصميم البحثى التتبعى لتمكين الباحثين من جمع بيانات أوفى عـن كيفية تغير خبرات النـاس وتصوراتهم عن الرضا بمـرور الوقت ومع تزايد فرص حدوث الاتصالات الشخصية بين الطرفين.

المثال (3-5)

الطلاب والمشروبات الكحولية

التصميم البحثى لأشباه التجارب

يمكن دراسة تأثير تلقــى معلومات عن الآثار التى يمكن أن تلحق بصحة الإنسان نتيجــة الإفراط فى تنــاول المشروبات الكحوليــة ؛ يمكن دراسة ذلــك بواسطة شبه التجربــة التى أجريت على طــلاب كلية الطب (الذين كانــوا بمثابة جماعة تجريبية) وطلاب قسم الاجتماع (الذين أدوا دور الجماعة الضابطة).

وفيهــا يقوم الباحثــون بجمع بيانات من أفــراد كلا الجماعتين الطلابتين عن كمية المشروبــات الكحولية التى يتناولونها واتجاهتهم من شرب الكحول، وذلك فى بداية الفصــل الدراسى، ثم القيام مرة أخرى بجمع بيانات عن نفس هذه الأمور فى نهاية الفصل الدراسى، وذلك بعد أن درس طلاب الطب – على يد أساتذتهم – أثار تعاطى المشروبات الكحولية على أجسامهم، وذلك فى إطار برنامج دراستهم العادى.

البحث الواقعى

اختبار جودة البحث : التصميم البحثى التجريبى

- هــل الجماعتان الضابطــة والتجريبيــة متماثلتان، فيما عــدا التدخل من جانب الباحث، أو التغير؟
- هل بإمكانك تبرير أى ادعاءات عن وجود علاقات عِلّية، من قبيل: أن التدخل الذى تم هو سبب النتيجة؟
- هل يستطيع أى باحث آخر تكرار تنفيذ تصميمك البحثى نفسه؟
- هل يسمح لك تصميم البحث بالادعاء بأنه يمكن تعميم نتائج البحث على مجتمع أكبر أو على ظروف مختلفة؟ لا شك أن ذلك سوف يعتمد على الأسلوب الذى اتبعته فى اختيار جماعتك التجريبية.

- هـل يمكنك تصميم البحث من جمع بيانات تعبر عن الواقع الاجتماعى وتكون «بديلا عنه»، أى بيانات تعكس الواقع الاجتماعى للبيئة الاجتماعية الطبيعية؟
- هل يمكنك تصميم البحث من جمع البيانات بطريقة متسقة ويمكن الركون إليها؟
- ما الدلالات الأخلاقية لتصميمك البحثى بالنسبة لمبحوثيك؟

الدراسات المسحية المقارنة

الحقيقة أن الغالبية العظمى من البحوث الاجتماعية يتم إجراؤها فى أعقاب الحدث الـذى نهتم بدراستـه، أو فى نقطة زمنية محـددة. فنحن ننظر فى العـادة باهتمام إلى تاريـخ الأفـراد الذى يحكونـه أو إلى الخـبرات والآراء التى يبدونهـا، والمقارنة بين الخصائـص المتباينة لخبراتهـم والواقع الماثل أو الوضع الراهـن. فنحن نعالج البيانات الخاصة بالخـبرات الماضية والراهنة فى ثنايا محاولتنا تحديـد الارتباطات المحتملة بين الأسبـاب والنتائج. وهذا النمط المسحى المقارن من البحوث الذى ننتقل إلى التعريف به فيما يلى.

وترتبـط الدراسات المسحية المقارنة فى الغالب بالمسوح الكبرى التى تستخدم أداة الاستبيـان (الفصـل 3 من الباب 3). حقيقة أن هذا هو الأسلـوب الشائع لتنفيذ الدراسة المسحية المقارنة، ولكنه ليس الأسلوب الوحيد. ويقوم التصميم البحثى المقارن على:

- يشمل أكثر من حالة واحدة.
- يجمع البيانات فى وقت محدد بعينة.
- يدرج ضمن جماعات المبحوثين أفرادا أو حالات يمكن المقارنة بينها، مثل: الرجال والنساء، أو أفراد مختلفى الأعمار أو الانتماءات الإثنية، أو أفراد ينتمون إلى مدن مختلفة.

المثال (3-6)

الطلاب والمشروبات الكحولية

يمكــن فى هذه الحالــة استخدام تصميم الدراسة المسحيــة المقارنة لمعرفة المزيد عن أوجــه التشابه والاختلاف بــين الطلاب فيما يتعلق بتعاطــى المشروبات الكحولية، وتوجهاتهــم نحــوه وآرائهم فيــه. فمثل هذا التصميــم يتيح للباحــث تكوين صورة عــن مستويــات (أى كميات) الكحول التى يتم تناولها، وعــن مشاعر الطلاب نحو الكحول.

ويمكــن جمع البيانات من عدد كبير من الطلاب باستخدام الاستبيان، أو بطريقة دراسة أكثر تعمقا، حيث يتم تصميم مقابلات شبه مقننة تجمع من خلالها بيانات من شريحــة مختارة من الطــلاب. بعدها يستطيع الباحــث أن يبحث عن العلاقات بين تعاطــى المشروبــات الكحولية من ناحية، وعدد من المتغــيرات المختلفة كالعمر، أو النوع، أو الطبقة الاجتماعية من ناحية أخرى.

ويمكــن كحل بديل إجراء دراســة مسحية مقارنة باستخدام وحــدة تحليل متعددة المستويــات، حيث تصمم العينة بحيث تشمل طلابا من عدة جامعات. وفى مثل هذه الحالة يتم جمع بيانات عن سياسات وممارسات كل جامعة الخاصة بتعاطى الطلاب للمشروبــات الكحولية من واقــع الوثائق المنشــورة أو مواقــع الإنترنت. وعندها يستطيع الباحــث استكشاف العلاقات بين سياسات الجامعات وممارساتها، وبعض المتغــيرات مثل حجم الجامعــة، أو نسبة الطلاب الأجانــب، أو نسبة الطلاب كبار السن، وكون الجامعــة «قديمة» أم «حديثة»، ومستوى انتشار المشكلات الخطيرة المرتبطة بتناول المشروبات الكحولية بين الطلاب.

والغالــب أن تتخــذ الدراســات المسحيــة المقارنــة شكل المســوح باستخــدام أداة الاستبيان، حيث يتم اختيار المبحوثين وفقا لعمليات المعاينة العشوائية (الفصل 5 من هذا البــاب). ولكن البيانات الخاصة بهذا النوع مــن الدراسات يمكن جمعها بطرق أخرى عديــدة، كالملاحظة، أو مــن الوثائق، أو المقابلات. كما أن تلــك البيانات يمكن - كما سلفــت الإشارة - أن تكون كمية وكيفية (باستخــدام المعاينة العمدية - كما فى الفصل 5

من هذا الباب). وهكذا يمكن أن يتراوح نطاق هذه الدراسات بدءا من عدد صغير من الحالات وصولا إلى مسح يشمل عدة آلاف من الأفراد.

والشائع عادة أن تكون بؤرة تركيز البحث على محاولة فهم العلاقات المحتملة بين المتغيرات المختلفة (أو بعض المعلومات المتعلقة بشخص أو حالة معينة) التى يتم جمع بيانات عنها. والغالب أن تصاغ البيانات فى صورة كمية، بحيث يمكن قياس التباين -أى الفروق بين الحالات المدروسة - باستخدام الاختبارات الإحصائية (الفصل 3 من الباب 4). ووفقا لطبيعة سؤال البحث يمكن - مع ذلك - أن يتضمن هذا التصميم البحثى جمع بيانات كيفية فى حالة اختيار المبحوثين بشكل عمدى بغرض إدراج فئة معينة من الأفراد. وفى هذه الحالة يمكن استكشاف الفروق عن طريق تحديد الموضوعات الأساسية، وتحديد العلاقة بين تلك الموضوعات والجماعات التى تتبدى لنا من واقع البيانات (الفصل 4 من الباب 4). (انظر كذلك برواز «البحث الواقعى» التالى).

البحث الواقعى

دراسة مسحية مقارنة تجمع بيانات كيفية

دراسة رولنجسون (2006) بعنوان: «هل نعيش فقراء لنموت أثرياء»؟ أم «نبذر إرث أولادنا»؟ الاتجاهات إزاء الأصول والإرث فى العمر المتقدم. منشور فى مجلة السياسة الاجتماعية، عدد 35 (2): ص ص 175-192.

ماذا يفعل الناس عندما يتقدم بهم العمر ؟ هل ينفقون من أموالهم قدر ما يستطيعون وهم بعد على قيد الحياة، أم إنهم يتجهون إلى ادخار تلك الأموال لكى يورثوها لأولادهم؟ العادة أن كبار السن لا يحصلون إلا على دخول منخفضة، مادام أنهم قد تقاعدوا عن العمل، ولكن بعضهم قد يحوز أصولا ضخمة فى صورة ممتلكات مختلفة. فكيف يحزمون أمرهم على التصرف فى تلك الأصول؟

ماذا فعل الباحث؟

اعتمد الباحث على مجموعتين من البيانات الكيفية. المجموعة الأولى عبارة عن بيانات مستمدة من مقابلات، سبق أن جمعها الباحث لدراستين سبق أن أجراهما

عــن موضوع الثروة والتخطيط للمستقبل. وقد شملت عينة هاتين الدراستين أفرادا متباينين فى العمر، والدخل، والثروة.

أما المجموعــة الثانية من البيانات الكيفية فقد حصــل عليها من خلال دعوة بعض جماعــات المناقشة المركزة (البؤرية) لمناقشــة موضوع الإرث والأصول. وضمت كل جماعــة من جماعات المناقشــة أفرادا من نفس الفئة العمريــة، وعقدت جلسات المناقشــة فى منطقتين مختلفتين داخل نفس المدينة. وفى إحدى المنطقتين كانت أسعار البيوت مرتفعة، بينما كانت أسعارها منخفضة فى المنطقة الأخرى.

نتائج البحث

أوضحت نتائج المقابلات وجماعات المناقشة أن غالبية الناس يريدون اتخاذ اتجاه «متوازن وعملى (براجماتى)» فى استخدام أموالهم عندما يتقدم بهم العمر، بمعنى أن ينفقــوا قسطا منه، ويحفظون القسط الآخر ليرثــه أولادهم. كما تطرق الباحث إلى مناقشة بعضــ دلالات ذلك بالنسبة للسياسة الاجتماعية، من زاوية تبنى بعض طرق مساعدة أولئك الناس على تحقيق هذا الهدف.

تصميم البحث

ضمن تصميم البحث تغطية أفراد متباينين فى العمر، والدخل، والثروة، بحيث يمكن المقارنة بين خبرات وآراء الجماعات المختلفة.

البحث الواقعى

المسح المقارن

بحــث فوجلر، وبروكمــان، وويجنــز (2008) بعنوان: «المعامــلات المالية فى الأشــكال الأسريــة الجديــدة القائمة علــى المعاشــرة»، منشور فى مجلــة الاقتصاد الاجتماعى، عدد (37): ص ص 552-576.

المعامــلات المالية يمكن أن تمثل مشكلــة للعلاقة بين طرفى أســرة المعاشرة. فهل

يتقاسم الطرفان كل ما يحصلون عليه من مال، أم يتصرف كل منهما فى ماله بنفسه ومستقلا عن شريكه؟ وكان الباحثون مهتمين فى دراستهم هذه بمعرفة الفروق بين الزوجين اللذين تربط بينهما رابطة زواج، والزوجين اللذين تقوم علاقتهما على المعاشرة دون زواج.

ماذا فعل الباحثون؟

تناول الباحثون مجموعة من البيانات الثانوية التى سبق أن جمعت كجزء من برنامج دولى للمسوح الاجتماعية. وهو عبارة عن برامج مسوح يتم إجراؤها سنويا فى عدد كبير من الدول، ويشمل إجراء مسح عرضى عن الأسرة وتغير أدوار النوعين (الرجال والنساء). ويتم جمع تلك البيانات – بواسطة الاستبيان وعن طريق إجراء المقابلات – من عينة ممثلة كبيرة العدد فى المملكة المتحدة. وقد خضعت تلك البيانات فعلا للتحليل وتم نشرها بالفعل، ولكنها ما زالت متاحة للباحثين الآخرين لاستخدامها فى دراسة تساؤلاتهم البحثية الخاصة بهم.

وقد شمل المسح عدة أنواع مختلفة من الوحدات المعيشية (الأسر)، الأمر الذى يتيح للباحثين أن يحددوا منذ البداية الجماعات الفرعية التى يهتم كل باحث بدراستها، أى الأسرة القائمة على رابطة الزواج أو على علاقة المعاشرة. على أن استخدام البيانات التى جمعت بواسطة باحثين آخرين ولخدمة أغراض أخرى، قد تثير بعض المشكلات. فبالنسبة لحالتنا هذه لم يتطرق مسح عام 2002 إلى السؤال عن الزيجات السابقة، بحيث ليس واضحا ما إذا كان المبحوثون الذين تربطهم علاقة معاشرة قد سبق لهم الزواج (من طرف آخر) أم لا.

وقد وقع اختيار الباحثين على البيانات الخاصة بأربع مجموعات ليقوموا بتحليلها فى بحثهم هنا، هم: «المبحوثون الذين تربطهم علاقة معاشرة وليس لهم أطفال، والمبحوثون الذين تربطهم علاقة معاشرة ولديهم أطفال، والمبحوثون المتزوجون وليس لديهم أطفال، والمبحوثون المتزوجون ولديهم أطفال». كما احتوى المسح على أسئلة عن المكانة الاقتصادية الاجتماعية للزوجين، وآرائهم فى الزواج وفى علاقات المعاشرة، وعن عمل المرأة، والمعاملات المالية.

نتائج البحث

وجـد الباحثون أن أسر المعاشـرة ولديهم أطفال كانوا يديـرون معاملاتهم المالية بطريقـة شديـدة الشبه بما تفعلـه الأسر المرتبطـة بعلاقة زواج، وذلـك بتجميع كل دخولهـم فى وعاء واحد للإنفاق على البيت. أمـا الشباب المرتبطين بعلاقة معاشرة وليسـ لديهم أطفال فكانوا يديـرون معاملاتهم المالية – فى الغالـب – بشكل مستقل جزئيا أو كليا.

تصميم البحث

تم استخـدام مسح علـى عينة ممثلة كبيرة العدد لتمكـين الباحثين من تحديد بعض الجماعات الفرعية التى كانوا مهتمين بدراستها. وكان قد تم جمع طائفة من البيانات عـن كل مجموعة من تلك المجموعـات الفرعية، الأمر الذى أتـاح للباحثين إمكانية دراسة العلاقات بين المتغيرات المختلفة.

والمهـم أن البحـث الأصلـى كان قد جمـع البيانات علـى مستوى وحـدة المعيشة (الأسـرة)، الذى كان يتفق واهتمام الباحثـين. معنى ذلك أن وحدة المعيشة فى هذا البحث كانت هى وحدة التحليل.

بحثك

اختبار جودة البحث:

التصميم البحثى للدراسات المسحية المقارنة

- هـل سيمكّنك استخـدام بياناتك فى استكشاف الارتباطـات العلّية المحتملة بين المتغيرات؟
- هل أنـت قادر على اختيار عينة تعكس ذلك القطـاع من مجتمع البحث الذى يهمك؟ هل هناك أى جماعات يحتمل أن يستبعدها تصميم بحثك؟
- هل يمكن لباحث آخر أن يكرر تصميمك البحثى نفسه؟

- هل يسمح لك تصميم البحث الادعاء بأنه يمكن تعميم نتائج البحث على مجتمع أكبر أو على ظروف مختلفة؟ لا شك أن ذلك سوف يعتمد على الأسلوب الذى اتبعته فى اختيار مبحوثيك؟
- هل يمكّنك تصميم البحث من جمع بيانات تعبر عن الواقع الاجتماعى وتكون «بديلا عنه»، أى بيانات تعكس الواقع الاجتماعى للبيئة الاجتماعية الطبيعية؟
- هل يمكّنك تصميم البحث من جمع البيانات بطريقة متسقة يمكن الركون إليها؟
- ما الدلالات الأخلاقية لتصميمك البحثى بالنسبة لمبحوثيك؟

الدراسة التتبعية

تقوم الدراسة المسحية المقارنة بجمع البيانات فى نقطة زمنية معينة، أما إذا كانت تساؤلات بحثك تتعلق ببعض التغيرات عبر الزمن فقد يكون الأنسب لك أن تتبنى تصميم **الدراسة التتبعية** (انظر قائمة المصطلحات). ومن شأن هذا التصميم أنه يمكنك من تأمل أحوال نفس الناس أو نفس المواقف عند بعض النقاط الزمنية المفصلية والكشف عن كيفية تأثير التغيرات المختلفة على بعض الجماعات. ويتم جمع البيانات فى مناسبتين اثنتين منفصلتين على الأقل.

ويلاحظ أن كثيرا من الدراسات التتبعية تكون دراسات كبرى واسعة النطاق، وتصمم كدراسات تتبعية منذ البداية (الدراسات التتبعية المبدئية). وهناك عدة نماذج مشهورة للدراسات التتبعية التى تركز متابعتها لفوج من الأطفال المولودين فى نقطة زمنية معينة (التى تعرف باسم **دراسات الأفواج/ أو دراسات الفوج**) (انظر قائمة المصطلحات)، ولهذا تقوم مثل هذه البحوث بجمع بيانات عن أفراد هذا الفوج فى تواريخ معينة من سنوات حياتهم الأولى، وأحيانا فى محطات معينة على امتداد حياتهم كلها. ومن الأمثلة المشهورة لدراسات الفوج تلك الدراسة التوثيقية التى عرفت باسم «سفن أب» 7Up، وهى تقوم بتتبع حياة 14 طفلا من مواليد 1957، كانوا فى السابعة من العمر عندما بدأ عرض هذا البرنامج فى عام 1964. وينتمى الأطفال الأربعة عشر إلى بيئات اجتماعية اقتصادية مختلفة. وكل سبعة أعوام يتم عمل فيلم وثائقى عن

هـؤلاء الأطفال يعرضـ ضمن مسلسل " عالم يتحرك". وقـد عرضت آخر حلقة من هذه الأفلام الوثائقية عام 2005، حيث بلغ أفراد الفوج التاسعة والأربعين من العمر. وجديـر بالذكر أن الدراسات التتبعية تكون مشروعات بحثية ضخمة، يقوم عليها عدد غير قليل من الباحثين الاجتماعيين، الذين كثيرا ما يتغيرون على امتداد المشروع.

البحث الواقعى

دراسة فوج الألفية الثالثة

شهـد القـرن العشرين دراسـتين كبيرتين علـى فوجين من المبحوثـين، الأولى: الدراسـة القوميـة لنمو الأطفال التى بـدأت 1958، والأخرى هـى: دراسة الفوج البريطانية التى بـدأت 1970 (وما زالت هاتان الدراسـتان تواصلان جمع بيانات عـن أفراد هذيـن الفوجين حتـى الآن). ومؤخرا دشّـن مركز الدراسـات التتبعية (www.cls.ioe.ac.uk/) دراسة فوج الألفية الثالثة التى تشمل مجموعة من الأطفال المولوديـن عام 2000. وقد بلغ حجم هذا الفـوج 18،818 طفلا تم اختيارهم بنظام العينة الطبقيـة. وبحلول عام 2008 كان قد تم جمع بيانات من أسر أولئك الأطفال فى أربع مناسبات منذ بدأ المشروع.

ويقوم تصميم بحث فوج الألفية الثالثة. على الأسس الخمسة التالية:

1 – أن تتكفـل الدراسـة بتوفير بيانات عن الأطفال الذيـن يعيشون ويكبرون فى الأقسام الأربعة التى تتكون منها المملكة المتحدة (بريطانيا).

2 – أن توفـر الدراسة بيانات عن الجماعـات الفرعية لأطفال الفوج، خاصة تلك التى تعيش فـى بيئات ميسورة والتى تعيش فى بيئـات محرومة، وأطفال الأقليات الإثنية، وأولئك الذين يعيشون فى سكوتلندا، وويلز، وأيرلندا الشمالية.

3 – وكما توفر الدراسة بيانات عن الأطفال؛ يجب عليها أن تتكفل بجمع بيانات عن ظروفهم العائلية، والإطار الاجتماعى الاقتصادى الذى يتربى فيه أطفال الفوج.

4 – يجب أن تشمل الدراسة عينة من الأطفال المولودين فى فترة 12 شهرا فقط.

5 – يجب أن تتاح لكافة أفراد مجتمع بحث دراسة فوج الألفية (أى جميع المولودين خلال عام 2000) فرصة الاختيار ضمن العينة.

المصــدر: مركز الدراسات التتبعية : www.cls.ioe.ac.uk/ studies.asp?section=0001000200010010

(تاريخ آخر دخول على الموقع 12 أغسطس 2008)

(*) MCS = The Millennium Chotort Study

على أنه مـن الممكن كذلك تصميم دراسات تتبعيـة ذات حجم أصغر، وتستهدف تتبـع المبحوثين عبر فترات زمنية قصيرة. كما أن مقابلة المبحوثين قبل حدث معين، ثم أثناء حدوثه، ثم عقب انتهائه يمكن أن يعد من قبيل الدراسات التتبعية. خاصة إذا كان البحث يستهدف التركيز على تتبع كيفية توقع كل مبحوث لهذا الحدث، وكيفية معايشته له، وأخيرا آراؤه وتأملاته حول الحدث نفسه.

المثال (3-7)

الطلاب والمشروبات الكحولية: الدراسة التتبعية

تستهدف الدراسة التتبعية لهذا الموضوع معرفة كيفية تغير أنماط تعاطى الطلاب للمشروبـات الكحولية على امتداد فـترة دراستهم الجامعية. وقـد يشمل ذلك جمع نفسـ البيانات من عينة مـن الطلاب فى مراحل رئيسية خـلال دراستهم الجامعية التى تبلغ ثلاث سنوات.

وهناك نوع من الدراسة التتبعية – يعرف باسم الدراسة التتبعية الاسترجاعية – يمكن تصميمه بحيث يطلب من طلاب السنوات النهائية تذكر أنماط تعاطى الطلاب للمشروبـات الكحوليـة فى فترات مفصلية من مرحلة دراستهـم الجامعية (من ذلك مثــلا : خلال أسبوع استقبال الطـلاب المستجدين، وفى فترة الامتحانات، وخلال فـترة العطلة). وتستهدف تلك البيانات معرفة التغيرات التى طرأت خلال سنوات الدراسة الثلاث. على أنه يلاحظ أن الدراسات التتبعية الاسترجاعية تعانى جميعها

من أن ذاكرة الناس ليست دائما بالدقة المطلوبة، وأن ذكرياتهم قد تتلون بظروفهم وأفكارهم الراهنة. وبوسعنا أن نحقق مستوى أعلى من دقة البيانات التى يتم تذكرها إذا ضمنـا عينـة المبحوثين بعض الطلاب من كل فرقـة دراسية من الفرق الجامعية الثلاث(*)، ويتم سؤالهم فى لحظة معينة، ثم تعقد المقارنة بين طلاب الفرق المختلفة.

البحث الواقعى

البحوث التتبعية والمسحية المقارنة

دراسـة ميلتـون، وودز، وداجديـل، و بورسيلاتـو، وسبرنجت (2008) بعنـوان: «هل يبدؤون صغارا؟ خبرات الأطفال فى محاولة التدخين فى مرحلة مـا قبل المراهقة». منشور فى مجلة: بحوث التعليم الصحى، عدد (23) 2، ص ص 298- 309.

لماذا يحاول الأطفال تجربة التدخين مع أن أخطاره الصحية أصبحت معروفة الآن للجميع؟ وقد أراد الباحثون فى هذه الدراسة أن يسمعوا من الأطفال أنفسهم تصويرهم هم لمحاولاتهم الأولى ممارسة التدخين.

ماذا فعل الباحثون؟

هذه الدراسة جزء مـن دراسة تتبعية استرجاعية عن التدخين فى إحدى المدن الكـبرى فى المملكة المتحدة. وتقوم الدراسة على تتبع فوج من الأطفال الذين تم اختيارهـم من ست مدارس ابتدائية فـى بعض المناطق التى روعى فى اختيارها تنـوع الحالة الصحية والظروف الاجتماعيـة الاقتصادية. وقامت هذه الدراسة بجمـع بيانات من هؤلاء الأطفـال عندما كانوا فى التاسعـة، وفى العاشرة، ثم فـى العام الحادى عشر. وتم جمع البيانات باستخدام الاستبيانات، والمقابلات، وجماعات المناقشة المركزة (البؤرية).

(*) يلاحظ أن مدة الدراسة الجامعية فى بريطانيا للحصول على البكالوريوس تبلغ ثلاث سنوات فى العام. (المترجم)

وقد وجه إلى الأطفال أسئلة عن خبراتهم فى تجربة التدخين ، وعادات التدخين داخل الأسرة ، وآرائهم فى التدخين .

نتائج البحث

اتضح أن 27 % من أفراد الفوج جربوا التدخين قبل بلوغ الحادية عشر من العمر ، وذلك بدافع من حب الاستطلاع وتأثير أقرانهم عليهم ، وهما أهم العوامل التى حفزت أولئك الأطفال على تجربة التدخين . وقد أكد الباحثون على أنه لا بد أن تأخذ أساليب منع الأطفال من التدخين فى اعتبارها بعض العوامل الاجتماعية (بما فيها الأصدقاء والأسرة) التى تلعب دورا حاسما فى إقدام الطفل على تجربة التدخين . كما يجب أن يؤخذ فى الاعتبار الأعمار المختلفة التى أقدم فيها الأطفال فى مرحلة ما قبل المراهقة على تجربة التدخين ، إذ من الأنسب أن تتنوع أساليب المنع بتنوع عمر الطفل .

تصميم البحث

صممت الدراسة لكى تشمل دراسة مسحية مقارنة لبعض الأطفال المولودين فى نفس العام ، الذين اختيروا على نحو يضمن إدراج أطفال من مختلف الأوساط الاجتماعية الاقتصادية فى عينة البحث .

وعندما كانت البيانات تجمع من الأطفال فى الفترة بين سن التاسعة وسن الحادية عشرة كان يطلب منهم الحديث عن أول تجربة لهم مع التدخين خلال الفترة الماضية . وكان يتم جمع البيانات من ذات الأطفال كل مرة ، الأمر الذى يتيح للباحثين معرفة التغيرات والعمليات التى تعرضت لها حيوات أولئك الأطفال قبل بلوغهم سن المراهقة .

وهناك بعض الأسباب العملية التى تجعل من الصعب على الدراسة التتبعية أن تغطى نفس المبحوثين فى كل مناسبة من مناسبات جمع البيانات . وذلك لأن بعض هؤلاء المبحوثين قد يغيِّبه الموت ، أو يهجر محل إقامته ويكون من المتعذر العثور على عنوانه ، أو ببساطة لأن بعضهم يريد عدم الاستمرار ضمن أفراد الفوج . لهذا قد تعمد بعض الدراسات إلى إدراج عدة عينات مختلفة من الأفراد ، ولكن باستخدام

نفس معايير الاختيار بالنسبة لكافة العينات. وعلى حين تصمم الدراسة كدراسة تتبعية عادة، فثمة بعض الظروف التى تسمح باستخدام بعض البيانات عن ماضى المبحوث (وهى الدراسة التى تعرف باسم: **الدراسة التتبعية الاسترجاعية**) (انظر قائمة المصطلحات)، وذلك -مثلا- عندما يطلب من المبحوثين الإدلاء بمعلومات عن خبراتهم وتجاربهم الماضية، أو جمعها - إن أمكن - من السجلات (كالسجلات الطبية أو تقارير المتابعة لأخصائى الخدمة الاجتماعية. وهناك أيضا **أسلوب تاريخ الحياة** (انظر قائمة المصطلحات) فى جمع البيانات البحثية، حيث يطلب من المبحوثين أن يحكوا قصة حياتهم، مع التركيز بشكل خاص على الأحداث المشتركة، وهذا النوع من الدراسة يمكن اعتباره تصميما بحثيا تتبعيا إذا كان يطلب من المبحوثين إدلاء بمعلومات عن المراحل المفصلية فى حياتهم، وتأملاتهم وآرائهم فيها.

وعلى حين تقوم كثير من الدراسات التتبعية الضخمة على جمع بيانات من أعداد كبيرة من المبحثوين؛ كذلك يمكن أن تعتمد دراسة تتبعية أخرى على جمع بيانات متعمقة كيفية من عدد محدود من المبحوثين المختارين، فى عدد من المناسبات عبر حياتهم.

البحث الواقعى

البحوث التتبعية الكيفية

دراسة كوردن ونايس (2007) بعنوان: التحليل التتبعى الكيفى للسياسة الاجتماعية: أصحاب إعانات العجز يشاركون فى البحث عن فرص عمل»، منشورة فى مجلة: السياسة الاجتماعية والمجتمع، عدد(6) 4، ص ص 557 - 569.

عندما يتم تبنى سياسة اجتماعية جديدة، يكون من الطبيعى أن يتولد قدر من الاهتمام بكيفية تطبيقها، وكيف يستشعر الناس - الذين تشملهم - ما استجد من تغيرات. وكان المشروع الريادى للبحث عن فرص العمل عبارة عن برنامج جديد يستهدف مساعدة الناس الذين يتلقون إعانات عجز على الالتحاق بأعمال ذات أجر. لهذا أراد صناع السياسة الاجتماعية أن يسمعوا من المستفيدين من هذه الخدمة الجديدة عن خبراتهم فى التعامل معها.

ماذا فعل الباحثان؟

ركـز الباحثان اهتمامهمـا على معرفة خبرات المستفيديـن من الخدمة الجديدة الذيـن مضى على انتفاعهم بها بعض الوقت، كما تم فى نفس الوقت جمع بيانات عـن التغيرات التى طرأت علـى حيوات أولئك الناس، وعلـى حالتهم العملية، وموقفهم المالى، ومـا إلى ذلك. وقد تم جمع البيانات فى بادئ الأمر عن طريق المقابـلات المتعمقة، ثم عن طريق الاتصال التليفونى بعد ثلاثة أشهر، ثم بعد ستة أشهر. واشتمل البحث علـى تغطية ثلاثة أفواج من المبحوثين، كان الفاصل بين كل فوج وآخر مدة ستة أشهر. ومعنى هذا أن البحث ضمن تغطية الأفراد الذين التحقـوا بالمشروع فى بداية عهده، وأولئك الذين التحقوا به بعد فترة من تنفيذه. وبلغ إجمالى عدد المبحوثين 105 أفراد.

نتائج البحث

على الرغم من أن خبرات المبحوثين عن الخدمة المقدمة قد تباينت عن بعضها، فـإن هـذه الدراسة التتبعيـة استطاعـت أن توضح اختلاف خـبرات الجماعات المختلفـة عن الخدمة عبر الزمن، كما أتاحت لهـم فرصة الحديث عن آرائهم فى الخدمة بعد مرور سنة على الاستفادة منها. وبذلك استطاع الباحثون تقديم ردود فعـل المستفيدين للموظفين المسئولـين عن تنفيذ السياسة أثنـاء قيامهم بعملهم، كما استطاعوا فى نهايـة الدراسة أن يكشفوا أن التغيرات التى حدثت عبر تلك الفترة تتسم بالتعقيد بسبب تغير الأسرة، وتغير الظروف المالية وظروف العمل.

تصميم البحث

أتاح استخدام التصميم التتبعى للباحثين أن يتبينوا بوضوح التغيرات والعمليات المرتبطـة بتنفيـذ المشروع وبخـبرات المستفيدين من الخدمة. كما أتـاح استخدام المقابـلات الكيفية فـى جمع البيانـات؛ أتاح للمستفيديـن من الخدمـة أن يناقشوا خبراتهم ويتأملوها فى مختلف مراحل المشروع.

وقد أدى استخدام ثلاثة أفواج من المبحوثين الذين بدؤوا الاستفادة من المشروع فى فترات مختلفة خلال العام الأول لعمل المشروع؛ أدى ذلك إلى تمكين الباحثين من دراسة أى تغيرات وقعت بعد انتظام العمل فى البرنامج، ومن المقارنة بين خبرات كل فوج.

بحثك

اختبار جودة البحث: التصميمات البحثية التتبعية

- هل ستتمكن من جمع البيانات عن نفس المتغيرات فى كل مناسبة؟
- هل ستتمكن من جمع البيانات من نفس الأفراد/الحالات فى كل مناسبة؟ وماذا ستفعل حيال الأفراد الذين يتركون البحث أو يتعذر العثور عليهم؟
- هل يستطيع أى باحث آخر تكرار تنفيذ تصميمك البحثى نفسه؟
- هل يمكّنك تصميم البحث من جمع بيانات تعبر عن الواقع الاجتماعى وتكون "بديلا عنه"، أى بيانات تعكس الواقع الاجتماعى للبيئة الاجتماعية الطبيعية؟
- هل يمكّنك تصميم البحث من جمع البيانات بطريقة متسقة وموثوق بها فى كل مناسبة؟
- ما الدلالات الأخلاقية لتصميمك البحثى بالنسبة لمبحوثيك؟

دراسة الحالة

تختلف دراسة الحالة عن التصميمات البحثية التى عرضنا لها فيما سبق، من حيث إنها تشمل إما حالة واحدة أو عددا قليلا من الحالات، التى تدرس كل واحدة منها دراسة مفصلة ومتعمقة. ويتعين جمع عدة أنواع مختلفة من البيانات عن الحالة موضوع الدراسة، وقد تتم الاستعانة فى دراسة الحالة بالبيانات المسحية والتتبعية.

وقد تكون الحالة محل الدراسة شخصا، أو منظمة، أو موقفا معينا، أو دولة، ولكن الدراسة يجب أن تنصب على جانب معين من جوانب الحالة على نحو ما يشير

سؤال البحث. والمعتاد أن تكون لكل حالة حدود معينة، يكون من الواضح معها ما ينتمى إلى الحالة وما لا ينتمى إليها. فدراسة الحالة - بهذا المعنى - تتبنى توجها كليا، حيث يهتم الباحث بتأمل العلاقة بين مختلف الأجزاء المكونة للحالة من ناحية والحالة فى مجملها، أى السياق الاجتماعى الذى توجد فيه من ناحية أخرى. على أن دراسة الحالة ليست مجرد دراسة متعمقة لمجتمع محلى، أو منظمة ما، أو جماعة معينة. ذلك أن الحالة ذاتها يجب أن تكون وثيقة الصلة بموضوع البحث. من هنا تكون عملية اختيار الحالة أمرًا مهما، وذلك من ناحية قدرتها على توليد البيانات التى ستمكنك من معالجة تساؤلك البحثى. وهكذا تكون بؤرة الاهتمام البحثى متضمنة وحاضرة فى الحالة نفسها، وليس فقط فى كم البيانات التى جمعت عنها ومداها. وقد اقترح "ين" Yin (2003) عددا من معايير اختيار دراسات الحالة التى يمكن أن تساعدك على فهم طبيعة دراسة الحالة بشكل أفضل.

1 - **الحالة النقدية**: هنا يتم اختيار الحالة التى ستتيح للباحث اختبار نظرية معينة أو فرضا معينا. فهذه الحالة تملك الإمكانيات التى توضح صحة تلك النظرية أم لا. ويمكن أن تكون هذه حالة وقع لها حدث أو طرأ عليها تغير يتيح للباحث فرصة دراسة ما ترتب على هذا الحدث أو ذلك التغير من نتائج.

2 - **الحالة المتطرفة أو الفريدة**: هنا يكون التركيز على موقف أو ظرف أو جماعة تعد مختلفة عن مثيلاتها، ولذلك يكون هذا التفرد هو موضوع تركيز الاهتمام. وقد تكون الحالة الوحيدة التى حدث فيها ارتباط خاص متميز بين الناس والأحداث.

3 - **الحالة الممثلة أو النمطية**: وهذه الحالة ليست فى الحقيقة سوى عكس الحالة الفريدة تماما. فهذه الحالة تُختار لأنها تعد ممثلة لحالات مشابهة أخرى كثيرة، فهى بمعنى ما إحدى الحالات اليومية، أو المعتادة، التى تحمل أوجه شبه مع الحالات الأخرى، ويكون هذا هو مبرر اختيارها.

4 - **الحالة الكاشفة**: هذه الحالة تتوفر فيها إمكانية إلقاء الضوء على موضوع البحث. فهذه الحالة تحقق للباحث منفذًا أو تفتح أمامه سبيلا لفهم موقف كان خافيا عليه.

5 - **الحالــة التتبعية:** تتيــح كثير من دراسات الحالة فرصــة دراستها عند نقاط زمنية مختلفة، ولذلك تُختار دراسات الحالة التتبعية على أساس إمكانية إجراء دراسات متتابعة لها عبر فترة زمنية معينة (على نحو ما سلفت الإشارة).

البحث الواقعى

بحث دراسة الحالة

دراسة تشابين ومورى (2008) بعنوان: "تأثير إغلاق المصنع على المجتمعات المحليــة والاقتصاد المحلى: دراسة حالة لإغلاق مصنــع موريس روفر فى لونج بريدج فــى م"، منشور فى مجلة دراسات السياســة الاجتماعية، عدد (29) 3، ص ص 317-305.

أجريــت خــلال الخمسين عاما الأخيرة عــدة دراسات تناولــت تأثير إغلاق بعضــ المصانــع أو المناجم على المنطقــة المحلية المحيطة بكل منهــا. غير أن معظم هــذه الدراسات ركزت اهتمامها على الصناعات التى يعمل فيها الناس ويعيشون فــى نفس المنطقة. وسعــى باحثون آخرون إلى التعرف علــى تأثير نوع مختلف مــن الإغلاق، حيــث ينتشر العاملون فيه علــى رقعة جغرافيــة واسعة، كما أن الاستغناء عــن العمال تم على امتداد فترة زمنية بلغت ثمانى سنوات على الأقل. ومــن نماذج ذلك الانهيار العارض الــذى أصاب شركة موريس روفر لصناعة السيــارات، وإغلاق مصنعها الرئيســى فى لونج بريدج فــى برمنجهام بالمملكة المتحدة عام 2005، حيث فقد 5900 عامل وظائفهم.

ماذا فعل الباحثان؟

جمع الباحثان بيانات ثانوية من عدة مصادر مختلفة، شملت: كشوف المرتبات مــن 1998 حتى 2005 (حيــث تتضمن تلك الكشوف معلومــات عن محل سكن كل عامل)، وبيانات شهرية بعــدد الطلبات المقدمة للحصول على إعانة البطالة، وبيانات التعداد السكانى، وبيانات عن أنشطة الشركة داخل الأحياء المحيطة.

نتائج البحث

اكتشف الباحثان أن تأثير إغلاق المصنع كان محسوسا فى منطقة جغرافية واسعة، لأن العمال كانوا ينتقلون يوميا من أنحاء مختلفة من برمنجهام والمدن الواقعة جنوبها إلى المصنع، ثم يعودون بعد انتهاء العمل، هذا طبعا إلى جانب بعض الآثار المهمة التى لحقت بالبيئة المحلية المحيطة بالمصنع.

تصميم البحث

انصب تركيز هذا البحث على التأثير المكانى الواسع لإغلاق منشأة صناعية ضخمة، وبذلك كانت دراسة مصنع لونج بريدج بمثابة فرصة لإجراء دراسة حالة نقدية.

المثال (3-8)

الطلاب والمشروبات الكحولية

تصميم دراسة الحالة

يمكن أن تركز دراسة الحالة على طريقة تعاطي المشروبات الكحولية وسط إحدى الجماعات الاجتماعية، وكيفية النظر إلى تعاطي الكحول كجزء من الأنشطة الاجتماعية للجماعة. وفى هذه الحالة يمكن اختيار اتحاد طلاب الجامعة بوصفه نموذجا مثاليا للجماعة الاجتماعية التى نقصدها. ويمكن – كإجراء بديل – دراسة اتحادين جامعيين متباينين عن بعضهما تباينا شديدا، مثلا: من ناحية غلبة العضوية الذكورية على أحدهما، وغلبة عضوية الإناث على الاتحاد الآخر.

ومن الواضح أن اختيار نوع دراسة الحالة يمكن أن يأخذ فى اعتباره عناصر أكثر من المعايير الخمسة التى سلفت الإشارة إليها. كما يمكن أن تتضمن دراسة الحالة بعض العناصر المستمدة من تصميمات بحثية أخرى. معنى ذلك – مثلا – إجراء دراسة مسحية للناس الذين يعيشون فى المنطقة موضوع دراسة الحالة، وتكون تلك الدراسة جزءًا من التصميم العام للبحث. كما يمكن – من ناحية أخرى – أن تتاح فرصة إجراء دراسة شبه تجريبية فى إطار دراسة الحالة. كما أن تصميم دراسة الحالة يمكن أن

يشمل حالة واحدة، أو عدة حالات. ويمكن أن يتيح تعدد الحالات فرصة إجراء دراسة مقارنة (انظر الفقرات التالية).

بحثك

اختبار جودة البحث: تصميمات دراسة الحالة

- هل تستطيع تعيين الحالة التى سوف تسمح لك بمعالجة سؤال بحثك أو باختبار فرضك؟
- ما هى السمة التى يمكن أن تسم بها دراستك للحالة، هل هى حالة نقدية، أو حالة عادية... إلخ؟
- هل تستطيع تعيين حدود واضحة للحالة التى ستدرسها؟
- كيف تصف نتائج بحثك من حيث إمكانية تعميمها، أو قيمتها النظرية، وكفاءتها التفسيرية؟
- هل يمكّنك تصميم البحث من جمع بيانات تعبر عن الواقع الاجتماعى وتكون "بديلا عنه"، أى بيانات تعكس الواقع الاجتماعى للبيئة الاجتماعية الطبيعية؟
- هل يمكنك تصميم البحث من جمع البيانات بطريقة متسقة وموثوق بها؟
- ما الدلالات الأخلاقية لتصميمك البحثى بالنسبة لمبحوثيك؟

تمدنا التصميمات البحثية الأربعة: التجريبى، والمسحى، والتتبعى، ودراسة الحالة بالبيانات وأطر التحليل التى نستطيع الاستعانة بها عند الشروع فى وضع خطط بحثنا. وهنا سنحتاج إلى العودة لموضوع أسئلة البحث ونمعن النظر فى الاستراتيجية البحثية الشاملة التى نحتاج إليها لمعالجة تلك الأسئلة، واضعين فى الاعتبار التصميمات البحثية الأربعة التى فرغنا من عرضها للتو.

بحثك

اتخذنا فى هذه الفقرة من الفصل مثالا لموضوع بحثى من "الطلاب والمشروبات الكحولية"، واقترحنا نماذج لتصميمات بحثية يمكن استخدامها لدراسة هذا الموضوع. حدد لنفسك موضوع بحث، وحاول أن توضح كيف يمكن أن تدرسه باستخدام كل تصميم من تلك التصميمات الأربعة.

التصميم شبه التجريبى : ------------------

التصميم المسحى: ---------------------

التصميم التتبعى: ---------------------

تصميم دراسة الحالة:--------------------

استراتيجيات البحث

الاستراتيجية البحثية هى فى جوهرها خطة البحث. وقد تكون التصميمات البحثية الأساسية الأربعة التى عرضنا لها فيما سبق كافية لتمكينك من تخطيط بحثك. إلا أنه قد يكون من المفيد كذلك أن نمعن النظر هنا فى بعض تنويعات هذه التصميمات أو تطوير محدد لبعضها. وهى تنويعات وتطويرات استحدثت على امتداد تاريخ البحث الاجتماعى بمعرفة بعض الباحثين الذين سعوا إلى تدقيق أو تجريب أساليب مختلفة لدراسة الظواهر الاجتماعية.

وسوف نستعرض فيما يلى استراتيجيات : البحث المقارن، وبحوث التقييم، والبحث الإثنوجرافى، وبحوث النظرية الموثقة. وسوف تقابل فى ثنايا عرضنا لكل اتجاه من هذه الاتجاهات الأربعة تصميما أو أكثر من التصميمات الأربعة التى تناولناها فى الفقرة السابقة.

البحث المقارن

تستخدم التصميمات البحثية المقارنة عادة لدراسة بلدين أو أكثر ، أو دراسة ثقافتين أو أكثر ، ولكنها أكثر ما تكون انتشارا فى دراسات السياسة الاجتماعية . والقاعدة العامة أن يتضمن التصميم البحثى دراسة مفصلة لجانب ، أو سياسة اجتماعية ، أو قضية ، أو سمة مميزة معينة لكل من البلاد أو الثقافات موضوع الدراسة المقارنة . كما يشتمل التصميم على مقارنة تلك العناصر موضوع الدراسة وفقا لبعض المعايير المشتركة. ولا يقتصر اهتمام الباحث على ملاحظة أوجه التشابه والاختلاف بين الحالتين المدروستين ، وإنما يحرص كذلك على أن يتبين أوجه الاختلاف بين هذين السياقين . وقد يشمل هذا السياق التعرف على : التاريخ ، والعادات ، والنظم الاجتماعية ، والإيديولوجيات ، والقيم ، وأساليب المعيشة الخاصة بكل بلد ، أو ثقافة ، أو منظمة ، أو مجتمع محلى . وسبب ذلك أن الباحث يبدى اهتماما بكيفية تأثير تلك العناصر على مجال البحث .

والغالب أن تستخدم البحوث المقارنة عدة تصميمات لدراسة الحالة ، تتيح للباحث الدراسة المتعمقة لكل حالة (أى بلد أو ثقافة ما) ، وتسعى إلى تفسير أوجه الشبه والاختلاف بين الحالات المدروسة .

لماذا نستخدم استراتيجية البحث المقارن؟

تزودنا الدراسة المقارنة للبلاد أو للثقافات المختلفة عن بلد الباحث أو ثقافته بقدر أكبر من الوعى وفهم بلد الباحث أو ثقافته ، لأنها تتيح له الفرصة للنظر إلى موقف مألوف "بعيون مختلفة" . كما يمكن استخدام البحث المقارن كأساس لتطوير أنماط أو نماذج للطرق التى تنظم بها البلاد أو الثقافات نفسها أو تفكر فى حياتها . من ذلك مثلا التنميط الذى طوره إسبنج – أندرسون لبعض الدول من واقع مواقفها من الرعاية الاجتماعية (إسبنج ـــ أندرسون ، 1990) . وعلى هذا الأساس يمكن لدارسى السياسة الاجتماعية دراسة مقارنة اختبار هذا النموذج ليس فقط فى فهم البلاد الأخرى ، وإنما كذلك فهم ما تمر به من تغيرات عبر الزمن .

ويعتمد الإطار البحثى المقارن عادة على تصميمات بحثية مسحية ، وتصميمات دراسة الحالة . وفى هذه الحالة يتعين أن تعكس معايير المقارنة تساؤلات البحث ، وأن تدل على طبيعة البيانات التى يلزم جمعها . وقد تكون مثل هذه البيانات خليطا من البيانات الفردية ، والوثائق ، والإحصائيات ، التى تكون فى الغالب بيانات ثانوية .

وقد أصبح جمع البيانات اللازمة للدراسة المقارنة بين الدول أكثر سهولة بالنسبة للطلاب بفضل ظهور عدد من مصادر **البيانات الموحدة** (انظر قائمة المصطلحات). فقد كان من الصعوبات التى تعوق إجراء البحوث المقارنة بين الدول عدم توفر بيانات مقارنة خاصة بكل دولة. واليوم تتولى بعض المنظمات مثل "منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية"(*)، والاتحاد الأوروبى(**) جمع بيانات متشابهة من عدد من الدول وتلقى الضوء على أوجه الاختلاف فى طرق جمع تلك البيانات، وبذلك تتوفر للباحثين فرصة الحصول على بيانات مقارنة من عدة دول حول العالم. ويعد "مسح الصحة، والشيخوخة، والتقاعد فى أوروبا" (المشار إليه لاحقا فى برواز "البحث الواقعى") نموذجا للبحوث التى تجرى على مستوى الدول الأوروبية، والتى يمكن أن توفر بيانات مقارنة حول بعض الموضوعات والقضايا للطالب الذى يكون مهتما بها.

البحث الواقعى

الدراسة المقارنة

دراسة ألبرتينى، وكولى، وفوجل (2007) بعنوان: "مبادلات الزمن والأموال بين الأجيال فى الأسر الأوروبية: الأنماط المشتركة والنظم المتباينة" منشور فى: المجلة الدولية للسياسة الاجتماعية الأوروبية، عدد (17)، 319 صفحة.

نظرا لوصول عدد كبير من سكان الدول الأوروبية إلى سن الشيخوخة، وما يتكلفه هذا الوضع من نفقات لإعاشة كبار السن؛ اتجه هذا البحث إلى الكشف عن كيفية تدفق المال والموارد بين الأجيال فى عشرة بلاد أوروبية.

(*) OECD = Organization for Economic Cooperation and Development: www.oecd.org
وقد تم آخر دخول على الموقع بتاريخ 20 يوليو 2009.

(**) EU = European Union: Euro Srat، http://epp.eurosrat.ec.europa.eu/
وقد تم آخر دخول على الموقع بتاريخ 20 يوليو 2009.

ماذا أراد الباحثون استكشافه؟

أراد الباحثــون جمع المزيد مــن المعلومات عن تدفق الأموال والموارد الأخرى - بما فيها وسائل الدعم الاجتماعى ورعاية الأحفاد - بين الآباء وأبنائهم الكبار. وهل تختلف أنماط ذلك بين نظم الرعاية المختلفة؟

ماذا فعل الباحثون؟

استخدمــوا بيانات خاصة بعــدد 777، 22 فردا من عشرة بلاد أوروبية (ليس من بينهــا المملكة المتحــدة). وكانت تلــك البيانات قد جمعت كجزء مــن "مسح الصحة، والشيخوخــة والتقاعد فى أوروبــا"(*)، وهو عبارة عن مســح تتبعى دولى مقارن ومتعدد التخصصات يتناول أوضاع السكان الذين تتجاوز أعمارهم الخمسين عاما. وسعــوا بعد ذلــك إلى الكشف عن الفروق بين البلاد باستخــدام تنميط لنظم الرعاية الاجتماعية والصحية.

نتائج البحث

اكتشــف الباحثــون أنه يحدث فى كافــة الدول الأوروبية تدفــق صاف من الآباء إلى أبنائهم الكبــار، خاصة من ناحية الآباء الأصغر سنا نسبيا، إلا أنه تبين أن المال والموارد تتدفق من الآباء لأبنائهم البالغين بمعدل أقل، ولكن "بكثافة أكبر" فى دول جنوب أوروبا، وأن فروق هذا التدفق تعكس الفروق فى نظم الرعاية المختلفة.

تصميم البحث

استطــاع الباحثــون استخــدام بيانــات سبق جمعها فــى إطار مســح ضخم دولى مقــارن، تم فيه توجيه نفس الأسئلة إلى أفراد العينة الذين تتجاوز أعمارهم خمسين عاما وينتمون إلى عشر دول أوروبية. ويمكن القول أن هذا البحث قد انتهز فرصة توفر تلــك البيانات التى جمعها ذلك المسح الدولى الضخــم، واستفاد بها فى الإجابة علــى تساؤلات بحثهم. كمــا اعتمد الباحثون على نماذج نظريــة متوفرة فعلا لنظم الرعاية الاجتماعية لمساعدتهم على تفسير الفروق التى اكتشفوها بين الدول المختلفة.

(*) SHARE = Survey of Healrh، Ageing and Retirement in Europe. www.share-project.org./

بحثك

اختبار جودة البحث : البحث الاجتماعى المقارن

- كيف ستبرر اختيارك للحالات ؟ وما أساس المقارنة التى عقدتها؟
- هل استطعت تحديد المعايير التى ستقارن بين الحالتين على أساسها؟
- هل سيمكنك تعيين البيانات القابلة للمقارنة والمتعلقة ببؤرتى البحث؟
- كيف ستتناول قضايا الاختلاف فى اللغة، وفى الثقافة، وفى التفسير؟
- هل ستعتمد على البيانات الثانوية وحدها، وأعنى البيانات التى جمعها باحثون آخرون لخدمة أغراض بحثية أخرى ؟ كيف ستبرر وتفسر هذا الاعتماد؟
- هل سيمكنك جمع البيانات بطريقة متسقة وموثوق بها من كلتا حالتى الدراسة؟
- هل توجد ثمة دلالات أخلاقية لدراستك؟

بحوث التقييم

يعنى التقييم فى جوهره تقدير قيمة شيء ما من حيث تأثيره على ظرف معين، أو على فرد (أو أفراد)، أو منظمة معينة. وترتبط بحوث التقييم الاجتماعى عادة بتدخل أو تغير معين تم إحداثه بشكل مقصود، وذلك لمعرفة ما إذا كان هذا التدخل قد حقق التغير المنشود أو النتائج المستهدفة من عدمه. والقضية المحورية هنا هى تقرير كيفية تحديد تلك النتائج وكيفية قياسها. وقد يتم تعريف القيمة فى ضوء الفوائد الملحوظة (الظاهرة) القابلة للقياس، التى تحققت لصالح جماعات معينة، أو زيادة الكفاءة، أو الرضا، أو منفعة النقود أو تحسين الممارسات المتبعة.

ولعل التصميم شبه التجريبى هو الأنسب لبحوث التقييم، حيث يحدث تدخل فى ظرف أو موقف معين وظرف آخر لم يحدث فيه مثل هذا التدخل (العينة الضابطة) ويمكن كبديل للتصميم شبه التجريبى استخدام التصميم التتبعى، حيث يكون أكثر ملاءمة فى الحالات التى تكون فيها البيانات قد جمعت قبل حدوث التدخل وبعده.

مــن ناحية أخرى يرجح الاستعانة فى البحــث التقييمى ببعض عناصر التصميم المسحى المقارن، وربما كذلك تصميم دراسة الحالة.

مبررات إجراء البحث التقييمى

1 – للكشف عما إذا كان التدخل أو التغيير قد حقق النتائج المنشودة من عدمه.

2 – لتقدير مدى نجاح عملية ما (مثل تنفيذ سياسة اجتماعية، أو تطبيق أسلوب جديد).

3 – للوقوف على كيفية تحسين عملية معينة أو تدخلا معينا.

4 – لتقديــر مــا إذا كانت تكلفة العملية (مثل الخدمة، أو تنفيذ سياسة اجتماعية . . . إلخ) تساوى ما أنفق عليها من مال، أو حققت "أقصى ما يمكن" مقابل هذا المال.

5 – للكشف عن العناصر التى نجحت (أو التى فشلت) وأسباب ذلك فى كلا الحالتين.

والغالــب أن يتم جمع كم كبير من البيانات لتوفــير الدليل على "قيمة" ما تحقق. وتشتمل تلك البيانات على بيانات كمية وبيانات كيفية. يتم جمعها من مجموعات متنوعة مــن الأفــراد. من ذلك – مثلا – أن تقييم استحداث خدمــة جديدة يمكن أن يشتمل على توفير البيانات التالية:

- بيانات كمية توضح عدد الناس الذين يستخدمون هذه الخدمة، وأنماطهم المختلفة.
- بيانات عن رضا الناس الذين ينتفعون بهذه الخدمة.
- بيانــات متعمقة مستمدة من المنتفعين بهذه الخدمة تتعلــق بخبراتهم معها وتصوراتهم عنها.
- آراء مقدمــى هذه الخدمة، بدءًا من العاملين وحتى المديرين المسئولين، تتعلق بجودة الخدمة المقدمة للناس، ورأيهم فى تأثيرها عليهم.
- شواهــد وثائقية عن طريقة تصميم الخدمة وطــرق تقديمها، تشمل على سبيل المثال: الخطط، ومحاضر الاجتماعات المتعلقة بذلك.

البحث الواقعى
بحوث التقييم

دراسة هيرست، ومورمباى، وبار، ونيسكون، وهنتر (2007) بعنوان: "تقييم مبادرتين لمكافأة الشباب فى مدينة يورك: مؤسسة جوزيف راونترى"، منشورة على الموقع التالى:

www.jrf.org.uk/knowledge/findings/housing/2149asp.

(تاريخ آخر دخول على الموقع 11 سبتمبر 2008)

أدى الإحساس بالقلق من سلوك بعض الشباب فى بعض الأحياء؛ أدى بصندوق إسكان جوزيف راونترى إلى ابتكار مشروع لمكافأة السلوك "الطيب" يقوم على تجميع نقط عن الأنشطة التى تقدم خدمات للمجتمع. وتخول النقاط التى يحصل عليها الشاب؛ تخول له الحصول على بعض المكافآت، كتذاكر لدخول السينما مثلا. وقد تم تنفيذ هذا المشروع فى اثنتين من المدن البريطانية.

ماذا فعل الباحثون؟

طُلب من الباحثين تقييم المشروع من حيث نجاحه فى كلا المدينتين، وتصورات الشباب عن المشروع، ومن حيث حدوث زيادة فى مشاعر التسامح تجاه الشباب وتجاه أنشطتهم.

وقد تم جمع البيانات بعدة طرق: المقابلات، وجماعات المناقشة المركزة (البؤرية)، وبحوث المشاركة. كما غطت البيانات مختلف أصحاب المصلحة (بمن فيهم بعض الشباب الذين شاركوا فى المشروع، وبعض من لم يشاركوا)، والعاملين فى المشروع، وبعض سكان المدينتين.

نتائج البحث

حقق المشروع مستويات متباينة من النجاح فى المدينتين. ولم تنجح أي من المدينتين فى ضم شباب دون الخامسة عشر إلى المشروع. وتوفرت بعض الشواهد فى إحدى المدينتين عن ميل بعض الشباب إلى الانخراط فى أنشطة المجتمع المحلى

والاهتمـــام بها. إلا أن التقييم لم يستطع أن يوضـــح ما إذا كانت قد حدثت زيادة فى درجة التسامح تجاه الشباب، أو ما إذا كان المشروع قد حقق نجاحا طويل المدى.

تصميم البحث

أخـــذ التصميم الأولى للمشروع الـــذى بدأ فى مدينتين، أخذ فـــى الاعتبار إجراء عملية تقييم له. وقد ضمن ذلك أن تراعى الظروف الخاصة بكل مدينة (بما فى ذلك مستوى الموارد المتاحة للمشروع) وكيفية تأثير تلك الظروف على مسار المشروع. وقـــد غطى بحث التقييم مختلف أصحاب المصلحـــة، بمن فيهم الشباب الذين شاركوا فيه والذين لم يشاركوا (كنوع من الجماعة الضابطة).

والمعتـــاد - ولكن ليـــس دائما - أن يكون بحـــث التقويم ذا قيمـــة للجهة التى كلفت بإجرائه، أو لأطراف أخرى ممن يعملون فى مجالات مشابهة. فقد ينفذ البحث بهدف معرفة المجالات التى يمكن إدخال تحسينات عليها، أو لاستخلاص بعض الدروس التى يمكن أن تفيد آخرين فى ظروف مشابهة.

وفيمـــا يتعلق بمجال السياسة الاجتماعية وبعض مجالات الخدمة الاجتماعية غالبا ما يرتبـــط البحث التقييمى بتقدير الآثار المترتبة على بعـــض السياسات الاجتماعية، أو الممارســـات، أو المشروعات الجديدة، كما يستهدف تقدير مـــا إذا كانت تلك السياسة أو الممارسة أو المشـــروع قد حققت ما كان مرجوا منها، وأسباب ذلك. وقد ابتكر العالمان البريطانيان باوسون وتيللى (1997) فكرة التقييم الواقعى الذى يلتزم بالأفكار الأساسية للواقعيـــة النقدية (الفصل2 من الباب1). وذهب هذان العالمـــان إلى أن البحث يجب أن يصمم بحيث يمكن أن يجيب على السؤال: "لماذا نجح المشروع / أو لماذا لم ينجح؟".

بحثك

اختبار جودة البحث: البحث التقييمى

- هل ستساعد البيانات التى تقوم بجمعها على الإجابة على أسئلة التقييم؟
- هـــل تحت يدك بيانات قابلة للمقارنة عـــن الموقف قبل تنفيذ المشروع أو التدخل أو التغيير؟

- هل تستطيع جمع بيانات عن مختلف أصحاب المصلحة – وهم أصحاب اهتمامات مختلفة – تجاه المحور الأساسى للتقييم؟
- ما وضعك بالنسبة للتقييم والمشاركين فى البحث؟ وهل أنت خارج الموقف الذى تتناوله، أم تعتبر "عنصرا داخليا"؟
- هل يسمح لك تصميم البحث بالادعاء بأنه يمكن تعميم نتائج البحث على مجتمع أكبر أو على ظروف مختلفة؟ لاشك أن ذلك سوف يتوقف على الأسلوب الذى اتبعته فى اختيار المشاركين فى بحث التقييم.
- هل يمكنك تصميم البحث من جمع بيانات تعبر عن الواقع الاجتماعى وتكون "بديلا عنه"، أي بيانات تعكس الواقع الاجتماعى للبيئة الاجتماعية الطبيعية؟

هل أنت متأكد أن البيانات التى جمعتها قد جمعت بطريقة متسقة وموثوق بها؟

- ما الدلالات الأخلاقية لعملية التقييم بالنسبة لمختلف أصحاب المصلحة الذين شاركوا فى البحث؟

البحث الإثنوجرافى(*)

إن ما يجعل الدراسة الإثنوجرافية مختلفة عن أنواع الدراسات الأخرى هو تلك العلاقة بين الباحث والمادة التى قام بجمعها. ففى الدراسة الإثنوجرافية ينفق الباحث وقتا طويلا (قد يصل أحيانا إلى عدة سنوات) منغمسا انغماسا شديدا فى المجتمع الذى يدرسه، يرى البيانات ويسمعها مباشرة من أصحابها. ويسمى هذا المجال عادة "الميدان" أو "البيئة الطبيعية". والمعتاد أن يضطلع الباحث بدور فى حياة الجماعة التى يدرسها، مما يسمح له بالمشاركة فى مجتمع البحث كباحث وطرف مشارك فى نفس

(*) يمكن أن يعرف القارئ المزيد عن مختلف جوانب المنهج الإثنوجرافى فى الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية فى روبرت إيمرسون وزملاؤه، البحث الميدانى الإثنوجرافى، ترجمة هناء الجوهرى، مراجعة وتقديم محمد الجوهرى، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠. وانظر كذلك: شارلين هس – بيير وباتريشيا ليفى، البحوث الكيفية فى العلوم الاجتماعية، ترجمة هناء الجوهرى، مراجعة وتقديم محمد الجوهرى، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ٢٠١١. (المترجم)

الوقت. ومن نماذج البحوث الإثنوجرافية الوثائقية التى حظيت بشهرة فى الإعلام نشير إلى أعمال لوى تيرو، انظر له مثلا:

http://news.bbc.co.uk/1/hi/magazine7753282.shm(آخر دخول على الموقع بتاريخ 20/7/2009) وأعمال بروس بارى .www.bbc.co.uk/tribe/index shml (آخر دخول على الموقع بتاريخ 20/7/2009).

ويحتفظ الباحث بدفتر يوميات يدون فيه ملاحظاته التأملية والنقدية، حيث تصبح هذه التأملات جزءًا من البيانات التى يقوم عليها البحث. وبعد أن يتم جمع البيانات وتحليلها، قد يؤثر ذلك على طريقة جمع المزيد من البيانات مستقبلا. والمعتاد أن يتم جمع البيانات باستخدام الملاحظة المباشرة، والحوارات، وأحيانا بعض المقابلات الأقرب للطابع الرسمى. ولا يغفل البحث الإثنوجرافى الإفادة من الوثائق المتصلة بموضوع الدراسة. كذلك يتم جمع البيانات الميدانية باستخدام التصوير، الفوتوغرافى أو الفيديو. (إذا كنت مهتما بهذا اللون من الدراسة، راجع المزيد عنها فى فقرة "المراجع وقراءات للاستزادة" الواردة فى نهاية الفصل) (*).

والواقع أن المنهج الإثنوجرافى يسير على نهج تصميم دراسة الحالة. وإن كان سيزيد عليه بُعد آخر هو مشاركة الباحث فى الظاهرة الاجتماعية محل الدراسة، كما يتميز على دراسة الحالة بسعيه- من خلال المشاركة وجمع البيانات بالطرق المعتادة والتأمل النقدى - للوصول إلى فهم أعمق لثقافة الجماعة، أو المنظمة، أو المجتمع المحلى محل الدراسة. ويتم التوصل إلى هذا الفهم بملاحظة كيفية تأسيس الناس للمعنى الاجتماعى وللأفعال فى أثناء حياتهم اليومية.

وعلى الرغم من أن الدراسة الإثنوجرافية الطويلة ليست بالأمر الميسور أو المتاح لأغلب الطلاب الجامعيين، فإنه يمكن تصميم دراسة أقصر أو أصغر نطاقا، قد تتركز

(*) لقى أسلوب التصوير الفوتوغرافى، وبالفيديو، وبالسينما رواجا كبيرا فى البحوث الاجتماعية والأنثروبولوجية الحديثة (خاصة طوال العقدين الماضيين). وقد شجع على ذلك التطور المذهل فى صناعة آلات التصوير، وأخيرا دخول التصوير الرقمى، مما أدى إلى تجويد عملية التسجيل، وتبسيطها، وخفض تكلفتها. كل ذلك مع ارتفاع العائد العلمى (التوثيقى) من وراء استخدامها. انظر مادة : الأنثروبولوجيا البصرية فى: موسوعة علم الإنسان، ترجمة محمد الجوهرى وزملاؤه، ط٢، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠. وانظر أيضا : جان بول كولين وكاترين دو كليبل، السينما الإثنوجرافية. سينما الغد، ترجمة غراء مهنا، مراجعة وتقديم علياء شكرى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٢. (المترجم)

علــى منظمة أو جماعة يتمتع الباحث فعلا بعضويتهــا أو كان يعمل فيها بدوام جزئى ، لمدة عدة أسابيع ، وليس عدة سنوات.

ولب الدراسة الإثنوجرافية ليس مجرد جمع أكبر قدر من البيانات وحسب. فلابد أن يكــون للبحــث بؤرة يتمحور حولهــا - وهو عبارة عن سؤال بحثــى يتعين الإجابة عليه- تتعلــق بطريقة تفاعل الناس مع بعضهم البعضــ، وأشكال التدرج الطبقى التى تتجلى فى طريقة عمل الناس وتعاونهم معا، وكيفية تنظيم المبحوثين أنفسهم.

البحث الواقعى

الدراسة الإثنوجرافية

· دراســة يون - مان سو (2008) بعنوان : " الوصمة المصاحبة لمتلازمة السارس (مرضــ الجهــاز التنفسى الحــاد)(*) لضحايا انتشــار هذا الوباء فــى هونج كونج"، منشور فى مجلة: البحوث الصحية الكيفية، عدد 18: 729.

فــى عام 2003 تفشى مرضــ السارس (الذى يصيب الجهــاز التنفسى بشكل حاد) فــى هونج كونج. وهذا المرضــ الجديد - الذى يهدد حياة المريضــ به - مرض شديد العدوى، مما أثار بشأنه قلقا فى شتى أنحاء العالم، ودعى إلى تجنيد الفرق الطبية لكى تعمل على احتوائه ومحاصرته. وقــد بلغ عدد المصابين بهذا المرض حينها نحو 1700 فردا، توفى منهم 299. وقــد اكتشف المصابون الذين نجوا من الموت أنهم موصومين من الناس ويتعرضون للتحيز تجاههم، ومن ثم ظل الكثيرون منهم يعانون من متاعب جسديــة ونفسيــة. من ذلك مثــلا أن بعضهم يضطر إلى ارتداء قنــاع يخفى وجهه عند تواجده فى الأماكن العامة، لأن الآخرين يظنون أنه سينقل إليهم العدوى.

ماذا فعلت الباحثة

اهتمت الباحثــة بمعرفة كيفية تكوين المجتمع للوصمــة والتحيز المرتبطين بضحايا مرضــ السارس. لهــذا أرادت أن تفهــم خــبرات وتصورات ضحايــا السارس.

(*) SARS = Severe Acute Respiratory Syndrome

وقررت أن تقضـــى 16 شهرا فى علاقة وثيقة مع جماعة مساعدة ذاتية من مرضى السارس. وهكذا قامت بجمع بيانات بحثها بواسطة: الملاحظة المشاركة، والمقابلات، وحضور عدد من الاجتماعات والمحاورات. وكان لدى جميع المبحوثين علم بعملية إجـراء البحــث. واحتفظـت الباحثة بدفتر يوميــات بحثى، كما قامــت بمراجعة ما توصلت إليه من تأملات وتفسيرات مع مبحوثيها.

نتائج البحث

اكتشفـت الباحثة أن الوصمة المرتبطة بضحايا مرض السارس لا يمكن الإحساس بهــا وفهمها إلا من خلال استمرار معاملــة الأطباء، والحكومة، والجمهور لضحايا السارس على أنهم أناس مختلفون.

تصميم البحث

أتــاح المنهج الإثنوجرافى للباحثة أن تؤسس - بمــرور الوقت - علاقات ثقة مع الناس، وأن تلاحظ كيفية ارتباطهم الوثيق بعضهم ببعض، والتشارك فيما يمرون به من خبرات.

بحثك

اختبار جودة البحث: البحث الإثنوجرافى

- هل سيمكنك "الدخول" إلى المجتمع أو الوسط الذى يساعدك على الإجابة على تساؤلات بحثك؟
- هــل ستكشف عــن شخصيتك كباحــث صراحة، أم تجريه مستــترا، وما هى الدلالات التى ستترتب على دراستك؟
- كيف ستسجل وتعبر عن أفكارك وتفسيراتك؟
- كيف ستقوم بمراجعة تفسيراتك مع الآخرين؟

- ما حدود دراستك فى إطار مجتمع الدراسة الذى تعمل فيه؟
- هـل سيكون بوسعك الدفاع عن نتائج بحثك من حيث قابليتها للتعميم، وقيمتها النظرية، وكفاءتها التفسيرية؟
- هل يمكنك تصميم البحث من جمع البيانات بطريقة متسقة وموثوق بها؟
- ما الدلالات الأخلاقية لدراستك بالنسبة لمبحوثيك؟

النظرية الموثقة

هـذه هى الاستراتيجيـة البحثية الرابعـة والأخيرة. والنظريـة الموثقة شيء غير اعتيادى بعض الشيء. ويمكن القول أن النظرية الموثقة تعد – من نواح عدة – «مجرد طريقـة أخرى» من طرق جمع البيانات. إلا أنهـا تحظى بقدر غير عادى من الشهرة والانتشار – خاصة فى الولايات المتحدة – الأمر الذى دفعنا إلى تناولها بوصفها أسلوبا يمكنك استخدامه فى إجراء بحثك. ولكننا نأمل أن يأخذ القراء هذه الفقرة من هذا الفصل بقـدر من الحـذر، إذ مع أنه تساورنا بعض الشكوك الحقيقيـة بشأن هذا المنهج برمته، إلا أننـا مقتنعون بأن بعض مـا يشتمل عليه من عمليات جمع البيانات وتحليلها يمكن أن تكون مفيدة فى كثير من البحوث، ولو أنها غير قادرة على توليد أى أفكار نظرية.

المسـار الطبيعـى لعمل أى باحث هـو أن ينطلق من نظرية معينـة (أو ربما من: فرضـ معين)، أو من تساؤل بحثى، ثم يقوم بجمع البيانات اللازمة لاختبار النظرية أو الفرضـ، أو للإجابة عـن التساؤل (الفصلين 2و4، من البـاب 1). ولكن النظرية الموثقة تفعل عكس هذا. فهى عبارة عن توجه بحثى منظم يقوم على تطوير – أو توليد– النظريـة من واقع البيانات التى يتم جمعها. وأقل ما يوصـف به مثل هذا الأسلوب أنه غـير مألوف. ومثير للكثير من المشـكلات. ذلك أنه أصبح من الأمور المتفق عليها بين أغلـب المشتغلين بالعلوم الاجتماعية أن البحث لا يمكـن أن يكون **فاقدا للنظرية** (انظر قائمـة المصطلحات فـى نهاية الكتاب). أى إنـه لا بد أن يوجد دائمًا نـوع من النظرية الأساسية (أو العامة، حسب وجهة نظرك) أو مجموعة الأفكار المتعلقة بطبائع الأمور. ولكن طريقـة النظرية الموثقة ترفض هذا الموقف، مما يتسبب فى إثارة مشكلة فلسفية.

والعـادة أن تركز بعض الانتقادات الأخرى الموجهـة إلى النظرية الموثقة على وصف نفسها بأنها «نظرية»، على أساس أن ما تنتجه ليس «بنظرية». وللوقوف على مناقشة حديثة لهذا النقد وللانتقادات الأخـرى للنظرية الموثقة، راجع مؤلف توماس وجيمس (2006).

ما اتجاه النظرية الموثقة؟

أفضل وصف لاتجاه النظرية الموثقة أنه اتجاه بحثى منظم يقوم على توليد النظرية من واقع البيانات التى يتم جمعها. وقد «اكتشف» هذا الاتجاه عالما الاجتماع الأمريكيان أنسلم شتراوس وبارنى جلاسر (انظر كتابهما الصادر 1967). وقد وصفا هذا الاتجاه الجديـد بأنه محاولة لجسر الهوة بين النظرية والبحث. ثم حدث شقاق رئيسى بعد ذلك بـين شتراوس وجلاسر، حيث اختلفا على تطبيـق منهج النظرية الموثقة. وقد أدى هذا الخـلاف فى النهاية إلى انفصال جلاسر وتأسيسه «معهد النظرية الموثقة» (انظر موقع www.groundedtheory.org الذى يستحق منك زيارة إلكترونية). وتوفى شتراوس عام 1996 فـى سن التاسعة والسبعين، الأمر الذى جعل مـن المستحيل استعادة الوئام والتغلب على الخلاف مع جلاسر، وإن كانت "جوليا كوربن" قد تابعت رسالته بشكل جزئى.

ولا شك أن النظرية الموثقة كمنهج بحثى تتسم بعدد من المزايا، ويرجع ذلك – فى جانـب منه – إلى كونها عملية شديدة التفصيـل والتدقيق. ولذلك لابد أن تتوفر للباحث الذى يستخدمها خبرة بحثية عريضة وقدر هائل من القدرة على الفهم والتبصر. ويمكن القول – إجمالا – أننا نعتقد أن الباحثين المبتدئين يجب ألا يمارسوا طريقة النظرية الموثقة إلا بكثـير من الحذر وتحت إشراف دقيق. ومع ذلك فالعمليات التفصيلية المستخدمة فى هـذه الطريقة تفيد الباحث فائدة جمة، ويمكن – مع بعضـ التعديلات – استخدامها فى بعض السيناريوهات الأخرى لجمع البيانات وتحليلها.

ويتسـم اتجاه النظرية الموثقة بعنصريـن رئيسيين ومفيدين فى نفس الوقت. **أولا:** أننا يجب أن نلاحظ أن النقطة الأخيرة فى تعريفنا السابق للنظرية الموثقة هى ما خلصنا إليـه من أن كثيرا من الباحثـين يستخدمون هذه الطريقـة دون أن يتقبلوا عنصر توليد النظرية. ويرجع ذلك – فى جانب منه على الأقل – إلى أن كثيرا من الباحثين يشعرون

أن سمــة «التوثيق» (نستخدم هذا المصطلح بمناسبة التحليل الكيفى الذى يعنى: **الاتصال الدائم بالبيانات الخام**) المميزة لهذه الطريقة تمثل مقومات تميزها المهمة. ويعنى هذا أن هذا الاتجاه إنما هو طريقة لجمع البيانات وتحليلها، يتعامل مع البيانات بالشكل الذى تم به ملاحظتها، وسماعها و تسجيلها. فالباحث يتبنى بذلك **اتجاها استقرائيا** (انظر قائمة المصطلحات) فى معالجة البيانات، على الأقل فى المراحل الأولية من التحليل .

النقطــة الثانية أنه فى نفس الوقت الذى تستخدم فيه طريقــة النظرية الموثقة فى جمــع البيانات، تتــم عمليات توليد النظرية والتحليل بشــكل متزامن. (يذهب كثير من الباحثــين الاجتماعيين إلى أن عمليات جمع البيانات والتحليل [انظر الباب 4] تتم دائمًا بالتزامن مع بعضها، ولكن الأمور لا تسير بمثل هذا الوضوح فى كل الأحيان).

ويمكن جمع البيانات وتحليلها وفقا لطريقــة النظرية الموثقة بعدة أساليب مختلفة. فالملاحــظ عموما أن هــذا التكنيك يستخدم فى البحوث الكيفية فقــط، وإن كان لا يوجد سبب حقيقى يمنع استخدامه فى البحوث التى تستخدم مزيجا من طرق البحث، وهو ما يعرف باسم « طرق البحث المختلطة».

عملية تطبيق النظرية الموثقة

يبــدأ البحث القائم على النظريــة الموثقة بمجرد وصول الباحث إلى موقع البحث. ويكون دورك – كباحث – هو محاولة فهم العمليات التى تحدث أمامك، وفهم أساليب الفاعلــين المشاركين فى السلــوك. وأكثر الأدوات التى تستخدم فــى ذلك انتشارا هما: المقابــلات، والملاحظــة، وإن كان لا يوجــد مــا يمنع استخــدام سائر الطــرق الكيفية الأخرى. وفى أعقاب كل دورة من دورات جمع البيانات (أيا كانت الطرق المستخدمة فيها) يتم تسجيل «النتائج» (التى قد تكون بعض البيانات أو القضايا المحورية . . . إلخ). وعلى الفور يتم استخدام تلك النتائج كجزء من عملية **المقارنة المســتمرة** (انظر قائمة المصطلحــات)، التى تمثل – إلى جانب عمليتى **الترميــز وتدوين المذكرات الميدانية** (انظر قائمة المصطلحات) – عناصر أساسية فى عملية التحليل. فتقوم فى البداية بمقارنة البيانــات المجموعة من مصادر مختلفة (التى يمكن أن تشمل – بطبيعة الحال – التراث المنشــور عن الموضوع وكذلك النتائج التــى انتهت إليها البحوث الإمبيريقية). فى نفس الوقت يحرص الباحث على التماس **النماذج السالبة** (انظر قائمة المصطلحات)، وهى

الشواهد أو الحالات التى تتناقض مع النظرية البازغة أو لا تؤيدها. وعندما تضع يدك علـى هذه النماذج السالبة، فسـوف تعتبرها مؤشرا على الحاجـة إلى إجراء المزيد من البحث، الأمـر الذى سيؤدي بدوره إلى تعديل النظريـة البازغة. ويعد كذلك مؤشرا على أنك لم تصل بعد إلى مرحلة **التشبع بالبيانات** (انظر قائمة المصطلحات).

هناك اعتقـاد أنه مع استمرار عملية البحث سوف تبزغ النظرية وتتبلور، بحيث يصبـح مـن الممكن المقارنة بين البيانـات والنظرية. ومن الأمور المختلـف عليها ما إذا كان مـن الممكن بلوغ هذه المرحلـة، ولكن مما لا شك فيه أن العمليات المستخدمة سوف تفيـد البحث. مـن ذلك مثلا أن المقارنـة المستمرة غالبا ما تكون وسيلـة ممتازة لبلورة الموضوعـات والفئات الأساسية وتحديدهـا. وسوف نتناول عمليـة التحليل بمزيد من التفصيل فى الفصل 8 من الباب 4 من هذا الكتاب.

ما جدوى اتجاه النظرية الموثقة؟

تتسم طريقة النظرية الموثقة ببعض المكونات والعمليات الفريدة التى يمكن أن تفيد البحوث الأخرى. نذكر منها ما يلى:

- يمكـن أن تكون أفكار: وثاقـة الصلة، وعملية الاستخـدام، والقابلية للتعديل بمثابة بدائل مفيدة لفكرة الصدق.
- فكرة إجراء عمليتى جمع البيانات والتحليل بشكل متزامن .
- تتيح هـذه الطريقة للباحث التعامـل بشكل متزامن مع مصـادر وأنواع مختلفة من البيانات.
- من الأمور الملهمة لنا جميعا كباحثين تلك الطريقة الدقيقة التى يتم بها تخطيط العملية البحثية، وتنفيذها، وتسجيلها.
- اشتمالها على العمليات والعناصر التالية:
  - **المقارنة المسـتمرة:** وهـى مقارنة البيانـات المستمدة من مصـادر مختلفة ومن أماكـن وفى أوقات متباينة لدعم عمليـة التحليل، وذلك جنبا إلى جنب البحث عن النماذج والحالات السالبة.

- **الترميــز:** وهى عمليــة «وضع رمــوز» أو علامات مميزة على المــادة للانتفاع بهــا لاحقا عند التحليل. ولكنهــا تنقسم إلى ثلاثة أبعاد مفيدة فــى هذه الحالة (البعد المباشر، والمحورى، والانتقائى).
- **المذكرات الميدانية السريعة:** وهى أساليب لتسجيل وتأمل، وتحليل البيانات.
- **التشــبع بالبيانات:** وهو مفهوم مهم يعنى أن هناك بعض الأساليب التى يستطيع بها الباحث التأكد من أنه قد تم إنجاز «القدر الكافى» من البحث.

بحثك

اختبار جودة البحث: اتجاه النظرية الموثقة

من الناحية العملية يمكن القول أن اختبارات جودة البحث التى يتعين مراعاتها بالنسبــة لاستراتيجية النظريــة الموثقة هى نفس الاختبارات التــى تراعى بالنسبة لاستراتيجية البحث الإثنوجرافى. إلا أن مخترعى النظرية الموثقة يرون أن قيمة هــذا النوع من البحوث يمكن تقييمها على الوجه الأفضل وفقا لعدة أسس يطلقون عليها مصطلح «وثاقــة الصلة» relevance، والقابليــة للتعديل" modifiability، وعمليــة الاستخدام"، workability (جلاسر وشتراوس، 1967). ومع أننا قد نتعجــب من قدرات مخترعى هذه الطريقة الإبداعيــة المجدّدة فى استخدام اللغة، فــإن التعريفات التى قدماها جديرة بالتأمل وإعمــال الفكر، ومن الممكن الانتفاع بها فى أنواع أخرى من البحوث.

وثاقة الصلة: لكى تكون الدراسة وثيقة الصلة بطريقة النظرية الموثقة، فلا بد أن تكــون ذات أهمية أكاديمية، كما يتعــين أن تكون مهمة للمشاركين فى البحث (المبحوثين).

القابليــة للتعديل: حيــث إنه مــن المستحيل تطبيــق مفهومــى «الصواب» و «الخطأ» علــى النظرية الموثقة، فإنه يصبح من الممكن دائمًــا تعديل النظرية كلما ظهرت بيانات «جديدة» بالقياس إلى البيانات المتوفرة فعلا.

عملية الاســتخدام: وهى مقياس لأسلوب النظرية الموثقة فى تفسير الموضوع أو القضية محل البحث.

وهكذا تدعى النظرية الموثقة أنها تمدنا بالنسق الفكرى الذى يتيح لنا الحكم عما إذا كانت «النظرية» التـى توصلنا إليها «جيدة» أم لا (لاشك أن القراء يدركون تمـام الإدراك أن مصطلحات مثل «نظرية»، و«جيدة» . . هى محل خلاف). وهى تفعل ذلك بطرق تختلف عن الطرق المألوفة لنا. ويحدد شتراوس وكوربن (1990) توفر أربعة شروط لتنفيذ هذه العملية، هى :

1 – لابد أن تكون النظرية مناسبة للظاهرة محل الدراسة.

2 – يتعين أن تكون النظرية مفهومة وقادرة على تزويدنا بالفهم.

3 – لابد أن تكون النظرية ملائمة لعدد كبير من السياقات.

4 – يجب أن تتضمن النظرية توصيفا للظروف التى تنطبق عليها.

أي التصميمات البحثية هو الأنسب لك؟

اتضـح من هذا الفصل أن تصميـم البحث مسألة معقدة، ولعل العنصر الحاسم فى الموضوع أن يتأكد الباحث أن التصميم الذى يضعه مناسب للمشروع الذى يكون بصدد القيـام به. فكـون أحد الباحثين قد فعل شيئا شبيها فى الماضـى، أو كون أحد تصميمات البحـث يحظـى بشهرة فى هـذا الوقـت . . كل ذلك لا يعنـى أن هذا التصميـم مناسب لشروعـك. لذلك يتعين عليك أن تمعن التفكير فى مختلف التصميمات والاستراتيجيات البحثية المتاحة.

بحثك

فى ضوء موضوع بحثك وتساؤلات البحث :

ما التصميم البحثى الذى سوف تختاره؟

التصميم التجريبى أو شبه التجريبى سوف:

- يمكّنك من التعرف على التأثير الذى ترتب على تغير أو تدخل معين.

- يسمح لك بالوقوف على العلاقات العلّية بين مختلف الخصائص، والتغيرات، وعمليات التدخل.
- يسمح لك باختبار فرض بحثك.

التصميم المسحى المقارن سوف:

- سوف يمكنك من مقارنة خبرات، وآراء، وخصائص جماعات مختلفة من الأفراد أو الحالات.
- سوف يسمح لك باستكشاف العلاقات المحتملة بين خبرات، وآراء، وخصائص جماعات مختلفة من الأفراد أو الحالات.
- يشتمل فى العادة على بيانات مستمدة من عينة مختارة تمثل جماعات مختلفة من مجتمع البحث، ويكون من المكن تعميم النتائج على المجتمع كله.

التصميم التتبعى سوف:

- يمكنك من الوقوف على التغيرات التى حدثت عبر فترة زمنية.
- يتيح لك أن تحدد الفروق الأساسية التى ظهرت بمرور الزمن، وأن تقف على التفسيرات المحتملة لذلك.
- يمكنك من الكشف عن الآثار التى ترتبت على بعض الأحداث أو التغيرات الأساسية من واقع البيانات التى جمعت قبل تلك الأحداث أو التغيرات وبعدها.

تصميم دراسة الحالة سوف:

- يمكنك من تناول عدد قليل من الحالات بشكل متعمق.
- يتيح لك أن تتأمل موضوع بحثك فى سياق أو سياقات معينة.
- يمكنك من تبنى توجه كلى (شمولى) فى معالجة بحثك، وفهم موضوعك فى إطاره الواقعى.

المراجع وقراءات للاستزادة.

Banks, M. (2001) *Visual Methods in Social Research*, London: Sage.

BBC News (2008) Ban on student alcohol promotions *BBC News*, 31 March (http://news.bbc.co.uk/1/hi/england/merseyside/7323578.stm) (accessed 20 July 2009).

Brewer, J. D. (2000) *Ethnography*, Buckingham: Open University Press.

Esping-Andersen, G. (1990) *The Three Worlds of Welfare Capitalism*, Cambridge: Polity Press.

Glaser, B. G. and Strauss, A. L. (1967) *The Discovery of Grounded Theory: Strategies for Qualitative Research*, New York: Aldine de Gruyter.

Kennett, P. (2001) *Comparative Social Policy*, Buckingham: Open University Press.

Moser, C. (1958) *Survey Methods in Social Investigation*, London: Heinemann.

Pawson, R. and Tilley, N. (1997) *Realistic Evaluation*, London: Sage.

Pink, S. (2001) *Doing Visual Ethnography: Images, Media and Representation in Research*, London: Sage.

Smithers, R. (2009) UK teenagers among heaviest drinkers in EU, *Guardian*, 27 March (www.guardian.co.uk/society/2009/mar/27/teenage-drinking-alcohol-binge) (accessed 20 July 2009).

Strauss, B. and Corbin, J. M. (1990) *Basics of Qualitative Research: Grounded Theory Procedures and Techniques*, London: Sage.

Thomas, G. and James, D. (2006) Re-inventing grounded theory: some questions about theory, ground and discovery, *British Educational Research Journal*, 32(6): 767–95.

Yin, R. K. (2003) *Case Study Research: Design and Methods*, 4th edn, London: Sage.

الفصل الرابع
اختيار طرق البحث

محتويات الفصل

- اختيار الطرق.
- قضية الكيفي في مقابل الكمي.
- الطرق المختلطة.
- اختيار الطرق.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

سنبدأ في هذا الفصل النظر بشكل عملي إلى الطرق أو الاتجاهات التي يتم استخدامها في جمع البيانات ومعالجتها. وسوف تعتمد على تخطيط رؤيتك المنهجية على تساؤلاتك البحثية وعلى تعريفاتك الإجرائية (الفصل4 من الباب 1)، وعلى طبيعة البيانات (الفصل 3 من الباب 1) التي تحتاج إلى جمعها كي تستطيع اختبار فرضك أو الإجابة على تساؤلات بحثك. والعادة أن تقسم المنهجيات البحثية إلى اتجاهات كمية واتجاهات كيفية. إلا أن المعتاد أن يستخدم الباحثون أكثر من طريقة واحدة في جمع البيانات، بل إنه أصبح من الشائع بشكل مضطرد استخدام عدة طرق مختلطة. وسنبدأ بتناول الاتجاهات الكمية، ثم الكيفية، ثم المختلطة، إلى أن يُسْلمنا ذلك إلى إعمال الفكر في أساليب اختيار الطرق.

اختيار الطرق

التوجـه الذى نتبناه فى هـذا الكتاب هو أن اختيار طرق جمـع البيانات ينبغى أن يتحـدد فى ضوء فروض البحث أو تساؤلاته، وكذلك وفقا لتلك العناصر من موضوع البحث التى تمثل بؤرة الاهتمام الأولى للباحث. لذلك يتوقف اختيار الطرق على نوع البيانات المراد جمعها، لكى يتمكن الباحث من اختبار فروضه أو الإجابة على تساؤلات بحثـه. علـى أننا يجب – على أية حال – أن نعترف بـأن هناك مجادلات بين الباحثين الاجتماعيـين حول الاتجاهـات الكلية (الشمولية) لجمع البيانـات، وهو جدل ناجم عن تبنـى كل طرف لرؤى أونطولوجية وإبستمولوجية مختلفة للعالم الاجتماعى، ومختلفة بشأن كيفية دراسته. وقد أطلقنا على هذا الجدل تعبير: قضية الكيفي فى مقابل الكمى.

قضية الكيفى فى مقابل الكمى

تدلنا النظرة إلى تاريخ البحث الاجتماعى وتطور طرق البحث الاجتماعى (انظر العرض المختصر لهذا التاريخ الذى قدمناه فى الفصل 2 من الباب 1)؛ تدلنا على وجود انقسام كيفـى وكمى بين الباحثين الاجتماعيين. وقد دارت علـى امتداد الخمسين عاما الماضيـة مناقشات حامية بين الطرفين تتعلق بقيمة كل من الاتجاهين الكمى والكيفى فى جمـع البيانات وتحليلها. وكما رأينا فى الفصل (2) من الباب (1) ترتبط كل التوجهات المتباينـة باختلاف النظرة إلى العالم وفهمه، وكيف يمكننـا معرفة الظواهر الاجتماعية الموجـودة داخل عالمنا الاجتماعـى. وقد تطورت طرق البحـث الاجتماعى وفقا لهذه الأسـس. من ذلك مثلا أن الطرق الكمية فى العلـوم الاجتماعية قد أفادت فى تطورها من الطرق المستخدمة فى العلـوم الطبيعية. وهى ترتكز على الأفكار الأساسية التالية: (أ) أن العالم يتمتع بواقع مادى، (ب) أنه من الممكن قياس جميع الظواهر التى تحدث، (جـ) أن نتائـج هذا القياس التجريبى تظـل هى هى كلما تكررت عمليـة القياس. وقد تم بنجـاح تكييـف بعضـ عمليات استخـدام طرق العلـوم الطبيعية فى بعضـ العلوم الاجتماعية (خاصة علم النفس، وكذلك فى علم الاجتماع إلى حد ما) وأصبحت جزءا من الاتجاهات البحثية الاجتماعية بالفعل.

إلى جانـب ذلـك، تطورت فى علوم أخرى – أبرزهـا جميعا الأنثروبولوجيا – طـرق لدراسة المجتمعات انطوت علـى ربط الباحث ربطا وثيقا بأفـراد المجتمع الذى

يدرســه، إلى حــد الإقامة بينهم فترة من الزمن. وكان منهــج أولئك العلماء يقوم على ملاحظة النــاس والاستماع إليهم وهم في مواقف حياتهم الطبيعية. وهكذا كانت معظم البيانات التي يتم جمعها ينبع مباشرة من أحداث ومواقف تحدث بشكل طبيعي في العالم الاجتماعــي المدروس. ومــن النماذج المبكــرة للدراسات الاجتماعيــة التي استخدمت المنهــج الأنثروبولوجي دراسة «وايت» المعنونة: «مجتمع النواصي: البناء الاجتماعي لحــي إيطالي متخلف» التــي أجراها في الأصل عــام 1955(وايت، 1993). وتطور هــذا الاتجــاه في دراســة العالم الاجتماعــي إلى ما أصبــح يعرف بالاتجــاه الكيفي في جمــع البيانات ومعالجتها. وانبثقت عنه بعض طرق جمــع البيانات التي تتيح للباحثين الاجتماعيين جمع البيانات التي تحصلوا عليها من المبحوثين أنفسهم مباشرة، ومعالجتها أيضا.

ثــم شهدت أواخر القرن العشرين تطورات على صعيد كل من الاتجاهات الكمية (كاستخدام أجهزة الحاسب الآلي، وتطويــر أساليب التحليل الإحصائي) والاتجاهات الكيفيــة (كتطوير البحوث النسويــة، وتطوير طرق جديدة لجمــع البيانات وتحليلها، والاستعانة ببرامج الحاســب الآلي في عملية التحليل). ومع ذلك ما زالت هناك بعض الحــدود الفاصلــة بين الاتجاهيين داخــل العلم الواحــد. كما أصبحنا نجــد داخل المجال البحثــي الواحد هيمنة أحد الاتجاهــين. وذلك إلى حد التأثير علــى اختيار الطرق التي يمكــن أن يستخدمها الطلاب فــي ممارستهم للبحث الاجتماعــي. وقد نجحت السنوات الأخــيرة في تحطيم تلك الحدود بين فروع العلم وداخل العلم الواحد، وذلك بعدة سبل كان منها - مثــلا - تزايد أعداد المشروعات البحثية في إطار العلوم الطبية، التي تقوم على التصميم البحثي التقليدي الذي يجمع البيانات الإحصائية، مع تبني توجه كيفي في الممارسة البحثية.

ما: الفرق بين الطرق الكمية، والكيفية، والمختلطة؟

- تقــوم طرق البحث الكمية أساسا على جمــع البيانات المقننة (الفصل3 الباب 1) ومعالجتهــا، وهي بيانات يمكن عرضها في شــكل رقمي. ويتم جمع البيانات الكمية عادة - على نحو ما عرضنا في الفصل 2 من الباب 1- في الحالات التي

يتبنــى فيها الباحث اتجاها معرفيــا (إبستمولوجيا) وضعيا، والبيانات المجموعة يمكن تحليلها إحصائيا.

- أمــا طرق البحث الكيفى فتقوم أساسا على الاهتمام بالقصص والروايات التى يقدمها المبحوثون وتحتوى على مفاهيم، ومشاعر، وآراء، ومعتقدات ذاتية. ويتــم جمــع البيانات الكيفية عــادة – على نحو ما أوضحنا فــى الفصل (2) من الباب (1) – فى الحالات التى يتبنى فيها الباحث اتجاها معرفيا تأويليا، وتكون البيانات المجموعة هى كلمات وتعبيرات المبحوثين أنفسهم (انظر الفصلين 2و3 من الباب 1).
- لعل أفضل تصوير للطرق المختلطة أنها تمثل مزجا أو تأليفا بين الطرق الكيفية والكمية بالطريقة الأنسب للمشروع البحثى الجارى.

سبــق أن أوضحنا فى الفصلــين (2) و (3) من الباب الأول أن البيانات التى تتاح لنــا عن العــالم الاجتماعى تتوقف على الاتجــاه الأونطولوجــى (أى النظرة إلى طبيعة العالم الاجتماعى، وإلى طبيعــة وواقع الظواهر الاجتماعية التى يتكون منها هذا العالم الاجتماعــى)، والاتجاه الإبستمولوجى (ما يمكن معرفتــه عن العالم الاجتماعى) الذي يتبنــاه الباحث. ومن الناحية الواقعية تؤدى الاتجاهــات المختلفة إلى جمع أنواع مختلفة من البيانات، التى تستلزم بدورها استخدام طرق مختلفة لجمع البيانات. وقد تعرفنا فى الفصــل (3) من الباب (1) على بعض أنواع البيانات، ولعل أكثرها اتصالا بموضوعنا هنــا هو التمييز بين البيانات المقننة (الكمية) وشبــه المقننة/ وغير المقننة (الكيفية). ويمكن الاستعانــة بهذه الأفكار فى عرض الملامح الأساسية للاتجاهين الكمى والكيفى فى جمع البيانات وتحليلها، وذلــك قبل الحديث عن أساليب اختيار الطرق التى سوف تساعدك على الإجابة على تساؤلات بحثك أو اختبار فروضك.

جدول (4-1)

ملامح الاتجاهين الكمى والكيفى

الاتجاه الكمي	الاتجاه الكيفي
الاتجاهات الأنطولوجية والإبستمولوجية **وضعية** (أى تفترض أن العالم الاجتماعى واقعى).	الاتجاهات الأنطولوجية والإبستمولوجية **تأويلية** (أى تفترض أن الواقع عبارة عن تصور اجتماعى).
تتخذ تساؤلات البحث شكل الفروض القابلة للاختبار.	يتم تطوير أسئلة البحث باستخدام بعض الأسئلة المساعدة.
يمكن الإجابة على تساؤلات البحث أو فروضه) عن طريق عد الأحداث والوقائع واستخدام التحليل الإحصائى.	يمكن الإجابة على سؤال البحث عن طريق وصف وتفسير الأحداث وجمع آراء المبحوثين، ومعتقداتهم، وخبراتهم.
يعرف الباحث - عادة - ما يبحث عنه ويريد دراسته.	قد لا يكون لدى الباحث سوى فكرة عامة عما يبحث عنه.
تتحدد خطة/ أو استراتيجية البحث فى العادة قبل جمع البيانات.	تتسم خطة / أو استراتيجية البحث بالسيولة والقابلية للتطوير.
موضوعى : بمعنى أن الباحث ليس جزءًا من البحث.	ذاتى : بمعنى أن الباحث مندمج فى الموقف المدروس بوصفه إنسانا.
غالبا ما تستخدم أدوات لجمع البيانات (كالمسوح أو الاستبيانات).	الغالب ألا تستخدم أدوات : فيمكن القول أن الباحث هو الأداة الرئيسية لجمع البيانات.
يتم عرض البيانات عادة فى قالب عددى أو رموز دالة.	يمكن أن تتخذ البيانات شتى القوالب أو الأشكال.
يمكن التعميم من واقع البيانات.	ليس من الممكن عادة التعميم بناء على البيانات.

مثال (4-1)

لعبة السهام المريشة(*)

فـى الساعة العاشرة إلا الربع من مساء يـوم الأربعاء شرع "ستيف" و "تونى" (الطالبـان بالسنــة الثانية بإحـدى الجامعات) فــى ممارسة لعبة السهـام المريشة فى مقهـى اتحاد الطـلاب. وستيف يدرسـ علم الاجتمـاع، بينما يدرسـ تونى بقسم السياسة الاجتماعية. كان الوقت أيامها فى أواخر امتحانات الفصل الصيفى، وكان كلاهما يشعـر بالراحة لأن عاما آخر من أعوام الدراسـة قد انقضى. ورغبة منهما فــى الاحتفال بالمناسبة تنـاولا بعض المشروبات. كان المقهـى ساعتها مزدحما شديد الضجيـج. فقـد كان هناك مجموعة كبيرة مـن لاعبى الرجبى يجلسـون على البار وأصواتهم مرتفعة بشكل لافت.

لقـد كان العام المنصرم شاقا علـى "تونى"، فقد مر ببعضـ المشكلات الشخصية التـى اضطرته إلى التردد على بيـت الأسرة أكثـر مما كان ممكنــا، هذا فضلا عن أنــه صادف بعض الصعوبات فــى استيعاب جزء من مقرراتــه. وتعرض لأزمة ماليــة لأن ظروفه لم تسمح لــه بالالتحاق بعمل يدر عليه دخـلا طوال ذلك الفصل الدراســى. كذلـك كان العام مزدحما بالمهـام بالنسبة لستيـف (كان يعمل فى مكتبة الجامعة بدوام جزئى)، ولكنه كان ساعتها فى حالة مزاجية ممتازة لأنه تعرف على صديقة جديدة، وكان على موعد للقائها فى وقت لاحق تلك الليلة.

كان يمارسـان لعبة 301 (تبدأ وتنتهــى زوجيا). وكلاهما بارع فى لعبة السهام المريشة، ولكن "تونى" استطاع أن يربح فى العام المنصرم عددا من المباريات أكثر من "ستيف". وكانت الرميات التى لعباها كما يلى:

(*) dart play هى لعبة السهام المريشّة التى تسدد فيها سهام صغيرة مجنحة (أو ذات ريش) إلى هدف، يكون عبارة عن لوحة صغيرة مقسمة معلقة على حائط -مثلا- ويقاس النجاح والفشل باقتراب أو ابتعاد السهم المصوَّب عن قلب اللوحة. (المترجم)

الرمية	ستيف	تونى
1	زوجى 20، 18، 12 (231 شمال)	20، 20، 5 (301 شمال)
2	19، زوجى 19، ثلاثى7 (153 شمال)	زوجى 19، خطأ، 19 (194 شمال)
3	20، ثلاثى1، ثلاثى20 (72 شمال)	19، 19، 19 (137 شمال)
4	ثلاثى 20، 6، زوجى3	———

وهكذا كسب «ستيف» المباراة، واشترى لتونى مشروبا على حسابه. وبعدها مباشرة افترقا كل إلى سبيل.

وهناك بعض الأشياء التى يمكن تأملها:

1- إذا أردت أن تدرس الوقائع الموضحة أعلاه، ما الذى ستحاول الكشف عنه وفهمه؟

2- هل ستختار طرقا بحثية كيفية أم كمية؟

3- هل تعتقد أن النتائج التى ستتوصل إليها ستختلف تبعا للطرق التى ستختارها؟

بعض مبررات استخدام الطرق الكمية:

- مباراة السهام المريشة التى جرت يمكن دراستها بشكل أيسر بهذه الطريقة.
- المتغيرات (وهى عدد رميات السهام، والنقاط التى حصل عليها اللاعب فى كل رمية) متغيرات عددية، ومن ثم يمكن استخدام التحليل الإحصائى.
- سيكون من المكن (بمرور الوقت) حساب فرص كل لاعب فى الفوز، واستخراج تفاصيل عن بعض الأمور كمتوسط النقاط، مثلا.
- تستخدم مباريات دورى السهام المريشة التحليل الكمى للوقوف على أوجه القصور لدى اللاعب.

وفيما يلى بعض مبررات استخدام الطرق الكيفية:

- سيمكـن بفضلها الوصـول إلى معرفة أفضل عن السياق الـذى تمت فيه المباراة (من حيث : التوقيت ، والمكان ، والحالة المزاجية للاعبين ، وما إلى ذلك).
- قد يتسنى بفضلها التعرف على بعض المؤثرات الخارجية (مثل: الضوضاء التى كان يحدثها الرواد الآخرون للمقهى) على كل لاعب.
- قد يمكن بفضلها فهم تفوق أحد اللاعبين على الآخر فى تلك المناسبة.

بعض مبررات استخدام الطرق المختلطة:

إذا جمعنـا بين الطريقتـين السابقتين ، فسوف يتوفر لنا نوعـان من المعلومات التى يمكن استخدامها مجتمعة ، مما يعمل على رفع مستوى جودة بحثنا.

الطرق المختلطة

الملاحـظ أن بعض الباحثين يلجـؤون فى بحوثهم بشكل رئيسـى (وأحيانا بشكل كامل) إلى استخدام اتجاه واحـد ، ولكنا نرصد تزايد أعداد الباحثين الاجتماعيين الذين باتـوا يستخدمون إحدى الطريقتين الكيفية أو الكمية فـى جمع البيانات ، أو يستخدمون كلا الطريقتين ، أى طريقة مختلطة. ويوضح المثال (1-4) أن دراسة ظاهرة اجتماعية (هـى هنا مباراة السهام المريشة) يمكـن تنفيذها بالاستعانة بمنظورات مختلفة ، ومن ثم الحصـول على صورة كليـة متكاملة لما يجرى ، وهو ما يدفعنـا إلى جمع أنواع مختلفة من البيانات باستخدام طـرق مختلفة (مختلطة). ويتوقف اختيارنا للطرق على طبيعة تساؤلات بحثنا ، وعلى تعريفنا للمفاهيم الواردة فيها (الفصل 4 من الباب 1).

ففـى المثـال المعروض يمكـن أن نختار تحليل الفـوز فى مباراة الأسهـم المريشة بأسلوب عددى (كمى) ، ولكننا يمكن كذلك أن نختار تحليل ذلك الفوز فى ضوء الحالة المزاجيـة لكل لاعب ، وما يتعرض لـه من ضغوط ، وما يشغله مـن هموم . . . إلخ. والتحليل بأى من الطريقتين سينتهى بنا إلى نتائج مهمة. أما إذا كنا نريد أن نركز بشكل أساسى فى هذا المثال على معرفة سبب خسارة "تونى" للمباراة ، فلاشك أننا سنحتاج إلى

نوعـى البيانات الكمية والكيفية على السـواء، وربما نحتاج كذلك إلى الاستعانة ببعض البيانـات التاريخية عن نتائج المباريات السابقـة. وهكذا يكون الأسلوب الأكثر جدوى لدراسة هذا الموقف هو الجمع بين الإجراءات الكيفية والكمية، أى الطرق المختلطة.

وهكـذا يتعـين أن يتم اختيار اتجاه الطرق المختلطة فى جمـع البيانات انطلاقا من تساؤلات البحـث، التى يتضح منها أن الإجابة على تلك التساؤلات سوف تتحقق على الوجـه الأفضل باستخدام الطرق الكمية والكيفية معا. ونصادف فى بعض الأحيان أن أحـد أسئلة البحث (أو الأسئلة الثانوية) يتطلب الرجوع إلى بيانات كمية، بينما تستدعى الإجابـة على سؤال آخر الاعتماد على بيانات كيفيـة. وهناك احتمال ثالث نجد فيه أن الإجابة على سؤال واحد تتطلب توفير بيانات كيفية وكمية فى الآن معا.

فكر فى هذا الموضوع ..

قمنا فى الفصل (4) من الباب (1) ببلورة سؤال بحثى حول موضوع البطالة والصحة العقلية، يقول :

ما آثار البطالة الطويلة الأمد على صحة الناس العقلية؟

1 – بعـد أن وضعنا التعريـف الإجرائى للبطالة وللصحـة العقلية دققنا صيغة السؤال لتصبح على النحو التالى:

مـا الآثار التى تلحق بالناس الذيـن كانوا يعملون بأجر من حيث مشاعرهم تجـاه أنفسهم وتجاه حياتهم عندما يصبحون بدون عمل مأجور لمدة تزيد على عام؟

فما أنواع البيانات التى ترى أنك سـتحتاج إلى جمعها (وممن سـتجمعها) لكى تستطيع الإجابة على هذا السؤال؟

----

2 – طريقة أخرى للتعريف الإجرائى قدمناها فى الفصل (4) من الباب (1) على النحو التالى:

وجود أو عدم وجود اضطرابات عقلية تحتاج إلى العلاج الإكلينيكى.

فما أنواع البيانات التى ترى أنك تحتاج إلى جمعها (وممن ستجمعها) لكى تستطيع الإجابة على السؤال إذا رأيت تبنى هذا التعريف للصحة العقلية؟

بعد ذلك يمكنك الرجوع إلى الإجابة التى نقترحها فى نهاية برواز "فكر فى هذا الموضوع" التالى.

ومن الممكن استخدام الطرق الكيفية والكمية مجتمعة ومتضافرة بعدة أساليب مختلفة.

فيمكن استخدام الطرق الكيفية على النحو التالى:

- **قبل الطرق الكمية**

تتيح الاتجاهات الكيفية للباحث أن يتناول المفاهيم بشكل متعمق مع المبحوثين، وأن يسمع منهم آراءهم فى تلك المفاهيم بعباراتهم هم (مثل مفهوم " الصحة العقلية " راجع برواز "فكر فى هذا الموضوع" السابق). ويمكن أن يكون هذا الأسلوب مفيدا لبداية البحث فى الموضوع، خاصة إذا لم يكن للباحث دراية به، أو التى لم تجر عنه سوى بحوث قليلة حتى الآن. وبهذا يمكن تطوير التعريفات الإجرائية أو اختبارها. كما أن ذلك سيضمن لنا أن تكون صياغة الأسئلة المقننة – فى الاستبيانات مثلا – مفهومة ودالة بالنسبة لكافة المبحوثين. فبفضل مثل هذه البيانات الكيفية يمكن تطوير الأسئلة التى تستهدف جمع بيانات أكثر تقنينا. كما أن تبنى اتجاه كيفى يمكن أن يساعد الباحث

على تحديد واختبار جوانب الموضوع الأكثر أهمية ودلالة لدى المبحوثين. كما أن ذلك من شأنه أن يولّد أفكارا لتطوير الفروض أو أسئلة البحث الفرعية (انظر الفصل 4 من الباب 1).

- **استخدامها إلى جانب الطرق الكمية**

يمكـن استخدام كلا الاتجاهـين -الكيفى والكمـى- جنبا إلى جنب مـع كل نوع من البيانات والإسهام فى الإجابة على نفس أسئلة البحث أو أسئلة بحثية أخرى.

- **استخدامها بعد الطرق الكمية**

يمكـن فى بعض الأحيان استخدام الاتجاهات الكيفيـة بعد استخدام الطرق الكمية لتمكـين الباحث من فحصـ متعمق لبعض القضايـا التى برزت مـن البيانات الكمية. فالبيانـات الكمية التى جمعت قد تساعد الباحث على تحديـد بعض الجماعات أو الفئات الصغيرة التى تختلف عن بقية مجتمع الدراسة أو التى تمتلك بعض الخبرات والتجارب المهمـة، وفى هذا يكون جمع مزيد مـن البيانات عنهم بأسلوب أكثر تعمقا وسيلة لتمكين الباحـث من فحص تلـك القضايا بتعمق. ففى البحث الخاصـ بالبطالة والمرض العقلى الوارد فى برواز "فكر فى هذا الموضوع" .. الوارد أعلاه، قد يستخدم استبيان مبدئى مع بعض العاطلين فى التعـرف على ما إذا كان هؤلاء العاطلين يعتبرون أنهم يعانون مـن أية اضطرابات عقلية. بعد ذلك يمكن استخـدام الأساليب الكيفية لاستكشاف رؤية هـؤلاء بتعمق أكبر، وذلك فى نطاق مجموعة صغيرة العدد منهم (الفصل 4 من الباب 3)، أو مع جماعة مناقشة مركزة (بؤرية) (الفصل 5 من الباب 3).

ومع أن اتجاه الطرق المختلطة يعنى فى العادة جمع البيانات الكمية والكيفية، فإن ذلك ليس شرطا لازما فى الحقيقة. فقد يحدث – فى الواقع – أن يختار الباحث أسلوبين مختلفين لجمع بيانات كمية، مثل: استخدام المسح بالاستبيان واستخدام البيانات الثانوية. أو قد يختار جمع بيانات كيفية باستخدام المقابلات شبه المقننة والملاحظة المشاركة (الفصل 6 مـن البـاب 3). معنى ذلـك أن استخدام أسلوبـين أو أكثر لجمع البيانـات لمساعدتك علـى الإجابة علـى سؤال (أو أسئلة) بحثك يمكن أن يساعـد الباحث على اختبار صدق البيانـات التـى تجمعت لديه. وتسمى هـذه العملية **تعدد أدوات وطـرق البحث** (انظر

قائمــة المصطلحات)، لأنها تعكس عملية المسح أو القياس بالاستعانة بعلم حساب المثلثات الـذى يستخدم فــى رسم الخرائط، أى تعيــين موقع نقطة معينة علــى الخريطة بقياس المسافــة والزاوية من نقطتين أخريين على نفس الخريطــة. ويعنى المصطلح فى العلوم الاجتماعيــة جمع ومعالجة البيانات التى جمعت من عدة مصادر مختلفة ولكن عن نفس الموضوع، مما يسمح للباحث أن يتحقق من نتائجه بالمقابلة بينها.

فــإذا وجدنا نوعا من التضارب أو الشذوذ عــن المألوف فى البيانات المجموعة من مصــادر مختلفة أو التى جمعت باستخــدام أساليب مختلفة، فإنه يتعــين أن نفكر مليا فى الأسبــاب التى أدت إلى هذا. وقد يرجع هذا فى بعض الأحيــان إلى الاستخدام العمدى لبعض التعريفات الإجرائية المتباينة (على نحو ما ورد فى المثال الذى قدمناه فى برواز: "فكــر فى هذا الموضوع"...)، أو يرجع السبــب فى ذلك إلى بروز بعض المنظورات أو الأفــكار المختلفة للقضايــا نتيجة استخدام طرق مختلفة لجمــع البيانات. من ذلك مثلا أن الناســ قد يناقشون فى إحدى جماعــات المناقشة المركزة (البؤرية) ويتحدثون بكلام يختلف تمــام الاختلاف عما يقولونه عــن نفس القضية عند مقابلتهــم بشكل منفرد. وقد يكــون هــذا الوضع نتيجة دالة فــى حد ذاتها، أو أنه قــد يدفعنا على أن نتســاءل عما إذا كانت أدوات جمع البيانات (وهى فى هذه الحالة: المقابلة وجماعات المناقشة المركزة) قد أنتجت استجابات مختلفة بسبب الاختلاف فى صياغة الكلمات، أو اختلاف تركيز القائم بالمقابلة على بعض الأسئلة، أو تعدد القائمين بإجراء المقابلات وإدارة جماعات المناقشة.

فكر فى هذا الموضوع...

إجابات مقترحة

السؤال الأول

تركــز الصيغة المعدلة مــن السؤال البحثــى عن كيف يرى العاطلــون أنفسهم وحياتهم؟ ويعنــى هذا أن البيانات يجب أن تنبع مــن العاطلين أنفسهم، وأنه من الأفضــل أن يتم جمع تلــك البيانات بأسلوب شبه مقــنن، أى يُسمح فيه للناس أن يعبروا بكلماتهم هم عن خبراتهم.

الطرق المناسبة

* المقابلات شبه المقننة (فصل 4 باب 3).
* جماعات المناقشة المركزة (فصل 5 باب 3).

وأحـد البدائل الممكنة أن يتم استخدام استبيان مـع العاطلين يضم مجموعة من الأسئلـة (مثل مقياس ليكرت للعبارات المتدرجة) عن التصورات الذاتية للصحة العقلية (فصل 3 باب 3).

السؤال الثانى

يمكـن الحصول علـى البيانات من الأفـراد العاطلين أنفسهـم أو (الأدق) من السجـلات الطبية. ولكى يستطيـع الباحث أن يتأكد من وجـود أعداد كبيرة من العاطلـين الذين يعانون من اضطرابات عقلية تعالـج إكلينيكيا، يتعين أن يدرس أعدادا كبيرة من الحالات (فصل 5 باب 2).

الطرق المناسبة

* قد تكون البيانات الثانوية متوفرة (فصل 9 باب 3).
* استخدام استبيان مع العاطلين (فصل 3 باب3).
* استخـدام استبيـان مـع الأطباء أو المعالجـين النفسيين لجمـع معلومات عن مرضاهم .

ثم ماذا بعد؟

إذا كان موضـوع بحثك يدور عن الصلات التى تكـون موجودة بين البطالة والصحـة العقلية، فقد يجدر بك أن تضمن بياناتـك معلومات عن الصحة العقلية كتشخيصـ إكلينيكى وعن التصورات الذاتية للصحة العقلية. إذ يمكن أن يتيح لك ذلـك أن تصف حجم الصحة العقلية (أو المرض العقلـى) الذى تم تشخيصه طبيا عنـد العاطلين، كما سيتيح لـك أن تعرف بمزيد من التعمق كيف يشعر العاطلون بالبطالـة ومدى إحساسهـم بها، وكيف يربطـون - أو لا يربطون - بينها وبين مشاعرهم تجاه أنفسهم وتجاه حيواتهم .

وهكذا إذا تطلبت أسئلة بحثك بيانـات تتعلق بكلا التعريفين الإجرائيين للصحة العقلية، فربما يجدر بك أن تختار الطريقة التى تتيح لك أن تدرج كلا العنصرين فى أداة واحدة لجمع المادة، هى الاستبيان.

علـى أن هذا الاتجاه سوف يفرض عليك أن تضع مجموعة من الأسئلة لقياس تصـورات كل فـرد عن صحتـه العقلية، ولكنها لـن تسمح لـك أن تسمع بعض العاطلين يصفـون ويشرحون مشاعرهم تجاه أنفسهم وتجاه حيواتهم بكلماتهم هم الخاصة.

فأى الاتجاهات تود أن تتبنى فى بحثك؟

اختيار الطرق

الفرق الجوهرى بين الاتجاهين الكمى والكيفى -من حيث جمع البيانات وتحليلها- يتلخص فى الأسلوب الذى تم به تقنين البيانات المجموعة، وفى من قام بعملية التقنين.

فالاتجاهات الكمية تجمع وتعالج البيانات التى:

- تكـون مقننة، والإجابـات مقسمة سلفا إلى فئات محـددة، وتم ترميزها بحيث يمكن عدها.
- تكـون مقننـة بمعرفة الباحـث، وهو الذى يحـدد الأسئلة التـى توجه، ونوع الإجابة المطلـوب الحصول عليها (وتكون الإجابة عـادة اختيارا من بين عدة إجابات محددة سلفا).

أما الاتجاهات الكيفية فتجمع وتعالج البيانات التى:

- يصيغها المبحوثون بطريقتهم الخاصة.
- يتم تفسيرها وتقنينها بمعرفة الباحث كجزء من عملية التحليل.

وتستطيع طرق جمع البيانات أن تمدنا بأفضل نوع من البيانات التى يمكن معالجتها وفق الاتجاه الذى يتبناه الباحث، وقد أوردنا جانبا منها فى الجدول رقم (2-4).

الجدول رقم (2-4): التناسب بين الاتجاهات

الكمية والكيفية وطرق جمع البيانات

الاتجاه	طرق جمع المادة
الكمى	المسوح والاستبيانات التى توجه نفس الأسئلة عادة لأعداد كبيرة من الأفراد أو الحالات.
	توفر البيانات الكمية الثانوية التى ستجرى عليها مزيد من التحليلات.
	تحليل المضمون: حساب عدد فئات من الكلمات أو الأفكار الواردة فى مواد مكتوبة أو منطوقة.
	الملاحظة: حساب عدد حدوث وقائع معينة.
	سجلات أو استمارات لكل حالة تحوى معلومات مقننة سلفا.
الكيفى	مقابلات شبه مقننة أو غير مقننة: تسمح للمبحوثين بالحديث عن مجموعة من الأسئلة أو الموضوعات بأسلوبهم الخاص.
	جماعات المناقشة المركزة (البؤرية): مناقشة شبه مقننة يتولى إدارتها شخص مع عدد قليل من الأفراد.
	جمع وثائق تتعلق بأسئلة البحث، وطرح أسئلة انطلاقا من تلك الوثائق.
	السرد: جمع القصص والروايات التى يحكيها الناس لتحليل كيفية الإدلاء بتلك القصص.
	الملاحظة المشاركة أو غير المشاركة لموقف أو سياق اجتماعى معين.

على أن اختيــار اتجاه كيفى أو كمى أو مختلط ليس هو القرار الوحيد الذى يتخذه الباحــث بخصوص طرق جمع المــادة التى سوف يستخدمها. وقد سبــق أن حددنا فى الفصل الثالث مــن الباب الأول بعض طرق التفكير فى البيانات البحثية، وهى مناقشة تزودنــا ببعض الأفكار المفيدة بخصوصــص كيفية استخدام مختلف طرق جمع البيانات. واقترحنا عليك فى نهاية الفصل ذاته أن تمعن التفكير فى موضوع بحثك فى ضوء نوع البيانات التى يمكنك أن تجمعها وأن تعالجها. أما فى المرحلة التى نحن فيها الآن فبوسعنا البــدء بالربط بين التفكير فى أنــواع البيانات التى ستجمعها مــن ناحية، والاعتبارات العملية لاختيار طرق جمع البيانات التى ستمكنك من ذلك من ناحية أخرى. وتعرض الفصــول من الثالث إلى التاسع من الباب الثالث تفصيلا لطرق جمع البيانات، وننصح القارئ بمراجعتها والتعرف على كل طريقة تنوى استخدامها قبل اتخاذ قرارك النهائى فى هذا الشأن.

كمــا أن اختيار الطرق هو قــرار عملى، وبراجماتى أيضــا إلى حد ما. ذلك أن جميــع الباحثين يؤدون عملهم البحثى بموارد محدودة، وتتفاوت مستوياتهم المهارية، كمــا تختلف قدرتهم على الوصول إلى بعض مصــادر البيانات. وإذا كنت طالبا تقوم ببحــث علمى فسيكون عليك أن تختار الطرق التى ستستخدمها فى ضوء الموارد المتاحة - خاصــة الوقــت والمال - ومــا تتمتع به من مهــارات، وقدراتك علــى الوصول إلى مصادر البيانات.

استخدم القائمة الواردة أدناه فى برواز "بحثك" لتساعدك على التفكير فى الطرق التى قد تستخدمها.

بحثك

التفكير فى أسئلة بحثك: ما نوع البيانات التى يمكن أن تجمعها وتعالجها؟

هل البيانات أولية أم ثانوية؟	نعم√
هل تم جمع المادة التى ستساعدك فى الإجابة على أسئلة بحثك بواسطة أشخاص آخرين؟	
• ما نوع تلك البيانات؟ • هل تستطيع الوصول إليها ؟ • هل تعرف كيف تم جمعها؟	
ملاحظة: إذا أردت معرفة المزيد عن استخدام البيانات الثانوية فارجع إلى قراءة الفصل التاسع من الباب الثالث.	
هل تستطيع جمع بياناتك بنفسك؟	
• هل تستطيع الوصول إلى الناس، أو المواقف، أو الحالات التى ستجمع منها بيانات بحثك؟ • ما طرق جمع البيانات التى تؤهلك مهاراتك ومواردك لاستخدامها؟ • هل تود تضمين بياناتك بيانات تأملية نقدية (تشمل أفكار الباحث وخبراته عن الموضوع)؟	
ملاحظة: اقرأ الفصل الثانى من الباب الثالث، وراجع الطرق التى سوف تستخدمها فى الفصول من الثالث إلى التاسع من الباب الثالث، مع ضرورة أن تأخذ فى الاعتبار مهاراتك ومواردك.	
هل البيانات منطوقة، أم مدونة، أم بصرية غير لفظية؟	
هل توجد مواد مدونة يمكنك استخدامها كبيانات مثل: وثائق السياسة الاجتماعية، ودفاتر اليوميات، وملاحظات الأخصائيين الاجتماعيين على تطور بعض الحالات؟	
• هل تستطيع الوصول إلى هذه البيانات؟ • هل تعرف كيف ولماذا تم إنتاج تلك المواد؟	
ملاحظة: راجع الفصلين الثامن والتاسع من الباب الثالث عن جمع البيانات الوثائقية والثانوية؟	
هل ستستطيع الحصول على إجابات مكتوبة عن أسئلتك؟	

ملاحظة : هل فكرت فى استخدام الاستبيانات فى جمع البيانات؟ راجع الفصل الثالث من الباب الثالث.	
هل هناك بيانات بصرية يمكن الانتفاع بها فى البحث؟	
• هل هناك بيانات يتم تناقلها بشكل غير لفظي؟ • هل من الممكن ملاحظة بعض الوقائع والأحداث؟ • هل هناك تسجيلات فوتوغرافية أو بالفيديو؟	
ملاحظة: هل فكرت فى استخدام طرق الملاحظة ؟ راجع الفصل السادس من الباب الثالث.	
هل تستطيع الوصول إلى الناس الذين يمكن أن يتحدثوا عن موضوع بحثك بطرق يمكن أن تساعدك على الإجابة على أسئلة بحثك؟	
ملاحظة : (راجع الفصلين الرابع والخامس من الباب الثالث إذا كنت تفكر فى استخدام المقابلات شبه المقننة أو جماعات المناقشة المركزة (البؤرية).	
فردى أم جماعة	نعم√
هل تريد جمع معلومات عن بعض الأفراد، أو منهم ؟	
• هل تحتاج إلى بيانات واقعية ،أو تتعلق بالاتجاهات والأفراد عن جماعات مختلفة من الناس؟ • هل لديك من المعلومات ما يسمح لك بتحديد الأفراد الذين تريد جمع بيانات منهم؟ • هل تملك الموارد التى تمكنك من جمع البيانات من عدد كبير من الناس (لنقل مثلا: أكثر من خمسين فردا)؟	
ملاحظة: اقرأ الفصل الثالث من الباب الثالث، وفكر فى استخدام الاستبيان الذى يستوفى المبحوث بياناته بنفسه.	
• هل تريد أن تجمع من الناس حكاياتهم، وخبراتهم وتصوراتهم؟ • هل تستطيع الوصول إلى أفراد لهم خبرات، وأفكار، وآراء تتعلق بموضوع بحثك؟	
ملاحظة: راجع الفصل الرابع من الباب الثالث، وفكر فى استخدام المقابلات شبه المقننة. وراجع الفصل السابع من الباب الثالث وفكر فى استخدام الصور القلمية الموجزة vignettes .	
هل أنت مهتم بأساليب الأفراد فى إطلاعك على خبراتهم وأفكارهم، أى على حكايتهم؟	
ملاحظة: هل فكرت فى جمع مادة سردية؟ راجع الفصل السابع من الباب الثالث.	

هل فكرت فى جمع معلومات من مجموعة من الناس، أو عنهم؟	
• هل هؤلاء الناس راغبون فى الحديث عن موضوع بحثك مع الآخرين؟ • هل أنت مهتم بأساليب مجموعات الأفراد في مناقشة موضوع بحثك؟ • هل بوسعك الوصول إلى مجموعات من الأفراد يمكن أن يكونوا من المبحوثين؟ • هل يتوفر لك من المهارات والموارد ما يسمح لك بتنفيذ مناقشة جماعية؟	
ملاحظة: راجع الفصل الخامس من الباب الثالث وفكر فى استخدام جماعات المناقشة المركزة (البؤرية) فى جمع البيانات.	

بعد أن تتأمل عددا من أدوات جمع البيانات المختلفة يتعين أن تعود إلى النظر فى أسئلة بحثك، وتفكر فى أفضل السبل للإجابة على تلك الأسئلة، أى : كيف ستجمع البيانات، ومتى ستقوم بتحليلها، بحيث يمكنك أن تبدأ – على الأقل – فى الإجابة على هذه الأسئلة. بعد أن تفرغ من اختيار الطرق، يجب أن تكون قادرا على تبرير هذا الاختيار فى ضوء أسئلة بحثك، وذلك لكى تثبت أنك قمت بالاختيار عن علم، وأنك على دراية بنقاط القوة ونواحى القصور فى الطرق التى اخترتها. لاحظ أن الفصول من الثالث إلى التاسع من الباب الثالث يمكن أن تعينك فى هذه المهمة.

بحثك

دوّن فى جدول كالتالى أسئلة بحثك الرئيسية والفرعية، أو فروض البحث، وأمام كل منها اكتب نوع البيانات التى سوف تجمعها للإجابة على السؤال أو اختبار الفرض، ثم دون فى العامود الثالث طريقة جمع البيانات التى تنوى استخدامها:

أسئلة البحث	أنواع البيانات	طرق جمع البيانات
1		
2		
3		
4		
5		

المراجع وقراءات للاستزادة

Bryman, A. (2006) Integrating quantitative and qualitative research: how is it done? *Qualitative Research*, 6: 97-113 (online version available at: http://qrj.sagepub.com/cgi/content/abstract/6/1/97).

Burke Johnson, R. and Onwuegbuzie, A. J. (2004) Mixed methods research: a research paradigm whose time has come, *Educational Researcher*, 33(7): 14-26.

Creswell, J. W. (2003) *Research Design: Qualitative, Quantitative and Mixed Methods Approaches*, 2nd edn, London: Sage.

Foss, C. and Ellefsen, B. (2002) The value of combining qualitative and quantitative approaches in nursing research by means of method triangulation, *Methodological Issues in Nursing Research*, 40(2): 242-8.

Plano, V. L. and Cresswell, J. W. (eds) (2008) *The Mixed Methods Reader*, London: Sage.

Silverman, D. (2004) *Qualitative Research: Theory, Method and Practice*, 2nd edn, London: Sage.

Whyte, W. F. (1993) *Street Corner Society: Social Structure of an Italian Slum*, 4th edn, Chicago University Press.

الفصل الخامس
اختيار العينة

محتويات الفصل

- طرق اختيار العينة.
- اختيار طريقة المعاينة .
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

نتناول فى هذا الفصل أساليب تحديد نوع البيانات التى تنوى جمعها لبحثك. ونادرا ما نكون فى وضع يسمح لنا بجمع بيانات من جميع الحالات، والسياقات، والمواقف التى تتعلق بأسئلة بحثك. فإذا كنا ننوى اختيار بعض مصادر البيانات الممكنة - سواء كانوا أفرادا، أو وثائق، أو حالات - فإنه يتعين اتخاذ بعض القرارات الخاصة بكيفية عمل ذلك. ولا يوجد سوى فى التعداد السكانى الذى يجرى كل عشر سنوات بيانات تجمع عن كل فرد من سكان المملكة المتحدة. وحتى فى حالة التعداد توجد بعض الجماعات التى تستبعد عادة، كالمشردين مثلا. أما إذا كنت تستخدم بيانات ثانوية أو بيانات وثائقية، فإنه يتعين عليك - مع ذلك - إن تفكر فى كيفية اختيار ما تريد أن تضمنه منها فى بحثك، وأن تكون على وعى بأن هناك آخرين - سواء كانوا باحثين أو موظفين مثلا - قد قرروا من وماذا ستتضمنه تلك البيانات أو الوثائق. ويمكن القول - على وجه الإجمال - إن هناك طريقتين لأداء تلك المهمة: إما عينة احتمالية أو عينة عمدية. ويتوقف اختيار أحدهما على طبيعة سؤال بحثك، والبيانات التى تنوى جمعها، وما إذا كانت البيانات التى ستجمعها كمية أو كيفية (أو كمية وكيفية معا). ومع أن الاتجاهين مختلفين اختلافا بعيدًا، إلا أننا يمكن أن نعتبرهما طرفى متصل واحد، وقد تتبين أن عليك أن تستخدم مزيجا منهما معا، خاصة إذا كنت تستخدم مزيجًا من طرق جمع البيانات.

تعنـــى عملية المعاينة اختيـــار بعض الحالات من مجموعة أكـــبر من الحالات التى يحتمـــل دراستها. ويرتبط أسلوب المعاينة الذى سنستخدمه ارتباطا وثيقا بطبيعة تصميم البحث الذى اخترناه، وكذلك بطرق البحث التى سنستعملها. ولهذا ستأتى الإشارة فى ثنايـــا هذا العرض لأنواع تصميم البحث وطرق البحـــث المختلفة التى سبق أن تناولناها فـــى الفصلـــين 3 و 4 من هذا البـــاب. وعلى امتداد هذا العرض ســـوف نستخدم دراسة الأنشطة التطوعية كأساس للأمثلة التى نناقشها.

مثال (5-1)

هل التطوع هو الأنسب لك؟

التطوع نوع من النشاط يقوم على إنفاق الوقت، والمشاركة بلا مقابل، وعمل أشياء تستهدف خدمة البيئة أو بعض الأفراد أو الجماعات التى لا ترتبط بالمتطوع بعلاقـــة قرابـــة وثيقة (أو التى قد تضـــم أحيانا بعض الأقـــارب). (نقلا عن: لجنة مستقبل التطوع، 2008).

وقـــد انتهـــى التقريـــر الذى أُعـــد لمكتـــب القطاع التطوعـــى فى رئاســـة مجلس الـــوزراء (البريطانية) بمعرفة المركز القومى للبحـــوث الاجتماعية ومعهد البحث التطوعـــى؛ انتهى إلى أنه فـــى عام 2007 كان ثلاثة أخماســـ عينتهم المختارة من إجمـــالى مجتمع بحثهـــم قد شاركوا فى أنشطـــة رسمية فى إطـــار منظمة ما، وأن الخُمسين الباقيين مارسوا هـــذه الأنشطة التطوعية مرة واحدة شهريا على الأقل. وقد أفاد المتطوعون الذين تمت دراستهم بأن المزايا التى عادت عليهم من التطوع تمثلت فى: الاستمتـــاع، والشعور الشخصى بالإنجـــاز، والإحساس بالرضا بعد رؤية نتائج أنشطتهم التطوعية. وقرر 51 % منهم أن العمل التطوعى جعلهم أقل إحساسًـــا بالضغوط والمشقة، بينما صرح 44 % أنه قـــد صحتهم البدنية (لو Low وزملاؤه، 2007).

كما أننا سنضع نصب أعيننا طوال هذا الفصل أن الوقت وغيره من موارد البحث تمثل عوامـــل مهمة فى التأثير على اختيار طرق جمع البيانـــات وأساليب اختيار العينة

(المعاينة). ذلك أن البحث يمكن تنفيذه على مستويات شتى مختلفة، ويسهم فيه الباحثون بقدر وافر متنوع من الإمكانيات المهارية، والوقت، والدعم المالى. وهدفنا هنا أن نزودك ببعض الإرشادات المتعلقة باختيار أسلوب المعاينة بالنسبة لطالب جامعى يجرى بحثا كجزء من مقرراته الدراسية. ولكننا سنشير - علاوة على ذلك - إلى أمثلة لبعض البحوث ذات الحجم الضخم والموارد الوفيرة. ومن شأن ذلك أن يزودك بفهم أفضل لبعض البحوث الأخرى التى ربما تقرأ عنها أو تستخدمها كجزء من دراستك.

بحثك

اختبار جودة البحث من حيث إمكانية تعميم نتائجه وتحويلها إلى مجتمع بحث آخر

من أول الأسئلة التى يتعين عليك الإجابة عنها عند التفكير فى كيفية اختيار مصادر بيانات بحثك هو: كيف سنستخدم تلك البيانات بعد أن نفرغ من جمعها؟

1 - هل نريد من تلك البيانات التى نحصل عليها من العينة أن تدلنا على مجمل مجتمع البحث الذى سحبت منه تلك العينة؟ فإذا كنا - مثلا - نجمع بيانات عن تلاميذ المدارس، فهل نسعى إلى أن يكون بإمكاننا أن نثبت أن البيانات التى جمعناها من العينة التى اخترناها يمكن **تعميمها** على تلاميذ المدارس **كافة**، بمعنى هل يحتمل أن تشبه بيانات جميع تلاميذ المدارس فى المملكة المتحدة، أو فى مدينتنا المحلية، أو تلاميذ المدارس الحكومية فقط؟

2 - هل نريد أن نكون قادرين على جمع بيانات من شأنها أن تقودنا إلى التعرف بعمق على خبرات، أو آراء، أو سلوكيات جماعة بشرية معينة، أو حالات أو مواقف بالذات؟ فهل نحن نسعى - مثلا - إلى طرح أسئلة عن كيفية تأثير بعض الظروف التربوية المعينة على سلوكيات فئات خاصة من التلاميذ؟ فى مثل هذه الحالة يجب أن نأخذ فى الاعتبار إلى أى مدى يمكن **تحويل** ما سننتهى إليه من نتائج للدلالة على بعض الظروف أو السياقات الأخرى المشابهة.

وسوف نأخذ تلك الأسئلة فى الاعتبار بالنسبة لكل طريقة من طرق اختيار العينة التى سنعرض لها فيما يلى.

ملاحظة مهمة: على الرغم من أننا سنشير طوال هذا الفصل عادة إلى أمثلة تقوم علـى اختيار **أفراد** للمشاركة فى البحث (كمبحوثين)، فـإن أغلب ما نعرضه هنا يصلح كذلك لاختيار **حالات**، أو **وثائــق**، أو **فترات** زمنية أو ظروف للملاحظة. فالاختيار يمثل - دائمًا - جزءًا من تصميم البحث، ولا بد أن تكون على وعى بالمعايير والأساليب التـى تستخدمها عندمـا تقرر جمع البيانات من أى مصادر. وتـزودك الفقرات المعنية بذلك من الفصل 3 من الباب 3 ومن الفصل 3 من الباب 4 ببعض المعلومات التى يجب أن تأخذها فى اعتبارك علاوة على ما يعرضه هذا الفصل.

طرق اختيار العينة

قمنـا فى الشكل (5-1) بترتيب الطـرق المختلفة لاختيار العينة على شكل متصل. فعلـى أحد طرفى المتصل نجد طرق المعاينة التى ترتكز على النظرية الإحصائية، وهى الطرق التى تسعى إلي اختيار عينة يمكن القول بأنها ممثلة أشد تمثيل لمجتمع البحث كله - أو لكافة الحـالات المحتمل دراستها - وذلك وفقا للمعايير المرتبطة بالموضوع، وهى **العينـات الاحتمالية** (انظر قائمة المصطلحات). وعلى الطرف الآخر من المتصل توجد طـرق المعاينة التى تقوم على اختيار عدد مـن الحالات (أقل عددا فى العادة) التى تتيح للباحث أفضل فرصة لدراسة أسئلة بحثه بشكل متعمق، وتسمح له بمعالجة البيانات التى تم جمعها لبلورة بعض الأفكار النظرية والكشف عن أبعادها، وهى: **العينات العمدية**، و**العينات النظرية** (انظر قائمة المصطلحات).

العينات الاحتمالية		العينات غير الاحتمالية			
العينة العشوائية	العينة العشوائية الطبقية	العينة الحصية	عينة كرة الثلج	العينة العمدية	العينة النظرية

الشكل (5-1) متصل يستعرض مختلف طرق المعاينة

المعاينة الإحصائية، أو اختيار عينة احتمالية

مـن طرق المعاينة استخدام حساب الاحتمـالات أو النظرية الإحصائية لمساعدتك

على اختيار عينة ممثلة **لمجتمع البحث** (انظر قائمة المصطلحات) الذى يتم انتقاؤها منه. وأكثر مناسبات استخدام هـذه الطريقة عند تصميم بحث تجريبى أو مسحى (الفصل 3) وعندمـا تكون البيانات التى سيجرى جمعهـا ذات طبيعة كمية. ومن شأن اختيار عينة بهذه الطريقة أن تتيح للباحث فرصة القيام بتحليل إحصائى للبيانات (الفصل3 باب 4).

ما : مجتمع البحث؟

يشير مجتمع البحث من الناحية الإحصائية إلى مجموع عدد الحالات التى يمكن اعتبارها مفردات لدراستها فى البحث. وهكذا يمكن أن يكون مجتمع البحث مثلا:

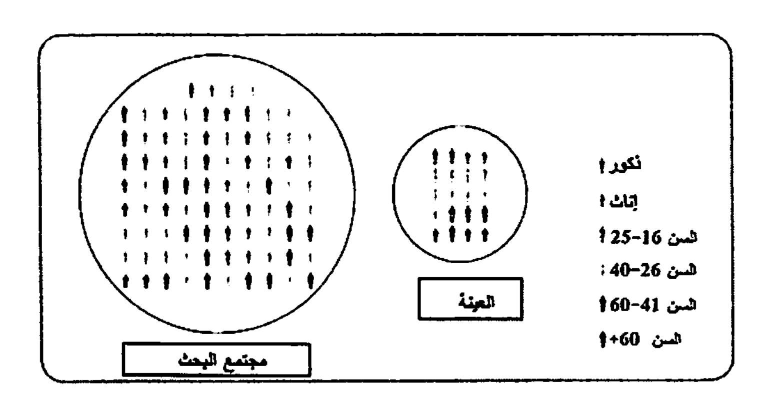
- جميع الناس الذين يعيشون فى دولة معينة.
- جميع الطلاب الذين يدرسون فى جامعة معينة.
- جميع الطلاب المقيدين بقسم الاجتماع فى إحدى جامعات المملكة المتحدة فى وقت معين.
- جميـع المقـالات الصحفية التى نشرت فـى المملكة المتحدة التـى تتناول موضوع تطوع الطلاب الجامعيين (لأداء خدمات عامة) خلال شهر معين.

أما السمات الأساسية للعينة الاحتمالية فهى كما يلى:

- تتـاح لكل عضو فى مجتمع البحث فرصـة معروفة (وتكون متكافئة عادة) لكى يتم اختيـاره ضمن العينة. ويفترض ذلك أن يكون أفـراد مجتمع البحث معروفين، أى يمكـن تحديد هوية كل فرد منهـم والوصول إليـه، وإذا لم يتوفر هذا الشرط الأساسى فلا بد فى هذه الحالة من تبنى استراتيجيات أخرى للمعاينة.
- يتم اختيار كل فرد من أفراد العينة عشوائيا، ولا يمكن التنبؤ سلفا بمن سيقع عليه الاختيار ضمن العينة.
- تختار العينة عادة لكـى تكون ممثلة لمجتمع البحث طبقا لبعض السمات الأساسية المعروفـة، كالعمر، والنوع، والوضع الاقتصادى الاجتماعى... إلخ، ذلك من متغيرات ترتبط بالموضوع الذى يتناوله البحث.

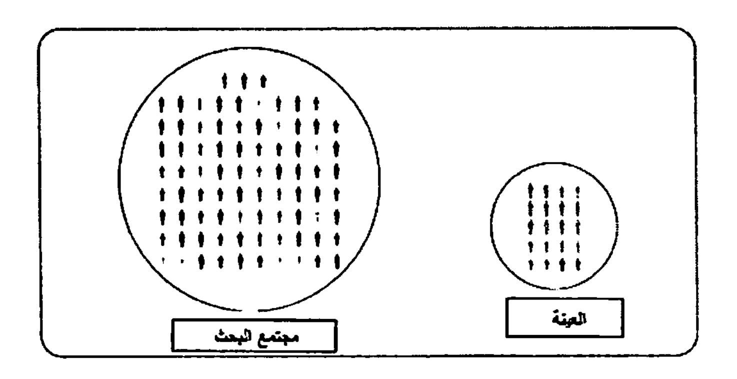
العينات العشوائية والعينات الطبقية

فى العينة العشوائية يكون لكل حالة فرص اختيار متكافئة. إلا أن العينة العشوائية قـد تتضمـن -وقد لا تتضمـن- بعض الحـالات (أى مفردات البحـث) ذوى السمات الخاصة بنفس النسب التى توجد بها فى مجتمع البحث.



شكل (5-2) اختيار عينة عشوائية من مجتمع بحث

يضم رجالا ونساء تزيد أعمارهم عن 16 سنة (أ)



شكل (5-3) اختيار عينة عشوائية من مجتمع بحث

يضم رجالا ونساء تزيد أعمارهم عن 16 سنة (ب)

فقد تتضمن العينة – مثلا – الفئات العمرية فى مجتمع البحث، وفئتى الذكور والإناث بنسب متساوية (ولكنها قد لا تكون دقيقة كل الدقة). فقد تتجاهل أو تخفض تمثيل أحد النوعين فى بعض الفئات العمرية. معنى ذلك أن العينة العشوائية **يحتمل أحيانا** أن تنتهى إلى هذه النتيجة. ولا شك أن ذلك الوضع يمكن أن يكون له تأثيره على البحث، الذى يستهدف تصميمه – مثلا – دراسة الخبرات المختلفة لكل من الرجال والنساء فى فئتى العمر من 16–25 سنة، ومن 41–65 سنة، وذلك لأن تمثيل إحدى الفئتين كان أقل من نسبة تواجده فى مجتمع البحث.

حقيقة أن احتمال اختيار عينة غير ممثلة لمجتمع البحث – على هذا النحو – احتمال ضئيل، إلا أننا يجب أن نضعه فى اعتبارنا (كما سنبين أدناه). ولكى نحسّن مستوى تمثيل العينة نستطيع الاستعانة بنوع من أنواع **التدرج الطبقى** (انظر قائمة المصطلحات)، مع الحرص على أن تتاح لكل أفراد مجتمع البحث فرص متكافئة للاختيار ضمن العينة.

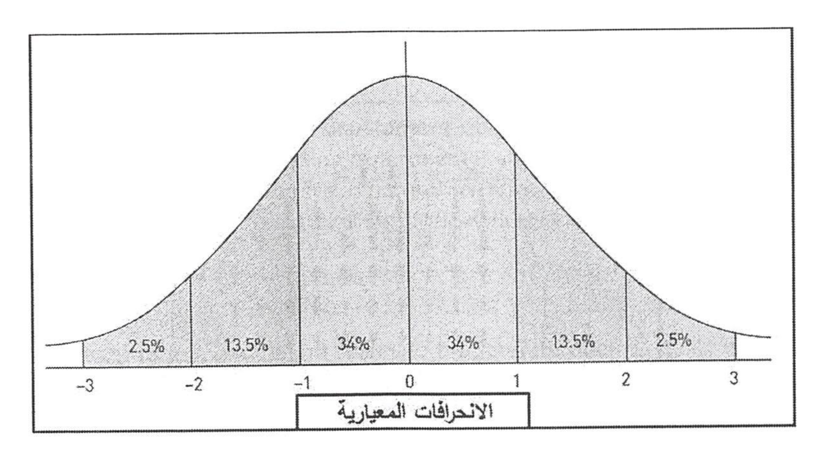
فكر فى هذا الموضوع . . .

الاحتمال الإحصائى لاختيار عينة من مجتمع البحث

هناك عدد من الأساليب الاحتمالية لاختيار عينة مقدارها عشرين فردا من بين مائة فرد. وتزداد الاحتمالات إذا كان حجم مجتمع البحث أكبر من ذلك بكثير، فهناك مثلا طرق أكثر كثيرا لاختيار ألف فرد من بين خمسين مليون فرد. ومن الممكن استخدام نظرية الاحتمال الإحصائية لإثبات أن غالبية هذه العينات تشبه إلى حد بعيد خصائص مجتمع البحث. فإذا وجدنا مثلا فى عينتنا أن الناس الذين لم يترددوا كثيرا على طبيبهم المعالج يقومون – فى المتوسط – بمهام تطوعية بمعدل خمس مرات فى العام، فما هو الاحتمال بالنسبة لإجمالى أفراد مجتمع البحث الذين لا يترددون كثيرا على طبيبهم (وذلك من واقع قوائم أسماء المترددين على عيادات الأطباء) ويقومون بمهام تطوعية خمس مرات فى العام؟

وباستخدام نظرية الاحتمال الإحصائية نستطيع القول إننا إذا تأملنا عددا كبيرا من العينات المختارة بطرق مختلفة من نفس مجتمع البحث، فسوف نتبين أن توزيع متوسط (أو الوسيط الحسابى) المهام التطوعية هو توزيع اعتدالى. ويتخذ منحنى التوزيع الاعتدالى

- الـوارد فى الشـكل (5-2) - شكل الجرس . فإذا افترضنا أن المتوسط فى مجتمع البحث يقـع فى أعلى نقطة فى منحنى الجرسـ (بمعنى أنه يطابق أعلى أرقام متوسطات العينة)، عندئذ نستطيع القول إن متوسط العينة التى اخترناها سوف يقع بين الانحرافين المعياريين عن نقطة المركز فى 95 % من الحالات . **والانحراف المعيارى** (انظر قائمة المصطلحات) مقياسـ إحصائى يقيس كيفيـة توزيع الحالات - التى هى فى مثالنـا متوسط كل عينة من عيناتنا - حول الوسط الحسابى (الذى هو فى هذه الحالة الوسط الحسابى لمجتمع البحث).



شكل (5-4) التوزيع الاعتدالى

بحثك

يمكـن للطلاب الذين يريدون الاستزادة من فهم الأساليب الإحصائية للمعاينة (اختيار العينات) الرجوع إلى الكتاب التالى:

D.B. Wright and K. London (2009) First (and Second Steps in Statistics، 2nd edn. London: Sage.

مثال 5-2

المعاينة: خدمات التطوع والصحة

أرادت إحدى الطبيبات دراسة العلاقة بين النشاط التطوعى والصحة الجسمانية والنفسيــة عند الكبار تحــت سن الخامسة والستين. وكانت قــد علمت بوجود بعض البحوث التى توضح أن الناس الذين يؤدون خدمات تطوعية يكونون أكثر صحة. ولذلــك أرادت أن تعرف مَنْ مِنْ مرضاها يــؤدى خدمات تطوعية، ولكن لم يكن لديها من الإمكانيات ما يسمح لها بإجراء دراسة مسحية تشملهم جميعًا.

وقــد راودتها فكرتان عن كيفية اختيــار عينة من مرضاها البالغ عددهم خمسة آلاف مريض:

أ - خطــر لها أن تطلب من مديــر عيادتها قائمة بأسماء جميع مرضاها - مرتبة أبجديــا - الذين تتراوح أعمارهم بين 16-65 سنة، وتقوم باختيار 500 (واحد من كل عشــرة) مريض عشوائيا باستخدام جداول الأرقام العشوائية التى تحدد من يتم اختيارهم فى العينة (جداول الأرقــام العشوائية هى قوائم الأرقام مختارة عشوائيا بواسطة الحاسب الآلى عادة).

ب - كمــا خطــر لها أن تصممــم استبيانا، ثــم تطلب من موظــف الاستقبال فى عيادتها أن يوزع الخمسمائة استبيان لأول خمسمائة مريض ممن تتراوح أعمارهم بين 16-65 سنة الذين يترددون على المستشفى خلال شهر معين.

فأى هاتين الفكرتين (أ) و (ب) يمكن أن يعد عينة عشوائية؟

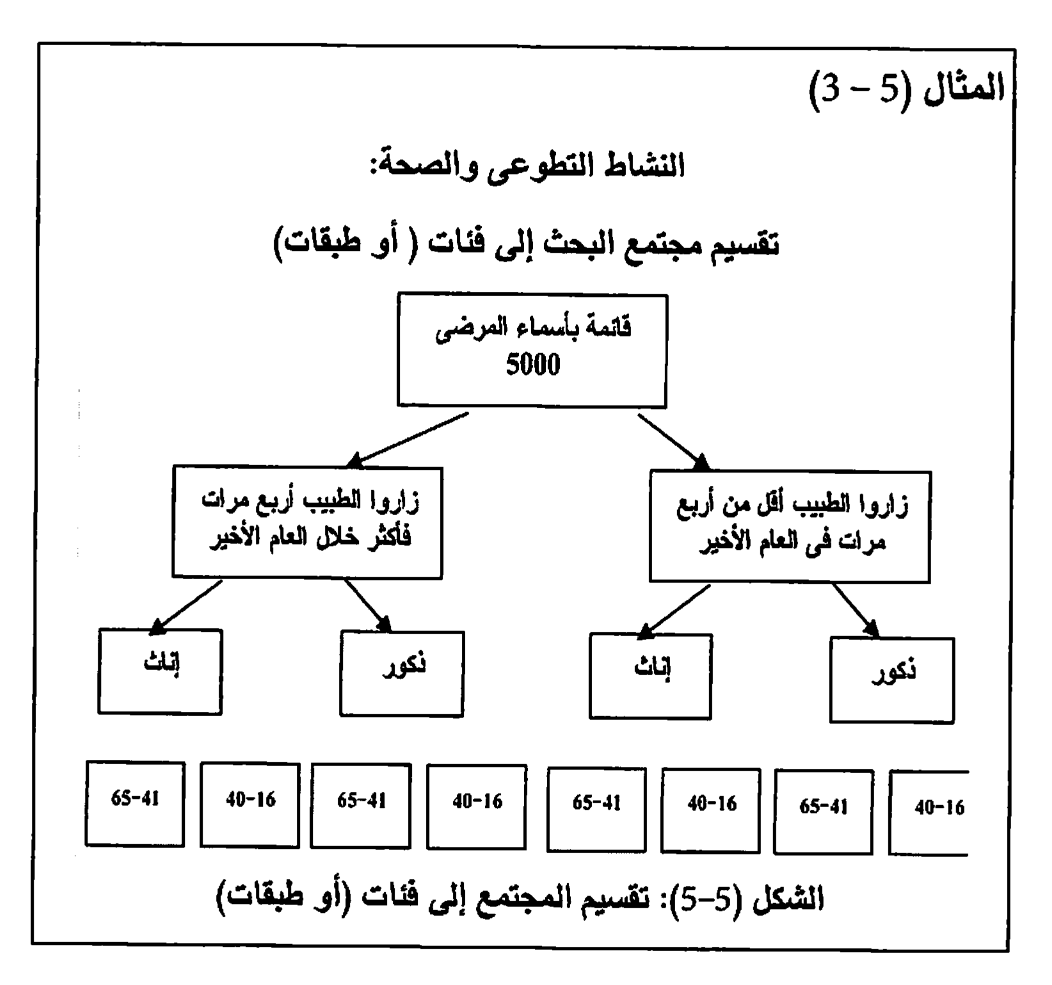
وقــد سلفت الإشارة فى المثــال (2-5) إلى أن الفكرة (أ) هى إحدى الطرق الجيدة لاختيــار عينة عشوائية، ولو أنها قد لا تكون أفضل الطرق للحصول على عينة ممثلة، كمــا ســنرى فيما بعد. ولكن لننظــر أولا فى عيوب الفكرة (ب). فعلــى الرغم من أننا لا نستطيــع التنبؤ بأول خمسمائــة مريض يزورون المستشفى، فــإن المهم أن المرضى بأمراضــ مزمنة، أو غيرهم ممــن يضطرون إلى التردد علــى طبيبهم بصفة دورية؛ سيكــون لهؤلاء جميعًا فرصــة أكبر لأن يُختاروا ضمن العينة مــن المرضى الذين تندر

زيارتهم للطبيب. ونظرا لأن البحث يحاول التمييز بين الناس من واقع الصحة البدنية والنفسية، أو المرض البدنى النفسي؛ من هنا لن تكون مثل هذه العينة ملائمة لاختيار الأفراد الذين ستتم دراستهم فى هذا البحث.

والآن ننتقل إلى تأمل الأسلوب (أ) فى اختيار العينة بشكل متعمق فى ضوء سؤال البحث. الباحثة هنا مهتمة بالناس الذين يتطوعون والذين لا يتطوعون، ومهتمة بحالتهم الصحية. والمعلومات المتوفرة لديها عن الموضوع دفعتها إلى الاعتقاد بأن هناك فروق بين الناس فى هذا الأمر تبعا لأعمارهم، ونوعهم، وربما أيضا انتمائهم الإثنى. كما تعلم الباحثة أن معظم الشباب يتمتعون بصحة جيدة، وأن الناس تتراجع ظروفهم الصحية مع تقدمهم فى العمر. ولكى تستطيع الإجابة على تلك التساؤلات يجب أن تتأكد من أن العينة التى ستختارها سوف تشتمل على كل هذا الخليط المتباين من الناس. ولكى تحقق هذا يتعين عليها أن تعرف المزيد عن ظروف أفراد مجتمع البحث، وذلك لكى تستطيع اختيار عينة ممثلة لمجتمع البحث من ناحية تلك السمات.

ولكى تفعل الطبيبة ذلك يجب أن تعرف أولا نسبة كل فئة من تلك الفئات بين مرضاها أى: مجتمع البحث. وقد تبدأ ذلك بعمل رسم بيانى تخطيطى. والمهم أن نلاحظ هنا أنها قررت أن تستخدم **تعريفا تقريبيا** (انظر قائمة المصطلحات) للصحة، وذلك بتقسيم مرضاها – أو مجتمع البحث – إلى مجموعتين: الأولى هى التى لا تتردد بكثرة على الطبيب، والأخرى هى التى يتردد أفرادها على الطبيب بكثرة. وقد استخدم هذا التعريف التقريبى كبديل للأسلوب المفصل والدقيق لتعريف الصحة، وذلك كوسيلة للتأكد من أن العينة تشتمل على شتى فئات الأفراد الذين تحتاج إلى الوصول إليهم للإجابة على أسئلة بحثها.

المثال (5 – 3)



الشكل (5-5): تقسيم المجتمع إلى فئات (أو طبقات)

وهكذا يجب أن تضم العينة نسبا من كل فئة تماثل نسبتها فى مجتمع البحث. مثال ذلك: إذا كان مجتمع البحث يضم 500 سيدة فى الفئة العمرية 41–65 قمن بزيارة الطبيب أقل من أربع مرات خلال العام الأخير: فسيكون الوضع كالتالى:

$$500 = \frac{500 \times 500}{5000}$$

معنى هنا أن العينة يجب أن تضم 50 سيدة من هذه الفئة. وهنا يمكن اختيار هؤلاء السيدات عشوائيا من قائمة أسماء الخمسمائة سيدة أفراد هذه الفئة.

فكر فى هذا الموضوع . .

إذا كان هناك 300 رجلا فى الفئة العمرية 16-40 يترددون بكثرة على الطبيب، فما العدد الذى يتعين اختياره منهم ليدخل ضمن عينة قوامها 500 حالة؟

وما الحل إذا لم يكن هناك سوى 30 رجلا فقط فى هذه الفئة العمرية الذين يترددون بكثرة على الطبيب؟

وهل تعتقد أن الرقم الذى ستتوصل إليه سيكون عينة كافية لتمثيل هذه المجموعة؟

رأينا فى هذا المثال أن مجتمع البحث قد قسم إلى فئات (أو طبقات) على ثلاثة مستويات، بحيث تستطيع الطبيبة - الباحثة - اختيار العينة التى يمكن أن تساعدها فى الإجابة على تساؤلات بحثها. وكانت مستويات التقسيم الثلاثة المستخدمة كما يلى: 1 - كثرة - أو قلة - التردد على الطبيب، 2- النوع (ذكور)، 3 - العمر .

المثال (5-4)

النشاط التطوعى والصحة

كانت الطبيبة مهتمة كذلك بالتعرف على خبرات الأفراد الذين ينتمون إلى اثنتين من الجماعات الإثنية بين المرضى. وكانت إحدى هاتين الجماعتين تعيش فى المنطقة منذ سنوات بعيدة، بينما كان أفراد الجماعة الإثنية الأخرى من المهاجرين حديثا إلى المنطقة منذ سنة أو نحو ذلك. وقد لاحظت أن هويتهم الإثنية مسجلة على تذاكرهم الطبية داخل العيادة. ولا تمثل كل جماعة منهما سوى نسبة مئوية ضئيلة من إجمالى عدد المرضى المترددين على العيادة (يمثل جميع أفراد الجماعتين حوالى 5 %، أو 250 حالة). ويعنى ذلك أن عينتها المبدئية سوف لا تضم - على الأرجح- سوى عدد قليل من كل جماعة. لهذا قررت الطبيبة أخذ عينة إضافية تتكون من أفراد هاتين الجماعتين الإثنية. وهنا اختارت نسبة أعلى من العدد الإجمالى لهاتين الجماعتين - بواقع 1 من كل 2، أى 50 % من مجتمع البحث - لكى تضمن الحصول على عينة كبيرة تسمح لها أن تحلل نتائجها فى ضوء نفس متغيرات عينتها الكبرى، وهما: العمر، والنوع.

ولكنهــا لا تستطيع – عندما تصل إلى مرحلــة تحليل البيانات – أن تضم العينتين معا، وذلك لأن العينتين قد سحبتا باستخدام **كسور معاينة** (انظر قائمة المصطلحات) متباينــة، ولأن المرضى من الجماعتــين الإثنية كانت لديهم فرصة الاختيار فى كلا العينتــين. وكان بوســع الطبيبة أن تحلل بيانــات كلا العينتــين، وأن تعرض نتائج كل منهمــا على حــدة، والمقارنة بين نتائج كلا العينتين باستخــدام النسب المئوية وليس الأعداد الخام.

وكان ثمة بديل – أو حل إضافى – يتمثل فى اختيار عينتين على النحو التالى:

(أ) أن تختار كسر معاينة بواقع 1 من كل 10 من إجمالى عدد مجتمع البحث بعد استبعاد أفراد الجماعتين الإثنية منه.

(ب) اختيار كسر معاينة من الجماعتين الإثنية بواقع 1 من كل 2.

وفــى هذه الحالــة تقوم الباحثــة بتحليل كل عينة علــى حدة، ثــم المقارنة بينهما باستخــدام النسب المئوية. ولكى تحلل الطبيبــة العينتين معا كممثلين لمجتمع البحث، يتعين عليها أن تخفض الوزن النسبى للعينة (ب). ولكى تفعل ذلك سيكون عليها أن تقسم أى نتيجة من العينة (ب) بواقع ـ= 5، وذلك على أساس أن مرضى الجماعتين الإثنيــة تتضاعف احتمالات اختيارهم ضمن عينة خمسة أضعاف احتمالات اختيار سائر المرضى.

جدول (5-1) بيانات عينة النشاط التطوعى والصحة

النوع	(١) بيانات العينة (أ)	(٢) بيانات العينة (ب)	(٣) البيانات المعدلة من العينة (ب) بيانات العمود ٢ مقسومة على ٥	(٤) إجمالى العينة(أ) والبيانات المعدلة للعينة (ب) مجموع العمودين ١+٣
ذكور	٢٢٥	٧٥	١٥	٢٤٠
إناث	٢٥٠	٥٠	١٠	٢٦٠
إجمالى العينة	٤٧٥	١٢٥	٢٥	٥٠٠

لاحــظ أن البيانات التى تم جمعها من **جميع** أفراد العينة قد استخدمت بعد تعديل وزنها. وحذار أن تعمد إلى اختيار – مثلا – 25 حالة من إجمالى الجماعتين الإثنية الـ 125 وتستبعد الباقين.

وهكـذا نرى أن العينات الطبقية يمكن أن تستخدم أيضا لتمكين الباحثين من توفير الوقت والموارد المطلوبة، خاصة فى المسوح الضخمة القائمة على المقابلة، وهى البحوث التى تختار عيناتها من منطقة جغرافية واسعة. لهذا تتبنى هذه الطريقة فى المعاينة أغلب المسـوح الضخمة التى تجريها الهيئات الحكومية، على نحـو ما يوضح برواز «البحث الواقعـى» أدناه. ففى هذا البحـث - المثال - عمد الباحث فى البدايـة إلى اختيار بعض الأحيـاء (أى وحـدات الإدارة المحليـة، التى تمثل فى نفس الوقـت مناطق جغرافية). وبفضل إجراء هذا الاختيار فى البداية، ضمن الباحثون ألا تأتى عينة بحثهم مبعثرة **فى كل** منطقة مـن مناطق انجلترا وويلز. وتسمى مثل هذه العينة: **العينة العنقودية** (انظر قائمـة المصطلحات)، لأن العينة فى هـذه الحالة تشبه العناقيد (أى المناطق الجغرافية فى هذا المثال)، الأمر الذى يوفر الوقت والموارد اللازمة للوصول إلى الحالات المختارة. والحقيقة أن العينة الطبقية - كما سترى فى برواز «البحث الواقعى» - يمكن أن تكون شديـدة التعقيـد. فقلة قليلة فقط مـن الباحثين هى التـى تستطيع تدبـير الوقت والموارد اللازمـة لتصميم عينة بمثل هذه الضخامة والتعقيد والوصـول إلى أفرادها. ومع ذلك يوضح المثال المعروض مختلف الأسس والمراحل الداخلة فى عملية اختيار العينة الطبقية التـى يمكن أن تناسب الباحث الطالب الذى يسعى إلى اختيار عينة ممثلة من بين مجتمع بحث محدد الملامح والسمات .

البحث الواقعى

مسح المواطنة للعام 2005

طلبت وزارة الداخلية (البريطانية) إجـراء مسح المواطنة لعام 2005 للوقوف علـى آراء السـكان فى انجلترا وويلز حـول عدد من المسائل. وشمـل المسح أسئلة عن أحـوال المجتمع المحلـى، والتمييز العرقـى والدينى، والأنشطـة التطوعية، والحقـوق، والمسئوليـات. وقـد تم استيفـاء الاستبيانات خلال مقابـلات مباشرة أجراهـا بعض الباحثين من المركز القومى للبحـوث الاجتماعية. ويمكن الاطلاع على التقرير الفنى للبحث على الموقع التالى:

www.communities.gov.uk/publications/

communities/2005citizenship serveytechnical

(تاريخ آخر دخول على الموقع 21 يوليو 2009).

أما نتائج البحث فيمكن الاطلاع عليها على الموقع التالى: www.communities.gov.uk/publications/communities/2005citizenship surveycross

(تاريخ آخر دخول على الموقع 21 يوليو 2009).

العينة

عينة ممثلة على المستوى القومى قوامها 10.000 بالغ من انجلترا وويلز، وعينة إضافية قوامها 4.500 فرد من جماعات الأقليات الإثنية.

كيف تم اختيار العينة؟

تم اختيار عينة من العناوين من سجل عناوين هيئة البريد على مرحلتين:

1 - اختيار عينة عشوائية قوامها 663 حيا من واقع إحصائيات التعداد.

(أ) قبل الاختبار تم تصنيف الأحياء إلى ثلاث مجموعات وفقا للنسبة المئوية لجماعات الأقليات الإثنية فى كل حي (أقل من 1 %، 1-18 %، أكثر من 18 %).

(ب) فى إطار هذه المجموعات تم تصنيف الأحياء وفق التقسيم الإدارى الحكومى.

(جـ) فى كل قسم إدارى حكومى تم تصنيف الأحياء إلى ثلاث مجموعات على أساس النسبة المئوية لأرباب الأسر الذين يعملون بمهن غير يدوية.

(د) وأخيرا تم داخل كل مجموعة أحياء، تصنيف الأحياء وفقا لنسبة الذكور العاطلين فى الحى.

(هـ) بعد ذلك تم اختيار الـ663 حيا عشوائيا من واقع القائمة المصنفة طبقيا (أو فئويا) على هذا النحو، مع مراعاة أن يكون الإدراج ضمن العينة متناسبا مع عدد العناوين فى كل حى.

2 – تم داخل كل حى وقع عليه الاختيار، اختيار 25 عنوانا بطريقة عشوائية.

(أ) إذا كان العنـوان المختار يضم أكثر من وحدة معيشية (أسرة)، كان الباحث القائم بالمقابلة يختار ثلاث وحدات معيشية لمقابلتها، وفق أسلوب منهجى منظم.

(ب) كان يتم اختيار شخص واحد يبلغ عمره 16 عاما أو أكثر بطريقة عشوائية مـن كل أسرة، وذلـك بمعرفة الباحث القائـم بالمقابلة، وذلك أيضـا وفق أسلوب منهجى منظم.

أما العينة الإضافية من جماعات الأقليات الإثنية فقد اختيرت على النحو التالى:

1 – استخدمـت فى اختيار هـذه العينة الأحياء التى تسكنها نسب عالية نسبيا من الأقليات الإثنية (أكثر مـن 18 %)، والتى تسكنها نسب متوسطة من هذه الأقليات (من1 – 18 %).

(أ) فـى كل الأحياء المتوسطـة الكثافة، كان العنوانـان السابقان والتاليان على العناويـن المختارة يتـم اختيارهما للفحص والتأكد من وجـود أفراد من الجماعات الإثنيـة بهـا. كان المبحوثون فـى العناوين المختـارة يسألون فى البدايـة إذا كانوا ينتمـون إلى الجماعات الإثنية المقيمة فى تلك العناوين. فـإذا كان الأمر كذلك يبدأ الباحث عمله.

(ب) أما فـى الأحياء ذات الكثافة العالية فقد تم اختيـار 110 عناوين إضافية، ليتحقق الباحث من وجود مبحوثين ينتمون إلى جماعات الأقليات الإثنية.

2 – تم اختيار عينة إضافية من الأحياء من بين 150 حيا أخرى (لم تكن ضمن العينـة الأساسيـة) لكونها تتسـم بكثافة سكانيـة عالية من أفراد جماعـات الأقليات الإثنيـة. استخدمت نفس عمليـة التقسيم إلى فئات (طبقـات)، واختير من كل حى 110 عناوين. بعد ذلك تم التأكد من وجود أفراد بها من جماعات الأقليات الإثنية.

ما معدل الاستجابة الذى تحقق؟

العينة الأساسية

من بين 16.575 عنوانا المختارة:

- اتضح أن 1.543 عنوانا لم تكن صالحة للبحث ، لأنها مثلا: غير مسكونة ، أو ليست مخصصة للسكنى أصلا ، أو لأنها هدمت.
- لم يمكن الاتصال بأحد فى 338 عنوانا ، أو لم يتيسر إثبات صلاحيتها للدخول فى العينة.
- 3.923 عنوانا رفض شاغلوها المشاركة فى البحث.
- 595 عنوانا لم يتيسر لأصحابها المشاركة أو الاستمرار مثلا بسبب: المرض ، أو عدم الإلمام باللغة (الإنجليزية).

وقد تم إجراء عدد 9.691 مقابلة.

عينة جماعات الأقليات الإثنية

تم اختيار 7.171 أسرة تضم أفرادا بالغين مؤهلين للمشاركة (أى إنهم ينتمون إلى أحدى جماعات الأقليات الإثنية).

تم إجراء 4.390 مقابلة.

المعاينة الاحتمالية: الجوانب العملية

إذا كنت تنوى استخدام المعاينة الاحتمالية ، فهناك عدد من الأسئلة التى يجب أن تفكر فيها وأنت فى هذه المرحلة.

ما سمات مجتمع البحث المتصلة بموضوعك والتى ينبغى أن تكون ممثلة فى العينة؟

يتعين عليك فى هذه المرحلة من البحث أن تكون قد فكرت كيف ستحلل البيانات

التـــى ستقوم بجمعها، وأن تكـــون قادرًا على تحديد السمـــات أو المتغيرات التى ستعتمد عليهـــا فى التمييز بـــين الحالات المختلفة. من ذلـــك مثلا أنه إذا اتضح مـــن سؤال بحثك أو مـــن فرضـــ البحث أنـــك ستبحث عن أوجـــه التشابه والاختلاف بـــين الأفراد الذين ينتمـــون إلى جماعات عمرية مختلفة، أو بين عدة مقالات مختارة من أنواع مختلفة من الصحف، عندئذ سيكون عليك أن تتأكد من أن الحالات المختارة تتوفر فيها تلك السمات أو المتغيرات. فإذا قسمت مجتمع بحثك إلى فئات (أو طبقات) وفقا لهذه السمات، فسوف تضمن أن تُدرج ضمن عينتك نسبا من كل مجموعة تشبه نسبتها فى مجتمع البحث (على نحـــو ما فعلت الطبيبـــة فى بحثها). وإذا وضعت نصب عينيـــك أسئلة بحثك وخطتك فى التحليـــل، فإن عينتك ستصمـــم بحيث تضمن جمع بيانات من حالات البحث تتيح لك أن تستخدمها فى سعيك للإجابة على أسئلة البحث.

هـــل توجد قائمة حصـــر - أو إطار معاينة - لكافة أفـــراد مجتمع البحث الذى ســـتختار منه العينة، وهل تـــزودك هذه القائمة بالمعلومات اللازمة لســـحب عينة طبقية ممثلة؟

فـــى كثير من الأحيان لا يكون مـــن الممكن أن تكوّن أو تتحصل بسهولة على قائمة حصريـــة بجميع أفـــراد مجتمع البحث تستطيـــع أن تسحب منها عينـــة الدراسة (وهو ما يسمى: **إطـــار المعاينة**) (انظر قائمة المصطلحات). ففى بعضـــ الأحوال لا تكون مثل هـــذه القائمة الحصرية موجودة أصلا. ففى بحث المواطنـــة عندما أراد الباحثون سحب عينـــة بحثهم لم يستطيعوا الحصول على قائمة حصريـــة بعناوين جميع الناس فى المملكة المتحـــدة من أبناء جماعات الأقلية الإثنيـــة، وذلك ببساطة لأنه لا وجود لمثل هذا الحصر أصلا. وعوضـــا عن ذلك لجأ الباحثون إلى استخدام بيانات التعداد لتحديد الأحياء التى يحتمل وجود أفراد جماعات الأقليات الإثنية فيها احتمالا كبيرا.

وحتـــى لو وجدت مثل هذه القائمة الحصرية لمجتمـــع البحث، فقد لا تتوفر للباحث معلومات تفصيلية عن الأفـــراد أو الحالات الواردة أسماؤهم فى القائمة، والتى يحتاج إليهـــا لسحب العينة. وقد يكون سبب ذلك أن تلك المعلومات ذات طبيعة سرية، أو لأن الشخصـــ الذى يحتفظ بهـــذه القائمة الحصريـــة - والذى يعرف أحيانـــا باسم "حارس

البوابــة"(*)- لا يريــد أن يطلعك عليها. ولاحظنا فى البحث السابــق أن الطبيبة الباحثة كان تحت يدها قائمة حصرية بأسماء مرضاها (وهم مجتمع البحث)، ولكنها قد لا تكون راغبــة فى إطلاع أحد الطلاب الباحثين علــى المعلومات التى يحتاج إليها لإجراء بحث عــن الأنشطة التطوعية. وهناك عدة أسباب تدفع "حارســ البوابة" إلى رفض الإذن لــه بالاطلاع على المعلومات التــى تحتاج إليها لسحب العينة. فقــد تكون البيانات ذات طبيعــة سرية وتحجب عن العموم بمقتضى قانون حماية المعلومات، وقد يكون حارس البوابــة مسئولا بحكم وظيفتــه - أو بحكم أى مسئولية أخرى - عــن الناس الذين تريد أن تغطيهــم فى بحثك، وقد يساوره بعضــ القلق على سلامة أولئك الناس (فصل5 من بــاب1). فمثل هــذه القضايا قضايا ذات طبيعــة أخلاقية، مما يتعــين أن يدفعك إلى أن تتبين ما إذا كنت سوف تستطيع الوصول إلى الأفراد أو المواقف الذين تريدهم بالطريقة التى تراها. ومن الأسباب الأخرى التى تدعو "حارس البوابة" إلى رفض السماح لك بالاطلاع على بيانــات أفراد مجتمع البحث أنه قد لا يملك الوقت اللازم لمساعدتك، أو لأنــه ليس مهتما بالبحث الذى تنــوى إجراءه، خاصة إذا كان البحث غير مفيد لحارس البوابة أو لمؤسسته.

(*) حارس البوابة Gatekeeper مفهوم صاغه عالم الاجتماع الأمريكى كورت ليفين فى عام 1947 ليشرح ظاهرة "اليد الخفية" التى تراقب، وتمنع، وتسمح بحكم موقعها الرسمى أو العرفى، وبشكل علنى أو ضمنى. فالتعتيم الإعلامى مثلا هو شكل من أشكال "حراسة البوابة" وكذلك حجب المعلومات عموما. وهكذا دخل هذا المصطلح إلى بحوث الاتصال الجماهيرى على يد دافيد وايت. والمعروف اليوم أن البناء التدرجى للتنظيمات الرسمية - فى المجتمع الحديث - يضع بعض الأفراد أو الجماعات فى مواقع حساسة تمكنهم من أن يراقبوا حصول الناس على السلع أو الخدمات أو المعلومات. وهم بذلك يتملكون قوة أكبر من سلطتهم الرسمية. ولقد درس علماء الاجتماع هذه الظاهرة فى إطار ظروف عديدة غير الإعلام والمعلومات. ويمثل تجاه الإدارة الحضرية فى دراسة المدن مثالا على ذلك، وهو اسم أطلق على عدد من الدراسات فى ستينيات وسبعينيات القرن العشرين ادعت جميعا أن كبار المسئولين عن الإدارة الحضرية (مثل العاملين فى التخطيط الحضرى وموظفى الإدارة المحلية) يلعبون دورا حيويا كحراس لمراقبة الحصول على الموارد الحضرية (الإسكان، والأرض، وتصاريح البناء ...إلخ). للمزيد انظر، محمد الجوهرى وزملاؤه، علم الاجتماع ودراسة الإعلام والاتصال (1994)، وكذلك: موسوعة علم الاجتماع (3 مجلدات)، المركز القومى للترجمة (2011)، خاصة مواد: الحراسة (حراسة البوابة)، التنظيمات الرسمية، القوة، الحضرية، وغيرها. (المترجم)

فـإذا تعـذر عليك الحصول علـى قائمة حصريـة بأفراد مجتمـع البحث، يتوجب عليك التفكير فى طرق أو أساليب أخرى لاختيار عينة بحثك، مثل: **المعاينة الحصـية (أو بالحصــة)** و**عينة كرة الثلج** (انظر قائمة المصطلحات)، التى سنناقشها تفصيلا فى موضع لاحق من هذا الفصل.

ما حجم العينة التى ستسحب؟

هذا السؤال ليس بالأمر السهل، لأنه يتعين على الباحث أن يأخذ فى اعتباره عددا من العناصر المختلفة. أول تلك الأمور أنه من المعروف -إحصائيا- أنك إذا كنت بصدد اختيـار عينة عشوائيـة ممثلة من مجتمع بحث معروف لك، فإنـه كلما زاد حجم العينة كلمـا ارتفعت إمكانية تعميم بيانـات العينة على مجتمع البحث، ممـا يعنى تناقص **خطأ المعاينة** (انظر قائمة المصطلحات) أو التباين المحتمل بين متوسطات العينة ومتوسطات مجتمـع البحث. ومـع ذلك فليست القضية أنه كلما زاد حجـم مجتمع البحث، كلما كان لازمـا أن يزداد حجم العينة. فبحوث التسويق واستطلاعات الرأى التى تجريها بعض المؤسسات تعتمد فى الغالب على عينة عددها ألف فرد بالغ من سكان المملكة المتحدة، هى التى يجرون عليها بحوثهم. ومن الممكن التدليل على أن المزايا الإضافية التى ستحصل عليها من زيادة حجم العينة سوف تتضاءل أهميتها عندما يرتفع حجم العينة وتبدأ الآثار المتعلقـة بالوقت اللازم لإجراء البحث والموارد التى يحتاجها والمترتبة على زيادة حجم العينة؛ تبدأ فى البروز وتحتل الأسبقية على التخفيض الضئيل لخطأ المعاينة.

على أن الأمر المهم بالنسبة للطالب – الذى يجرى بحثا بموارد محدودة من الوقت والتمويـل – أن حجم العينة سوف يتأثر فى المقـام الأول بحجم الموارد المتاحة وإمكانية الوصول السهل إلى مفردات عينة البحث. وعليك أن تلتمس النصح بهذا الشأن من المعيد أو الأستاذ الذى يشرف على بحثـك، حيث سيكون قادرا على تزويدك بأى إرشادات أو توجيهـات بهـذا الخصوص، وأن يفحص معك القضايـا والمشكلات الخاصة المتعلقة ببحثـك. ولكن من المهـم – على أية حـال – أن تكون واعيا بأوجـه القصور المرتبطة بالعينة الصغيرة الحجم، وأن تتناولها بالمناقشة فى تقرير بحثك أو فى رسالتك الجامعية التى تعدها.

هناك موضوع آخر يتعلق بحجم العينة يجب أن تأخذه فى اعتبارك ، وهو : تذكر أنك قد تحتاج - مثل الطبيبة الباحثة فى المثال (2-5) - إلى تحليل بيانات تكون مستمدة من جماعات أو فئات معينة داخل عينة البحث ، كأن تحاول - مثلا - استكشاف الفروق بين الرجال والنساء فى الفئات العمرية المختلفة. فإذا كان إجمالى عدد العينة صغيرا ، فسوف تجد أن البيانات الخاصة (مثلا) بالرجال الذين تتراوح أعمارهم بين 16 - 24 سنة تعتمد على عدد قليل جدا من الأفراد. ومن شأن هذا أن يقلل من جدوى البيانات ، وقد يعنى فى النهاية أنك قد لا تستطيع إجراء التحليلات التى كنت تنوى عملها.

النقطة الأخيرة التى يجب أن تتذكرها دوما أنه سيكون هناك بعض الأفراد الذين لن يستجيبوا للمشاركة فى البحث ، إما لأنهم يرفضون مثل هذه المشاركة ، أو لأنه تعذر الاتصال شخصيا ببعض من دخلوا ضمن العينة. ولهذا يكون من الصواب أن تختار عينة بحثك وأنت على وعى بهذه القضايا والمشكلات ، ومن ثم قد يكون من الأفضل اختيار 10 % إضافية زيادة عن العدد الذى تنوى أن يشارك فى بحثك.

هل يوجد ثمة تحيز داخل إطار المعاينة ، أو فى طريقة اختيار العينة ، يمكن أن يؤثر سلبا على العينة؟

عندما تفكر فى إطار المعاينة - أى القائمة الحصرية بالأفراد أو الحالات الذين يمكن إدراجهم ضمن عينتك - يجب أن تتأكد من أن تلك القائمة لم توضع بحيث تستبعد أى حالات أو جماعات. وقد أشرنا سابقا إلى أن التعداد الرسمى للمملكة المتحدة لا يمكن أن يزعم أنه يضم كافة أفراد السكان البريطانيين. لهذا يكون عليك أن تنتبه إلى مثل هذه الحالات أو الجماعات ، التى ربما تكون قد غابت عن هذه القائمة الحصرية. ففى عينة بحث النشاط التطوعى رأينا أن اختيار العينة عن طريق توزيع استبيان البحث على أول خمسمائة مريض يصلون إلى العيادة يمكن أن يصيب العينة **بالتحيز** (انظر قائمة المصطلحات) لصالح الأفراد الذين يترددون بكثرة على الطبيب. ولعله يتعين أن نأخذ فى الاعتبار فى هذا المثال نوع الطبيبة (ذكر/أنثى) وما إذا كان المرضى - من الذكور والإناث - قد يتساوون فى اختيار طبيبة أنثى. لذلك فإن اختيار عينة من قائمة المرضى المترددين على تلك الطبيبة فقط ، يعنى أن الباحثة تختار عينة متحيزة لصالح المرضى الذين لهم اختيار معين فى نوع الطبيب.

هل يمكن الوصول بسهولة إلى أفراد العينة؟ وهل من المحتمل أن يشاركوا فى البحث ويستجيبوا للباحث؟

كما يجب عليك قبل سحب العينة أن تفكر فى مدى قدرتك على الوصول إلى أفراد العينة التى اخترتها. هل سيكون متاحا لك الوصول إلى الأفراد أو الحالات التى وقع عليها الاختيار فى الفترة التى يتعين عليك فيها جمع بيانات بحثك ؟ هل سيكون عليك مثلا السفر للقاء بعض الحالات؟ وإذا كنت تخطط لإجراء مسح بواسطة البريد الإلكترونى (الإيميل)، فهل يتوفر لأفراد العينة جهاز حاسب آلى، وإذا كان ذلك كذلك فهل هم ينتظمون فى استخدام البريد الإلكترونى؟ هل يحتمل أن تواجه أى مشكلة لغوية فى التعامل معهم، أو أى عوامل تحول دون فهم أحدكما للآخر؟

وهكذا نضع أيدينا على مصدر آخر لنوع من التحيز، لأنه لن يكون ميسورا لك الاتصال بكل أفراد عينتك، أو قد لا تتاح لكل الأفراد نفس فرصة المشاركة فى بحثك. ولذلك لا بد أن تتوقع أن البعض قد لا يشاركون فى بحثك، وبالتالى نكون بصدد حالة من حالات **عدم الاستجابة** (انظر قائمة المصطلحات). وعدم الاستجابة يمكن أن يعود لعدة أسباب مختلفة:

- عدم تحقق الاتصال: حيث لا يستطيع الباحث الوصول إلى الشخص.
- الرفض: حيث يبدى الشخص رفضه المشاركة فى البحث.
- عدم استطاعة الشخص – المختار فى العينة – الاستمرار فى المشاركة، مثلا بسبب: المرض، أو عدم معرفة اللغة، أو وجوده فترة البحث فى إجازة.
- أن يكون الشخص المختار غير ملائم للبحث، ويرجع ذلك عادة إلى عدم دقة المعلومات التى كانت متوفرة عن هذا الشخص.

وعليك – كباحث – أن تفعل كل ما فى وسعك لتقليل حالات عدم الاستجابة إلى أدنى حد. وأفضل سبيل لتحقيق ذلك هو الإعداد الجيد، والنظر فى العواقب.

بحثك

اختبار جودة البحث: العينات الاحتمالية وإمكانية التعميم

- هـل تم استبعاد عدد كبير من أفـراد مجتمع البحث على نحو يمكن أن يؤدى إلى التحيز.
- هل تم اختيار العينة عشوائيًا؟
- هل فئات التحليل كبيرة بالقدر الكافى (خمس حالات على الأقل فى كل فئة)؟
- هل وضعـت فى اعتبارك التحيـز الذى يمكن أن يحـدث بسبب عدم تحقق الاتصال ببعض أفراد العينة، أو بسبب عدم الاستجابة؟
- هل العينـة الاحتمالية ذات حجم يسمـح بإجراء التحليـل الإحصائى ويبرر الادعاء بإمكانية تعميم النتائج على مجتمع البحث بأكمله؟
- هل تضمَّن تقرير بحثك أو رسالتك الجامعية جزءًا لمناقشة نقاط الضعف فى عينتك؟

المعاينة غير الاحتمالية

لعلـك أدركت الآن أنـه عندما تكون بصـدد إجراء بحث صغير محـدود الموارد الزمنية والمالية، فالغالب أنك لن تستطيع تكوين عينة (أ) كبيرة أو (ب) تفى بكل شروط العينـة الاحتماليـة العشوائيـة. وسنقوم فى هذا الجـزء من الفصـل باستعراض بعض طرق المعاينة التى قد تكـون أكثر ملاءمة لأحجام البحوث المحدودة التى يجريها أغلب الطلاب. ومثل هذه الطرق أكثر ملاءمة لتصميمات بحوث المسح المقارن أو التجريبى المحدودة النطاق.

العينة المريحة

بسبب قلة الموارد وضيق الوقت لا تتاح للباحثين من الطلاب فرص لاختيار عينة سوى الاعتماد على العينة المريحة بسبب سهولة الوصول إلى مفرداتها. والحقيقة أننا لو تأملنـا مجموعة من الدراسـات البحثية، فسوف نجد فى الغالب أن السياق الذى يجرى فيه البحث إنما هو اختيار من بين مدى واسع من الاحتمالات، وذلك لكونه السياق الذى يتيـح للباحث فرصة الوصول إلى مبحوثيـه بسهولة. والمعتاد أن يختار الباحث الطالب

السياق الملائم الذى يستطيع فيه الحصول على أكبر عدد ممكن من الاستجابات، كأن يكون القسم (الجامعى) الذى يدرس به، أو نادى المجتمع المحلى، أو أحد أماكن اللقاء العامة، أو مراكز التسوق، أو النوادى الرياضية.

المثال (5 – 5)

النشاط التطوعى والصحة

بدأت الباحثة فى مثالنا بتعريف مجتمع البحث الذى ستختار منه عينة دراستها بأنه جميع المرضى المترددين على عيادتها. ومعنى ذلك أنهم الأفراد الذين تستطيع الوصول إليهم بسهولة. ولم تحاول سحب عينة من جميع السكان البالغين فى المملكة المتحدة. ولكنها قررت فى النهاية سحب عينة احتمالية من مجتمع البحث المريح لها، أى الذى تستطيع الوصول إلى أفراده بسهولة.

المثال (5 – 6)

النشاط التطوعى بين الطلاب

قرر أحد الطلاب المهتمين بدراسة مدى انتشار النشاط التطوعى بين مجتمع الطلاب وطبيعته؛ قرر اختيار مبحوثيه من زملائه فى البرنامج الدراسى، وفى المدينة الجامعية. وقام بعد ذلك بإرسال استمارة استبيان على البريد الإلكترونى لكل أفراد هاتين المجموعتين. وكان يأمل من وراء ذلك أن يحصل على نسبة استجابة عالية، خاصة من أولئك الزملاء الذين يعرفونه معرفة جيدة.

وقد أوضح فى رسالته الجامعية – التى كتبها عن البحث – أنه يعى نواحى القصور فى هذه الطريقة. وأن من هذه العيوب أن هذه الطريقة ستؤدى إلى ضعف تمثيل الطلاب الذين يعيشون مع أسرهم أو يسكنون فى بيوت خاصة، بينما ستزداد نسبة تمثيل الطلاب الذين يدرسون معه فى نفس البرنامج (وهو مقرر السياسة الاجتماعية). كما أوضح هذا الباحث أن دارسى السياسة الاجتماعية يزداد احتمال انخراطهم فى الأنشطة التطوعية عن بقية الطلاب الذين يدرسون برامج أخرى. والذين يعيشون مع أسرهم الذين ستختلف فرص تطوعهم عن أولئك الذين يعيشون فى المدينة الجامعية.

العينة الحصية

تتسم هذه الطريقة من المعاينة ببعض خصائص **العينة الطبقية** (انظر قائمة المصطلحات)، وهى العينة التى تختار بحيث تضمن إدراج بعض الفئات والجماعات والحالات بنسب تناظر نسبتهم فى مجتمع البحث. ولكنها تختلف عنها فى عدم استخدام قائمة حصرية تشمل جميع أفراد أو حالات مجتمع البحث، كما أنها يمكن أن تكون أكثر راحة فى اختيار العينة. ويستخدم هذه الطريقة فى الواقع كثير من مؤسسات بحوث السوق. فإذا اقترب منك باحث فى الطريق ومعه حافظة أوراق، وطلب منك أن تشارك فى بحث عن نوع جديد من رقائق البطاطس المقلية أو أحد المنظفات الجديدة؛ فالأرجح فى مثل هذه الحالة أن الباحث قد كلف باستيفاء حصة معينة من المبحوثين. وقد يكون سبب اختياره لك أنك رجل مثلا، ويتراوح عمرك بين 18 – 25 سنة، وأنك تنتمى إلى الطبقة الوسطى. وربما يكون تصميم البحث قد حدد لمثل هذا الباحث عدة معايير يجب أن يلتزم بها، من قبيل استيفاء:

- خمسة ذكور.
- وخمس إناث.
- ثلاثة تتراوح أعمارهم بين 18 – 25 سنة.
- أربعة تتراوح أعمارهم بين 26 – 45 سنة.
- وثلاثة تتراوح أعمارهم بين 46 – 65 سنة.
- ستة من هؤلاء من الطبقة الوسطى.
- وأربعة من الطبقة العاملة.

وهكذا يحرص الباحثون القائمون بالمقابلة على البحث عن أفراد يتوفر فيهم معيار واحد على الأقل من هذه المعايير، ولكن الأرجح أن يتوفر فيهم أكثر من معيار. مثال ذلك أن الباحث يستطيع أن يستوفى البيانات من أفراد الحصة المحددة له بإجراء عشر مقابلات فقط، ولكن بشرط الالتزام بالمعايير المحددة فى اختيار هؤلاء العشرة. وتكون هذه المعايير مستمدة عادة من بيانات مجتمع البحث – كالمجتمع المحلى مثلا – وتحدد الحصص بحيث يتناسب أفرادها مع نسب الخصائص السائدة فى مجتمع البحث (كالنوع، والعمر والانتماء الإثنى . . . إلخ). ويتابع الباحث إجراء مقابلاته مع

المبحوثـين المحتملين إلى أن يتـم استكمال الحصة. ومن الطبيعـى أن الباحث قد يخطئ أحيانا عندما يجرى مقابلات مـع أشخاص يبدو أنهم يتفقون ومعايير الحصة، ثم يتبين بعـد أن يتحـاور معهم أنهم ليسوا من الفئـة العمرية المطلوبـة أو لا ينتمون إلى الوضع الطبقي المحدد. ولذلك يتعين عليه فى مثل هذه الحالات إنهاء المقابلة، ومواصلة البحث.

المثال (5 – 7)

النشاط التطوعى والصحة

كان بوسع الطبيبة أن تستخدم العينة الحصية، وذلك بأن تعطى لموظف الاستقبال حصة من المرضى، باستخدام العمر والنوع كمعيارين لاختيار الحصة، فيعرض علـى كل واحـد منهم فكرة البحـث ويطلب منه المشاركة فى بحـث عن التطوع. ومـن شأن هـذا الأسلوب أن يضمن تغطية جزء من مجتمـع البحث وفقا لمعيارى العمـر والنوع. ولكن هذا الأسلوب لا يتضمن معلومات عن كثرة (أوقلة) التردد على العيادة لرؤية الطبيب، وبذلك ستكون العينة متحيزة لصالح المرضى كثيرى التردد على العيادة.

هـل تستطيع أن تفكر فى أسلوب يمكن أن يأخـذ فى الحسبان كثرة التردد على العيادة كمعيار من معايير تحديد الحصة؟

وهكـذا تزودنا تلك الأمثلة ببعض الأفكار المتعلقة بنقاط الضعف التى تعيب المعاينة الحصية:

(أ) اختيـار المعايير: قد يكون من الصعب أحيانا اختيار المعايير التى تكون ممكنة عمليـا ومرتبطة فى الوقت نفسـه بتساؤلات البحث. فكيف تستطيع – مثلا – أن تعرف وأنت فى الشارع ما إذا أحد الأشخاص ينتمى إلى الطبقة الوسطى أم إلى الطبقة العاملة؟

(ب) التحيز لصـالح جماعات معينة من أفـراد مجتمع البحث: لا شك أن تحديد مـكان وزمان اختيار عينة المبحوثـين يمكن أن يؤدى إلى استبعـاد جماعات معينة من هذا الاختيـار، ويزيد من فرص اختيـار جماعات أخرى ضمن العينـة. والغالب أن تجـرى بحـوث التسويق فى مراكز التسـوق الواقعة فى وسط المدينـة وخلال ساعات

العمل، أى بين التاسعة صباحًا والخامسة عصرا. ولهذا تجد أن الأشخاص المشغولين بالعمل. أو يكونون فى عجلة من أمرهم للحاق بقطار أو المشاركة فى اجتماع عمل يترجح أن يرفضوا إجراء مقابلة معهم، على حين يكون الآخرون - غير المزدحمين بالعمل، وربما كانوا عاطلين أصلا - لديهم وفرة من الوقت، ومن ثم يكونون أكثر تقبلا للمشاركة فى البحث. يضاف إلى كل هذا أن القائمين بالمقابلات (بل والباحثين أيضا) يميلون إلى مفاتحة الأشخاص الذين يبدو لهم أنه من الأرجح أن يشاركوا، أو الذين يُبدون مودة أكثر ومن ثم أقل احتمالا لأن يرفضوا.

(جـ) **الاختيار غير العشوائى:** إن البيانات التى يتم الحصول عليها من العينة الحصية تعتبر - من الناحية الإحصائية - غير قابلة للتعميم على مجمل مجتمع البحث، وذلك لأن طريقة اختيار العينة لم تكفل لكل عضو من أعضاء مجتمع البحث فرصة محسوبة للدخول فى العينة.

عينة كرة الثلج

سبق أن أشرنا إلى أن بعض مجتمعات البحث قد يصعب الوصول إلى أفرادها، لأنه لا توجد لمثل هذا النوع قوائم حصرية بأعضائها، كما لا توجد أماكن واضحة معروفة يمكن فيها مقابلة هذه الحالات. وفى بعض الأحيان ترتبط تلك المجتمعات "الخفية" ببعض السلوكيات التى لا تلقى قبولا اجتماعيا كبيرا أو حتى إجرامية أحيانًا. ولو أن كافة أنواع الممارسات السلوكية الأخرى والخصائص الاجتماعية يمكن أن تظل محجوبة عن الباحث، "كالنشاط التطوعى غير الرسمى"، على نحو ما هو وارد فى المثال (5-8). وتبدأ عينة كرة الثلج بعدد قليل من الأشخاص الذين يُعرف عنهم أنهم من النوعية التى يفتش عنها الباحث ليتناولها بالدراسة. وفى هذه الحالة قد يبدأ الباحث بالاتصال بهم والالتقاء بهم فى مكان عام، أو على أحد مواقع الإنترنت، أو بالاتصال الشخصى بمبادرة من أولئك الأفراد. وهنا يطلب من كل واحد من أفراد المجموعة المبدئية اقتراح أشخاص آخرين لهم نفس السمات، ثم يقوم الباحث بالاتصال بهم، وهكذا. ولأن الأشخاص ذوو الخصائص والسمات السلوكية الخاصة غالبا ما يكونون جزءًا من شبكة تضم أشخاصا مماثلين؛ لذلك يمكن أن تكون هذه الطريقة مثمرة جدًا، خاصة إذا اقترنت بطريقة العينة الحصية، التى تسعى إلى تحديد الأشخاص ذوى السمات المميزة، كالفئات العمرية والانتماءات الإثنية المختلفة مثلا.

المثال (5-8)

الأنشطة التطوعية غير الرسمية

أراد أحد الباحثين أن يغطي بحثه المتطوعين "غير الرسميين". وقد تم تعريف المتطوع "غير الرسمى" بأنه ذلك الشخص الذى يضطلع ببعض المهام والأنشطة التى يؤديها دون مقابل لغير أفراد أسرته. وأبدى ذلك الباحث اهتمامًا خاصا بالأشخاص الذين يقدمون المساعدة لجيرانهم بشكل منتظم، كأن يؤدوا عنهم أعمال الحديقة أو التسوق.

وقد اختار الباحث حيا معينا وبدأ يتعرف على عدد قليل من هؤلاء المتطوعيين "غير الرسميين" من خلال زيارته للمسجد المحلى أو للكنيسة المحلية، أو المركز الاجتماعى للحى. ثم أخذت تسألهم بعد ذلك عما إذا كانوا يعرفون أشخاصا آخرين - فى شارعهم أو قريبا منهم - ممن يقومون بالتطوع "غير الرسمى"، وتبحث عن غيرهم وغيرهم، إلى أن تمكنت من تكوين عينة تغطى أغلب شوارع ذلك الحى.

مقارنة العينة غير الاحتمالية بمجتمع البحث

يمكن فى بعض الأحيان مقارنة خصائص العينة غير الاحتمالية بخصائص إجمالى مجتمع البحث. فإذا توفرت بيانات قابلة للمقارنة عن إجمالى مجتمع البحث - مثل نسب الذكور والإناث ونسب المنتمين إلى كل فئة عمرية أو جماعة اقتصادية اجتماعية فى المنطقة التى سيجرى فيها البحث - مثل هذه البيانات يمكن استخدامها للتأكد من أن العينة تشبه مجتمع البحث شبها وثيقا. وعلى الرغم من أن العينة غير الاحتمالية - على خلاف العينة الاحتمالية - لا يمكن تعميم نتائجها على مجتمع البحث من وجهة النظر الإحصائية، فإنه يمكن دراسة هذه الإمكانية فى التقرير النهائى للبحث فى حالة ما إذا كانت العينة غير الاحتمالية تشبه مجتمع البحث شبها وثيقا.

بحثك

اختبار جودة البحث : العينات غير الاحتمالية

- هل شرحت بوضوح كيف تم سحب العينة؟
- هـل أمكنك تحديد المصادر المحتملة للتحيز ، وهـل حاولت - قدر الإمكان - معالجة هذه المصادر؟
- هل أوضحت نقاط الضعف فى عينتك فى ضوء دعواك بما يمكنك عمله بناء على نتائجك؟
- هل أوضحت نقاط القوة فى عينتك من حيث حسن استخدام الموارد ، وتحديد الحالات الملائمة للبحث ، ومعـدلات استجابة المبحوثين ، ومدى النجاح فى معالجة أسئلة البحث؟

العينة العمدية

يمكـن القول أن هذه الطريقة الأخيرة من طـرق المعاينة هى التى تقع على الطرف الآخر من متصل طرق المعاينة الذى عرضناه فى بداية هذا الفصل. وتمثل **العينة العمدية** (انظـر قائمة المصطلحات) والعينة النظريـة طريقتين من طرق المعاينة ذات الطبيعة غير الاحتماليـة ، وأنهـا تتخذ هذا الطابع بشـكل مقصود ومتعمد. وترتبـط هاتان الطريقتان بشكل عـام بالدراسات المتعمقة المحـدودة النطاق ، التى تقوم علـى تصميم بحثى يرتكز على جمـع البيانات الكيفية ، ويتمحـور حول استكشاف وتفسير الخـبرات والتصورات والأفـكار. ومـن هـذه النوعية من الدراسـات: دراسـات الحالة ، وبعض الدراسات المقارنة ، والدراسات الإثنوجرافية وبحوث النظرية الموثقة (فصل3 باب 2).

ففـى كل هـذه الطرق فى اختيـار العينة لا يسعـى الباحث إلى تكويـن عينة ممثلة -إحصائيـا- لمجتمـع البحـث. بل العكس هـو الصحيح ، فأفـراد أو حـالات العينة يتم اختيارهـا "عمدا" لتمكين الباحـث من استكشاف ومعالجة تسـاؤلات البحث أو تطوير نظريـة. وتختار الحالات فى ضوء الخصائص أو الخبرات التى ترتبط مباشرة بمجال اهتمـام الباحث وتساؤلاته البحثيـة ، وتتيح له دراسة موضوع بحثـه دراسة متعمقة.

فالحالات المختارة عمدا للباحث هى تلك التى تستطيع أن تميط اللثام وتلقى الضوء على مجال البحث على أفضل نحو.

ما : العينة العمدية؟

قدم ريتشى ولويس Ritchie and Lewis (2003: 79) عرضا مفيدا للأساليب التى يمكن اتباعها لتكوين عينة البحث:

- **العينة المتجانسة** : حيث تنتمى كافة الحالات المختارة ضمن العينة لنفس الجماعة أو الفئة، أو تتسم جميعها بنفس الخصائص. وتتيح لنا مثل هذه العينة الدراسة التفصيلية المتعمقة لظاهرة اجتماعية معينة.
- **العينة غير المتجانسة أو البالغة التباين:** فى هذه العينة يعنى التأكد من التباين الشديد بين الحالات إمكانية تحديد الموضوعات الأساسية المشتركة رغم هذا التباين.
- **العينة العمدية الطبقية** : لعل أشهر طرق اختيار العينة العمدية أن يتم اختيار أفرادها من بين مجموعات من الأفراد أو الحالات التى يوجد قدر من التباين بينها، وذلك لإتاحة إمكانية المقارنة بين تلك المجموعات. ويتم تحديد تلك المجموعات – التى ستختار منها العينة– من واقع بيانات متوفرة سلفا من مسح أو بيانات إحصائية سكانية.
- **عينة الحالات المتطرفة:** فى هذه العينة تُختار الحالات بسبب خصائصها المتطرفة أو المنحرفة عن المعيار، وبهذا تستطيع إلقاء الضوء على ظاهرة اجتماعية معينة من منظور مختلف عن النظرة المعتادة إليها.
- **العينة المكثفة:** هنا تختار الحالات لأنها "تمثل بقوة وبشكل مكثف الظواهر محل اهتمام البحث".
- **عينة الحالة النموذجية (المعتادة):** هنا تُختار الحالات التى تعد نموذجية أو "معتادة".
- **عينة الحالات الحرجة:** تُختار حالات مثل هذه العينة على أساس تأثيرها "الحاسم أو الشديد" فى مسار ظواهر اجتماعية معينة.

المعاينة النظرية

المعاينة النظرية (انظر قائمة المصطلحات) شكل من أشكال العينة العمدية يقوم على أفكار وعمليات النظرية الموثقة (فصل 3 من باب 2). وتفترض هذه الطريقة أن جمع البيانات، والتحليل، واختيار العينة تجرى بشكل متزامن، وتستمر عملية اختبار مفردات جديدة للعينة وجمع بيانات منها حتى لا يعود هناك مزيد من البيانات التى يمكن استخلاصها من كل حالة. وقد وصف جلاسر وشتراوس (1967: 45) هذه العملية على النحو التالى:

"هى عملية جمع بيانات لتوليد نظرية، حيث ينشغل الباحث – فى نفس الوقت – بجمع، وترميز، وتحليل بياناته. وفى أثناء ذلك يقرر أى أنواع من البيانات يتعين عليه جمعها لاحقا، وأين يمكن أن يلتمسها، وذلك من أجل بلورة وتطوير النظرية التى يسعى إليها".

وهكذا يتم اختيار الحالات المبدئية عادة بطريقة غير مقننة نسبيا. فعندما تبدأ "النظرية" فى التبلور من واقع البيانات المبدئية، يتقرر اختيار مزيد من الحالات بهدف استكشاف واختبار تلك النظرية البازغة. كما يهتم الباحث فى نفس الوقت بتحديد "الحالات السالبة"، وهى الحالات التى لا تتوافق والنظرية الآخذة فى التكوين، لأنه يمكن الإفادة من مثل هذه الحالات فى تعديل النظرية البازغة وتجويدها. وتتواصل هذه العملية إلى أن يتوقف ظهور نظريات جديدة، ويصل الأمر إلى حالة من "التشبع" النظرى.

العينة العمدية: الجوانب العملية

تعتمد طريقة تصميم وتجميع عينة عمدية على بعض الأساليب الأخرى غير الاحتمالية، التى استعرضناها فى موضع سابق من هذا الفصل. فالعينات المريحة، والحصية، وكرة الثلج كلها من الطرق التى يشيع استخدامها فى تجميع المبحوثين أو الحالات لتكوين عينة عمدية. وكما رأينا فى المثال الخاص بالعينة والنشاط التطوعى، فإنه بوسعك استخدام بيانات تم جمعها من عينة احتمالية، ذلك أن توفر مثل هذه البيانات من شأنه أن يساعد الباحث على اختيار بعض المبحوثين بصفة عمدية لإجراء دراسة أكثر تعمقًا.

ما مجتمع البحث الذى ستختار منه العينة؟

عندمــا نصمم عينة عمدية، فإننا نستخدم مجتمع البحث بطريقة مشابهة لاستخدامنا لــه عنــد سحب عينة احتماليــة، بمعنى أنه يتعــين تعريفه من واقــع خصائصه المميزة، خاصــة تلك التى ترتبط بموضوع البحث. غــير أننا فى هذه الحالة لا نسعى إلى معرفة كافة أفراد مجتمع البحث لكى نتمكن من سحب عينة من بينهم. وإنما الصحيح أننا نبحث عــن الخصائص المرتبطة بموضوعنا، ونفكر مليا فى السيــاق الذى يمكن أن يوجد فيه مجتمع بحث يمثل هذه الخصائص.

المثال (5 – 9)

النشاط التطوعى فى المستشفيات

يعــد أحــد الباحثــين لإجــراء دراسة عــن الناس الذيــن يتطوعــون للخدمة فى المستشفيــات. وهو يبدأ بالنظــر إلى السياق الذى يمارس فيــه النشاط التطوعى – وهو المستشفــى – ويحاول أن يتعرف من خلال القــراءة والبحث فى الإنترنت، علــى طبيعة البنــاء التنظيمى للمستشفيــات. واستطاع من خــلال زيارته لإحدى المستشفيات المحلية أن يعرف المزيد عن فرص العمل التطوعى المتاحة فى المستشفى. وقد ساعده ذلك على أن يتعرف بشكل محدد على الأشخاص والبنى التنظيمية التى يمكن أن تعاونه فى تحديد الأشخاص الذين يحتمل أن يشاركوا فى البحث .

وعندما تابع التفكير فى تساؤلات بحثه وما عرفه عن المستشفى أخذ يتساءل عما إذا كان التطوع فى أحد المستشفيات الكبرى فى قلب المدينة يختلف عن التطوع فى مستشفى محلى صغير. وهكذا أخذ يفتش عن مستشفى صغير ويتعرف بشكل أوسع علــى السياق العام للتطوع (وهو المستشفيات) قبــل أن يقرر اختيار متطوعين من كلا النوعين من المستشفيات لإجراء دراسته عليهم.

ما خصائص أو معايير الاختيار؟

يلاحــظ أن معايير الاختيار لتشكيل العينة العمديــة تستمد – عادة – من تساؤلات البحــث نفسها ومــن نوع العينة العمديــة. وأكثر الطرق انتشــارا بالنسبة لبحث صغير

يجريـه طالب هى: العينة الطبقية، أو العينــة الحصية، والتى تتحدد فى ضوء المجالات والقضايا الأساسية التى تبلورت فى تساؤلات بحثك.

أما بالنسبة للعينة الاحتمالية فمن المهم فى هذه المرحلة أن تحرص كذلك على تخطيط المراحــل المبدئية للتحليل الذى ستقوم به. وعليـك أن تنتبه بشكل خاص إلى مجموعات الحــالات التى يقوم بناؤها على أساس بعض المتغيرات مثل: العمر، والانتماء الإثنى، والتى تنوى المقارنة بينها سواء من حيث أوجه التشابه أو الاختلاف. كما يجب أن تفكر فى بعض التشابهـات والاختلافات التى يتوقع أن تصادفها فى مجتمع البحث فى ضوء قراءاتـك للبحوث والنظريات الأخرى التى أجريت فــى نفس مجال البحث. والهدف مــن ذلك أن تتأكد من تضمين عينتك الحالات التــى تتيح لك اختبار هذه الأفكار المبدئية والتحقـق منهـا. ويمكن من واقع تلك الأفـكار تطوير مصفوفة عينــات (انظر ريتشى ولويــس، 2003، صــ101)، على نحو ما تجـده فى المثــال (5-10)، والتى سوف تمكنك من تحديد الأشخاص الذين يحتمل أن تدرسهم فى بحثك.

عدد الحالات التى ينبغى اختيارها؟

تستخدم طريقــة المعاينة العمدية عادة كجزء من تصميمــات البحوث التى تتضمن دراسة متعمقــة، وجمع ومعالجة بيانــات كيفية، متعمقة، وتفصيليــة. والعادة هنا أن يكون عدد الحالات قليلا بالمقارنة بالعينة الاحتمالية، وذلك للأسباب التالية:

(أ) أن البحوث التى تستخدم بيانات كيفية لا تكون فى العادة مشغولة بتعميم النتائج على مجتمع البحث، أو بالتعرف على مدى انتشار سمة معينة فى مجتمع البحث.

(ب) يتناقــص العائد المتحصل من البيانات التى تُجمع من كل حالة إضافية، ولأننا فــى هذه البحوث لا نسعى إلى الكشف عن انتشــار سمة معينة فى مجتمع البحث، فليس من اللازم البحث عن مزيد من الأمثلة.

(جـ) معروف أن جمع بيانات كيفية مسألة تستهلك الكثير من الوقت والموارد، كما أن البيانات التى يتم جمعها تتسم بالثراء فى ذاتها. ولا تتوفر لكثير من الباحثين الموارد -ولا الحاجة- لتكوين عينات كبيرة العدد.

وبعد كل ما قيل تظل مسألة عدد الحالات مطروحة علينا وتحتاج إلى إجابة. ومن الأرجـح بالنسبة لأغلب البحوث التى يجريها طـلاب أن يكون العدد العملى 20 مقابلة فرديـة أو نحـو ذلك كحد أقصى (وإن كان هذا العدد يمكـن أن يقل عن ذلك فى بعض الأحيان. ولهذا يجب أن تراجع القواعد المنظمة لهذه البحوث فى كليتك). ولكن بالنسبة لمعظم البحوث لا يلزم أن تتجاوز العينة هذا العدد. ولو أن هذا الأمر يتوقف أساسًا على كمية الوقت والموارد المتاحة للطالب الباحث. كما أن العدد قد يتوقف أيضا على قدرتك علـى الوصول إلى مبحوثين وعلى رغبتهم فى المشاركة فى البحث. ويلاحظ أن تحديد معايير الاختيار - الموضحة فى المثال (5-10) - يمكن أن تفيدك فائدة كبرى فى تحديد الحدين الأدنى والأقصى للحالات التى يمكن أن تضمنها فى العينة.

ولا شـك أنه إذا كنـت بصدد اختيار عينـة عمدية لتكوين جماعـة مناقشة مركزة (بؤريـة)، فربمـا ترى اختيار عدد أكبر مـن الحالات (فصل 5 من هـذا الباب). أما إذا كنـت تستخدم تصميـم دراسة الحالة، فعليك أولا أن تفكر فـى طبيعة الحالات التى ستختارهـا للدراسـة (فصل3 من بـاب 2)، وذلك قبل الشروع فى اختيـار الأفراد أو الجماعات التى ستختار كعينات ممثلة لكل حالة.

المثال (5 - 10)

الأنشطة التطوعية والصحة : اتجاه الطرق المختلطة

فى بـادئ الأمر أرادت الطبيبـة الباحثة التى كانت مهتمـة بالأنشطة التطوعية لمرضاهـا دراسة العلاقة بين التطوع والصحـة النفسية. وأرادت أن تعرف تأثير تجربة التطوع على مشاعر مرضاها. ولكى تدرس هذا الأمر أرادت أن تستكشف خبرات وتصورات مرضاها بشكل متعمق. وعلى هذا قررت اختيار عينة صغيرة من المرضى من بين المتطوعين الذين أجابوا على استبيانها.

ملاحظة: لم تُرد الباحثة فى هـذه المرحلة أن تنفق الوقت والموارد فى مقابلات مع أشخاص ليست لهم خبرات تطوعية، ومن ثم لا يستطيعون إلقاء الضوء على أسئلة البحث.

ولقد أرادت أن تعرف ما إذا كان الرجال والنساء من أعمار مختلفة تتباين خبراتهم وتصوراتهم عن التطوع، ولكنها مع ذلك رأت أنه من المهم أن تضمّن العينة بعض المرضى الذين يكثرون التردد على العيادة، وبعض المرضى الأقل ترددا عليها. كما أنها أرادت أن تتأكد من أن عينتها تضم بعض الأشخاص الذين يعملون بأجر، وبعض من لا يعملون بأجر. واستطاعت أن تستفيد من استبيانها المبدئى فى تحديد المبحوثين المحتملين، وذلك لمصفوفة محددة. وقد سمحت لها مواردها أن تجرى مقابلات مع نحو 16 شخصا.

جدول رقم (5 – 2) التطوع والصحة: مصفوفة المعاينة العمدية

العمر	زيارات متكررت للعيادة		زيارات غير متكررة للعيادة	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث
16 - 40	2 أو 3	2 أو 3	1 أو 2	1 أو 2
41 - 65	2 أو 3	2 أو 3	1 أو 2	1 أو 2
المجموع	10		6	
لايعملون بأجر	4-6		3	
يعملون بأجر	4-6		3	

هل من الميسور الوصول للعينة؟

تتضمن عملية البحث المبدئى عن سياق العينة مناسبة لمعرفة احتمالات الوصول إلى المبحوثين الذين يحتمل أن يشاركوا فى البحث. وعندما نستخدم المعاينة العمدية لا يعنينا كثيرا موضوع عدم الاستجابة، لأننا ساعتها نسعى إلى الوفاء بمعايير الاختيار وليس التأكد من أن عينتنا قائمة على احتمالية تكوينها. ومع ذلك يتعين علينا التقليل من احتمالات عدم الاستجابة، وذلك من خلال تشجيع المبحوثين على الوجه الأكمل. ولهذا نجد من المعتاد أن يضم تقرير البحث أو الرسالة الجامعية مناقشة لأساليب الوصول الناجح إلى المبحوثين، واستعراض الصعوبات الراجعة إلى حالات رفض المشاركة، وأخيرا كيفية التغلب على أى صعوبات أخرى واجهت البحث.

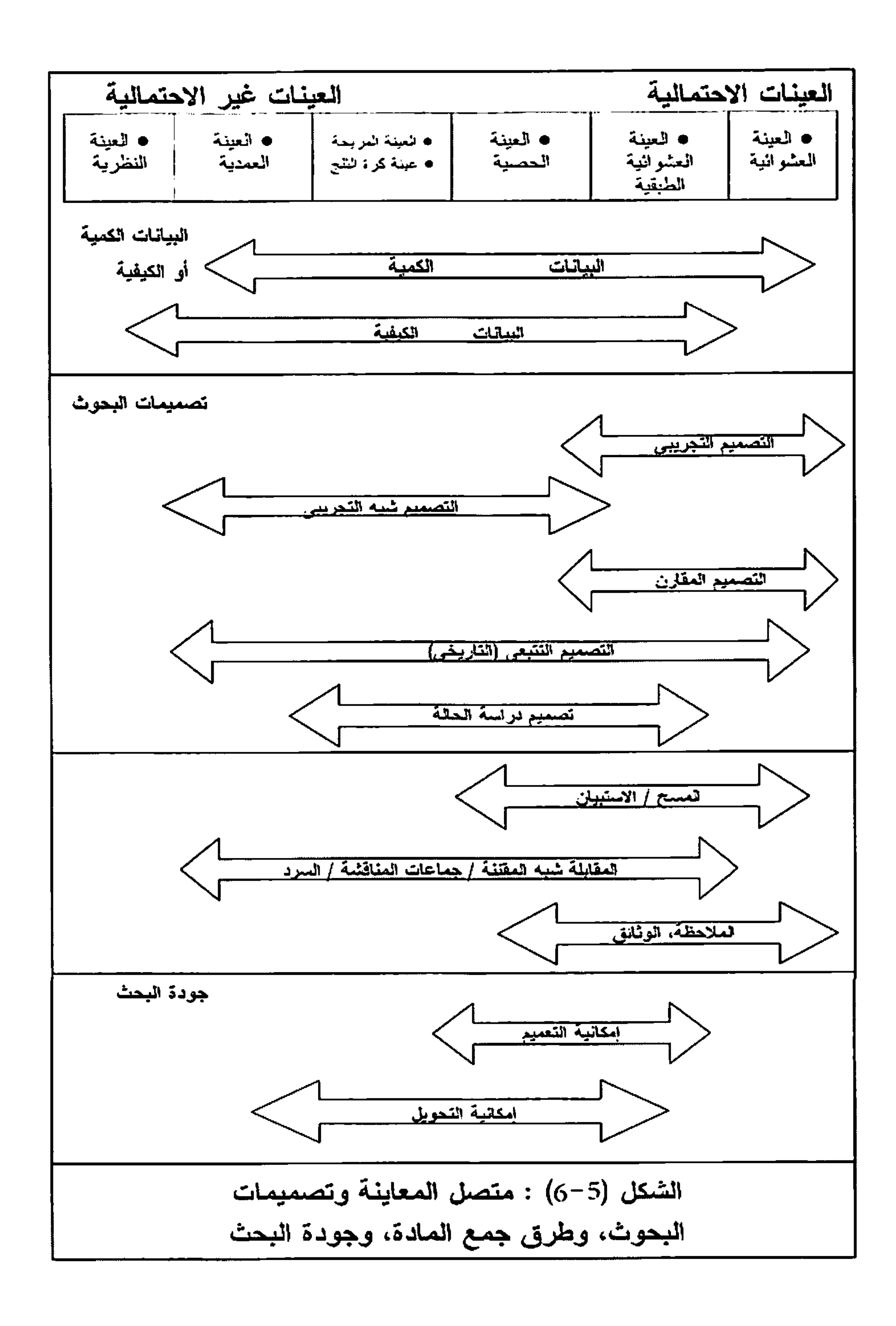
بحثك

اختبار جودة البحث: المعاينة العمدية

- هل توصلت إلى فهم جيد لسياق البحث والمبحوثين المحتملين ؟
- ما نوع العينة العمدية التى تستخدمها؟
- كيف ترتبط معايير اختيار العينة بأسئلة بحثك؟
- هل قدمت تبريرا لحجم العينة التى اخترتها ولتكوينها فى ضوء الأسلوب التحليلى الذى تنوي اتباعه؟
- هـل حددت نقاط القـوة فى عينتك فى ضـوء تساؤلات بحثـك والتطلعات التى ترمى إليها من وراء التحليل : هل تطوير نظرية أم تحويل نتائجك بحيث تطبق على سياقات أخرى.

اختيار طريقة المعاينة

أشرنا فى مطلع هذا الفصل إلى أن طريقة المعاينة التى سوف تأخذ بها تعتمد على تساؤلات بحثـك، وعلـى طبيعة البيانات التى تريد جمعهـا، سواء كانت بيانات كميـة أم كيفية، وعلى طـرق جمع البيانات التى قررت أن تستخدمها. كما أشرنا إلى أن طرق المعاينة المختلفة يمكن تصورهـا علـى هيئة متصل. ويقدم الشـكل (5-6) تخطيطا لكل نوع مـن أنواع التصميمات البحثيـة ولطرق جمـع البيانات، وذلك عبر متصل المعاينة الـذى أشرنا إليه. ويوضح الشكل أن لـكل تصميـم بحثى مجموعة مناسبة مـن طرق المعاينة واختيار مـا ستدرسه من حالات، أو أشخاصـ، أو وثائق. ونلاحـظ فى الممارسة العملية أن أى باحث سوف يواجه قيودا على الإمكانيـات المتاحة له، وهى التـى ستؤثر بقوة على العينة التـى ستستخدمها فى بحثك. ومن الممكن الاستفادة من اختبارات جودة البحث بالنسبة لكل طريقة للمساعدة فى تقدير نقاط القوة ونقاط الضعف الخاصة بالطرق المتاحة لك.



الشكل (5-6) : متصل المعاينة وتصميمات البحوث، وطرق جمع المادة، وجودة البحث

تحـدد طريقة المعاينة التى اخترتها مـا يمكن أن تدعيه بشأن علاقة نتائجك بالسياق الاجتماعى الأوسع الذى سحبت منه العينة. ويمكن القول بوجه عام أن النتائج المستمدة من العينات الاحتمالية يمكـن تعميمها على مجتمع البحث الذى سحبت منه العينة، على حين أن نتائج العينة العمدية يمكن النظر فى تحويلها بحيث يمكن أن تطبق على ظروف أو حالات أخرى. إلا أنه يجب الحذر الشديد فى البحوث الصغيرة – خاصة المشروعات البحثية للطلاب – عند التفكير فى إمكانية تطبيق النتائج المستمدة من العينة.

بحثك

فى ضـوء موضوع بحثك وتساؤلاتك البحثية : ما طريقة (أو طرق) المعاينة التى ستختارها؟

العينة الاحتمالية يمكن أن :

- تمكِّنك من تعميم النتائج على مجتمع البحث.
- وتمكنك من استخدام الأساليب الإحصائية فى تحليل بياناتك.

ولكن

- هـل تستطيع الوصول إلى قوائـم حصرية بمجتمع البحث – وجميع الحالات المختارة؟
- هل لديك من الوقت، والموارد، والمهارات ما يسمح لك بإجراء البحث بهذه الطريقة؟

العينة غير الاحتمالية يمكن أن :

- تتيح لك الاستخدام الجيد للوقت، والموارد والمهارات.
- تمكنك من الوصول إلى عينة "جيدة بما يكفى" متطلبات حجم ونطاق بحثك.
- تمكنك من استهداف الحالات الأكثر احتمالا أن تكون مفيدة ولازمة لبحثك.

ولكن

- هل أخذت فى اعتبارك مصادر التحيز فى عينتك؟
- هل تستطيع أن تبرر استخدام طريقة المعاينة هذه فى ثنايا تقرير بحثك أو فى رسالتك، وأن تحدد نقاط الضعف؟

العينة العمدية يمكن أن:

- تمكنك من اختيار الحالات على أساس تساؤلات بحثك.
- تمكنك من جمع بيانات متعمقة من عدد قليل من الحالات.
- تمكنك من الاستخدام الجيد للوقت وللموارد.

ولكن

- هل توصلت إلى فهم جيد للمعايير التى ستستخدمها فى اختيار الحالات؟
- هل لديك قدرة على الوصول إلى الحالات التى تتحقق فيها هذه المعايير؟
- هل تستطيع أن تبرر طريقة المعاينة التى استخدمتها والمعايير التى استخدمتها فى تقرير بحثك أو فى رسالتك الجامعية؟

المراجع وقراءات للاستزادة

Commission on the Future of Volunteering (2008) *Report on the Future of Volunteering and Manifesto for Change*, London: Volunteering England.

Glaser, B. G. and Strauss, A. L. (1967) *The Discovery of Grounded Theory: Strategies for Qualitative Research*, New York: Aldine de Gruyter.

Low, N., Butt, S., Ellis Paine, A. and Davis Smith, J. (2007) *Helping Out: A National Survey of Volunteering and Charitable Giving*, London: Office of the Third Sector.

Moser, C. (1958) *Survey Methods in Social Investigation*, London: Heinemann.

Ritchie, J. and Lewis, J. (eds) (2003) *Qualitative Research Practice: A Guide for Social Science Students and Researchers*, London: Sage.

Wright, D. B. and London, K. (2009) *First (and Second) Steps in Statistics*, 2nd edn, London: Sage.

الفصل السادس
مقترح مشروع البحث

محتويات الفصل

- ما مقترح مشروع البحث وما وظيفته؟
- بنية مقترح البحث.
- ملخص.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

يتناول هذا الفصل كتابة مقترح البحث. ويتولى مقترح البحث التأليف بين كافة عمليات الإعداد، التى انتهت إلى تطوير وبلورة موضوع البحث. وغالبا ما يكتب كمؤشر على إمكانية البدء الفعلى لجمع البيانات ومعالجتها. ويستعرض الفصل كذلك الهدف من مقترح البحث، وبنيته المعتادة، كما ينبهنا إلى أن مقترحات البحوث يجب أن تركز على جمهور معين (فصل 1 من باب 5)، كما أنه من اللازم أن يعرض المقترح مشروع البحث بوضوح تام.

ما مقترح مشروع البحث وما وظيفته؟

يمكن لمقترح مشروع البحث أن يخدم عددًا من الأغراض، ولكن الأمر الجوهرى بالنسبة لأى مقترح هو كيف يعرّف الباحث أى طرف آخر بالبحث المقترح. ولكى يؤدى المقترح وظيفته يتعين عليه أن يبين:

- الموضوع الذى يدور حوله البحث: أى وصف للقضية التى يتناولها.

- كيف سينفذ البحث: أى استعراض الطرق وبعض الأمور الأخرى.
- مـا أوجه أهمية البحـث؟: أى مناقشة لأسباب أهمية القضيـة أو مدى الحاجة إليها.
- المدى الزمنى الذى سيستغرقه.
- لمـاذا يتعين تمويل هـذا البحث (وقد لا تمثـل هذه النقطة قضية كـبرى بالنسبة للطـلاب الذيـن يجرون بحثـا، ولكنهـا ذات أهمية حاسمة لبعضـ الباحثين، خاصة الأكاديميين).

من المهم أن تتذكر أن مقترح البحث يكون دائمًا موجهًا إلى جمهور معين. ويكون هذا الجمهور بالنسبة للطالب أستاذه أو المعيد، الذى يتولى إحدى المهمتين:

- تصحيح وتقدير درجة "لمقترح مشروع البحث" الذى كلف به الطالب.
- الموافقـة على إجـراء الطالب للبحث، والغالب أن يجـرى هذا البحث من أجل إعداد رسالة جامعية.

والاحتمال الثالث أن تكون راغبا فى الالتحاق ببرنامج لدراسة تخصص البحث. وفى هـذه الحالة من المحتمل أن يطلـب منك كتابة مقترح مشـروع بحث، الذى سيتم تقييمه، وعلى أساس الدرجة التى تحصل عليها يتقرر قبولك فى هذا البرنامج الدراسى من عدمه.

ويعنـى كل هذا أن كتابة مشروع بحث جيد أمر مهم بالنسبة لك، لأنه – على أقل تقدير – سيوفر عليك بذل جهد إضافى لتحقيق غرضك.

بنية مقترح البحث

مع أنه لا توجد بنية «محددة» وثابتة لمقترح مشروع البحث، فالمؤسسة التى تنتمى إليها قد تكون لها بعض القواعد والمتطلبات المحددة بخصوص هذا المقترح: لذلك ننصح بمراجعـة تلك القواعد قبل التفكير فى بدء الاشتغال بمشروع البحث. ولعلك تلاحظ أن البنية التى سنعرضها عليك فيما يلى تشبه إلى حد بعيد بنية الرسالة الجامعية، التى سوف

نناقشها فــى الباب الخامس. والأمر الغالب أن مقترحــات مشروعات البحوث ملزمة بالإيجــاز، وربما تكون محــددة الكلمات بعدد معــين. من هنا عليك الالتــزام بالقيود المفروضة على حجم مقترح المشروع.

ما : البنية الأساسية لمقترح مشروع البحث؟

1 - المقدمة(*).

2 - مراجعة التراث المنشور.

3 - المناهج والطرق المستخدمة.

4 - النشر .

5 - الجدول الزمنى.

المقدمة

تشبــه مقدمة مقترح المشروع البحثى مقدمات المقــالات والتقارير، والتى لا شك أنــك طالعت من قبــل الكثير منها. وهدف المقدمة أن تهيئ المســرح للبحث الذى ستقوم به، وذلك من خلال عرض القضية التى تخطط لدراستها، وتقديم أهداف البحث، أى الإجابــة عن تساؤلات البحث التى طرحتها. ويمكن أن تنتهز هذه الفرصة لاستعراض بعض التعريفات إن شئت، وأن تشرح كذلك سبب اهتمامك شخصيا بهذه القضية.

وربما يتوجب عليك أيضا توضيح أسباب أهمية هذا المجال أو الموضوع المقترح، ومــن ثم تبرر الحاجة إلى دراسته. كما يحسن أن تحدد الجهة أو الطرف الذى سيستفيد مــن نتائج هذا البحــث، ومدى تجانس بحثــك وملاءمته للفرع العلمــى التخصصى أو للمجال الذى تنتمى إليه.

ولا بــد أن تأتــى - فى مكان ما من مقترح البحث - علــى عرض سؤال أو أسئلة البحــث (فصل4 من باب 1)، وما يرتبط بتلك الأسئلــة من تعريفات إجرائية. (لاحظ

(*)لا تنسى أن تبين سؤال أو أسئلة البحث.

أننا استخدمنا هنا كلمة «سؤال» من باب التيسير . فقد تريد أن تطرح فرضا علميا تنوى اختباره فـى بحثك). وتختلف الآراء فى تحديد المـكان الأنسب لعرض هذا فى مقترح المشروع ، وليس هناك قول فصـل فى هذا الصدد. ولكن هناك ثلاثة اختبارات متاحة لك:

1 – فى المقدمة.

2 – فى استعراض التراث المنشور.

3 – كفقرة مستقلة بين فقرة استعراض التراث وفقرة عرض المناهج والطرق.

ونحـن نفصل شخصيا أن تقدم أسئلة البحث بعد فقرة استعراض التراث المنشور ، على أسـاس أن المقدمة وعرض الـتراث يهيئان المسرح لطرح تسـاؤلات البحث قبل أن تنتقـل – فى فقرة المناهـج والطرق – إلى شرح كيف ستقوم بالإجابة على تساؤلات البحث.

مراجعة التراث المنشور

(للوقوف على تفاصيل موضوع مراجعـة التراث المنشور ، يرجى الرجوع إلى الفصل2 من هذا الباب).

تمثـل مراجعة التراث المنشور عن موضوع البحث – فـى العادة – القسم الأكبر مـن مقترح مشروع البحـث. ومع ذلك من المهـم أن تدرك أن هـذا العرض إنما هو مؤشر إلى التـراث المتاح حـول الموضوع. وفى هذه المرحلة من عملية البحث ربما لا تكون قد فرغت بعد من استعراض التراث المنشور.

ويؤدى استعراض التراث فى مقترح مشروع البحث عددًا من المهام البارزة:

1 – أنه يحدد موضع البحث وأهميته للعالم الواقعى، كما يضع البحث فى سياقه.

2 – قد يوفر إطارا فكريا ونظريا للدراسة المقترحة.

3 – أنه يتطرق إلى مناقشة قضايا البحث، وفى ثنايا هذه المناقشة يتولى:

(أ) التدليل على أن الباحث يفهم قضية البحث فهما جيدًا فى ضوء الدراسات والبحوث المنشورة.

(ب) يضع يدنا على نقاط الضعف فى البحوث السابقة ويتناولها بالمناقشة.

(جـ) يحدد ويناقش «الثغرات» الموجودة فى المعرفة المتاحة، والتى سيعمل هذا البحث على سدها.

4 - أنه يقودنا إلى التحديد النهائى لسؤال أو أسئلة البحث.

ولو قدمت ملخصا موجزًا فى نهاية فقرة مراجعة التراث، فلا شك أنه سيوضح للقارئ ماذا غطيت فى عرضك وكيف يرتبط هذا التراث المنشور ببحثك المقترح.

المناهج والطرق المستخدمة

مع أننا جمعنا هذين الموضوعين فى فقرة واحدة، فمن المهم أن تعرف الفرق بينهما. وجوهر المنهج هو استعراض الرؤية الإبستمولوجية والأنطولوجية لبحثك (فصل2 من باب1)، ولكن قد يحسن التركيز فى مقترح مشروع البحث على شرح نوعية تصميم البحث وطرق البحث التى تنوى استخدامها (الفصلان 3 و4 من هذا الباب).

بعد أن تفرغ من شرح الجانب المنهجى، تكون الخطوة التالية هى الحديث عن القضايا العملية التى ستحظى بأهمية فى بحثك. تلك هى الطرق التى ستشمل ما يلى:

- **جمع البيانات:** عرض لعمليات جمع البيانات التى تقترح القيام بها (باب3)، وإذا سمح المجال قد يشمل ذلك استعراض أسباب اختيارك لهذه الطرق التى ستستخدمها فى جمع البيانات، ومدى ملاءمتها لبحثك. وقد ترغب(أو قد يتعين عليك أحيانا) فى أن تضمِّن المقترح نسخة أولية لأداة جمع البيانات (كاستبيان، أو دليل مقابلة مثلا).
- **مجتمع البحث والمعاينة:** سيكون عليك أن تبين طبيعة مجتمع البحث الذى تنوى دراسته، وحجم العينة وإجراءات المعاينة التى سوف تتبعها (فصل5 من هذا الباب).

- **اســتراتيجية تحليل البيانات** : من المهم فى هذه المرحلة أن توضح أنك تعرف ماذا ستفعل بالبيانات التى ستقوم بجمعها (باب4) وأن استراتيجيتك فى التحليل تتوافق مع عملية الجمــع التى قمت بها. وتوضيح هذه الأمور جزء من إضفاء الصــدق والثقة على بحثــك. من ذلك مثلا أنه من غــير الملائم القيام بمقابلات مقننة، ثم تحاول بعد ذلك إجراء تحليل سردى للبيانات.
- **القضــايا الأخلاقية:** يجــب أن يتضمن المقــترح استعراضــ موقفك الأخلاقى (خاصــة إذا كانــت المؤسسة التى تنتمى إليها تطلب منــك الحصول على موافقة أخلاقيــة علــى البحث). والهدف من ذلــك أن تضمن أن يعــرف القارئ أنك تــدرك القضايا الأخلاقيــة، والآثار المحتملة التى قد تترتــب على إجراء بحث على البشر (فصل5 من باب1).

النشر

عليــك أن تبين مــاذا ستفعل بنتائج بحثك (فى بعض الأحيــان يتم إعلامك بما هو متــاح لك فى هذا الصــدد). من ذلك مثلا أن تبين أنك تخطط لنشــر النتائج على الموقع الإلكترونــى لمعهدك أو كليتك، أو أن إجراء البحث يقتصر فقط على إعداد رسالة ونيل درجة جامعية.

الجدول الزمنى

يبين الجدول الزمنى للمشروع المقترح استعراض مختلف مراحل هذا المشروع، مع تحديد فترات زمنية محددة لإنجاز كل مرحلة منها، وكذلك التواريخ المهمة فى هذا الصــدد. تأكد من أنك على علم بالتواريخ الأساسيــة الحاسمة (من قبيل: مواعيد تسليم مســودة البحث، وتسليمــك النسخة النهائية)، وتأكد كذلك من أنــك تستخدم استمارات الجــداول الزمنيــة التى تتطلبهــا المؤسسة التى تتبعهــا. ومن الممكن أن تكــون استمارة الجدول الزمنى بسيطة على النحو الموضح فى المثال التالى:

المثال (6-1)

الجدول الزمنى للبحث

الجدول (6-1) : الجدول الزمنى للبحث

من(*)	إلى(*)	المهمة (البحثية)
٥ يناير	١٩ يناير	كتابة مراجعة التراث المنشور، وتصميم دليل المقابلة، عرض المقترح على الجهة المسئولة عن المراجعة الأخلاقية.
١٩ يناير	٢٦ يناير	الاتصال بالمبحوثين، والإعداد للمقابلات، حجز غرف إجراء المقابلة.
٢٦ يناير	٩ فبراير	إجراء المقابلات، بدء عملية تدوينها و تحليلها.
٩ فبراير	١٦ مارس	تدوين المقابلات وتحليلها.
١٦مارس	٦ إبريل	استكمال التحليل، البدء فى كتابة النتائج والتوصيات
٤ مايو		تقديم تقرير البحث النهائى

(*) لاحظ من فضلك أن هذه التواريخ وهمية تماما، فهى لا تعنى أبدًا أن هذه هى المدد الزمنية اللازمة لإنجاز هذه المهام.

ملخص

يمكن القول على وجه الإجمال إن مقترح بحثك يسعى إلى التأثير على بعض الأشخاص وإقناعهم بقدرتك على إنجاز مشروع البحث. ونقترح عليك أن تعيد قراءة مقترحك بعد الفراغ منه، واضعا نصب عينيك هذا التأثير الذى تسعى إليه، وأن تراجع كذلك قائمة الفحص والمراجعة الواردة فى البرواز أدناه لاختبار مقترحك.

بحثك

اختبر مقترح بحثك

قائمة فحص ومراجعة مقترح البحث

	√
تأمل نص مقترح المقدم منك: هل يبدو احترافيا وجذابا؟	
هل غطيت كل القضايا المهمة؟	
هل كتابتك على المستوى الملائم لمن ستوجه إليه الورقة؟	
هل راجعت النص إملائيا ونحويا؟	
هل قدمت وجهات نظر واضحة؟	
هل تساؤلات البحث أو فروضه جاءت مدعومة من واقع التراث المنشور؟	
هل رؤيتك المنهجية، واستراتيجيات جمع البيانات والتحليل ملائمة بما فيه الكفاية؟	
هل الجدول الزمنى الذى قدمته مكتمل ودقيق؟	

المراجع وقراءات للاستزادة

Baxter, L., Hughes, C. and Tight, M. (2001) *How to Research*, Buckingham: Open University Press.
Bell, J. (1999) *Doing Your Research Project: A Guide for First-time Researchers in Education and Social Science*, Oxford University Press.
Cryer, P. (2000) *The Research Student's Guide to Success*, Buckingham: Open University Press.
Silverman, D. (2005) *Doing Qualitative Research*, 2nd edn, London: Sage.

الباب الثالث

جمع البيانات

الفصل الأول: عملية جمع البيانات

الفصل الثاني: مهارات جمع البيانات.

الفصل الثالث: الاستبيانات.

الفصل الرابع: المقابلات شبه المقننة.

الفصل الخامس: جماعات المناقشة (البؤرية).

الفصل السادس: الملاحظة .

الفصل السابع: البيانات السردية.

الفصل الثامن : الوثائق.

الفصل التاسع: المصادر الثانوية للبيانات.

الفصل العاشر: جمع البيانات باستخدام الاتصال عبر الحاسب الآلى.

الفصل الأول

عملية جمع البيانات

محتويات الفصل

- عملية جمع البيانات نشاط عملى.
- أ - البيانات المقننة وشبه المقننة وغير المقننة.
- ب- الباحث الحاضر والباحث الغائب.
- جـ- الباحث الإيجابى والباحث السلبى.
- استخدام هذه المتصلات الثلاثة للمساعدة فى تصميم أدوات البحث.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

نقـدم فى هذا الباب مجموعة مـن الأساليب المختلفة لجمـع البيانات التى تحتاجها لكى تكون قادرا على بلورة أسئلة البحث (فصل4 من باب 1) التي ستقوم باستقصاء الإجابـة عليها فى دراستـك البحثية. ويقدم هذا الباب فكـرة «أداة البحث» ويمعن النظـر فـى السمات التى تتصف بهـا أدوات البحث المختلفـة. ولتحقيق ذلك نحتاج لتذكيرك بما أوردناه فى الفصل 3 من الباب 1 عن خصائص البيانات، ثم ننتقل إلى إمعان النظر فى طريقة تطوير «الأدوات المناسبة لأداء هذه المهمة».

ولأن عمليـة جمـع البيانات نشاط عملـى، سوف نقوم فى الفصـل الثانى بإلقاء نظـرة فاحصة علـى بعض المهارات العمليـة التى يتعين عليـك تطويرها فى نفسك لتجمع البيانات المطلوبة بكفاءة، وذلك قبل الانتقال فيما بعد إلى الفصول من الثالث إلى التاسع لمناقشة بعض أشهر طرق جمع البيانات وأكثرها انتشارا.

من الشائع فى وقتنا الحاضر استخدام الحواسب الآلية (الكومبيوتر) بأساليب عديدة لتسهيـل عملية جمع بيانـات البحث الاجتماعى، ويلقى الفصـل العاشر نظرة فاحصة علـى بعض الأسـاليـب الشائعة حاليا لجمع البيانات، والتـى تستخدم - مثلا - البريد الإلكترونى (الإيميل) وجماعات المناقشة، كوسائل لجمع بيانات البحث الاجتماعى.

عملية جمع البيانات نشاط عملى

أوضحنا فى الفصل 3 من الباب 1 الفكرة التى تقول إن البيانات هى بمثابة «بديل» عن الواقع الاجتماعى الذى نرغب فى دراسته ويكون هذا البديل أقرب ما يكون للواقع إذا حصلنا على تصوير صادق للحقائق، والمفاهيم، والآراء، والخبرات الخاصة بالأفراد والظواهر التى يدور حولها بحثنا. وقد حددنا عددا من خصائص بيانات البحث الاجتماعى، وهى:

- يمكن أن تكون هذه البيانات منطوقة أو مكتوبة.
- ويمكن أن تكون غير لفظية: كالصور، أو الإيماءات، أو الأصوات، والتى يكون بالإمكان – حينئذ – التعبير عنها بكلمات.
- يمكن تنظيمها وترتيبها بعدة طرق مختلفة.
- يمكن أن تكون البيانات مستخلصة (من مصادر سابقة) أو تم الحصول عليها من بعض الأفراد والجماعات.
- يمكن للبيانات أن تشتمل على أحكام وآراء واقعية تقريرية وعلى أحكام تقييمية.
- يمكن للبيانات أن تشتمل على ما يقوله الأفراد (أى المحتوى أو المضمون) وعلى اللغة التى استخدموها فى التعبير عن هذا المحتوى.
- يمكن للبيانات أن تشتمل على أفكار الباحث وتأملاته الشخصية.

بعد أن يقوم الباحث بصياغة سؤال أو أكثر من أسئلة البحث، أو بعد أن يبلور فرضا معينا (فصل4 من باب 1)، يواجه بمهمة تصميم البحث الذى سيمكنه من جمع البيانات المطلوبة بطرح سؤال البحث أو الفرض المطروح، وهو واضع فى اعتباره خصائص البيانات الاجتماعية وعلاقة الباحث الاجتماعى بتلك البيانات، بوصفه كائنا اجتماعيا وجزءا من العالم الاجتماعى.

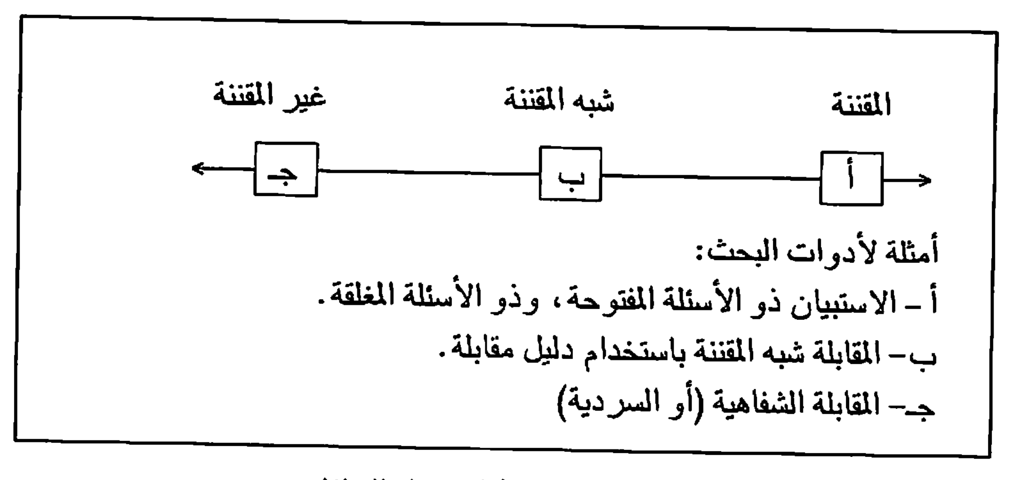
يعتبر جمع البيانات نشاطا عمليا، أى إنه نشاط يتعين تنفيذه داخل نطاق حدود زمانية ومكانية، وحدود تتعلق بالإمكانيات المتاحة. لهذا السبب يكون من الأهمية

إعمال الفكر فى كيفية جمع البيانات الصحيحة للبحث الاجتماعى بفاعلية وكفاءة داخل نطاق هذه الحدود. وقد اشتمل تاريخ البحث الاجتماعى على تطوير مجموعة من "أدوات" البحث اللازمة لمساعدة الباحثين الاجتماعيين على تنظيم وإدارة مهمة جمع البيانات. "**وأداة البحث**» (انظر قائمة المصطلحات) هى - ببساطة - وسيلة جمع البيانات كالاستبيان مثلا، أو استمارة البحث، أو الباحث نفسه وذلك فى حالة المقابلات شبه المقننة أو غير المقننة.

وفى هذه الفقرة من الفصل سنعرض لثلاث من خصائص أدوات جمع بيانات البحث الاجتماعى، ودلالات تلك الأدوات فيما يتعلق بالبيانات التى يتم جمعها وفيما يتصل بالطريقة التى يتم بها تنفيذ عملية جمع البيانات. ونقدم كل جانب هنا بوصفه متصلا يمكن على امتداده العثور على طرق مختلفة لجمع بيانات البحث. وهى كالتالى:

أ - البيانات المقننة، وشبه المقننة، وغير المقننة.
ب - الباحث الحاضر والباحث الغائب.
جـ - الباحث الإيجابى والباحث السلبى.

(أ) البيانات المقننة، وشبه المقننة، وغير المقننة



شكل (1-1) الخط المتصل للبيانات المقننة وشبه المقننة وغير المقننة

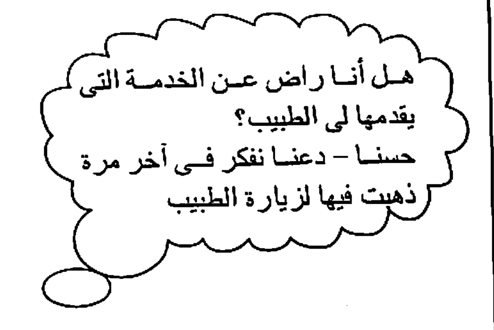
يتعلق المتصل الأول بالشكل (أو القالب) الذى ستجمع فيه البيانات. وقد سبق لنا -فى فصل 3 من باب 1 - وفى مناقشتنا لموضوع البحث الكمى والبحث الكيفى (فى الفصل 4 من باب 2)؛ سبق أن طرحنا موضوع طبيعة البيانات. ولتبسيط القول فى موضوع طبيعة البيانات نتساءل: هل هذه البيانات المجموعة معدة وفقا للجماعات العمرية، أو درجة الرضى، أو آراء المبحوثين، أو خبراتهم، وهى الأمور التى يمكن عدها (أى يمكن حصرها وتقنينها)، أم أن هذه البيانات قد تم جمعها فى صورتها «الخام» - أى: كما نطق بها المبحوث أو كما كتبها، أو كما لاحظها الباحث (أى «بيانات غير مقننة)؟ ومن الطبيعى أن تتنوع هذه البيانات على امتداد متصل يمتد بين هذين النوعين السابقين من البيانات، أعنى بذلك أنها قد تكون بيانات شبه مقننة. لاحظ أن الباحث هو الذى يقرر: أين موقع درجة تقنين هذه البيانات على امتداد هذا الخط المتصل، ثم يقوم الباحث نفسه - بناء على ذلك - بتصميم أداة بحث تسمح بجمع هذه البيانات فى ذلك الشكل من التقنين. ويبين المثال أدناه (1-1) كيف يستطيع المبحوث أن يبلور هذه البيانات ويقدمها فى أشكال مختلفة من التقنين بناء على الدرجة التى حددها الباحث لبحثه.

المثال (1-1)

البيانات المقننة، وشبه المقننة، وغير المقننة

يقوم أحمد الباحثين الاجتماعيين بدراسة مدى رضاء المرضى عن الخدمة التى يتلقونها عندما يزورون طبيب الأسرة. وإليك ثلاث طرق يمكن بها جمع البيانات:

البيانات المقننة



	راض	غير متأكد	غير راض
موظف الاستقبال			√
مدة الانتظار	√		
مدة وجودى مع الطبيب	√		
العلاج الموصوف		√	

البيانات شبه المقننة

عند التفكير فى آخر مرة ذهبت فيها لزيارة الطبيب – كيف كان شعورك بالوقت الذى كان عليك أن تقضيه فى حجرة الانتظار؟

حسنا، الحقيقة أن الأمر هذه المرة لم يكن بالغ السوء على الإطلاق، إذ إنهم استحدثوا نظاما جديدا، ويبدو أنه نظام جيد ...

ما النواحى التى تحسن فيها مستوى هذا النظام؟

البيانات غير المقننة

حدثنى عن آخر زيارة قمت فيها بزيارة طبيبك

حسنا، فى الحقيقة أنه فى آخر مرة ذهبت فيها لزيارة طبيبى، كنت سعيدا حقا لأننى دخلت إلى الطبيب بسرعة كبيرة. ففى بعض الأحيان يكون لزاما عليك أن تنتظر دهرا، إلا أنهم استحدثوا الآن نظاما جديدا يبدو أنه نظام ناجح. أما إذا اضطررت للانتظار، فلا شك أنه من الأمور الكئيبة للغاية أن تجلس فى مكانك مع كل هؤلاء المرضى بدون أن تعمل شيئا كل هذه الساعات التى تبدو بلا نهاية.

ثم إنه كان من الأطباء الذين رأيتهم قبل ذلك، لهذا فقد سارت الأمور سيرا طيبا، إلا أننى لم أذهب فى الحقيقة إلى أى مكان آخر داخل العيادة. فقد اكتفى الطبيب بإعطائى نفس المضادات الحيوية، وهى أدوية لا يبدو عليها أنها تحدث تأثيرا كبيرا. أوه، أما تلك الموظفى التى تستقبل المرضى، فقد كانت غير منضبطة، إذ تركتنى واقفا فى ذلك المكان منتظرا منها أن تحدد لى ميعادا آخر للعودة لزيارة الطبيب، حيث كانت مشغولة بمكالمتها التليفونية، كما لو لم أكن موجودا أمامها!

وعلى الرغم من أن النماذج الواردة فى المثال (1-1) تتعلق بجمع البيانات الأولية من أحد الأشخاص، فإن بالإمكان استخدام أشكال مماثلة فى درجة التقنين سواء فى السؤال عن البيانات الوثائقية وتسجيلها، أو جمع البيانات البصرية، أو البيانات الثانوية. وسوف تجد نماذج من هذه الأشكال المتفاوتة التقنين فى الفصول من 3 حتى 9 من هذا الباب.

موضوعات للتفكير فيها تتعلق بالبيانات

المقننة وشبه المقننة وغير المقننة

فيما يتصل بالاعتبارات العملية لتجميع البيانات، توجد أمور كثيرة يتعين التفكير فيها فيما يتعلق بدرجة تقنين البيانات الجارى تجميعها. وسوف نسلط الضوء على هذه الأمور ونناقشها من حيث صلتها ببعض طرق جمع البيانات التى تتناولها الفصول من 3 حتى 9 من هذا الباب، إلا أنه يوجد - فى هذه المرحلة - ثلاث قضايا عامة يتعين التفكير فيها هى كالتالى:

- صدق أداة جمع البيانات، ونعنى بذلك التأكد من أن أداة البحث هذه مصممة بطريقة من شأنها تحقيق أفضل جمع للبيانات التى يمكن أن «تقوم مقام» الخبرة الاجتماعية التى تمثلها. وهذا الأمر له أهميته بالذات وعند التفكير فى الأدوات المقننة كالاستبيانات (فصل 3) حيث تُجمع البيانات فى صورة فئات أو تجميعات، ولا يتسنى للباحث الوصول إلى البيانات الخام (أى ما نطق به المبحوث من كلمات أو عبر عنه من أفكار). وهذا يعنى ضرورة إعطاء الاهتمام والوقت اللازمين لإعداد وتحضير درجة تقنين أداة البحث التى سوف تستخدم فى جمع البيانات.

- فى حالة البيانات الأقل تقنينا (أى شبه المقننة)، ينبغى الاهتمام بكيفية التعامل مع المقادير الضخمة من البيانات «الخام» التى يحتمل الحصول عليها، مثل: سجلات تدوين المقابلات (فصل 4)، والتسجيلات الصوتية وتسجيلات الفيديو، والوثائق، والسرديات الشفاهية. ولابد من تخطيط البيانات شبه

المقننــة أو غــير المقننة باستخدام الاتجــاه الخاص بدراســة (أى تحليل) البيانات الموجــودة فى ذهن المبحوث، كتحليل ذلك النمط من البيانات الذى يعالج – فى العــادة – تلك البيانات فــى الشكل الذى جمعت به، والتــى منها مثلا: الكلمات التى نطــق بها المبحوث أو التقرير فى صورته المكتــوب بها فى إحدى الوثائق (فصل 2 من باب 4).

- لا بــد من توافــر المهارات المختلفة لجمــع البيانات، والتــى تتوقف على درجة ضبط وتقنين عملية إنتاج البيانات. مثال ذلك: أنك إن كنت تجمع بيانات مقننة فلا بــد أن تكون قادرا على ابتــكار أدوات البحث التى يمكــن إدخال البيانات فيها، كالاستمارات forms أو النمــاذج formats، أو الاستبيانات (الفصل2). وإن كانــت البيانــات شبه مقننة أو غير مقننة، فقد تستخــدم فى تجميعها طريقة التسجيل السمعــى/ أو الصوتى، أو التسجيل المصور (الفيديو) (الفصل2)، كما أنك ستحتاج إلى تدوين البيانات الشفاهية أو المكتوبة لتحويلها إلى نص مكتوب (فصل2).

بحثك

اختبار جودة البحث: البيانات المقننة/ وشبه المقننة/ وغير المقننة

- هل قررت: درجة تقنين أدوات جمع البيانات بما يتناسب مع مشروعك؟
- هــل أنت متأكد مــن المبررات التى يقــوم عليها قرارك هــذا، ومن تأثيره المحتمل على صدق البحث؟
- هل صممت أداة لجمع البيانات تدخل فى حسبانها هذا الاعتبار؟ (بمعنى: هل ستحتــاج فيمــا بعد إلى الرجوع إلى البيانات الخام – مثــلا – أم أن البيانات المقننة كافية؟).
- هل تعريفاتك الإجرائية ملائمة لهذا النوع من جمع البيانات؟
- هــل يمكنك التعامل مع البيانات على النحو الصحيح (أى عن طريق تدوينها وتخزينها . . . إلخ)؟

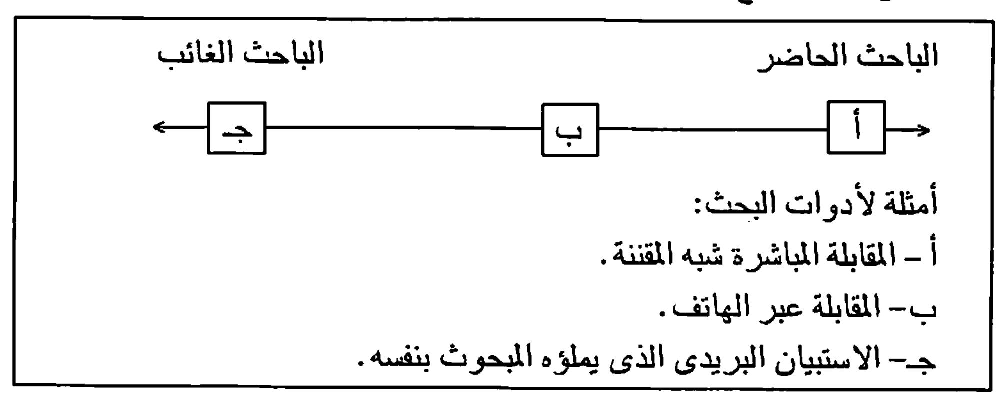
(ب) الباحث الحاضر/ والباحث الغائب

يشير هذا الخط المتصل إلى الحضور المحسوس (وكذلك الافتراضى) للباحث أو غيابه فى أثناء عملية جمع البيانات ، ومن ثم يتعلق هذا الحضور (أو الغياب) - جزئيا - بمستوى العلاقة الإنسانية بين الباحث والمبحوث . فإن لم يكن الباحث حاضرًا فى الوقت الذى يجرى فيه جمع البيانات - كما يحدث مثلا فى حالة الاستبيان الذى يقوم المبحوث باستيفاء بياناته بنفسه - فلابد أن يستوثق الباحث من أن لدى المبحوث كل المعلومات التى يحتاج إليها لكى يكون قادرا على تقديم البيانات المطلوبة منه . وقد تشتمل هذه المعلومات علـى توجيهات مفصلة بشأن استيفـاء استمارة البحث ، وعن الطريقـة التى بها يسجل المبحـوث حدثا معينا ، أو كيف يدخـل على أحد مواقع شبكـة الإنترنت ، وذلك بجانب اشتمال هذه المعلومات على وصف مفصـل وواضح لهذا البحث ولأهدافه وأغراضه ، ولبعض القضايا كقضية السرية ، وما مصير هذه البيانات والنتائج المستخلصة منها؟

إن كان الباحـث حاضـرا بنفسه أثناء عمليـة جمع البيانات ، فسـوف تثور قضايا مختلفـة يتوجب أخذها فى الاعتبار . ما الأثر الـذى سيحدثه الباحث - كشخص - على المبحوثـين فيما يتصل مثلا : بالجنس ، والانتماء الإثنـى ، والعمر ، والمكانة الاجتماعية التى يتصور المرء نفسه فيها؟ فقد يؤثر هذا «الحضور» على رغبة المبحوث فى المشاركة بالبحـث ، أو ربما فى الإجابة على بعض الأسئلة التى قد تكون ذات طبيعة شخصية أو حساسـة . وقد يكـون بناء علاقة الألفة مهما قبل جمع البيانـات . على أنه يلاحظ - من ناحية أخرى ، وفى ضوء الظروف المحيطة بالبحث - أن تبنى أسلوب أكثر رسمية قد يكون مطلوبا ، كما يحدث مثلا عندما يتم إجراء المقابلة داخل مقر العمل أو مع مبحوث يعتبر ذا مكانة اجتماعية رفيعة أو يكون شديد الإنشغال .

وقد لا تعتبر هذا الوضع خطا متصلا ، ذلك أن الباحث إما أن يكون حاضرا أو غير حاضـر . وأيا ما كان الأمر ، و نظـرا لتزايد إمكانيات الاتصال عـبر الهاتف ، والبريد الإلكترونى ، وغير ذلك من الوسائل المعتمدة على الحواسب الآلية ، فإنه لا يزال بإمكان الباحـث والمبحـوث أن يشعـر كل واحد منهما بالآخـر من خلال الاتصـال الشفاهى أو المكتـوب بينهمـا . فالباحث -مثلا- يمكـن أن يكون مشاركا فى جماعـة مناقشة (بؤرية) افتراضية (الفصل 10) حيث لا يعرف المشاركون بعضهم بعضا إلا من خلال النقاش عبر الفضاء الإلكترونى ، أو يمكن للباحث أن يقوم برصد ومتابعة ما يجرى فى إحدى غرف الدردشة (علـى الإنترنت) دون أن يدرك المشاركون فى هذه الدردشة أنه موجود «فى

الغرفة». من هنا يمكن القول إن هناك درجات مختلفة من «الحضور»، كما أن تأثير هذا الأمر على طريقة جمع البيانات لهو من القضايا التى يتعين إمعان النظر فيها.



شكل (1-2) متصل الباحث الحاضر/ والباحث الغائب

فكر فى هذا الموضوع . . .

فى أى من هذه السيناريوهات ترى أنك ستحصل على أدق البيانات (أى أقربها إلى الحقيقة) عن معدل تكرار، وعن أسباب خروج المراهقين للاشتراك فى «حفلات لشرب الخمر»؟

1- استبيان يستوفيه المبحوث بنفسه، ويكون خاليا من ذكر اسم المستجيب، ويتم إرساله للشباب ذوى الأعمار من 16-18 سنة عبر مدارسهم أو كلياتهم، ويعاد للباحث الذى يعمل بالجامعة فى مظروف مختوم.

2- جماعة مناقشة (بؤرية) من المراهقين فى أحد مراكز الشباب مع باحث سِنُه حوالى 20 سنة.

3- جماعة مناقشة (بؤرية) افتراضية على أحد مواقع شبكة الإنترنت التى يستخدمها المراهقون، ويكون قد سبق للباحث أن انضم إليها من قبل، كما أنه يقوم بمتابعتها ورصد ما يجرى فيها، وذلك بانتحاله لشخصية مراهق عمره 18 سنة.

هل تستطيع أن تقترح طرقا أخرى يمكن استخدامها لجمع البيانات؟

موضوعات للتفكير فيها حول:

الباحث الحاضر أو الباحث الغائب

فيمـا يتصل بالاعتبـارات العملية لجمـع البيانات، توجد عدة أمـور يتعين التفكير فيهـا، وهى تتعلق بمـا إذا كان الباحث حاضرا أم غائبا حين تجمـع البيانات. وسوف نلقـى الضوء على هذه الموضوعـات ونناقشها فى ضوء صلتها بطـرق جمع البيانات، التـى نتناولها فى الفصول من الثالث حتى التاسـع. إلا أنه توجد فى هذه المرحلة بعض القضايا العامة التى يجب التفكير فيها، هى كالتالى:

- إن لم يكن الباحث حاضرا (حضورا بجسده أو حضورًا افتراضيا)، فمن الضرورى بـذل اهتمام خاص بالتعليمات (أى: الإرشادات والتوجيهات) الموجهة للمبحوث أو لغيره مـن جامعى البيانات، وباللغة المستخدمة فـى أداة جمع البيانات، كالاستبيان أو النمـوذج مثلا، وذلك بقصد التاكد من أن هـذه الأداة سهلة الفهم، كما يجب بذل اهتمام خاص بالتعريف بالبحث (أى شرح طبيعته وأهدافه للمبحوثين).

- قـد يكون أكثر صعوبـة من ذلك التأكد مـن تحقيق معدل استجابة جيـد، إن لم يكن الباحـث قد التقى قبل ذلك بالمبحوثين فى أى لقـاء شخصى، كما أن من الضرورى إعمـال الفكر للتأكد من أن الإدلاء بالبيانات ليس عملا شاقا، أو يستنفذ وقتا طويلا، أو عسيرا على المبحوثين. فقد يكون من الأيسر لبعض المبحوثين أن يبعثوا بردودهم عن طريق البريد الإلكترونى – مثلا – أكثر من إرسالها بالبريد العادى. ومع ذلك قد لا يتوفر البريد الإلكترونى لبعض الأفراد فيحتاجون لتزويدهم بمظاريف ملصق عليها طوابع بريد، ومكتوب عليها عنوان جهة البحث لحثهم بذلك على الرد، أو قد يكـون بالإمكان توفير موقع للالتقاء بهم فيـه، يكون فى مكان يغلب أن يتردد عليه المبحوثون بانتظام، كأحد المحلات التجارية مثلا أو نادى الحى السكنى.

- إن ظفر الباحث بلقاء شخصى مباشر مع المبحوث، فلابد من إمعان النظر فى التأثير الذى يمكن للباحـث – بصفته كائنا إنسانيا اجتماعيا – أن يمارسه على المبحوث، بما فى ذلك التفكير فى تأثير النوع، والعمر، والانتماء الإثنى على التفاعل بين الباحث والمبحوث وعلى الطريقة التى جرى بها مناقشة موضوع البحث؟

- إن لم يظفـر الباحث بلقاء شخص مباشر مع المبحوث ، ولكن كان يتوافر له -فعلا- حضور افتراضى ، أو سمعى ، أو مكتوب؛ حينئذ يتعين على الباحث أن يمعن النظر فى شـكل وسيلة الاتصـال وفى الطريقة التـى يقدم بها نفسـه للمبحوثين من خلال وسيلـة الاتصال هذه ، ذلك لأن لـكل وسيلة اتصال ما يخصهـا من سمات مميزة ، واستعمـالات لغوية ، وآداب يجب مراعاتها (انظر الفصل 10 للوقوف على مناقشة لموضوع الاتصال عبر الحاسب).

بحثك

اختبار جودة البحث: الباحث الحاضر / والباحث الغائب

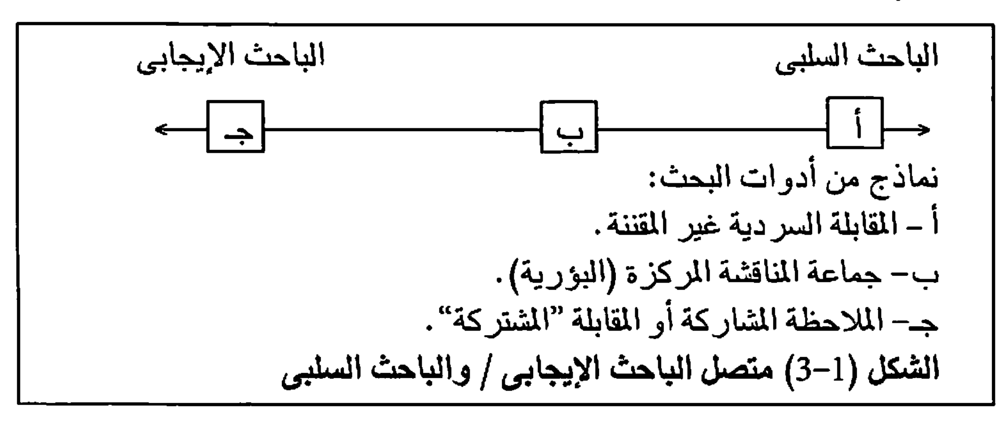
- هل أنت متأكد من مبرر حضورك فى بحثك أو غيابك عنه؟
- إن كنـت غائبا ، فهل أوليت اهتمامـا خاصا للتعليمات الموجهـة للمبحوثين ، لكى تضمن صدق البحث؟
- هـل اتخذت خطـوات لتعظيم الاستجابـة وتقليل التحيز (خاصة التحيـز الذى يحدث فى الاستبيانـات المرسلة بالبريـد ، وهل تأكدت من توفر الحواسـب الآلية - مثلا - لدى المبحوثين)؟
- هل أدخلت فى اعتبارك تأثيرك بوصفك الباحث؟
- هل أنت على دراية بأعراف الاتصال وآدابه إن قررت أن تكون باحثا افتراضيا؟ وهل أمعنت التفكير فى الأثر الذى تحدثه هذه القضايا فى بحثك؟

جـ - الباحث الإيجابى والباحث السلبى

يتعلـق المتصـل الثالث بـدور الباحث باعتبـاره «أداة بحـث» - أى وسيلة لجمع البيانـات. ربما لا ترى نفسك أداة بحث ، إلا أن بعض طرق جمع البيانات (وتحليلها) تتوقـف على كـون الباحث نفسه جامعـا إيجابيا وفعـالا للبيانات. ففـى المثال الخاص بالبيانـات شبه المقننـة ، والمذكور فى المثـال (1-1) ، كان الباحث يقوم بـدور إيجابى

تمامـا ، فقد كان يطرح سؤالا ثم يتبعه بسـؤال للتحقق من إجابة السؤال الأول بغرض اكتشاف المزيد من المعلومات عن التغيرات التى أدخلت على نظام الانتظار فى العيادة. فقـد كان الباحث فى هذا المثال يقوم بتطوير تفاعل حوارى لتسهيل قيام المبحوث بمهمة الإدلاء بالبيانـات. وأيا ما كان الأمر ، فإن مشاركـة الباحث فى المقابلة محصورة فى استخدامـه لمجموعة مـن وسائل الإيعاز أو التلميـح prompts (والتى يحث الباحث بها المبحـوث على المزيد من تقـديم البيانات) وأسئلـة تفتيح الموضـوع probes والمصممة لحـث المستجيب على الإفصاح عـن أفكاره وتفسيراته بأسلوبـه الشخصى الخاص به. ولكـن دور الباحـث كان أقل إيجابية فـى المثال الخاص بالبيانات شبـه المقننة، إذ كان يحـث المبحوث على رواية القصة حسب رغبته («حدثنى عن كذا . . . »). وهنا يكون المبحـوث أكثر تحكمـا فى تقديم وانتقـاء البيانات وفى طريقـة الإدلاء بها. ومن ناحية أخرى يدعو بعض الباحثـين (انظر -مثلا- أوكلى Okley، 1981) إلى تطوير علاقة مع المبحـوث بحيث يقوم كل من المبحوث والباحث بتقديم خبراتهما وأفكارهما الخاصة فـى عمليـة **الإدلاء بالبيانات** (انظر قائمـة المصطلحات)، والتى تسمى عـادة بالمقابلة المشتركة Collaborative Interview (انظر الفصل الرابع).

رأينا فى المثال (1-1) أن أداة جمع البيانات المقننة كانت عبارة عن استبيان يستوفيه المبحـوث بنفسه (الفصل الثالث). فى هذه الحالة قـام الباحث بتصميم أداة البحث - أى الاستبيـان - إلا أنـه كان يقوم بـدور سلبى فى عملية الجمع الفعلـى للبيانات ، بل ربما لا يكـون حاضرا أصـلا أثناء قيام المبحوث باستيفاء الاستبيـان. وحتى لو كان الباحث حاضـرا ويقوم بطرح الأسئلة علـى المبحوث فإن استخدام هذا الأسلوب المقنن لا يترك للباحث إلا دورا محدودا لا يتجاوز تلاوته للأسئلة وكتابته للأجوبة.



الشكل (1-3) متصل الباحث الإيجابى / والباحث السلبى

هيا بنا نفكر فى مثال مختلف، وهو المثال الخاص بجمع البيانات باستخدام أداة الملاحظة (الفصل السادس). فجمع البيانات من خلال الملاحظة يمكن أن يتخذ عددا من الأشكال، بدءا من ملاحظة موقف ما عن بعد، أو باستخدام آلة تصوير فيديو، وانتهاء بالملاحظة أثناء المشاركة الفعالة فى الموقف المدروس. ويتمثل واحد من المتغيرات الأساسية فى جمع البيانات عن طريق الملاحظة؛ يتمثل فى درجة مشاركة الباحث فى الموقف الذى يقوم بملاحظته. فالملاحظة يمكن تنفيذها بشكل ظاهر، وذلك بالملاحظة – مثلا – من خلال كاميرا فيديو مخفاة، أو من خلال مشاركة الباحث بوصفه عضوا فى هذه الجماعة، أو مكان العمل هذا، أو فى هذا السياق الذى يقوم بملاحظته. وفى الحالة الأولى يمكن وصف الباحث بأنه يقوم بدور سلبى، إذ لا يكون له تأثير على موقف الباحث أو على المشاركين الخاضعين للملاحظة (وتوجد بعض القضايا الأخلاقية التى يتعين أن تأخذها فى اعتبارك إن كنت تصور الأفراد بجهاز فيديو بدون تنبهم لذلك أو بدون موافقتهم عليه – انظر الفصل الخامس). أما فى الحالة الثانية فإن الباحث يكون مشاركا بنفسه، كما أنه – سواء أعلم المشاركون (المبحوثون) أنه باحث أيضا أم لم يعلموا – سوف يشارك بإيجابية فى عملية إنتاج البيانات الاجتماعية التى يجرى جمعها وتسجيلها. ومن المعهود فى البحث الذى يشارك فيه الباحث مشاركة إيجابية فى عملية إنتاج البيانات من خلال مقابلة تفاعلية أو ملاحظة مشاركة؛ من المعهود أن يتم تضمين هذا النوع من البحوث إلى جانب ذلك بعض البيانات التأملية (الفصل الثالث) لتمكين الباحث من أن:

أ – يُعمل فكره فى الأثر الذى أحدثه حضوره ومشاركته على البيانات التى جرى جمعها.

ب – وأن يُعمل فكره فى حقيقة إحساسه بأنه جزء من العالم الاجتماعى محل البحث.

جـ – وأن يدون أى أفكار أو تفسيرات قد تساهم فى تحليل البيانات.

موضوعات للتفكير فيها بشأن: الباحث الإيجابى والباحث السلبى

فيما يتصل بالاعتبارات العملية لجمع البيانات توجد عدة موضوعات مختلفة للتفكير فيها تتعلق بمدى إيجابية الباحث فى مشاركته فى عملية جمع البيانات. وسوف نلقى الضوء على هذه الموضوعات ونناقشها بالنسبة لكل طريقة من طرق جمع البيانات فى الفصول من الثالث حتى التاسع. إلا أنه توجد بعض القضايا العامة التى يتعين التفكير فيها فى هذه المرحلة، وهى:

- إن كان الباحث يشارك إيجابيا فى عملية إنتاج بيانات البحث، فمن الضرورى أن يأخذ فى اعتباره طريقة تسجيل البيانات، إذ إن من غير المحتمل أن يتمكن الباحث من كتابة الملاحظات أو مراجعة مدى استيفاء النماذج أو الاستمارات بسبب استغراقه فى نفس الوقت فى الأنشطة المرتبطة بإنتاج البيانات. وقد يستخدم التسجيل الصوتى أو التسجيل بالفيديو (الفصل الثانى)، أو يحتفظ الباحث بمذكرة يوميات تفصيلية يمكنه أن يدون فيها بياناته حين يتاح له ذلك (الفصل الثانى).

- ينبغى تقرير درجة المشاركة ومرونتها كجزء من تصميم البحث. مثال ذلك أنه عند إعداد مقابلة شبه مقننة يجب أن تدرج فى دليل المقابلة الطرق الممكنة لطرح الأسئلة التى تسهم فى تفتيح الموضوع أمام المبحوث، ولاستعمال أساليب الإيعاز والتلميح التى تحثه على الاستفاضة فى الكلام (الفصل الرابع).

- إن كان الباحث يشارك إيجابيا فى عملية إنتاج البيانات فسيشارك أيضا فى تفسير هذه البيانات وقت الحصول عليها. والواقع أن عملية التحليل تبدأ بالفعل عندما يستعمل الباحث هذه البيانات حال جمعها. وينبغى الاحتفاظ بتقرير يسجل فيه الباحث أفكاره وتأملاته، وذلك بأن يستخدم - مثلا - مفكرة يوميات، أو سجل بحثى، مع تدوينه لملاحظاته عن تفسير البيانات وللأفكار التى قد تكون مفيدة فى عملية التحليل.

بحثك

اختبار جودة البحث : الباحث الإيجابى/ والباحث السلبى

- هل أنت متأكد من مبرر كونك إيجابيا أو سلبيا فى بحثك؟
- هل صممت أداة جمع بيانات تدخل فى حسابها هذا الاعتبار؟
- هـل أنت واثـق أن تصميم بحثك يتعامل مع كل مشـارك (مبحوث) بنفس المعاملة؟
- هل أمعنت النظر فى التأثير الذى سوف تحدثه باعتبارك الباحث؟

استخدام هذه المتصلات الثلاثة للمساعدة فى تصميم أدوات البحث

قدمنـا فى هـذه الفقرة من الفصل ثلاثـة متصلات يمكن على امتداداهـا العثور على الأدوات المختلفـة لجمع بيانات البحث. ومن الممكن أن يساعد التفكير فى موقع كل أداة مـن أدوات جمع البيانات علـى كل متصل من هذه المتصلات أن يساعدك فى أن تكون علـى وعى بالقضايا التـى طرحناها عليك كباحث فيما يتصل بـكل من المهارات العملية المطلوبة، ودلالات ذلك بالنسبة لجودة البحث.

من الممكـن لكل طريقة من طرق جمع البيانات، ولأدوات البحث المرتبطة بها، أن توجـد على كل متصل من هذه المتصلات، كمـا أن من المفيد لك تعيين مواقعها على كل متصل على حدة حتى تكون على وعى بالنتائج المختلفة لاستخدام هذه الطريقة أو تلك. ويوجـد دائما عدد مـن الأنواع المختلفة للقضايا العملية التـى يتعين إدخالها فى الحسبان عنـد تصميم وتخطيط عملية جمع البيانات، ومنهـا قيود الوقت، والمهارات، والموارد المالية (عـادة) وغيرها من الإمكانيات. ولا شك أن تفكـيرك فى نتائج استعمال طرق بعينهـا من طرق جمع البيانـات واستخدام أدوات بعينها مـن أداوت البحث – قبل أن

تباشر العمل فى جمع البيانات - سوف يساعدك على العمل بأقصى كفاءة ممكنة داخل نطاق هذه القيود.

وانطلاقا مما تعرفه عن الأدوات المختلفة لجمع البيانات حاول أن تضع هذه الأدوات على المتصلات المسطورة فى البرواز الوارد أدناه، وعنوانه «فكر فى هذا الموضوع ...»، ثم فكر بعد ذلك فى بحثك الخاص بك وفى أدوات جمع البيانات التى تخطط لاستعمالها وحدد أماكن هذه الأداوت فى البرواز التالى، والمعنون «بحثك». وقد تجد من المفيد أن ترجع إلى المتصلات الثلاثة أثناء قراءتك عن مختلف طرق جمع البيانات، المشروحة فى الفصول من الثالث حتى التاسع، وأن تمعن النظر فى المكان الذى يمكن أن توجد فيه - على هذه المتصلات الثلاثة - هذه الطريقة أو تلك من طرق جمع البيانات، وأن تراجع «الأمور المطلوب التفكير فيها».

فكر فى هذا الموضوع . . .

ضع علامة × فى المكان الذى ترى أن أداة جمع

البيانات موجودة فيه على كل متصل من المتصلات الثلاثة

جماعة المناقشة الافتراضية

أداة مقننة	أداة غير مقننة
الباحث حاضر	الباحث غائب
الباحث إيجابى	الباحث سلبى
الاستبيان الذى يستوفيه المبحوث بنفسه	
مقنن	غير مقنن
الباحث حاضر	الباحث غائب
الباحث إيجابى	الباحث سلبى
المقابلة الهاتفية شبه المقننة	
أداة مقننة	أداة غير مقننة
الباحث حاضر	الباحث غائب
الباحث إيجابى	الباحث سلبى

بحثك

حدد بالنســبة لكل أداة من أدوات جمع البيانات المســتخدمة ، موقعها على كل متصل من المتصلات الثلاثة .

أداة جمع البيانات (١)	
أداة مقننة	أداة غير مقننة
الباحث حاضر	الباحث غائب
الباحث إيجابى	الباحث سلبى
أداة جمع البيانات (٢)	
أداة مقننة	أداة غير مقننة
الباحث حاضر	الباحث غائب
الباحث إيجابى	الباحث سلبى
أداة جمع البيانات (٣)	
أداة مقننة	أداة غير مقننة
الباحث حاضر	الباحث غائب
الباحث إيجابى	الباحث سلبى

المراجع وقراءات للاستزادة

Denscombe, M. (2007) *The Good Research Guide: For Small-Scale Social Research Projects*, Buckingham: Open University Press.

Gilbert, N. (ed.) (1993) *Researching Social Life*, London: Sage.

May, T. and Williams, M. (eds) (1998) *Knowing the Social World*, Buckingham: Open University Press.

Oakley, A. (1981) Interviewing women: a contradiction in terms, in H. Roberts (ed.) *Doing Feminist Research*, London: Routledge & Kegan Paul.

الفصل الثانى
مهارات جمع البيانات

محتويات الفصل

- الاحتفاظ بالسجلات.
- ابتكار أشكال النماذج .
- تدوين الملاحظات.
- الاتصال.
- المقابلات.
- التسجيل الصوتى، وعلى أشرطة الفيديو.
- مهارات التأمل.

عن السياق

يتمثل جمع البيانات للبحث الاجتماعى فى مجموعة من الأنشطة العملية التى تتطلب مهارات قابلة للنقل من مواقف أخرى وإليها. فما المهارات المتوفرة لديك والمناسبة لهذه العملية، وما المهارات التى تحتاج لتعلمها وتطويرها؟

فى هذا الفصل نلقى نظرة فاحصة على المهارات التى يحتاج إليها الباحث، ونقدم بعض النصائح العملية لمساعدتك على الاستخدام الأفضل لطرق جمع البيانات التى يترجح - إلى حد بعيد - أن تختارها.

بعـد أن تكون قد اخـترت طرقك فى جمـع البيانات، يتعين عليـك الآن أن تفكر فـى الطريقـة التى بها ستقوم بأداء هـذا العمل، وفى المهارات المتوفـرة لديك والمناسبة لهـذا العمل، وكذلك فى المهارات التى قد يتعين عليـك أن تتعلمها. وتتطلب كل طريقة مـن طرق جمع البيانات مهاراتهـا وعملياتها المعينة الخاصة بها، إلا أنه توجد مهارات يترجح أن تحتاج إليها بصرف النظر عن الطرق التى تختارها.

فكر فى هذا الموضوع . . .

أنت تخطط لاستخدام استبيان لتجمع بيانات من طلاب آخرين بصورة مباشرة. ما المهارات التى ترى أنك ستحتاج إليها فعلا للقيام بهذا العمل؟

ألـق نظـرة فاحصة على قائمـة المراجعة المبينة فـى البرواز أدنـاه، وتبين أى المهـارات المذكورة فى هذه القائمة تـرى أنك ستحتاج إليها لتستخدم الاستبيان فى جمع البيانات؟

من المفيد فى هذه المرحلة أن تراجع خبراتك ومهاراتك الخاصة بك وتتأملها، وأن تكون على وعى ودراية بالموارد التى يمكنك الاعتماد عليها. وتوجد أدناه قائمة ببعض المهـارات الرئيسية التى نرى أن مـن الراجح أن تحتاج إليهـا لتتمكن من جمع بيانات البحث الاجتماعى. استعمل قائمة المراجعة هذه لتحديد المهارات التى ترى أنها متوافرة لديك فى هذه المرحلة.

بحثك

ما المهارات التى سوف تحتاج إليها للاضطلاع بعملية جمع البيانات؟

المهارات		عندى هذه المهارة√	أين وكيف تعلمت هذه المهارة؟	أحتاج لهذه المهارة فى طرق جمع البيانات√
الاحتفاظ بالسجلات	استخدام قاعدة بيانات استخدام البطاقات استخدام دفتر يوميات			
ابتكار النماذج أو استعمال النماذج. برامج الكومبيوتر.	إنشاء الجداول استخدم البراويز /الأشكال استخدام الألوان/ الحروف المطبعية / التظليل . . إلخ			
ابتكار الملصقات /كتيبات المعلومات/ الخطابات باستخدام برامج الكومبيوتر				
تدوين الملاحظات	من الوثائق /الكتب. من الكلمات المنطوقة. من الملاحظة.			
الاتصال بأنواع مختلفة من الأفراد	بالخطابات. بالبريد الإلكترونى. باللقاء المباشر. بالهاتف.			
إجراء المقابلة	مع الأفراد مع الجماعات			
التسجيل الصوتى/ أو السمعى	المسجل ذو الشريط المسجل الرقمى			
التسجيل بالفيديو				
تدوين التسجيلات وكتابة ملاحظات من واقع التسجيلات				
التأمل فى التصرفات / التعلم	استعمال مفكرة يومية استعمال سجل المعارف المكتسبة			
اكتب أى مهارات ترى أنك ستحتاج إليها				

الاحتفاظ بالسجلات

من شأن أى طريقة لجمع البيانات أن توفر كمية من البيانات. ولذلك فإن تنظيمك لسجل البيانات التى تتحصل عليها ومتابعة التدوين فيه سوف يساعدك على حسن إدارة عمليـة جمع البيانات، كما يحتمل أن يوفـر عليك الوقت والجهد حينما تصل إلى مرحلة التحليل. وتقدم الجداول بأرقام (2–1) و(2–2) و (2–3) بعض الأمثلة للسجلات التى قد تحتاج إلى الاحتفاظ بها.

إن كنـت على درايـة باستخدام قواعـد البيانـات، وماهرا فى هذا المجـال، فإن بإمكانـك أن تصمـم نظامك الشخصى للسجـلات. وأيا ما كان الأمر، فـإن بالإمكان حفـظ السجلات فى صورة بطاقـات، أو إنزالها فى جدول أو فى برنامج كومبيوترى لتسجيل البيانات واسترجاعها (على نحو ما توفره مايكروسوفت إكسل). وكبديل لذلك يمكن استخدام نظام قائم على التسجيل اليومى للاحتفاظ بسجل لكل ما قمت به من عمل فـى كل يوم من أيام العمل. ويتيـح لك هذا التسجيل اليومى الرجـوع إليه للتحقق من المعلومات عند الحاجة إليها، إلا أنه لا يتمتع بميزة القدرة على رؤية المعلومات الخاصة بكل مصدر من مصادر البيانات مجمعة فى مكان واحد.

كمـا أنـك قد ترغب فى الاحتفاظ بمـا يخصك من ملاحظات بحثيـة، أو كتابات، أو تعليقـات على المقابـلات، أو سجل معرفى خاص بك (انظـر أدناه)، قد ترغب فى الاحتفـاظ بها فى هيئة وثائق موحدة قياسيا وفـق معيار محدد. ولا شك أن استخدامك لقوالـب قياسيـة أو تصميمات قياسية للصفحات ثم حفظها بعد ذلـك كملفات مستقلة لكل منها تاريخ محدد وعنوان محدد،

جدول (2–1) حفظ سجلات الاستبيانات

الاستبيان رقم —	تاريخ الإرسال بالبريد الإلكترونى	تاريخ متابعة البريد الإلكترونى	تاريخ الاستلام	الاستيفاء نعم / لا	المراجعة
101	10/4/2		10/4/3		√
102	10/4/2	10/4/16			
103 إلخ	10/4/2	10/4/16	10/4/16	لا	√

جدول (2-2) حفظ سجلات المقابلات						
المبحوث الذى تمت مقابلته	رقم النسخة المدونة	الاتصال الأول	تاريخ المقابلة	مكان المقابلة	مدة المقابلة	ملاحظات
آن	01	10/3/15	10/3/22	الجامعة	30 دقيقة	طالبة أجنبية
ستيف	02	10/3/16	10/3/23	بهو الكلية	40 دقيقة	طالب مستجد
كيت . . إلخ	03	10/3/16	10/3/29	المقهى	10 دقائق	اضطرت «كيت» للمغادرة قبل نهاية المقابلة ستحاول ترتيب ميعاد آخر؟

جدول (2-3) حفظ سجلات المصادر الثانوية				
الوثيقة	اسم الصحيفة	تاريخ النشر	العنوان /المانشيت	طريقة الوصول إلى المصدر
1	صحيفة الجارديان	10/2/13	أمل الشباب فى العمل ضعيف	نقلا عن الإنترنت
2	صحيفة الديلى ميل	10/2/13	إنه غير فعال!	نسخة ورقية
3 ...إلخ	صحيفة الإندبندنت	10/2/13	ارتفاع معدل البطالة للشهر الثالث	نقلا عن الإنترنت

سوف يمكنك من الرجوع بسهولة لسجلات معينة أو أحداث معينة. وإن بالإمكان تفصيل تصميم إخراج الصفحة وفقا لاحتياجاتكم الشخصية ووفقا لطبيعة المعلومات التى تحتاج لتسجيلها، كما يمكن لهذا السجل أن يشتمل على تشكيله من أنواع المعلومات المختلفة.

ابتكار أشكال النماذج

يتم تسجيل البيانات والمعلومات المتعلقة بجمع البيانات بأعلى درجات الفاعلية عن طريق استعمال النماذج أو القوالب التى يمكن إدراج المعلومات فيها. وفى بعض الحالات، كما فى الأمثلة التى عرضناها فى الجداول الثلاثة بعاليه، تصمم هذه القوالب بغرض أن ينتفع بها الباحث. ومع أنه ينبغى أن تكون هذه القوالب واضحة وسهلة الاستخدام، فإن تفاصيل التصميم تكون أقل أهمية. وأيا ما كان الأمر، فإنه إن كان

القالب الذى يجرى وضعه مقصود به أن يستخدمه المبحوثون الذين يشملهم بحثك، فلابد أن تحرص على التأكد من أنه واضح وسهل الاستخدام وجذاب فى نظرهم. وهذه النقطة لها أهميتها الخاصة بالنسبة للاستبيانات التى يستوفيها المبحوثون بأنفسهم، ولغيرها من الأشكال التى قد ترغب فى أن يستوفيها المبحوثون عموما.

اغتنم فرصة تطوير مهاراتك فى استعمال الكومبيوتر، وخاصة ما يتصل منها بالاستفادة من الإمكانيات المتاحة فى برامج الكومبيوتر. ذلك أن غالبية حزم برامج معالجة الكلمات - مثل برنامج «مايكروسوفت ورد» مثلا - تشتمل على خصائص وإمكانيات تصميم تتيح لك عمل الجداول (لاحظ أن الأمثلة المذكورة بعاليه تستخدم الجداول)، والبراويز وغيرها من الأشكال، ومن مراجعة البراويز والقوائم المعلقة drop-down lists (أى: المؤجّل استيفاؤها لحين استكمال بياناتها)، ومن استخدام عناصر التلوين، والتظليل، والإطارات المحيطة بالرسوم والصفحات. (فى نسخة 2007 من «مايكروسوفت ورد» ستجد هذه الفقرات فى برامج عمل الجداول، وهى برنامج «أدخل» "Insert" وبرنامج "المطوِّر" "developer"). وتشتمل بعض حزم البرامج، مثل حزمة "الناشر" من مايكروسوفت Microsoft publisher؛ تشتمل على إمكانيات كبيرة لإنتاج الملصقات (الكبيرة الحجم أو البوسترز) والكتيبات والأشكال. ولا شك أن الوقت الذى ستنفقه فى استكشاف الإمكانيات المتوافرة فى البرامج المتاحة لك لن يذهب سدى، لأنه سينفعك فى أمرين معا هما: إنتاج نماذج ذات شكل جذاب وفعال فى جمع البيانات، وتطوير مهاراتك الشخصية للمستقبل. وتشتمل معظم حزم البرامج على مواد تعليمية ووسائل لمساعدة من يستخدمها. وإن كنت طالبا فلا شك أن جامعتك أو كليتك تنظم دورات دراسية تدريبية أو برامج تعليمية متاحة على الشبكة.

تدوين الملاحظات

هناك مواقف متعددة فى البحث، وفى الدراسة عموما، تحتاج فيها لتدوين الملاحظات. وقد يحدث تدوين الملاحظات أثناء استماعك لمحاضرة، أو قراءتك لكتاب، أو خلال مقابلة تجريها مع أحد المبحوثين المشاركين فى بحثك، أو أثناء ملاحظتك لواقعة ما.

فكر فى هذا الموضوع . . .

تدوين الملاحظات

فكر فى موقف مارست فيه خبرة تدوين الملاحظات:

- كيف دونت الملاحظات؟
- ما الملاحظات التى أفادتك فى تحقيق مرادك؟
- وما الملاحظات التى لم تفدك فى تحقيق مرادك؟

مفتاح التدوين الإيجابى للملاحظات هو التفكير فى الأمور التالية:

- ما الموضوع الذى تدون ملاحظاتك عنه؟
- لماذا تدون الملاحظات؟
- أى المعلومات هى التى تكون "جديرة بالتدوين" أو تكون لازمة للانتفاع بها مستقبلا؟
- كيف ستدون الملاحظات ؟ وأى شكل ستتخذه ملاحظاتك المدونة فى النهاية؟

إن كنت تعد جيدًا لبحثك، فسوف يكون تدوين الملاحظات مركزا على موضوع البحث، وستتخذ الملاحظات شكلا يجعل من السهل الانتفاع بها مستقبلا.

بحثك

أفكار مفيدة فى تدوين الملاحظات

- على رأس الصفحة التى تدون فيها ملاحظاتك، اكتب الموضوع الذى تدون عنه ملاحظاتك بوضوح. فقد يكون هذا الموضوع قضية تكتب عنها مقالا، أو قد يكون سؤال البحث الذى تجريه، أو قد يكون نقطة محورية وردت فى إحدى المقابلات أو عرضت فى إحدى الملاحظات.

- اقتصر على كتابة الملاحظات المتصلة بموضوعك فقط.
- قم بتصميم نموذج من شأنه أن يساعدك فى تدوين الملاحظات تحت عناوين، أو فى براويز، أو قطاعات مختلفة. وقد يستفيد هذا التصميم - مثلا - بدليل موضــوع مقابلتك، الذى يمكن أن يحتوى على فراغات لتدوين الملاحظات عن كل قضية من القضايا التى تجرى مناقشتها.
- ميِّز ملاحظاتك بعلامات مستخدمــا التفاصيل التى ستحتاج إليها لوضع هذه الملاحظات فى السياق، مثال تلك التفاصيل:
  - إشــارة وافية لوثيقة أو نص، بما فى ذلك ذكــر المكان الذى توصلت فيه للوثيقة أو النص - هل هو مكتبة عامة، أم موقع على الشبكة . . . إلخ.
  - اسم المبحوث، ورقمه، وتاريخ المقابلة، ومكانها.
  - مكان إجراء الملاحظة، تاريخ الملاحظة ومدتها، لب الملاحظة وجوهرها.

التدوين الإيجابى للملاحظات

يتوفر لكثير من الأفراد القدرة على الجلوس فى إحدى المحاضرات أو قراءة كتاب وتدويــن بعضــ الملاحظات دون التفكير - بشكل إيجابى - فــى المعلومات التى يجرى تسجيلهــا. مــن السهل أن تشعر أنــه إن كان لديك مجموعة مــن الملاحظات فلن تحتاج إلى التفكــير بإيجابيــة فى الموضوع فى ذلك الوقت. ولكن لســوء الحظ أن هذا التدوين السلبى للملاحظات قد يكون عقيمــا غير مثمر، ذلك لأن المستمع للمحاضرة أو القارئ للكتــاب لن يحتفظ إلا بالقليل من المعلومات، كمــا أن الأرجح أن هذه الملاحظات نفسها لن تكون كافية لتذكيره بالمحتوى الكامل للمعلومات. ولذلك يتعين على كل من المستمع الإيجابــى، أو القارئ الإيجابى، أو المشاهــد الإيجابى، والمدون الإيجابى للملاحظات أن يفعلوا ثلاثة أشياء:

1 - القراءة، أو الاستماع، أو المشاهدة.

2 - التفكير فيما يُقرأ، أو يُسمع، أو يُلاحظ وتحديد ما يدون عنه الملاحظات.

3 - تدوين الملاحظات.

ونظـرًا لأننا لا نقدر على القيـام بأكثر من عمل واحد فى نفـس الوقت، فإن هذه الأنشطة تجرى فى تتابع سريع عندما نقوم بالتدوين الإيجابى للملاحظات. ولا يقتصر أمر التدوين الإيجابي للملاحظات - فى العادة - على أنه يؤدى للوصول إلى مجموعة مفيـدة مـن الملاحظات، بل يؤدى كذلـك إلى التذكر الجيد والاسترجـاع الجيد للواقعة نفسهـا. فإن قضيت بعضـ الوقت عقب هذه الواقعة مباشـرة وأنت تراجع ملاحظاتك وتضيف إليها من ذاكرتك، فستجد بالتأكيد أن لديك سجلا مفيدا صالحا للاستعمال تماما.

المذكرات الموجزة

كثـيرا ما يطلق على نوع مختلف من الملاحظـات المدونة اسم "المذكرة الموجزة". والمذكرة الموجزة هى - فى الواقع - ملاحظة مختصرة تكتبها لنفسك بشكل بعدى، أى بعـد الفراغ من مشاهدة الحدث أو سمـاع الكلام. وفى البحث الاجتماعى تستخدم هذه المذكـرات الموجزة بعدة طـرق. وأهم شيء يفيدك أن تحمل معـك فى كل وقت دفترا صغـير الحجم لكتابـة الملاحظات فيه، أو مفكرة يوميـة، أو مجموعة بطاقات (كروت بحـث) لتدويـن الملاحظـات العاجلة. ذلك أنك قـد ترغب فى كتابـة **ملاحظة سريعة مختصـرة** Jot عن بحثك فـى أى وقت. وقد يكـون هذا الشيء المكتـوب فكرة ما، أو شيئا تذكر بـه نفسك (للانتباه إليه وبحثه مستقبلا، أو عن متابعة أحد مصادر المعلومات للاستـزادة منه، أو للتذكير بموعد قـادم . . . إلخ)، أو ملحوظة عن أمر حدث. ومن المحتمل أن تحتاج هذه الأنواع من الملاحظات إلى التحويل أو الترحيل إلى أماكن مختلفة تبعا لنوع الملحوظة. فتحتاج المواعيد لأن تُدرج فى مفكرتك اليومية، ورسائل التذكير بأمـور لاحقة تحتاج لأن تُدرج فى المفكرة اليومية عند الوقت الذى ترغب فيه تذكيرك بأمر ما. أما الأفكار التى تكتبها عن بحثك، أو عن مبحوث معين اقترحه عليك أحدهم، أو السؤال الذى تريد أن تعاود طرحه عند قيامك بتحليل بياناتك، أو الكتاب الذى تريد أن تتابـع قراءته؛ كل هذه الأمور تحتـاج إلى نقلها إلى أماكنها فى مفكرتك اليومية عن البحـث، أو فـى خطة بحثك لكى تعود إليهـا فى الوقت المناسب. أمـا إذا كنت تستخدم مفكـرة يومية إلكترونية، فبإمكانك استعمال خدمـة: "مهمة" أو "للإنجاز" "to do" أو "task" لضمان تذكيرك بهذه الأمور فى وقتها.

كمـا أن بالإمكان أن ترفق المذكرات الموجزة بمفكرتك اليومية للبحث، أو بمقترح بحثـك أو بتقريـرك البحثى، وذلك باستعمـال بطاقات الملاحظـات السريعة أو خدمة "التعليقـات" Comment المتوفرة فى برامج مايكروسوفت ورد (وهذه الخدمة متوفرة

فـي قائمة "المراجعة" Review في نسخـة 2007 من برنامج ورد). وسوف تسمح لك هذه الخدمة بإضافة كلام قيل لك على انفراد، أو إضافة تعليق على ما تكتبه لكى يذكرك بأمـر ترغب فى إضافته أو تعديلـه. أو قد تشير هذه الفقرة إلى فكرة خطرت ببالك عن بحثك وتريد أن ترجع إليها فيما بعد.

وتحتوى بعض برامج تحليل البيانات، مثل برنامج NVivo (فصل9 باب4)، على إمكانيـة إضافة هـذه الملحوظات أو المذكرات العاجلة فـي أى مرحلة من مراحل تحليل بياناتك (بل يصل الأمر فى الواقع إلى أنك تستطيع أن تدرج مذكراتك السريعة كجزء من هذا التحليل).

الاتصال

يحتـاج معظم الباحثين الاجتماعيين إلى الاتصـال بالآخرين على نحو أو آخر فى مرحلـة ما من مراحل بحثهم. ويعتبر تحضيرك لمقترح مشروع البحث (فصل6 باب 2) وعرضـك للنتائج فى هيئة تقرير أو رسالة علميـة جامعية (فصل 2 باب 5) ؛ يعتبر هـذان الأمران طريقتين سوف تُعرِّف من خلالهمـا الآخرين ببحثك. كما يقوم معظم الباحثين ببعض الاتصالات مع الأفراد المشاركين فى بحثهم، إما مباشرة أو من خلال الرسائل البريديـة، أو عبر البريد الإلكترونى (الإيميل)، أو الهاتف. ومن المعهود أن يكون الاتصال متعلقا بالأمور التالية:

- تعريف الناس بالبحث.
- مطالبة الأفراد بالمشاركة فى البحث، أو مطالبة بعضهم أن يتيحوا لك الوصول إلى بيانات عنهم.
- التأكيد لهم على الالتزام بالحفاظ على سرية هذه البيانات وغير ذلك من الاعتبارات الأخلاقية.
- مناقشة التدابير الخاصة بمشاركتهم فى البحث.
- تجميع البيانات.
- تقديم الشكر للمبحوثين على مشاركتهم.
- إخبارهم بما سوف يحدث فيما بعد.

وقـد تجد نفسك بحاجة للاتصـال بأفراد لا تعرفهم، وبأنمـاط مختلفة من الناس، وبأفراد لا يعرفون إلا القليل عن البحث الاجتماعى.

بحثك

أفكار مفيدة للاتصال الناجح

- فكر فى الغرض من الاتصال الذى تنوى القيام به.
- خطط لما سوف تقوله أو تكتبه، وتدرب على ذلك مقدما.
- تجنب اللغة المتخصصة أو الفنية.
- تحدث بشكل واضح وعلى نحو مسموع.
- اعتن بقواعد النطق وتهجئة الكلمات فى الاتصال المكتوب، بما فى ذلك البريد الإلكترونى.
- فكر فى الأمور التالية بشأن الشخص الذي تتصل به:
  - ما على الأرجح معلوماته عن موضوع بحثك؟
  - ما الذى يترجح أن يدور فى ذهنه عنك كباحث؟
  - هل ينتمى إلى فئة عمرية، أو ثقافة أو طبقة اجتماعية مختلفة عن حالتك؟
  - هل توقيت هذا الاتصال ملائم له؟
- استمع إلى الشخص الآخر واقرأ الرسائل التى جاءتك على بريدك الإلكترونى بعناية قبل أن تجيب عليها.

المقابلات

تعد المقابلات التى تجرى مع الأفراد أو الجماعات أشكالا خاصة من الاتصال التفاعلى، كما تعد مقابلات البحث الاجتماعى وجماعات المناقشة (البؤرية) أشكالا خاصة من المقابلات. ويتم تصميم المقابلات، بصفتها هذه، لتسهيل جمع بيانات البحث، كما أن لها خصائص وتقنيات معينة لتمكين الباحث من أن يقوم بالمقابلة بنجاح وفاعلية. وتشتمل هذه التقنيات على نماذج الاستبيان (الفصل3)، والمقابلة (الفصل4)، والأدلة الخاصة بموضوعات جماعات المناقشة المركزة (البؤرية) (الفصل5). كما تشتمل على تقنيات لحث المبحوثين على رواية قصصهم (الفصل7).

غالبـا ما ينظر إليك المبحوثون – بصفتك الباحـث والقائم بالمقابلة – طالبين توجيههم إلى الطريقة التى يتوقع أن تسير المقابلة وفقا لها، وطالبين التأكد من أنهم يقدمون نوعية البيانات التى تحتاجها لبحثك. لذلك عليك أن تتذكر: أنك قد خططت المقابلة وأنك تعرف كيـف ستتطور، بينمـا مبحوثك لا يعرف إلا مـا ذكرته له عن البحـث والمقابلة. لذلك تأكد مـن أن تشرح ما يجرى بوضوح، وحاول أن تختبر فهم المبحوثين لحقيقة البحث وطبيعة المقابلة. وإذا سمحـت لك الظروف، فيمكنك إنفاق بعض الوقت فى خلق نوع من الألفة عن طريق التحدث عن موضوعات عامة، كالطقس مثلا، أو عن انتقالك إلى هـذا المكان الذى تجـرى فيه المقابلة، وذلك قبل أن تبدأ إجـراء المقابلة، ثم اقض – أنت والمبحوث – وقتا قصيرا معا عقب انتهاء المقابلة بعد أن تكون قد أغلقت جهاز التسجيل، أو بعد فراغك من كتابة الملاحظات.

فكر فـى الجو المحيط بإجراء المقابلـة أو المخصص لالتقاء جماعـة المناقشة المركزة، وفكـر فى مدى المساعـدة التى سيقدمها هذا الجو للتفاعل بينـك وبين مبحوثيك. فالناس يكونـون أكثر رغبة فى المشاركة والتواصل إذا كانوا يشعرون بالراحة وكانوا قادرين علـى تكريس كل انتباههـم للمقابلة وما يجرى فيها. فأنت تبحـث – أساسا – عن مكان يناسب المبحوث ويتيح لك أن تقضى كل ما تحتاجه من وقت فى المقابلة، لذلك يا حبذا لو أن هذا الوقت كان خاليا مما يقطع اضطرادها. وإن كان ممكنا، فرتب مكان الكرسيين – إن كانـت المقابلة فردية – بحيث تجلسان أنـت والمبحوث وبينكما زاوية قائمة. إذ أن هذا الوضع يمكنكما كليكما – أنت والمبحوث – من التلاقي بالعيون ومن النظر بعيدا أثناء الـكلام. ويستطيع هذا الوضع أن يكفل توافر تشكيلة متنوعة من المشاعر العميقة خلال الحوار الذى يجرى أثناء المقابلة، كما أنه يستطيع أن يمكن المبحوث من التحدث بسهولة أكثر مما لو كان جالسا فى مواجهة مباشرة مع الباحث عبر مائدة أو مكتب. وقد يكون مـن الأمور التى قد تُدخـل نوعًا من الخوف فى نفس المبحـوث أن تنظر إليه وتواجهه مباشـرة، وذلك بالرغم من أنه إن كانت تجرى المقابلة مع شخص ما فى مكان عمل – مثلا – فقد يكون ذلك التصرف ضروريا.

وتتطلـب المقابلة مع جماعـة المناقشة المركزة أو المقابلة مع جماعـة من الأفراد تهيئة مـكان كبير. تأكد مـن توفر العدد الكافى مـن المقاعد لجلوس كل فـرد من الحضور، ورتـب هـذه المقاعد على هيئة دائـرة أو حول مائدة. حاول التأكد مـن أن كل شخص

يستطيــع أن يرى ويسمــع الآخرين جميعا. تحقق من توفر بعضــ الخدمات والمرافق التى قد يحتاج إليها المشاركون (المبحوثون)، كوجبات الطعام الخفيفة، أو المشروبات، ودورات الميــاه، وأماكن الانتظار وما أشبه ذلك. وإن كنت محتاجا إلى لوحات يمكن تقليبهــا، أو أقــلام، أو غير ذلك من الأدوات والمعدات، فتحقــق مما إذا كان بالإمكان توفيرهــا من عدمه، أو ما إذا كان عليك تدبير هذه الأدوات بمعرفتك. وعند استعمالك لإحــدى الأدوات أو المعدات التى لست على دراية كاملة بها، فتأكد من أنك ستصل إلى مــكان المقابلة فــى وقت يكفى للتحقق ممــا إذا كانت هذه المعدّة تعمل قبــل أن يصل أول مشارك فــى المقابلة. كن على استعداد للترحيب بالمشاركــين لك فى بحثك، وكن مهيئا للدردشــة مع الشخص الأول أو الشخصين الأولــين اللذين يحضران قبل غيرهما أثناء انتظــارك لوصول الآخريــن. ولا تتوافر الخبرة بالمشاركة فى هــذا النوع من النشاط إلا لعــدد قليل من الناس، أما غالبيتهــم فيحتاجون إلى شيء من إعادة طمأنتهم بشأن ما يجرى فى المقابلة.

تذكر أن المشاركين فى البحث يبذلون وقتهم طواعية واختيارا، وأنهم يستحقون منك تمام الانتباه والتقدير. أظهر لهم اهتمامك بهم من خلال تعليقاتك وإيماءاتك الشخصية، فانتبه لهم واصغ لما يقولون.

يعد التدوين الإيجابى للملحوظات بجانب الإصغاء من الأمور ذات الأهمية، خاصة إذا كنت تجمع بياناتك باستخدام المقابلات وجماعات المناقشة المركزة، وكنت غير قادر علــى تسجيل هذه البيانــات بطريقة أخرى. وينبغى عليك أن تكــون – خلال المقابلة – متفاعــلا مع الشخص التى تجــرى معه المقابلــة. ويشتمل هذا التفاعل علــى النظر إليه والإنصات له بجانب تدوينك للملحوظات. إذ إنه قد يكون من الأمور المزعجة فى نظر الشخص الذى تجرى معه المقابلة أن يواجه بباحث يقضى معظم وقت المقابلة وهو ينظر فى أوراقه ويكتب كل كلمة قيلت. ويركز الباحث الناجح فى مقابلته على الشخص الذى يجرى معه المقابلة ويصغى إليه فــى نفس الوقت الذى يدون الملحوظات المتعلقة بالنقاط الأساسيــة التــى أثيرت أثناء المقابلة، ثم يقوم بعد المقابلــة بكتابة تقرير نهائى مفصل عن المقابلة معتمدا على هذه الملاحظات وعلى استرجاعه لمحتوى المقابلة.

ومــن النصائح المهمة أن تقــرأ عن الطريقة التى تستخدمها فــى جمع البيانات، وأن

تخطط معتمدا على مهاراتك الشخصية ومستعينا بخبرتك التى تختزنها فى ذهنك. وإن مـن الأمـور النافعة أن تتدرب مع الأصدقاء أو الزملاء (علـى أداء دور مهام المقابلة) وأن تقـوم بنوع مـن المحاولة الاستطلاعية لجمع البيانـات إن كان ذلك ممكنا. حاول أن تتعلـم من كل خبرة مستخدما مفكرة يوميات لتدوين الأفكار والتأملات، أو مستعينا بسجل المعلومـات. وعليك بعد كل مقابلة، أن تتأمل فيمـا جرى وكان ناجحا وموفقا، وفيما كان يمكن أن يؤدى بصورة أفضل.

التسجيل الصوتى، وعلى أشرطة الفيديو

من الممكـن أن تسجل بعض البيانـات باستخدام جهاز التسجيـل الصوتى أو كاميرا الفيديـو، وإن كانت هذه الأجهزة متوفرة لديك، وتملك الخـبرة اللازمة لاستعمالها، فقـد ترغب مثلا فى تسجيل جلسات جماعـات المناقشة التى تتعامل معها، أو فى تسجيل المقابلات الفردية، أو فى التقاط فيلم فيديو عن موقف ما أو عن واقعة ما تمهيدًا لتحليلها لاحقـا. وإن كانت خبرتـك باستخدام أجهزة التسجيل هذه محـدودة، فينبغى عليك أن تكون متنبهـا للوقت الذى تحتاجه لتتعلم كيف تستعمل مثل هـذا الجهاز بثقة وفعالية فى جمـع بياناتك. وقد تحتاج لتقييم مزايا وعيوب طريقة التسجيل الصوتى أو على شريط الفيديو، مقارنة بالطريقة الأخرى الخاصة بتدوين الملاحظات.

إن كنت تستخدم معدات تسجيل ينبغى عليك:

- أن تكون على دراية ودُربة بهذه المعدات.
- وأن تضـع الخطـة للطريقـة التى بها ستستخـدم هذه المعدات فـى موقف جمع البيانات، مفكرا فى المكان والزمان اللذين سيتم فيه جمع البيانات.
- تأكـد من أن جهـاز التسجيل وأى لـوازم أخرى، كالبطاريـات، أو أشرطة التسجيـل، أو الميكروفونـات، أو الحوامل ذات القوائم الثلاثـة؛ تأكد من أنها ستكون متاحة عندما تحتاج إليها.
- تـدرب مع الأصدقاء والزملاء على التحقق مـن أن هذه المعدات تعمل، وأنها مناسبة لموقف جمع البيانات.

استخدام معدات التسجيل لجمع البيانات الاجتماعية

الميـزة الكبرى لاستخدام جهاز تسجيل هى أنــه سيتيح لك – كباحث – أن تأخذ معك تسجيــلا للواقعة لدراسته وتحليله. إذ يتوافر لديـك نسخة من البيانات فى الصورة التى أنتجت بهــا، على النحو الذى حدثت به هذه الواقعة. وبذلـك تكون قادرا على معالجة البيانــات الخام عندما تبدأ عملية التحليــل. ومع ذلك توجد قضايا أخرى لابد أن تدخلها فــى اعتبارك، بما فى ذلك قضية تأثير عملية التسجيــل نفسها على جمع البيانات وعلى الأفراد الذيــن يُدلون بهذه البيانات، أى الأشخاص الذيــن تجرى المقابلات معهم، أو الأفراد الذين تقوم بملاحظتهم.

لاحــظ أن التسجيــل الصوتــى أمر يوافق عليــه الكثيرون، إلا أنــه من الضرورى الحصــول علــى الإذن منهم بالتسجيــل، كما أن هناك مــن لا يرغبون فــى أن تسجَّل أحاديثهــم (فصل5 باب1). وفى مثل هذه الحالة ستحتاج إلى إعداد طريقة بديلة لتسجيل هــذه البيانــات، والتى تكون – فى العادة – طريقة تدويــن الملحوظات. ولابد أن يتاح للأفراد الذين تتم مقابلتهم الحق فى تغييرهم لآرائهم بشأن عملية التسجيل فى أى لحظة أثنــاء المقابلــة، كما ينبغى أن يكونــوا على علم بمن سوف يستمعــون إلى هذا التسجيل، ومتــى وكيف سيتم التخلصــ من هذا التسجيل أو محوه. وهناك مــن الباحثين من يعيد تسجيــل المقابلــة للشخص الذى أجرى معــه المقابلة عندما ينتهى البحــث، أو فى مرحلة أسبق من ذلك الوقت أحيانا ليطلب منه أن يتحقق مما إذا كان لديه أى شيء يضاف إلى ما قاله أثناء المقابلة.

إن مــن حسن التصرف أن تبين للشخص الذى تجرى المقابلة معه كيف يوقف جهاز التسجيــل إن كان لا يرغب فى استمرار التسجيل. فقد يجد أحدهم أنه يتعذر عليه الكلام فى بعض الموضوعات، وقد يفضل الكلام فيها ولكن بدون تسجيلها، وذلك على الرغم مــن أنه قد يظــل موافقا على استخدام هذه البيانات فى البحــث (وهو الأمر الذى ينبغى عليك التحقــق منه). وفى بعض الأحيان قد يحتاج أحد المبحوثين لمجرد راحة قصيرة، وبعد دقائق قليلة يصبح مستعدا لبدء التسجيل من جديد ومواصلة المقابلة.

قد تكون مقابلة الجماعات أصعب فى تسجيلها، كما أن من اللازم وجود ميكروفون ذى نوعيــة ممتازة لضمان تسجيل أصوات كل أعضــاء الجماعة بوضوح. فإن حدث

تداخل بين المتحدثين المختلفين فقد يتعذر التمييز بين الأصوات. ورغم أن بيانات جماعات المناقشة المركزة (البؤرية) (الفصل5) تعتبر بيانات جماعات أو بيانات جماعية وأن الأفراد المشاركين فيها لا يتم تمييزهم كأفراد فى العادة، فقد يكون من المفيد عند معالجة هذه البيانات أن تكون قادرا على تمييز الأصوات المختلفة. وإن كنت تأمل أن تكون قادرًا على أن تفعل ذلك، فقد يقتضى الأمر أن تحث المشاركين على أن يتحدث كل واحد منهم فى وقت لا يتحدث فيه أحد غيره.

يقتضى تسجيل المقابلة ألا يتشتت انتباه الباحث الذى يجرى المقابلة بسبب اضطراره لتدوين الملحوظات. ومع ذلك، ينبغى أن يظل الباحث منصتا إيجابيا، فيستمر متيقظًا للكلمات التى تقال، وممعنا النظر فيما يقوله المبحوث، ومستعدا لما يتناسب مع أسلوب المقابلة من متابعة وتعقيبات يسبْر بها الباحث أغوار المبحوث أو توجيه مزيد من الأسئلة التى يمكن أن تقوده إلى المزيد من المعلومات.

من الممكن أن يكون التسجيل الفيلمى بالفيديو لمناسبة يشترك فيها عدد من الأفراد؛ أن يكون مصدرا مفيدا للبيانات التى تجرى ملاحظتها. ومع ذلك فلا بد أن تكون منتبها للأثر الذى يحدثه هذا التسجيل على سلوك من يتم تصويرهم، كما أنه سيكون من الضرورى فى بعض المواقف أن تتحصل على موافقة جميع من يشملهم التسجيل (فصل5 باب1). ويتوقف ذلك على ما إذا كانت ملاحظتك ظاهرة أو مستترة (الفصل 6)، وعلى طبيعة الموقف الذى يجرى تسجيله.

استخدام معدات التسجيل

تتوافر تشكيلة متنوعة من معدات التسجيل الصوتى والفيلمى. ويتمثل الاختلاف الرئيسى بين نماذج الأجهزة فيما إذا كانت تسجل على الأشرطة أم تسجل رقميا. وللتسجيل الرقمى عدد من المزايا حيث تحفظ هذه التسجيلات فى صورة ملفات، كما يمكن نقلها إلى الحاسب الآلى. ولكل عملية تسجيل مؤشر عددى أو توقيت مُلصق بها، مما يعنى أنك تكون قادرا على التنقل فى نطاق عملية التسجيل هذه بسرعة وسهولة، وأنك تستطيع كذلك أن تستعمل هذا المؤشر كوسيلة لإضافة العلامات التى تكون على شكل أعلام، أو أسهم تشير إلى مراحل معينة من التسجيل. ويمكن استخدام هذا المؤشر العددى فى عملية التحليل (فصل2 باب 4). ومع أن للمسجلات ذات الأشرطة نظاما عدديًا أيضًا، إلا أنها تكون أقل دقة، كما أن استعمالها أكثر صعوبة عادة.

نسخ البيانات المسجلة

إن أردت أن تكـون قادرا على معالجة ما تسجلـه من بيانات فى إحدى المقابلات أو فـى جماعات النقاش معالجة حرفية كاملة (كلمـة كلمة)، فسيكون من الضرورى نسخ كل مقابلـة. وأعنـى بذلك أن تنقل البيانـات السمعية إلى صورة مكتوبـة. وهذا نشاط يستنفـد كثيرا من الوقت ويقوم به الباحث بنفسه أحيانا، أو قد يقوم به ناسخ مدرَّب لقاء أجـر. فإن كنت ترجو أن تنسخ بياناتـك المسجلة بنفسك، فينبغى أن تكون متنبها لحقيقة أن كل ساعـة من التسجيـل الصوتى يمكن أن تستغرق من ثلاث إلى أربع ساعات لكى تنسخ فى صورة مكتوبة.

ورغـم أنه يمكنـك أن تقوم بعمليـة النسخ مباشرة مـن جهاز التسجيـل عن طريق الإنصـات إلى أجزاء صغـيرة أو قصيرة من الكلام ثم كتابة الكلمـات على الآلة وأنت تستمع إليها، فمما نوصيك به أن يتاح لك استخدام آلة ناسخة بقدر الإمكان. وهذه الآلة هى جهاز تسجيل يعيد تشغيل التسجيل فى أجزاء قصيرة، مما يسمح بكتابة الكلمات على الآلة. ويساعد على تسهيل هذه العملية وجود بدّال يدار بالقدم وغيره من أجهزة التحكم فى الآلة الناسخة.

فـإن كان نسـخ كل المقابلات يستغرق وقتا طويلا، فإننـا نوصيك باتباع عملية تقوم على الإنصات إلى تسجيل كل مقابلة على حدة وتدوين ملحوظات مفصلة تحت عناوين رئيسية أو تحت أفكار محورية (أو موضوعات رئيسية) (فصل4 باب 4)، بما تتضمنه هـذه الملحوظات من مقتبسـات حرفية لبعض الكلمات التى نطق بهـا المستجيب، والتى يتـم فيها طرح قضايا وثيقـة الصلة بموضوع البحث بصورة خاصـة، أو يستعمل فيها المبحـوث كلمـات أو يعبر عن تصورات فكريـة بطريقة تثير الاهتمـام أو وثيقة الصلة بموضوع البحث.

مهارات التأمل

لاحـظ أن جمع البيانات إنما هى عملية تعلم. إذ إن كل جزئية من أجزاء البحث تعد -وبصرف النظر عن خبرة الباحث- شيئًا جديدًا ومختلفًا. لذلك يحتفظ بعض الباحثين بدفتر يوميات للبحث طوال مدة إجراء البحث، ويستعمل غيرهم نموذج تسجيل يحوى ملاحظاتهم، وأفكارهم، وتأملاتهم الشخصية.

يمكـن لسجل التعلم أو سجـل المعرفة، أو لدفتر يوميات البحـث أن يحقق واحدا من الأغراض التالية أو يحفظها كلها، وهى:

- توفـير سجل لتصـورات الباحث وأفكاره بشـأن العملية البحثيـة. وقد يحتوى هذا السجل علـى الأفكار النظرية الأولية، وعلى الأفـكار التى يقرر الباحث الرجوع إليها فيما بعد أثناء تنفيذ العمل، كما يشتمل على ما طرأ على تفكير الباحث أو خططه من تغييرات وعلى أسباب هذه التغييرات.
- توفـير سجل مؤرخ بكل مرحلة مـن مراحل البحث، وبالقـرارات التى اتخذت، والأنشطـة التى أنجزت، وعملية البحث عن التراث المنشور فى موضوع البحث، وأنظمة الترميز، والتحليلات التى أجريت.
- توفير سجل للملاحظات الباحث الشخصية عن البحث أثناء تنفيذه: ما الذى يتحقق فيه بنجاح وسبب ذلك، وما الذى يتعين تغييره؟
- توفـير سجل للمعرفة التى تحصل عليها الباحث بنفسـه من حيث: تحديد ما لديه من مهارات وأوجه قصور، ومشاعره المتعلقـة بالبحث وبتقدمه فى مراحله، وبتعلمه من أخطائه ومن خبراته السارة وخبراته غير السارة؛ فيتعرف بذلك على الطريقة التى يتبعها فى تحسين مستوى مهاراته وأدائه.

ويمكـن أن يكون سجل التعلم أو دفتر اليوميات نافعـا كل النفع حينما يضاف إليه ما يضاف من الأفكار والملحوظات بصـورة منتظمة وحين يكون خاصا بالباحث وحده، فـلا يكتب فيه أحد غيره. وتهيـئ كتابة سجل التعلم فرصة للتأمـل الأمين (أى: الدقيق والنزيـه غـير المتحيز) فى كل جوانـب البحث وفرصة لتحديد الطـرق التى ستتبع فيما بعد. وينبغى لهذا السجل أن يركز أساسا على الجوانب التى حققت نتائج إيجابية، وعلى سبب هذا النجاح، وذلك حتى تطبق هذه الدروس على جوانب العملية التى لا تسير مثل هـذا السير الحسن. ويساعدك الوعى بأن إجراء البحث الاجتماعى عملية تعلم، خاصة إذا كان هـذا البحـث يجرى تنفيذه كجزء مـن برنامج دراسى؛ يساعـدك الوعى بذلك علـى التعلم من خلال الخبرة والممارسة وعلى التعرف على جوانب قوتك وكذلك على المجالات التى تحتاج إلى تطوير وتحسين.

بحثك

ابدأ دفتر يوميات بحثك

عُـدْ إلى قائمة مراجعـة المهارات واستعمـل النموذج أدناه للبـدء فى كتابة دفتر يومياتك.

موضوع البحث :------------------ التاريخ: ---

الطرق الممكنة لجمع البيانات: ---------------------

مهارات سأحتاج إليها	ما أوجه قوتى وأوجه قصورى فيما يتصل بهذه المهارة؟	كيف أستطيع أن أطور وأحسِّن مستوى هذه المهارة؟
1		
2		
3		
4		
5		

الفصل الثالث

الاستبيانات

محتويات الفصل

- ما الاستبيان؟
- استخدام الاستبيانات فى البحث الاجتماعى.
- اختيار المشاركين فى مسوح الاستبيانات.
- الاستبيانات والقضايا الأخلاقية.
- الاعتبارات العملية.
- طبيعة بيانات الاستبيانات وأسلوب تحليلها.
- جودة البحث.
- المراجع وقراءات الاستزادة.

عن السياق

نعلـم جميعًا ما الاستبيانات، أو - فى أقل تقدير - نتصور أننا نعلم ما الاستبيانات لأنهـا شائعة للغاية فى حياتنـا اليومية. فقد ملأنا استبيانات عـن شتى الموضوعات والقضايا المختلفة.

والاستبيانات كذلك أداة شائعة كل الشيوع بين الدارسين كوسيلة لجمع البيانات، وربما يرجع سبب ذلـك إلى أنه يُنظر إليها باعتبارها وسيلة «سهلة» (والاستبيانات ليست كذلك). وفى هذا الفصل نتناول عملية وضع الاستبيانات ونتحدث عن مزايا وعيوب استعمالها.

ربما تكون **الاستبيانات** أكثر الطرق شيوعًا فى جمع البيانات من المشاركين فى البحث. وقد تزايد استخدام الاستبيانات كوسيلة لجمع البيانات الاجتماعية بوتيرة سريعة خلال القرن العشرين، جنبًا إلى جنب تطور التقنيات الإحصائية التى مكنت الباحثين من التعامل مع أعداد ضخمة من الحالات والمجموعات المعقدة من البيانات. وكان أحد أوائل الاستبيانات التى استخدمت فى المملكة المتحدة متمثلا فى الإحصاء الرسمى لعدد السكان (والذى أجرى لأول مرة سنة 1831). كان الموظفون القائمون بالتعداد السكانى (العدَّادون) يذهبون من باب إلى باب ومعهم استمارات يدونون فيها اسم كل واحد من السكان، وسنّه، ومكان ميلاده، ومهنته. ولا ريب أنهم كانوا يطرحون مجموعة من الأسئلة عن كل رب أسرة لمساعدته على ملء هذا النموذج. وخلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، كانت البيانات الواقعية عن الأفراد لا يتم جمعها فقط من جانب الحكومة، بل كانت تجمعها أيضا الهيئات الصحية، والصناعية، والخيرية محاولة الوصول إلى معرفة المزيد عن الظروف الاجتماعية، خاصة ظروف الأفراد فى المدن الصناعية (كما فعل ذلك هنرى ما يهيو H. Mayhew وتشارلز بوث C. Booth، وسيبوم راونترى S. Rowntree). ففى الفترة السابقة على الحرب العالمية الثانية وفى أثنائها توافرت الظروف التى دفعت إلى إجراء مسوح العينات الكبيرة، والتى منها "المسح الجديد للحياة والعمل فى لندن"، والدراسات التى تناولت البطالة، والإسكان، والصحة (بالمر Bulmer، 1982).

ما الاستبيان؟ 1 – هو قائمة من الأسئلة لكل سؤال منها مجموعة من الإجابات. 2 – هو استمارة تتيح جمع البيانات الموحدة قياسيا، والمقننة نسبيا، عن كل حالة من الحالات كبيرة العدد عادة.

كانت معظم البيانات التى جمعت فى هذه المسوح المبكرة بيانات واقعية عن الأفراد وخبراتهم. ومع ذلك كان الباحثون الاجتماعيون يرغبون – أيضا – فى استكشاف

آراء الأفـراد وقيمهـم، كما بـدؤوا فى تطوير طـرق لقياس هذه الأمـور مستخدمين مجموعـة من الأسئلة. وأشهر هؤلاء الباحثـين كان رنسيس ليكرت R.Likert، وهو عالم نفس أمريكـى (1903 - 1981) كان مهتما بالتنظيمات الإنسانيـة. ويرجع إليه الفضل فـى تطوير ما أصبح يعـرف باسم «مقياسٍ ليكرت» (انظـر موضوع «أنواع الأسئلـة» فى موضع لاحق مـن هذا الفصل) ليمكّن مبحوثيه مـن تقييم العبارات الدالة على الأفكار وتلك الدالة علـى الاتجاهات على امتداد مقياس ذى خمس نقاط (عادة)، تبدأ بعبـارة «أوافق بقوة» وتنتهى بعبارة «أرفض بقـوة». ومنذ ذلك الوقت طُورت طـرق أخرى لتقدير درجات العبارات، وذلـك لاستخدامها على وجه الخصوص فى الاختبارات السيكولوجية، وفى بحوث التسويق، وبحوث التقويم.

فـى نفس الوقت كانـت بحوث التسويق تتطـور ويتزايد استخدامهـا للاستبيانات كأداة للتعـرف على آراء الناس ورغباتهم. وفـى أعقاب الحرب العالمية الثانية، أنشئ «المسح الاجتماعى الحكومى» للقيـام بمسوح واسعة النطاق لحساب مختلف الإدارات الحكومية، وهى المسوح التى أصبح من المعتاد فيها استخدام استبيانات طويلة وتفصيلية. ونظرًا لتطور التقنيات الإحصائية ولظهور الحواسب الآلية، أصبحت التحليلات الأكثر دقـة وعمقا للبيانات أمـرا ممكنا وميسورًا. وقـد صممت بعض المسـوح المتقدمة ذات النطاق الكبير فى أواخر القرن العشرين، ومنها مثلا «مسح الإنفاق الأسرى» (والذى أصبح اسمـه حاليا «مسح الإنفاق والغذاء»، والمتاح علـى موقع /www.esds.ac.uk government/efs/ وكان آخر دخول عليه بتاريخ 15 أغسطس 2009). بجانب "المسح العـام للأسرة" (والمتاح على موقـع .www.statistics.gov.uk/satbase/prep/5756 asp.، وكان آخـر دخول عليه بتاريخ 15 أغسطس 2009)، كما أن فرقا من الباحثين ما زالـوا يجرون المقابلات مع عينة من الأسر مستخدمين فـى ذلك استبيانات تفصيلية على مدار العام.

وقد أصبح من الشائع اليوم استخدام الاستبيانات على كل مستويات البحث الاجتماعى، ابتـداء بالمشروعات البحثية المحدود النطاق كتلك التى يقدمها الطلاب والمشروعات البحثية على مستوى المجتمعات المحلية، وانتهاء بالمسوح الدولية الواسعة النطاق. والأمر المشترك بـين كل الاستبيانات يتمثل فى صياغة مجموعة من الأسئلة (وكذلك الإجابات) التى تساعد الباحث فى الإجابة على أسئلة بحثه أو فى اختبار فرضه البحثى.

ما الاستبيان؟

الاستبيـان عبارة عن مجموعة من الأسئلة يمكـن للمشاركين فى البحث أن يجيبوا عليهـا بعدة طـرق . ومعظم الاستبيانات مصممـة لجمع البيانـات **المقننة** (انظر قائمة المصطلحات) من قبل (فصل 3 باب 1 ، والفصل4 باب 2). ولهذا يحتوى الاستبيان على مجموعـة من الإجابات التى يمكـن للمبحوث أن يختار من بينها ، وذلك بالرغم من أن بعض الاستبيانات قد تحتوى على **أسئلة مفتوحة** (انظر قائمة المصطلحات) التى تسمح للمبحوث أن يجيب على السؤال بطريقته الشخصية. ويُطرح على جميع المبحوثين نفس الأسئلة، وبنفس الترتيـب ، وباستخدام نفس العبارات ، كما يكون أمام كل سؤال عدة إجابات يجرى الاختيار من بينها .

البحث الواقعى

التعداد العشرى للسكان (أى كل 10 سنوات)

فـى المملكة المتحدة يتـم إجراء تعداد سكانى كل عشر سنـوات . وقد أجرى أول تعـداد سكانى عـام 1831 ، ثم ظل يتكرر تنفيـذه كل عشر سنـوات (باستثناء عام 1941 ، لأنهـا حلّت أثناء الحرب العالمية الثانيـة) وحتى وقتنا الحاضر . وأجرى آخر تعداد سكانى فى يوم 27 مارس 2011.

والتعـداد السكانـى عبارة عن مسح لجميـع الأسر والأفراد فـى البلاد ، وذلك بهـدف توفـير الإحصائيات التى تستفيد بها الحكومة كما أنهـا تكون متاحة كذلك – فى الغالـب – لمؤسسات وهيئات أخرى ، بما فيها المنظمـات الصناعية والتجارية. للاطلاع على تاريخ التعداد السكانـى ، انظر موقع /www.ons.gov.uk/census census-history/index.html

يعتبر هذا التعـداد السكانى استبيانا كبيرا يسلم لكل بيت فى بريطانيا (يوجد نظام معقد لمساعدة الأفراد الذين يجدون صعوبة فى استيفاء بيانات هذا التعداد وحدهم). ويستخـدم التعداد السكانى من جانب الحكومـة – خاصة – لخدمة أغراض رئيسية ثلاثة هى:

1 – مراقبة حجم السكان، وتركيبهم، وأعمارهم، وانتماءاتهم الإثنية . . . إلخ.

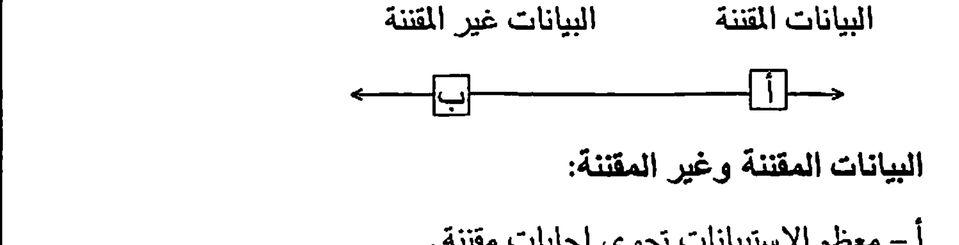
2 – تخطيط عمليات توفير الخدمات فى المستقبل.

3 – مراقبة أساليب تقديم الخدمات حاليا، ومراقبة السياسات المتبعة.

ومع ذلك فإنه يعد أمرا استثنائيا لسببين هما:

- أن استيفاء التعداد إلزامى بحكم القانون. وهذا معناه أن قضية معدلات الاستجابة الضعيفة كان ينبغى ألا تثور(*) (فى الوقت الحالى يُغرّم من يقصرون فى استيفاء التعداد السكانى مبلغ ألف جنيه استرلينى – حوالى عشرة آلاف جنيه مصرى).
- العينة والسكان متماثلان (فصل5 باب2). وهذا أمر استثنائى للغاية، وذلك بسبب ضخامة الحجم (الذى يتجاوز فى بريطانيا ستين مليون نسمة) وبسبب ضخامة الموارد اللازمة لتنفيذ ذلك.

(*) الإشارة إلى تعبير «المليون المفقودون» إذ قصّر حوالى مليون فرد فى استيفاء التعداد السكانى الذى أجرى عام 1991 (انظر مثلا موقع /www.independent.co.uk news/uk/missing-million-indicates-poll-tax-facto-in-census1557887.html/ ويقال إن سبب ذلك يرجع إلى أن الحكومة كانت تخطط لفرض ضريبة على الناخبين، وأن هؤلاء المليون كانوا يعتقدون أنهم إن لم يسجلوا فى التعداد السكانى فسوف يفلتون من الخضوع للضريبة.



البيانات المقننة وغير المقننة:

أ – معظم الاستبيانات تحوى إجابات مقننة.

ب – بعض الاستبيانات بها بعض الأسئلة المفتوحة التى تجمع بيانات شبه مقننة.

الشكل (3–1) : الاستبيانات على متصل البيانات المقننة وغير المقننة

نظـرا لأن البيانات تكـون فى شكل موحد قياسيا ، فإن بالإمـكان عدّها ومعالجتها كبيانـات تم ترميزها (مكـوّدة) أو بيانات رقميـة. وأيا ما كان الأمر ، فـإن هذا معناه أن تصميـم الاستبيـان هو أهم مرحلـة ، إذ إن التصميم هو الذى يحـدد كلا من الأسئلة والإجابـات التى يتوجـب على الباحث معالجتها فى نهاية الأمـر. فإذا طرحت الأسئلة غـير المناسبـة – أو أعطيت المبحـوث مجموعة من الإجابات غـير المناسبة – فلن تجمع البيانـات التى تريدها وتحتاج إليها للإجابة على سؤال بحثك. إن صدق استبيانك – أى التأكـد من أنك تجمـع البيانات التى تتصور أنك تجمعهـا – أو صدق أداة البحث (انظر الفصل الأول) هى إحدى قضايا جودة البحث الأساسية التى يجب أخذها بعين الاعتبار (انظر فقرة: «اختبار جودة البحث» لاحقا فى هذا الفصل).

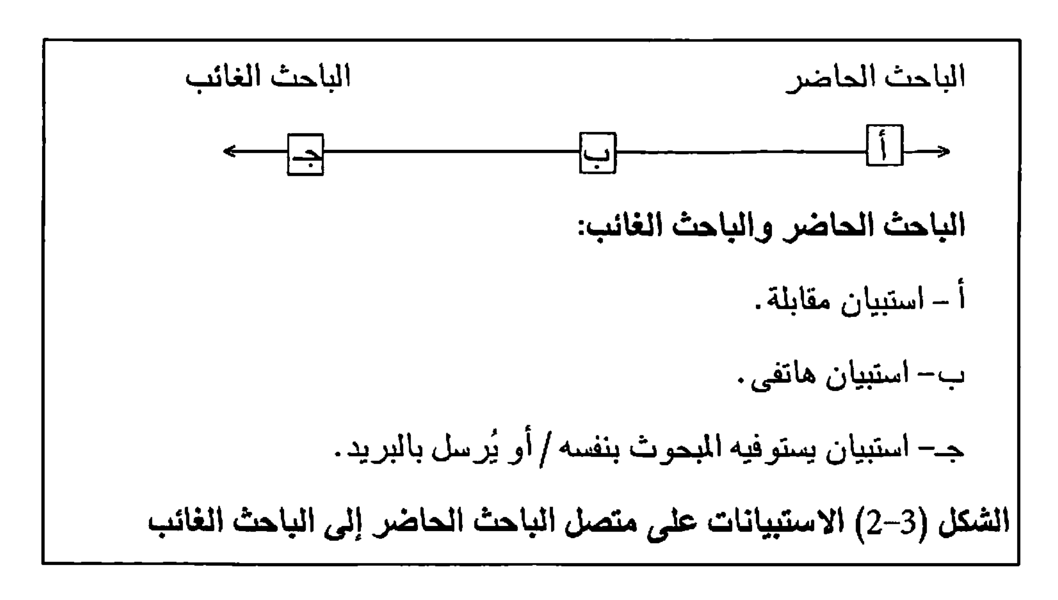
والاستبيان – كما يدل عليه اسمه – عبارة عن مجموعة من الأسئلة، من قبيل:

- هل تعيش فى الحى السكنى «ليدى وود»؟
- كم عدد الأطفال دون 16 سنة الذين يعيشون معك؟
- ما مدى رضاك عن الخدمة التى يقدمها المركز الطبى فى حيّك السكنى؟

إلا أن نمـاذج جمـع البيانات التى لا تحتوى على أسئلة بـل تسأل عن معلومات ، يمكـن اعتبارها – هى الأخرى – استبيانـات لأن لها سمات مشابهة للاستبيانات. فهذه النماذج يمكن أن تحتوى على استمارات أو نماذج تجمع عددا من المعلومات عن شخص معين أو موقف ما ، ومنها مثلا النماذج المصممة لتسجيل التحصيل الدراسى للطالب ، أو أعداد ونوعيات الأفراد العاملين فى موقع معين ، أو السمات الشخصية المميزة للأفراد العاملين فى موقـع معين ، أو السمات الشخصية المميزة للأفـراد أعضاء ناد معين ، أو المعلومـات المستقاة من بعض الوثائق. وتستخدم النماذج أيضا فى تسجيل الملاحظات ، ومـن أمثلتها: عدد الأفـراد الذين يتناولون الطعام بمفردهم فـى أحد المطاعم ، أو عدد المرات التى يبتسم فيها كل شخص ، أو عدد المرات التى يتحدث فيها الطالب فى سيمينار (حلقـة المناقشـة) (الفصل السادس). وتشتمـل هذه النماذج التسجيلية علـى أسئلة بشكل ضمنى ، وهى بهذه الصفة تتسم بخصائص مشابهة لخصائص الاستبيان.

ويمكن استخدام الاستبيانات بعدة طرق. فأحيانا يستخدم أحد الاستبيانات كأساس لمقابلة. وبذلك يوجد شىء من التفاعل بين المبحوث والباحث (أو الشخص الذى يجرى

المقابلة). وقد تكون هذه المقابلة مباشرة، أو بواسطة الهاتف، أو عبر البريد الإلكترونى (الإيميل). وفى مواقف أخرى يصمم الاستبيان كاستبيان يستوفيه المبحوث بنفسه دون حضور الباحث بشخصه. وقد يسلم الباحث بنفسه الاستبيان للمبحوث، أو يرسله بالبريد العادى أو بالبريد الإلكترونى، أو يضعه على الإنترنت (الفصل العاشر). وأيا ما كان الأمر، وأيا كان الموقف الذى يجيب فيه المبحوث عن الأسئلة، فإن هذه الأسئلة تكون موحدة ويكون الاختيار من بين الإجابات موحدا أيضا. وإن استخدم الاستبيان كمقابلة، فلا بد - حينئذ - أن يقرأ الشخص الذى يجرى المقابلة الأسئلة والإجابات بنفس الطريقة لكل فرد ممن يقابلهم، وعليه ألا يقدم للمبحوث مساعدة إضافية من عنده، أو أى إشارات تحثه على الإفاضة فى الكلام، أو تعليقات لأن هذا قد يؤثر على الطريقة التى بها يسمع المبحوث الأسئلة ويجيب عليها. والواقع فعلا أن التفاعل بين القائم بالمقابلة والمبحوث يكون مقصورا على الأسئلة والإجابات.



الشكل (3-2) الاستبيانات على متصل الباحث الحاضر إلى الباحث الغائب

استخدام الاستبيانات فى البحث الاجتماعى

تستخدم الاستبيانات على نطاق واسع فى مواقف البحث الاجتماعى، وفى اكتشاف المعلومات عن جميع أنواع القضايا والظواهر الاجتماعية. ورغم أن الاستبيانات مفيدة خاصة فى جمع البيانات الواقعية، والتى منها مثلا: أعمار الأفراد، أو نوعهم، أو

دخولهـم، أو انتفاعهم بالخدمات؛ فإنه يمكن كذلك استخدامهـا فى جمع آراء الأفراد، وأفكارهـم واتجاهاتهـم، ومعارفهم، وخبراتهـم. لذلك يجب ابتـكار الطرق المختلفة لطـرح الأسئلة التى تمكـن الباحث من جمع هـذه البيانات التقييميـة (فصل3 باب1)، وسوف نمعن النظر فيما بعد فى بعض الاتجاهات والأساليب التى قد تأخذ بها.

وغالبـا ما يتم اختيار الاستبيانات لجمع البيانات فى تصميم بحثى مقطعى (مقارن) أو طـولى (تتبعى) (فصل3 باب2)، وحين تجمع البيانات مـن إحدى العينات (فصل5 بـاب2) المختارة مـن مجموعة أو مجتمع أكبر. وقد يكون غرضـ البحث عقد المقارنة بين خصائصـ وخبرات مجموعات مختلفة من الناس أو البحـث عن العلاقات القائمة بين هذه الخصائص المختلفة (فصل3 و4 باب2).

البحث الواقعى

المسح البريطانى للجريمة

تم تنفيذ المسح البريطانى للجريمة على فترات زمنية منذ سنة 1982 (ويتم تنفيذه سنويا منذ العام 2001). وهو أحـد المسوح المقطعية الكبرى فى انجلترا وويلز. ويقـوم بتنفيـذه حاليـا «المكتـب البريطانى لبحـوث التسويق» لحسـاب وزارة الداخليـة. وهـذا المسح مصمم للتعـرف على مدى انتشـار وطبيعة الجريمة فى إنجلـترا وويلز (ويتم تنفيذ مسوح مشابهة بصورة عارضة فى اسكتلندا وأيرلندا الشماليـة). وهو يطرح على الأفراد أسئلة تتعلق بخبراتهم عن الجريمة (بما فيها جرائـم الأمـوال وجرائم العدوان علـى الأشخاص) خلال العـام السابق على إجـراء المسح. ويشمل هـذا المسح الجرائم التى لم تبلـغ للشرطة، كما أصبح هذا المسـح يعد أداة جيدة لتقديـر المدى الحقيقى لانتشار الجريمـة ولطبيعتها. كما تم تضمينـه عدة أسئلة تستهدف الكشف عن آراء المستجيبين فى السياسات الحكومية والقانونية الراهنة المتعلقة بالجريمة.

العينـة: يتم سنويا تغطية ما يقرب مـن 40.000 شخصا ممن تتجاوز أعمارهم 16 سنة.

الاستبيان: يتولى مهمة استيفاء الاستبيان المسحى مجموعات من الباحثين الذين يقومون بتوجيه معظم الأسئلة إلى أفراد العينة. ويتم إدخال الإجابات فى جهاز حاسب آلى محمول (لاب توب) أثناء إجراء المقابلة. ويترك لأفراد العينة قسم يستوفونه بأنفسهم ليجيبوا عليه بمعرفتهم على الكومبيوتر. ويشمل هذا الجزء أسئلة تتعلق بالسلوك الشخصى للمستجيبين، بما فى ذلك سؤالهم عما إذا كانوا قد تعاطوا عقاقير محظورة قانونا. وعن مقدار المشروبات الكحولية التى يتناولونها. (الاستبيان الخاص بالمسح البريطانى للجريمة للعام 2007-2008 متاح على الموقع التالى: /www.data-archive.ac.uk/ doc/60666/mrdoc questionnaire-pdf وقد تم آخر دخول عليه فى 15 أغسطس 2009).

وكما هو الحال مع غيره من المسوح الكبرى العديدة، فإن معلومات وتقارير ونسخ هذه الاستبيانات متوافرة فى "إدارة البيانات الاقتصادية والاجتماعية" (على موقع www.esdc.ac.uk/about/abou.asp. وقد تم آخر دخول عليه فى 15/8/2009). كما أن البيانات المستقاة من "المسح البريطانى للجريمة" متاحة لإجراء التحليلات الثانوية عليها، لدى إدارة البيانات الاقتصادية والاجتماعية.

مزايا استخدام الاستبيانات فى جمع هذه البيانات

- تكون البيانات التى يتقرر جمعها فى شكل موحد قياسيًا.
- يتطلب الأمر إجراء مسح واسع النطاق للتأكد من تغطية مجموعة كبيرة من الأفراد والخبرات، وضمان تعميم النتائج على مجموع مجتمع البحث.
- معظم البيانات التى يتم جمعها واقعية.
- استخدام نفس الأسئلة سنة بعد سنة يتيح فرصة عقد المقارنات على مدى الزمن (تاريخيا)، وكذلك مقطعيا (بين الفئات والشرائح المختلفة).
- يمكن إدخال البيانات فى حاسب آلى، وبذلك تكون جاهزة للتحليل الإحصائى.

اختيار المشاركين فى مسوح الاستبيانات

تستخدم الاستبيانات عادة عندما يتم سحب عينة عشوائية من مجموعة سكانية، أو عند استعمال عينة حصية. وتتوقف مواصفات العينة المختارة على سؤال البحث وعلى طبيعة البيانات الجارى جمعها. ومع ذلك فمن الشائع جدا أيضا استخدام الاستبيان فى أغراض أخرى، منها مثلا: جمع المعلومات عن سائر الأفراد الذين يشهدون حدثا أو واقعة معينة أو من لهم وضع صحى معين يحتاج لمعالجة طبية. وفيما يتصل بحجم العينة، تذكر فى هذا الشأن نقطتين رئيستيين هما:

(أ) إن كانت العينة عينة عشوائية مسحوبة من مجموعة سكانية، فمن الضرورى إدخال الحجم فى الاعتبار مع التأكد من أن الجماعات الصغيرة العدد ممثلة بصورة كافية.

(ب) وإن لم تكن العينة عشوائية، فتأكد من أن المجموعات التى تريد عقد المقارنة بينها متضمنة فى العينة بأعداد كافية (الفصل 5 باب 2).

البحث الواقعى

باحثو المجتمع المحلى

اهتم عدد من نشطاء المجتمع المحلى فى إحدى المناطق المحرومة بسبب افتقار الكبار والصغار لأنشطة قضاء وقت الفراغ داخل هذا الحى السكنى. كما كان هؤلاء النشطاء يدركون أيضا أن المعلومات المتعلقة بالأنشطة والخدمات المحلية لا تصل دائمًا إلى من هم فى حاجة إليها.

لهذا وضع هؤلاء النشطاء استبيانا موجزا اشتمل على أسئلة عن:

- الاستعمال الحالى للمرافق المخصصة لقضاء وقت الفراغ، ونوادى الحى السكنى، والأنشطة التى يقوم بها الكبار وأطفالهم (إن كان لديهم أطفال دون 16 سنة).

- مقياس لرصد درجة رضاهم عن مرافق وقت الفراغ الموجودة فى هذه المنطقة.
- أنشطة وقت الفراغ التى يحبون هم (وأطفالهم) أن يتاح لهم ممارستها فى هذا الحى السكنى.
- الطرق التى يتبعها الأفراد فى التعرف على ما فى هذه المنطقة من أنشطة ومسابقات اجتماعية ورياضية.
- استعمالهم لأشكال الاتصال المختلفة: كالملصقات، والكتيبات، والصحف، والإنترنت، والإذاعة المحلية.

أُدرج فى الاستبيان سؤالان مفتوحان للسماح للمستجيبين بطرح أفكارهم وآرائهم الشخصية. فإن أبدى الفرد المختار ضمن العينة رغبة فى الإجابة على الاستبيان ساعده باحثو المجتمع المحلى على استيفائه باستخدام الاستبيان كمقابلة.

قام الباحثون باستخدامهم **لعينة حصصية** وفقا لسمات: العمر، والجنس، والانتماءات الإثنية الموجودة داخل هذا الحى؛ قاموا بتوزيع الاستبيان الذى يستوفيه المستجيب بنفسه فى عيادات الأطباء، وفى المدارس الواقعة فى أطراف الحى، وفى المركز التجارى، والمركز الاجتماعى، وفى أثناء الاحتفال المحلى المسمى "يوم اللهو والمرح". وكان هدف هذه المجموعة من النشطاء الحصول على 100 استبيان مستوفى الإجابات.

مزايا استعمال الاستبيان

- مكّن الاستبيان هذه المجموعة من جمع البيانات من طائفة من الأفراد بأسلوب موحد قياسيا، مما يجعل من السهل تحليلها.
- أمكن تصميم الاستبيان بحيث يسهل استيفاؤه فى مواقف متنوعة.
- نظرا لقلة الموارد التى كانت متاحة لهذه المجموعة من النشطاء، كان الاستبيان أكثر الطرق فعالية فى جمع البيانات من طائفة متنوعة من الأفراد الذين يعيشون فى هذه المنطقة.

الاستبيانات والقضايا الأخلاقية

من الممكن أن يكون الاستبيان غُفلا من ذكر اسم المستجيب، وليس من الضرورى دائما الحصول على اسم أو على سمة مميزة تتيح التعرف على المستجيب. فإن أردت الحصول على اسم المستجيب، فلابد أن يكون لديك سبب وجيه لهذا التصرف، فربما تكون راغبا فى الالتقاء شخصيا مع بعض مستجيبيك لتنفيذ مرحلة تالية للبحث. ومع ذلك لابد أن تحرص على ألا يكون من الممكن التعرف على الأفراد أو الجماعات الصغيرة العدد عند عرض نتائج بحثك. فإن كنت تنوى أن تحلل نتائجك عن طريق عقد المقارنة بين آراء الأفراد ذوى الأعمار المختلفة والمهن المختلفة مثلا، يتعين عليك أن تتأكد من أن لديك من الأفراد فى كل مجموعة صغيرة (عمرية أو مهنية . . . إلخ) العدد الذى يكفى لتمثيل تلك المجموعة، ولتجنب التعرف على هوية أفراد من العينة.

من الممكن أن تكون الاستبيانات ذات طابع استبعادى، فالاستبيان الذى يملؤه المستجيب بنفسه يستبعد الأفراد الذين لا يعرفون القراءة والكتابة، وكذلك الأفراد الذين لا يتحدثون باللغة التى كتب بها الاستبيان. كما سيستبعد كل من ليس لديهم بريد إلكترونى أو هاتف من الاستبيانات المرسلة إلكترونيا أو المنفذة عبر الهاتف. ولهذا يجدر بك أن تأخذ فى اعتبارك بعض الوسائل البديلة لاستيفاء الاستبيانات الخاصة بأمثال هؤلاء الأفراد. ولابد أن تكون التعليمات والإرشادات والمعلومات المذكورة فى الاستبيان واضحة، لكى تضمن أن الأفراد يستطيعون ملأها على وجه صحيح. وإن كان الباحث حاضرا فى الوقت الذى يستوفى فيه الاستبيان، فلابد أن يكون التعريف به واضحا، كما ينبغى التحقق من فهم المستجيب له. وعليك التزام الحذر فى صياغة عبارات الأسئلة بحيث لا يفهمها المبحوث بوصفها أسئلة تتضمن أحكاما أو أسئلة تمس أمورا حساسة، ولكى يستطيع الأفراد أن يجيبوا عليها من غير حرج أو خجل. ففى المثال الخاص "بالمسح البريطانى للجريمة"، الوارد فى برواز "البحث الواقعى" أعلاه، والذى يتولى فيه المبحوث الإجابة عن معظم الأسئلة؛ فى ذلك المثال كان يسلم لكل مستجيب "لاب توب" (حاسب محمول) حتى يدخلوا فيه بأنفسهم إجاباتهم عن الأسئلة الحساسة التى تتعلق بتعاطى المخدرات وشرب الخمر. وإن كان الباحث حاضرا فى وقت ملء الاستبيان، فلابد من مراعاة علاقات القوة بين الباحث والمستجيب (فصل5 باب1) بحيث تتأكد من أن المستجيب لم يقع تحت ضغط لكى يشارك فى الإجابة على الاستبيان أو لكى يدلى بإجابات معينة.

الاعتبارات العملية

تصميم الاستبيان

تصميـم الاستبيان هو أهم مرحلة فـي هذا النوع من البحوث لأنه بمجرد تصميمك للبحـث تكون قد حـددت الأسئلة والإجابـات، كما أنك لن تكون قـادرا على التراجع والحصول على المزيد من المعلومات. فلابد أن تكون واثقا من أن الأسئلة التى تطرحها سوف تمكنك من جمع البيانات التى تحتاج إليها. وفى هذه الحالة يتعين عليك أن ترجع إلى تعريفاتك الإجرائية. كيف تطرح مجموعة من الأسئلة من شأنها أن تبين لك ما إذا كان شخصـ ما سعيدا أم غير سعيـد؟ أو هل أمضى هذا الشخص عطلة ممتعة؟ أو حتى ما إذا كان قد تناول -فعلا- من الطعام ما قال إنه تناوله؟

لهذا يتعلق تصميم الاستبيان بنقطتين اثنتين فى الآن معا، هما: رسم خطة للطريقة التـى ستتبعهـا فى قياس وجود شـيء ما، والاعتبـارات العملية المتعلقـة بالتوصل إلى مجموعـة من الأسئلة والإجابات التى من شأنها أن تمكنك من تحقيق ذلك، ومن شأنها كذلك أن تكون مفهومه لجميع مستجيبيك وقابلة للإجابة عليها.

بحثك

يتطلـب تفكيرك فى موضـوع بحثك وتصميم الاستبيان الـلازم لجمع البيانات الإجابة على ما يلى:

- ما الذى تريد معرفته؟
- من هم الذين سيكونون قادرين على الإجابة عن الأسئلة؟
- هل سيفهمون هذه الأسئلة؟
- كيف سيجيبون على هذه الأسئلة؟
- هل سيكونون قادرين على الإدلاء بالإجابات التى يريدون إعطاءها؟

الأنماط المختلفة للبيانات

يصمم الاستبيان عادة لجمع أنواع مختلفة من البيانات التى تتضمن:

- **بعض الحقائق** المحددة عن بعض الأفراد أو الأحداث.
- **بعض الأوصاف** التى يدلى بها الأفراد لأمر ما حدث لهم مثلا.
- **المعرفة:** أى ما يعرفه هؤلاء الأفراد عن أمر ما.
- **الآراء** : ما آراؤهم فى أمر ما عايشوه أو يعرفون عنه شيئا؟
- **الاتجاهات والقيم:** اتجاهاتهم إزاء غيرهم من الأفراد، وإزاء بعض المؤسسات، وبعض الأفكار، وما أشبه ذلك.
- **المعلومات المتعلقة بخلفية المستجيب** : (أى عن بيئته الاجتماعية والثقافية) والتى قد تكون مرتبطة بموضوع البحث.

الأنماط المختلفة للإجابة

تشتمل الاستبيانات على طرق إجابة الأسئلة وعلى طرق لطرحها. وهاتان المجموعتان من الطرق مترابطتان بشكل واضح، فالطريقة التى يُطرح بها السؤال ستحدد نطاق الإجابات التى يتعين على المستجيب أن يختار من بينها. وفى الوقت الذى قد يبدو فيه أن هذه الحقيقة واضحة، قد لا يكون واضحا بصورة مباشرة أنك عند قيامك بتصميم الاستبيان يتوجب عليك أن تستحضر فى ذهنك البيانات التى ستجمعها، وكذلك الأسئلة التى يتعين عليك طرحها لتتحصل على تلك البيانات. ويلاحظ أن طبيعة البيانات التى تجمعها هى التى تقرر مدى قدرتك على معالجتها حينما تصل إلى مرحلة التحليل. ونورد فيما يلى الأنواع الرئيسية للإجابات - أو البيانات - التى ستتحصل عليها من الاستبيان:

- عن **الكمية** مثل : عدد المرات، أو عدد الأشقاء . . . إلخ .
- عن **الفئة** مثل : الفئة العمرية من 16 – 25 سنة، أو فئة العمالة، كالعامل اليدوى مثلا . . . إلخ.

- **إجابات تختار من بين قائمة** من الإجابات المحتملة، مثل : نعم / لا / لا أدرى . . . إلخ.
- **موقـــع الإجابة على مقياس ما** مثل: مقياس ليكرت الذى يبدأ بعبارة "راض جدًا" أو موافق بشدة"، وينتهى بعبارة "ساخط جدًا" أو " رافض بشدة" وهكذا. . .
- **موقع الدرجة أو الرتبة** مثل: اختيارك الأول، أو اختيارك الثانى، . . إلخ.
- **البيانات المفتوحة**: وهى الإجابات مكتوبة بالكلمات التى نطق بها المستجيبون.

أنواع الأسئلة

هناك عــدة طرق مختلفة لطرح أى سؤال تقريبا. والأسئلة التالية مجرد جزء من أشيع الأسئلة استخداما فى الاستبيانات:

نعــم / لا : يبحث أبسط الأسئلة عن إجابة بكلمة "نعم" أو كلمة "لا"، وهو يستخدم كطريقــة للتمييز بين مختلف جماعات وفئــات المستجيبين. ولا مجال – أساسا – لطرح ســؤال يُجــاب عليه "بنعم" أو "لا" إن كان من الراجــح أن جميع المستجيبين سيجيبون بواحدة من هاتــين الإجابتين دون الأخرى، وذلك ما لم تستخــدم هذا السؤال كسؤال للتحقــق والمراجعــة تقصد به التأكد مــن أنك قد ظفــرت بالمستجيبين الذيــن ترغب فى الحصول عليهم. وينبغى أن يكــون جميع مستجيبيك قادرين على الإجابة بكلمة "نعم" أو "لا"، إلا أنه مما نوصيك به أن تضيف فئة " لا أدرى" أو "لا ينطبق"، لكى يختاره من المستجيبين من يكون غير قادر على الإجابة على هذا السؤال بنعم أو لا. وفى المثال التالى، من الممكن أن يكون المستجيب غير موجود فى بيته أثناء الستة أشهر الماضية لأنه كان راقدا فى المستشفى .

هل كنت غائبا عن بيتك فى عطلة لمدة أسبوع أو أكثر أثناء الشهور الستة الأخيرة؟

نعم ☐

لا ☐

لا ينطبق ☐

أى الفئات ؟ كم العدد؟ ما المقدار؟: من المحتمل أنك سترغب فى طرح أسئلة عن المستجيبين أنفسهم أو عن أحد المواقف. وهذه البيانات الواقعية (عادة) يتوجب جمعها بطريقة تجعل من السهل على المستجيبين تقديم هذه البيانات بشكل دقيق.

(أ) ما عمرك ؟ من فضلك ضع علامة (√) على الفئة العمرية التى تنتمى إليها.

من 16 - 25 سنة ☐

من 26 - 40 ☐

من 41 - 60 ☐

فوق 60 سنة ☐

(ب) يهمنا أن نعرف المزيد عن الأشخاص الذين يقضون العطلة معك. من فضلك حدثنا عن الأشخاص الذين أمضوا العطلة الأخيرة معك.

الأشخاص	العمر آخر عيد ميلاد	الجنس (أرجو وضع دائرة)	علاقة الشخص بك، مثلا: طفلك، أو شقيقتك، أو صديقك، أو شريك حياتك...
1		ذكر/أنثى	
2		ذكر /أنثى	
3.. إلخ		ذكر /أنثى	

عند السؤال عن هذه المعلومات ينبغى عليك التفكير بحرص فى سبب حاجتك لهذه المعلومات، وفى كيفية استخدامك لها. وهذه النقطة وثيقة الصلة بموضوعنا، خاصة إذا كنت تسأل عن معلومات يمكن أن تكون حساسة، كأن تكون متعلقة مثلا: بالجماعة العرقية للشخص، أو بدينه، أو بدخله. وتستخدم المنظمات التى تجمع هذا النوع من البيانات كجزء من المعلومات الخاصة بحالة العمل أو الصحة مثلا؛ تستعمل هذه المنظمات مجموعات موحدة قياسية من الفئات، كما أنك قد تكون قادرا على الانتفاع بها. (يمكنك معرفة المزيد من المعلومات عن الأسئلة المتعلقة بهذه الموضوعات والمستخدمة فى التعداد القومى لسنة 2001 على موقع www.statistics.gov.uk/about/ ethnic__group__ statistics/introduction./asp وتم آخر دخول على الموقع يوم 15 أغسطس 2009).

ومـع ذلك فإن أول سـؤال يتوجب عليك كباحث أن تطرحـه – وفى ذهنك أسئلة بحثـك – يتعلق بما إذا كنت تحتـاج إلى هذه المعلومات عن مستجيبيـك أم لا . فإن كنت تحتـاج فعلا لهذه المعلومات ، فمـن اللازم أن تشرح فى الاستبيـان سبب طرحك لهذا السؤال ، وأن تعطى مستجيبيك الفرصة لاختيار عدم الإجابة عليه . وضع فى اعتبارك أنـه إن لم يجـب على هذا السـؤال عدد "كبير" مـن مستجيبيك ، فقـد لا تستطيع – فى النهايـة – الانتفاع بالبيانات المستمدة من هذا السؤال فـى تحليلك . كما أن مجرد طرح هذا السؤال قد يدفع بعض الأفراد إلى رفض المشاركة فى بحثك .

كما ينبغى أن تفكـر بعناية فى الفئات أو التقسيمات التى سوف تستخدمها مستقبلا . فعليـك مثـلا أن تفكر – عند تصميمك لسـؤال عن عمر المستجيـب – أن تفكر فى مدى احتياجـك مستقبـلا لاستخدام هذه المعلومـات فى تحليلك . فإن كنـت لم تستقر بعد على **الفئـات العمرية** التى ستحتاج إلى معالجتها ، فقد يكون مـن الأفضل أن تسأل المبحوث عـن عمره فى آخر عيد ميـلاد له ، بدلا من أن تطلب منـه أن يضع نفسه فى مجموعة عمريـة معينة . على أنك قد تضطـر إلى تأجيل تصنيف هذه البيانات إلى مرحلة التحليل (فصـل 2 باب 4) . لذلك يجدر بك عند بلوغك هذه المرحلة أن تفكر فى الفئات العمرية التى تفيدك فى بحثك .

فكر فى هذا الموضوع . . .

الفئات العمرية

لاحـظ أن مجموعاتك العمرية قد تكون – أو قد لا تكون – متساوية فى طولها . وهـذا يتوقـف على الكيفية التى ستستخـدم بها هذه الفئات العمريـة وإلى أى مدى ترتبط هذه الفئات بأسئلة بحثك .

فإن كنت مهتما بسؤال المراهقين عن خبراتهم بالمدرسة فمن المحتمل أنك ستحتاج إلى سؤالهم عن السنة الدراسية المقيدين بها ، بدلا من سؤالهم عن أعمارهم .

وإن كنـت مهتما مثلا بمـدى تأثير البطالة على الأفراد فـى المراحل المختلفة من حيواتهـم ، فبوسعك أن تختار مجموعاتك العمرية بحيث تتوافق مع تلك المراحل ،

كأن تختـار مثلا المجموعة العمرية من 16 – 25 سنة، ومن 26 – 40 سنة، ومن 41 – 50 سنة، ومن 51 – 65 سنة، وفوق 65 سنة.

ما فى نظرك سبب اختيارنا لهذه المجموعات العمرية؟

الاختيار من بين مفردات قائمة ما : إذا كانت هناك مجموعة من الإجابات نريد مـن المستجيبين الاختيار من بينها، فمـن الشائع وضع هذه الإجابات فى قائمة ومطالبة المستجيبـين أن يختـاروا إجابة أو أكثر، أو أن يضعوا علامـة على "كل الإجابات التى تنطبـق علـى اختيارهم". فكر بعناية فـى: ما المعلومات التى تريـد الحصول عليها من وراء توجيـه السـؤال. وكثيرا ما يُدرج فـى الاستبيان فئة إضافيـة عنوانها "آخر/أو أخرى" حتى يستطيع المستجيبون إضافة أى إجابات أخرى يشعرون أنها لا تتناسب مع الفئـات التى قدمتها لهم ليختاروا من بينهـا، وذلك كما هو مبين فى المثال الأول أدناه. أما المثال الثانى فلا يتناسب مع إدراج الفئة التى عنوانها "آخر/أو أخرى".

(أ) خلال الشهور الستة الأخيرة هل قضيت أيا من أنواع العطلات التالية؟

ضع علامة (√) على الأنواع التى تنطبق على حالتك:

يوم عطلة داخل المدينة ☐

يوم عطلة على شاطئ البحر ☐

يوم عطلة فى مكان ريفى ☐

يوم عطلة آخر ☐

ماذا كان نوع العطلة؟

(ب) عندما تختار قضاء يوم عطلة، فأى هذه العوامل هو **الأهم** عندك؟

ضع علامة (√) على صندوق واحد:

- المكان ☐

- وسائل الإعاشة والتسلية ☐
- طول الرحلة ☐
- من الذى سيرافقنى؟ ☐
- الأفراد الذين سألتقى بهم ☐
- الأنشطة التى أستطيع المشاركة فيها ☐

ويمكن طـرح شكل مختلف لهذا السؤال هو أن تطلب مـن المستجيبين أن يختاروا أهم عاملين، أو أهم ثلاثة عوامل من وجهة نظرهم. أو يمكنك أن تطلب منهم أن يعطوا هـذه العوامـل **درجات أو رتبا** تبعا لأهميتها: فيعطون الرتبـة (1) لأهم عامل، إلى أن ينتهوا بإعطاء الرتبة (6) لأقل العوامل أهمية.

أوافـق / لا أوافق على عبارة ما : إن كنت تريد جمـع بيانات عن أفكار الناس، أو قيمهـم، أو آرائهم، أو اتجاهاتهم، فيمكن أن تسأل المستجيبين عما إذا كانوا يوافقون أو لا يوافقـون على عبارة من العبارات التـى تحددها للاختيار من بينها. وتحتاج هذه العبارات نفسها إلى تفكير دقيق قائم على عدد من الاعتبارات:

- إلى أى مـدى ترتبط هـذه العبارة بسؤال بحثـك، أى ما المعلومـات التى تأمل أن تكتشفها من وراء إدراجك لهذا السؤال فى الاستبيان؟
- هـل سيفهم جميع المستجيبين العبارة بنفس الطريقة، أى هل يمكن أن تتعدد وتتباين معانيها فى نظر الأفراد المنتمين إلى ثقافات مختلفة أو الذين لهم خبرات متباينة؟
- هـل تحتـاج إلى إدراج عدد من العبارات عن موضوع معـين للتعرف من خلالها على ما يتصوره الأفراد أو على ما يشعرون به؟
- هل هذا الحكم واضح لا لبس فى معناه؟

يتيـح استخـدام " مقياس ليكـرت" للمستجيبين فرصة لإبداء مـدى قوة شعورهم بالعامـل الذى طرحته فى هذه العبارة، كما يمكنها أن تميز بين الأفراد تمييزا واضحا. علـى أنـه إن لم تتوافر لـك الفرصة لاختبـار عباراتـك والتأكد من وجـود فروق أو

اختلافات حقيقية فى درجة الاتفاق بين الأفراد على فهمها، فلابد أن تلزم جانب الحذر فيما يمكنك ادعاءه عن مثل هذه الفروق. كما ينبغى أن تمعن النظر فى كيفية استخدام الأفراد للفئة الوسطى (أو قل المحايدة) (ويمكن أن تسمى هذه الفئة أحيانا فئة: "لا أوافق ولا أعترض"، أو تسمى - كما سيرد فى هذا المثال - فئة "غير مهم"). وفى هذه الأمثلة يكون اختيار المستجيب للفئة الوسطى أمرا له دلالته لأنه يشير إلى أن العامل المذكور فى تلك العبارة ليس مهما فى نظر ذلك المبحوث.

من فضلك ضع دائرة حول أقرب الإجابات تصويرا لرأيك فى كل عبارة من هذه العبارات:

- الطعام هو أهم جزء من نظرى فى أيام العطلة.

أوافق بشدة　　أوافق　　غير مهم　　لا أوافق　　لا أوافق بشدة

- أحب أن التقى بالناس العاديين (أهل المنطقة) حينما أذهب لقضاء العطلة.

أوافق بشدة　　أوافق　　غير مهم　　لا أوافق　　لا أوافق بشدة

- الطقس المشمس الدافئ أساسى لقضاء يوم عطلة جميل.

أوافق بشدة　　أوافق　　غير مهم　　لا أوافق　　لا أوافق بشدة

- أتمتع بتكوين صداقات جديدة فى العطلة.

أوافق بشدة　　أوافق　　غير مهم　　لا أوافق　　لا أوافق بشدة

- أحب أن أقضى عطلة أقوم بالإعداد لها بنفسى.

أوافق بشدة　　أوافق　　غير مهم　　لا أوافق　　لا أوافق بشدة

مقياس التدريج: يعد استخدام مقياس تدريج من الطرق الأخرى للسؤال عن آراء المستجيبين أو اتجاهاتهم. وفى هذه الحالة يطلب من المبحوثين أن يحددوا إجابتهم على مقياس يمكن أن يبدأ من (1) إلى (5)، أو إلى (7) أو إلى (9). ومن المألوف أن يكون لديك مقياس ذو أرقام عددها وتر (فردى)، لأن هذا يعطى المستجيبين فرصة

اختيار النقاط أو الدرجات الوسطى.

- ما مدى أهمية العوامل التالية عند اختيارك لقضاء عطلة؟ من فضلك ضع دائرة حول الرقم الذى يعكس أهمية كل عامل فى نظرك.

	مهم جدا						غير مهم على الإطلاق
• التكلفة	1	2	3	4	5	6	7
• وسائل الإعاشة والتسلية	1	2	3	4	5	6	7
• أن أفعل ما أرغب فيه	1	2	3	4	5	6	7
• أن أكون بصحبة عائلتى/ أصدقائى	1	2	3	4	5	6	7

السؤال المفتوح: يحتوى الاستبيان أحيانا على أسئلة تسمح للمستجيبين بالإجابة عليها كما يرغبون. فإن كان الاستبيان من النوع الذى يملؤه المستجيب بنفسه، فإنه يحتوى حيئنذ على صندوق يخصص لإثبات إجابة المستجيب، وعادة ما يكون حجم هذا الصندوق مؤشرا يدل المستجيب على طول الإجابة المتوقعة وتفاصيلها. وقد يستعمل الباحث الذى يجرى المقابلة أسئلة للتعمق أو لاستثارة المستجيب على الإفاضة فى الكلام بطريقة مشابهة للطرق المستخدمة فى المقابلة شبه المقننة (الفصل4) ليستوثق من أن هذا السؤال قد تمت الإجابة عليه بشكل واف، وإن كان الباحث لا يسعى – فى العادة – للوصول إلى ما تتضمنه المقابلة شبه المقننة من عمق وتفصيل. وسيتم تصنيف وترميز (تكويد) البيانات المجموعة بهذه الطريقة حتى يكون بالإمكان إدراجها فى تحليل كمى أو إحصائى (فصل3 باب4) .

ويمكن استخدام الأسئلة المفتوحة بعدة طرق:

(أ) لشرح إجابة عن سؤال سابق: بإمكان السؤال المفتوح أن يتيح للمستجيب فرصة تقديم المزيد من التفاصيل أو شرح أى إجابة سبق له أن أجاب بها عن سؤال

سابق. وقد رأينا ذلك سابقا فيما يتصل بالفئة التى عنوانها: "آخر/ أو أخرى".

- هل سبق لك أن قدمت شكوى رسمية تتعلق بعطلة إلى وكالة سفريات أو إلى مؤسسة أخرى؟

لا ☐

نعم ☐

ماذا كان موضوع هذه الشكوى؟

(ب) **ما رأيك فى . . . ؟** كثيرا ما تعد مثل هذه الأسئلة استكشافية يمكن أن تتيح للمبحوثين فرصة طرح أفكارهم الشخصية.

ما فى نظرك أهم العوامل التى تحرص على مراعاتها أسرة بها أطفال صغار عندما تختار قضاء عطلة؟

(جـ) **هل تريد أن تقول شيئا آخر . . . ؟** من حسن التصرف أن تدرج فى نهاية الاستبيان سؤالا يتيح للمبحوثين أن يضيفوا أى شيء آخر يرغبون فى قوله عن هذا الموضوع. إذ إن هذا السؤال يتسبب أحيانا فى تقديم بيانات تثير الاهتمام ومفيدة تتعلق ببعض عناصر الموضوع التى لم يشملها الاستبيان أو لم يدخلها الباحث فى اعتباره. ويمثل هذا السؤال كذلك فرصة للمبحوث ليتحدث عما يراه مهما من وجهة نظره إذا لم يدرج الباحث هذا السؤال فى الاستبيان. ومع أن هذه البيانات قد لا تكون ذات صلة بالبحث، فإن هذه الفرصة قد تضمن تمكين المبحوث من استيفاء الاستبيان وهو فى تمام الرضى لأن رأيه أو خبرته قد سُجلت.

أسئلة التصفية: أحيانا ما تريد أن تسأل - داخل استبيان ما - أنماطا معينة من الأفراد بعض الأسئلة وتسأل آخرين مجموعة مختلفة من الأسئلة. فلا مجال لمطالبة الأفراد أن يجيبوا على أسئلة لا تنطبق على حالتهم أو تتعلق بموضوعات لا يعرفون عنها شيئا، بهذا الشكل تستخدم **أسئلة التصفية** (انظر قائمة المصطلحات) لتساعد الأفراد فى الإجابة عن أسئلة الاستبيان بمفردهم باضطراد، وعادة ما تحتوى على **علامات إرشادية** لإخبار المبحوثين بما الأسئلة التى يجيبون عليها بعد ذلك.

سؤال رقم (2): هل لديك أطفال عمرهم 16 سنة أو أقل يعيشون معك؟

نعم ☐ ← إذهب إلى السؤال رقم (3)

لا ☐ ← إذهب إلى السؤال رقم (8)

سؤال رقم(3) : كم عدد الأطفال الذين يعيشون معك وسنهم 16 سنة أو أقل؟

صياغة كلمات الأسـئلة : من اللازم أن تكون أسئلتك واضحة ومفهومه للأفراد الذيـن تتوقع أن يجيبوا عليها ، ومن ثم يتيح لك إمكانية جمع البيانات التى تحتاج إليها . ويسلط الاستبيان "الشنيع" awful (انظر برواز "فكر فى هذا الموضوع" الوارد أدناه)؛ يسلـط الضوء على بعض أشهر الأخطاء التـى ترتكب فى تصميم الاستبيانات . ونورد فيما يلى بعض الأفكار المفيدة التى يمكن أن تيسّر هذه العملية .

بحثك

أفكار مفيدة لكتابة أسئلة الاستبيان

√ استخدم اللغة المألوفة لمبحوثيـك ، واجتنب اللغة الاصطلاحية الخاصة بجماعة معينة .

√ اطرح الأسئلة بشكل محايد ، اجتنب الأسئلة "الإيحائية" .

√ عـادة ما يكون سـؤالان بسيطان أو ثلاثة أسئلة سهلـة أفضل من سؤال واحد يكون طويلا أو مقعدا .

√ تأكد من أن جميع الإجابات المكنة مدرجة ، أضف خانة "آخر أو أخرى" إن كان ذلك ملائما .

√ تأكد مـن أن الإجابات تنفـى إحداها الأخرى (أى إن صحـت إجابة لم تصح الأخرى) إن كان المطلوب إجابة واحدة فقط .

√ ادرج قليـلا من الأسئلة المفتوحـة لإعطاء الأفراد الفرصـة لقول ما يرغبون قوله .

√ اسـأل الأفراد عن الأمور التى يعرفونها وليس عن الأمور التى قد يكونون – أو لا يكونون – قادرين على تخيلها.

χ اجتنب الأسئلة الغامضة أو غير الدقيقة.

χ اجتنـب الأسئلـة التـى تفترض وجـود معرفة تخصصيـة قـد لا تتوافر لدى المبحوث.

χ اجتنب الكلمات أو العبارات التى قد تنطوى على إساءة للمبحوث.

χ اجتنب طرح سؤالين فى سؤال واحد.

χ اجتنـب الأسئلة المصاغة فى عبـارات نفى، مثل: "هل تفضـل ألا تذهب إلى إيطاليا لقضاء عطلتك؟" (فقد يكون الأفراد غير متأكدين مما إذا كانت الإجابة نعم أم لا).

χ اجتنب الأسئلة التى تعتمد على تذكر أحداث من الماضى البعيد.

ترتيب الأسـئلة: ينبغـى أن يكون ترتيـب الأسئلة فـى الاستبيان أمـرا مفهوما للمبحوثـين. وعادة ما يعنى هذا الترتيب أن كل سـؤال سيفضى إلى السؤال التالى، أو أن يكـون هناك تقـديم تعقبه مجموعة جديدة من الأسئلة عـن موضوع مختلف أو عن جانب مختلف. ويحتوى التصميم النموذجى للاستبيان على سؤال ذى طابع عام يعقبه عـدد من الأسئلة الفرعيـة الأكثر تفصيلا. من المفيد للمبحوثـين أن يجيبوا على الأسئلة ذات الطابـع الوصفى والواقعى عـن الموضوع قبل أن يُطلب منهم إبداء آرائهم، إذ إن ذلـك يساعدهم على أن يستدعوا إلى أذهانهم خبراتهم الخاصة، وما شهدوه من أحداث ومن عرفوهم من أفراد قبل أن يُسألوا عن آرائهم فى هذه الأمور.

إذا كان الاستبيـان يشمـل موضوعـات حساسـة فإنـه يُوصى عـادة بوضع هذه الموضوعـات فى منتصف الاستبيان أو قرب نهايته، لأنـه عندئذ يتوفر للمبحوثين فهم أفضـل للاستبيـان ولمبررات طرح هـذه الأسئلة فى هـذه المرحلة. وعـادة ما توضع السمـات الشخصيـة للمستجيبـين والمتعلقة بخلفياتهـم الثقافية والاجتماعيـة – كالانتماء الإثنى، والعمر، والمهنة – فى نهاية الاستبيان مع تفسير لسبب إدراجها فيه.

إن سؤالا ذا طابع عام فى نهاية الاستبيان من شأنه أن يتيح للمبحوث فرصة إضافة أى شيء آخر يود قوله عن الموضوع ، فمثل هذا السؤال كفيل بأن يُشعر المبحوثين بأن آراءهم تحظى بالتقدير .

الإخـــراج والعرض: يعتمــد إخراج الاستبيـــان وأسلوب عرضه علـــى ما إذا كان مــن المقــرر أن يستوفيه المبحوثون بأنفسهــم أم أن الباحث هو الذى يقــوم باستيفائه فى مقابلــة . ومع ذلك فإن من المفيد لك – حتى لو كنت تسجل الإجابات بنفسك – أن يكون لديك استبيان ذو إخراج جذاب ، مكتوب بحروف طباعية سهلة القراءة ، وبه تعليمات وعلامات إرشادية لمساعدتك على تبين طريقك خلال الأسئلة وصناديق واضحة تسجل فيها الإجابات .

ينبغى للاستبيان الجيد أن:

- يحتوى علـــى مقدمة للبحث ، وشرح لمــا سوف يتم عمله بالإجابـــات ، وإشارة إلى سرية المعلومات ، ورقم هاتف للاتصال يمكن أن يستخدمه من يكون لديه تساؤلات يريد طرحها بعد إجراء المسح .
- ويحتوى على تعليمات عن استيفاء الاستبيـــان ، وتعليمات داخل الاستبيان لمساعدة الأفراد على التنقل بين أجزائه .
- أن يكـــون مصمما تصميما طباعيا واضحا وجذابا باستعمال حروف طباعة مقروءة بسهولة (فصل2 باب3) .
- أن يدخـــل فى الحسبان احتياجات سائر الجماعـــات التى ستقوم باستيفاء الاستبيان ، بمن فيهم ضعاف البصر ومن يعانون من صعوبات فى القراءة ، ومن يتكلمون بلغة أخرى ، وذوى الاحتياجات الخاصة .
- أن يكون مختصرا بقدر الإمكان .

الحصول على معدل استجابة مرتفع: من مكونات عملية تصميم الاستبيان إمعان النظـــر فى تحديد الأفراد المستهدفين كمستجيبين ، خاصـــة التدقيق فى كيفية اختيار عينة مـــن مجتمع البحث (فصـــل5 باب2) ، وفى الطريقـــة التى ستتبعها عندئـــذ فى الاتصال الشخصى بهم ودعوتهـــم للإجابة على استبيانك . فليس من شأن كل من تفاتحه فى هذه

المسألــة أن يكون راغبا فى، أو قادرا على المشاركة فى بحثك. كما أن من الضرورى أن تُدخــل فى اعتبارك هذا الوضع عند تحديد عــدد المستجيبين المقرر استهدافهم. وبناء على نــوع الاستبيان، يمكن لمعــدل الاستجابة الذى تتحصل عليــه (أى : النسبة المئوية للاستبيانــات المستوفاة إلى إجمالى عدد الاستبيانات المسلمة للمستجيبين) أن يتراوح بين معدل قليل، مثل 10 % وينتهى بـ 100 % وفى هذا المقام يوجد عدد من القضايا العملية التى يتعين أخذها فى الاعتبار:

فكر فى هذا الموضوع . . .

حدد الأخطاء المتعمدة الواردة فى هذا الاستبيان "الشنيع"،

ثم راجع التصويب والتعليق على الصفحة المقابلة.

مشاركة المستفيد

من المقرر أن يستوفى هذا الاستبيان سائر رواد مركز الرعاية الخارجية.

1 – ذكر أنثى

2 – العمر صفر – 16

17 – 20

20 – 30

30 – 45

45 – 50

أكثر من 50

3 – هل تتردد بكثرة على مركز الرعاية ؟ نعم لا

4 – ما رأيك فى مركز الرعاية الخارجية؟

5 – حدد العبارات التى توافق عليها مما يلى :

أ – أحب الطعام والأنشطة التى تقدم فى هذا المركز.   أوافق / لا أوافق

ب – أشعر أننى مشارك فى عمليات رسم سياسات المركز

واتخاذ القرار فيه   أوافق / لا أوافق

جـ – أشعر بالانتماء   أوافق / لا أوافق

د – لا أحب الطريقة التى بها لا تحاط علما أبدا

بما يقع من أمور   أوافق / لا أوافق

هـ – هذا فى الواقع مكان جميل   أوافق / لا أوافق

و – يتسم العاملون بالمودة والمرح   أوافق / لا أوافق

ز – تقدم العاملات رعاية أفضل ولكن من الأفضل

أن يكون على قمة المركز رجل   أوافق / لا أوافق

ملاحظات الأخطاء وبعض التصويبات

العنوان: استعمال نوع حروف مطبعية قد يكون من الصعب قراءتها، بجانب أن العنوان قد يكون غير مفهوم. لا يوجد تقديم للاستبيان، ولا وجود لشرح له، ولا تأكيد لسريته. هنا يؤمر المبحوث باستيفاء الاستبيان ولا يُطلب منه ذلك.

1 – لا وجود لتعليمات، والصندوقان منمقان بالتظليل.

2 – لا توجد صناديق (ليؤشر عليها المبحوث). الفئات العمرية متداخلة وغير متساوية، ولا منطق لها. من المستبعد وجود مستجيبين تحت سن 16 سنة.

3 – لا يوجد فى الاستبيان تعريف لكلمة «بكثرة». سيفهم المستجيبون هذا التعبير على وجوه مختلفة.

4 – سؤال مفتوح جدا ليس فيه إشارة للجوانب المهمة فى المركز.

5 – يطلـب السؤال من المستجيب تحديـد العبارات التى يوافق عليها، مع أن العبارات مكتوب أمامها كلمتا «أوافق /لاأوافق»كإجابات .

(5–أ) هـذه الجملة تحتـوى على شيئين مختلفين همـا : «الطعـام والأنشطة»، مع أن المستجيب قد يحب أحدهما ويكره الآخر.

(5–ب) هـذه الجملة تشتمل – كذلك – علـى شيئين هما : سياسات المركز وعملية اتخاذ القرار. وهل سيفهم المستجيبون ما سياسة المركز وما عملية اتخاذ القرار؟

(5–جـ) المستجيب منتمى إلى ماذا ؟ أو لأى شيء؟

(5–د) عبـارة شديدة التعقيد تحتوى على نوعين من النفـى. من العسير معرفة الأمر المطلوب الموافقة عليه.

(5–هـ) ما معنى التعبير «جميل فى الواقع»؟

(5–و) عبارة تحوى سمتين أو عنصرين، والمستجيب قد يوافق على واحدة منهما فقط دون الأخرى.

(5–ز) عبارة أخرى بها فكرتان، ولكنها أيضا غير واضحة فيما تعنيه من تعبير «على القمة».

7(×) – ما جماعتك الإثنية؟

6(×) – هل هذا المركز أفضل من مركز «ماى فيلدز»؟

7(×) – مـا رأيك فى الوثيقة التى عنوانها «وثيقـة سياسة دمج المستفيدين من أبناء المنطقة»؟

9 – هل توافق على أنه كان من الأفضل لو أن المستفيدين كانوا مشاركين بمعدل أكبر؟

10– ما إجمالى دخل أسرتك أسبوعيا من سائر المصادر، بما فى ذلك من أجور وإعانات ومعاشات؟

من فضلك سلم هذا الاستبيان لأحد موظفى المركز.

أيام التردد على المركز الاثنين الثلاثاء الأربعاء الخميس الجمعة

(×) هـذا الخطـأ فى الترقيم موجود بالأصـل، والمقصود به إبـراز إهمال واضع هذا الاستبيـان «الشنيع» فى عمليات الترقيـم والترتيب. ولكن يلاحظ القارئ بتعمق تعليقات وتصويبات المؤلفين على الصفحة المقابلة. (المترجم).

(7) خطأ فى الترقيم. كما لا يوجد توجيه بشأن كيفية تحديد الجماعة الإثنية. ولا يوجد تفسير لمبرر الحاجة إلى هذه المعلومات أو للطريقة التى سيستفاد بها منها.

(6) سـؤال مفتـوح ليس به إشـارة إلى المعايير التى ينبغى علـى المستجيب أن يراعيها فـى تقديـر ما إذا كان المركز أفضل أم لا. وقد لا يعـرف المستجيب شيئا عن مركز «ماى فيلدز».

(7) سـؤال مفتـوح آخر يشير إلى وثيقة قد لا يكون المستجيـب قرأها. وعنوان الوثيقة مكتوب بلغة فنية خاصة. كما أن حروفة المنمقة قد تتعذر قراءتها.

(8) مـن الأرجح أن يوحى هـذا السؤال للمستجيبين أن يجيبـوا «بنعم»، كما أنه ليس واضحا ذلك الأمر الذى كان يمكن للمستفيدين أن يشاركوا فيه بمعدل أكبر.

(9) سـؤال من المستحيل على معظم الأفراد أن يجيبوا عليه بدون أن يقضوا وقتا كبيرا لحساب مصادر الدخل، كما أنه لم يقدم مبررا للسؤال عن هذه المعلومات.

• ليسـ واضحا كيف يتوجب على المستجيبين أن يسجلوا حضورهم فى المركز أو كيف يجيب على هذا السؤال المبحوثون الذين يغيرون أيام حضورهم من أسبوع لأسبوع.

•• يسـأل هذا الاستبيان عن المعلومات الشخصية وعـن آرائهم فى المركز، ومع ذلك يطالب المستجيبين بتسليم الاستبيان بعد استيفائه لأحد الموظفين.

••• تصميـم الاستبيـان وطريقـة إخراجه وعرضـه تفتقر كلهـا إلى الاتساق بسبب استعمـال أحجـام وحروف مطبعية مختلفـة، ومسافات مختلفة (للفصـل بين الفقرات)، وصناديق مختلفة الأشكال.

1 - الاتصال الشخصى مع المستجيبين المحتملين:

(أ) المقابلات المباشرة لاستيفاء الاستبيان: إن كنت تستهدف إجراء مقابلات مع جميع مستجيبيك، فمن الضرورى عندئذ أن تخطط لكيف، ومتى، وأين ستقوم بهذا العمل، وأن تقوم بالترتيبات اللازمة لمقابلة الأفراد فى الأوقات والأماكن المناسبة والمتاحة لهم. وينبغى عليك أن تعرف مقدما من الذين تحتاج إلى إجراء المقابلات معهم، وأن تكون قادرا على عمل الترتيبات معهم مباشرة، أو يمكنك - مثلا - أن تكون موجودا فى المكان والزمان الذى يرجح أن يوجد فيه أفراد راغبين فى الإجابة على استبيانك. ويمكن أن يحدث هذا فى أحد المراكز التجارية، أو فى عيادة أحد الأطباء (أثناء انتظار الأفراد لدورهم فى مقابلة الطبيب)، أو فى أحد مراكز الشباب، أو فى أحد المقاهى. تأكد أن معك مسند للكتابة مثبت عليه مشبك تمسك به استبياناتك، وأن لديك - إن أمكن - مكان تجلس فيه مع مستجيبيك.

اجعل استبيانك فى أوجز صورة يمكنك الوصول إليها، وقدم للمبحوثين المحتملين تعريفا واضحا بنفسك وببحثك قبل أن تطلب منهم الموافقة على المشاركة أم لا.

(ب) المقابلات الهاتفية لاستيفاء الاستبيان: وهى تشبه المقابلات المباشرة فيما يتعلق بالوصول إلى المستجيبين المحتملين.

(جـ) الاستبيانات التى يستوفيها المبحوثون بأنفسهم: يمكن تسليم هذه الاستبيانات شخصيا للمستجيبين المحتملين ليستوفوها، أو يمكن تركها فى أماكن ظاهرة ليلتقطها الأفراد ويستوفوها، كما يمكن إرسالها بالبريد (العادى)، أو عبر البريد الإلكترونى (الفصل 10 من هذا الباب لمعرفة المزيد عن الاستبيانات المرسلة بالبريد الإلكترونى). ويعد التعريف بالبحث وإثارة اهتمام المستجيبين المحتملين أمرين مهمين، خاصة عندما يكون الباحث غير حاضر. وينبغى على الباحث أن يدقق النظر أثناء اللقاء الأول مع المبحوثين المحتملين فى ضوء تحديدك لهوية الجماعة المستهدفة وطبيعة الأمور التى تثير اهتمامها. ولا شك أن التعليمات والشروح الواضحة - المدونة بالاستبيان - ستساعد المستجيبين على أن يقرروا ما إذا كانوا سيجيبون على الاستبيان أم يتجاهلونه.

2 - المتابعات ورسائل التذكير

إن كان المستجيبون يستوفون الاستبيانات بأنفسهم فلا بد أن يكونوا قادرين على إعادة الاستبيان إلى الباحث بأقل جهد ممكن. لذلك يجب أن يحتوى الاستبيان المرسل بالبريد (العادى) على مظروف ملصق عليه طابع بريد ومكتوب عليه عنوان المرسل إليه. أما الاستبيان المرسل بالبريد الإلكترونى فيجب تضمينه تعليمات واضحة بخصوص طريقة إعادة الإجابات، وإذا سُلمت استبيانات ليستوفيها المبحوثون بأنفسهم فلا بد من وجود مكان لإعادتها إليه بسهولة. كما ينبغى عليك أن تفكر بعمق فيما إذا كنت ستبعث برسائل تذكير عن طريق البريد العادى، أو الإلكترونى، أو الهاتف، لمن لا يردون فى نطاق مهلة زمنية محددة. لاحظ أن الاستبيانات المرسلة بالبريد العادى قد تضيع فى الطريق، لهذا فإن إرسال نسخة ثانية منها قد يستحث المزيد من المستجيبين على المشاركة والرد.

من الناحية العملية ينبغى عليك أن تستهدف الحصول على أفضل استجابة يمكنك الحصول عليها، وأن تخطط لهذه المرحلة من عملية البحث بعناية. ومن الناحية الواقعية، وحسب مقياس بحثك ومستواه، قد يكون معدل الاستجابة لاستبيانك منخفضا تماما. ويعتبر معدل 25 % أمرا معهودا فى حالة الاستبيانات المرسلة بالبريد العادى. ومع ذلك فسوف تكون البيانات التى تتحصل عليها من الاستبيانات المستوفاة نافعة لبحثك، ولكن:

- تأمل بعمق ما إذا كان يوجد أى تفسيرات محتملة لسبب انخفاض معدل الاستجابة. هل يعود ذلك إلى فترة العطلة الصيفية؟ أم إلى أن الوقت ربما كان وقت اشتغال الأفراد بأمور أخرى؟
- هل تلقيت من بعض الجماعات استجابة أفضل مما تلقيته من جماعات أخرى؟ هل جاءت معظم الاستبيانات التى يستوفيها المبحوثون بأنفسهم من الأفراد الأصغر سنا؟ هل يوجد سبب يمكن أن يفسر عدم استجابة الأفراد الأكبر سنا؟
- إذا كان ثمة جماعات معينة لم ترسل ردودا، فما تأثير ذلك على تحليلك وعلى نتائج بحثك؟

• يتوجب عليك أن تثبت في بحثك معدل الاستجابة الذى تلقيته، وأن تناقش هذه الأمور فى تقريرك أو فى أحد فصول رسالتك الجامعية.

بحثك

إن كنت تفكر فى استخدام استبيان يملؤه المستجيب بنفسه فى جمع بيانات بحثك:

- فمن هم المبحوثون الذين تستهدفهم؟
- وكيف ستلتقى بهم؟
- وكيف ستجذب اهتمامهم باستبيانك؟
- وكيف ستتأكد من حصولك على أفضل استجابة ممكنة؟

طبيعة بيانات الاستبيان وأسلوب تحليلها

تبين لنا فيما سبق أن البيانات المجموعة باستعمال الاستبيانات تكون مقننة من قبل، كما أنها - وبصرف النظر عن بيانات الأسئلة المفتوحة - تكون جاهزة فى شكل يمكن معالجته. إذ تكون البيانات مصنفة ومُكودّة (تم ترميزها)، كما أنها تسمح باستخدام التقنيات الإحصائية فى التحليل. ونظرًا لأن البيانات المجموعة بهذه الطريقة تكون مقننة من قبل، فإنه يصبح من الأمور ذات الأهمية الخاصة أن تفكر فى تحليل بياناتك فى هذه المرحلة، وفى التأكد من أن البيانات التى تجمعها قابلة للمعالجة بطرق من شأنها أن تساعدك فى الإجابة على أسئلة بحثك. لذلك نوصيك بقراءة الفصلين الثانى والثالث من الباب الرابع فى هذه المرحلة من العملية البحثية.

جودة البحث

يعد الاستبيان أداة للبحث (فصل 4 باب 2) ووسيلة لجمع البيانات عن موضوع البحث، أو عن مفهوم معين. وترتكز صحة الاستبيان على ما إذا كانت أداة بحثك تقيس المطلوب منها أن تقيسه. ويشتمل تصميم البحث على استعمال التعريفات الإجرائية فى محاولة إيجاد الأسئلة والإجابات التى من شأنها أن تدل على وجود أو غياب خاصية

معينــة، أو رأى معــين، أو خــبرة معينة. ومن الممكــن إجراء تجربــة استطلاعية أو اختبــار قبلــى للاستبيان – فى مرحلة سابقة على مرحلة الاختبــار الفعلى – تشمل عددا قليــلا من المستجيبين أو الأصدقــاء أو الزملاء. ولو أمكن تنفيذ هذه التجربة فإنها سوف تساعــدك فى التعرف علــى قضايا الصحة، كما تساعد فى تحديــد غيرها من المشكلات التى يحتمل أن ترتبط بالاستبيان والتى يمكن حينئذ تلافيها بإجراء بعض التعديلات قبل أن تبدأ الدراسة الرئيسية للبحث. وهناك عدة طرق يمكن بها تقدير مدى صحة الأسئلة (انظــر البرواز أدناه عن: اختبار جودة البحث). ومع أنه ليس من الميسور دائما تنفيذ اختبــارات الصحة فى ظل قيود البحث التى تحكم البحث المحدود النطاق، لذلك يكون من المفيد أن تضع هذه الطرق فى ذهنك وأنت بصدد تصميم استبيانك.

بحثك

اختبار جودة البحث: استخدام الاستبيانات

- هل تقوم الأسئلة والإجابات بإنتاج البيانات التى تحتاج إليها لمعالجة أسئلة البحث أو لاختبار فرض البحث؟
- هل تقوم الأسئلة والإجابات بتوفير البيانات المتعلقة بمفاهيم البحث وفقا لتعريفاتها الإجرائية (فصل4 باب1)؟
- هل أدخلت فى اعتبارك النقاط التالية وأنت بصدد تقدير مدى صحة الاستبيان؟

  - **الصحة الظاهرية:** يكون للسؤال صحة ظاهرية حينما يبدو واضحا أن السؤال ســوف يستطيع استخراج إجابة صحيحة. مثال ذلك: "كم عمرك؟" (ولكن ماذا يكون الأمر إن كان ثمة سبب لعدم إعطاء إجابة عن العمر الصحيح؟).
  - **تأكيد الصحة:** وهذه الصحة تعتمد على طرح نفس السؤال بطريقتين، مثال ذلــك سؤال المستجيب عن عمره وعن تاريخ ميلاده، أو العثور على مصدر آخر لهذه البيانات كمراجعة السجلات المدرسية، مثلا.
  - **الصحة التلازمية:** يوصف الاختبار أو الاستبيان بالصحة التلازمية إن كان

يقودنـا إلى نفس النتائج التى تصـل إليها الدراسات الأخـرى التى تستخدم مقاييس مختلفة لقياس نفس المفهوم.

- **الصـحة النظرية:** وتعنى أن مجموعة من الأسئلة يمكن أن تقودنا إلى نتائج تتواءم مع ما يمكن التنبؤ به من النظرية التى يأخذ بها الباحث.
- **التعـدد المنهجى:** يشير هـذا المصطلح إلى جمع تشكيلـة متنوعة من البيانات عـن نفس الظواهر، أو جمع البيانات بمعرفة باحثين/ أو فاحصين مختلفين، أو باستعمـال طرق بحث مختلفـة، وذلك بقصد التأكد مـن أن طريقة جمع البيانـات طريقة صحيحـة، أى يعتد بهـا ويعتمد عليها. وكثـيرا ما تستخدم الاستبيانات بالتزامن مع طرق أخرى لجمع البيانات الخاصة بنفس البحث.

- هـل يمكن للبيانات التى جمعت أن تكون هى هـى نفسها إذا جمعت فى ظل نفس الظروف أو إذا جمعت بمعرفة باحث آخر؟
- هل أجريت تجربة استطلاعية للاستبيان الذى ستستعمله؟
- هـل أعملت فكرك فيمـا إذا كان يتعين استبعاد أى جماعات عقـب استخدام أحد الاستبيانات؟
- هل أخذت فى اعتبارك تأثيرات معدل الاستجابة المنخفض على نتائج بحثك؟

بحثك

مزايا الاستبيانات

- يمكن استخدامها بصورة فعالة فى جمع البيانات من أعداد ضخمة من الأفراد أو الحالات.
- تتيح جمع بيانات كل المستجيبين أو كل الحالات بنفس الطريقة.
- الأسئلة ونطاق الإجابات يتم تحديدها بمعرفة الباحث.

- تكون البيانات قابلة للترميز (للتكويد) تمهيدا لتحليلها .
- إن جُمعت البيانات من عينة إحصائية (فصل5 باب 1)، فقد يكون من الممكن تعميم النتائج على مجتمع البحث .

عيوب الاستبيانات

- لا تتيح للباحث سوى قدر محدود من إمكانية النفاذ إلى الخبرات والمشاعر العميقة للمشاركين (المبحوثين).
- تقدم للمبحوثين فرصا محدودة للإجابة على الأسئلة بطريقتهم الشخصية؟
- أنجح ما تكون إذا استخدمت مع عينة كبيرة العدد.
- معدلات الاستجابة المنخفضة قد تؤدى إلى عينة بحثية متحيزة.
- قد تؤدى إلى استبعاد بعض الجماعات.

المراجع وقراءات للاستزادة

Bulmer, M. (1982) *The Uses of Social Research*, London: George Allen & Unwin.
Moser, C. and Kalton, G. (1993) *Survey Methods in Social Investigation*, 2nd edn, Aldershot: Dartmouth.
Munn, P. and Drever, E. (2004) *Using Questionnaires in Small-scale Research: A Beginner's Guide*, Glasgow: SCRE Centre.

الفصل الرابع

المقابلات شبه المقننة

محتويات الفصل

- ما المقابلة ؟
- استخدام المقابلات شبه المقننة فى جمع بيانات البحث الاجتماعى.
- الأماكن والظروف التى يمكن استخدام المقابلات فيها.
- اختيار العينة.
- القضايا الأخلاقية المتعلقة بالمقابلات شبه المقننة.
- الباحث بوصفه "الأداة الرئيسية" للبحث.
- تصميم دليل المقابلة واستخدامه.
- تنفيذ المقابلة شبه المقننة.
- المقابلة التأملية (مراجعة الباحث لنفسه).
- طبيعة البيانات المجموعة وتأثيراتها على التحليل.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

تعد المقابلات من أشيع أشكال جمع البيانات من المشاركين (المبحوثين)، ولعلها كانت ولا تزال مستخدمة بمعرفة الباحثين الاجتماعيين على امتداد تاريخ البحث. ومع أن بالإمكان أن تتخذ المقابلة عددا من الأشكال، فإن استخدام المقابلات كطريقة مباشرة لطرح الأسئلة وجمع الإجابات أمر شائع فى كل من البحوث الكمية والكيفية. ويتناول هذا الفصل أنماطا مختلفة من المقابلة. ويناقش استخدامها فى البحث الاجتماعى، ثم يركز على الاعتبارات العملية المتعلقة بتنفيذ المقابلات شبه المقننة.

"بحلول عشرينيات القرن العشرين، والتى تجرى فى شكل عصرى واضح وبصورتيها المقننة وغير المقننة؛ أصبحت طريقة المقابلة معترفا بها فى جمع البيانات فى علم الاجتماع". (لى Lee، 2004، ص 870).

كان من أقدم الاستخدامات الصريحة للمقابلات فى جمع البيانات ما قام به المصلح الاجتماعى تشارلز بوث فى القرن التاسع عشر، الذى حاول أن يجرى مسحا اجتماعيا عن طبيعة وحجم الفقر فى لندن. وقد وصفت إحدى مساعداته، وهى بياتريس بوتر (التى عرفت – فيما بعد – باسم بياتريس ويب)، وصفت اتجاهه قائله:

"كانت بوسع تشارلز بوث – أو بوسع واحد أو أكثر من أفراد سكرتاريته – أن يستخرجوا مما يقوله الموظف المسئول عن مواظبة التلاميذ فى حضور الحصص بالمدارس، وبأسلوب تدريجى؛ يستخرجوا المعلومات الشاملة والحميمة المتصلة بكل عائلة، أى ما تحويه ذاكرة هؤلاء الشهود الواعون الذين يسهبون فى وصف وتوضيح ما دونوه فى مفكراتهم من وقائع سجلوها تسجيلا دقيقا..." (ويب Webb، 1938، ص 278، نقلا عن بولمر، 1982، ص12).

تتمثل إحدى السمات الرئيسية للمقابلة فى وجود لقاء شخصى مباشر بين القائم بالمقابلة من ناحية – والذى قد يكون هو الباحث – والمبحوث من ناحية أخرى، وفى وجود تفاعل بين هذين الطرفين. وقد تم الاعتراف العام بالمقابلة كوسيلة لجمع البيانات الاجتماعية، حيث بدأت تستخدم كأداة لجمع آراء الأفراد وخبراتهم وسماتهم الشخصية من جانب الحكومات، وباحثى التسويق، والأكاديميين طوال الجزء الأكبر من القرن العشرين. ورغم أن معظم البحوث الحكومية وبحوث السوق أثناء النصف الثانى من القرن العشرين كانت تستخدم المقابلات المقننة القائمة على استيفاء استبيان معين، فقد بدأ بعض العلماء الاجتماعيين يستخدمون نوعا أقل تقنينا من المقابلة (أى: المقابلات شبه المقننة – التى كانت مصممة فى الأساس لجمع البيانات الكيفية) لجمع شتى أنواع البيانات. وسرعان ما تزايد تقبل الباحثين لها، وتم إقرارها كوسيلة مفيدة لجمع البيانات.

ما المقابلة؟

رأينــا فى الفصل 3 بــاب 1 أن البشر يتبادلون معارفهــم وتصوراتهم مع بعضهم البعضــ ، وأن هذا التبادل يتم عادة من خلال الكلمات المنطوقة . وحين يتحدث فردان أو أكثر مع بعضهم فإن بالإمكان أن يتطور شكل من الحوار كلما تحدث واحد منهم على التعاقــب بعد الآخر ، وإن كان يحدث أحيانا أن يتحدث فردان فى نفس الوقت . وبينما يكون أحدهما مشتغلا بالحديث ، يكون الآخر مصغيا (وقد لا يحدث ذلك دائمًا) قبل أن يأخــذ دوره فى الوقت الذى يتحول فيه الآخر إلى الإصغاء . وفى بعض المحاورات قد يسيطــر أحد الأشخاص ، فيتحدث بالقدر الأكبر من الكلام ويقرر الطريقة التى تتطور بهــا المحاورة . وقد لا يجد الآخــر "فرصة للحديث" ، أو يعمد ببساطة إلى "التوقف عن المشاركة" .

ما: المقابلة؟

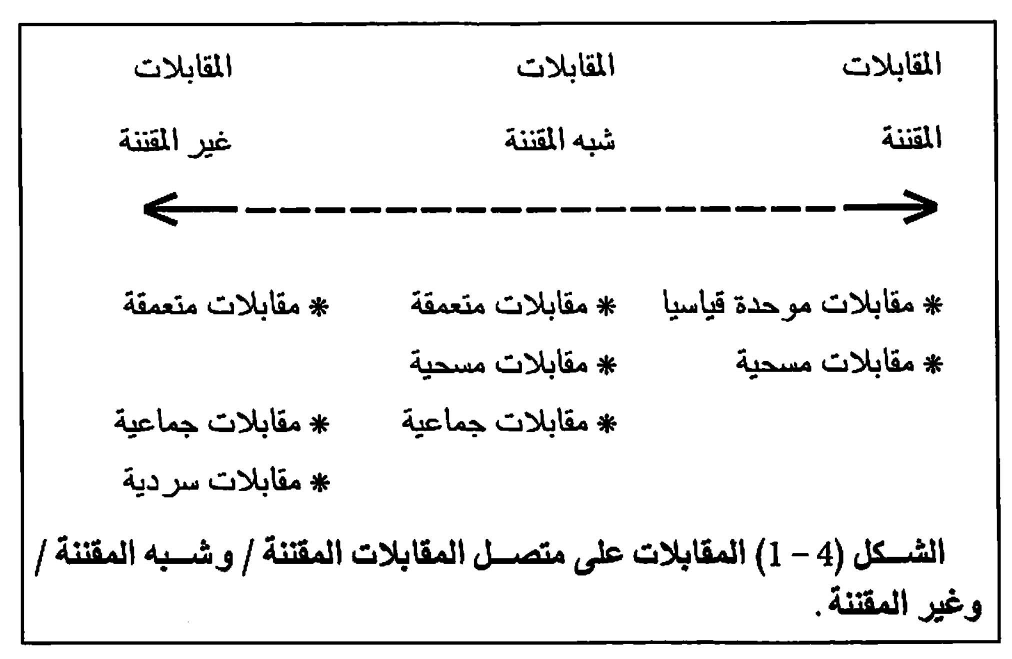
هى طريقة من طرق جمع البيانات تقوم عادة على:

- تيســير الاتصال المباشر بين فرديــن ، إما وجها لوجه وإما عن بعد عبر الهاتف أو الإنترنت .
- وتمكــين القائم بالمقابلــة من استخــراج المعلومــات ، والمشاعــر ، والآراء من المبحوث باستعمال الأسئلة والحوار التفاعلى .

والمقابلة نمط خاص من الحوار بين فردين أو أكثر . وعادة ما يتم التحكم فى المقابلة من جانب شخص واحد هو من يطرح الأسئلة المتعلقة بالفرد الآخر . وتستخدم المقابلات فــى اكتشــاف أو استخــراج المزيد من المعرفة عــن طريق طرح الأسئلــة التى تتناول نطاقــا واسعا من السياقات ، كمــا يحدث مثلا: عند الرغبة في إلحــاق امرئ ما بإحدى الوظائــف ، وفــى حالة الأطباء الذيــن يحاولون تشخيص علّة مريضــ ما ، وفى حالة المعالجــين النفسيين أو الاجتماعيين الذين يحاولون مساعدة الأفراد فى حل مشكلاتهم ، وفى حالة الباحثين الاجتماعيين الذين يرغبون فى استخراج المزيد من المعرفة عما يفكر فيه الناس ، أو عما يشعرون به ، أو يمرون به من خبرات .

وتعد المقابلات مــن الوسائل الرئيسية لجمع البيانات ، والتــى يستخدمها الباحثون الاجتماعيون ، حيث توفر الفرصة للتفاعــل المباشر بين الباحث والمشاركين فى البحث (المبحوثين). وكما يؤكد الباحثان الاجتماعيان الكبيران هامرسلى وأتكنسون ، فإن:

" القــدرة التعبيرية للغــة توفر أهم مصدر لكتابة التقاريــر الوصفية. ومن الملامح الأساسيــة للغة قدرتهــا على عرض توصيفات وتفسيرات وتقييمــات تتنوع تنوعا يكاد يكــون لا نهائيا عــن أى جانب من جوانب الحيــاة ، بما فيها اللغة نفسهــا". (هامرسلى وأتكنسون ، 1995 ، ص 26).



الشــكل (4 – 1) المقابلات على متصــل المقابلات المقننة / وشــبه المقننة / وغير المقننة.

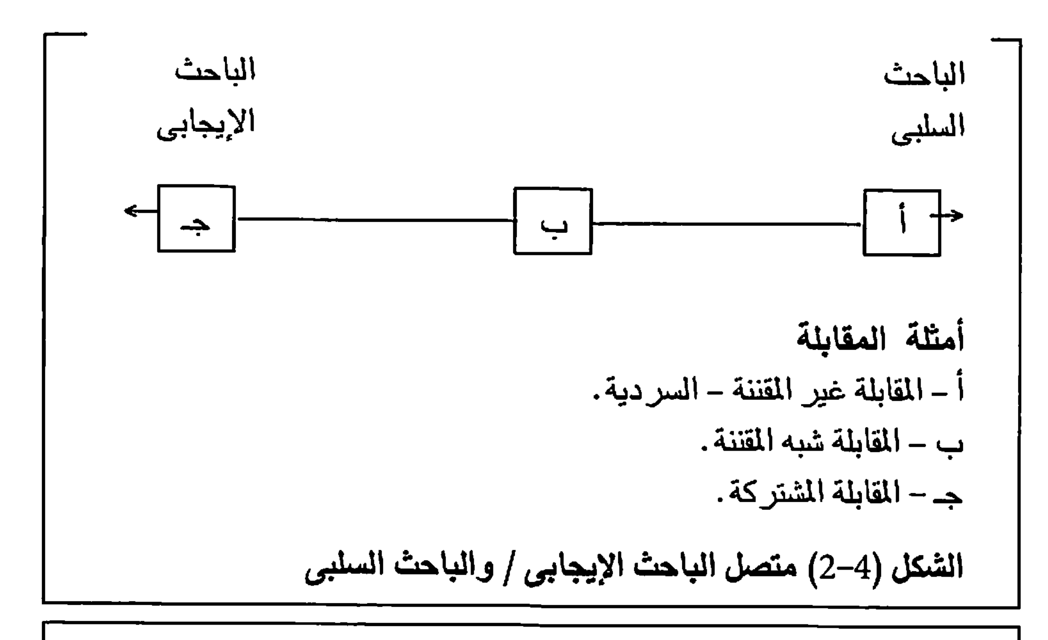
على أن المقابلات المستخدمــة كطريقة جمع بيانات تختلف من ناحيتين. أول شىء أنهــا تختلف فى درجــة التقنين والتوحيد القياسى داخل المقابلــة وبين المقابلات. وعادة مــا يتم تحديد ثلاثة أنماط من المقابلة (رغم أنه من الممكن أن تحتوى المقابلة البحثية على اثنين أو أكثر من هذه الأنماط).

ويمكننــا باستعمال متصل شبيه بالمتصل الأول الــذى قدمناه فى الفصل الأول من هــذا الباب أن نبين كيف أن درجة التقنين والتوحيــد القياسى تتباين على امتداد متصل بأكثر من ثلاثة أنماط متميزة .

وهنــاك بُعدٌ ثان للمقابلات يتفاعل مع هذا المتصل. ويتعلق هذا البعد بالأدوار التى يقـوم بها الباحث والمبحوث المشارك فى المقابلة. ويمكن أن تتباين هذه المقابلات – على متصــل ما أيضا – حيث تبدأ بالمقابلة التى يكـون الباحث متحكما فيها، وذلك من خلال طرحــه لمجموعة من الأسئلة يجيب عليها المشارك فى البحث (وهذا النوع من المقابلات معــروف باسم **مقابلات الباحــث**)(*) (انظر قائمة المصطلحات)، وتنتهــى بالمقابلة التى يكون المبحوث هو المتحكــم فيها بصورة أساسية، حيث يتيح له الباحث الفرصة ليروى قصتــه بطريقته الشخصية (وتعــرف هذه المقابلات أحيانا باســم **"مقابلات الإخبارى"**) (انظــر قائمة المصطلحات). ويلاحظ أن دور الباحث فــى المقابلات غير المقننة يختلف عن ذلك تماما. مثال ذلك أنه فى جمع البيانات السردية (الفصل 7) لا يتكلم الباحث إلا قليلا. ويقوم المبحوث بخلق وتنظيم البيانات. وهذه الحقيقة مبينة فى المتصل الثالث من متصلاتنا المذكورة فى الفصل الأول (وانظر الشكل رقم (2–4) الوارد أدناه).

تتركز بؤرة اهتمام تحليل البيانات السردية على الطريقة التى يصوغ بها المبحوثون رواية قصتهم بدون تدخل من جانب الباحث، وبذلك يتكلم الباحث قليلا ويكتفى بتسجيل القصــة كما يرويها المبحوث. ومن جانب آخر يرى بعض الباحثين، خاصة النسويين، أنه نظرًا لأن هذه المقابلة تقل فى درجة تقنينها، ولأن الإخبارى (المبحوث) يكون أكثر تحكمــا فى المقابلة، فإن بإمكان الباحــث أن يصبح أكثر فاعلية فى مشاركته فى المقابلة، وذلـك باشتغاله مع الإخبارى فى خلق البيانات. وفــى بعض الحالات يميل الباحثون النسويــون إلى التمــادى بعيدا فى هذا الموقــف فيقترحون أن يأتــى الباحثون بخبراتهم وأفكارهــم الشخصية داخل المقابلة. وقد قامــت آن أوكلى – المدافعة الشهيرة عن وجهة النظــر المذكــورة – بإجراء بحث مع النســاء طوال فترة حملهن ونفذتــه باستعمال هذه الطريقــة (أوكلــى، 1981). وتسمى هذه المقابلات "المقابــلات المشتركة" (انظر قائمة المصطلحات)، وهى بذلك تعكس الحقيقة التى تقول إنه فى الوقت الذى تكون فيه المقابلة نفسهــا غير سابقة التقنين بمعرفــة الباحث (كما هو الحال فى المقابلــة المقننة)، فإنه يتاح للباحث أن يتدخل تدخلا إيجابيا فى خلق البيانات.

(*) ورد فى الأصل خطأ تسميتها « مقابلة المبحوث»، وهو النوع التالى الذى أسماه «مقابلة الإخبارى»، وقد أثبتنا الصواب. (المترجم)



أمثلة المقابلة

أ – المقابلة غير المقننة – السردية.

ب – المقابلة شبه المقننة.

جـ – المقابلة المشتركة.

الشكل (4-2) متصل الباحث الإيجابى / والباحث السلبى

فكر فى هذا الموضوع . . .

تستعمل المقابلة المعيارية المقننة الاستبيان كنموذج للمقابلة. فى هذه الحالة يستخدم الباحث نموذجًا مقننا من الاستبيان ليجرى المقابلة مع المبحوث مستخدما أسئلة وإجابات أعدت بعناية. للاطلاع على المزيد مما يتصل بتصميم الاستبيان الذى يمكن استعماله كمقابلة مقننة، انظر الفصل الثالث .

للاطلاع على مناقشة إرشادات بشأن استخدام المقابلات غير المقننة كطريقة جمع البيانات، انظر الفصل السابع. فى هذه الحالة يتم تقنين "المقابلة" بواسطة المبحوث وليس بمعرفة الباحث.

خصائص المقابلات

أ – المقابلات المقننة الموحدة قياسيا

- تقوم على متابعة مجموعة مترابطة من الأسئلة لكل مقابلة.
- تطرح الأسئلة بنفس الطريقة تمامًا، مستخدما نفس الكلمات، ونفس الأسئلة المحفزة . . . إلخ لكل مقابلة.
- تقدم للمبحوث مجموعة من الإجابات ليختار من بينها.

ب - المقابلات شبه المقننة

- تقوم على متابعة مجموعة مترابطة من الموضوعات أو الأسئلة لكل مقابلة.
- قد تطرح هذه الموضوعات أو الأسئلة بطرق مختلفة أو بترتيب مختلف بما يتلاءم مع كل مقابلة.
- تتيح للمبحوث أن يجيب عن الأسئلة أو يناقش الموضوع بطريقته مستعملا كلماته الخاصة.

جـ - المقابلات غير المقننة

- تركز على مجال واسع للنقاش.
- تمكن المبحوث من التحدث عن موضوع البحث بطريقته الخاصة.

وتعد المقابلات شبه المقننة والمقابلات غير المقننة مقابلات " لا مقننة" non-structured.

سوف نركز فى هذا القسم على استخدام المقابلات شبه المقننة فى جمع البيانات أثناء المقابلات المباشرة أو الهاتفية (انظر الفصل العاشر للوقوف على مناقشة للمقابلات التى تنفذ إلكترونيا (عبر الإنترنت) أو من خلال البريد الإلكترونى).

استخدام المقابلات شبه المقننة
فى جمع بيانات البحث الاجتماعى

تستخدم المقابلات شبه المقننة فى جمع البيانات ضمن تشكيلة واسعة واسعة من تصميمات البحث (الفصل3 باب2). وهى أشد ما تكون ارتباطا بجمع البيانات الاجتماعية فى البحوث الكيفية، حيث يكون الباحث مهتما بخبرات الأفراد، وسلوكهم وتصوراتهم وكيفية وأسباب تعاملهم وتصورهم للحياة الاجتماعية بهذه الطريقة. فالباحث مهتم بكل من المعلومات التى يمكن للمبحوث أن يقدمها بشأن موضوع البحث

من جهة، والطريقــة التى يتحدث بها المبحوث عن خبراته واتجاهاته من جهة أخرى. وبتعبــير آخر، يكــون الباحث مهتما بكل من محتوى الحوار الــذى يتم أثناء المقابلة من ناحيــة، والطريقة التى يعبر بها المبحوث عن نفســه - أى الكلمات التى يستعملها - من ناحية أخرى.

يمكن استخدام المقابلات شبه المقننة بالطرق التالية :

1 - البحث الاستكشافى (وكذلك الاختبار الاستطلاعى) (انظر قائمة المصطلحات)

وهو مــا يحدث مثلا عند محاولــة الكشف عما يعده المبحوثــون مهما فى موضوع البحــث، وكذلك للتعرف على الطريقة التى يستخدم الأفــراد بها اللغة فى الحديث عن موضوع البحث. والبحث الاستكشافى من هذا النوع الشائع فى المجالات التى لا يوجد فيهــا إلا قدر قليل مــن البحوث السابقة، أو المجالات التى يبغــى فيها الباحث استكشاف زاويــة جديدة أو منظور جديد إلى موضوع البحث. وقــد تستعمل المقابلات شبه المقننة بهــذه الطريقة فى المرحلة الاستطلاعية للبحــث لتساعد الباحث على صياغة طرق أكثر تقنينا فى جمع البيانات.

البحث الواقعى

مثال للبحث الذى يستخدم المقابلات شبه المقننة:

البحث الاستكشافى

عن مقال بادلان (2006) المعنون: "الشباب المصابون بتليف المثانة: رؤية متعمقة لخبراتهــم الذاتية"، فى مجلة: الصحة والرعاية الاجتماعية فى المجتمع المحلى، 14 (3) : ص ص 270-264.

تليــف المثانــة حالة صحيــة مزمنة موروثة تؤثــر على المصابين بهــا بعدة طرق تتطلــب معالجة يومية. وعادة ما تؤدى هذه الحالــة الصحية إلى الوفاة المبكرة، إلا أن تقنيات العلاج الناجح أصبحت تمكن الأفراد فى عصرنا الحاضر من أن يعيشوا مدة أطول، وأن يتمكنوا من رعاية أنفسهم، ومن المعيشة بصورة أكثر استقلالا لمدة

أطـول. ومع ذلك فإن علاج هذا المرض عمل معقد ويتعارض مع "الحياة اليومية الطبيعيـة". وكان هـدف هذا البحث "أن يستكشف خـبرات الشباب الذين يعانون الإصابة بمرض تليف المثانة، وتأثير هذه الخبرات على التزامهم بنظم العلاج".

ماذا فعل الباحثون؟

قام الباحثون بإجراء مقابلات مع 13 فردًا تتراوح أعمارهم بين 17 و 39 سنة، كمـا قاموا بإجراء سبـع مقابلات جماعية. وقـد كانوا يرغبون فـى التعرف على الطريقة التى بها يتغلب الشباب على مشكلات الحياة اليومية، بجانب التعرف على الأمور العملية والاجتماعية التى يفرضها عليهم مرضهم هذا.

النتائج

كان معظـم الشبـاب الذين تمت مقابلتهـم يشعرون فعلا أنهم يسيطـرون على أمور الرعاية الشخصية الخاصة بهم. ولكن كان من العسير عليهم أن يعيشوا حياة "طبيعية"، إلا أن معظمهـم حاولوا أن يكون لديهم حيوات شبيهـة بحيوات أقرانهم. وتبين وجود مستويات مختلفة من الالتزام بنظام الرعاية الطبية، كما بدا أن نوعا ما من عدم الالتزام كان جـزءًا من محاولة أن يعيشـ المريض حياة عادية. ولا شك أن نتائج البحث يمكن أن تكـون مفيدة لأصحاب المهن الطبية الذين يعالجون الشبـاب المصابين بتليف المثانة، وأن تمكن الأطباء من الوصول إلى فهم أفضل لخبراتهم ومشاعرهم.

مزايا استخدام المقابلات شبه المقننة

- حصـل الشباب علـى فرصة للتحدث عـن خبراتهم الشخصيـة المتعلقة بتولى أمور الرعاية الشخصية الخاصة بهم.
- قـد تكـون المقابـلات الفرديـة – وليست الجماعيـة – قد وفـرت موقفا أكثر خصوصية "يعترف" فيه المريض بعدم الالتزام الكامل.
- فى هذا البحث كانت المقابلات الفردية ضرورية فى بعض الحالات للتأكد من عدم حدوث عدوى متبادلة بين المشاركين.
- أتاحـت المقابلات المباشرة للباحثين فرصة الإحساس باحتياجات المبحوث إلى التحدث عن الموضوعات التى يحتمل أن تكون مؤلمة له.

2 - **البحث التفسيرى** (راجع قائمة المصطلحات).

تستخدم المقابلات شبه المقننة لجمع البيانات التى من شأنها مساعدة الباحث على تفسير سبب شعور الأفراد بظاهرة اجتماعية ما أو تصورهم لها بطريقة معينة. وينتشر استخدام المقابلات شبه المقننة حين يسعى الباحث لاستكشاف خبرات المبحوثين، وآرائهم ومشاعرهم، وحين يريد جمع البيانات التى تساعده فى الوصول إلى فهم أفضل أو تفسير أفضل للسلوك أو الاتجاهات. ويتركز مثل هذا البحث على كيفية تفسير المبحوثين لسلوكهم وتصوراتهم بكلماتهم هم.

البحث الواقعى

مثال للبحث الذى يستخدم المقابلات شبه المقننة:

البحث التفسيرى

عن كتاب كيتر وكولمان (2006) "الحمل "المخطط" عند المراهقات: آراء وخبرات الفتيات الصغيرات من البيئات الفقيرة والمحرومة بمدينة يورك"، مؤسسة جوزيف راونترى.

كان من أهداف حكومة حزب العمال التى انتخبت عام 1997 أن تخفض معدل الحمل لدى الفتيات اللاتى يقل سنهن عن 18 سنة إلى النصف بحلول عام 2010. فلدى المملكة المتحدة واحد من أعلى معدلات الحمل لدى المراهقات فى أوروبا، ويشير الباحثون إلى أن البحوث أثبتت أن الحمل لدى المراهقات يرتبط غالبا بالفقر والحرمان. كما لوحظ أن المراهقات الحوامل اللاتى ينتمين إلى بيئات أكثر ترفا ولديهن خطط للتعليم والعمل يزداد احتمال قيامهن بعملية إجهاض بأكثر مما هو عليه حال المراهقات الحوامل اللاتى ينتمين لمناطق أكثر حرمانا. ومع ذلك فليس واضحا كم هو عدد المراهقات اللاتى يخططن لكى يحملن، وإذا كن يخططن لهذا الحمل، فكيف يمكن تفسير هذا القرار.

ماذا فعل الباحثون؟

أراد الباحثـون إجراء مقابلات مع الفتيات اللاتى حملـن حديثًا واللاتى وصفن حملهـن بأنه "مخطـط". وكان لزاما على الباحثين، فى بـادئ الأمر، أن يحددوا مـا يعنونه "بالحمل المخطط"، كما أنهم ابتكروا مجموعة من الأسئلة التى يمكنهم أن يطرحوها على الأمهات الصغيرات للتأكد من أن حالات حمل هؤلاء الأمهات كانت "مخططة". وكانت المعايير الأربعة "للحمل المخطط" كما يلى: تعمّد الفتاة أن تصبح حاملا، وتوقفها عن تناول أو استخدام موانع الحمل، وموافقة شريكها الرجل على ذلـك، ووقوع الحمل فى الوقـت المناسب لهن من حيث مراحـل حياتهن وأساليب معيشتهـن. صمم الباحثـون استبيانا للفـرز، تم تطبيقه على الأمهـات الصغيرات المقيمـات فى مناطـق مختلفة وإلى شركائهـن من الرجال. ومن هـذا الاستبيان تم اختيـار 41 شابة و10 من الشبان الذيـن سبق لهم أن خططوا لإنجاب طفل، وتمت مقابلتهـم بعـد ذلك فى مقابلات شبـه مقننة. كانت المقابلات تستغـرق 45 دقيقة فى المتوسـط. وكانت تشمل الحديث عـن الحمل وعن طفولة المبحوثـين والمبحوثات، وعن البيئـة الأسرية، وعن التحصيل الدراسى، وعـن طموحات المستقبل، وعن مظاهـر تأثير الأسرة والأصدقاء عليهم. وكانـت المقابلة تنتهى بطلب إلى المبحوثين والمبحوثات أن يتأملوا فى حياتهم قبل الحمل (وإلى أى مدى من الاختلاف قد تكون عليه حياتهم الآن)، وبسؤالهم كذلك أن يتخيلوا حياتهم فى المستقبل.

نتائج البحث

توصل الباحثون إلى تحديد عدد من التفسيرات المحتملة للحمل المخطط، نذكر منها:

- أدت خلفيـات الآبـاء والأمهـات الصغار، بجانـب الخبرات التـى عايشوها فى المدارس؛ أدى ذلك إلى رغبتهم فى "تغيير اتجاه" حياتهم.
- قلة الوظائف وفرص التدريب على المستوى المحلى، بجانب تقبل المجتمع المحلى للآباء والأمهات من الشباب المراهقين.
- الوالديـة فرصة لإنشاء أسرة، قد تعوض هـؤلاء الآباء والأمهات الصغار أحيانا عن خبراتهم السيئة فيما قبل.

- قال الكثيرون إن حيواتهم كانت ستكون أسوأ لو لم يصبحوا والدين.
- كان الآبـاء الشبان يرغبون فى أن "يثبتوا وجودهم" من أجل صغارهم، كما أن بعضهم كان يفتقر إلى "شخصية الأب".

مزايا استخدام المقابلة شبه المقننة

- لم تنفـذ إلا فى أعداد قليلة من البحـوث السابقة، كما أن المقابلة شبه المقننة أتاحت الفرصة لظهور التفسيرات غير المتوقعة وتأملها واستكشافها.
- أتـاح دليل المقابلة المـرن وغير الرسمى للوالدين الصغـار فرصة التحدث عن خبرتهم بطريقتهم الشخصية.
- أتاح نموذج المقابلة شبه المقننـة للباحثين أن يتحدثوا مع المشاركين حديثا متعمقًا وأن يستكشفوا -مثلا- تعريفات الوالدين الصغار "للحمل المخطط".
- مكنـت المقابلات المباشرة الباحثين من الإحساس الحقيقى بحاجة المبحوثين إلى الحديث عن الموضوعات التى يحتمل أن تسبب الحزن والكرب.

3 - **التقييم** (انظر قائمة المصطلحات)

تتيـح المقابلات شبـه المقننة للباحثـين أن يكتشفوا مـا يتصوره النـاس عن ظاهرة اجتماعية ما لهم بهـا علم ودراية، كأن تكون خدمة معينة، أو سياسة جديدة، أو خطة لاقـتراح ما. ويتيح نموذج المقابلة شبـه المقننة للباحث أن يستكشف مع المبحوث مختلف جوانب الظاهـرة الاجتماعية، وأن يحـدد بدقة فهمه لأمور معينـة، منها مثلا: المزايا والعيـوب المحسوسة لهذه الظاهرة. وتتيح المقابلة شبـه المقننة للمشارك أن يتحدث عن خبراتـه، وتصوراته، وقِيَمُه بِطَرِيقَتِهِ الشخصية (انظـر المثال الوارد أدناه فى برواز بعنوان "البحث الواقعى").

كثيرا ما يكون البحث الاجتماعى توليفة من عدد من أى نمط من الأنماط المذكورة بعاليه، وكان يكون بحثا استكشافيا وتقييميا (انظر المثال الوارد فى "البحث الواقعى").

البحث الواقعى

مثال لبحث يستخدم المقابلات شبه المقننة:

بحث تفسيرى وتقييمى

بحث روس و ويتز (1993) "من النجاة إلى النجاح والازدهار"، قسم السياسة الاجتماعية والخدمة الاجتماعية، جامعة برمنجهام.

أوضحت البحوث السابقة أن النساء اللاتى تعرضن لانتهاك جنسى فى طفولتهن (ويطلق عليهن فى هذا البحث اسم "الناجيات") يمكن أن يتأثرن بهذا الأمر فى حياتهن بعد البلوغ بطرق متعددة، بما فى ذلك مثلا: صحتهن العقلية وقدرتهن على الاتصال بالآخرين. كان هذا البحث قد نُفِّذ لحساب هيئة محلية كبيرة بقصد "**استكشاف**" خبرات الناجيات المتعلقة بسعيهن للحصول على المساعدة والدعم بصفتهن راشدات أو بالغات، وبقصد **تقييم** خدمات المساعدة والدعم التى تنتفع بها هؤلاء النساء حاليا كراشدات، وخاصة تقدير قيمة هذه الخدمات فى ضوء دعمها النفسى لهن كناجيات بعد تعرضهن للانتهاك فى الطفولة.

ما الذى فعله الباحثون؟

جُمعت تقديرات أعداد الناجيات المنتفعات بمختلف خدمات الدعم النفسى من هذه الهيئات الحكومية باستخدام استبيان موحَّد قياسيا. وقد تم تحديد خمس وعشرين امرأة سبق لهن التعرض لانتهاك جنسى حين كن أطفالا. وقد استخدم فى تحديد هذا العدد أسلوب عينة كرة الثلج. وصُمم دليل مقابلة لتمكين هؤلاء النساء من التحدث عن خبرتهن كراشدات. وبذل اهتمام خاص للتأكد من أن المبحوثات كن يشعرن بالراحة والدعم النفسى أثناء المقابلة التى كانت تمثل بالنسبة لبعضهن مشاعر بالأسى والكرب (انظر المثال (1-4) فى موضع لاحق من هذا الفصل).

نتائج البحث

انتفع معظم النساء اللاتى تمت مقابلتهن بمجموعة من الخدمات الاجتماعية، والصحية، والنفسية بقصد مساعدتهن على مواجهة ما ترتب على الانتهاك الذى

تعرضــن له من نتائج. وقد تم تحديد عدة "مســارات" مختلفة كانت متبعة فى تلقى الخدمات المقدمة: فكانت بعضهن تنتفع بالخدمات بصورة متعاقبة بينما انتفع غيرهن بعــدد من الخدمــات فى نفس الوقــت. وكانت أكــثر الأشياء التــى ساعدت هؤلاء النســاء هى : جماعات الدعم الذاتى للنساء اللاتى سبق تعرضهن للانتهاك، بجانب الخدمــات المستمرة على امتــداد 24 ساعة فى اليوم. وأكــدت الناجيات على أهمية "الإصغاء إليهن، وتمكنهن من تحديد ما ترغب الناجية نفسها أن تفعله".

مزايا استخدام المقابلات شبه المقننة

- أتيح للنساء اللاتى نجون من تعرضهن للانتهاك الجنسى فى الطفولة، فرصة التحدث عن خبراتهن المتعلقة بالانتفاع بالخدمات.
- أتاحت مرونة دليل المقابلة للناجيات فرصة التحدث عن خبراتهن بطريقتهن الشخصية الخاصة.
- ساعــد وجود دليل للمقابلة على التأكد من تغطية نفس المجالات فى كل مقابلة على حدة.
- تم جمــع البيانات المتعمقــة بشأن هذا الموضوع الحساســ داخل إطار واضح بُسط بشكل منظم فى دليل المقابلة.
- مكنــت المقابلات المباشرة الباحثين الذين أجروا المقابلة من الإحساس باحتياج المشاركات إلى التحدث عن موضوعات يمكن أن تسبب لهن الكرب والحزن.

الأماكن والظروف التى يمكن استخدام المقابلات فيها

يمكــن استخــدام المقابــلات شبــه المقننة فــى مجموعة كبــيرة متنوعة مــن الأماكن والظروف، ابتداء من مقابلة شخص مسن فى بيته الخاص به وانتهاء بمقابلة أحد وزراء الحكومــة أو رئيس مجلس إدارة إحدى الشــركات. ويطرح كل موقع تحدياته الخاصة به، كما يتعين عليك أن تُعمل فكرك فى هذا الموقع وما يحيط به حينما تكون بصدد إعداد دليــل مقابلتــك والتحضير للمقابلة. مثال ذلــك، أنه لابد أن تتأكد مــن أن بإمكانك أنت

والشخص الذى تقابله أن يسمع ويفهم كل منكما الآخر (الفصل الثانى). وقد يتعين عليك أن تأخذ فى الاعتبار إن كان يمكن أن يساعد على تحسين مستوى الاتصال بينك

وبين المبحوث وجود شخص (وسيط) يقوم بدور المفسر، أو المترجم، أو يتحدث بلغة الإشارة، أو يقوم بدور الوكيل الذى يتحدث باسمه. تذكر أن المقابلة شبه المقننة إنما هى نوع من الحوار، وأنه لكى تنجح المقابلة فى توفير البيانات التى تحتاج إليها لبحثك، فإنه لا بد من حدوث تفاعل بينك وبين الشخص الذى تقابله. وإن كنت تجرى مقابلتك مع المبحوث فى مكان العمل أثناء قيامه بأداء دوره الوظيفى، فقد يكون وقت المقابلة محدودًا، كما قد يطلب منك هذا المبحوث تزويده بإشعار مسبق بالأسئلة المقرر طرحها حتى يستطيع الاستعداد لهذه المقابلة.

اختيار العينة

تبينا من العرض السابق، أنه جرت العادة على النظر إلى المقابلات شبه المقننة باعتبارها وسيلة لجمع البيانات الكيفية. وفيما يتصل باختيار المبحوثين، فإن هذا يعنى عادة أن تستخدم العينة العمدية (فصل 5 باب2) إذ يتم اختيار المشاركين بسبب خبرتهم أو آرائهم فى موضوع البحث. وهكذا يتم اختيار الأفراد "عن عمد" لتمكين الباحث من استكشاف أسئلة البحث أو من تطوير نظرية ما. ويُختار المبحوثون على أساس السمات الشخصية أو الخبرات التى ترتبط ارتباطا مباشرا بمجال اهتمام الباحث وبأسئلة بحثه، والتى تتيح له أن يتعمق فى دراسة موضوعه. وعادة ما يُختار المشاركون فى المقابلات شبه المقننة ممن يكون لديهم شيء يتحدثون عنه. ذلك أنه سيكون من العسير أن تجرى مقابلة مع شخص ما بهذه الطريقة إذا كان لايعرف شيئا عن مجال موضوع البحث.

القضايا الأخلاقية المتعلقة بالمقابلات شبه المقننة (انظر فصل 5 باب 1)

كثيرا ما تستعمل المقابلات شبه المقننة للكشف عن خبرات الفرد ومشاعره. لذلك ينبغى الاهتمام بالتأكد من أن سائر المعلومات المقدمة ستكون مكفولة السرية ولا يمكن إتاحتها للآخرين. وللاطلاع على مزيد من مناقشة القضايا الأخلاقية انظر فصل 5 باب 1. ونكتفى هنا بتسليط الضوء على ثلاث قضايا محددة:

1 – غالبا ما تسجل المقابلات شبه المقننة، ثم تدون محتوياتها بعد ذلك (فصل2). وقد يعنى هذا أن البيانات التى جمعت فى المقابلة تظل متاحة لبعض الوقت، وأنه قد يشاهدها أو يسمعها باحثون آخرون أو ناسخون آخرون. لذلك يجب الاحتفاظ بالبيانات المسجلة والمنسوخة فى مكان مصون، وإن اشترك آخرون (فى التسجيل أو النسخ) فلا بد من أن يوافقوا على كفالة سرية هذه البيانات.

2 – كثيرا ما تستخدم المقابلات شبه المقننة كجزء من تصميم للبحث يشتمل على إجراء مقابلات مع أعداد صغيرة من الأفراد، الذين تم اختيارهم – خصيصا – بسبب خبرتهم أو آرائهم، كما يشتمل على تجميع المعلومات التفصيلية عنهم. ولا بد من الاهتمام بضمان خلو التقارير البحثية والرسائل الأكاديمية من البيانات التى يمكن أن تؤدى إلى التعرف على هوية المشاركين فى البحث (المبحوثين). ونظرا لأن الاقتباسات الحرفية (للكلام الذى نطق به المبحوث) والمستخرج من بيانات المقابلة تستعمل أحيانا لإيضاح نتائج البحث، فلا بد من أخذ الحذر عند اختيار مقتبسات قد تشتمل على معلومات يمكن أن تدل على هوية المبحوثين. مثال ذلك أنه إن كنت تجرى مقابلات مع أفراد ينتفعون بخدمة صحية معينة، وقد يقرأ مقدمو هذه الخدمة ذلك التقرير، فلا بد من التزام الحذر لضمان عدم إمكان تعرف مقدمى هذه الخدمات على شخصيات الأفراد الذين تمت مقابلتهم.

3– وسوف نرى لاحقا أن المقابلات شبه المقننة يمكن أن تستخدم لجمع البيانات عن موضوعات حساسة وأحيانا عن موضوعات تسبب الكرب والأسى للمشاركين. إذ تتمثل إحدى نقاط قوة نموذج المقابلات شبه المقننة فى كونه نموذجًا مرنا وقابلا للتعديل حسب احتياجات المبحوث. كما أنه يمكّن الفرد من التحدث عن مثل هذه القضايا. ومع ذلك لابد من الاهتمام بأن نأخذ فى الاعتبار صالح ذلك المبحوث، وأن نتأكد من أنه لن يعانى من كرب شديد من جراء هذه المقابلة. ويوجد عدة طرق يستطيع الباحث بها أن يعالج هذا الأمر، نعرض لها فيما يلى:

(أ) أن يتأكد من أن المبحوث على وعى ودراية بموضوع البحث وبالقضايا التى يحتمل أن تثيرها فى المقابلة.

(ب) أن يوفر بيئة آمنة مريحة نفسيا لإجراء المقابلة فيها.

(جـ) أن يُعطى المبحوث حق التحكم فى جهاز التسجيل، وبذلك يستطيع المبحوث إغلاق

جهـاز التسجيل إن استشعر القلق أو أصبح غير راغب فى تسجيل خبراته أو آرائه الشخصية.

(د) أن يصمـم المقابلـة لإبعـاد المبحوث عما يجرى خـلال المقابلة مـن مناقشات شديدة الحساسيـة - أعنى بذلك أن يحـاول إنهاء المقابلة فى اللحظـة المناسبة (انظر المثال (1-4) الوارد أدناه).

(هـ) أن يوفـر للمشارك رقم هاتـف للاتصال به، أو ربما ييسر لـه الوصول إلى أحد مواقـع الشبكة، حيث يمكن للمبحوث - إذا أراد - أن يحصل على مزيد من الدعم والمعلومات بعد انتهاء المقابلة.

الباحث بوصفه "الأداة الرئيسية" للبحث

فـى المقابلات شبـه المقننة يكـون الباحث مشغولا - فـى العادة - بجمـع البيانات التفصيلية والمتعمقة، وأعنى بها تلك البيانات التى تتغلغل تحت السطح الظاهرى لخبرات الفـرد وآرائه لتستكشف أسبـاب السلوك والاتجاهات. لذلك يمكـن النظر إلى الباحث باعتبـاره "الأداة الرئيسيـة"، معنـى ذلك أن الباحث نفسه يقـوم بعملين فى الآن معا: يطـرح الأسئلة ويمكّـن المبحوث من تقديم الإجابات. هذا هو مـا نعنيه عندما نتكلم عن الباحث بوصفه "الأداة الرئيسية". ونظرا لأن الباحث يستطيع بلورة الأسئلة وطرحها خلال المقابلة، كما يبـدى تجاوبا للطريقة التى يروى بها المبحوث "حكايته"، لذلك تعد المقابلات شبه المقننة وسيلة فعالة بصفة خاصة لجمع البيانات حين يكون موضوع المقابلة معقدًا، أو حساسا، أو غير مفهوم فهما سليما.

فكر فى هذا الموضوع . . .

تصميم المقابلات شبه المقننة

عند تصميم مقابلة شبه مقننة نسعى للوصول إلى سبيل للفهم من شأنه أن:

- يتيح للمبحوثين فرصة الإجابة بطريقتهم الخاصة وعباراتهم الخاصة؛
- ويتيح للباحث أن يستكشف القضايا بالاشتراك مع المبحوث؛

- ويشجع المبحوث على التعبير عن آرائه ومشاعره.
- ويكون مرنًا وقابلا للتكيف مع المبحوثين المختلفين؛ ولكنه:

يكفل مناقشة نفس جوانب موضوع البحث مع كل مشارك على حدة.

تصميم دليل المقابلة واستخدامه

يصمم **دليل المقابلة** (انظر قائمة المصطلحات فى نهاية الكتاب) لمساعدة الباحث على إجـراء مقابلة شبه مقننة. وخلافا للاستبيان لا يعـد دليل المقابلة مجرد قائمة من الأسئلة يتـم طرحها مـن أولها لآخرها. بل الأصـح أن هذا الدليل يستخـدم كبرنامج للمقابلة، إلى جانـب ما يحتوى عليه من الملاحظات والفقـرات الإضافية لمساعدة الباحث. ومن الأفضل للمقابلات المباشرة أن تقتصر كتابة الدليل على وجه واحد من وجهى الورقة، حتى يمكن للباحث الرجوع إليه بسهولة.

فكر فى هذا الموضوع . . .

دليل المقابلة

- يساعد الباحث الذى يجرى المقابلة على تذكر الموضوعات التى ينبغى تغطيتها.
- يقترح سبلا مختلفة لتناول الموضوعات.
- يذكِّـر الباحث القائم بالمقابلة بالأسئلة المحفزة أو السابرة لأعماق نفسية المبحوث وبطرق طرح الأسئلة.
- يشتمل على تقديم المقابلة، وعلى طريقة لإنهائها.
- يكفل تغطية الباحث لجميع الموضوعات المراد طرحها.
- يقدم ترتيبا معقولا للموضوعات.
- يساعـد الباحث على تمكين الأفراد مـن التحدث بطريقتهم الخاصة وبأقصى ما يمكنهم من التفصيل والإفاضة.
- دليل المقابلة **ليس** مجرد قائمة من الأسئلة.

وإليـك دليلا للمقابلة تم تصميمه لبحث نفذتـه "ليز روس" Liz Ross و "آن ويتز" (روس وويتز، 1993) (انظر "البحث الواقعى" السابق). ركز هذا البحث على النساء اللاتــى سبق أن تعرضــن للانتهاك الجنسى عندما كن طفـلات صغيرات، ثم أصبحن - وقـت إجـراء البحث - يسعين كراشـدات للحصول على المساعـدة والدعم النفسى. تقول الكاتبتان: كان يهمنا أن نتعرف على مزيد من المعلومات عن الطريقة التى اتبعتها هـؤلاء النساء فى التماس المساعدة، وكيـف كان شعورهن بخدمات الدعم النفسى التى قدمــت لهــن. ورغم أننا لم نكن نرغب فــى مناقشة خبراتهن فى مرحلــة الطفولة أثناء المقابلة، فقد كان من الراجح أن تتسبب مشاركتهن فى هذا البحث فى استثارة ذكرياتهن ومشاعرهــن العميقة. كان دليل المقابلة قد صمـم بعناية لمحاولة التأكد من أن المبحوثات يشعرن بالراحة النفسية، ومن أنهن قادرات على الإسهام فى تحسين مستوى الخدمات المقدمة لهن ولغيرهن.

المثال (4 – 1) . . .

دليل المقابلة

إجراء مقابلات مع نساء سبق أن تعرضن فى طفولتهن

للانتهاك الجنسى عن موضوع انتفاعهن بالخدمات المساعدة

1 - تقديم المقابلة

دردشــة حول وصول المبحوثة لمكان المقابلة.. إلـخ، وكيف هى أحوالها اليوم؟
شرح معنى السرية: لن يعرف أى إنسان آخر أنه أجريت معك مقابلة، وسيتم مسح أشرطة التسجيل.

ستكــون المقابلة حوارا، أشــرح للمبحوثة كيف يعمل جهــاز التسجيل الصوتى، وإنها تستطيع إيقافه فى أى وقت إن كانت غير مرتاحة نفسيا لتسجيل ما تقول.

2 – هل تستطيعين أن تحكى لى قليلا عن نفسك: كم عمرك، أين تعيشين، من يعيش معك فى هذا المكان؟ ماذا عن الأطفال الصغار.. .إلخ؟

3- الانتفاع بالخدمات

ابدأ بالسؤال عن الخدمة التى من المعروف أن المبحوثة تنتفع بها حاليا.

عناصر ينبغى تغطيتها:

- ما نوع الخدمة؟
- ما مدى تكرار الانتفاع بهذه الخدمة داخل نطاق مدة زمنية معينة؟
- ماذا يحدث فى ذلك المكان؟
- متى ذهبت إلى هذا المكان لأول مرة؟
- كيف سمعت عن هذا المكان؟
- هـل يعرف الأفراد العاملون بهذا المكان أنك "ناجية" أى : تعرضت لانتهاك جنسى فى طفولتك؟
- ما شعورك تجاه التردد على هذا المكان؟

4 - إفشاء السر لأول مرة؟

أريـد أن أسألك عن المرة الأولى التى أخبرت فيها أحدًا، وأنت راشدة، أنه سبق لك أن تعرضت للانتهاك الجنسى وأنت طفلة.

نقاط ينبغى تغطيتها:

- من الذى أخبرتيه؟
- أتستطيعين أن تصفى ما حدث حينئذ؟
- أتستطيعين أن تتذكرى لماذا/ وكيف آل أمرك إخبار هذا الشخص؟
- ما الذى كنت تأملين أن يحدث؟
- ما نوع المساعدة التى حصلت عليها؟
- ما الذى حدث بعد ذلك؟

5 - الانتفاع بالخدمات فيما بعد

عدة نقاط تتصل بالخدمات الحالية.

6 - الجوانب الجيدة وغير الجيدة للخدمات التى تنتفع بها المبحوثات.

7 - راجع الانتفاع بالخدمات الأخرى.

8 - أنواع الدعم الأخرى

ما المساعدة التى تتلقاها المبحوثة من الأسرة، أو من شريك حياتها، أو أصدقائها، أو من الناجيات الأخريات؟

9 - المستقبل

هـل من مساعدة تحتاج إليها المبحوثة فـى المستقبل؟ ما نوعها؟ وإلى متى ستحتاج إليها؟

10- إنهاء المقابلة

هـل تقترحـين إدخـال أى تحسينات على الخدمـات التى تقدم لـك ولغيرك من الناجيات الأخريات؟ وهل يوجد أى شيء آخر تودين قوله عن المساعدة التى تحتاج إليها الناجيات؟

11- أغلـق جهاز التسجيل، وتأكد من أن المبحوثة مرتاحة نفسيا، وأعد التأكيد على موضوع السرية والاهتمام بها، بعض الدردشة، تناول الشاى . . . إلخ.

ملاحظات على دليل المقابلة

1 - تأكـد من أن المشاركة فى بحثك مرتاحة نفسيًا وأنها على معرفة تامة بطبيعة المقابلة ومدتها ونموذجها. إن الوقت الذى تقضيه فى بناء الألفة مع المشاركة يساعدها على الشعور بالمزيد مـن الارتياح والرغبة فى المشاركة فى المقابلة. إذا كانت مادة موضوعك شخصية أو حساسة فلابد من التأكيد على سرية المقابلة، خاصة عند تفكير المبحوثة فى مسألة: ما الذى سيحدث لأى معلومة تقدمها خلال المقابلة.

2 – مـن المهم أساسا أن تشجـع المبحوثة على الكلام، وأن تساعدها على الشعور بأن لديها خبرات وآراء تسهم بها فى المقابلة، وأن تبدى لها أنك تتوقع منها أن تقوم بالـكلام والإفصاح. لذلك ينبغى أن يكون أول سؤال أو أول موضوع تبدأ بتقديمه هو ذلك الذى تعلم أنها تستطيع الإجابة عنه، وأن لديها ما تقول فيه أكثر من مجرد نعم أو لا.

3 – قـد يكون من المفيد – فى أوائل المقابلة – أن تتحدث عن الأحداث أو المواقف التـى يحتمل أن تشغل بال المبحوثة: ويعد موضوع الانتفاع الحالى بالخدمة، مثلا، بداية طيبة يمكن أن تنطلق منها.

الأسـئلة المحفزة: نقدم هنـا قائمة أسئلة تستهدف حـث المبحوث على تغطية كل الجوانب أو الموضوعات المتعلقة بالخدمات الحالية. وهى ليست قائمة بأسئلة تطرح علـى المبحوثة، وإنما هى فى الحقيقة قائمة لتذكير الباحث بأن يطرح أسئلة عن هذه الجوانب إن لم تتعرض المبحوثة فى إجابتها لهذه المعلومات.

4 – بهذا نكون قد وصلنا إلى منتصف المقابلة، حيث يمكن طرح جوانب الموضوع الأكثر حساسية وشخصية. وهنا نحتاج لتشجيع المبحوثة على تقديم المزيد من المشاعر العميقة بشأن حادثة أساسية.

أسئلة تفتيح الموضوع: لكى نشجع المبحوثة على الإفصاح عن مشاعرها بدون طرح قدر كبير من الأسئلة التفصيلية عليها نلجأ إلى استخدام أسئلة تفتيح الموضوع، وهى أسئلة استكشاف عامة تعطى المبحوثة الفرصة للإدلاء بالمزيد عن هذه الحادثة.

5 – والآن نريـد أن ننتقـل من لحظة إفشاء السـر لأول مرة وصولا إلى الوقت الحاضـر لنناقش كل خدمة انتفعت بها المبحوثة طوال هذه الفترة. ذلك أن طلبنا من المبحوثـة أن تتعرضـ لسلسلة من الأحـداث تبعا لتواريخ وقوعهـا يمكن أن يكون مفيدًا، لأنـه يساعدها على التذكر. ويمكن أن يساعد مثل هذا السؤال سعينا إلى فهم الكيفية التى يمكن بها للخبرة الناجمة عن انتفاع المبحوثة بإحدى الخدمات أن تؤدى إلى خبرات مشابهة أو مختلفة عنـد الانتفاع بخدمة أخرى. لاحظ استخدام الأسئلة المحفزة على النحو الذى أشرنا إليه فى الفقرة (3).

6 – عنـد الوصول إلى هـذه المرحلة مـن المقابلة، وبعد أن تكـون المبحوثات قد أفضين بقدر كبير من الخبرة، وفى بعض الحالات يكن قد أفضين بما يشعرن به من أحاسيس عميقة، يُطلب منهن استخلاص بعض النقاط العامة التى تتعلق بمجموعة الخدمـات التى انتفعـن بها. وإنه من المفيـد أن يُطلب منهن هـذا الطلب قرب نهاية المقابلـة لأنهـن يكن – عند هذه المرحلـة – قد استرجعن سائر الخدمـات التى انتفعن بهـا، وتأملنها جيـدا. وبعد تذكرهن لخبراتهن ومشاعرهـن يكّن فى وضع مناسب للحكم على تلك الخبرات وتحديد الخبرات "السارة" وتلك التى " ليست سارة بنفس الدرجة".

7 – طرح سؤال مراجعة لاستجماع أى أمر تكون المبحوثة قد غفلت عنه.

8 – فـى هذا الوقت يتم توسيع نطاق المناقشـة ليستوعب الأشكال الأخرى للدعم النفسى.

9 – عندما تشرف المقابلة على الانتهاء يشجع الباحث السيدة المشاركة على النظر للمستقبل بدلا من الماضى.

10– اطـرح سـؤالا آخر يساعد على أخذ النقاش بعيـدا عن الخوض فى الأمور التـى قد تسبب الكرب أو تزعج النفس، والانتقـال إلى البحث عن الطرق التى بها يمكـن تحسين مستـوى الخدمات المقدمـة للمبحوثات وغيرهن مـن الناجيات. كما يساعـد مثل هذا السـؤال الباحث على استكشاف أفـكار الأفراد عن تحسين مستوى الخدمات. وتكون تلك فرصة للمبحوثة لقول أى شيء آخر عن الموضوع لم يرد له ذكر حتى تلك اللحظة.

11– يتـم الإعـلان عن انتهاء المقابلة بإغلاق المسجل. وهنـا يتم تذكير المبحوثة بأنه سيتـم الحفاظ على سريـة ما قالته وأنه لـن يستخدم إلا لأغراض البحـث فقط. يشكر الباحث المبحوثة ويؤكد لها أنها إنسانة ممتازة .

فكر فى هذا الموضوع . . .

المقابلة شبه المقننة تشبه إلى حد ما تركيب

أجزاء الصورة اللغز Puzzle

تخيل أنك تركب أجزاء الصورة اللغز. وأنك قد أُعطيت هذه الأجزاء، ولكن الصندوق الذى يحتوى عليها ليس على سطحه الصورة المكتملة لتسترشد بها فى تجميع تلك الأجزاء. إلا أنك قد أخبرت بأن الصورة تتعلق -عندما تكتمل- بموضوع بحثك. والآن تقوم أنت والمبحوثة معا بتركيب أجزاء هذه الصورة المفككة لتصبح صورة متكاملة واضحة.

ما الذى تفعله أولا؟

العثور على القطع أو الأجزاء التى تمثل الحواف والأركان ثم تقوم بتجميعها مع بعضها.

عليك – بوصفك باحثا – أن تضع الخطوط التى تحدد معالم المقابلة، وتذكر ما سوف تتكلم عنه، وما سوف تبديه للمبحوث، وذلك من خلال أسئلتك الأولى، والطريقة التى تريد منه اتباعها فى المشاركة فى هذا البحث.

ثم ماذا؟

صنف القطع وفقا للألوان أو الأشكال التى تبدو متناسبة مع بعضها.

سبق أن اتخذت قرارك المتعلق بطرق تقسيم البحث إلى فقرات متتابعة وأنت تصمم دليل مقابلتك. ومع ذلك، فإنك عندما تبدأ فى تنفيذ هذا القرار قد تجد أن المبحوث يُصنف القطع التى تتكون منها الصورة اللغز بطريقة مختلفة، أو ربما كانت مدركاته الحسية للألوان مختلفة عنك: هل تلك القطعة زرقاء اللون أم أرجوانية؟

ثم ماذا بعد ؟

ابدأ بتجميع بعض القطع معا وضعها داخل الإطار.

عندهـا ربما يبدأ شريكك فى البحث بمعالجة جزء من المقابلة (أى الصورة اللغز) مختلـف عن الجزء الـذى تبدأ به. وقد يكون من الأفضل لـك أن تدع أسئلتك (أى قطـع اللغز) جانبـا، وتساعده على استكمال الجزء الذى يريـد الاشتغال به قبل أن تعود إلى الجزء الذى اخترت أن تبدأ به عملك.

وأخيرًا

نعتقـد أحيانـا أن الأجزاء أو القطع متناسبة مع بعضهـا أو أن كل القطع الزرقاء تتـلاءم مـع السماء، ثم نكتشف بعـد ذلك أن القطع لا تتناسب مـع بعضها، فنعاود التفكير مرة ثانية، ونحرك القطع هنا وهناك، وقد نطلب المساعدة أو الإيضاح.

هل اسـتطعت تجميع أجزاء الصورة؟ تأكد أن المقابلة نشاط مشترك رغم أن لكل من الطرفين المشاركين دور مختلف بالفعل.

تنفيذ المقابلة شبه المقننة

بعض الأفكار المفيدة فى إجراء مقابلة ناجحة

- إن المقابلـة شبـه المقننة أشبـه بالمحاورة التى يركـز فيها شخص (هـو الباحث) على الشخـص الآخر (هو المبحوث) ويفعـل كل ما يستطيع فعله ليمكنـه من التحدث عن الأحـداث، والمشاعر، والآراء التى ترتبط بموضـوع البحث. ويسهِّل ذلك وجود مكان مريـح نفسيا، ليس فيه ما يشتت الذهن، حيـث يستطيع الباحث والمبحوث أن يجلسا بحيث يستطيع كل منهما أن يرى وجه الآخر (وهو وضع الجلوس المثالى الذى لا يُشعر بالمواجهة، ولذلك لا يجلس الباحث والمبحوث متقابلين وجها لوجه).

- بوصفك الباحث ينبغى عليك أن تباشر العمل فى كل مقابلة بنوع من حب الاستطلاع البسيط. اطرح من ذهنك أى افتراضات بشأن المبحوث أو الموقف. واستعمل الأسئلة المحفزة وأسئلة تفتيـح الموضوع لتشجع المبحوث دائمًا على أن يحكى لك حكايته بدلا من أن تفترض أنك تعرف ما يفكر فيه.

- استعمـل أسئلـة محفـزة محايدة (انظـر أدناه المثـال 2-4) للتأكد مـن أنك لا توحى للمبحوث بأن يقدم آراء "مقبولة".

- شجـع المبحـوث بإبداء بعض أشـكال الاستجابة لـه (حتى لو تمثلت فـى الأصوات والهمهمات غير اللفظية) لتجعله يعرف أنك تصغى إليه.

- كنت مستعدا للمفاجآت: والتى تتمثل فيما يقوله الأفراد، وكن مستعدا لحدوث بعض الأمـور المزعجة، ولتوقف المسجل عن التسجيـل، وما أشبه ذلك. واحتفظ بهدوئك دائما.

- كـن مستعدا لأن يروى المبحوثـون حكاياتهم بعدة طرق مختلفـة (حيث قد لا يلتزم بعضهـم بدليل المقابلة الذى تم التخطيط له بدقة وعناية). عليك أن تكون مرنا وقابلا للتكيف مع كل مبحوث على حدة لا أن تتوقع منهم أن يتواءموا مع أجندتك.

- انتفع بدليل مقابلتك فى التأكد من أن سائر أسئلة البحث قد تم تغطيتها، وفى تذكيرك بالأسئلة المحفزة وأسئلة تفتيح الموضوع، إذا حدث ونسيت بعض الأمور.

المثال (4 – 2) . . .

الأسئلة المحفزة تفيد فى المقابلات شبه المقننة

- هل يمكنك أن تحكى لى المزيد عن هذا الموضوع؟
- هل يمكنك أن تحدثنى عن شعورك إزاء ذلك؟
- كيف يمثل هذا الأمر خبرة سارة/ أو سيئة بالنسبة لك؟
- ماذا كان شعورك عندما حدث ذلك؟
- ماذا حدث بعد ذلك؟
- أيمكنك أن تخبرنى بالمزيد عن . . .؟
- قلت قبل ذلك أن . . . هل يمكنك أن تستفيض قليلا فى هذا الموضوع؟
- ماذا تقصد بذلك؟
- كيف؟

تسجيل المقابلة

غالبـا ما يتـم تسجيل المقابلات شبه المقننة (فصل 2 باب 3) ثم تنسخ بعد ذلك. حينما يكون التسجيل غير ممكن، فمن الممكن تدوين الملاحظات أثناء المقابلة وكتابتها بعد ذلك بصورة مستوفاة فى أقرب وقت ممكن عقب المقابلة. من الممكن تصميم نموذج لتدوين الملاحظات بناء على دليل المقابلة (فصل 2 باب 3 للاطلاع على المزيد عن هذه النقطة).

المقابلة التأملية (مراجعة الباحث لنفسه)

باعتبارك "الأداة الأساسية" التى تجمع البيانات مباشرة من المبحوث، فإن تستطيع أيضا أن تجمع البيانات من نفسك ومن خبرتك الخاصة. لذلك عليك – بعد كل مقابلة – أن تمضى بعض الوقت للتأمل فى المقابلة بطريقتين:

1 – دون ملاحظاتك عن المقابلة:

- كيف بدا شعور المبحوث إزاء هذه المقابلة؟
- هل أبدى المبحوث مشاعره من خلال الأفعال غير اللفظية، أو إشارات اليدين أو تعبيرات الوجه؟

2 – دون ملاحظاتك عن نفسك كقائم بالمقابلة:

- ما الذى فوجئت به؟
- ما الجوانب الناجمة فيما يتصل ببناء المقابلة وأسلوبك فى إجراء المقابلة؟
- ما الأمور التى لم تحقق النجاح المنشود؟
- ما الذى يمكنك أن تفعله بطريقة مختلفة؟
- ما تفسيراتك وأفكارك عن التحليل فى هذه اللحظة؟
- ما المعلومات التى توصلت إلى استكشافها؟ وما الذى تحتاج إلى إيضاحه؟ راجع هذه الأمور مع المبحوث.
- هل ترغب فى تعديل دليل مقابلتك؟

طبيعة البيانات المجموعة وتأثيراتها على التحليل

تكون البيانـات المجموعة من المقابلة شبه المقننة مكتوبـة بنفس العبارات التى نطق بهـا المبحوث، وتعد - بهذا الاعتبار - بيانات "خام". مـن المعتاد تسجيل هذه البيانات والاحتفـاظ بها فى هذا الشـكل فى المراحل الأوليـة للتحليل بحيث يتسنـى عند التحليل استخـدام العبارات الشخصية للمبحوثين (فصـل2 باب4). بعد ذلك تُحلل هذه البيانات المجموعـة فى ضـوء أسئلة البحث. بالنسبـة للباحثين من الطلاب، فـإن التحليل الذى ينصب على الموضوعات أو الأفكار الأساسية (فصل2 و4 باب4) يستخدم مجموعة من الأشـكال البيانية، يعد طريقة مفيدة للبدء فـى معالجة هذه البيانات. وقد تشتمل الطرق الأخـرى المستخدمة على طريقة "النظرية الموثقة"، وطريقة تحليل الخطاب، وطريقة تحليل المضمون (انظر الفصلين 6 و 8 باب4).

بحثك

مزايا المقابلات شبه المقننة

- تفيد خصوصا فى استكشاف الموضوعات بالتعاون مع المبحوثين.
- بإمكانها استكشاف الخبرات والمشاعر بشيء من التعمق.
- يكون الباحث على اتصال شخصى مع المبحوث مباشرة.
- المرونـة فى السمـاح للمبحوثين بالتحدث عن موضوعـات البحث بطريقتهم الخاصة.
- يكفـل وجود بعض التقنـين فى هذا النوع مـن المقابلة تغطيـة نفس مجالات موضوع البحث مع جميع المبحوثين.
- من الممكن ربطها ببعض الطرق الأخرى فى جمع البيانات.
- البيانـات تكون فـى حالتها "الخـام" (أى مكتوبة بنفس عبـارات المبحوث الخاصة).

- يمكن – مع الإعداد الدقيق – استكشاف الموضوعات الحساسة أو التى يحتمل أن تسبب الكرب والأسى للمبحوث فى ظروف مريحة نفسيا وآمنة.

عيوب المقابلات شبه المقننة

- جمع البيانات يستهلك وقتا طويلا .
- لابد للباحث من أن يطور مهاراته فى إجراء المقابلة.
- هناك بعض التأثيرات المحتملة الناجمة عن عدم التناسب بين المبحوث والباحث من حيث النوع ، أو الانتماء الأثنى أو العمر.
- قد يتم توليد كميات كبيرة من البيانات "الخام".
- قد يركز المبحوثون على قضايا لا تهم الباحث.

المراجع وقراءات للاستزادة

Badlan, K. (2006) Young people living with cystic fibrosis: an insight into their subjective experience, *Health and Social Care in the Community*, 14(3): 264–70.

Cater, S. and Coleman, L. (2006) *'Planned' teenage pregnancy: views and experiences of young people from poor and disadvantaged backgrounds*, York: Joseph Rowntree Foundation. Available from www.jrf.org.uk/publications/planned-teenage-pregnancy-views-and-experiences-young-people-poor-and-disadvantaged-bac (accessed 12 August 2009).

Hammersley, M. and Atkinson, P. (1995) *Ethnography: Principles in Practice*, London: Routledge.

Lee, R. (2004) Recording technologies and the interview in sociology, 1920–2000, *Sociology*, 38: 869–89.

Minichiello, V., Aroni, R., Timewell, E. and Alexander, L. (1992) *In-depth Interviewing: Researching People*, London: Routledge.

Oakley, A. (1981) Interviewing women: a contradiction in terms, in H. Roberts (ed.) *Doing Feminist Research*, London: Routledge & Kegan Paul.

Ross, L. and Witz, A. (1993) From surviving to thriving, Departmental Paper, Department of Social Policy and Social Work, University of Birmingham.

Webb, B. (1938) *My Apprenticeship*, Harmondsworth: Penguin. Quoted in Bulmer, M. (1982) *The Uses of Social Research*, London: George Allen & Unwin.

ـ الفصل الخامس
جماعات المناقشة (البؤرية)

محتويات الفصل

- ما جماعة المناقشة (البؤرية)؟
- استخدام جماعات المناقشة فى البحث الاجتماعى.
- مواقع عقد جماعات المناقشة.
- حجم جماعات المناقشة واختيار المشاركين فيها.
- جماعات المناقشة والقضايا الأخلاقية.
- الجوانب العملية.
- طبيعة بيانات جماعات المناقشة.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

يمكن النظر إلى جماعات المناقشة باعتبارها نوعًا من التعديل والتحوير لنموذج المقابلة (الفصل الرابع)، أعنى بذلك أنها نمط من المقابلات الجماعية، حيث يتم جمع عدد من الأفراد (يتراوح عددهم عادة بين 5 و 13 فردا) للاجتماع معًا لمناقشة موضوع معين. ويقوم الباحث بجمع البيانات التى تتولد من هذا النقاش.

تتيح جماعات المناقشة للباحث أن يقوم بأكثر من مجرد جمع البيانات الواقعية المتولدة من النقاش. كما تتيح له جمع البيانات المرتبطة بجماعة المناقشة نفسها (أعنى بذلك أن الباحث قد يكون مهتمًا بالطريقة التى تستجيب بها جماعة ما، وليس فردًا ما، لأحد المواقف).

ظل الباحثون يستخدمون **جماعة المناقشة** طوال معظم النصف الثانى من القرن العشرين. من ذلك مثلا أنه جرى فى أربعينيات القرن العشرين استخدام جماعات المناقشة فى تقدير الأثر الذى تحدثه البرامج الدعائية التى تبثها الإذاعة فى الولايات المتحدة. وقد صك عالم الاجتماع روبرت ميرتون مصطلح «المقابلة المركزة» (ميرتون وكيندال، 1946، وميرتون 1987) ليصف به مقابلة تضم 12 شخصًا تقريبا. ورغم أن التقنيات التى طورها ميرتون كانت قبل ذلك تستعمل بصورة رئيسية أساسا للمقابلات الفردية، فإن جماعات المناقشة ظهرت كأداة لباحثى السوق بحلول ستينيات القرن العشرين (بلور Bloor وآخرون، 2001) ثم بدأت – على وجه التأكيد – منذ ثمانينيات القرن العشرين تستخدم على نطاق واسع داخل المجال الاجتماعى العام للتحقق من الآراء السياسية ومن تقدير الأثر الذى تحدثه الخدمات. وفى وقت أقرب زاد انتشار جماعات المناقشة (إلى حد أن وصفها البعض بأنها أصبحت «موضة») فى العلوم الاجتماعية (انظر على سبيل المثال مقال مورجان Morgan وسبانيش Spanish 1984 بعنوان «جماعات المناقشة: أداة جديدة للبحث الكيفى». كما لاقت جماعات المناقشة كثيرًا من القبول لدى حزب العمال البريطانى (وشيئا من سوء السمعة فى الصحافة) بوصفها أداة لاختبار الرأى العام وتطوير سياسات الحزب فى السنوات السابقة على انتصاره فى انتخابات سنة 1997.

ما جماعة المناقشة؟

جماعة المناقشة – فى جوهرها – كطريقة لجمع البيانات الكيفية تعد بمثابة شكل معدل أو مغاير لأسلوب المقابلة. ويتمثل هذا التعديل فى أن جماعة المناقشة (وكما يعنيه هذا الاسم ضمنًا) تختلف عن المقابلة التى تجرى بين شخصين وتصبح مقابلة لجماعة. وأيا ما كان الأمر، فإن هذا لا يعنى أنها مجرد طريقة لمقابلة عدد من الأفراد مجتمعين معًا. (فقد يقابل بعض الباحثين عددا من الأفراد مجتمعين معا لمجرد أن يوفر الوقت والنفقات، ولكنه يظل يجمع بيانات فردية من كل مبحوث على حدة. ويسمى هذا الأسلوب أحيانا «مقابلة جماعية»، وهى ليست فى الحقيقة «جماعة مناقشة»). والأحرى أن جماعات المناقشة تستعمل لجمع البيانات التى تتولد من النقاش بين أعضاء جماعة المناقشة بمساعدة الشخص الذى يدير عمل جماعة المناقشة (أى الباحث).

ما جماعة المناقشة؟

هى طريقة لجمع البيانات تتسم عادة بأنها:

- تضم مجموعة من الأفراد عددهم بين 5 و 13 شخصًا ،
- ممن يشتركون فى أمر معين ، ويكون مرتبطا بموضوع البحث ،
- وذلك للمشاركة فى نقاش حول هذا الموضوع يقوم الباحث بإدارته.

رغم أن التعميم هنا أمر عسير ، فإن جماعات المناقشة تتكون عادة من 5 إلى 13 مشاركا ، بالإضافة إلى شخص يدير المناقشة ، فضلا عن جهاز تسجيل فى أغلب الأحيان أو شخص يقوم بتدوين الملاحظات. ومن الأمور المهمة أن الأعضاء يتم **اختيارهم** فى العادة ليشاركوا فى النقاش (انظر أدناه وكذلك فصل 5 باب 2) ، كما أن هذه الجماعة تتكون من أفراد لديهم شيء مشترك يربطهم بالموضوع الذى تتناوله المناقشة. ومن المعهود أن يشارك أعضاء جماعة المناقشة فى نقاش منظم يستمر من ساعة إلى ساعتين ، ينصب - غالبا - على موضوع محدد وحيد. والحقيقة أن من السمات المتأصلة لجماعة المناقشة أنه لابد أن تكون لها بؤرة اهتمام واحدة أو هدف واحد (على الأقل) ، كما يتوقع - بجانب ذلك - فى الغالب أن تقوم جماعة المناقشة بمهام محددة ، من قبيل ترتيب أولوية عدد من البدائل.

استخدام جماعات المناقشة فى البحث الاجتماعى

جماعة المناقشة طريقة لجمع البيانات تعتمد على ديناميات الجماعة للحصول على بيانات كيفية متعمقة ، وثرية ، وتجريبية غالبا (فصل 3 باب 1 و فصل4 باب2) ويمكن استخدامها ضمن تشكيلة متنوعة من تصميمات البحث الاجتماعى. وقد تكون جماعات المناقشة طريقة جمع البيانات الوحيدة ، أو تكون جزءا من استراتيجية أكثر تعقيدًا لجمع البيانات.

وكما هو الحال مع الطرق الأخرى لجمع البيانات الكيفية (وجماعات المناقشة تتصف بشبه كبير مع **المقابلات شبه المقننة**) (انظر قائمة المصطلحات فى نهاية الكتاب) فإن البيانات المتولدة داخل نطاق جماعة مناقشة تكون غير مقننة إلى حد ما ، وتستعمل كلمات المبحوثين ومفاهيمهم. وفى معظم الحالات تستخدم جماعات المناقشة للتعرف على مشاعر الأفراد وتصوراتهم للقضايا التى يثيرها موضوع البحث. ومع ذلك يتركز الاهتمام فى جماعة المناقشة بشكل خاص على الكيفية التى يتفاعل بها الأفراد داخل هذه الجماعة وكيفية قيامهم مجتمعين بصياغة تصورهم لموضوع البحث. بهذا المعنى تحاول جماعة المناقشة أن تحاكى ما يجرى كل يوم من محاورات بين جماعات

الناس (كما هو الحال مثلا فى الحانة ، أو حول مائدة الطعام ، أو فى إحدى جماعات الدعم الذاتى أو فى إحدى غرف الدردشة على الإنترنت) وأن تعكس الطريقة التى يتوصل بها الأفراد إلى بلورة فهم لقضية ما أو خبرة معينة عن طريق رواية كل منهم «لحكايته» الخاصة وإنصات كل منهم للآخرين. وخلافا للمقابلة التى تجرى بين طرفين ، يمكن لجماعة المناقشة أن تتيح الفرصة للأفراد ليستكشفوا خبرات الآخرين وآراءهم ويعارضوها ، وليتأملوا فيما لديهم من خبرات وآراء خاصة بهم فى إطار بيئة المناقشة التى تسهل حدوث ذلك. كما أن معظم ما يحدث داخل هذه الجماعة يكون تحت سيطرة المشاركين. ويعمل الباحث كمدير أو وسيط للمناقشة ، وليس كباحث يقوم بإجراء مقابلة مع هذه الجماعة. كما ينصب الاهتمام على تمكين هذه المجموعة من الأفراد من مناقشة كل واحد منهم لغيره ، وليس مجرد أن يجيب على مجموعة من الأسئلة يطرحها عليه الباحث.

تعد جماعات المناقشة طريقة ملائمة لجمع البيانات عندما يكون الباحث مهتما بجمع البيانات الكيفية عن خبرات الأفراد ، وأفكارهم وتصوراتهم ، وعندما يكون لديه اهتمام بالسبب الذى يجعل الأفراد يشعرون بحياتهم الاجتماعية بهذه الطريقة. ويتم تحصيل هذه البيانات عن طريق الإصغاء إلى مناقشة أولئك الأفراد وملاحظتها وتسجيلها ، وكذلك من خلال ملاحظة وتسجيل طريقة معالجة الجماعة للقضايا التى يثيرها موضوع النقاش. وهكذا يكون الباحث مهتما – غالبا – بكل من مضمون المناقشة **(ما الذى قيل) والطريقة** التى نوقش بها الموضوع.

ونظرا لأن جماعات المناقشة ازدادت شعبية وانتشارا ، وأصبح معترفا بها كطريقة لجمع بيانات صادقة فى العلوم الاجتماعية، فقد وجدها الباحثون مفيدة فى مجموعة من مختلف مناهج البحث ، والظروف والسياقات (أى الأوساط والبيئات). والواقع أنه يجرى حاليا استعمال جماعات المناقشة فى المزيد من الأماكن والمواقع وفى أغراض تتجاوز ما تخيله لها منشئوها الأوائل. وإليك مجرد جزء من الطرق التى تستخدم بها جماعات المناقشة:

1 – **كأداة استكشافية:** أو بحوث المرحلة قبل الاستطلاعية للبحث الاجتماعى ، أعنى بذلك: استكشاف ما يبدو فى نظر المبحوثين مُهما بشأن قضية أو موضوع ما ، وما نوع اللغة والمفاهيم التى يمكن أن تستخدم فى النقاش. بهذه الطريقة يمكن استعمال جماعات المناقشة للمساعدة فى تصميم أدوات إضافية لجمع بيانات البحث ، والتى منها مثلا : الاستبيان أو المقابلة المقننة. وأيا ما كان الأمر ، فإن البحث الاستكشافى الذى يستخدم جماعات المناقشة وحدها أو جنبا إلى جنب غيرها من طرق جمع البيانات يعتبر – هو الآخر – من البحوث الشائعة ، خاصة بين الباحثين الطلاب ، أو عند دراسة مجال

لم ينفذ فيه إلا عدد قليل من البحوث. ويتناول بـرواز «البحث الواقعى» أدناه والذى عنوانـه «البحـث الاستكشافى الـذى يستخدم طريقـة جماعات المناقشـة"؛ يتناول بحثا أجرى على النشاط الرياضى للشباب للكشف عن الفروق أو الاختلافات بين فتيان من خلفيات اجتماعية - اقتصادية مختلفة (همبرت Humbert وآخرون، 2006). (ولعلك تحتـاج أيضا إلى إلقاء نظرة على البحـث الاستكشافى الذى أجراه جروجان Grogan وريتشاردز Richards 2002) عن صورة الجسد عند الرجال، وعلى دراسة وونج Wong وآخـرون (2006) عـن الفروق بين الأطباء الذكـور والإناث فى اتجاهاتهم وممارساتهم أثناء معالجة النساء اللاتى تعرضن للانتهاك من أزواجهن).

البحث الواقعى

البحث الاستشكافى الذى يستخدم طريقة جماعات المناقشة

بحـث: همبرت وآخرين (2006) بعنوان: «العوامـل المؤثرة على المشاركة فى النشـاط الرياضى بـين شباب ذوى مكانات اجتماعيـة/ اقتصادية مرتفعة، وذوى مكانات متدنية»، منشور فى مجلة «البحوث الصحية الكيفية»، 16: 4.

أراد الباحثـون استكشـاف العلاقة بـين النشاط الرياضى والمكانـة الاجتماعية/ الاقتصاديـة المرتفعة أو المنخفضة بين شباب تـتراوح أعمارهم بين 12 و 18 سنة. وأرادوا بصفة خاصة أن يستكشفوا تصورات هؤلاء الشباب عما يكون من شأنه أن يساعـد على زيادة النشاط الرياضى، كما كان الباحثون يريدون بحث الفروق بين الشباب المنتمين إلى بيئات ذات مكانة اجتماعية / اقتصادية مرتفعة ومنخفضة.

ماذا فعل الباحثون؟

اختار الباحثون 160 فتى من أربع مدارس (مدرستان منها فى منطقة ذات مكانة اجتماعيـة اقتصادية منخفضة ومدرستان فى منطقـة ذات مكانة اجتماعية اقتصادية مرتفعـة) فى كندا بناء على مستـوى نشاطهم الرياضـى واستعدادهم لاحترام آراء الآخرين والتحدث داخل جماعة ما.

عقـدت تسع وعشرون جلسة جماعـة مناقشة، مدة كل جلسة نحـو ساعة، واشترك فى كل واحـدة منها ما بـين 5 و 7 مشاركين. وقد ركزت الجماعات نقاشها علـى سؤال يقول: «لو أنك أصبحت مسئولا عن زيادة مستويات النشاط الرياضى للفتيان الذين من سنك، فماذا ستفعل؟».

سُجلـت كل جلسة عقدتهـا جماعة مناقشـة وتم نسخها بعد ذلـك. وجرى تحليل البيانـات باستعمال طريقة **تحليل المضمون** (انظر قائمة المصطلحات) (فصل 7 باب

4) لتحديد ما تنطوى عليه تلك البيانات من فئات أو مفاهيم، وما يتكرر فيها من أفكار أو موضوعات رئيسية.

النتائج

اتضح أن اعتبارات التمتع بصحبة الأصدقاء، وتطوير اللياقة البدنية، ودمج الشباب فى الحياة الاجتماعية، كانت مهمة فى نظر كلتا الجماعتين. ولكن اتضح وجود فروق بين الجماعتين فيما يتصل بقيود الوقت، واختيار النشاط، والتكاليف وتوفر المرافق اللازمة. مثال ذلك أن الشباب ذوى المكانة الاجتماعية الاقتصادية المرتفعة ناقشوا أهمية الاختيارات المختلفة بينما أكد الشباب ذوو المكانة الاجتماعية الاقتصادية المنخفضة أهمية التكاليف، وقرب مكان أداء النشاط الرياضى وتوفر المرافق اللازمة.

مزايا استخدام جماعات المناقشة فى هذا البحث

- أُتيح للشبان أن يتحدثوا عن خبراتهم وآرائهم.
- يمكن للشبان ذوى مستويات النشاط الرياضى المختلفة أن يتبادلوا خبراتهم وأفكارهم مع بعضهم البعض.
- استطاع الباحثون استكشاف الفروق بين الفتيان ذوى المكانة الاجتماعية الاقتصادية المرتفعة والفتيان ذوى المكانة الاجتماعية المنخفضة عن طريق تشخيص وبلورة الفروق بين مناقشات جماعات المناقشة التى دارت حول الموضوعات المهمة.
- أمكن إدخال عدد من الفتيان فى البحث أكثر من العدد الذى كان يمكن إدخاله بسبب الظروف والإمكانيات، لو أن هذه المقابلات أجريت بشكل فردى يتحدث فيها الباحث مع مبحوث واحد فى كل جلسة.

2 - **توليد فرص أو تطوير نظرية**: يمكن استخدام جماعات المناقشة لجمع البيانات التى من شأنها أن تمكن الباحث من دراسة التفسيرات الأولية المتصلة بلماذا وكيف آل أمر الأفراد إلى أن يشعروا أو يتصوروا ظاهرة اجتماعية ما بطريقة معينة. وفى برواز «البحث الواقعى» الوارد أدناه (وعنوانه: «البحث الذى يستخدم جماعات المناقشة وتطوير النظرية») يتم استعراض بحث يدرس كيفية ارتباط الأفكار الشخصية للفرد عن التقدم فى السن بخبراته عن الأحوال الصحية المصاحبة للتقدم فى السن (فيرهيرست Fairhurst 2005). (وربما يحسن بك أيضا أن تلقى نظرة على بحث كتبه دافيدسون وآخرون (2006) يتناول الأفكار الشائعة عند الناس العاديين عن التفاوت فى الحصول على الرعاية الصحية، وأن تلقى نظرة على البحث الذى كتبه ما نداى Munday (2006) عن دور «معهد الدراسات النسوية» فى خلق الهوية الجمعية).

البحث الواقعى

البحث الذى يستخدم جماعات المناقشة وتطوير النظرية

بحث: فيرهيرست (2006) بعنوان *«وضع نظرية عن التقدم فى السن والشيخوخة: الربط بين الصحة البدنية والسعادة والصحة العامة»*، مقال منشور فى مجلة: *الصحة العامة النقدية، 1: 15»*

عندما يتقدم الأفراد فى السن يكون لهم أفكارهم – أو نظرياتهم الخاصة – المتعلقة بمعنى التقدم فى السن. ويتناول هذا البحث كيف يقوم الأفراد العاديون (وليس «الخبراء») بالربط بين أفكارهم المتعلقة بصحتهم البدنية، وبسعادتهم، وبالصحة العامة من جهة، وبين أفكارهم وتصوراتهم عن التقدم فى السن. وقد نفذ هذا البحث لحساب مؤسسة «هاجس الشيخوخة» Age Concern، وهى جمعية خيرية كبيرة مهتمة باحتياجات المسنين.

ماذا فعل الباحث؟

كان قد تم تدريب العاملين بهذه الجمعية الخيرية على أن يقوموا بإدارة جلسات جماعات المناقشة، التى عقدها هؤلاء الموظفون مع أفراد تتراوح أعمارهم بين 40 و80 سنة، مقسَّمين إلى أفواج يفصل بين كل فوج والآخر عشر سنين فى العمر، وذلك فى سبع مناطق من إحدى المدن فى المملكة المتحدة. وقد تم اختيار المشاركين من خلال المكاتب المحلية لهذه الجمعية الخيرية على أساس السن. وهكذا كان كثير من أعضاء هذه الجماعات يعرفون بعضهم بعضا من خلال بعض الأنشطة الأخرى.

النتائج

كانت الصحة عنصرا أساسيًا فى الطريقة التى كان يتناقش بها الأفراد ويبدون آراءهم عن التقدم فى السن، وعن مدى النظر إلى المسنين الأصحاء باعتبارهم أهم دلالة من المسنين المتقدمين فى العمر الزمنى (الذى يقاس بالسنوات)، وذلك لأن الصحة الجيدة تجلب السعادة لصاحبها. وقد ساهم فى تمتع بعض المسنين بالصحة الجيدة توافر بعض عناصر لخدمات الصحية العامة كوسائل النقل والإسكان الجيد.

مزايا استخدام جماعات المناقشة فى هذا البحث

- تواضع الموارد المطلوبة وقلة الوقت الذى استغرقه العمل.
- ركز البحث على وجهات النظر والتصورات المشتركة (وليست الفردية) عن التقدم فى السن.
- تكرر جماعة المناقشة المحاورات التى تجرى فى كل يوم - وهى المحاورات التى يعبر فيها الأفراد «العاديون» عن أفكارهم المتعلقة بالعالم الاجتماعى الذى يعيشون فيه.

3 - **ملاحظة وتسجيل كيف تتفاعل الجماعة** : هنا ينصب التركيز على الطريقة التى تتبعها الجماعة فى مناقشة الموضوع المطروح: من الذى يشارك فى المناقشة، ومن الذى يمسك بالزمام، وكيف يتم تطوير الحوار، وكيف يتم الاتفاق على اللغة وكيف يتم تعريف المفاهيم وتحديدها حين مناقشة موضوع معين. وغالبا ما تستخدم جماعات المناقشة بهذه الطريقة فى البحث الذى يتناول القضايا الحساسة والمثيرة للتحدى. وكانت دراسة كيتزينجر (1994) Kitzinger عن الصبيان المراهقين ومدى معرفتهم بمرض الإيدز (فيروس نقص المناعة البشرى) إحدى أوائل الدراسات التى استخدمت جماعات المناقشة بشكل واضح فى دراسة ما يحدث داخل جماعة ما من تفاعل بين أعضائها، وكذلك عملية بناء المعنى. ويستعرض المثال المبين أدناه فى برواز «البحث الواقعى» (وعنوانه استخدام جماعات المناقشة فى دراسة التفاعل داخل الجماعة)؛ يستعرض بحثا أجرى عن الشباب والسلوك الجنسي (هايد Hyde وآخرين، 2005)، إلا أنه يهتم -بصفة خاصة- بمدى محاكاة جماعة المناقشة نفسها للتفاعلات اليومية التى تدور داخل جماعة من المراهقين، وبالأسئلة التى قد تطرحها هذه المحاكاة على الباحث.

البحث الواقعى

استخدام جماعات المناقشة فى دراسة التفاعل داخل الجماعة

بحث هايد وآخرون (2005) بعنوان: «طريقة جماعة المناقشة: رؤية لبعض المقابلات التى أجريت مع جماعة مناقشة عن الصحة الجنسية عند المراهقين، منشور فى مجلة: «العلوم الاجتماعية والطب»، 61: 2588 - 2599.

اهتم الباحثــون بالتعرف على آراء المراهقين والمراهقــات المتعلقة بالسلوك الجنسى والصحــة الجنسية، بغية تطوير البرامج التعليمية الصحية التى من شأنها أن تساعد من هم فى سن المراهقة على ممارسة سلوك جنسى مسئول وصحى. وكجزء من هذا العمل أراد الباحثــون أن يستكشفوا: إلى أى مدى يعكــس التفاعل الذى يجرى داخل جماعة المناقشــة الحوار الدائر بين جماعتين مــن الرفاق، إذ إن هذه المحاورات التى يتبادلون فيها فكاهاتهم، وشتائمهم، وتلميحاتهم، وردودهم، وحساسياتهم، وديناميآتهم داخل الجماعة قد توفر للباحث رؤى ثاقبة جديدة فى «الموضوع محل البحث».

ماذا فعل الباحثون؟

تمت دعوة عدد من الفتيات تتراوح أعمارهن بين 16-14 سنة وعدد من الفتيان تتراوح أعمارهــم بين 19-17 سنة، من تلاميذ عشر مدارس فى أيرلندا للمشاركة فــى واحدة من 29 جماعة مناقشة (تقتصر كل جماعــة على جنس واحد). بلغ عدد المشاركين 226 مراهقــا ومراهقة. كان أعضاء كل جماعة يعرفون بعضهم بعضا، كمــا كانوا فــى الغالب من نفــس الصف الدراســى. استخدم دليــل للمقابلة بغرض استثــارة النقاش كما جرى تسجيل جلسات جماعات المناقشة، وقد تم تحليل البيانات باستخدام تقنيات «النظرية الموثقــة» (فصل 8 باب 4) لتحديد الأفكار والموضوعات الرئيسيــة. وفى وقت لاحق للمقابلة قدم استبيان إلى كل مشارك على حدة، وكان يحتوى على أسئلة عن جماعة المناقشة هذه، وعما إذا كانت المناقشة انعكاسا «صادقا» للخــبرات والآراء الحقيقيــة للمشاركين فيها. وجرت فيما بعــد عملية تحليل إضافية للتفاعلات التى تمت داخل نطاق هذه الجماعة.

النتائــج

قــال معظــم المراهقين والمراهقات - حينمــا سئل كل واحد منهــم على حدة - إن المعلومــات التى طرحت داخل جماعة المناقشة هذه كانت حقيقية فى معظمها، وذلك بالرغم من أن عــدد الفتيات اللائى كن يرين هذا الرأى كان أكبر من عدد الفتيان. ويذهــب الباحثــون - من واقع تحليلاتهــم وخبرتهم - إلى أن جماعــات المناقشة قد تكــون «تصويــرا صحيحا» للحوار الذى دار فى جماعــة الرفاق، وأن من اللازم أن يكون الباحثون على وعى ودراية بالطرق التى قد يؤثر بها تكوين الجماعة على التباين والتنوع فى المناقشة، وأنه فى أثناء الحوار داخل جماعة المناقشة قد «يخرج» بعضــ الأعضاء عن موضــوع النقاش، وقد «يطغون على الحــوار»، كما أنهم قد يتبادلــون المعلومات مع الآخرين. ووجد الباحثون أن الأعضاء كانوا قادرين على المشاركــة فى مظاهر القلق والشكوك المتعلقة بالمسائل الجنسية، وأن بعض الأعضاء كانوا يعترضون على وجهات نظر الآخرين.

مزايا استخدام جماعات المناقشة فى هذا البحث

- استطاع الباحثون أن يلاحظوا كيف يتفاعل المراهقون عند مناقشة موضوع البحث.
- قد تكون جماعات المناقشة قد حاكت المحاورات التى تدور بين أعضاء الرفاق يوميا، حيث إن المشاركين يعرف بعضهم بعضا.
- كان بوسع المشاركين الاعتراض على المعلومات التى تطرح فى الحوار.
- قد يكون المشاركون أكثر اطمئنانا مما يكونون عليه فى المقابلة التى تجرى بين الباحث والمبحوث، وأكثر رغبة فى تبادل خبراتهم وآرائهم.

ولكن هذا البحث شرع فى التساؤل عن مدى إمكان النظر إلى محتوى جماعات المناقشة هذه - أى إلى ما قاله الأفراد فيها - باعتباره صادقا أو حقيقيا أم لا.

4 - **الاستشارة والتقييم**: قد تستخدم جماعات المناقشة لاكتشاف المعلومات المتعلقة بما يتصوره الأفراد عن ظاهرة اجتماعية مفترضة أو موجودة فعلا. مثال ذلك تصورهم عن سياسة جديدة مقترحة، أو عن خدمة عامة موجودة بالفعل، أو عن حدث معين وقع فعلا. وعندما تستخدم جماعات المناقشة بهذه الطريقة، يتم توليد المناقشة التى تدور حول هذه الظاهرة ويجرى حث المشاركين على التفكير فى المزايا والعيوب، أى الجوانب الجيدة والجوانب السيئة لإحدى خدمات الرعاية الداخلية فى مؤسسات الإيواء أو للسياسة التى تحظر التدخين فى الأماكن العامة، وذلك من خلال تبادل الآراء والخبرات والأفكار. كثيرا ما يشتمل هذا النوع من جماعات المناقشة على مهمة تضطلع بها الجماعة (انظر البحث أدناه). ويستعرض برواز «البحث الواقعى» المذكور أدناه وعنوانه: «البحث التقييمى الذى يستخدم جماعات المناقشة» من تأليف بتلر Butler وآستبرى Astbury، 2005؛ يستعرض بحثا أجرى لتقييم الخدمات المقدمة للأطفال الذين يقدمون خدمات الرعاية للغير. وفى هذا التقييم تم استخدام جماعات المناقشة كجزء من توجه قائم على التعدد المنهجى. وفى بعض الأحيان تستعمل جماعات المناقشة كوسيلة لإشراك الأفراد الذين قد يستبعدون من بحوث الاستشارة والتقييم لو لم يُدعوا إلى جلسات جماعات المناقشة هذه. انظر على سبيل المثال دراسة كمبردج Cambridge وماكارثى McCarthy (2001) التى أشركت أفرادا يعانون من صعوبات فى التعلم، فى تقييم «الفائدة المثلى» المرجوة من خدمات الرعاية الاجتماعية.

البحث الواقعي

البحث التقييمي الذي يستخدم جماعات المناقشة

بحث: بتلر وآستبري (2005) بعنوان: «الصغار مقدمو خدمات الرعاية. دراسة حالة تقييمية لمشروع كورنوول للرعاة الصغار»، منشور في مجلة: «الأطفال والمجتمع»، 19: 303-292.

استخدمت تشكيلة متنوعة من الطرق المختلفة لجمع البيانات في تقييم هذا المشروع، ومن هذه الطرق: «عقد جلسات جماعة مناقشة مع المشاركين في تقديم خدمات الرعاية، وأعني بهم الصغار والشباب الذين يقدمون . . . قدرا كبيرا من الرعاية بصورة منتظمة» (قانون مقدمي الرعاية، 1995، ص1). وقد تقرر الاستفادة بنتائج هذه الدراسة التقييمية في توجيه الخدمات المستقبلية المقدمة للرعاة صغار السن.

ماذا فعل الباحثان؟

جمع الباحثون إحصائيات قومية ومحلية وبيانات مستمدة من واقع متابعة المشروع، كما عقدت جلسة جماعة مناقشة مع سبعة من مقدمي الرعاية الصغار الذين تتراوح أعمارهم بين11 و18 سنة، واثنين من الباحثين لإدارة الحوار.

النتائج

كانت الموضوعات الأساسية الكبرى المنبثقة مما دار في جماعة المناقشة تتمثل في أن مقدمي الرعاية الصغار كانوا يشعرون بما يلي:

- بالعزلة وبالوصمة.
- وبالتعرض لبعض المشكلات في المدرسة.
- وبافتقارهم إلى وقت فراغ للراحة.
- وبافتقارهم للتقدير أو الثناء عليهم.

كما تداولت جماعة المناقشة فيما لهذا المشروع وما لغيره من الخدمات من فوائد ونواحي قصور. ومع أن هذا المشروع كان فعالا كل الفعالية في دعم مقدمي الرعاية الصغار، فقد استطاع هذا البحث التقييمي أن يسلط الضوء على بعض الجوانب التي تحتاج إلى مزيد من التحسين، والتي منها مساعدة مقدمي الرعاية الصغار على الشعور بأنهم أقل عزلة مما هم عليه.

مزايا استخدام جماعات المناقشة فى هذا البحث

- جمعت البيانات الكيفية جنبا إلى جنب البيانات الكمية.
- تمكن مقدمو الرعاية الصغار - الذين يكونون فى عزلة أحيانا كثيرة - من أن يرووا حكاياتهم وينصتوا إلى حكايات الآخرين.
- تمكن مقدموا الرعاية صغار السن من اقتراح آراء تتعلق بإدخال تحسينات على مستوى الخدمة وأن يناقشوا هذه التحسينات.
- من الممكن التحقق من المعلومات التى جمعت بشكل غير رسمى بواسطة المشاركين فى جماعة المناقشة.

5 - **مراجعة معطيات سابقة:** تُستخدم جماعات المناقشة أحيانا كجماعات مرجعية للباحث الذى يضطلع بتحليل البيانات التى تكون قد جمعت من خلال المقابلات أو الاستبيانات، أو تحليل بيانات جماعات مناقشة شائعة فعلا. فى هذه الحالة يعرض الباحث على جماعة المناقشة هذه تحليله وتفسيره لتلك البيانات، وبذلك يتحقق من تقبل المشاركين لتفسيراته والتأكد من أنها معقولة فى نظرهم. وقد ذكر «بلور» Bloor أنه استخدم جماعات المناقشة لمناقشة النتائج المستخلصة من دراسته الإثنوجرافية عن الجمعيات العلاجية التى أجراها مع الموظفين العاملين بتلك الجمعيات (بلور وآخرون، 2001: 14). كما أن بالإمكان استخدام جماعات المناقشة فى المواقف التى تكون فيها البيانات التى جمعت باستعمال طريقة أخرى، كطريقة الاستبيان المسحى مثلا، قد أدت إلى نتائج غير متوقعة، أو إلى نتائج لا يمكن تفسيرها فى ضوء البيانات المتاحة. وبهذا تتيح جماعة المناقشة للباحث أن يدرس حقيقة هذه النتائج مع تلك الجماعة، والتى قد تساعد الباحث على تفسير النتائج على نحو أفضل.

6 - **تمكين أو إشراك المشاركين (المبحوثين):** كذلك تستخدم جماعات المناقشة كوسيلة لإشراك الأفراد فى مناقشة القرارات التى يُزمع اتخاذها (والتى قد تتناول إحدى الخدمات التى ينتفعون بها، أو تتناول المرافق الجديدة فى الحى السكنى الذى يعيشون فيه) ولإعطاء المشاركين فى جماعة المناقشة إحساسا بأنهم «أصحاب» هذا البحث. وقد يكون هذا التصرف جزءًا من عملية استشارية أو تقييمية، إلا أنه ينطوى على تأكيد على أهمية المشاركين. وقد تتقابل أمثال جماعات المناقشة هذه أكثر من مرة على امتداد فترة من الزمن (فتلتقى مثلا بوصفها «هيئة محلفين مدنية» - من المواطنين - أو بوصفها حلقة لمناقشة أمور تتعلق بالمستهلكين أو بالمنتفعين بالخدمات).

مواقع عقد جماعات المناقشة

يمكن عقد جماعات المناقشة فى مواقع أو ظروف كثيرة، بعضها «طبيعي» (أو موجود بالفعل)، حيث يعرف المشاركون فيه بعضهم بعضا من قبل ذلك، لأنهم – مثلا – يترددون على نفس النادي، أو يقيمون فى نفس الشارع، أو يذهبون إلى نفس المدرسة. وبعض هذه المواقف «اصطناعى»، أى يؤسس خصيصا لغرض تجميع البيانات. ومع نمو وتزايد وسائل الاتصال الحديثة – وبالذات الإنترنت – أصبح من الممكن عقد جماعة مناقشة **إلكترونية** (فصل10) حيث لم يسبق للمشاركين فيها قط أن التقوا ببعضهم البعض وجها لوجه. بل إنه لم يعد من الصعب – فعلا – أن يكون المشاركون فى جماعة المناقشة موجودين فى أماكن شتى من العالم. ومن شأن مثل هذا الوضع أن يضيف بُعدا جديدا لنطاق المعلومات التى يمكن الوصول إليها بهذه الطريقة، نظرا لأن جماعة المناقشة الإلكترونية يمكنها أن تحقق اللقاء فى إطار هذه الجماعات بين أفراد لم يكن من الممكن أن يتفاعلوا بغير هذه الطريقة، كأولئك الذين ينتمون إلى ثقافات وقوميات مختلفة.

إن موضوع موقع عقد جماعة المناقشة يتعلق بما هو أكثر من مجرد المكان المادى. فالتفكير فى الموقع يعنى التفكير فى تكوين هذه الجماعة أيضا. لذلك يتعين علينا أن نفكر فى موضوع البحث وفى المواقع والسياقات التى يمكن استدعاء الأفراد وجمعهم فيها معا لمناقشة ذلك الموضوع. لذلك قد تشتمل المواقع أو السياقات المعتادة لعقد جماعات المناقشة على ما يلى:

- مكان العمل: وفيه يلتقى المشاركون الذين يؤدون أنواعا معينة من العمل.
- مركز اجتماعى، أو مدرسة أو مبنى عام مشابه: وفيه يلتقى الأفراد الذين يقيمون فى الحى ويستفيدون بخدمة محلية معينة، أو جميعة ما، إلخ.
- جماعات من الأفراد ذوى الاهتمامات المشتركة قد يكونون، وقد لا يكونون، مقيمين فى نفس المكان أو الحى السكني.
- المجتمعات الجغرافية الصغيرة: كالأفراد الذين يقيمون فى نفس المكان، أو الحى أو المدينة الصغيرة، ويجمع بينهم اهتمام مشترك أو خبرات مشتركة تتعلق بهذه المنطقة.
- المجتمعات الصغيرة غير المرتبطة بمكان معين: أى الأفراد ذوو الاهتمامات أو الخبرات المشتركة ممن لا يلتقون – فى العادة – لقاء حسيا.

- الجماعة الإلكترونية: يمكن لجماعة المناقشة الإلكترونية أن تجمع من الأفراد معا من يكونـون متقاربين أو متباعدين جغرافيا، كمـا يمكن أن تجمع أفرادا لهم خبرة معينة أو اهتمـام معين له صلة وثيقـة ببحثك (وهى الجماعة المكونـة اصطناعيا)، أو يمكن أن تضـم أفرادا يكون قـد سبق لهم أن اشتركوا فى نقاشـ إلكترونى (وهى الجماعة الطبيعية، أو قل الجماعة القائمة بالفعل) (انظر الفصل العاشر).

حجم جماعات المناقشة واختيار المشاركين فيها

مـا - إذن - الحجـم الذى ينبغى أن تكون عليه جماعـة المناقشة؟ وكم عدد جماعات المناقشة التى ينبغى عليك تشغيلها؟

بحثك

إن كنت تفكر فى استخدام جماعات المناقشة لتجمع البيانات لبحثك:

- فما حجم مجتمع البحث الذى تريد بحثه؟
- كـم عدد المشاركين (المبحوثين) الذين يمكنك الوصـول إليهم (وكم منهم يمكن أن يوافق على المشاركة)؟
- إن كنـت راغبـا فى استخدام جماعـات المناقشة فى جمع البيانـات، فهل أنت فى حاجـة لعقـد جلسات جماعـات مناقشة منفصلـة بسبب الاختلافـات فى الجنس، والعمر، والثقافة، وفى القوة . . . إلخ؟
- مـا المـوارد المتوافرة لـك للقيام بهـذا العمـل (مثال ذلـك: الاعتمـادات المالية، والأماكن، والمرافق، والمعدات . . . إلخ)؟
- هل تستخدم طرقا أخرى لجمع البيانات إلى جانب طريقة جماعات المناقشة؟
- ما مقدار الوقت المتاح لك لإنجاز هذا العمل؟

كثيرًا ما تتأثر البحوث التى يجريها الطلاب، خاصة إذا كان طالبًا جامعيًا لم يتخرج بعد؛ كثيرا ما يتأثر بالقيود (التى ذكرنا بعضا منها قبل ذلك) وأحيانا ما يضطر إلى اتخاذ قـرارات ذات طبيعـة عملية. ويبدو لنا أنـه ليس بالإمكان أن يزيد عـدد أفراد جماعة المناقشـة عن ثلاثـة مشاركين، وبالمثل نرى أنه من الصعوبـة إدارة النقاش فى جماعة يزيد عدد أفرادها عن 13 شخصًا.

لعل أول شيء ينبغى عليك أن تتذكره أن أعضاء جماعة المناقشة لابد أن يكون لديهم قدر من الإلمام بالموضوع الذى يجرى بحثه. فلا جدوى من الجهد المبذول بغير ذلك. وفى معظم الحالات، تضم جماعات المناقشة مجموعات الأقران، أى الأفراد «المتكافئين» فى القدرات، والخبرات، والإنجازات، إلى آخر الأمور التى لها صلة بموضوع البحث. وبالإمكان توسيع هذا المفهوم الخاص بجماعة الأقران قليلا لكى يضم أفرادًا من نفس البقعة الجغرافية، ممن يشتغلون فى نفس المؤسسة، أو ممن تجمع بينهم خبرات متماثلة - (آسبرى 1995، Asbury). وبطبيعة الأمر قد ترغب فى تكوين جماعة مناقشة لا تكون مؤلفة من أقران، ولكن إن فعلت ذلك فسيلزمك أن تهتم اهتماما خاصا بأن يكون لكل مشارك على حدة فرصة للإسهام فى المناقشة، خاصة إذا كان بعض أعضاء هذه الجماعة ينظرون إلى بعض الأعضاء الآخرين على أنهم أكثر أهمية، أو أرقى درجة فى البناء الهرمى للوظائف، أو أنهم يملكون قدرا أكبر من القوة.

كثيرا ما يوجه الانتقاد إلى بيانات جماعات المناقشة - خاصة ما كان منها ناجما عن عدد صغير من الجماعات التى تضم أعدادا ضئيلة من المشاركين - بأنها تفتقر إلى الثبات المنهجى والقابلية للتعميم حين لا يحاول الباحث - فعلا - أن يحقق الثبات المنهجى والقابلية للتعميم بالمعنى الذى يُستعمل به هذان المصطلحان عند معالجة البيانات الكمية (فصل3 باب1، وفصل4 باب 2). تذكر أن البيانات التى تجمعها من جماعات المناقشة هى بيانات كيفية وأنك - فى العادة - ستختار المشاركين بناء على ما يتمتعون به من خبرة أو اهتمام يمكن أن يسهموا به فى مناقشة موضوع بحثك. يتم تكوين معظم جماعات المناقشة بالاعتماد على العينات العمدية (فصل5 باب2): وهى العينات التى تختار عن عمد لتضم أفرادا لديهم خبرة، أو موقف، أو رأى ما يتصل بموضوع بحثك. كما أنها قد تُختار أحيانا لتضم - عن قصد - أفرادا ذوى خبرات أو آراء يحتمل أن تكون مختلفة. يلزم الباحث أن يكون متنبها للتحيز المحتمل داخل هذه العينة، وأن يحاول التأكد من أن الآراء والخبرات المختلفة المتصلة بموضوع البحث قد أدرجت فى الجماعة. على أن هذا الوضع ليس ممكنا على الدوام، كما يشرح ذلك مورجان عندما يقول:

«إذا كان من شأن مصدر معين من مصادر تجميع المشاركين أن يفرض - بالفعل - قيودا على طبيعة البيانات المتاحة، فإن ذلك يفرض على الباحث الاختيار بين التصرف فى حدود هذه القيود، أو العثور على مصادر أخرى لتجميع المشاركين من شأنها تقليل هذه التحيزات» (مورجان، 1997).

من الأمور الأخرى التى ينبغى إدخالها فى الحسبان عند اختيار المشاركين فى جماعة المناقشة، طبيعة ديناميات الجماعة التى تحدد الطريقة التى سوف تتصرف وفقا

لهـا هذه الجماعة. فمن النـادر أن يستطيع الباحـث التنبؤ بدقة بالطريقـة التى وفقا لها سوف تعمل جماعة ما معا، خاصة إذا كان هؤلاء المشاركون مجهولين للباحث. وأيا ما كان الأمر، فإنك تستطيع من واقع خبرتك الشخصية ومعرفتك الوثيقة بموضوع بحثك أن تصل إلى تقدير التصرف الذى يترجح أن يحقق لك هدفك.

مثـال ذلك أنه إن كان الموضـوع متصلا بجانب ما من سلوك مرحلة المراهقة، كأن يكـون متعلقا بالتدخـين، أو المعرفة الجنسية، أو شرب الخمر فـى الحفلات الصاخبة، فإن إدارة جماعـة مناقشة تضم كلا من المراهقين والمراهقات وآبائهم وأمهاتهم قد تمثل حَجْـرا على حرية المراهقين فـى الإسهام فى النقاش، وقد يكـون الآباء والأمهات أقل ميـلا إلى التعبير عـن الأمور التى تقلقهم. لهـذا قد يكون من الأوفـق تكوين جماعتى مناقشـة منفصلتين، واحدة للمراهقين والمراهقـات، وواحدة للآباء والأمهات، وبذلك تكونان أكثر فعالية فى توليد البيانات المفيدة.

وبالمثـل، قد توجد أعراف ومسلمات ثقافية تتحكم فيما يمكن وفيما لا يمكن الإفصاح عنه داخل جماعة ما، الأمر الذى قد يعوق المشارك عن التعبير عن مكنون نفسه. ولابد من إدخال هذه الأعراف والمسلمات فى الحسبان فى بعض الحالات التى منها مثلا جمع الرجال والنساء معا فى جماعة مناقشة، أو جمع أفراد ينتمون لإثنيات مختلفة، أو أفراد يعانون من بعض أنواع العجز البدنى (فصل5 باب1).

جميـل أن تستخدم جماعة موجـودة بالفعل، وذلك بالرغم من أنـك لابد أن تكون متنبها إلى أن ديناميات الجماعة داخل جماعة يعرف فيها الأفراد بعضهم بعضا ستكون مختلفـة عما هـو عليه الحال فـى جماعة لا يعـرف أفرادها بعضهم بعضـا. وقد توجد علاقات قوة قائمة فعلا، وشخصيـات مسيطرة، واختلافات فى الرأى لا تكون متنبها لها (انظر المثال «5-3»).

جماعات المناقشة والقضايا الأخلاقية

يمكن القول بصفة عامة أن القضايا الأخلاقية المرتبطة بجماعات المناقشة التى تجرى عـن طريق المقابلة المباشرة وجها لوجه، هى نفسها نفس القضايا الخاصة بطرق البحث الاجتماعى الأخرى (هومان، 2004). وهى تدور حول: موضوع السلامة، والحفاظ على السرية ومجهولية الاسم، والموافقة عن علم (فصل 5 باب1). وتوجد قضية خاصة فيما يتصـل باستخدام جماعـات المناقشة، وهى طريقـة تناول البيانـات الحساسة، أو السرية داخل الجماعة وبواسطة أعضاء الجماعة (جيبس 1997، Gibbs)، وهو الأمر الذى سيكون موجودا دائمًا نظرا لوجود مشاركين متعددين. فقد يكون المشاركون فى

الجماعة غير راغبين فى الكشف عن المعلومات المتعلقة بهم لأعضاء الجماعة الآخرين. قد يكون هذا مزعجًا بصفة خاصة للمشاركين الذين يعرفون بعضهم بعضا بالفعل، أو الذين سيلتقون ببعضهم البعض مرة ثانية بعد جلسات جماعة المناقشة. ولا يمكن أن يضمن الباحث سرية البيانات التى تم الإفصاح عنها داخل الجماعة. وذلك إن كان لا يستطيع أن يسيطر - خارج نطاق الجماعة - على طريقة استخدام المعلومات التى كُشف عنها داخل الجماعة. وأيا ما كان الأمر، فإن بإمكان الباحث أن يطلب من المشاركين فى الجماعة أن يحترموا الطبيعة السرية لكافة المعلومات التى تبادلوها داخل الجماعة، وأن على الواحد منهم أن يحترم نفس هذه الرغبات لدى غيره من الأعضاء. وأفضل ما يُعالج به هذا الموقف أن يتأكد الباحث من أن المشاركين يدركون بوضوح ما المعلومات التى يمكن البوح بها خارج الجماعة، هذا إن وجدت معلومة من هذا القبيل أصلا. كما يلتزم الباحثون بواجبهم المتعارف عليه بالحفاظ على إخفاء أسماء المشاركين وعلى سرية المعلومات.

وهناك بعض القضايا الأخلاقية الأخرى التى يجب التنبه لها فيما يتصل بجماعات المناقشة الافتراضية التى تنفذ على الإنترنت أو من خلال جماعات المناقشة التى تتم من خلال البريد الإلكترونى (الإيميل) (الفصل العاشر).

الجوانب العملية

تجميع المشاركين فى جماعة المناقشة

بعد اتخاذ القرار الذى يحدد حجم جماعات المناقشة التى تسعى إلى تكوينها، وعدد أفراد كل منها، وتركيبة كل جماعة؛ بعد ذلك سيكون عليك أن تفكر بشكل إبداعى تماما فى ابتكار طرق لتجميع الأفراد فى جماعات المناقشة التى تريدها. وإليك بعض الأفكار فى هذا الشأن:

١ - تحقق مما إذا كان يوجد جماعات قائمة بالفعل أو أماكن اجتماع من شأن الأفراد الذين تريد جمعهم أن يوجدوا فيها، كناد للشباب، أو مركز رعاية نهارية للمسنين، أو مركز طبى، أو مدرسة (للاجتماع بأولياء الأمور من الآباء والأمهات، أو المدرسين، أو الطلبة)، أو أحد بيوت الإيواء، أو مكان من أماكن العمل. وقد تكون قادرا على تعليق ملصق (تأكد إن كنت تحتاج إلى إذن مسبق بذلك) تطلب فيه متطوعين، أو تواصل العمل فتتحدث عن بحثك مع مجموعة من الناس تطلب منهم التطوع للمشاركة فى البحث. من المفيد لك فى عملية تجميع المشاركين أن تكون قادرا على جمع جماعات المناقشة فى هذا المكان: تحقق من هذه الإمكانية أيضا.

٢ - كـرة الثلج : اطلب من أوائـل الأفراد الذين قبلوا المشاركـة أن يزكّوك أو يتصلوا شخصيا بمن يتوفر لديه - كذلك - اهتمام بموضوع البحث (فصل5 باب 2).

٣ - تحقـق ممـا إذا كانـت توجد جماعـات قائمة بالفعل تلتقـى بشكل منتظـم فى المراكز الاجتماعية، أو دور العبادة، أو فى مكان العمل، وما أشبه ذلك من الأماكن التى قد يرغب أعضاؤها فى المشاركة فى جماعة مناقشة كجزء من برنامج حياتهم العادى. من مزايا ذلك أنه سيتوفر لك - بصورة تلقائية - مكان للالتقاء بهذه الجماعة.

٤ - أعلـن عـن جماعات المناقشة التـى تريدها، كأن يكون ذلك فـى الصحف المحلية، أو مـن خلال جماعات البريـد الإلكترونى أو على مواقـع الشبكة التى يترجح أن يستخدمهـا المشاركون المحتملـون. واطلب من الأفـراد أن يتصلوا بك ليزودوك بمزيد مـن المعلومات، بحيث تستطيع وقتها أن تتحقق من توافر الشروط المطلوبة فيهم، كما قد تستطيع التحقق من جماعات المناقشة التى تديرها وتحديد أيها ستكون الأنسب لهؤلاء المشاركين المحتملين.

مـن الأفـكار الجيدة عادة أن تدعوا مـن الأفراد عددًا أكبر مما تحتـاج إليه، إذ من المحتمـل أن لا يحضر بعض الأفراد. ولحث الأفراد على الحضور، يحسن بك أن تعد نشرة ذات شكل جذاب تزودهم بكل ما يحتاجونه من معلومات.

المثال (5-1)

الدعوة إلى جماعة مناقشة

عزيزى المشارك فى جماعة المناقشة

أشكرك على موافقتك على المشاركة فى جماعة المناقشة هذه.

ما الذى تحتاج أن تعرفه عن بحثى:

أنا أقوم ببحث عن موضوع . . . .

كجزء من دراساتى فى (كلية كذا، أو جامعة كذا) . . . . .

وحينما أكون قد انتهيت من هذا البحث فإن نتائجه سوف . . . .

وأدعوك إلى المشاركة فى النقاش داخل جماعة مناقشة مع أفراد آخرين من . . . .

وذلك فى يوم . . . .   الساعة . . . .

فى (العنوان . . . .)

سيستمر النقاش زمنا قدره حوالى . . . . وسوف تقدم بعض المشروبات الخفيفة.

أرجو أن يحظى أعضاء الجماعــة بفرصة طيبة لتبادل خبراتهم وآرائهم المتنوعة فى هذا الموضوع المهم. تأكد أنه لن يتم الإفصاح عن هويتك الشخصية فى أى شىء يكتب أو يسجل عن هذا البحث، كما أن ما سوف تقوله سيبقى سريا داخل الجماعة.

إن كان لديك أى أسئلة حالا أو فيما بعد فيمكنك الاتصال بى على هاتف رقم ......

أو على البريد الإلكترونى ......

أشكرك على مساعدتك، ولاشك أن مشاركتك محل تقدير.

إننى أتطلع لرؤيتك.

جاك (الاسم والتوقيع) ....

يبعــث بعض الباحثين بخطابــات للتذكير أو رسائل إلكترونيــة، أو يبعثون برسائل مكتوبة، أو يتصلون هاتفيا بالمشاركين فى وقت قريب من موعد انعقاد جماعة المناقشة.

من الناحية العملية، يكون من الصعب فى كثير من الأحيان إقناع الأفراد بالاشتراك فــى جلسات جماعة المناقشة مــا لم يُعرض عليهم حافز ما. وقد يكــون هذا الحافز مبلغا صغيرا من المال، أو بعض قسائم التخفيض، أو فرصة الاشتراك فى سحب على إحدى الجوائــز. وهنــاك بعض بدائل لهذه الحوافــز - خاصة بالنسبــة للباحثين ذوى الموارد المالية المحدودة - يمكن أن تشمل تقديم وجبات خفيفة أو تقديم قدر كبير من المعلومات، أو ربــط اجتماع جماعة المناقشة ببعضــ الأنشطة الأخرى من قبيل الدعوة إلى حضور أمسية تقيمها إحدى المدارس للآباء والأمهات، أو حضور مناسبة على مستوى المجتمع المحلى، أو عرض مسرحى أو مشاهدة أحد المعارض، أو ربط جماعة المناقشة باجتماع لجماعــة أو «شلــة» قائمة بالفعل. وقــد يحدث ذلك فى مركز رعايــة خارجية، أو فى مكان لاجتماع سكان عقار ما، أو فى أحد نوادى الشباب.

أين ومتى؟

يتوقــف تحديد مكان وزمــان انعقاد جماعــة المناقشة على من يكونــون أعضاء هذه الجماعة وما إذا كان اللقاء سيتم وجها لوجه أم سيكون لقاء «افتراضيا» باستخدام واحدة مــن الإمكانيات الإلكترونية المتاحة علــى الشبكة (الفصل العاشر). وفى كلتا الحالتين لا بد أن تلتقى الجماعة فى زمان ومكان يناسبان المشاركين فى جماعة المناقشة. كما يمكن استبعــاد بعض المشاركين المحتملين مــن المشاركة فى جماعة المناقشــة فى ضوء اختيار الباحث للمكان والوقت (اللذين قد لا يناسبانهم).

جماعات المناقشة المركزة

من المهم عند التخطيط لتكوين جماعة مناقشة أن يفكر الباحث فى المشاركين، وذلك من حيث الأماكن التى يمكن أن تكون مريحة فى نظرهم، ويكون من السهل عليهم الوصول إليها والشعور بأنها ملائمة لهم. مثال ذلك أن كثيرا من الناس قد يشعرون بالقلق إذا عقدت الجماعة فى كنيسة، أو فى مسجد، وقد تفضل بعض الجماعات أماكن مألوفة لها قريبة من بيوتها. ويفضل آخرون ما يوفره لهم المركز الاجتماعى للمدينة - كمكان لانعقاد جماعة المناقشة - من فرصة لعدم الإفصاح عن هوياتهم. وبالنسبة لبعض الجماعات، كالمسنين أو المصابين بعجز بدنى مثلا، قد يتوجب مثلا توفير وسيلة مواصلات لنقلهم إلى مكان الاجتماع. فإن اتضح للمشاركين المحتملين أن الباحث لم يفكر فى تلبية احتياجاتهم، فسيكون من المستبعد موافقتهم على الاشتراك فى هذه الجماعة.

كذلك يعد توقيت انعقاد الجماعة على نفس القدر من الأهمية، فالجماعات التى تنعقد أثناء النهار سوف تستبعد - فى الغالب - المداومين فى وظائفهم، كما يمثل ذلك شكلا من أشكال التحيز (فصل5 باب 2). أما لقاءات الجماعات التى تعقد فى المساء فقد تحول هى الأخرى دون حضور الأفراد الذين لا يحبون الخروج من بيوتهم بعد الغروب بسبب الخوف من التعرض للجريمة أو بسبب عدم توفر وسائل المواصلات المناسبة. وقد يجد الأفراد الذين لديهم أطفال صغار أن عقد اللقاء خلال الساعات الأولى من المساء أمر عسير بسبب مواعيد إطعام الأطفال ومواعيد نومهم.

إن حجرة مضيئة جيدة التهوية بها مقاعد مريحة مرتبة فى هيئة دائرة لتساعد الأفراد على الشعور بالارتياح والاسترخاء، كما أن من شأن تقديم مشروبات خفيفة أن يزيد من إضفاء جو ودى خال من التكلف والرسميات. تأكد أن القاعة مجهزة تجهيزا جيدًا قبل وصول أول مشارك، وتأكد من أنك (وربما مساعدك فى إدارة الجلسة) متأهبان للترحيب بالأفراد عندما يصلون، ولإعطائهم شارات لتعليقها مكتوب عليها أسماؤهم. وتأكد من وجود لافتات على كافة المداخل المؤدية إلى هذا المبنى تحدد مكان هذه القاعة. وعليك أن تقوم بتقديم الذين يحضرون متأخرين إلى بقية أعضاء الجماعة، وإتاحة الفرصة لهم للاشتراك فى المناقشة فى أقرب وقت ممكن. وإن كنت تستعمل أجهزة للتسجيل، أو سبورة ورقية(*)

(*) السبورة الورقية Flipcharts هى عبارة عن لوح خشبى - أو نحو ذلك - على هيئة سبورة، لا تثبت إلى الحائط ولكن ترفع على حوامل (ثلاثة أو أربعة). ويثبت على تلك السبورة فى الجهة المواجهة للجمهور كمية من «أفرخ» الورق، تكون مُهيئة لأن يكتب عليها المحاضر، وبعد أن يفرغ من صفحة يقلبها إلى أعلى لتستقر خلف السبورة، ويجد مكانها صفحة جديدة خالية. وقد تكون الأوراق المثبتة على السبورة عبارة عن خرائط، أو أشكال، أو رسوم، أو إحصائيات . . . إلخ. تكون جميعها جاهزة لكى تستخدم فى الشرح. وكلما فرغ من ورقة قلبها إلى أعلى لتستقر خلف السبورة. ويسميها البعض اللوحات القلابة. ولكن الترجمة التى أوردناها هى الأدق فى التعبير عن طبيعة الدور التعليمى (والإيضاحى) لتلك الأداة. (المترجم)

(يتـم قلبهـا للخلف بعد عرضها، لإظهار اللوحات الأخـرى) أو غير ذلك من المعدات، فلا بـد من تجهيز هـذه الأشياء قبل حضـور المشاركين. كما يتعين عليـك أن تتدرب جيدا على استخـدام هذه الأشياء (الفصل الثانى) بحيث لا يحدث أى تأخير في بدء الجلسة أو تطرأ أى مشكلة توقـف المناقشة الدائرة بين أعضاء الجماعة. وتذكر دائمًـا أن الأفراد المشتركين فى جماعات المناقشة يضحون بوقتهم ويتبادلون خبراتهم مع غيرهم لما فيه صالح بحثك.

جماعات المناقشة الإلكترونية

هـذا مجال آخذ فـى الاتساع أمـام الباحثين الاجتماعيين (انظـر «كنى» Kenny، 2005) كما أنه يوجد عدد من الطرق والأساليب المختلفة التى يمكن استعمالها (نتناول هذا الموضوع فى الفصل العاشر).

إدارة جماعات المناقشة

أولى السمـات المميزة لجماعة المناقشة أنها كذلـك بالضبط - أى إنها جماعة - وأنت بوصفـك الباحـث تعتبر (عادة) القائم علـى إدارة هذه الجماعة أيضـا. وهذا معناه أنك مسئول عن هذه الجماعة، وبصفة خاصة عن تمكين الجماعة من الحديث عن موضوع بحثـك وتحقيق التفاعـل فيما بين أعضائها والتفاعل معك. وللقيـام بهذا العمل عليك أن تكون ذا بصيرة نافذة تدرك بها ما يجرى داخل الجماعة وتتأكد - كذلك - من أنك قادر على جمع البيانات التى تساعدك فى الإجابة على أسئلة بحثك.

وقـد وصف البعض دور المدير بأنه دور «منسق إيقاع الحركة»[*] (بوكتا Puchta وبوتـر Potter، 2004) بما يعطى الانطباع بأن دور المدير أو المنسق هو إيجاد طرق لتوجيـه أعضاء هذه الجماعة للقيام بدورها كجماعة مناقشة على الوجه الأفضل. ثم إن جماعـات المناقشة جماعات معنية بعمليـة الأداء (الدرامى). ومهما قيل خلال النقاش، وسـواء كان هـذا الذى يقـال وجهة نظر تطـرح أو حكاية تروى، فإن ذلـك يتم أمام جمهور من المستمعـين، كما أن هذا الجمهور حافل بالمؤدين (الدراميين) الآخرين. إذ يـرى علماء النفـس الاجتماعى أن الأفراد - وسط الجماعـة - لا يعرضون اتجاهاتهم الفرديـة المترسخـة لديهم، وإنمـا يقومون بعرضـ ما لديهم مـن التقييمـات والآراء والخـبرات المتعلقـة بسياق الموقف (وهو فـى هذه الحالة: جماعـة المناقشة هذه) وذات الصلـة بالأفـراد الذين يتفاعلون معهـم (بوكتا وبوتر، 2004). فجماعـة المناقشة إنما تصمم لتمكين الأعضاء من القيام بذلك تحديدا.

---

[*] ترجمنـا هذا التعبـير بتصرف محدود ليناسب السياق العربى، فالوصـف المستخدم فى الأصل، والذى تصرفنـا فيـه هو «منسق الأداء الحركى (فـى الرقص) التفاعلـى» أى: Facilitator (or moderator) in interactional choreography. (المترجم)

السمة المميزة الثانية لجماعـات المناقشة هى أنها طريقة تفاعلية وليست مجرد طريقة لطـرح نفس السؤال على كل شخص. ولا ريـب أن الباحث هو الذى يتولى إدارة هذا التفاعل داخل الجماعة.

وهكذا يكون عليك – باعتبارك القائم على إدارة النقاش – أن تتأكد من:

- أن أعضاء الجماعة يتفاعلون مع بعضهم البعض.
- وأن المناقشة تظل مركزة على موضوع بحثك.
- وأنك «لا تقود» المناقشة أو تؤثر عليها.
- وأنــك متنبه لديناميـات الجماعة ولطريقة شعـور المشاركين بهـذه الجماعة وما هو إحساسهم تجاهها.

ويستخدم معظـم القائمين على إدارة جماعات المناقشـة نوعًا من «دليل الموضوع» (انظر قائمة المصطلحات فى نهاية الكتاب) لمساعدتهم فى القيام بهذا العمل.

ما دليل الموضوع؟

هـو مجموعة من الأسئلة أو النقـاط الرئيسية أو الأسئلة المحفزة المقرر أن يغطيها الحوار داخل جماعة المناقشة أو أثناء المقابلة، وأهم وظائفه:

- يساعد المنسق على تذكر القضايا أو الأسئلة التى تطرح،
- ويقترح طرقا لمعالجة الموضوعات وصياغة الأسئلة،
- ويذكِّر المنسق بأن يطرح أسئلة تفتيح الموضوع ويتابع التعليقات،
- ويشتمل على نوع من التقديم وطريقة لإنهاء اللقاء،
- يكفـل تغطية نفس الموضوعات فى كل جماعة، وذلك إذا كنت تعقد جلسات لأكثر من جماعة مناقشة واحدة أو إن كان يشترك فى إدارة الحوار داخل تلك الجماعات اثنان أو أكثر من المنسقين.

يعتبر دليل الموضوع الوارد فى المثال (5–2) نموذجًا يتسم بالملامح التالية:

- قالب معين **لتقديم وإنهاء جماعة المناقشة**، وذلك للتأكد من أن حديثك يغطى كافة المعلومـات المهمة عن: الحفاظ على السرية، وهدف البحـث، وما سيتم عمله بنتائج البحث وتسجيلاته، وللتأكد من أنه تم تقديم الشكر للمشاركين على مشاركتهم.
- **سـؤال تمهيدى** لحث الأفـراد على الكلام: إذ يوجه السـؤال الأول إلى كل مشارك تباعا، بحيث تتاح لكل واحد مبكرا فرصة لأن يقول شيئا ما فى هذا النقاش.

● أربعة أو خمسة **أسئلة عامة** لتقديم الجوانب المختلفة للموضوع ، والتى تريد من الجماعة أن تناقشها.

● أسئلة متتابعة لتفتيح الموضوع (مثال ذلك : «كيف حدث ذلك؟» ، و«هل يمكنك أن تحكي لنا المزيد عن . . . ؟» ، و«ماذا تقصد بكذا . . ؟»). ومجموعة أخرى من الأسئلة المحفزة: (مثال ذلك : «ماذا تقول عن الأفراد الآخرين الذين يعيشون معك فى بيتك»؟ و«ماذا تقول عن جيرانك؟») وذلك لحث الأفراد على الإفاضة بذكر المزيد من التفاصيل وعلى تبادل المزيد من الخبرات والأفكار (انظر الفصل الرابع الذى يحتوى على بعض أسئلة تفتيح الموضوع المفيدة فى إجراء المقابلات ، والتى يمكن استعمالها أيضا فى جماعات المناقشة).

● أسلوب معين للأخذ بيد جماعة المناقشة إلى نهاية الحوار بتكليفهم بمهمة ما أو واجب معين (انظر لاحقا المزيد عن الأفكار الخاصة بالمهام أو الواجبات).

المثال (5-2)

دليل موضوع لجماعة مناقشة عن : ما الذي يجعل من المكان «مكانا صحيا» لمن يعيش فيه؟

بداية الجلسة	أشكركم على الحضور. سوف تستغرق هذه الجلسة نحو ساعة ، وأى شيء تقولونه هنا سيكون سريا بحيث إنه لن يتم الإفصاح عن هوية أى واحد منكم فى أى تقرير يكتب عن هذا الاجتماع . كما نرجوكم أن تحترموا سرية بيانات الآخرين بعد مغادرتكم هذا اللقاء. إننا نعمل مع أفراد آخرين فى «وستوود» لنتعرف على تصورات الأفراد عما يجعل مكانا ما مكانا صحيا لمن يعيش فيه. ونحن نجرى حوارا مع جماعات من الأفراد مثل جماعتكم هذه ، وسوف يستفاد بالنتائج المستقاة من هذه الجماعات لمساعدة واضعى السياسات والموظفين المحليين على جعل «وستوود» مكانا أرقى صحيا لمن يعيش فيه. **أود أن أبدأ برجاء لكل واحد منكم أن يقدم نفسه ، ويكفى فى ذلك أن يذكر اسمه ، ويتحدث عن المدة التى عاشها أو عمل أثناءها فى «وستوود» وبعض الأشياء التى تحبها فى المعيشة فى هذه المدينة.**

تابع بداية الجلسة	**١ - أود أن تبدأ الحديث عما يعنيه كون الإنسان متمتعًا بالصحة فى نظرك، هل هو:** الصحة البدنية الصحة العقلية الخلو من الأمراض أسلوب المعيشة **● وماذا عن غيرك من الأفراد الذين يعيشون معك؟**
منتصف الجلسة	**٢ - ما أنواع الأشياء التى تعتقد أنها مفيدة لصحتك فى المنزل؟** فى الحى السكنى الذى تعيش فيه؟ **● وماذا عن غيرك من الأفراد الذين يعيشون معك؟** **٣ - ما أنواع الأشياء التى ليست مفيدة لصحتك؟** فى المنزل؟ فى الحى السكنى الذى تعيش فيه؟ **● وماذا عن غيرك من الأفراد الذين يعيشون معك؟** **٤ - ما الذى يمنعكما كوالدين من أن تعيشا حياة صحية؟** **● ما الذى يمكن عمله لتغيير هذا الوضع؟** **٥ - ما الذى يمنع أطفالكم من أن يعيشوا حياة صحية؟** **● ما الذى يمكن عمله لتغيير هذا الوضع؟**
النهاية	٦ - أيمكنك أن تقترح أمرا واحدا من شأنه أن يحسّن مستوى صحتك وسعادتك على نحو ملحوظ؟ (اجمع الإجابات على السبورة الورقية). ٧ - أيمكنك أن تقترح أمرا واحدا من شأنه أن يحسّن مستوى صحة وسعادة طفلك أو أطفالك على نحو ملحوظ؟ (اجمع الإجابات على السبورة الورقية).

المهمة أو الواجب	٨ - ما الأمور التى يمكن أن تجعل «وستوود» مكانا أرقى صحيا لمن يعيش فيه؟ (اجمع الإجابات على السبورة الورقية). • تحديد أولويات المهام، حيث يطلب من كل شخص أن يحدد أعلى ثلاث أولويات فى نظره، ويؤشر عليها عن طريق لصق نجوم أمامها. ٩ - أتود أن تضيف أى شيء آخر؟ أشكركم على مشاركتكم فى هذا النقاش. إننا نعقد عددا من جلسات النقاش مثل هذه الجلسة، وسوف نقوم بعد ذلك بتبليغ نتائج جلساتنا للأفراد الذين يعيشون أو يعملون فى هذه المنطقة فى نهاية العام. أرجو أن تتقبلوا علبة الطعام الصحى المقدمة لكل منكم، وقسائم التخفيض المقدمة كمكافأة للمشاركة فى جماعة المناقشة.

تساعد هذه المهام - أو الواجبات - المشاركين على التفاعل والعمل معا، كما توفر للأفراد فرصة للتعبير عن آرائهم. وإليك بعض الأفكار فى هذا الشأن:

- **جماعات الهمس:** أثناء جلسة جماعة المناقشة، اطلب من الأفراد أن يناقش كل اثنين منهم بعضهما فى قضية ما، ثم يتناقش كل أربعة منهم فى هذه القضية، وذلك قبل مناقشة هذه القضية من جانب الجماعة بأسرها. فمن شأن ذلك أن يعين الحضور على تأمل الموضوع وإمعان النظر فيه قبل أن تتناوله الجماعة بأكملها.
- **تحديد الأولويات:** ضع قائمة بكل الأفكار المختلفة التى ذكرها الأفراد فى لوحة قلابة، ثم اطلب منهم أن يحددوا أهم هذه الأفكار فى نظرهم عن طريق سؤالهم أن يضعوا بطاقة لاصقة -كعلامة- أمام ما يرونه أهم فكرة، أو ثانى الأفكار أهمية، أو ثالث الأفكار أهمية، فإن ذلك يعطى الأفراد فرصة التعبير عما يعتبر مهما فى نظر كل واحد منهم.
- **تحديد الجماعة للأولويات:** قدم للجماعة مقدارا من قطع العملة الرمزية (غير الحقيقية: «الماركات») «لينفقوا منها على الخدمات الصحية لمختلف جماعات الأفراد، مثلا. كيف سيوزعون هذا «المال» على وجوه الإنفاق؟ فمن شأن ذلك أن يساعد الجماعة على أن يتفاعل أعضاؤها مع بعضهم البعض بأكثر مما يتفاعلون مع مدير اللقاء.
- **عوامل تحفيز المناقشة:** فى أثناء انعقاد جلسة جماعة المناقشة، قدم معلومة ما، أو اطرح قضية محل خلاف، أو صورة، أو اعرض فيلم فيديو قصيرا، ثم اطلب منهم تعليقات مباشرة. فبإمكان ذلك أن يكون وسيلة لطرح الآراء المتعارضة، أو تقديم

المعلومات التى قد لا تكون معروفة لجميع أعضاء الجماعة، أو بعض جوانب القضية التى قد لا يمكن طرحها إلا بهذه الطريقة.

بحثك

فكر فى موضوع بحثك، ثم اشرح كيف تشجع الأفراد على التحدث عنه؟

تتصف جماعات المناقشة – بحكم طبيعتها – بأنها شديدة التنوع، كما أن الطريقة التى تناقش بها كل جماعة موضوع بحثك سوف تختلف تبعا لتركيبة الجماعة، وما إذا كان الأفراد يعرف بعضهم بعضا، وتبعا لأنماط الخبرة التى يجلبها أولئك الأفراد إلى هذا اللقاء وعلى مدى تأثرهم – كأفراد أو ربما كمجموعة إثنية أو نوعية (ذكور وإناث) – بموضوع البحث. وبصفتك القائم على إدارة اللقاء، يتعين عليك العمل مع هذه الجماعة لتمكين كل الأعضاء من الاشتراك فيها على الوجه الذى يرغبون فيه. كما أن عليك أن تتأكد من أن الأفراد يشعرون بالراحة النفسية والتقدير داخل المكان الذى تنعقد فيه جماعة المناقشة. وليس هذا بالأمر السهل دائما، إذ يجب أن تكون جاهزا لمساعدة الجماعة على أداء مهمتها بنجاح.

إذن فماذا يحدث لو أن:

- ... فردًا لم يشارك؟
- ... أو دب الخلاف بين فردين؟
- ... أو أصاب القلق والانزعاج أحدهم بسبب موضوع البحث؟
- ... أو كذا، أو كذا ...

المثال (5-3)

إذن ماذا يمكن أن يحدث لو أنك تقوم بإدارة لقاء جماعة مناقشة، وأن النقاش أخذ يتطور بصورة جيدة تماما ولكن ...

... بعد برهة تلاحظ أن شخصا واحدا بعينة هو أول من يجيب – دائمًا عندما تطرح سؤالا على الجماعة، كما أنه يقاطع – أحيانا – غيره من الأفراد عندما يتحدثون، فماذا ستفعل؟

أفكار نافعة فى هذه الحالة:

- اصـرف نظرك عن هـذا الشخص وانظر تجاه مشارك آخـر، داعيا إياه إلى أن يسهم فى المناقشة.
- ارفع يدك قليلا فى إشارة «ليتوقف» أثناء نظرك نحو مشارك آخر.
- قل: «لعلنا نستطيع الاستماع إلى شخص آخر الآن».

. . . . . . بعد الدقائق القليلة الأولى، تتبين أن ثلاثا من النساء الحاضرات يجلسن فى صمت ولا يشاركن، ثم يبدأن الكلام مع بعضهن فى هدوء ملحوظ، ويضحكن أحيانا، فماذا ستفعل؟

أفكار نافعة للتصرف:

- انظر إليهن، داعيا إياهن للاشتراك فى النقاش.
- وجه سؤالا بصورة مباشرة إليهن بالاسم.
- ادعُهن ليتشاركن أفكارهن مع الجماعة.

. . . أثناء تطور النقاش، تجد أن فردين يستحوذان على زمام الحوار، ويتبنيان وجهتـى نظر متعارضتين. وفى أثناء تطور الجدال، والخلاف، ينسحب الأعضاء الآخرون تاركين هذين الشخصين «يخوضان هذه المعركة للنهاية». فماذا ستفعل؟

أفكار نافعة فى مثل هذه الحالة:

- قاطعهمـا قائلا: «حسنا، يبدو لى أن (فلانا) يأخـذ بوجهة نظر ما، وأن (الآخر) يأخذ بوجهة نظر أخرى، فما هى يا ترى وجهات نظر الآخرين؟
- ادع الحاضريـن، واحدا بعد الآخر، أن يذكروا ما وجهة النظر الرئيسية عندهم ثم افتح باب المناقشة للآخرين.

. . . يبـدى أحد الرجال ملاحظة تتصل بالمرأة تتسبب فـى إزعاج بعض النساء الحاضـرات فيعترضـن عليه ويصفنـه بأنه «متعصـب ضد الجنـس الآخر»، وقد يتصدى أعضاء آخرون للدفاع عنه، فماذا ستفعل؟

أفكار نافعة

- قاطـع ذلـك الشخص قائلا: «حسنا، فـى بعض الأحيان يقـول البعض كلاما قد يزعـج الآخرين، كما قد يكون لهم أفكار مختلفة عمـا يُقبل قوله فى جماعة. هل

لى أن أقــترح متابعة مناقشتنا عن (موضوع البحث) ونتفق على أننا جميعا سوف نراعى مشاعر أعضاء الجماعة الآخرين؟. هل يمكن أن أطمئن إلى أن طلبى هذا مقبول من كل واحد منكم؟»

- إذا لم يرغــب بعض المشاركين فى متابعــة النقاش مع الجماعة، فاسمح لهم بترك المكان وأخذ فترة راحة قصيرة قبل مواصلة النقاش.

. . . إحــدى السيــدات ظلت شديدة الهــدوء طوال المرحلــة الأولى من النقاش، وبعــد ذلــك - وحين تتوقف المناقشة - تبدأ فى روايــة حكايتها الشخصية التى ترتبط بالموضــوع الذى تناقشه هذه الجماعــة. وهى قصة مؤلمة تدفعهــا إلى البكاء. يكون بعض أعضاء الجماعة شديدى التعاطف ويعبرون عن اهتمامهم بموضوع النقاش، والبعض الآخر يلوذ بالصمت. فماذا يمكن أن تفعل؟

أفكار نافعة

- أشكرها على روايتها لحكايتها.
- اقــترح أخذ فترة راحة قصيرة قبل استئناف النقاش، وتحقق مما إذا كانت ترغب فى الاستمرار فى الجماعة أم لا.
- كــن مستعدا بالمعلومــات المتعلقة بمصــادر المساعدة والمشورة التــى يمكن تقديمها للمشاركين عندما يغادرون مكان اللقاء.

تسجيل جلسة جماعة المناقشة

الوضع الأمثل أن يتم تسجيل لقاء جماعة المناقشة باستعمال مسجل رقمي أو شريطى مناســب مــع ميكروفونات صوتية تحيط بمــكان الجلسة. من شأن ذلــك أن يمكنك من تسجيــل الأصــوات المختلفة فى لقاء الجماعة بوضــوح. إلا أن ذلك لا يكون فى الغالب ممكنــا، كما أن الباحث قــد يعتمد على مذكراتــه، وعلى قوائم الإجابــات المدونة على اللوحات القلابة، وعلى الملاحظات التى يدونها بعد جلسة جماعة المناقشة مباشرة. وفى كل الأحوال يتعين إعداد تقرير مستوفى بقدر الإمكان عن لقاء جماعة المناقشة فى أقرب وقــت بعد انتهاء الجلسة. وسواء أكان ذلك من خلال نسخ التسجيل أم من خلال تجميع الملاحظــات ومراجعتها وتدقيقها. لــن يكون من الميسور دائمــا أن تلاحظ وتدون فى ملاحظاتك من الذى تحــدّث؟ وماذا قال؟ فى جماعة المناقشة، وذلك رغم أنه من المفيد لك أن تقوم بذلك قدر استطاعتك. (الفصل الثانى).

طبيعة بيانات جماعة المناقشة

البيانـات التى يتـم جمعها من جماعة المناقشة بيانات كيفية قـد تشتمل على تسجيلات صوتية أو تسجيـلات فيديو، أو على نسخ من تلك التسجيلات، أو من الملاحظات التى دونهـا مديـر اللقاء ومساعـده (أو مساعدوه)، أو الملاحظات التـى جمعت على إحدى اللوحات القلابة، أو من واقع نشاط جماعى بذل داخل جماعات المناقشة. ومع أنه من الممكـن تحديد شخصيات مختلف المتحدثين فى التسجيلات وفى الملاحظات المدونة، فإن ذلك قد لا يكون ميسورا دائما، لأنه يحدث أحيانا أن تطغى أحاديث الأفراد بعضها على بعضـ، أو لا يُظهر جهاز التسجيل نطاق الأصوات بوضوح. ونظرا لأن تمييز «من الـذى تحدث؟ وماذا قال؟» ليس ممكنا على الدوام، فليس بالإمكان تحليل هذه البيانات وفقـا لما أسهم به كل فرد فيهـا على حدة، أو معالجة هذه البيانـات معالجة كمية، مثلا: حسب عدد الأفـراد الذين يؤمنون برأى معين. وعلى أية حـال فإن جماعات المناقشة لا تستخـدم فى العادة لجمع الآراء أو الخبرات الفردية، إنما تستعمل فى توليد البيانات التى تمثل تفاعل الجماعة.

وكمـا هو الحال مع طرق جمـع البيانات الأخرى، فإن هـذه البيانات التى جمعت خلال لقاءات جماعة المناقشة يتم تحليلها من حيث صلتها بطبيعة البيانات وأسئلة البحث. لهـذا السبب قد يتم تحليل بيانات جماعة المناقشة باستعمال عدة طرق، منها مثلا: طرق الاستقـراء التحليلـي، أو طريقـة «النظرية الموثقـة»، أو طريقة تحليـل الخطاب، أو تحليـل المضمون (فصل 7 باب 4). ويبدأ كثير من الطـلاب الباحثين هذه المهمة بتحليل موضوعى – أى تحليل للأفكار والموضوعات المتكررة الورود على ألسنة المشاركين – مستعينين بشكل بيانى للبدء فى تنظيم هذه البيانات (الفصلان 2 و 4 باب4).

بحثـك

مزايا طريقة جماعات المناقشة

- مفيدة على الخصوص للبحث الاستكشافى وفى توليد الأفكار والموضوعات.
- يمكن تمكين الأعضاء وإشعارهم بالتحرر من القيود.
- يمكن أن تجمع بين مزايا المقابلة والملاحظة.
- يمكنها توفير مكان مريح ويبعث على الشعور بالأمان، ولا يعوق التعبير، وربما تتيح دراسة بعض الجماعات فى «أماكنها أو أوضاعها الطبيعية».

- توفر الوصول إلى فهم ديناميات الجماعة، وقد توضح بجلاء كيف يتوصل الأفراد إلى اتخاذ قراراتهم أو تحديد اختياراتهم.
- يمكنها أن تكون قليلة التكاليف نسبيا ومجزية اقتصاديا فى نفس الوقت، إذ تزودك بمقادير كبيرة من الآراء أو المعلومات.
- من الممكن (فى أغلب الأحوال) أن نتحقق بسرعة مما إذا كان يوجد إجماع على الرأى أو تعارض واختلاف.
- يمكن ربطها على نحو مقيد بالطرق الأخرى، كما أنها قد تعزز فاعلية هذه الطرق، ومن أمثلتها طريقة «المراجعة اللاحقة».
- تحقق نجاحا ملحوظًا، خاصة مع الجماعات ذات التراث الشفاهى.
- هى طريقة مرنة: تسمح باستعمال النماذج والقوالب، والتقنيات المختلفة.
- تتصف بدرجة عالية من **الصدق الظاهرى**، بمعنى أنها واضحة فى الكشف عن القصد وعن المضمون، ولذلك يسهل على أى إنسان أن يفهمها. ومن ثم ستكون النتائج قابلة للتصديق (مارشال Marshall وروسمان Rossman، 2006؛ وميرتون، 1987).

أوجه قصور طريقة جماعات المناقشة

- يعتمد نجاح الجماعة فى كثير من الأحيان على مهارة القائم بإدارة اللقاء.
- ليس للباحث إلا سيطرة محدودة على البيانات التى يتم توليدها من النقاش.
- يمكن أن تتأثر نتائج البحث بهذه الطريقة بسبب القصور فى أن تؤخذ فى الحسبان اعتبارات القوة النسبية، والأوضاع الاجتماعية، والقضايا الثقافية لأعضاء الجماعة، وما أشبه ذلك من أمور.
- قد يكون المكان الاصطناعى غير مريح «وغير طبيعى» بالنسبة للمشاركين فى الجلسة.
- يمكن لتصرفات الشخصيات المسيطرة والشخصيات الخاضعة أن تؤثر فى صدق البحث.
- قد يكون من العسير تسجيل بيانات جماعة المناقشة، لتعارض ذلك مع ما تتسم به طبيعة تلك البيانات من تداخل وتشابك.
- قد يكون رأى الجماعة مختلفا عن آراء الأفراد، كما قد يكون من العسير الفصل بينهما.
- من الممكن أن تكون مكلفة، خاصة إذا لم يحضر المشاركون.

- لا يكــون فــى إمكان الباحث – عادة – إلا أن يطرح عــددا قليلا من الأسئلة أو لا يعالج إلا عددا محدودا من الموضوعات.
- توجد مشكلات محتملة فيما يتصل بموضوع الحفاظ على سرية البيانات.
- كثــيرا ما يكون مــن الصعب القيام بأكثر من مجرد تحديــد الموضوعات الرئيسية (كروجر، 1994).
- قد تكون نتائج جماعة المناقشة غير قابلة للتعميم.

بحثـك

اختبار جودة البحث : استخدام جماعات المناقشة

- هــل يحتاج بحثــك إلى آراء واتجاهات وتقييمات الجماعــة أم إلى آراء واتجاهات وتقييمات الأفراد؟
- هل ترغب أن تقوم الجماعة بتوليد الموضوعات والأفكار؟
- هل ستساعدك البيانات التى تجمعها فى الإجابة على أسئلة بحثك؟
- هل ترغب (أو تحتاج إلى) قدر كبير من البيانات فى زمن محدد؟
- هل تعد تفاعلات الجماعة مهمة لمشروعك؟
- هل أدخلت فى اعتبارك ما يلى:
  - كيف سيتم تكوين الجماعة؟
  - أين ستعقدون الاجتماع؟
  - كيف ستسجل الجلسات؟
  - كيف «ستدير» لقاء الجماعة وأمورها؟
  - ما إذا كنت تستطيع القيام بهذا العمل من غير مساعدة أو إرشاد؟

المراجع وقراءات للاستزادة

Asbury, J. E. (1995) Overview of focus group research, *Qualitative Health Research*, 5: 414–20.

Barbour, R. S. and Kitzinger, J. E. (1999) *Developing Focus Group Research*, London: Sage.

Bloor, M., Frankland, J., Thomas, M. and Robson, K. (2001) *Focus Groups in Social Research*, London: Sage.

Butler, A. H. and Astbury, G. (2005) The caring child: an evaluative case study of the Cornwall young carers project, *Children and Society*, 19: 293–303.

Cambridge, P. and McCarthy, M. (2001) User focus groups and best value in services for people with learning disabilities, *Health & Social Care in the Community*, 9: 476.

Davidson, R., Kitzinger, J. and Hunt, K. (2006) The wealthy get healthy, the poor get poorly? Lay perceptions of health inequalities, *Social Science & Medicine*, 62: 2171.

Fairhurst, E. (2005) Theorising growing and being older: connecting physical health, well-being and public health, *Critical Public Health*, 15: 27–38.

Finch, H. and Lewis, J. (2003) Focus groups, in J. Ritchie and J. Lewis (eds) *Qualitative Research Practice: A Guide for Social Science Students and Researchers*, London: Sage.

Gibbs, A. (1997) Focus groups, *Social Research Update*, 19.

Grogan, S. and Richards, H. (2002) Body image: focus groups with boys and men, *Men and Masculinities*, 4: 219–32.

Homan, R. (2004) Ethical considerations, in S. Becker and A. Bryman (eds) *Understanding Research for Social Policy and Practice*, Bristol: Policy Press/Social Policy Association.

Humbert, M. L., Chad, K. E., Spink, K. S., Mahajarine, N., Anderson, K. D., Bruner, M. W., Girolami, T. M., Odnokon, P. and Gryba, C. R. (2006) Factors that affect physical activity participation among high and low socio-economic status youth, *Qualitative Health Research*, 16: 467–83.

Hyde, A., Howlett, E., Brady, D. and Drennan, J. (2005) The focus group method: insights from focus group interviews on sexual health with adolescents, *Social Science & Medicine*, 61: 2588–99.

Kenny, A. J. (2005) Interaction in cyberspace: an online focus group, *Journal of Advanced Nursing*, 49: 414–22.

Kitziuger, J. (1994) The methodology of focus groups: the importance of interaction between research participants, *Sociology of Health and Illness*, 16: 103–21.

Kreuger, R. A. (1994) *Focus Groups: A Practical Guide for Applied Research*, 2nd edn, London: Sage.

Marshall, C. and Rossman, G. B. (2006) *Designing Qualitative Research*, London: Sage.

Merton, R. K. (1987) The focussed interview and focus group: continuities and discontinuities, *Public Opinion Quarterly*, 51: 550–6.

Merton, R. K. and Kendall, P. (1946) The focused interview, *American Journal of Sociology*, 51: 541–57.

Morgan, D. L. (1997) *Focus Groups as Qualitative Research*, London: Sage.

Morgan, D. L. and Spanish, M. T. (1984) Focus groups: a new tool for qualitative research, *Qualitative Sociology*, 7: 253–70.

Munday, J. (2006) Identity in focus: the use of focus groups to study the construction of collective identity, *Sociology*, 40: 89–105.

Puchta, C. and Potter, J. (2004) *Focus Group Practice*, London: Sage.

Wong, S. H., De Jonge, A., Wester, F., Mol, S. S. L., Romkens, R. R. and Lagro-Janssen, T. (2006) Discussing partner abuse: does doctor's gender really matter? *Family Practice*, 23: 578–86.

الفصل السادس

الملاحظـة

محتويات الفصل

عن السياق

مادام يوجد البشر، توجد الملاحظة. فهى واحدة من الطرق الأولية، كما أنها طريقـة أساسية أكثر من غيرها، والتى بها يجمع كل إنسان المعلومات عن العالم الـذى يعيش فيه وعـن عناصره الكثيرة المهمة التى يتألـف منها. توفر الملاحظة للباحثـين الفرصة لجمع البيانات أثناء توليدها فى العالم الواقعي، كما توفر لهم – إن رغبوا فى ذلك – الفرصة ليكونوا جزءًا من تلك العملية كملاحظين مشاركين.

غـير أن الملاحظة يمكن أن تكون معقدة تعقيدًا شديـدًا، وتشتمل على حواس أخـرى غير حاسـة البصر وحدهـا. فالبيانـات المستمدة من الملاحظـة قد تُجمع بواسطـة أى حاسة من الحواس الخمس (البصر، والسمع، واللمس، والذوق، والشـم)، أو تجمع فى الواقع من خلال تضافر كل هذه الحواس معا. (للاطلاع على مناقشة لتاريخ الملاحظة فى البحث، انظر أدلر وأدلر، Adler 1998).

لعل **الملاحظة** هى الطريقة الأكثر أساسية (وليست الطريقة الأبسط) لجمع البيانات: فالباحث يسجل ما يلاحظه. وفى البحث الاجتماعى تقدم الملاحظة فى كثير من الأحيان بوصفها مرتبطة بالبيانات الكيفية. ومع ذلك فليس هذا هو حال الملاحظة فى الواقع. فعلى المستوى البسيط يعتبر العد، وبصورة واضحة، أحد أشكال الملاحظة، كما أنه من الأصح ربط الملاحظة بتصميمات البحث الكمى.

ما الملاحظة؟

1 - جمع البيانات بواسطة استخدام الحواس الإنسانية.

2 - هى فعل مراقبة الظواهر الاجتماعية فى العالم الواقعى، وتسجيل الأحداث لحظة وقوعها وبالكيفية التى تحدث بها. والعادة أن يقسم مجال البحث الاجتماعى الملاحظة إلى : **الملاحظة المشاركة والملاحظة البسيطة**.

ما الذى يجب أن تلاحظه؟

الملاحظة - إذن - هى مراقبة الأمور وهى تحدث، وهو ما يعطي انطباعا بأنها مهمة سهلة أو بسيطة كل البساطة. والواقع أنها - وللأسف الشديد - أشد تعقيدا من ذلك، ولهذا يتعين علينا أن نتساءل : «ما هذا الشىء الذى نلاحظه ؟» قد تكون الإجابة على هذا السؤال واضحة، ولكنها ليست بالضرورة سهلة. فأنت تراقب (أو تنصت، أو ما شاكل ذلك) مراحل حدوث أى شىء تقوم ببحثه. فينبغى عليك أن تكون قادرا على أن تعرف متى تحدث هذه الأمور، وذلك لأنه سيتعين عليك تحديدها فى سؤال (أو أسئلة) بحثك وفى تعريفاتك الإجرائية (فصل 4 باب 1).

فى الحياة الواقعية تكون الملاحظة معقدة (وكثيرا ما تستهلك قدرا هائلا من الوقت).

فكر فى هذا الموضوع . . .

إلى أى مدى تكون الملاحظة معقدة؟

تخيل أنك كلفت بتقدير درجة التزاحم فى مقهى اتحاد الطلبة فى الجامعة الفلانية. ستجد العاملين بالمقهى متحمسين لمعرفة متى يشتد الزحام داخل المقهى، كما أن لديهم بعض الأفكار عما يتعين عمله فى هذا الشأن. يوجد بالمقهى 45 مائدة وإجمالى 180 مقعدًا.

كيف ستبدأ الملاحظة؟

لا شك أنك سوف تقوم بتخطيط مشروعك بحرص وعناية، وسوف تحدد بعض أسئلة البحث وتصوغ بعض التعريفات الإجرائية لهذه الأمور (فصل 4 باب 1). وهذه المهمة ليست بالأمر اليسير بالطبع، كما أن استكمال هذا الإعداد قد يحتاج لبعض الوقت (وربما يحتاج لشيء من المحاولة والخطأ) حتى تصوغ هذه التعريفات على الوجه الصحيح.

ماذا يمكن أن يكون تعريفك الإجرائى لكلمة «مزدحم».

كيف تجمع بياناتك؟

حسنا، إذا فرغت من صياغة التعريفات الإجرائية على الوجه الصحيح، فإن كل ما يتعين عليك عمله هو المراقبة (أى الرصد والملاحظة)، أليس كذلك؟ ثم إنك ستحتاج أيضا إلى طريقة ما لتسجيل ما ستتوصل إليه من نتائج (الفصل الثانى).

ما الذى سوف تراقبه وتسجله؟

ادخل فى حسبانك الجوانب العملية

من تلك الجوانب مثلا:

- قد يكون من غير الممكن لشخص واحد أن يقوم بهذا العمل وحده، إذن فكم عدد الملاحظين الذين ستحتاج إليهم؟
- إلى أى مدى سيؤثر حضور ملاحظيك على العملية التى تقوم بمراقبتها؟ (على الأقل: يحتمل أن يشغلوا عددا من المقاعد التى كان يمكن لرواد المقهى أن يشغلوها لولا حضوركم).
- هل لشكل المكان الذى يشغل المقهى أهمية معينة؟ هل سيؤثر هذا الشكل على الملاحظات؟
- كيف ستتأكد من أنه لم يحدث تطابق جزئى فى ملاحظاتهم، أعنى بذلك : كيف ستكتشف أن كل ملاحظة مستقلة عن غيرها، وأن نفس البيانات لم يسجلها أكثر من ملاحظ واحد؟
- كم من الوقت يمكن للملاحظ أن يعمل بدون أن يصيبه الملل؟

ما القضايا الأخرى التى قد تكون مهمة ولم يرد ذكرها هنا؟

بالإمـكان تنفيـذ أى نوع من أنـواع الملاحظة (انظر مـا يلى) إما بصـورة **ظاهرة** (صريحة)، (حيـث يعرف المشاركون أنه تجرى ملاحظتهـم)، وإما بصورة **مستترة** (حيث لا يعرف المشاركون فى البحث أنهم واقعون تحت الملاحظة). ومن الواضح أن هذا الوضـع يطرح بعض التساؤلات الأخلاقية التى لا بد من معالجتها قبل المضى قدما فى مشروعك (فصل 5 باب 1).

هـل مـن المقبول أخلاقيا إجـراء بحث عندما لا يكـون لدى المشاركـين علم بإجراء هـذا البحث؟ لا توجد إجابة واضحة على هذا السـؤال، إلا أن من طرق التفكير فيه أن تسـأل نفسك عما إذا كان «بالإمـكان» الحصول على هذه البيانات عن طريق الملاحظة الظاهرة، أم أنه ليس بالإمكان. فإن كانت الإجابة «نعم»، فإنه يصبح من غير المحتمل لبحـث قائم على الملاحظة المستترة أن يكون سليما مـن الناحية الأخلاقية، أما إن كانت الإجابـة «لا» فسـوف يكون عليك أن تقرر ما إذا كان من الملائم أن تواصل المضى فى البحث أم لا، مع عمل تقدير للمخاطر التى يتضمنها ذلك العمل فى هذه الحالة. من ذلك مثـلا (انظر البرواز أدناه بعنوان: «فكر فى هـذا الموضوع»)، ماذا يحدث إن كنت قد بدأت مشروعًـا للملاحظة المشاركة المستترة لعصابة إجرامية من مشجعي كرة القدم ثم كُشـف أمرك؟ قد لا يحدث شيء واضح (بالرغم مـن أن هذه العصابة ستحرص حينئذ على ألا تمكنك من أن تكتشف شيئًا مهما، مما قد يجعل نتائج بحثك غير مجدية)، إلا أنك تكون ساعتها قد وضعت نفسك فى موقف شديد الخطورة. لا خلاف على أن هذا المثال يمثـل حالة متطرفة مستبعدة الحدوث، إلا أنه سيكون عليك دائمًا أن تدخل فى الحسبان سلامتك الشخصية وسلامة مشاركيك (مبحوثيك) عند القيام بهذا النوع من البحث.

فكر فى هذا الموضوع . . .

الملاحظة المشاركة المستترة

الانخراط وسط حثالة المجتمع

استخدم جون صجـدن (J. Sugden (2002 الملاحظة المشاركة المستترة للتغلغل فى العصابـات الإجرامية لمشجعى كـرة القدم ولاكتشاف بعضـ المعلومات المذهلة المتعلقة بخلفية هذه العصابـات وعلاقتها بالأنشطة الإجرامية وببعض القوى الدافعة التى تكمن وراء العنف المرتبط بتشجيع كرة القدم. كان من غير المحتمل أن تُكتشف هذه المعلومات باستعمـال الوسائل الظاهرة، إلا أن هذه العملية كانت تحمل مخاطر شخصية بالغة لهذا الباحث.

عصابات مانشستر

قـام بيتر وولشـ Walsh (2005) بنفس هذا العمل فى كتابــه المشار إليه، حيث استخدم بعض الأفراد «كمصـادر للمعلومات من داخل» بعض عصابات الإجرام العنيفة التى كانت تثير الرعب فى مانشستر. ونلاحظ هنا أيضا أن احتمالات المخاطر التى كان يمكن أن تصيب الباحث، كانت مرتفعة جدًا.

اقضـ بضع دقائق تتأمـل فيها قيمة هذا النوع من البحـث، خاصة عند موازنته بالمخاطـر التى يتعرض لهـا الباحث (فـكلا الكتابين يذكـران بالتفصيل حالات من الضرب العنيف والقتل غير المشروع).

أنـواع الملاحظـة

كثيرا مـا يقسم الباحثون الملاحظة إلى نمطين متميزيـن: **الملاحظة البسيطة** (انظر قائمـة المصطلحـات) و**الملاحظة المشاركة** (انظر قائمة المصطلحـات)، مع النظر إلى الملاحظـة البسيطة باعتبار أنها «علاقة بالغة الفقـر» (الفقر بمعنى الضعف الواضح فى العلاقـة بينَ القائـم بالملاحظة والطرف موضـوع الملاحظة - المترجـم). ويرى أدلر وأدلـر (1998) أن سبب ذلك أن للملاحظة المشاركـة - خاصة - أساسًا نظريا قويا فى مبحث التفاعلية الرمزية(*)، حيث يشيران إلى أن:

«يريـد الملاحظون التفاعليـون - عادة - أن يجمعـوا البيانات مـن مبحوثيهم أثناء تفاعلهم معهم».

والواقع أن الملاحظة البسيطة أداة مفيدة أكبر فائدة فى جمع البيانات، ويمكن القول - علـى الأقل - إن المفاضلة بين هذين الأسلوبين أمـر فى غاية الصعوبة (انظر الشكل (6-1) أدناه).

(*) التفاعليـة الرمزية Symbolic Interactionism: نظريـة أمريكية بارزة فى علم النفس الاجتماعى تركـز اهتمامها على طرق تكوين المعانى خلال عملية التفاعل. وهى تضع فى المحل الأول من اهتمامها تحليل معاني الحياة اليومية، عن طريق الملاحظة المباشرة، وزيادة درجة الألفة الحميمة مع المبحوثين، ثم تعتمد على ذلـك فى الوصـول إلى فهم للأشكال الأساسية للتفاعل الإنسانى. وعلى امتـداد عقد الثمانينيات قدمت التفاعلية الرمزية تحليلات لمجموعة من الظواهر الجديدة، وأصبحت أكثر دقة وإحكاما على المستوى النظرى. (المترجم)

الملاحظة البسيطة

فـى الملاحظة البسيطة لا يكون الباحث جـزءا من العملية التى يجرى بحثها، بل يكون شخصـا موضوعيا غريبا. وتقـوم الملاحظة البسيطة (شأنها شـأن جميع أنواع الملاحظة) بجمع البيانات الأولية الأصلية أثناء حدوثها فى الواقع. من الأهمية التأكد من أن التعريفات الإجرائيـة (فصل 4 باب 1) المستخدمة لتحديد الوقائع المقـرر ملاحظتها واضحة، والتأكد من أن الاستراتيجيات الملائمة موجودة فى موضعها الصحيح لتسجيل هذه البيانات.

الملاحظة المشاركة

الهـدف الرئيسى للملاحظـة المشاركة (والمجـال الرئيسي الذى تختلف فيـه عن الملاحظة البسيطـة) هو اكتسـاب المعرفة الوثيقـة المتعمقة عن جماعـة الأفراد الذين يمثلـون المبحوثين موضـوع الدراسة (وقد يكون موضـوع هذا البحث محددا أشد التحديـد، فيسعى لفهم بعض الممارسـات الثقافية مثلا، وقد يكون ذا طابع عام كل العمومية)؛ وجمع هذه المعرفة فى المكان الطبيعـى لحياة تلك الجماعة. وفى كثير من الأحيان تستمـر الملاحظة المشاركة فترات زمنية طويلة (قد تصل أحيانا إلى سنوات). وقد نشأت الملاحظة المشاركة على يد علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعيـة، وأعقب ذلك أن استخدمها علمـاء الإثنوجرافيا(*). وقد انتشرت بصورة موسعة فى السنوات الأخيرة (انظر البرواز أعلاه بعنوان « فكر فى هذا الموضوع . . . »).

هناك ثلاثة أسباب رئيسية لاستخدام الملاحظة المشاركة:

1 - يؤكـد البعضـ (انظـر مثـلا دى وولـت De Walt، 2002) أن استخدام الملاحظة المشاركـة يعنـى أن الباحثـين لا يحاولـون فرض واقعهـم الاجتماعـى وتفسيراتهم الاجتماعية الخاصة بهم على العالم الاجتماعى الذى يقومون بدراسته ومحاولة فهمه.

2 - بإمـكان الملاحظة المشاركة أحيانا أن تظفر بالوصول إلى مناطق لا يمكن فى العادة دراستها (انظر البرواز أعـلاه بعنوان « فكر فى هذا الموضوع . . . »). ومع ذلك ينبغى عليك أن تتنبه إلى أن هذا النوع من الدراسة يرتبط فى بعض الأحيان ببعض المجازفات والمخاطر البالغة.

(*) راجـع عـن البحث الإثنوجرافـى : إيمرسون وزمـلاؤه، البحـث الميدانى الإثنوجرافـى فى العلوم الاجتماعيـة، ترجمة هناء الجوهرى، سلسلة العلوم الاجتماعيـة للباحثين، المركز القومى للترجمة، القاهرة، 2010. (المترجم)

3 – تحـاول فهم سبب حدوث بعض ممارسات بعينها (والتى قد تكون ممارسات ثقافية مثـلا، إلا أنها قد تشتمل – أيضا – علـى ممارسات عملية جارية فعلا (انظر مثلا: مايو Mayo، 1933)، وكيف نشأت تلك الممارسات وكيف تتغير بمرور الزمن.

يصف جولد Gold (1958) أربعة أساليب للملاحظة والتى يسميها: أسلوب المشارك الكامل أو الخالص، وأسلوب المشارك كملاحظ، وأسلوب الملاحظ كمشارك، وأسلوب الملاحظ الكامل أو الخالص.

- **المشـــارك الكامل أو الخالص**: فى هذه الحالة سيحاول الباحث أن يصير عضوا كامل العضوية فى الجماعة التى يجرى دراستها. ولتحقيق ذلك ينبغى أن يكون دوره كباحث مستترا على الدوام (أو قد يعرف أفراد الجماعة – أحيانا – أنهم موضوع للبحث، ولكنهم لا يعرفون الهدف الحقيقى لهذا البحث). ويُعتقد أن من شأن هذه الطريقة أن توفر أدق البيانـات لأن تصرفات المبحوثين واستجاباتهـم ستتم «بشكل طبيعى»، أعنى بذلك أنهم سيتصرفـون كما لو أنه لا يوجد باحث بينهم. يضاف إلى ذلك أن استخدام هذه الطريقة يمكـن أن يتيح للباحث – أحيانا – الظفر بالوصـول إلى جماعات لم يكن لينفذ إليها بغير هذه الطريقة. ولكن لهذه الطريقة عيوبها أيضا: أشدها وضوحا أنه ليس بالإمكان دائمًا أن ينفـذ الباحث إلى داخل جماعة ما بهذا الأسلوب (فكر مثلا فى الباحثين البيض الذين يحاولـون دراسة جماعة «من السود»، أو فى النساء اللاتى يحاولن دراسة جماعة من الرجال. فهذان نموذجان بسيطان يوضحان هذه النقطة بجلاء). أحيانا ما يعبر البعض عـن قلقهم من أن الباحث سيفقـد موضوعيته بتحوله إلى عضـو بالجماعة وبسبب تبنيه لكافـة قيمها وممارساتها (كما يسلم بذلك القائلون بهـذا الرأى). ويعد هذا، إلى حد ما، خطرًا حقيقيا يتعين مواجهته فى كل حالة على حدة.

البحث الواقعى

الملاحظة المشاركة: نموذج للتغلغل فى المنظمات

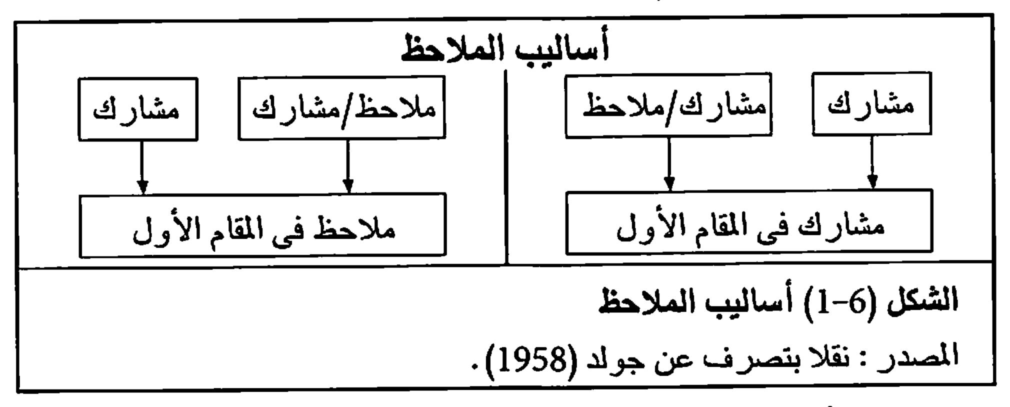
بحث جى فينتن Vinten (1994) بعنوان: *«الملاحظة المشاركة: نموذج للتغلغل فى المنظمات»، منشور فى: المجلة العلمية لعلم النفس الإدارى 9(2): 30-39.*

فى هذا البحث يناقش «فينتن» مجموعة من الأمثلة التى تبين بالتفصيل إلى أى مدى يمكـن للملاحظة المشاركة المستترة أن تكون – أحيانـا – الطريقة الوحيدة لاكتشاف سلوك ما. فهو يقدم وصفا تفصيليا لإقدامه – كباحث – على السرقة من مقر العمل، ولتظاهـره بأنه ذو ميول جنسية مثلية لكى يتمكـن من دراسة سلوك المثليين جنسيا،

واقترافه بعض الممارسات غير المعتادة أو غير الملائمة فى مكان العمل، وإقدامه على ممارسة مرعبة، بالتظاهر بأنه مريض فى مستشفى للأمراض العقلية بهدف أن يتمكن من ملاحظة العلاج الطبى الذى يقدم لمرضى الفصام. (وهو يتنبه كذلك إلى أن استخدام الملاحظة كطريقة لجمع البيانات يتعرض للانتقاد فى أحيان كثيرة، مع أنه يؤكد أنها طريقة فائقة الدقة والجدوى.

- **المشارك كملاحظ**: وهو يختلف عن وضع المشارك الكامل أو الخالص فى أن الباحث يتخذ موقفا ظاهرا ويكشف لهذه الجماعة عن حضوره بينهم وعن دوره البحثى. تتشابه مزايا هذه العملية مع مزايا الأسلوب الأول، من حيث توافر الفرصة لدراسة جماعة ما داخل بيئتها الطبيعية. وبالنسبة للباحث لا توجد مشكلة أخلاقية خاصة بإثارة خداع الجماعة فيما يتعلق بدور الباحث. وتوجد بعض العيوب الأخرى التى لا توجد عادة فى حالة الباحث الكامل أو الخالص: والمشكلة الأبرز وسط هذه العيوب أنه إن عرف الأفراد أنهم موضوع بحث، فمن الراجح عندئذ أن يتغير سلوكهم (انظر برواز «البحث الواقعى» أدناه).
- **الملاحظ (الباحث) كمشارك**: الآن يشرع الباحث فى التخلي عن فكرة المشاركة فى جماعة البحث كعضو من أعضائها، ويترجح أن تكون عملية جمع البيانات أكثر رسمية وتقنينا من وضع الاستراتيجيتين السابقتين. وتتمثل المزايا فى أنها لا تتطلب -فى الغالب - إلا قدرًا قليلا للغاية من الالتزام بوقت معين. كما أنها، من حيث المبدأ، تزيد من موضوعية الباحث لأنه يبعد نفسه عن هؤلاء الأفراد. وتتضمن عيوب هذه الاستراتيجية إمكانية عدم فهم الباحث للتفاصيل بصورة وافية تماما، واحتمال أن تفوت الباحث مشكلات أخرى، فلا يتنبه لها لأنه لن يكون مدركا لأهميتها.
- **الملاحظ الكامل أو الخالص**: يمثل هذا النمط نقيض المشارك الكامل. ففى هذا الدور يحاول الملاحظ تحقيق الموضوعية الكاملة أو الخالصة، بأن يظل منفصلا عن الأنشطة التى تجرى ملاحظتها ولا يشارك فيها. والوضع الأمثل هنا أن يبقى الباحث بعيدا عن أعين المبحوثين. وتتمثل المزايا التى ينسبها البعض إلى هذه الطريقة فى أن الباحث سيكون محايدًا وغير متحيز (بسبب عدم انخراطه فى أنشطة الجماعة) وفى أنه لن يكون له تأثير - إلا قليلا - على الأفراد موضوع البحث. وتتمثل أوجه القصور، أساسا، فى العيوب التى ذكرناها عن الملاحظ كمشارك. يضاف إليها أنه إن ظل الباحث - بالفعل - منفصلا انفصالا تاما عن الجماعة التى يلاحظها، فلن يستطيع الدخول فى حوار مع أفراد الجماعة حتى يزيل مظاهر سوء الفهم.

والأفضل فى رأينا أن نفكر فى الأدوار الأربعة التى قال بها «جولد» بوصفها نقاطا أو تنويعات على متصل (ذى طرفين) وليس بوصفها مواقع منفصلة، فتمثل بذلك تشكيلة متنوعـة لا نهائية من الأشكال المتغيرة الممكنة. يضـاف إلى ذلك أن بإمكان الباحث أن يلاحظ نفسه (الملاحظة الذاتية)، مضيفًا بذلك نمطًا آخر من الملاحظة الممكنة.



الشكل (6-1) أساليب الملاحظ

المصدر : نقلا بتصرف عن جولد (1958).

يجـدر بك أن تقضى دقائق قليلـة تفكر فى هذه الأنماط المختلفـة من الملاحظة حتى تستطيع أن تقدر مدى فائدتها لمشروعك البحثى.

بحثـك

آخذا فى الاعتبار أسئلة بحثك وتعريفاتك الإجرائية:

- ما البيانات التى تحتاج إلى أن تجمعها عن طريق الملاحظة؟
- كيف ستقوم بجمع هذه الملاحظات:
  - هل بوصفك ملاحظا بسيطًا؟
  - أم بوصفك ملاحظا مشاركًا؟

تأثيرات الملاحظ (تأثير هوثورن)(*)

لا مجال للشك فى أن الأفراد إذا عرفوا أن سلوكهم موضع ملاحظة ورصد، فإن هذا السلوك سوف يتغير. فلدينا جميعًا خبرات تشهد بذلك. تأمل سلوك قائدى السيارات الذين شاهدوا سيارة الشرطة على جانب الطريق. لهذا يعد إحداث الملاحظ لتغييرات فى الشيء

(*) ويعـرف فى تراث العلوم الاجتماعية باسم : «تأثيـرات الباحث القائم بالتجربة أو القائم بالملاحظة». ويعنـى الطرق التى يؤثر من خلالها الملاحظ أو القائـم بالتجربة على نتائج التجربة أو الملاحظة، وذلك بسبب حضـوره فى أثناء قيامـه بالتجربة أو بالملاحظة. ولعل أشهر مثال لهذا الطرف فى علم الاجتماع هو التجارب التى عرفت باسم دراسات هوثورن التى أجراها إلتون مايو وزملاؤه. (المترجم)

الذى يقــوم بملاحظته مشكلة لا يمكن تجاوزها بسهولة، كمــا يمكن أن تكون لها تأثيرات بعيدة المدى. وهناك من الشواهد ما يدل على أن بعض التغيرات فى السلوك تظل مستمرة حتى بعد أن تنتهى عملية الملاحظة (انظر برواز «البحث الواقعى» أدناه) وهو الأمر الذى يثــير - مــرة أخرى - قضية أخلاقيــة مفادها : هل يتوافق مع الأخــلاق إجراء بحث عند وجود احتمال لأن يغير القيام بهذا البحث سلوك المشاركين تغييرا دائمًا؟

البحث الواقعى

تأثير هوثورون (أى تأثر السلوك بالملاحظة)

من العجيب أن تأثير هوثورن سمى باسم مكان وليس باسم الشخص الذى اكتشفه. فقد استخدم «مايو» (1933) الملاحظة الظاهرة لبحث الأثر الذى تحدثه ظروف العمل علــى أداء العمال فــى مصانع شركة وســترن إليكتريك بمنطقة هوثــورن الواقعة فى Cicero بولايــة اللينوى (وهى إحدى ضواحى مدينــة شيكاغو، فيما بين سنة 1927 وسنة 1932. كان «مايو» مهتما بمعرفة كثير من الملامح والسمات المميزة لمكان العمل هذا، مثل: الإضاءة، درجة الحرارة، الراحة، والأحوال النفسية كذلك.

ويمكن إيجاز النتيجة الرئيسية التى وصل إليها «مايو» على النحو التالى: «*يؤدى المستخدمــون عملهــم بجهد أكبر، كمــا ترتفــع إنتاجيتهم عندما يعرفــون أنهم تحت الملاحظــة*». ولعل الأمر هنا لا يدعو للدهشة. كما اكتشف «مايو» - إلى جانب ذلك - أن هذه التغيرات فى الإنتاجية ظلت مستمرة حتى بعد انتهاء هذه الدراسة البحثية. كما ذهب إلى أن كون الموظفين موضوعات للدراسة أدى - فى حد ذاته - إلى جعلهم يشعرون شعورًا أفضل، ويعملون بصورة أكثر إنتاجية بسبب اهتمام الملاحظ بهم.

الجوانــب العمليــة

ثمــة عدد من القضايــا تتطلب التفكير فيها مليا قبل الشروع فى إجراء بحث قائم على الملاحظة:

اختيار العينة

مــن النــادر أن يكون ممكنا أو ضروريــا ملاحظة كل شيء طوال وقــت الملاحظة. وربما يلفت النظر أنك تستطيع تطبيق نفس إجراءات اختيار العينة على اختيار الأوقات والأماكن التى ستقــوم فيها بالملاحظة، كما لو كنت تقوم باختيــار أفراد للمشاركة فى مسح أو فى مقابلات شبه مقننة. كما أن اتجاهك فى اختيار العينة سيعتمد على طبيعة البيانات التى ستشرع فى جمعها.

المرحلــة الأولى أن تقــرر متى وأيــن يجرى الحدث الذى تقــرر ملاحظته. ثم إنك ستحتــاج - وأنت واضعا نصب عينيك أسئلة بحثــك وتعريفاتك الإجرائية - لتحديد أى الأوقــات وأى الأماكن التــى ستُدخلها ضمــن عينتك. ويوجد فى هــذا الشأن عدد من الاتجاهات التى قد تأخذ بها:

- فقــد يكون اختيــارك للعينة قائما على أساس البعد الزمنــى لذلك الحدث، من هذا أن يكون عليك القيام بإجراء وتسجيل ملاحظة كل 15 دقيقة مثلا.
- وقــد تكــون مهتما بالطريقة التى يتغير بها الحدث الذى تلاحظه أثنــاء فترة زمنية معينة، ولهذا تختار توقيتا معينا للقيام بالملاحظة ثم تستمر فى الملاحظة، وأنت تسجل التغيرات أثناء حدوثها.
- إن كنت ملاحظا مشاركا فقد لا يتسنى لك القيام بالتسجيل فى توقيتات بعينها، ولكنك تستطيــع - وأنت واضعــا نصب عينيك أسئلة بحثك - أن تــدون الأحداث والأنشطة والتفاعلات التى لها أهمية عندك ثم تسجلها فى نهاية جولة الملاحظة.

> **فكر فى هذا الموضوع . . .**
>
> **اختيار العينة فى مقهى اتحاد الطلبة**
>
> ما الاتجاه الذى سوف تأخذ به فى اختيار العينة؟
>
> - فقد تلاحظ المقهى بأكمله كل 15 دقيقة على امتداد اليوم.
> - وقــد تلاحظ المقهى بأكمله بصورة مستمرة لمــدة ساعة فى الأوقات المعروف عنها أن المقهــى يكون فيها فى ذروة الازدحام، وتسجل تدفق الأفراد وحركتهم داخل المقهى (وقد يتطلب هذا الأمر اشتراك أكثر من ملاحظ واحد لتغطية المقهى بأكمله).
> - وقــد تلاحظ كل عاشر شخص يدخــل المقهى وتسجل خبرته، والمدة التى ينتظرها (قبل الحصول على مقعد)، وما يختاره من المقاعد، وعدد الأشخاص الذين كانوا معه. . . إلخ.
>
> هل يمكنك أن تفكر مليا فى اتجاهات أخرى قد ترى الأخذ بها؟

تسجيل البيانات

بنفس الطريقــة التى قد تتبعهــا فى تصميم استبيان لجمــع البيانات من شخص ما، أو فــى تصميم دليل مقابلة لتتأكد من أنك تغطــى كل عناصر موضوع بحثك فى المقابلة التى تجريهــا؛ بنفس هذه الطريقة تحتــاج إلى أن تصمم قالبا يمكنك أن تصوغ فيه ملاحظاتك.

وقد يتمثل هذا القالب فى نموذج أو استمارة، حيث تدل هذه الاستمارة على كل واقعة يتم ملاحظتها وفقا لعدد مرات حدوثها، أو تتمثل فى وصف تفصيلى، أو فى ملحوظة تدونها تذكر فيها ما يحدث أمامك - أى تذكر فيها ما تقوم بملاحظته (الفصل الثانى). ينبغى أن يتيح لك تصميم هذا النموذج تسجيل كل واقعة بمقدار التفصيل الذى تحتاج إليه، وأن يكون من السهل استيفاؤه، لأن من الراجح أن تقوم بتسجيل الحدث فى موقعه الطبيعى.

الصدق

من الأمور الحاسمة فى كافة البحوث أن تفهم ما تقوم ببحثه فهما صحيحا، وأن تكون واثقا من أن عملياتك البحثية توصلك فعلا إلى البيانات التى أنت فى حاجة إليها. وهذا الأمر بالذات صعب فى الملاحظة. فثمة أشياء كثيرة جدا يمكنك أن تراها، وتسمعها، وتلمسها، وتشملها. وهذا معناه أنك - بوصفك الباحث - لابد أن تكون أشد حرصا مما قبل على معرفة ما الذى يتوجب عليك أن تلاحظه. إن من السهولة البالغة أن يتشتت انتباهك بسبب الأحداث الهامشية، مما ينتقص من صدق بحثك (فصل 1 باب 1). ونحن نحثك على ألا تحاول جمع قدر أكبر بكثير عن الحاجة من المعلومات المختلفة عند قيامك بالملاحظة. إذ إن كثيرا من الباحثين يحاولون جمع أمثال تلك الملاحظات المتباينة (مثال ذلك أنهم قد يحاولون جمع الكلمات التى نطق بها الأفراد، وأوضاعهم، ولغة الجسد عندهم، وتعبيرات الوجوه. . . إلخ). وهذا أمر ليس بالمستحيل، إلا أنه شديد الصعوبة أو يستهلك قدرا هائلا من الوقت. كما أنه سيلزمك أن تبتكر استراتيجيات خاصة للتسجيل حتى تستطيع التعامل مع هذه الكمية الضخمة من البيانات: ثم لا تنسى أنك لابد أن تحللها كلها فى مرحلة ما من مراحل البحث. إننا نلح عليك أن تلتزم الحرص الشديد.

التركيب والتعقيد

هذه القضية هى - إلى حد ما - جزء من القضية التى تناولناها أعلاه، إلا أن كل البحوث القائمة على الملاحظة تتصف بالتعقيد واستهلاك الوقت. وكجزء من قضية تعقد البحث، أمعن النظر فى مدى احتمال أن يتوجب عليك توظيف ملاحظين متعددين للعمل فى مشروعات معقدة أو ضخمة. (ولا يمثل ذلك مشكلة على الدوام، فبإمكانك أن تنتفع بملاحظين متعددين فى ملاحظة نفس الظاهرة أو نفس الشخص، وتستخدم هذا الأسلوب كنوع من «أسلوب التعدد المنهجى» لدعم صدق بحثك).

كما أن عليك أن تدرك أنه من العسير على باحث واحد أن يلاحظ أكثر من شيء واحد (أو أكثر من شخص واحد) فى وقت واحد. وحتى بالرغم من أن بالإمكان التغلب على هذه الصعوبة جزئيًا باستعمال التسجيل بكاميرات الفيديو، فإن مثل هذه الصعوبات لن تختفى كلية، كما أنها تتطلب إدارة يقظة لعملية الملاحظة.

طبيعة بيانات الملاحظة وأهميتها للتحليل

كما رأينا، يمكن للبيانات المستمدة من الملاحظة أن تتخذ مجموعة من الأشكال المختلفة ابتـداء مـن الأشكال المقننة وانتهاء بالأشـكال غير المقننة. وستعتمـد أساليب التحليل التى تستخدمهـا علـى طبيعة البيانات التى جمعتهـا، كما أن هذه الأساليب قـد تشتمل على كل مـن الاتجاهات الكمية والاتجاهات الكيفية. فقد تكون مشتغلا بمعالجة بيانات سبق لك أن أحصيت عددها (مثال ذلك: كم عدد المرات التى تقع فيها حادثة ما)، مع اشتغالك بمعالجة بيانـات وصفية بصورة أكـبر، وتتطلب هذه البيانات منك أن تقـوم بتفسيرها كجزء من عملية التحليل. وعلى الملاحظ - كما هو الحال بالنسبة للباحث - أن يهتم بتدوين ملاحظاته عن المشاهدات التى لاحظها، بما فى ذلك الملاحظات عن انطباعاته الشخصية عن الأمور التى يقوم بملاحظتها، والمشاعر التى يحس بها تجاهها، كلما كان ذلك مناسبا.

بحثـك

مزايا استخدام الملاحظة

- تحدث فى العالم الواقعى.
- يمكنها أن تزودنا بصور تفصيلية كاملة للظواهر الاجتماعية.
- تتصـف البيانات بالثبات المنهجى، كما تتصف بدرجة عالية من الصدق (شريطة أن تكون التعريفات الإجرائية واضحة).
- فى أغلب الأحيان تكـون البيانات التى تُجمع باستعمال الملاحظة المشاركة بيانات فى غاية الثراء والأهمية.
- لا يعتمـد هذا الأسلوب علـى استخدام الكلمات التى نطق بهـا المشاركون بعينها، ولذلك لا يكون أمرا مهما ما إذا كان المشاركون واضحين فى الإفصاح بالكلمات.

عيوب استخدام الملاحظة

- قد يكون عسيرا تحديد ما يتعين ملاحظته وتسجيله.
- قد تكون مستهلكة لقدر هائل من الوقت.
- قد يصيب الضجر الباحثين ويفقدون الموضوعية.
- قـد يكون التحـدي الذى تفرضه محاولة «ملاحظة كل شـيء» مثبطًا للهمة، وقد يؤدى إلى فقدان الملاحظ للدافعية.

- القضايـا الأخلاقيـة، خاصـة ما يـدور منها حـول استخدام الملاحظـة المشاركة المستترة.
- في الملاحظة البسيطة قد تكون البيانات سطحية.
- تأثيرات الباحث (مثال ذلك: تأثير هوثورن).

بحثـك

اختبار التحقق من جودة البحث: الملاحظة

- هل أدخلت فى حسبانك القضايا الأخلاقية الكامنة فى أسلوب الملاحظة المستترة؟
- كيف ستتأكد من أن تظل (بوصفك الملاحظ) محافظا على موضوعيتك؟
- هل تعريفاتك الإجرائية واضحة (أى إنك تعرف ما الذى تحاول ملاحظته)؟
- هل لديك الوقت الكافى لتنفيذ هذه الملاحظة؟
- إن كنت تعمل مستترا، فكيف ستظفر بالوصول إلى الجماعة المشاركة (المبحوثة)؟
- هل تدرك حقيقة النتائج التى تحدثها تأثيرات الملاحظ فى تغيير السلوك؟

المراجع وقراءات للاستزادة

Adler, P. A. and Adler, P. (1998) Observational techniques, in N. K. Denzin and Y. S. Lincoln (eds) *Collecting and Interpreting Qualitative Materials*, London: Sage.

De Walt, B. R. (2002) *Participant Observation: A Guide for Fieldworkers*, Walnut Creek, CA: Alta Mira Press.

Denzin, N. K. and Lincoln, Y. S. (eds) (1998) *Collecting and Interpreting Qualitative Materials*, London: Sage.

Ely, M. (1991) *Doing Qualitative Research: Circles within Circles*, London: Taylor & Francis.

Gold, R. L. (1958) Roles in sociological field observations, *Social Forces*, 36: 217–23.

Jorgensen, D. L. (1989) *Participant Observation: A Methodology for Human Studies*, Applied Social Research Methods Series, vol. 15, London: Sage.

Mayo, E. (1933) *The Human Problems of an Industrial Civilisation*, New York: Macmillan.

Sanger, J. (1996) *The Compleat Observer? A Field Research Guide to Observation*, London: Falmer Press.

Sugden, J. (2002) *Scum Airways: Inside Football's Underground Economy*, Edinburgh: Mainstream Publishing.

Vinten, G. (1994) Participant observation: a model for organizational involvement, *Journal of Managerial Psychology*, 9(2): 30–9.

Walsh, P. (2005) *Gang War: The Inside Story of the Manchester Gangs*, London: Milo Books.

الفصل السابع

البيانـــات السرديـــة

محتويات الفصل

- ما السرديات؟
- كيف يختلف البحث السردى عن غيره من البحوث الكيفية؟
- أساليب السرد .
- لماذا ترغب فى استعمال السرد.
- الجوانب العملية .
- البيانات السردية .
- معايير البحث السردى «الجيد».
- مزايا البحث السردى وعيوبه.
- النتائج غير المتوقعة.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

عادة ما يتم الربط بين السرد، الذى هو أسلوب لجمع البيانات وتحليلها، وبين البحث الكيفـى، فضلا عن ارتباطه ارتباطا شديدا بالنمـوذج الفكرى التأويلى. وتبـدو فكرة الإنصات إلى الحكايـات التى يرويها الناس فكـرة شيقة، كما تبدو -للوهلة الأولى- سهلة الاستعمال إلى حد بعيد. ولكن الواقع أنها قد تكون شديدة التعقيد: فى جمع البيانات وفى مراحل التحليل.

لعـل السرديات - وأعنى بها الحكايات - كانت ولا تزال موجودة بوجود البشرية. ومن المؤكد أنها تسبق الكتابة - تاريخيا - كوسيلة للتسجيل وحفظ التراث. كما أن كثيرا من المجتمعات لا تزال تستخدم هذه التواريخ الشفاهية فى عصرنا الحاضر. والسرديات

التـــى نعنيها هنا تمثــل الأساس الذى يقــوم عليه البحث السردى ، الــذى سوف نتناوله بشـــىء من التعمق فى هــذا الفصل ، وهى فى الحقيقة نوع آخــر مختلف عن السرديات المستخدمة كحكايات للتسلية.

ما : السرد؟

هــو الوصف الذى يتنــاول تسلسلا لأحداث ماضية كما تبــدو للراوى فى الوقت الحاضــر ، وذلك بعد أن يكون الراوى قد عالج هــذه الأحداث ، وحللها ، وصاغها فى صورة حكايات.

سبــق أن استخــدم السرد كبحــث ، وليس كوسيلــة للاحتفاظ بالسجــلات ، فى بعض فروع العلم الاجتماعى ، وذلك على امتداد المائة سنة الماضية على الأقل. وكان أبرز هذه الاستخدامات فى مجال تحليل الكتابات الأدبية. وأيا ما كان الأمر ، يمكن القول أن تاريخ الاستخــدام الحديث للسرد فى العلــوم الاجتماعية يرجع إلى عشرينيــات القرن العشرين (إليــوت Elliot، 2005: 3). وفى ستينيات القــرن العشرين كتب الناقد الأدبى رائد علم العلامات (السيميولوجيا) الفرنسى رونالد بارت كلاما شهيرا عن أهمية السرد، قال فيه:

«إن السرديــات التـــى عرفها العــالم لا تقع تحت حصر . . فالســرد موجود فى كل عصــر ، وفى كل مكان ، وفى كل مجتمع . . . فكل الطبقات ، وكل الجماعات البشرية لهــا سردياتها الخاصة بــكل منها . . . فالسرد عالمى ، ومستمر عــبر التاريخ ، ومنتشر عبر الثقافات» (بارت ، 1977).

وعلى الرغم من هذا الدعم القوى ، فقد استغرقت فكرة البحوث السردية زمنا لتنتشر فــى العلــوم الاجتماعية كلها. إلا أن هــذا الأسلوب فى جمع البيانــات السردية وتحليلها قــد ازداد ذيوعــا وانتشارا خــلال السنــوات العشرين الماضيــة أو نحو ذلــك. (ليبليش Lieblich، وآخرون ، 1988).

ما السرديــات؟

السرديــات حكايــات من صنع الجماعــة. والقصة (المسرودة) هـــى **تصوير** تسلسل لأحداث ماضية كما يراها الراوى الذى يحكيها فى الوقت الراهن ، وذلك بعد أن يكون ذلك الراوى قد عالجها وحللها وركبها فى صورة حكايات. ولمفهوم التصوير هذا أهمية بالغــة ، فالسرديات **ليست تسجيلات** للأحداث ، بل هـــى **تصورات ذهنية لسلسلة من**

الأحـــداث. وهكذا يمكننا على المستوى الشديـد البساطة أن نقرر أو نؤكد – فى كثير من الأحيـان – **الوقائع** المتعلقة بمناسبة معينة (فبالإمكان مراجعة سجلات الطقس للتأكد مما إذا كانـت السمـاء قد أمطرت فى ذلك الوقت أم لا، مثلا). أما تحديد ما إذا كانت مسألة الطقس لها دلالتها فى هذه **الحكاية**، فأمر يجب تركه للقاص والراوى.

كيف يختلف البحث السردى عن غيره من البحوث الكيفية؟

ثمـة أمر غير مألوف إلى حد بعيد ولكنه مهـم بالنسبة لهذا النمط من جمع البيانات؛ أمر لا يجعل هذا النمط مختلفا عن معظم الطرق الأخرى. وسبب ذلك أن البيانات التى نجمعهـا، والتى سنحللها فيمـا بعد، ليست تماما من نوع البيانـات الأكثر ألفة لنا والتى لنـا دراية بها أكثر من غيرها. فنحن هنـا لسنا بصدد جمع «الوقائع» (وسيرد مزيد من الـكلام عن هـذه النقطة فيما بعد)، ولكن ما نقوم بجمعه فعلا هـو الطريقة التى نظم بها المشارك (أو المشاركون) هـذه المعلومات فى حكاية. ولهذا تكون هذه **الحكاية** (وكذلك عملية التنظيم – أو الصياغة – هذه) هى البيانات التى نجمعها.

فمـا – إذن – السرديـة أو القصة الشفهية؟ عندما طرحنا هذا السؤال قبل ذلك، قدمنا إجابـة بسيطـة. ولكن الحقيقة أن هـذا السؤال يحتـاج فعلا إلى إجابة معقـدة نوعًا ما. فالسرديـات – فيما يتعلق بالبحث الاجتماعى – تعتبر على وجه العموم أكثر من مجرد حكاية بسيطة. فعادة ما نجد أن الراوى قد «عالج» هذه البيانات، أعنى بذلك أنه رتبها وفسـر ما حدث ليصور هذه الأحـداث كسلسلة من الأحداث الماضية، وذلك فى ترتيب زمنى مسلسل إلى حد مـا، وبالصورة التى يراها الراوى فى الوقت الراهن. والشىء المعقد هنا هو أننا (رغم وعينا بأننا متهمون بهذه **الحكاية**) قد لا نهتم كثيرا –فى الحقيقة– «بالوقائع» ذاتهـا، اللهم إلا باعتبارها وسيلة لمقارنة وجهـات نظر المشاركين بالأمور الثابتة التى نعلم أنها حدثت فعلا. بل إن بعض المفكرين – مثل فوكو(*) – يتمادى فى هذا

(*) ميشيل فوكو Foucault، M. (١٩٢٦ – ١٩٨٤): فيلسوف فرنسى شهير ينتمى لتيار ما بعد البنيوية، كان أستـاذا لتاريـخ المذاهب الفكرية، ومارس تأثـيرا عميقا على علم الاجتماع منـذ منتصف سبعينيات القرن العشريـن. من أهم أعماله: «الجنـون والحضارة» (١٩٦١)، و«ميلاد العيادة الطبيـة» (١٩٦٣)، و«النظام والعقاب» (١٩٧٥)، و«تاريخ السلوك الجنسى» (١٩٧٦).

وتعـد هـذه الدراسات الأربع الأكـثر دراسات فوكو يسرا علـى الطلاب. ولكن لا توجد بـين هذه الدراسات دراسة واحدة يمكن النظر إليها على أنها تاريخ يسير إلى الأمام فى تقدم. على العكس من ذلك، لقد استهدف فوكو توضيـح التحـولات الرئيسية فى صور «الخطاب» الذى أصبحت هذه الموضوعـات تتشكل من خلاله: لكى يوضح كيف ترتب «النظم الجديدة للحقيقة» معرفتنا، وأنساق التصنيف التى نتبناها، ومعتقداتنا وممارساتنا. (المترجم)

الأمـر إلى حد أن يقول: «لا وجـود للوقائع، وإنما كل ما هنالك تأويلات فقط» (ميجل Megill، 1985). ويؤكد ريسمان Riessman أن هدفنا كباحثين هو:

«أن نعـرف كيف يضفي المستجيبون (المبحوثون) فـي المقابلات نوعًا من النظام على سيـل الخبرة المتدفـق ليفهموا الأحداث والأفعال التي في حيواتهـم. فهذا الاتجاه المنهجي يتناول بالفحص والدراسة الحكاية التي يرويها الإخباري ويحلل الطريقة التي بها رُكبت وجُمعـت أجزاؤها معا، ويستكشف المصـادر اللغوية والثقافية التي تستند إليها، كما يحلل الطريقة التي بها تقنع هذه الحكاية من يستمع إليها بأنها صحيحة». (ريسمان، 1993).

ونعتقد أنه قد يوجد قدر كبير من الخلط في هذا الموضوع. إذ يبدو أن بعض الخبراء (انظـر مثلا برايمـان Bryman، 2004: 322) يرون أن مقابـلات **تاريخ الحياة** أو مقابـلات **التاريخ الشفاهي** تولد لنـا بيانات سردية. ولكننا لسنـا مقتنعين بذلك تماما، وذلك بسبب الخـلاف حول طبيعة هذه البيانات. فإذا كان الأمر يتعلق فقط بالمعلومات (أو إذا أحببـت أن تقول «الوقائع»)، فإن هذه البيانات **ليست** بيانات سردية. ولكن إذا كان الأمـر متعلقا بالطرق التي بها **تنظم** هذه البيانات **وبهدف** هذه الحكاية، فإن البحث حينئـذ يكون بحثا سرديا. ونرى أنه ينبغي علـى الباحثين دائمًا أن يسألوا أنفسهم: «هل بالإمكان إخضاع البيانات المجموعـة بالأساليب غير السردية للتحليل السردي؟» نحن لا نعتقـد أن هـذا الأمر جائز، بالرغم من أن رأينا هـذا لا يعني أن من المحال استخدام **مضمون** السرد في التحليل.

والآن نتأمـل: لمـاذا يرغب شخصـ ما في أن يـروي حكايته لنا؟ يـرى كثير من المفكريـن أن الأفراد يميلون إلى إضفاء نوع من النظـام على خبراتهم لكي يتمكنوا من أن يفسروها ويفهموها على حقيقتها. إذن يتمثل هذا الرأي في أننا نعلم - بالأساس- أن خبراتنا معقـدة ومتشابكة، وأن الحكايات التي نصوغها هي التي تساعدنا على فهم هذه الفوضـى. يقول «جـي» Gee: «إن واحدة من الطرق الأساسيـة - **ولعلها الطريقة الأساسية الوحيدة** - التي يستطيع بها البشر فهم خبراتهم، هي أن تصاغ هذه الخبرات فـي قالب سردي» (جـي، 1985. والعبـارة المؤكدة في هذا النصـ وردت هكذا في الكتـاب الأصلي)، كما يقول «أمبا» شيئًا قريبا مـن ذلك: «يقوم الأفراد بإضفاء المعنى على الخـبرات المختلطة المشوشة ويحاولـون «إقناع» الآخريـن بوجهات نظرهم عن طريق رواية الحكايات» (أمبا Amba، 1998).

علـى أنه حتى لو وافقنا على أن الفهم (أو إضفاء المعنى) هو الغرض الرئيسي للقصة الشفاهيـة في أغلب الأحـوال، فإننا على يقين أن هناك علاوة علـى ذلك أسبابا أخرى

تجعـل الأفراد يحكون قصصهم. وعلينــا – كباحثين – أن ننتبه لبعض هذه الاحتمالات الأخرى، لأن ذلك سيعزز فهمنا لحقيقة هذا الأمر.

وعلينا أن ننتبــه إلى احتمال أن يكون للأفراد دوافع مختلفة لرواية حكاياتهم. وهذا ليــس بالأمر السيىء، بل إنه قـد يمثل نقطة قوة من نواح كثيرة. إلا أن الحال هنا شبيه بالحال فــى كثير جدًا من نتائج البحوث، حيث لا يرى أحد أى ضرر من إمعان النظر فى دوافع الأفراد لرواية الحكايات، والتى قد تشتمل على:

- إقناع الآخرين.
- تبرير السلوك الماضى أو القرارات الماضية.
- التسويــغ العقلانــى (أى تفسير المرء لسلوكه بأسباب معقولــة أو مقبولة، ولكنها غير صحيحة – المترجم).
- تقديم تفسيرات للأحداث وتصورات لها.
- المضى قدمًا على الطرق التى سلكوها والمفضية إلى تحقيق أغراضهم» (ريسمان، 1993).
- استثارة الشفقة أو الاهتمام (جرجن Gergen، 1994).

فكر فى هذا الموضوع . . .

سرديــات الحفلـة

اقــرأ القصة الشفاهية القصــيرة التالية. اختر لك خمسة مواضــع فى هذه القصة لتقرر ما يجرى فيها (وستجد تفسيراتنا فى موضع لاحق من هذا الفصل).

الباحــث: «احك لى عن هذه الحفلة».

الــراوى: «كانــت حفلــة مملة للغايــة. كان المسنــون جميعا يجلســون فى إحدى الحجــرات، وكانوا يتكلمون عن الحــرب أو عن شيء مــا. (1) كنت أرغب فى استعمــال جهــاز ألعاب الفيديو الخاصــ بى (البلاى ستيشــن)، ولكن والدى قال إن هــذا تصــرف يفتقــر إلى اللياقة والتهذيــب. وأنــا أسألك: هل هــذا من العدل والإنصــاف؟ (2) على أى حال، ذهبت أبحث عن «جيسون» (تم تغيير الاسم)، ولكنــه كان يقوم بــأداء بعض الواجبات الدراسية ولم يكــن يرغب فى أن يزعجه أحــد. لذلك رأيت أنه يمكننى أن أخرج وألعب بالكــرة فى الحديقة. صدقنى أننى لم أتعمــد كسر زجاج «صوبة» النباتات. ولكنى أريــد القول إنه من الغباء الشديد

أن تقـام هـذه الصوبة فى هذا المكان علـى أى حال (3). فلـك أن تتصور أن أى شخصـ قد يركل الكـرة فتخترق زجاج هذه الصوبة. لم يكـن الخطأ خطئى، بل هـو خطأ جدى أن أقام هذه الصوبة فى هذا المكان. المهم أننى قمت بإصلاح الكسر الـذى حدث فى الزجاج باستخدام شريط لاصق، ولم أكن أرى أن الأمر يستحق أن أخـبر به أى إنسـان (4). وكيف كان لى أن أعرف أنه سيحدث صقيع فى تلك الليلة، وأن الزهور سوف تموت؟ إنى أتعجب ما الذى يتصور الناس أننى أعرفه عن العناية بالحدائق؟(5).

1 - ______________ 2 - ______________
3 - ______________ 4 - ______________
5 - ______________

أساليـب السـرد

من الممكن تصنيف السرديات بطرق مختلفة تعكس أغراضها الأساسية، وهو الأمر الـذى أشرنا إليه من قبل. وهذا التصنيف يبدو أكـثر «علمية» من القائمة التى ذكرناها فـى أول الكلام (قبل البرواز المعنون «فكر فى هذا الموضوع»)، ولذلك قد يكون أكثر فائدة فى الأوساط الأكاديمية. ونورد فيما يلى قائمة بالأساليب الممكنة للقصة الشفاهية. مـن المستبعد أن تشتمـل أى قصة واحدة علـى جميع هذه الأساليب، ولكـن الشائع أن تشتمل عدة قصص على العديد من هذه الأساليب.

مثال (7-1)

أساليب السرد

- الأسلوب التاريخى.
- أسلوب الأجندة الظاهرة.
- أسلوب الأجندة المستترة.
- أسلوب إضفاء الشرعية.
- أسلوب السعى للحصول على موافقة الباحث.
- أسلوب السعى للحصول على المعلومات.
- أسلوب إفشاء المعلومات.
- أسلوب الانتقاد.

فكر فى هذا الموضوع . . .

أسلوب السرد

عـد إلى القصة الشفاهية القصيرة المذكورة فى البرواز السابق بعنوان «فكر فى هذا الموضوع»، ثم أجب : ما أسلوب السرد المتبع فى هذه القصة فى نظرك؟ ولماذا؟

لماذا ترغب فى استعمال السرد؟

يميل كثير من الناس لفكرة السرد (الرواية الشفاهية)، إذ يبدو الأمر سهلا وممتعا أن تجلس وتنصت إلى ما يحكيه الأفراد من روايات. ولا ريب أن هذه الاعتبارات ليست هى أهم أسباب اختيار طريقة لجمع البيانات. ومع ذلك فإنه إن كنت تريد مثلا أن تعرف - عن طريق الاستماع للأفراد - كيف يفهمون عالمهم وكيف يتصورونه (انظر القائمة التـى وردت فيما سبق)، وكنت مهتما بعملية رواية الحكايات بجانب اهتمامك بالرواية نفسهـا - أى : إن كنت تريـد اكتشاف الفروق بين «الواقـع» و «الحقيقة» عند شخص مـا - فى هذه الحالـة تكون الرواية الشفاهيـة مناسبة لك. وهى عمليـة مثيرة للاهتمام فـى كثير من الأحيـان : فالطريقة التى بها يبدع الراوى حكايتـه أمر آسر جذاب، كما أن مـن الأمور التى سـوف تستحوذ على اهتمامك أن تكتشـف الأغراض التى رُويت هـذه الحكاية من أجلها. فالوقـوف على وجهات نظر الأفراد ومـدى ارتباطها بالعالم الاجتماعـى أمر شيق دائمًـا، ويعمل على إثراء المعرفة فى كثير مـن الأحوال، ثم إنه مثـير للاهتمام فى بعض الأحيـان. ولعل أفضل سمة يتصف بهـا البحث السردى هى أنه، إن طبق بصورة ملائمة، يستطيع أن يكشف عما يراه الراوى مهما.

الجوانـب العمليـة

بعض طرق جمع البيانات السردية

كثـيرا ما يطلق علـى جمع البيانـات السردية باسـم «المقابلة السرديـة»(*)، إلا أنها تسميـة غـير دقيقة تماما. ويمكن أن تُفضـى إلى الخلط والتشويش، لأننـا قلنا قبل ذلك أن المقابـلات فى حد ذاتها لا تقوم - بالضـرورة - بجمع بيانات سردية، حتى بالرغم من أن هذا الإجـراء (الذى يقوم بتنفيذه شخصان: أحدهمـا مصدر البيانات (المبحوث) والآخر هو من يستمع إليه (الباحث) يشبه المقابلة السردية ظاهريا فقط (الفصل الرابع).

(*) Narrative Interview.

هناك طريقتان رئيسيتان لجمع البيانات السردية هما:

1 - طريقة عدم المقاطعة.

2 - طريقة المقاطعة (بأسلوب المقابلة).

فـى كلتا هاتـين الطريقتين يتم - فى العادة - تعريـف المشاركين بموضوع البحث، ويتوجـب مناقشتهـم فى بعض تفاصيـل هذه العملية، كمـا أن الترتيب المعتـاد للمقاعد واستراتيجيات التسجيل يجب أن تجرى بصورة صحيحة. فضلا عن ذلك يعمد الباحث - فـى العملية الأولى (أى بطريقة عدم المقاطعة) - إلى استخدام عبارة واحدة أو سؤالا واحدًا ليبدأ جلسـة جمع البيانات. وقد تكون هذه العبارة مثلا: «احك لى عن كذا..». وبعدها لا يقوم الباحث بأى عمل، ويكتفى بالإنصات إلى المشارك وهو يروى حكايته، دون أن يقـوم بمقاطعتـه. مـن الواضح أنه يلـزم أن يكون تصميم هـذا البحث شاملا ومفصـلا، كمـا هو الحال دائمًـا. ويتعين على الباحـث أن يكون قد قرر مـا إذا كانت الملاحظات المحفزة غير اللفظية (والتى تسمى أحيانا المحفزات «غير المعجمية»)، ويرجع ذلك فى المقام الأول إلى أن الهمهمة - مثلا - صوت مسموع ولكنها لا تعد كلمة)؛ نقول يتعـين على الباحث تقرير: ما إذا كانـت المحفزات غير اللفظية مقبولة أم لا، أو قرر ما سيفعلـه عندما يسأله الراوى سؤالا مباشـرا أثناء قص الحكاية. وفى لحظة ما، ستنتهى الحكايـة (ويحدث ذلـك - غالبا - عندما يصـل المشارك بحكايتـه إلى الوقت الحاضر) وتكون جلسة جمع البيانات قد انتهت.

تقـوم هذه الطريقـة - التى لا يقاطع فيه الباحث الـراوى - على فكرة أن الحكايات «ذاتيـة الانتهاء» (أى تنهى نفسها بنفسها)، وأعنى بذلـك أنها تصل إلى نهايتها (عادة) عندما يصل بها راويها إلى الزمن الحاضر، أو عندما تحقق الهدف الذى رُويت من أجله. (انظـر كونللـى Connelly وكلاندينـين Clandinin، 1990، وريسمان، 1993، وماثيـوز، 2001). ويترتـب علـى ذلـك منطقيا أنـه إن قوطعـت الروايـة الشفاهية (والمصـدر الأرجح للمقاطعة فى هذه الحالة هو الباحث، وذلك مادام أنه يكون حريصا علـى تجنب احتمال أن يدق جرس الهاتف، أو يقتحـم عليهما أحد الحجرة، أو ما أشبه ذلك مـن الاحتمالات)؛ نقول إن قوطعت الرواية الشفاهيـة فإنها تنتهى، وحتى لو بدا فى الظاهر أنها مستمرة، فالحقيقة أنه بعد استئناف الحكى تبدأ رواية جديدة. ونعتقد أن أسبـاب حدوث ذلك أشد تعقيدًا من أن نتناولها هنا بكل تفاصيلها، كما أنه لا يوجد اتفاق عام على مدى أهمية التوقف أو الانقطاع فى قص الرواية الشفاهية.

أما فـى حالة استخدام الباحث لطريقة «المقاطعة»، فإنـه سيسأل طلبا للإيضاح، أو

لمزيد من التفاصيل، أو ربما للعودة إلى الموضوع من «مسار جانبى». ورغم أن هذا قد يعنى أن قدرًا كبيرا من جلسة جمع البيانات ينصب على التركيز على الموضوع، وهو ما يترتب عليه تقليل المادة غير الجوهرية، مما يوفر جهد النسخ فيما بعد، فهذا هو الفارق البارز الذى يميز «طريقة المقاطعة» عن «طريقة عدم المقاطعة»، حيث يُترك الراوى ليحكى كما يحلو له. وقد تعنى طريقة «المقاطعة أن الراوى قد يقوم بإعادة صياغة حكايته باستمرار مستخدما الأسئلة والتعليقات التى يوجهها إليه الباحث المقابل، باعتبارها محفزات تجعله يستفيض فى الكلام. وليس هذا بالأمر السيء بالضرورة، مع أنه من الواضح أن طريقة المقاطعة مختلفة تماما عن طريقة عدم المقاطعة، كما أنه يمكن أن تثمر حكاية مختلفة اختلافًا كبيرًا. مثال ذلك ما يحدث لو أن الراوى كان يسعى للحصول على الموافقة (انظر أعلاه) ويستخدم تعليقات الباحث فى قص روايته بنوع مختلف من التأكيد (بالتأكيد على معان أخرى تتفق مع تعليقات الباحث).

المواقع أو الأماكن

الموقع أو المكان (الفصل الثانى) الذى يجرى فيه بحثك أمر مهم، ومن المحتمل أن يكون عاملا له شأنه فى نجاحك. لا ريب أن الراحة البدنية والنفسية للمشارك يمكن أن تؤثر على إنتاجه لروايته الشفهية، ورغم وجود قضايا هامة أخرى، خاصة ما يتصل منها بالسلامة الشخصية (فصل5 باب1)، فإن هناك بعض الأمور الأساسية التى يمكن أن تجعل جمعك للبيانات السردية أكثر نجاحا:

- تأكد من أن مشاركك (المبحوث) يعرف من أنت وكيف يتصل بك (أو يتصل بمؤسستك، أو بالمشرف عليك).
- تأكد من أن لديك موافقة عن علم من جانب المبحوث (فصل 5 باب 1) وأنه يفهم الغرض من بحثك، وما الذى سيحدث لهذه البيانات.
- ابعث برسالة للمشاركين تعرفهم فيها ببعض المعلومات الأساسية قبل جلسة الاستماع إلى رواياتهم الشفاهية (وقد تشمل هذه المعلومات تفصيلات تخص أمور الاتصال الشخصى، ومعلومات عن البحث، وما إلى ذلك).
- تأكد من أن المبحوث موجود فى المكان المناسب الذى يكون فيه مرتاحا. وقد يعنى هذا أن تلتقى بالمشاركين (المبحوثين) فى محل إقامتهم، أو تسمح لهم باختيار مكان اللقاء. والهدف من ذلك أن يكون الراوى أكثر ارتياحا، ومن ثم يكون أقوى رغبة فى التعاون.

● اجعل الحجرة التى تستعملهـا لجلسة الاستماع مريحة بقدر الإمكان، ضع الكرسيين -الخاصـين بك وبالـراوى- قريبين من بعضهما بقـدر الإمكان، متقاديـا بذلك أن تحدث مواجهة مباشرة مع الراوى.

● تحقـق مـن أن المشاركين سعداء بتسجيـل حكاياتهم، وبين لهم كيفيـة إغلاق المسجل عندما يرغبون فى ذلك. حاول أن تكون معدات التسجيل ظاهرة للراوى.

● سـواء كنت تستخدم أسلوب «المقابلـة» (أى حيث يقاطع الباحث المبحوث) أو كنت تستخدم أسلوب «عدم المقاطعة»، فتأكد من أن مبحوثك لديه الوقت ليقول كل شىء يريد أن يقوله.

المهـارات

لا تختلـف المهارات المطلوبة للبحث السردى - فـى الحقيقة - عن المهارات المطلوبة للبيانـات الكيفية الأخرى. ولكن الأمر الحاسـم هنا هو التأكد من وضوح تصميم بحثك (أعنى أنه تصميم قائم على أسلوب مقاطعة الراوى، أو قائم على أسلوب عدم مقاطعته) ومن التزامك بهذا التصميم.

البيانـات السرديـة

مـن المعتـاد فى أيامنا هـذه تسجيل جلسات جمـع البيانات السرديـة (وهو لفظ غير دقيق، ولكننا نرى أنه أفضل من لفظ «المقابلات»)؛ يتم تسجيلها إما على أشرطة كاسيت أو على مسجل صوتى رقمى. أما ما يحدث بعد ذلك فيخضع - بالطبع - لتصميم البحث ولاستراتيجيتـه فـى التحليل (انظر الفصلـين 1 و 3 باب 1، وفصـل 2 باب4). ولكن الباحث سيقوم - عادة - بنسخ التسجيل لإعداد البيانات للتحليل (الفصل الثانى). وهذه عملية تستنفذ قدرا هائلا من الوقت، وذلك بالرغم من أننا نعتقد أنه لا توجد طريقة أفضل مـن تلك الطريقة لانغماس الباحث فى البيانات. ويتمثل عيب هذه الطريقة -طبعا- فى طول المدة التى تستغرقها هذه العملية الشاقة.

كن حذرًا: فالبحث السردى يميل إلى الإطناب إلى حد ما. لأنه ما أن تعطى الأفراد فرصـة للكلام حتي يستفيضون فى الكلام. وقـد يعني ذلك تضخم حجم المواد المطلوب نسخهـا. وعليـك أن تنتبه لهـذه الصعوبة المحتملـة وأنت فى مرحلـة التخطيط للبحث ووضـع تصميمه، وذلك لكى لا تقـع فى فخ قلة الوقت المحدد فـى جدولك لإنجاز هذا العمل بصورة صحيحة.

ونظـرًا لأن القـرار المتعلق باختيار النمـط الفعلى للتحليل سيكون قـد اتخذ من قبل مرحلة التخطيط، فلن نتعرض له هنا (فصل 5 باب 4).

معايير البحث السردى «الجيد»

فـى سيـاق استعراضنا فى الفصل (1) من باب (1) لطبيعـة «البحث الجيد» ، حددنا بعضـ المعايير التـى يمكن استخدامها فى الحكـم عليه. ولكن تواجهنا فـى حالة البحث السـردى مشكلة بسيطة. فالبحث السردى أقل اهتمامـا «بالوقائع» ، ولكنه أشد اهتماما بالقصة الشخصية التى صاغها الراوى من هذه الوقائع. كما أن الأمور المتعارف عليها مثـل الثبات المنهجي ، والصدق ، والقابلية للتعميم – والتى تعتبر من الخصائص المفيدة لبعضـ تصميمـات البحث (فصل 1 بـاب 1) – ليست مفيدة دائمًا فـى الحكم على جودة البحـث السردى (انظـر مثلا: كـوخ Coch وهارنجتـون Harrington ، 1998).

ونحـن نـرى أنه لا تزال توجد طرق مفيدة لتقييم جودة هـذا النوع من البحوث ، وأن بالإمكان إجراء هذا التقييم عن طريق فحص «الاتساق الداخلى» للحكاية (ونحن نميل للقول أنه يتعين – فى حالة تقييم البحوث ذات المستوى المتقدم – أن يجرى هذا التقييم فى ضـوء المفهوم الأساسى للمنظور الفكرى «للحقيقة». وعمـل التقييم استنادا إلى فكرتى كوخ وهارنجتون (1998) عن «المصداقية» ، والثقة.

مزايا البحث السردى وعيوبه

مزايا الرواية الشفاهية

مـن أفضـل ما يتصـف به البحث السـردى الجيد التنفيـذ أنه يعطـى المشاركين الفرصـة «ليرووا حكاياتهم». وتوحى الخبرة باستخدام هذه الطريقة بأن هذه هى المرة الأولى التى يحدث فيها هذا الأمر ، أو على الأقل : المرة الأولى التى يكون فيها الباحث المنصت راغبا ومهتما بهذا النوع من البحث.

كما أن رواية القصـة تتيح للمشاركين أن يحددوا اختياراتهم بل وتشجعهم على ذلك ، وعلـى صياغـة التعريفات ، سـواء ما كان منها متعلقـا بأنفسهم أو متعلقـا بالأحداث التى يقومون بوصفها. وبإمكان ذلك أن يساعدهم على الإحساس بأنهم شركاء فى هذا البحث ، وبالإحساسـ – بناء على ذلك – بدورهم فيه. وكثيرا ما يبدو هذا الإحساس بصورة جلية فعلا فى عمق البيانات المجموعة وفى طبيعتها التى تميزها عن سواها من البيانات.

بحثـك

«الأمومة المبكرة والنساء السود»: المشاركة فى المعلومات

كتبت آن فونيكسـ Phoenix عن اتجاهات الناس إزاء الأمهات السود حديثات السـن (1984) وهن يرويـن حكاياتهن المتعلقة بالتعصـب العنصرى الصريح الذى تعرضـن له. ومن الملامح البارزة لهذه الحكايات الشفاهية أنها تقدم بأسلوب يوحى

بأن هؤلاء الراويات يعتقدن أنه – إن تشاركن معلوماتهن هذه مع أحد – فإن هؤلاء الآخرين سوف يستخدمون تلك المعلومات فى التخفيف من وطأة هذه المشكلة عليهن.

لا شك أن هذا الاتجاه ينطوى على بعض المزايا لنا، نحن الباحثين أيضا. فالبحث السردى يتسم بأنه متعدد التخصصات، كما أنه يتيح لنا فرصة التوصل إلى فهم مواقف متعددة فى نفس الوقت. فقد وجد ماثيوز (2001) فى ثنايا رسالته للدكتوراة أن المشاركين يميلون، فى كثير من الأحيان، للكلام عن القضايا الحساسة المتعلقة «بالعرق»، و«العنصرية» فى ظل تشكيلة متنوعة من المواقع والظروف الاجتماعية والمهنية، مما أدى به إلى التوصل إلى مفاهيم واستبصارات لم يكن من الممكن الوصول إليها بغير هذه الطريقة. (كما كان هذا يعنى أن هناك حاجة لمراجعة مجموعة من المسلمات التى صاغها الباحث، وهو الأمر الذى يشكل أساس فائدة القصة الشفاهية للبحث الاستكشافي).

كذلك يكاد يكون من المستحيل أن يتفادى الباحث وضع نفسه فى موقف الراوى. فهذا الوضع التأملى النقدى يساعد على تحديد موقع الباحث كجزء من العملية البحثية (ماسون Mason، 1996).

كما أن الطرق المختلفة التى يمكن بها للبحث السردى أن يصل إلى المعلومات الحساسة، تتسم هى الأخرى بالأهمية. وقد استخدم وورد Ward (2005) الحكاية الشفاهية للوقوف على تواريخ حياة السحاقيات، كما استطاع دايوت Daiute وتيرنيسكى Turniski (2005) أن يتوصل إلى فهم حكايات الشباب فى فترة ما بعد الحرب فى كرواتيا. وكانت هذه الحكايات معقدة، ومؤثرة فى النفس ومؤلمة بحيث كان من العسير الوصول إلى فهمها وتحليلها باستخدام طريقة أخرى (انظر برواز «البحث الواقعى» أدناه).

البحث الواقعى

حكايات الشباب عن الصراع والتطورات فى فترة ما بعد الحرب فى كرواتيا

[هذا نص مستخلص من رواية شفاهية حقيقية، يوضح أن بإمكان الروايات الشفاهية أن تكون مثيرة للمشاعر، بل قد تكون فاجعة ومربكة للذهن. وهو أمر يلزم الباحثين أن يتنبهوا إليه].

بدأ هذا الصراع بينى وبين صديقتى لأنها كذبت على. لقد أصابنى الروع. كانت من قومية مختلفة، ولكنى لا أعبأ بهذا أبدا لأننا جميعا بشر من لحم ودم، كما أن من حقنا أن نعبر عن آرائنا. بينما كنا ذاهبين إلى Suncokrit (اسم مكان) عائدين من

المدرســة حكت لي أمورا رهيبة عني وعن عائلتي أثارتني فعلا إلى حد أنني شرعت فــي البكاء. لم أشــأ أن أقول لها شيئا رغبة مني في أن ألطــف من حدة الموقف. إلا أن الخــلاف بيننا لم يتوقف. ثم قذفتني بكرة من الثلج فأصابتني في عيني. أحمرّت عينــي وأحسست بــالألم. غادرت المكان متوجها للبيــت، وحكيت كل شيء لأمي. كانــت أمي في غاية الغضــب وأرادت أن تستدعي جدتهــا، إلا أنني طلبت منها أن تنتظر حتى تعود والدتها من «جفوزد» Covozd (اسم المدينة).

فــي اليوم التالي ذهبت إلى المدرسة، وبينما كنت أستعد لحضور الحصة الدراسية طلبــت مني مدرســة الفصل أن آتي لأكلمها. كنت مندهشــة لأنني لم أكن أعلم سبب رغبتها في أن تراني. ولكن كانت «صديقتي» قد شكتني إلى مدرسة الفصل. سألتني المدرسة لماذا شتمت والدة صديقتي الصربية، ولماذا أقول أمورا سيئة ضد الصرب. شرعــت في البــكاء وحاولت أن أبين لها أن ذلك ليس حقيقيــا، وأنه لا يهمني ما إذا كان إنســان مــا بلقاني، أو روماني، أو أفريقــي، أو صربي، أو كرواتي، أو من البوسنــة، أو كان أبيض اللون، أو شعره طويلا أو أنفه كبيرة... المهم عندي فقط أن يكــون شخصا طيبا. لا يهمني شكله الذي يبدو به، المهم أن يكون ذا قلب طيب. (دايوت وتيرنيسكي، 2005، 218).

عيوب الرواية الشفاهية وأوجه قصورها

عندما يروي المبحوثون حكاياتهم فإنهم يقومون بنوع من المجازفة المحفوفة بالخطر، وذلك لأنهم «يكشفون» أو يفضحون أنفسهم للباحث، مما يجعلها في نهاية الأمر مكشوفة لكل من يقرأ هذا البحث. صحيح أنه لن يتم التعريف بشخصياتهم في أي تقرير، إلا أن نفوسهم تنطوي رغم ذلك على إحساسات بهشاشة موقفهم لا بد من أخذها في الحسبان.

قــد يشغل بال بعض الأفــراد أن الباحث سيرى أن حكاياتهم محرجة أو سخيفة. وقد يزعج غيرهم أنهم إن صرحوا بأنهم ارتكبوا عملا إجراميا، فقد تتخذ ضدهم الإجراءات القانونيــة (وهذه قضية أخلاقية بارزة ينبغي مناقشتها مع أحد المشرفين على الدراسة في مرحلــة مبكرة حتى يكون اتجاه الباحــث إزاء أي قضية تشبه تلــك القضية اتجاها متسقا منهجيا ومتفقا مع التشريعات التي تنظم هذه الأمور. وفي وقتنا الحالي يؤدي أي إفصاح عن عمل إرهابي أو عن جريمة تقع تحت طائلة قانون الأطفال إلى إلزام الباحث بإبلاغ الشرطة بذلك). وقد تناولنا هذه القضايا بمزيد من التفصيل في فصل (5) باب (1).

كثــيرا ما يفاجأ الباحثــون المبتدئون بهذه الأمور التي يرويهــا المبحوثون لهم. ومن المعتــاد أن تسمع مــن المبحوثين عن مخالفــات قيادة السيارات، وعــن تعاطي العقاقير

المحظـورة، وغير ذلك من أمثال تلك الأمـور. ويعتبر الاستعداد لهذا أمرا مهمًا، وقد ناقشناه تفصيلا فى فصل (5) باب (1)، مع ما يتصل به من القضايا المتعلقة بالقوة.

فى كثير جدًا مـن الأحيان يشعر الراوى بشيء من الانزعاج والقلق من أن الباحث قـد «استولى» على حكايته، وأنهـا - بذلك - لم تعد ملكا له. وليس واضحا ما إذا كان الأفـراد يرون هـذا الوضع سيئًا على طول الخط أم لا. ويذهـب بعض الخبراء إلى أن هـذا الإفضاء بالحكايـة الشفافية قد يمثل تجربـة لتحرير النفس (أتكنسـون Atkinson وآخـرون، 1993، 443؛ زيمبـاردو Zimbardo، 1988، 469)، إلا أننا نرى أنه ينبغى النظر إلى هذا الرأى بحذر. إذ ينطوى مثل هذا الموقف على مشكلة من نوع خاص مفادهـا أن المبحوثين كثيرا ما ينظرون إلى الباحثـين باعتبارهم «خبراء». والغالب أن يسعى المبحوثون إلى الحصول على رأى الباحثين فى مضمون ما حكوه لهم من روايات شفاهيـة (يحـدث مثل هذا فى البحـوث الكيفية الأخرى). وتوجد أسبـاب محتملة كثيرة لهـذا، ابتداء من حاجة المبحوثين إلى إخفاء مشروعيـة على تصرفاتهم السابقة، وانتهاء بالحصـول على مشورة طرف ثالث فيما يتعلق بالمستقبل. ومع أنه من العسير ألا يجيب الباحث عن هذه الأسئلة وألا يستجيب لهذه المطالب، فإنه ينبغى عليه دائما أن يأخذ حذره حتى لا يجيب (على الأسئلة) ولا يستجيب (للمطالب) بصورة غير ملائمة.

النتائج غير المتوقعة

كثيرا جدا ما يحدث فى البحث السردى أمر غير مألوف نوعا ما. إذ إن من الخبرات الشائعة أن تتوصل - وبغض النظر عن بؤرة اهتمام بحثك - إلى نتائج غير متوقعة.

مـن أسباب ذلك أن طبيعة البحث السردى لا يمكـن التحكم فيها أبدا، أو على الأقل لا يتحكـم فيها الباحث عادة بمثل ما يتحكم فى بعض الطرق الأخرى (فصل1 باب3). فمـن المؤكد أن طبيعة البحث السردى شديدة المرونة - وحتى بالرغم من وجود تركيز واضـح للاهتمام - وذلك لأن الراوى هو الذى يتحكم فى مجريات هذا البحث، وعلى نحـو يفوق مقـدار تحكم الباحث. غير أن قضية الاختيار تحظـى بأهمية بالغة، كما هو شأن معظم عمليات جمع البيانات الكيفية (انظر باب 1 وباب 4).

وهكذا يحتمل أن يوجد فى إحدى الحكايات قدر من المادة الداعمة، التى يكون أحيانا متفرقـة لا رابط يجمعهـا. إلا أن تلك المادة قد تكون عظيمة الفائدة، على نحو لم يخطر لك أبدا على بال.

البحث الواقعى

بعض النتائج غير المتوقعة فى أحد البحوث الصحية

عندما كنت أدرس الخبرات الصحية للأفراد الذين ينتمون إلى أعراق مختلطة (ماثيوز Matthews، 2001)، كنت استخدم طريقة لجمع الروايات الشفاهية قائمة على عدم المقاطعة، مما يعنى أننى كنت اكتفى بالجلوس والإنصات، فقد كانت هذه الطريقة لا تسمح لى بالمقاطعة. وقد انتفعت إحدى المبحوثات بهذه الجلسة فى الكشف عن تاريخ خبرات الإيذاء البدنى والنفسى التى تعرضت لها. كانت هذه الخبرة مرعبة وموجعة، ولا شك عندى فى أنك تستطيع أن تتخيل ذلك. كما أنها أثارت عددا من القضايا بالنسبة لى، وهو ما لم أكن أتوقع أن يحدث على الإطلاق.

على أنه اتضح – بعد التغلب على هذه العقبة الأولية – أن جلسة جمع البيانات كانت هى الشيء المفيد فى الواقع لمشروعى، وذلك لأنها فتحت عددا من الأبواب التى لم يسبق لى مجرد التنبه لوجودها. وهى أمور ذات صلة بمشكلة القوة فى العلاقات الأسرية التى لها بُعد إثنى.

من المهم فى كل البحوث التى تتناول الناس أن تهيأ نفسك بقدر الإمكان لغير المتوقع. مثال ذلك أنه يتوجب عليك أن تبلغ الشرطة عن أنشطة معينة (وهى أمور – مثل إيذاء الأطفال – تقع تحت طائلة أحكام قانون الأطفال لسنة 2004، والممارسات التى تخضع لقانون الإرهاب لسنة 2006). فإلى أى مدى يمكن أن يؤثر ذلك على بحثك؟

بحثك

مزايا البحث السردي

- الحكاية / الراوى أمر محورى.
- يتيح الفرصة لرواية الحكاية.
- يمكن للراوى أن يمارس الاختيار.
- الرواة «يملكون» رواية الحكاية.
- يستطيع هذا البحث التوصل إلى بعض التأويلات وإلى «فهم الأمور المهمة».
- يصل إلى معلومات قد لا تكون متاحة فى مكان آخر.
- يصل إلى معلومات حساسة.
- قادر على أن يوصلك إلى بعض المعلومات «غير المعروفة».
- يخدم البحث الاستكشافى على نحو ممتاز.

- لا يحتاج إلى فهم مسبق للقضايا.
- لا يوجد فيه أسئلة محفزة، ولا توجد فيه مقاطعة.
- يجمع مقادير «وافرة» من البيانات.
- نطاق البيانات التى يمدك بها متسع.

عيوب البحث السردى

- يتطلب توفر الرغبة عند المبحوثين فى رواية حكاياتهم.
- قد يتعذر الوصول إلى الرواة.
- الرواة «يفضحون» أنفسهم.
- بمجرد أن يحكى الراوى قصته يفقد ملكيته لها.
- قد يكون السرد تنفيسا للراوى عن متاعبه النفسية، وهذا الأمر قد يكون ميزة أو عيبا.
- يثير بعض القضايا الأخلاقية المتعلقة بإفشاء الراوى للأسرار.
- يكون من الصعب تحليل الرواية الشفاهية (أحيانا).
- هل يهم وضع «الحقيقة» فى مواجهة «الواقع»؟
- الاختيار، أى ضرورة الانتقاء بغرض التحليل.
- لا مجال للكلام (مع الراوى)، وهو ما يعنى لا مجال للمراجعة اللاحقة.
- لا يوجد وقت أو مجال لتطوير العلاقة بين الباحث والراوى.
- قد ينظر المبحوث للباحث بوصفه خبيرا.
- صعوبات تحقيق الفهم المتبادل.
- أعمال نسخ التسجيلات تستغرق وقتا طويلا جدا، وتتولد عنها مقادير ضخمة من البيانات.
- قد تشتمل الحكاية الشفاهية على بعض المضامين التى لا صلة لها بموضوع البحث.

بحثك

اختبار جودة البحث : السرد

- هل أنت مهتم بالوقائع أم بالتأويلات؟
- هل تريد جمع المعلومات التى قام المبحوث بمعالجتها (أى إعادة ترتيبها وتكييفها بما يناسب غرضه)؟
- هل تريد معرفة مدى اتصال الحكاية بالواقع؟

- هل تهتم بالأسباب الكامنة وراء إنشاء (أو صياغة) هذه الحكاية؟
- هل تبحث عن معلومات «غير مألوفة» أو من العسير الوصول إليها؟
- هل فكرت فى طريقة التعامل مع المحتوى غير المتوقع؟
- هل أدخلت فى حسبانك طريقة معالجة كميات ضخمة جدا من البيانات؟

فكر فى هذا الموضوع . . .

حكاية الحفلة

هناك تفسيرات عديدة محتملة للرواية الشفاهية. وفيما يلى بعض تفسيراتنا:

الباحث: «احك لى عن الحفلة».

الـــراوى: كانت حفلــة مملــة للغايــة. كان المسنون جميعًــا يجلسون فــى إحدى الحجــرات، وكانــوا يتكلمــون عن الحرب أو عــن شىء ما. (1) كنــت أرغب فى استعمــال جهاز ألعــاب الفيديو الخاص بى (البلاى ستيشــن)، ولكن والدى قال إن هذا تصرف يفتقر إلى اللياقة والتهذيب. وأنا أسألك: هل هذا من العدل والإنصاف؟ (2) على أى حال، ذهبت أبحث عن «جيسون» (تم تغيير الاسم)، ولكنه كان يقوم بــأداء بعض الواجبــات الدراسية ولم يكن يرغب فى أن يزعجــه أحد. لذلك رأيت أنــه يمكننى أن أخرج وألعب بالكرة فى الحديقة. صدقنى أننى لم أتعمد كسر زجاج «صوبــة» النباتات. ولكنى أريد القول أنه من الغباء الشديد أن تقام هذه الصوبة فى هذا المكان على أى حال (3). فلك أن تتصور أن أى شخص قد يركل الكرة فتخترق زجــاج هذه الصوبة. لم يكن الخطأ خطئــى، بل هو خطأ جدى أن أقام هذه الصوبة فــى هذا المكان. المهم أننــى قمت بإصلاح الكسر الذى حدث فــى الزجاج باستخدام شريــط لاصق، ولم أكن أرى أن الأمر يستحق أن أخبر به أى إنسان (4). وكيف كان لى أن أعرف أنه سيحدث صقيع فى تلك الليلة، وأن الزهور سوف تموت؟ إنى أتعجب ما الذى يتصور الناس أننى أعرفه عن العناية بالحدائق؟(5).

(1) قد لا يكون لذلك التعبير صلة «بالوقائع» التى كان الأفراد يتكلمون عنها. ولكنه أسلوب شخص ما فى وصف خبراته.

(2) هذه الجملة محاولة لاستدرار الشفقة على (ما يفترض أنه) معاملة سيئة.

(3) هذا سلوك تبريرى، فالخطأ خطأ شخص آخر.

(4) فى هذه اللحظة يقوم المبحوث بالتسويغ العقلانى لتصرفه، فقد كان الأمر حادثة طفيفة لا تستحق انزعاج الناس.

(5) نلحظ فى هذه المرة مزيدًا من التسويغ العقلانى لتصرفه واستثارة الشفقة.

المراجع وقراءات للاستزادة

Abma, T. A. (1998) Storytelling as inquiry in a mental hospital, *Qualitative Health Research*, 8: 821–38.

Atkinson, R. L., Atkinson, R. C., Smith, E. E. and Bem, D. J. (1993) *Introduction to Psychology*, 11th edn, Fort Worth, TX: Harcourt Brace Jovanovich.

Barthes, R. (1977) Introduction to the structural analysis of narratives, in *Image-Music-Text*, Glasgow: Collins.

Bryman, A. (2004) *Social Research Methods*, Oxford University Press.

Clandinin, D. J. and Connelly, F. M. (2000) *Narrative Inquiry*, San Francisco: Jossey-Bass.

Connelly, F. M. and Clandinin, D. J. (1990) Stories of experience and narrative inquiry, *Educational Researcher*, 19: 2–14.

Czarniawska, B. (2004) *Narratives in Social Science Research*, London: Sage.

Daiute, C. and Turniski, M. (2005) Young people's stories of conflict and development in post-war Croatia, *Narrative Inquiry*, 15(2): 217–40.

Elliot, J. (2005) *Using Narrative in Social Research: Qualitative and Quantitative Approaches*, London: Sage.

Gee, J. P. (1985) The narrativization of experience in the oral style, *Journal of Education*, 167: 9–35.

Gergen, K. J. (1994) *Realities and Relationships: Soundings in Social Construction*, Cambridge, MA: Harvard University Press.

Koch, T. and Harrington, A. (1998) Reconceptualising rigour: the case for reflexivity, *Journal of Advanced Nursing*, 28(4): 882–90.

Lieblich, A., Tuval-Mashiach, R. and Zilber, T. (1998) *Narrative Research: Reading, Analysis and Interpretation*, London: Sage.

Mason, J. (1996) *Qualitative Researching*, London: Sage.

Matthews, R. N. (2001) Mixed ethnicity, health and healthcare experiences, Department of Social Policy and Social Work, University of Birmingham.

Megill, A. (1985) *Prophets of Extremity: Nietzsche, Heidegger, Foucault, Derrida*, Berkeley, CA: University of California Press.

Miller, R. L. (2000) *Researching Life Stories and Family Histories*, Sage: London.

Phoenix, A. (1994) Early motherhood and Black women, in M. Wilson (ed.) *Healthy and Wise: The Essential Health Handbook for Black Women*, London: Virago.

Riessman, C. K. (1993) *Narrative Analysis*, London: Sage.

Ward, N. J. (2005) Social exclusion and mental wellbeing: lesbian experiences, University of Birmingham.

Zimbardo, P. G. (1988) *Psychology and Life*, 12th edn, New York: HarperCollins.

الفصل الثامن

الوثائـــق

محتويات الفصل

- مجالات البحث الاجتماعى التى يناسبها استخدام الوثائق.
- أنواع الوثائق.
- استدامة الوثيقة وطول عمرها.
- الوصول إلى الوثائق.
- السيـاق.
- طرق التفسير والتحليل.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

يتنـاول هذا الفصـل استخدام الوثائق فـى البحوث الاجتماعيـة. وسنحاول خلاله التعريف بالأشياء التى تعتبر وثائق ونقدم تعريفا لها.

ثم نناقش استخدام الوثائق كمصدر وفير للبيانات، فى نفس الوقت الذى نشير فيه إلى احتمال صعوبة الوصول إليها أحيانا وصعوبة تفسيرها (أو تأويلها). ومع ذلك يمكن أن تكون الوثائق عظيمة الفائدة إلى حد بعيد.

فإن كنت تستخدم الوثائق فى بحثك، فنوصيك بمراجعة الفصل (٢) من الباب (٢)، وكذلك الفصل (٩) من الباب (٣).

تقتضى طبيعة المادة التى نناقشها فيما يلى أن يتناول هذا الفصل كلا من جمع البيانات و«تحليـل» البيانـات، وذلك على الرغم من أننا سنعالج موضـوع التحليل بصفة عامة بمزيد من التفصيل فى الباب الرابع من هذا الكتاب.

لعـل تحليل الوثائق أو التحليل الوثائقى كان معروفـا منذ اختراع الكتابة على أيدى السومريـين وسكان جنوب ما بين النهرين (دجلة والفرات) نحو سنة ٤٠٠٠ قبل الميلاد (انظر موقـع www.ancientscripts.com/sumerian.htm) ومن المؤكد أن المؤرخين استخدموا التحليل الوثائقى منذ عرف علم التاريخ، كما كان يلقى على الدوام رواجا وقبولا فى البحوث الاجتماعية.

ولخدمـة أهداف هـذا الفصل، افترضنـا أن معظم الوثائـق (انظر قائمـة المصطلحات) المستخدمة ستكون حديثة نسبيا. وعلى هذا لم نتوغل فى مناقشة قضايا الترجمة من الإنجليزية القديمة التى كتب بها تشوسر Chaucer(*) قصائده إلى الإنجليزية المعاصرة. فإن ذلك يمثل مجموعة مختلفة من القضايا والصعوبات التى ليس لدينا متسع للخوض فيها واستكشافها.

ما: الوثيقة؟

من العسير تعريف الوثائق، إلا أننا نعتقد أن أفضل ما وصفت به هو أنها سـجلات مكتوبة عن أفراد وأمور تتولد من خلال الممارسات الحياتية، ووفقا لهذا التعريف تشمل الوثائق عدة أشياء مثل: الفيلم السينمائى، وشريط التسجيل الصوتى، وفيلم الفيديو.. إلخ. ولكن يُستبعد من هذا التعريف أشياء أخرى كنصوص التاريخ الشفاهى.

قد تكون الصورة التى تتبادر إلى أذهان معظمنا عندما نفكر فى الوثائق هى صورة حزمـة من الأوراق، التى قد تكـون مضمومة إلى بعضها بدبوس أو محفوظة داخل ملف. وليس هذا سوى جزء فقط من الحقيقة، وسنعود إلى مناقشة هذا الموضوع بمزيد من التفصيل فيما بعد فى سياق هذا الفصل.

(*) جيفـرى تشوسر Geoffrey Chaucer (١٣٤٢-١٤٠٠) شاعر إنجليزى، يعد أبرز الشعراء الإنجليز قبل عهد شكسبير، وأكبر شاعر هزلى فى تاريخ الأدب الإنجليزى كله. عمل فى خدمة الدولة وعُهد إليه بأداء بعض المهام الدبلوماسية فى الفلاندر، وفرنسا، وإيطاليا. وقد مكنته رحلاته هذه من الاطلاع على الأدبين الفرنسى والإيطالى. أشهر آثاره: «حكايات كانتربرى، التى شرع فى وضعها حوالى العام ١٣٨٦ ولم يقدر له أن يتمها. (المترجم)

مجالات البحث الاجتماعى التى يناسبها استخدام الوثائق

الوثائق «ظواهر اجتماعية»، بمعنى أنه يتم إنتاجها، وتبادلها، واستعمالها بطرق ينظمها المجتمع. وهى مع ذلك ليست تصويرا صريحا للطرق الروتينية المتبعة فى المنظمات، أو لعمليات اتخاذ القرار. إنما هى تنشيء وتؤسس لأنواع معينة من التصورات فى حدود أعرافها الخاصة بها. لهذا لا ينبغى استخدام المصادر الوثائقية كبدائل لغيرها من أنواع البيانات. (أتكنسون وكوفي، فى سيلفرمان Silverman، ١٩٩٧، ٤٧).

كل وثيقة تم إنتاجها أو كتابتها بواسطة شخص معين، وفى سياق محدد، ومن أجل غرض بعينه. ولكن محتويات الوثيقة لا تصير واقعا أو حقيقة لمجرد أنها دونت. قد تكون بؤرة الاهتمام فى البحث الاجتماعى منصبة على المحتوى الفعلى داخل الوثيقة، إلا أنه من الملائم أيضا أن تنصب على فهم ودراسة سبب وكيفية إنتاج الوثيقة فى شكل معين وفى سياق محدد.

إن استعمال الوثائق فى البحث شبيه جدا باستعمال الطرق الأخرى لجمع البيانات. وأهم فارق بين الوثائق والطرق الأخرى هو أن البيانات الموجودة فى الوثائق، نظريًا على الأقل، تُدَوَّن فى شكل ثابت نهائى بمجرد كتابتها. والواقع أن هذا قد لا يصدق على الوثائق تماما، إذ ليس خافيًا أن يحاول المؤلفون «إعادة كتابة» التاريخ. للاطلاع على مناقشة لهذه النقطة انظر سوثجيت Southgate، ٢٠٠١. ولعل أشهر الأمثلة على ذلك ما نجده فى المؤلفات التى تتناول الحروب والتى تُكتب فى أغلب الأحوال دائمًا على أيدى المنتصرين، كما أنها تميل إلى التمويه فتقدم صورة براقة خادعة تُغطى على عيوبهم بينما تُبرز عيوب المنهزمين. تُعد بعض الوثائق «الإلكترونية» (انظر أدناه) أقل فى دقتها مما قد نتصوره عنها فى الوهلة الأولى، كما أنها فى أغلب الأحيان عُرْضة للحَذْف و/أو التغيير على يد المؤلف أو على أيدى الآخرين. ورغم ذلك، فإن بالإمكان الاتفاق على أن معظم الوثائق يمكن أن تُزَوِدّنا بسجل ذى شكل محدد لأمر حدث فى وقت معين.

يمكن للوثائق أن تحتوى على أصناف مختلفة من البيانات، وذلك بناءً على نَمَطها، وغرضها، ووسيلتها. وبإمكان الوثائق أن تستوعب أطياف الحياة الاجتماعية، كما أنها قد تشمل - رغم طول القائمة - على سبيل المثال ما يلى:

- فقرات الأخبار (والتعليقات).
- البيانات الرقمية (الإحصاء السكانى، والمسوح).
- البيانات الكيفية (التقارير ونتائج المشروعات البحثية).

● الوثائق السياسية (الوثائق الحكومية وغيرها من الوثائق «الرسمية»).
● المعلومات الشخصية والتفصيلات المتعلقة بها (المذكرات اليومية، أو الخطابات أو قوائم المشتريات).
● المعلومات التاريخية.
● المادة البصرية (الأفلام السينمائية، أو الصور الفوتوغرافية أو أفلام الفيديو).
● المادة السمعية (المسموعة).
● المواد «الأخرى» (انظر فيما بعد).

بطبيعة الأمر، فإن الوثائق لا تقتصر على صنفٍ واحدٍ من البيانات، كما يمكن أن نصادف كثيرًا من أشكالها المختلفة في وثيقة واحدة.

لماذا تُستَعمل الوثائق؟

١ - لأن الوثائق مُتاحَة بسهولة في كثير من الأحيان، كما أن بإمكانها أن تشمل مقادير كبيرة من المعلومات.
٢ - لأن الوثائق ثابتة وتقدم «لقطة» لأحد جوانب الحياة في لحظة زمنية معينة.
٣ - تعتبر الوثائق، لسبب لا يقل أهمية عن الاعتبارين السابقين - أكثر من مجرد مصدر للبيانات، إذ إن بالإمكان دراسة الوثائق في حد ذاتها باعتبارها «ميدانا» من ميادين البحث (بريور، ٢٠٠٣، ٢٦).
٤ - الوثائق منتج من صنع المجتمع: وهذا معناه أنها تدلنا على ما هو أكثر من مجرد البيانات والمعلومات التي تشتمل عليها.
٥ - يمكن للوثائق أن تكون عظيمة الفائدة في الحصول على البيانات التي تُجمع باستخدام طرق البحث المتعددة: أعني بذلك أنها مفيدة فيما يتعلق بالوصول إلى فهم أدق للبيانات التي سبق جمعها للبحث من مصادر مختلفة.

أنواع الوثائق

عمدنا - من باب التيسير - إلى تقسيم الوثائق إلى مجموعتين رئيسيتين: مجموعة الوثائق «المكتوبة» ومجموعة الوثائق «الأخرى". لم يكن هذا قرارا سهلا، إذ إن بعض الوثائق «الأخرى» تحتوي - لا محالة - على كلمات. وأيا ما كان الأمر، فإننا نرى أن كل إنسان يفهم جيدًا فكرة الوثيقة «المكتوبة»: كالمفكرة اليومية، ومحاضر اللجان، والسجلات الرسمية، وما شابه ذلك.

ومــع ذلك يوجد هنا نــوع من التشابك والتعقيد. فعلى امتــداد معظم فترات التاريخ الحديــث، كانت السجلات «المكتوبة» تتكون من شكل ما من أشكال الكتابة على الورق (ونحــن نُدرج تحت هذا المفهوم: المطبوعات وما كتــب على الآلة الكاتبة). ومع ذلك، فإنه منذ أوائل تسعينيــات القرن العشرين، أصبح يزداد بسرعة الاحتفاظ بالسجلات، إمــا فى شكل إلكترونى (فى ذاكرة الحواسب الآلية وفى مشغلات الأقراص)، وإما فى شكل لا يمكن الوصول إليه إلا بواسطة الحاسب (مثل السى دى. روم - أى الأقراص المدمجــة للقراءة فقط، والــدى فــى دى. روم - أى الأقراص متعــددة الاستعمالات للقراءة فقط، ومشغلات الفلاشات، ومحركات الذاكرة memory sticks، وبطاقات الذاكــرة . . . إلخ). وهذا ما نقصــده بالتشابك والتعقيد، إلا أننا نرى أنه من الأفضل - فــى الأغلب الأعم - تجاهل هذا التغير فى النماذج، وأن أيسر طريقة لفهم هذه الوثائق هى تركيز تفكيرنا فى الوسيط الذى وضعت فيه. ومن ثم يمكن النظر إلى الوثيقة المدونة ببرنامــج لمعالجة الكلمات بنفس الطريقة التى ننظر بها إلى الوثيقة الورقية المناظرة لها، أو يمكن النظــر إلى الصورة الرقمية بوصفها صــورة فوتوغرافية. ولا يخلو ذلك من بعضــ القضايا الإشكالية المتعلقة باستدامة الوثيقــة، وطول عمرها، وإمكانية الوصول إليهــا، وهى الأمور التى سنناقشها لاحقا. كما توجد عدا ذلك قضايا أخرى تتعلق بأمن البيانات الإلكترونية التى تناولنا بعضها بالمناقشة فى الفصل (٥) من الباب (١).

وهناك عدد من الطــرق المختلفة، أو أساليب التنميط المختلفة، التى يمكن استخدامها لتنظيــم الوثائــق، إلى جانب التقسيم الثنائــى البسيط إلى «مكتوبــة» و «أخرى» الذى عرضنــاه من قبل (والمتضمن فى المجموعــة الأولى من طرق التنميط المذكورة أدناه). ونعتقد أن أفضل أساليب التنميط هى ما يلى:

١ - **أسـلوب تنظيم الوثائق حســب الوســيط:** أى نوع الوثيقة والمادة المصنوعــة منها (والتى يندرج تحتها - اليوم - الأشكال الإلكترونية غير المادية، كالإنترنت).

٢ - أسلوب تنظيم الوثائق حسب المصدر : لماذا وُضعت الوثيقة، ومن وضعها؟

٣ - أسلــوب تنظيــم الوثائق حسب الغرض منها : وهذا النمــط أحيانا ما يكون هو نفسه نمط التقسيم حسب «المصدر» (ولكن ليس على الدوام. انظر أدناه): وهو الأسلوب الذى يشمل الأرشفة (أى الحفظ فى سجلات) ونقل المعلومات.

وتشمل هذه الأنماط ما يلى:

- **الوسيط رقم (١)**
  - الوسيط الورقى : المكتوب باليد / أو المطبوع.
  - الوسيــط الإلكترونى: ذاكرة الحاسب، والأقراص المدمجــة للقراءة فقط (دى فى دى) والأقراص متعددة الاستعمالات للقراءة فقط، والفلاشات . . . إلخ.

● الوسيط رقم (٢)

- الصور الفوتوغرافية (بما فيها الصور الفوتوغرافية الرقمية).
- الفيلم السينمائى.
- الفيديو (الشريط، أو القرص، أو الذاكرة الصلبة).
- السمعى (الشريط، أو القرص، أو الذاكرة الصلبة).
- الكتابات الرسمية (كاللوحات التذكارية، وأحجار الأساس - للمنشآت - والكتابات المكتوبة على المبانى... إلخ).
- كتابات أخرى (كالشعارات المكتوبة على الملابس، والنقوش الجدارية، وشواهد القبور... إلخ).
- وسائل الإعلام الجماهيرية (الصحف، والمجلات، والتلفزيون، والإذاعة... إلخ).
- الإنترنت.

(هذه قائمة ليست شاملة، كما أن من الممكن بسهولة جعلها أكثر تعقيدًا بلا داع).

● المصدر رقم (١)

- المصدر الأولى: وثائق كتبها الفرد/ أو الأفراد الذين شاهدوا أو شاركوا فى الأحداث الموصوفة فى الوثيقة.
- المصدر الثانوى: وتشمل تقارير شاهدها أو سجلها آخرون (عدا المشاركين فيها).

ومن الممكن أيضا أن يكون لدينا:

- المصدر الثلاثى: توليفات معقدة قائمة على الوثائق الثانوية وغيرها من البيانات.

● المصدر رقم (٢)

- المصدر الشخصى: وثائق كتبها أفراد عاديون (لا يتولون منصبا أو عملا عاما).
- المصدر الرسمى: وثائق كتبتها «مؤسسات» كالحكومات، والشركات، والمنظمات عابرة القوميات (كالجمعيات الخيرية، مثل مؤسسة «أوكسفام» Oxfam البريطانية)، والمؤسسات فوق القومية (كالاتحاد الأوروبى، أو الأمم المتحدة، وحلف شمال الأطلنطى).
- المصدر التاريخى: وهى الوثائق التى وضعت خصوصا لتسجيل «التاريخ» (وهناك خلاف حول وجود هذه الفئة، حيث يرى البعض أنها تندرج ضمن فئة الوثائق «الشخصية»، أو الوثائق «الرسمية». وقد أدرجناها هنا بقصد الاستيفاء).

● الغرض: بعض الأغراض هى نفسها المذكورة فى فقرة المصدر رقم (٢) التى سبقت الإشارة إليها، أعنى بذلك الغرض الرسمى أو التاريخى. والغرض الرئيسى الآخر من وضع الوثائق هو جعل المعلومات متاحة للآخرين. وفى بعض الأحيان تكون هذه الوثائق فرعا من الوثائق «الرسمية»، فتسمى حينئذ «أرشيفا». والأرشيفات فى العادة عبارة عن كميات ضخمة من البيانات المخزنة وفق بعض الأساليب المنظمة لتيسير البحث عنها والوصول إليها.

وفيما يلى مثالان على هذه الأرشيفات:

● أرشيف الملاحظة الشامل:

(www.sussex.ac.uk/librarymassobs)

● أرشيف البيانات الكيفية Qualidata :

(www.essex.ac.uk/qualidata)

تكاد جميع الأرشيفات الحديثة تكون قائمة على أساس الكومبيوتر. فى حين تقوم الأرشيفات الأقدم – عادة – على الورق. وينطوى هذا التقسيم على دلالات واضحة فيما يتصل بمدى إمكان الوصول إلى الأرشيفات والبحث فيها.

فكر فى هذا الموضوع...

موضوع للتأمل

من غير المحتمل أن يكون الغرض الأصلى لإنشاء الوثيقة هو نفس الغرض الذى يحرك بحثك (وإن كان الغرض الأصلى للبحث قد يكون مجهولا فى الحقيقة). ومن شأن ذلك أن يجعل من الصعب (أو ربما المستحيل) أحيانا استخدام الوثيقة فى بحثك.

سيقرر معظم الباحثين أى نمط، أو أى مجموعة من الأنماط، هى الأكثر ملاءمة لمشروعهم، وذلك فى ضوء ما يحاولون اكتشافه أو التعرف عليه، وعلى تصميم بحثهم (الباب الثانى). وأيا ما كان الأمر، فإن ثمة قضايا أخرى يتوجب أخذها فى الاعتبار.

استدامة الوثيقة وطول عمرها

لا شىء يبقى مستمرا على الدوام. وتصدق هذه الحقيقة على الوثائق بصفة خاصة. فالوثائق الورقية هشة، وقابلة للاحتراق، وعرضة للتدمير أو التلف بفعل الماء والحشرات. وبعض أنواع الحبر تبهت بمرور الزمن أو بسبب تعرضها للضوء.

وتتعرض الوثائق للضياع، أو لوضعها فى غير أماكنها الصحيحة، أو للإخفاء أو للتدمير (الذى يكون متعمدا أحيانا). بل إن وسائل الاتصال التى تبدو أدوم بقاء - كالأقراص المدمجة مثلا - تتحلل بمرور الزمن.

إن عمر وسائل الاتصال المغناطيسية (وتشتمل هذه الوسائل على الأشرطة الصوتية والأوعية الموضوعة فيها)، وأشرطة الفيديو وأوعية حفظها، وأقراص الكومبيوتر المرنة ... إلخ) نقول إن عمر هذه الوسائل المغناطيسية محدود، كما أن مدة صلاحية معظمها تقدر بنحو ٣٠ سنة (بوجارت Bogart، ١٩٩٥). ومعلوماتنا عن الوسائل البصرية (مثل السى دى روم، والدى فى دى، وما أشبه ذلك) أقل من ذلك على الرغم من أن صانعيها يزعمون أن مدة صلاحيتها تتراوح ما بين ٥٠ سنة، و٢٠٠ سنة (ماركين Marken، ٢٠٠٤). وتتحلل أشرطة الأفلام السينمائية بمعدلات مختلفة تبعا لنوعية المادة المصنوعة منها وتبعا للطريقة التى تخزن بها. ولو توفرت لها ظروف مناسبة فقد يكون ممكنا أن تظل صالحة لمدة تتراوح بين ١٠٠ و١٥٠ سنة.

إلا أن بعض الوثائق أسرع زوالا من غيرها. فالخطابات الشخصية قد تُدمر عقب قراءتها أو يتم التخلص منها بعد وفاة صاحب البيت وبيع ما لا حاجة إليه من تراثه. وكثيرا ما يدمر الشخص يومياته (المفكرات اليومية - أو اليوميات) فى نهاية السنة. إلا أن هناك وسيلة واحدة أصبحنا معتادين على أنها أقصر الوسائل عمرا: وهى الإنترنت. قد يطول عمر بعض الوثائق المنشورة على الإنترنت لفترة تقدر بالسنوات، ولكن بشرط أن تظل بلا تغيير أو بلا حذف. بل إن مواقع الشبكة التى قد نعتقد أنها دائمة (مثل موقع ويكيبيديا). تتعرض للتغير - فى الواقع - طوال الوقت لأنها تتعرض دائمًا للتحديث ولعمليات التحرير (أى التنقيح والتعديل والتغيير). وهناك بعض الوثائق التى لا تعمر سوى لمدة يوم واحد تختفى بعده فى اليوم التالى. لهذا السبب يتوجب على الباحثين أن يتعاملوا مع هذه المصادر بحرص وعناية، كما ينبغى عليهم أن يسجلوا تاريخ اليوم الذى طالعوا فيه هذه الوثائق.

الوصول إلى الوثائق

كثيرا ما يكون الوصول إلى الوثائق أمرًا عسيرًا. وواضح أن الدخول على الإنترنت شرط لابد منه بالنسبة للوثائق الموجودة على الشبكة جميعًا، ولكن بعض شروط الوصول الأخرى أقل وضوحا من ذلك. وبعض السجلات الحكومية متاحة للجمهور (كشهادات الميلاد، وعقود الزواج، وشهادات الوفاة، وبعض سجلات الإحصاء السكانى، والوصايا الموثقة)، إلا أنه لا بد فى أغلب الأحيان من دفع رسوم للاطلاع عليها. وقد كفل القانون حرية المعلومات (الصادر عام ٢٠٠٠) لكل إنسان

حريـة الوصول إلى الوثائق التـى تنشرها طائفة عريضة من جهـات الاختصاص فى بريطانيـا: كالحكومة المركزيـة والحكومات المحليـة، ووزارة الصحة، والجامعات، والمدارس. إلا أن هنـاك قائمة طويلة من الجهات المستثناة من هذه الممارسة، فلا تنشر وثائقهـا علـى الشبكـــة. (للاطـلاع علـــى مزيـد مـــن التفاصيـل انظـر موقـع: www.justice.gov.uk/guidance/foi-exemptions-about.htm).

وجديـر بالملاحظـة أن بعض الوثائق الرسميـة فى المملكة المتحدة تظـل سرية بموجب «قاعدة الثلاثين سنة» التى استحدثها قانون السجلات الحكومية (الصادر سنة ١٩٥٨). لذلـك قد يتعذر فى كثير من الأحيان بحـث الموضوعات الحساسة فى نفس الوقت الذى تكون فيه محل اهتمام الناس.

وغالبا ما تكون المشكلـة المتعلقة بتحديد أماكن وجود الوثائق (وهى مشكلة ليس لدينا حل لها يمكن الاعتماد عليه) هى توفر العلم بوجودها أساسا. وإن كان من الواضح أنه يمكن دفع المال لبعض الشركات المتخصصة لتحدد لك أماكن وجود الوثائق، إلا أن هذه العمليـة مكلفة جدا، كما أن الأرجح أنها تفوق قـدرات معظم الطلاب الباحثين، إن لم يكونـوا كلهم. كذلك يمكن أن يكـون البحث على الإنترنت مفيدا فى هذا الصدد، وذلك فضـلا عن مجرد التوجه بالسؤال إلى الجهات التى يحتمل أن يكون لديها معلومات عما إذا كانـت تحتفظ بالمعلومات التى تحتاج إليها أم لا. والأرجح أن الاستراتيجية الدؤوبة المتعددة الشعب هى أنجح الاستراتيجيات فى هذا الشأن.

السيـــاق

نظـرًا لأن الوثائق هى أشيـاء من صنع المجتمع، فإن السيـاق الذى يتم وضعها فيه يصبـح أمرا مهما. لذلك يتوجـب على الباحثين أن يطرحوا مجموعـة من الأسئلة عند استعمالهـم للوثائق حتـى يستطيعوا أن يفهمـوا أقصى ما يمكنهم فهمه عـن هذا السياق (انظر البرواز بعنوان «بحثك» الوارد فيما بعد).

الأصالة (أو الصحة)

من الواضح أن تحديد ما إذا كانت وثيقة ما أصيلة أم مزيفة، أمر مهم (حتى لو كان بحثك معنيا بوثائق مزيفة، فمن الأهمية – مع ذلك – أن تكون على دراية بأصولها الحقيقية).

ليـس ممكنا على الدوام أن تحكم على أصالة الوثائق، إذ إن هناك بعض الحالات الشهـيرة التى ارتُكبت فيها أخطاء فـى هذا الصدد (انظر برواز «البحث الواقعى» على الصفحـة التاليـة). ونحن نـرى أن الأسلوب الأفضـل فى هذا الصـدد أن تتسلح بقدر معتـدل من الشك، خاصـة إذا كنت تتصور أنك قد اكتشفت أمـرًا بالغ الأهمية. ونعتقد

- علـى وجه العموم - أن بالإمـكان التأكد من أصالة معظم الوثائق الرسمية (رغم أن هـذا الوضـع أيضا يتغير بمرور الزمـن وبوصول نظم حكم جديـدة. حيث أصبح من الصعوبة البالغة أن تتأكد مـن صحة بعض الوثائق الصادرة عن حكومة ألمانيا الشرقية السابقة مثلا). وأيا ما كان الأمر، فإن احتمال اكتشاف الطالب الباحث لتزوير الوثائق أو تزييفها هو - فى اعتقادنا - احتمال ضعيف جدًا.

البحث الواقعى

يوميات هتلر

فى سنة ١٩٨٣ نشرت مجلة ألمانية أجزاء مما زُعم أنه يوميات أدولف هتلر. وقد دفعت هـذه المجلة مبلغا ضخمًا من المال للحصول على هـذه الوثائق، كما أن بعض المؤرخـين البارزين اعتبروها وثائق أصيلة (صحيحة). غـير أنه اتضح فيما بعد - يقينا - أنها مزورة، كما ثارت شكوك فى تواطؤ أحد المؤرخين فى هذه الخديعة [فقد كانت هذه اليوميـات مكتوبة بحبر حديث على ورق معاصر. وقد أدين هذا المزوِّر لاحقا، وقضى نحو أربع سنوات فى السجن تنفيذًا لحكم أصدرته المحكمة بحقه].

لماذا تعتقد أنه كان من السهل تماما إقناع الناس بأن هذه اليوميات أصيلة؟

مشكلات تتعلق بالوثائق والإحصائيات الرسمية

رغم أننا لا نريد إعطاء الانطباع بأن الحكومات وغيرها من المصادر الرسمية تعمل على تضليل قراء وثائقها، فإن هناك بعض القضايا الخلافية التى تستحق أن نفكر فيها:

- مـن المألـوف أن تتغير التعريفات بمـرور الزمن، وكثيرا ما يكون هـذا هو حال الوثائق الرسمية. من ذلك مثلا، أن الأسماء التى تطلق على الفئات «العرقية» تتغير بشكل ملموس بمـرور الزمـن. فمجموعة الناسـ الذين كانوا يُعرفـون فى وقت مضـى باسم مجموعة «أبنـاء جزر الهند الغربية» قد يُعرفون حاليا باسـم «أبناء الكاريبى الأفارقة» أو «السود» (وتختلف هذه المسميات فى البلاد الأخرى كذلك. من هذا أن المجموعة الإثنية التى أسميناها هنـا مجموعة أبناء الكاريبى الأفارقة تعرف عادة فـى الولايات المتحدة باسم «الأمريكيين السـود» (الأمريكيين الأفارقة). كذلك تغيرت طبيعة اللفظ الأساسى: «العرق» وكثيرا ما أصبح يستعمل (وهو أمر خطأ فى رأينا) كمرادف للفظ «الإثنية» والعكس بالعكس.
- المألـوف فى المملكـة المتحدة حدوث تغيير فـى الحدود الإدارية. فقـد تغيرت حدود الأقاليـم فى إنجلترا تغيرا ملحوظا فى سنة ١٩٧٤ مـع استحداث أقاليم «جديدة». ثم

حدثـت تغيرات أخذت تتلاحـق منذ ذلك التاريخ. وهذا التغير فـى الحدود الإدارية للأقاليـم يجعل من الصعوبة البالغـة مقارنة المعلومات الواردة فـى بعض الوثائق، وذلك لمجرد أن الأشياء التى تشير إليها قد تغيرت، وإن كانت ولا تزال تحتفظ أحيانًا بنفس الاسم.

- أحيانـا ما تكـون الوثائق الرسمية «خطـأ» لأسباب غير مألوفـة. شاهد ذلك أنه من المحتمـل أن الحالات الأولى للوفيات الناجمة عـن الإصابة بمرض الإيدز فى المملكة المتحـدة قد حدثت فى أواخر سبعينيات القرن العشرين. ولكن المؤكد أنه قد تم تسجيل عدد من الوفيات الراجعة إلى هذا السبب فى أوائل ثمانينيات القرن العشرين. إلا أن البعضـ يعتقد أن عددًا كبيرًا من الوفيات الناجمة عـن مرض الإيدز قد سُجلت خطأ باعتبار أنها راجعة إلى أسباب أخرى (وهو مرض الالتهاب الرئوى، كما هو معهود فى هذه الحالات). وليس واضحًا ما إذا كان هذا الخطأ راجعًا إلى:
  - جهل الأطباء الذين صدقوا على شهادات الوفاة.
  - أو أن ذلك كان جزءًا من عملية لإخفاء السبب الحقيقى لهذه الوفيات.
  - أو أنـه كان هو عين الحقيقة، لأن الأفراد الذين يعانون من مرض الإيدز غالبا ما يموتون بسبب ما يرتبط به من إصابات العدوى.

إن وجهـة النظر التى نحاول التدليل عليهـا هنا هى أنه من المهم أن تعرف أقصى ما يمكنك معرفته عن أى موضوع قبل أن تتصدى لإصدار حكم عليه.

فكر فى هذا الموضوع . . .

اطـرح الأسئلة التالية عن البيانات المجموعة وفقا لكل من السيناريوهين البحثيين التاليين:

(أ) من المؤلف ؟

(ب) ما الذى يحاول المؤلف قوله؟

(جـ) إلى من يتوجه المؤلف بكلامه؟

(د) لماذا كُتب هذا التقرير؟

(هـ) ما الذى يسعى المؤلف إلى تحقيقه؟

١ - افترض أن بحثـك الذى يتناول طريقة تواصل الشباب مع بعضهم البعض فى المملكة المتحدة فى العقد الأول من القرن الواحد والعشرين شمل -كجزء

مـن عملية جمـع البيانات- عينـة من الإعلانـات الشخصيـة المأخوذة من موقع على الإنترنت (أو فى إحـدى الصحف) مخصص للشباب والشابات الراغبين فى تحديد مواعيد للقاءات عاطفية.

٢ - افترض أن بحثك الذى يتناول طرق تقديم الأحزاب السياسية نفسها للجمهور كان يشمـل - كجزء مـن عملية جمع البيانـات - دراسة متعمقـة للبيانات الحزبية لكل الأحزاب الرئيسية المشاركة فى الاقتراع .

بحثـك

أسئلة ينبغى أن تطرحها على نفسك عند استخدام الوثائق فى البحث

- ما مصدر هذه الوثيقة؟
- هل الوثيقة أصيلة؟ هل يمكننى أن أثق بها؟
- ما عمر الوثيقة؟
- من الذى كتب الوثيقة؟
- مـا الذى كان يحدث فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية حينما وضعت هذه الوثيقة؟
- لماذا ظلت هذه الوثيقة باقية (أو لماذا تم الحفاظ عليها)؟
- هـل لهذا السيـاق المحيط بإنتاج الوثيقـة تأثير على الثبات المنهجـى لهذه البيانات وعلى دقتها؟
- ماذا كان غرض الوثيقة؟
- مَنْ كان الجمهور المستهدف أصلا بهذه الوثيقة؟
- هل الغرض الأصلى للوثيقة يجعلها غير ملائمة لبحثى؟
- ما أهمية الوثيقة لبحثى؟
- هـل أنا على بينة من احتمال تَغَير الحـدود (الإدارية) والتعريفات منذ وضع هذه الوثيقة؟

طرق التفسير والتحليل

يمكنك أن تطرح أسئلة عن الوثائق بنفس الطرق التى قد تتبعها فى طرح أسئلة عن مبحوثيك، كما أن طبيعة البيانات التى تجمعها قد تكون كمية أو كيفية. وكما هو الحال فى الطرق الأخرى لجمع البيانات، فإن نقطتي البدء تتمثلان في: أسئلة البحث والتعريفات الإجرائية. ومن واقع هذه الأسئلة والتعريفات يمكن صياغة مجموعة من الأسئلة التى توجه لكل وثيقة على حدة، كما أنه قد يكون مفيدًا تصميمُ نموذج يمكن تسجيل البيانات فيه. قد تكون البيانات كمية، بمعنى - مثلا - كم عدد المرات التى استعملت فيها كلمات معينة، أو عبارات، أو مفاهيم معينة؟ أو قد تكون ذات طبيعة كيفية أوضح؟ وعندها نتساءل: ما الأفكار التى تم التعبير عنها فى الوثيقة؟ وما الاتجاه الأساسى للوثيقة؟ أو قل: ما «الخطة» أو الأجندة الأساسية للوثيقة؟

هناك عدة طرق لتفسير وتحليل الوثائق وبياناتها. وأبسط هذه الطرق هى قراءة الوثيقة لاستخلاص المعلومات. ومع ذلك، فإن بالإمكان تطبيق معظم أشكال التحليل الأخرى على محتويات الوثائق، وهو ما سوف نتناوله بمزيد من التفصيل فى الباب الرابع من هذا الكتاب.

بحثك

مزايا استخدام البيانات الوثائقية

- الوثائق متاحة بسهولة، كما أنها تحتوى فى غالب الأحيان على كميات ضخمة من المعلومات.
- يمكن استخدام الوثائق فى البحث المتعدد الأدوات لمعالجة البيانات المجموعة من مصادر أخرى.
- تتسم بيانات بعض الوثائق بأنها طويلة العمر، وبذلك يمكن بحثها على امتداد الزمن.
- تفيد الوثائق فى تزويد البحث بمعلومات عن السياق الذى وضعت فيه.

عيوب استخدام البيانات الوثائقية

- قد تُفقد الوثائق أو يُغيّر فيها شيء.
- قد تتغير التعريفات المستخدمة فى الوثائق بمرور الزمن.
- الأشياء التى تشير إليها الوثائق وترتبط بها (كالأقاليم الإنجليزية مثلا) قد تتغير دلالتها عبر الزمن.
- قد تكون الوثائق مضللة إذا لم تكن الظروف المحيطة بإنتاجها معروفة معرفة تامة.

بحثـك

اختبار جودة البحث: الوثائق

- هل تدرك حقيقة مصدر وثائقك؟
- هل أنت واثق من أصالتها (صحتها وحجيتها)؟
- هـل تدرك حقيقـة الغرض الأصلي للوثائق، ومـا إذا كان بالإمكان، بسبب هذا الغرض، أن تكون مفيدة لبحثك أم لا؟
- هل تغيرت التعريفات والمصطلحات منذ كتابة الوثيقة؟ هل تستطيع أن تعالج نتائج هذا التغير؟
- هل يمكن دراسة بيانات الوثيقة باستخدام طرق أخرى لجمع المادة؟

المراجع وقراءات للاستزادة

Bogart, J. W. C. (1995) *Magnetic Tape Storage and Handling: A Guide for Libraries and Archives*, Washington, DC: National Media Laboratory.

Marken, A. (2004) CD and DVD longevity: how long will they last? *Audioholic Magazine* available online at www.audioholics.com/education/audio-formats-technology/cd-and-dvd-longevity-how-long-will-they-last (last accessed 21 August 2009).

Prior, L. (2003) *Using Documents in Social Research*, London: Sage.

Silverman, D. (1997) *Qualitative Research: Theory, Method and Practice*, London: Sage.

Southgate, B. C. (2001) *History: What and Why? Ancient, Modern and Postmodern Perspectives*, 2nd edn, London: Routledge.

University of Liverpool and The Wellcome Trust (2008) *Understanding Epidemics* available online at www.liv.ac.uk/geography/research_projects/epidemics/HIV_intro.html (last accessed 21 August 2009).

الفصل التاسع

المصادر الثانوية للبيانات

محتويات الفصل

- طبيعة البيانات الثانوية.
- الإحصائيات الرسمية.
- استخدام البيانات الثانوية.
- الجمع بين البيانات الأولية والثانوية.
- طبيعة البيانات الثانوية وتأثيراتها على التحليل.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

يتناول هذا الفصل المصادر الثانوية للبيانات. ولكنه لا يتناول على وجه التحديد تحليل هذه الأنواع من البيانات، لأننا نعالج هذا الموضوع فى موضع آخر، وبالتحديد فى الباب الرابع من هذا الكتاب.

يمكن تقسيم مصادر البيانات، وبصورة ملائمة، إلى فئتين (للاطلاع على التعريفات والأنماط الأخرى انظر فصل 3 باب 1):

1 – البيانات الأولية: وهى البيانات التى نجمعها (أى: الباحث أو أحد أعضاء فريق البحث) بصورة مباشرة.

2 – البيانات الثانوية: وهى البيانات التى يجمعها شخص آخر (والذى لا يكون عضوًا فى مشروعنا البحثى).

ويقتصر هذا الفصل على معالجة المصادر الثانوية، ويركز بصفة خاصة على «البيانات التى تُصدرها المنظمات والهيئات» وعلى «الإحصائيات الرسمية».

إن البهجــة العظيمة فى الاشتغال بمصــادر البيانات الثانوية قد ترجع إلى أن شخصًا ما غيرنا قد قام من قبل بهذا العمل من أجلنا ! للأسف الشديد، ليس هذا هو الحال دائمًا.

ففى كل يوم يتم تسجيل مقادير ضخمة من البيانات فى تشكيلة مختلفة من الأماكن. شاهد ذلـك أن قدرًا كبيرًا من حيواتنا تُعدُّ مـادة للتسجيل شبه الرسمى، (ونقول شبه الرسمى، لأن مـن الراجح أن البيانــات التى سنكون قادرين على الوصـول إليها بيانات ليس فيها ذكر للأسماء بشكل ما، وذلك بقصد ألا يكون ممكنًا التعرف على هويات الأفراد).

وعلـى الرغـم مـن أن البعض قد يظن فـى بداية الأمـر أن معظم البيانــات المتاحة للاستخــدام الثانوى بيانات رقمية (وأنه من الأرجح، لهذا السبب، أن تكون عبارة عن نتائج بحوث كمية أو عملية جمع البيانات). ولكن الأمر ليس كذلك بالضرورة، كما أن البيانــات الكيفية الشاملة المتعلقة بمجالات موضوعات كثـيرة تكون متاحة هى الأخرى للاستخدام كبيانات ثانوية. شاهد ذلك أن مجالس البحوث التى تمولها الحكومة فى المملكة المتحدة تشترط أن توضع البيانات التى تُجمع بالاستفادة بدعمها فى أرشيف بيانات المملكة المتحدة www.data-archive.ac.uk) وقد تم آخر دخول عليه بتاريخ 21 أغسطس 2009) حيث تكون مُتاحة بسهولة ليستعملها الباحثون الآخرون.

ما: البيانات الثانوية؟

هى البيانات التى يستخدمها الباحث وتكون قد سبق أن أنتجها غيره من الباحثين.

طبيعة البيانات الثانوية

تشتمـل السجلات الرسمية (والتى تكون فى الغالب وثائق أيضا) على: وقائع المواليد، وحالات الـزواج، والوفيات؛ وسجـلات الدخول والجمارك الخاصة بـوزارة الصحة وبالملكـة (فى بريطانيـا)؛ وأعداد المقبولين بالجامعــات، والتعــدادات السكانية، والملفات الحاسوبيــة الوطنيــة للشرطة، وما شاكل ذلـك. والغالب تماما فى هــذه الأيام أن تخزن المعلومــات فى ملفات حاسوبية تكون متاحة للمستفيدين المرخص لهم بذلك. ومن الواضح أن هــذه المعلومات تمثل قدرا عظيما من المعلومات الشخصية. وقد أحدثت الإنترنت ثورة حقيقية فى إمكانية الوصول إلى البيانات الثانوية. فالمعلومات - المتعلقة بما لا يزيد عن عشر سنــوات مضت - والتى لم تكن متاحة إلا فى صــورة مطبوعة أو على أقراص كومبيوتر أصبحــت متاحة الآن لأى إنســان قادر على الدخول على الإنترنــت. يُضاف لذلك، أن

المزيد من المعلومات التفصيلية مُتاحة على الإنترنت بتكلفة رخيصة تماما. شاهد ذلك أنه من الممكن الآن الوصول إلكترونيا إلى النتائج الخاصة بتعداد السكان لسنة 1911، وهى عملية كان يمكن أن تستغرق قدرا هائلا من الوقت لو نفذت على الورق.

البحث الواقعى

مصادر البيانات الثانوية

الأرشيفات الوطنية (والمتاحة على موقع www.national archives،gov.uk تاريخ آخر دخول على الموقع 21 أغسطس 2009) هى الأرشيف الرسمى لحكومة المملكة المتحدة. يعود تاريخ هذه السجلات إلى ما يقرب من ألف سنة، كما أن قدرًا عظيمًا منها قد تم رقمنته (حفظه بالنظام الرقمى) (بما فى ذلك سجل الأراضى وملاكها الذى أعد في عهد وليم الفاتح، والمسمى Domesday Book)، كما أنه متاح على الإنترنت. أما بالنسبة للباحث الاجتماعى فيشتمل هذا الأرشيف على كل من البيانات الثانوية والبيانات الوثائقية.

وتشتمل المشروعات الحديثة على الرسوم البيانية للتعدادات السكانية ابتداء من سنة 1871، والأفلام السينمائية، والملصقات الخاصة بالخدمات الصحية العامة ابتداء من القرن العشرين، وتشتمل على تاريخ خدمة المرأة فى الجيش، وتاريخ السجون، وأرشيفات مستمدة من وثائق دور إيواء الفقراء ووثائق اتحاد الخاضعين لقانون الفقر.

وتقوم بجمع المعلومات أيضًا مُنظمات أخرى كثيرة (كالشركات الكبيرة، والجمعيات الخيرية، والمعاهد التعليمية، والمنظمات الشبابية وما أشبه ذلك). ويمكن القول على وجه الإجمال أن هذه المجموعة من البيانات التى تقدمها المؤسسات الرسمية وغير الرسمية توصف بأنها «بيانات مؤسسات». وقد احتفظنا بهذه الفئة من البيانات منفصلة عن «الإحصائيات الرسمية/ وغير الرسمية» لأسباب ستتضح لنا لاحقا. ولا شك أن بيانات المؤسسات مصدر وفير للمعلومات المتنوعة.

بحثك

مزايا استخدام بيانات المؤسسات

- يمكن أن تكون أحجام العينات كبيرة جدًا من حيث العدد ومن حيث النسبة (شاهد ذلك أن التعداد السكانى يفترض فيه أن يكون بنسبة 100 فى المائة من سكان المملكة المتحدة).

- الغالـب على هذه البيانـات أن تكون منظمة تنظيمًا جيدًا ، كما أن بالإمكان البحث فيها باستعمال الحواسب المختلفة.
- قد تكون طريقة رخيصة جدًا لجمع البيانات (فالمعلومات الخاصة بالتعداد السكانى ، مثلا ، متاحة على الإنترنت لأى جامعة ، ولكثير من الباحثين الآخرين ، وبدون مقابل عادة. وتُوجد بالمثل مصادر أخرى كثيرة للبيانات الشاملة مُتاحة للجميع ، منها: موقع أرشيف بيانات المملكـة المتحدة (/www.data-archive.ac.uk) وهو موقع يستحق الزيارة فعلا ، ولو للتعرف على أنواع البيانات المتاحة فقط.
- من الممكن الجمع بين البيانات الأولية والثانوية للظفر بمزيد من العمق والإدراك الثاقب.
- أحيانـا ما يكون بالإمكان استعمال البيانـات الثانوية لإجراء بحث تتبعى (طولى) لم يكـن يتيسر إجراؤه بغير تلـك البيانات (ولكن انظر التحذير الوارد فى برواز «بحثك» بعد التالى ، عن المشكلات المحتملة مع استخدام الإحصائيات الرسمية).
- قد يكون ممكنا ربط عدد مـن الدراسات السابقة لاستخلاص نتائج جديدة. وهذا الإجراء قد يكون مفيدًا - بصفة خاصة - فى البحوث الدولية المقارنة.

بحثـك

مشكلات استخدام بيانات المؤسسات

- قـد لا تكون السجلات محفوظة بصورة جيـدة أو مضبوطة : وقد يرجع ذلك فى جزء منه إلى اعتبار المحافظة على السجلات عملا متدنى المكانة ، كما أنه إذا لم تكن السجـلات مكتوبة أصلا بشكل جيد ، بواسطة الأطبـاء(*) أو المسئولين الحكوميين مثلا ، فإن القائم بحفظ السجلات (ومن يعتمدون على هذه السجلات لاحقا) قد لا يستطيعـون فهمها على الوجه الصحيح. وقـد تستعمل فيها لغة اصطلاحية فنية أو مهنية لا تكون مفهومة للباحث.
- لا يستطيـع الباحـث أن يقدر مدى دقة السجلات أو يتحكـم فيها ، لذلك يكون من المهم أن يتوافر لديه إدراك صحيح للطريقة التى بها تم إعداد هذه السجلات.

(*) بسبب ما هو مشهور عن رداءة خط اليد بين أغلب الأطباء. (المترجم)

- يمكن أن تضيع الملفات خاصَّةً النُّسخ المخطوطة (المكتوبة بخط اليد) للبيانات المنقولة من ميكروفيلم أو من ذاكرة الحاسب. وقد يعود سبب هذا الضياع إلى حادث عارض، كما قد يكون متعمدًا أيضا. وقد يكون ضياع الملفات هذا مساعدًا للخطة الخفية للقائم على حفظ السجلات.
- من الأهمية البالغة معرفة أسباب حفظ هذه السجلات، ومعرفة الظروف المحيطة بجمع هذه المعلومات.
- بيانات المؤسسات قد لا تزودك بالمعلومات التى تحتاج إليها.
- التعريفات المستخدمة قد لا تكون واضحة بما فيه الكفاية أو لا تكون مفيدة لبحثك.
- لا يتوافر لك سيطرة على جودة البيانات، وغالبا لا يتوافر لك أى طريقة للحكم عليها.

البحث الواقعى

البيانات الثانوية وأخلاق عالم الأعمال

فى سنة 1998 أشار كريستوفر كاوتون Cowton إلى أنه، ورغم وجود قدر كبير من الأبحاث الجارية فى موضوع أخلاق عالم الأعمال، فإن أغلبها لا يستخدم إلا البيانات الأولية. ولهذا قام كاوتون بدراسة كل من طبيعة ومدى وفرة البيانات الثانوية فى هذا المجال، وانتهى إلى نتيجة مفادها أن الباحثين كانوا يجهلون مزايا استخدام البيانات الثانوية (يلاحظ كاوتون أن الميزة الأساسية لاستخدام البيانات الثانوية هى رخص التكاليف). ولكنه توصل كذلك إلى أنه ثمة مزايا لاستخدام بيانات جمعت لتحقيق هدف محدد فى الماضى عند المقارنة بالوقت الحاضر.

ذهب كاوتون فى نتيجته النهائية إلى ما يلى:

يبدو الأمر - كقاعدة عامة - وكأن الباحثين ليسوا على المستوى الذى ينبغى أن يكونوا عليه من حيث الوعى بالإمكانيات الواعدة للبيانات الثانوية فى تقديم رؤى قيمة عميقة لحقائق طائفة متنوعة من القضايا بأسلوب يتسم بالتكلفة المنخفضة. ويرى ستيورات (1984) مثلا أن الأفراد والمؤسسات لا يستفيدون الاستفادة الكاملة من ذلك الكم الهائل من المعلومات الثانوية المتاحة لهم. وربما يرجع ذلك إلى الانفجار الهائل للمعلومات الذى تحقق فى السنوات الأخيرة. ومن الأسباب الأخرى لاستثمار البيانات الثانوية بدرجة أقل مما ينبغى أن العلماء الاجتماعيين يتجهون عندما يبدؤون العمل فى مشروع بحثى للتفكير على أساس جمع بيانات جديدة (كاوتون، 1998، 431).

الإحصائيات الرسمية

تجمع الحكومات كميات ضخمة من البيانات، وتقدم تحليلات لها. وللإحصائيات الرسمية كثير من الخصائص التى تماثل خصائص بيانات المؤسسات: فهى توفر عينات كبيرة بتكلفة زهيدة ويسهل الوصول إليها. كما أنها تنزع إلى تكرار إنتاجها بمرور الزمن، مما يسمح بدراسة العمليات الجارية بالفعل فى الوقت الحاضر.

وأيا ما كان الأمر، فإن استخدام الإحصائيات الرسمية يمكن أن يثير بعض المشكلات. فمما يهم الباحث أن يتذكر أن الأغراض الرئيسية للإحصائيات الرسمية هى تعريف الحكومة بنوعية أدائها وبحالة أداء المجتمع وتطوراته. وهكذا يتم إنتاج الإحصائيات الرسمية للتعبير عن الحاجة إلى تغيير سياسة أو تنفيذ سياسة ما، أو لتقديم معلومات لمتابعة الأداء ولخدمة الإدارة. على أنه يمكن النظر - أيضا - إلى الإحصائيات الرسمية كجزء من حماية العملية الديموقراطية. معنى ذلك أن بالإمكان أن يستعملها الجمهور فى الحكم على ما إذا كانت الحكومة تقوم بعملها بصورة جيدة فى تقليص قوائم الانتظار لدخول المستشفيات مثلا. وهذا معناه أن الدورين اللذين وصفناهما قبل ذلك يكونان فى صراع مباشر: فالحكومة قد لا ترغب فى الكشف عن المعلومات لأنها قد تتسبب فى إثارة «حملات صحفية» ضدها. والساخرون سيذهبون إلى أن البيانات قد تم التلاعب بها لتقديم «أخبار سعيدة»، وإلى أن المعلومات المثيرة للخلاف يتم إبقاؤها طى الكتمان. ومع ذلك، فقد تظل هذه البيانات موجودة حتى يقوم باحث حى الضمير بالكشف عنها.

ولعل الأمل الأشد إشكالية من ذلك أن الباحث الذى يرغب فى استخدام المعلومات المجموعة فى الإحصائيات الرسمية ليست له أى سيطرة على السياق الذى جمعت فيه هذه البيانات و/أو على تصميم الأسئلة والتعريفات المستخدمة فى إنتاجها.

بحثك

بعض المشكلات المحتملة عند استخدام الإحصائيات الرسمية

1 - الطريقة التى تصور بها الحكومة هذه المعلومات - بجانب الأسئلة الدقيقة التى تطرحها - قد لا تكون متطابقة تطابقا دقيقا مع الأسئلة/ أو المعلومات التى تريدها أنت. وقد يعنى هذا أنه يتوجب عليك أن تعدل أو تنقح تعريفاتك الإجرائية لتتطابق مع البيانات المتاحة. وقد يقتضى الأمر أن تقوم بعمليات التقييم، أو الحساب أو الاستدلال من واقع هذه المعلومات.

2 – قـد تتعرض بعض البحوث لمشكلات منهجية رئيسية. من ذلك مثلا انه معروف يقينـا الآن أن حـوالى مليون فرد ليسـوا موجودين فى التعـداد السكانى للمملكة المتحدة لسنة 1991. وكان هذا التعداد قد أجرى فى وقت قريب من وقت فرض «ضريبـة المجتمع المحلى» (والمقصود بهـا ضريبة الاقتراع)، وهكذا اعتقد بعض الناس أنهم إن لم يسجلوا فى التعداد السكانى فلن يتوجب عليهم دفع هذه الضريبة.

استخدام البيانات الثانوية

هنـاك قضيتان لابد مـن التصدى لهما حـين يرغب الباحثون فى استخـدام البيانات الثانويـة. الأولى أنه يلزمك أن تعرف ما إذا كانت هـذه البيانات موجودة أصلا أم لا. مـن المحتمل أن يلجأ الطلاب الباحثـين إلى استخدام أحد محركات البحث على الإنترنت كخطوة أولى، والأرجح أن يوفق باستخدامه هذه الاستراتيجية. إلا أن الموقف قد يكون أشد صعوبة إذا كانت المعلومات التى يُبحث عنها قديمة أو لم تنشر «بصفة رسمية». ولعل أفضـل نهج للعمل فى هذه الحالـة أن تحاول مناقشة عملية البحث عـن تلك البيانات مع «خبـير» ذى دراية (كأن يكون محاضرا أو مدرسا جامعيا، أو ممثلا لإحدى الشركات العاملة فى هذا المجال المختص، أو مع أمين مكتبة).

بمجرد أن تتأكد من أن المعلومات التى أنت بحاجة إليها موجودة على الأرجح (ولا ريـب أن اكتشاف أنها غير موجودة هو فى حد ذاته نتيجة بحثية مهمة)، وعندها تكون المهمـة التالية هـى تحديد مكانها والوصـول إليها. ويبين لك المثـال رقم (9–1) بعض الخطوات الأولى المفيدة فى هذا الشأن.

مثال (9–1)

بوابات الإنترنت

- Directgov (وهـو موقع الشبكة الحكومـى الرسمى المتاح للمواطنين): «مدخل سهل للوصول إلى الخدمات العامة التـى تستخدمها، وإلى المعلومات التى تحتاج إليها، والتى تقدمها حكومة المملكة المتحدة».

http://direct.gov.uk./en/index.htm/Directgov.2008

- أرشيف بيانات المملكة المتحدة: مجموعة من البيانات المستمدة من دراسات الإنسانيات والعلوم الاجتماعية فى المملكة المتحدة، مع بعض وصلات بالأرشيفات الأخرى.

UK Data Archive: www.data-archive.ac.uk/

• Intute: «خدمــة إلكترونيــة مجانيــة توفــر لك الوصــول إلى أفضــل مصادر الشبكــة فى مجال التعليــم والبحث، والتى تم تقييمهــا وانتقاؤها بمعرفة شبكة من المتخصصين فى هذه الموضوعات
www.intute.uk/socialsciences/ (Intute، 2008)

• Europa : «بوابة الاتحاد الأوروبى» (Europa، 2008)
http://europa.eu.

كمــا يوجد العديد من قواعد البيانات المتخصصة فى موضوعات محددة، والتى قد تكون مفيدة لك. وينبغى أن تكون مكتبة جامعتك أو كليتك قادرة على مساعدتك فى هذا الشأن.

بحثـك

هل سيفيد بحثك من استخدام مصادر البيانات الثانوية؟

فكر فى هذه الاحتمالات :

- سيؤدى إلى زيادة كبيرة فى حجم عينتك (فصل 5 باب2).
- سيجعلك أقدر على مقارنة الفترات الماضية بالوقت الراهن.
- يتيح لك استخدام بيانات بنوعية ممتازة ورخيصة التكاليف.
- يتيح لك الجمع بين البيانات الأولية والثانوية، الأمر الذى يثرى بحثك.

الجمع بين البيانات الأولية والثانوية

تبدو فكرة الجمع بين البيانات الأوليــة والثانوية جذابة لكثير من الباحثين. والواقع أن معظــم المشروعــات البحثية ستقوم بهــذا الجمع بقدر معين، إذ مــن المعتاد أن تحدد سياق المشــروع عن طريق استعراض الدراسات السابقــة، وإيراد البيانات التى تمثل خلفية للمشروع. وقــد تكون هذه البيانات إحصائيات قومية متصلة بموضوع البحث، أو تكون بيانات مستمدة من الماضى تبين إلى أى مدى تغيرت طبيعة مجال البحث.

غــير أنه بوسع الباحثين كذلــك أن يستخدموا البيانات الثانويــة كتكملة للبيانات التى سيجمعونها هم أنفسهم. وتختلف أسباب ذلك، إلا أنها قد تشمل ما يلى:

- الوصول إلى مقدار كبير من البيانات أو إلى حجم عينة كبير.
- البحــوث التتبعية (الطولية): التى يحــاول أصحابها فى الغالب الاستفادة من البحوث السابقة لتوسيع المدى الزمنى لشروعهم الذى يقومون به.

فـإذا نُفذ هذا الجمع بين نوعى البيانات بنجاح ، فينبغى على الباحث حينئذ أن يطرح على نفسه سؤالين:

1 – **هـل الأسئلة والسياقات والتعريفات متوافقة؟** هـذه هى الصعوبة التى أشرنا إليها من قبل. لذلـك يصبح من المهـم أن تعرف أن الأسئلة المطروحـة والتعريفات المستخدمة فى جمع البيانات الثانويـة متوافقة مع البحث الجارى تنفيذه. فإن لم يكن ذلك التوافق متحققـا ، فربما كان من المستحيل – حينئـذ – أن تستخدم كلا نوعى البيانات. ومع ذلك تستطيع البيانات الثانوية أن توفر – رغم هذا – البيانات المتعلقة بخلفية المشروع والبيانات المتعلقة بسياقه والتـى ناقشناها من قبل ، مادام أن الاختلافات بين طبيعة كلا نوعى البيانات مذكورة بوضوح.

2 – **هـل العينات متوافقة؟** عادة ما يكون حجـم العينة مسألة غير مهمة ، إلا إذا كنت تسعى إلى استخلاص أحكام عامة من النتائج. ومـع ذلك قد يكون اختيار العينة وطبيعة تكوينهـا على قدر كبير من الأهمية: فإن كانت العينـة الأصلية قد جمعت فى مدينة كبرى ، فمن المستبعد حينئذ أن تكون النتائج مفيدة لبحث يجرى تنفيذه فى بيئة ريفية (وإن كانـت هذه النتائج يمكـن أن تكون مفيدة فى المقارنة بطبيعـة الأمر). كذلك إذا كانـت العينات ممثلة لجماعات عمرية ، أو لجماعـات إثنية ، أو لجماعات دينية مختلفـة ، أو عينات لجماعات مختلفة – فى الواقع – من بعض النواحى الجوهرية؛ فإن البيانات السابقة (أى القديمة) قد لا تكون حينئذ مفيدة فى التحليل الثانوى.

ويتوجب على الباحث دائمًا أن يعالج هاتين القضيتين بطريقة نقدية ، وذلك ليتفادى التوصل إلى نتائج مضللة ، لمجرد أنه توافر لديه ثروة من البيانات التى يبدو أنها ذات صلة ببحثه.

طبيعة البيانات الثانوية وتأثيراتها على التحليل

يمكـن أن تظهر البيانات الثانوية – كما رأينا – فى أشكال كثيرة مثل أشكال البيانات الأوليـة ، وهـى تتطلـب – بصفتها هذه – المعالجـة والتحليل باستخـدام أساليب التحليل الملائمـة. فبعضـ البيانات الثانوية تكـون قد جرى تحليلها قبل ذلـك ، كما أنه ليس من الميسـور دائمًا الرجوع إلى البيانـات «الخامّ» الأصلية. فـإذا كان الأمر كذلك ، فعلى الباحث حينئذ أن يعى تماما الطرق التى تعرضت بها تلك البيانات للتغيير والتعديل أثناء عمليـة التحليل. كما يتوجب عليه أن يقدر ما إذا كانت هذه البيانات لا تزال مفيدة له فى معالجة أسئلة بحثه أم لا.

البحث الواقعى

استخدام البيانات الثانوية

بحث كرونك Cronk ، وسارفلا 1997) Sarvela) بعنوان: *«تعاطى الخمر ، والتدخين ، وغير ذلك من تعاطى المخدرات بين شباب الريف والمدن الصغيرة والمدن الكبرى: تحليل ثانوى لعملية رصد مجموعة البيانات المستقبلية»* ، منشور فى: *المجلة الأمريكية للصحة العامة 87 (5) ص ص 764-760.*

قامت كريستين كرونك وبول سارفلا (1997) بدراسة البيانات التى جمعت عن تعاطى المخدرات ، والخمر ، والتدخين لدى طلبة السنوات النهائية فى المدارس الثانوية بالولايات المتحدة عن الفترة من سنة 1976 - 1992 . (تذكر أن طلبة السنوات النهائية فى المدارس الثانوية تتراوح أعمارهم عادة بين 16 سنة و 18سنة ، وأنه بالنسبة لمعظم ولايات الولايات المتحدة يكون السن الأدنى المسموح فيه بشراء الخمر وتعاطيه 21 سنة. كما أن أغلب الولايات تحدد السن الأدنى للتدخين بـ 18 سنة.

قام الباحثان بدراسة مجموعات ضخمة من البيانات المتوافرة وقت إجراء البحث ، وانتهيا إلى أنه على الرغم من أن تعاطى هذه المواد بين طلبة السنوات النهائية فى المدارس الثانوية الريفية كان مختلفا عن نظرائهم من طلبة المدارس الثانوية الحضرية ، فإن أنماط التعاطى أصبحت فى الحقيقة متماثلة فى سنة 1992 .

لم يكن من الممكن إجراء مثل هذا البحث بدون استخدام مصادر البيانات الثانوية.

بحثك **تحذيـــر**

عند استخدامك لأى بيانات لم تجمعها بنفسك ، فمن اللازم دائمًا أن تسأل عن المصدر الذى أخذت منه هذه البيانات ، وعمن يريد لك أن تصل إليها ، ولماذا ، ثم لماذا هى متاحة فى الوقت الراهن؟.

ولكن المؤكد - على أية حال - أن البيانات الثانوية مهمة ، فمن اليسير الوصول إليها ، كما أن من السهل - فى كثير من الأحيان - تكييفها لتحقيق أغراض أخرى . إنها مصدر مهم من مصادر البحث.

المراجع وقراءات للاستزادة

Cowton, C. J. (1998) The use of secondary data in business ethics research, *Journal of Business Ethics*, 17(4): 423–34.

Cronk, C. E. and Sarvela, P. D. (1997) Alcohol, tobacco, and other drug use among rural/small town and urban youth: a secondary analysis of the monitoring the future data set, *American Journal of Public Health*, 87(5): 760–4.

Hakim, C. (1982) *Secondary Analysis in Social Research*, London: Allen & Unwin.

Huston, P. and Naylor, D. (1996) Health services research: reporting on studies using secondary data sources, *Canadian Medical Association Journal*, 155(12): 1697–709.

Mort, D. (ed.) (2006) *Sources of Non-Official UK Statistics*, 6th edn, Aldershot: Gower.

Office for National Statistics (2000) *Guide to Official Statistics*, www.statistics.gov.uk/downloads/theme_compendia/GOS2000_v5.pdf (also available in hard copy from Palgrave Macmillan).

Reed, J. (2006) Secondary data in nursing research, *Journal of Advanced Nursing*, 17(7): 877–83.

الفصل العاشر

جمع البيانات باستخدام الاتصال عبر الحاسب الآلى

محتويات الفصل

- الاتصال بواسطة الحاسب الآلى.
- استخدام الحاسب فى جمع البيانات.
- لماذا نختار الاتصال عبر الحاسب فى جمع البيانات؟
- الاستبيانات المسحية باستخدام الاتصال عبر الحاسب.
- المقابلات باستخدام الاتصال عبر الحاسب.
- جماعات المناقشة التى تستخدم الاتصال عبر الحاسب.
- الملاحظة على الإنترنت.
- اختيار العينات وتجميع المشاركين فى حالات: الاستبيانات، والمقابلات، وجماعات المناقشة الإلكترونية.
- القضايا الأخلاقية المرتبطة باستخدام الاتصال عبر الحاسب فى البحث الاجتماعى.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

نتناول هذا الفصل استخدام الحواسب والإنترنت فى جمع البيانات البحثية. وهذا مجال آخذ فى النمو بوتيرة متسارعة، ويتعرض للتغير المتواصل، وقد يبدو الأمر عجيبا أنه - وحتى سنة 1998 - لم تكن الأسر التى يمكنها الدخول على الإنترنت تزيد عن 9% من مجموع الأسر. أما الآن - فى سنة 2009 - فقد تجاوزت هذه النسبة 70% من الأسر (إدارة الإحصائيات القومية، 2009/أ، 2009/ب). لقد أدى استخدام الحواسب فى جمع البيانات وفى الاتصال إلى تغيير العالم الذى نعيش فيه. فأصبحنا اليوم نستطيع إجراء مشروعات بحثية فى الأماكن النائية التى لا نستطيع تحمل تكاليف زيارتها، بل نستطيع أن نعالج هذه البيانات بأساليب وطرق لم يكن يتخيلها أحد فى تسعينيات القرن العشرين.

أدى هذا الوصول السهل (نسبيـا) للأفراد والبيانات إلى توسيع نطاق البحث الاجتماعـي بشكل هائل، إلا أنه يقتضي كذلـك أن نقوم - كباحثين اجتماعيين - بتطوير تقنيات جديدة للتحكـم في هذه التشكيلة المتنوعة من البيانات، وذلك لكي تظل نتائج بحوثنا على مستوى عال من الجودة.

تنصـب بؤرة اهتمام هذا الفصل على الاتصـال باستخدام الحاسب والانتفاع بالإنترنت في البحوث.

لا شـك أن ظهور الإنترنـت وما صاحبها مـن أنظمة الاتصال - التـي منها البريد الإلكترونـي، وغرف الدردشـة، ومواقع التدوين - قد وفـر إمكانيات جديدة واعدة للباحثين الاجتماعيين. وتندرج هذه الفرص في أربع فئات هي:

1 - يمكنك الآن كباحث اجتماعي أن تصل إلى مجال من المعلومات أوسع بكثير مما كان قبل ذلك. ويشتمل هذا المجال على: الكتب، والمجلات العلمية، والتقارير البحثية، والصحف، والإحصائيـات، وما أشبه ذلك. كما يتيح لك هذا المجال الوصول إلى المعلومات المتعلقة بموضوع بحثك، والتي يمكنك أن تستمدها من بعض المواقع التي منهـا - مثلا - مواقع المؤسسات على الشبكة، وجماعات المناقشة للمساعدة الذاتية، والمواقع التي تقدم المشـورة لجماعات معينة من الأفراد، أو لأفراد يعيشون خبرة مشتركة، كخـبرة الشيخوخة مثلا، أو خبرة الوالديـة، أو خبرة الإصابة بمرض معـين. تستطيـع هذه المواقع أن تساعـدك في تطوير ما تجمعه بهـدف استعراض الـتراث العلمي المنشـور عن موضوعك، وفـي التفكير في أسئلة بحثـك والقضايا المرتبطـة بها. وقد تناولنا هذا الاستخدام للإنترنت فـي فصل (2) باب (2) وفصل (9) من هذا الباب.

2 - قـد نحتاج لدراسة بيئة الإنترنت نفسهـا: كيف «يتكلم» الأفراد مع بعضهم البعض فـي البيئـة الافتراضية لغرفة دردشـة أو للمقهى الإلكتروني؟ ومـا أنواع القضايا التـي تثار في الرسائل الإلكترونية أو في جماعات المناقشة التي تلتقي على الشبكة، وكيف يناقش الأفراد هذه القضايا؟ وما نوع البيئة الافتراضية التي ينشئها مستخدمو الإنترنـت؟ وكيـف يقدمون أنفسهم فـي بيئة يندر أن يوجد فيها لقـاء مباشر وجها لوجه؟

البحث الواقعى

دراسة طريقة استخدام الأفراد للإنترنت

دراسة هيلير Hillier وهاريسون Harrison (2007) بعنوان : «بناء الشباب لواقع أخف قيودا من واقعهم الذى يعيشونـه: الشباب يمارسون عرض مفاتنهم علـى أمثالهم فى الجنس على الإنترنت»، منشور في: مجلة السلوك الجنسى، العدد (10)، ص ص 82-100.

تنـاول بحث هيلـير وهاريسـون بالدراسة طريقـة استخدام الشبـاب للإنترنت «كفضاء» يمارسون فيه جوانب مختلفة من حيواتهم الاجتماعية والجنسية.

3 - تمارسـ الإنترنـت وغيرها من التكنولوجيا الجديدة تأثيرا كبيرا على الطريقة التى نحيـا بها معـا، ونتفاعل وننظم عالمنا الاجتماعى. وهو أمـر يمثل - فى حد ذاته - موضوعا للبحث. شاهد ذلك أن برنامج الجمعية الإلكترونية التابعة لمجلس البحوث الاقتصاديـة والاجتماعيـة (فـى بريطانيـا) هو برنامـج كبير للبحـوث الأكاديمية (مجلسـ البحوث الاقتصاديـة والاجتماعيـة = ESRC، 2007)، يقـوم بدراسة تأثـير التكنولوجيات الرقمية - خاصـة الإنترنت - بقصد تعريف صناع السياسات وممارسـى المسئولية العامة فى مختلف قطاعـات المجتمع. وقد انتهى هذا المشروع فـى أكتوبر 2007، ولكن موقعه علـى الشبكة لا يزال موجودا، كما تجد وصلات للمشروعات التى نفذها البرنامج على الموقع التالى:

www.york.ac.uk/res/e-society/projects.htm

(تاريخ آخر دخول على الموقع 21/8/2009).

كما يهيئ الإنترنـت الفرص لاستخدام بعض طرق جمـع البيانات، كالاستبيانات الإلكترونية، أو المقابلات عبر البريد الإلكترونى، أو جماعات المناقشة الافتراضية.

فكر فى هذا الموضوع . . .

الإنترنت والبحث الاجتماعى

هناك أربع طرق رئيسية لاستخدام الإنترنت فى البحث:

1 - الوصول إلى المصادر «التراث المنشور عن الموضوع» (فصل 2 باب 2).

2 - دراسة الإنترنت نفسها والبيئات التى تنشئها .

3 - دراسة تأثير الإنترنت على المجتمع.

4 - جمع البيانات : الاتصال عبر الحاسب.

سوف يركز هذا الفصل - فى المقام الأول - على الفقرة رقم (4) فى البرواز السابق، وهى: **استخدام الاتصال عبر الحاسب** (انظر قائمة المصطلحات فى نهاية الكتاب)، واستخدام أدوات الاتصال عبر الإنترنت فى جمع بيانات البحث الاجتماعى. وتشتمل هذه الفقرة، بطبيعة الأمر، على جمع البيانات بقصد مساعدتنا على استكشاف المسائل التى أثرناها فى الفقرتين رقم (2) ورقم (3) فى البرواز السابق.

ما : البحث الاجتماعى الإلكترونى؟

البحث الاجتماعى الإلكترونى هو جمع البيانات بواسطة الحاسب، كما يقوم -بالطبع- بتحديث الطرق التقليدية لجمع البيانات، والتى منها مثلا: الاستبيانات، والمقابلات، وجماعات المناقشة . . . إلخ، بحيث تكون صالحة للاستخدام فى بيئة افتراضية إلكترونية.

ولكن لاحظ أن استخدام الاتصال بواسطة الحاسب فى جمع البيانات ليس بالضرورة أفضل طريقة لاكتشاف الكيفية التى يستخدم بها الأفراد الإنترنت. فالمقابلات المباشرة التى تتم بين الباحث والمبحوث وجها لوجه، أو جماعات المناقشة يمكن أن تقدم بالفعل -ولو فى أقل تقدير- إسهاما مفيدا فى دراسة سلوك التعامل على الإنترنت. وإذا كنا نبحث طرق جمع البيانات التى تستخدم الإنترنت فسوف يتعين علينا أيضا أن نُدخل فى اعتبارنا الدراسات التى أجريت على طريقة استخدام الأفراد للإنترنت، وطريقة تصرفهم أثناء ذلك. لهذا سنقوم هنا - فى المقام الأول- بدراسة استخدام الأدوات المعتمدة على الحاسب فى جمع البيانات، والتى ستمكننا من دراسة السلوكيات والإدراكات الحسية البشرية بوجه عام.

بحثك

كلمة تحذير

من مشكلات كتابة فصل مثل هذا الفصل أن تكنولوجيا المعلومات، والحواسب الآلية، وغيرها من وسائل الاتصال (كالهواتف المحمولة) تتغير باستمرار. كما يجرى طول الوقت العمل على إدخال خدمات جديدة وطرق جديدة للمرة الأولى لخدمة مهام الاتصال. ويعنى هذا أن كثيرا مما يكتب الآن قد يبدو عتيقا إلى حد ما فى الوقت الذى تقرؤه فيه. ولذلك ستقتصر مهمتنا فى هذا الفصل على محاولة تسليط الضوء على ما هو متاح الآن من الطرق الأساسية فى جمع البيانات باستخدام الإنترنت، وعلى القضايا التى عليك أن تدخلها فى اعتبارك عندما تقوم بتقرير ما إذا

كنت ستستعمل طريقة معينة، كما نقدم لك بعض نقاط الانطلاق التى تبدأ بها بحثك. والأمـر الواضـح فى نظرنا - حـال كتابة هذا الفصل - أنه مـن المرجح أن يواصل الاتصـال بواسطة الحاسـب نموه وقوته، وأن الباحثـين الاجتماعيين سوف يتزايد اهتمامهم باستخدام ما يوفره هذا الاتصال الحاسوبى من أدوات لجمع البيانات.

علينا قبل النظر فى الطرق المختلفة لجمع البيانات، أن نلقى نظرة إلى بعض ما تتميز به الإنترنت من سمات تؤهلها لأن تكون مفيدة للباحثين الاجتماعيين.

الاتصال بواسطة الحاسب الآلى

البريد الإلكترونى

أصبح الاتصال بين فردين أو أكثر عبر البريد الإلكترونى واحدا من الأساليب الأثيرة لبقـاء الأفراد على اتصال ببعضهم البعضـ. وهذا الاتصال - فى جوهره - نمط اتصالى قائـم على نصوص مكتوبة يبعث الرسائل فوريا (أو يكاد يكون كذلك) من حاسب لحاسب آخر. هنا لا تشكل المسافة قضية ذات شأن، كما أن الرسالة سيتم تلقيها على الجانب الآخر مـن العالم بنفس سرعة تلقـى رسالة من الغرفة المجاورة. وحينئـذ يتعين على المتلقى فتح هذه الرسالة وقراءتها قبل الإجابة عليها، أو إرسالها للآخرين. ذلك أن بالإمكان إرسال رسالة واحدة من البريد الإلكترونى إلى عدد من المتلقين فى نفس الوقت.

ومـن الممكن إرفاق رسالة البريد الإلكترونى نفسهـا ببعض الملفات التى يتم توليدها مـن جهـاز الحاسب. وقـد تكون هذه الملفـات وثائق نصيـة (أى مكتوبـة)، وصورا فوتوغرافيـة، ولقطات تلفزيونية، وبرامج حسابات(*)، وما أشبه ذلك. كما أن رسالة البريـد الإلكترونـى قد تحتوى على وصـلات إضافية كثيرة بمواقـع الشبكة أو ببعض عناوين البريد الإلكترونى الأخرى.

ويتعـين علـى كل مـن يستخدم البريـد الإلكترونـى أن يكون لديه عنـوان بريدى إلكترونـى، وهو العنوان الذى تزودهم به الجهة التى توفر خدمات الإنترنت(**). كما يلزمه أن يعرف العنوان البريدى الإلكترونـى للشخص الذى يتراسل معه إلكترونيا. ولا يوجـد فى وقتنا الحاضر قواعد بيانات قوميـة أو دولية تحتوى على جميع عناوين البريـد الإلكترونى. ومع ذلك، فـإن معظم المؤسسات الكبـيرة - كالجامعات - تنشئ دليلا خاصا ببريدها الإلكترونى.

(*) برامج الحسابات Spreadsheets : هى برامج لمعالجة واسترجاع بيانات رقمية مجدولة. (المترجم)

(**) ISP – Internet Service Provider.

جماعات المناقشة على البريد الإلكترونى - القوائم

توفر جماعة المناقشة التى تستخدم البريد الإلكترونى فرصة «الدردشة» للأفراد ذوى الاهتمام المشترك معتمدين فى ذلك على إمكانيات البريد الإلكترونى العادية. فقد يكونون مشتغلين بالبحث فى نفس المجال، أو يكونون مهتمين بنفس الهواية أو يشجعون نفس الفرقة الموسيقية. يشترك كل شخص فى قائمة البريد الإلكترونى هذه (وعادة ما يكون هذا الاشتراك مجانيا)، وعن طريقها يتلقى جميع الرسائل البريدية التى يبعث بها أعضاء هذه الجماعة. وفى بعض الأحيان تقوم هذه الجماعات عادة بطرح قضية معينة للمناقشة، كما نجد فى أحيان أخرى أن نشاطها ينصب بالأساس على تبادل المعلومات. ويكون أحد أفراد الجماعة مسئولا عن مراقبة الرسائل البريدية الإلكترونية، وقد يستطيع - أو لا يستطيع - إيقاف بث وتوزيع رسائل البريد الإلكترونى التى تعتبر غير مناسبة أو مزعجة، وذلك تبعا للطريقة التى أعدت بها قائمة الجماعة هذه.

ويمكن بسهولة بالغة إعداد قائمة بريد إلكترونى تضم مجموعة من الأفراد عن طريق إضافة عناوينهم كلها إلى كل عنوان من عناوين أعضاء الجماعة الموجودين فى قائمة البريد الإلكترونى. ومع هذا، فإنه عندما تتسم هذه القائمة بالتنوع، وتكون الجماعة متطلعة لضم أعضاء جدد إليها، فقد تعتمد على جهاز خادم Server يستعمل برنامجا مثل برنامج «ليست سيرف» LISTSERV لإعداد هذه القوائم. فى هذه الحالة قد يتم ضم بعض الأعضاء الجدد عن طريق رسائل البريد الإلكترونى الموجهة إليهم، أو من خلال الإعلان على أحد مواقع الشبكة. إن كنت ترغب فى المزيد من المعلومات المفصلة، فجرب الدخول على موقع الشبكة www.lsoft.com/manuals/1.8d/userindex.htm. LISTSERV

(وقد تم آخر دخول عليه بتاريخ 21/8/2009)

من الأمور المهمة التى يجب الإشارة إليها هنا أن «النقاش» بين الأفراد الذين يستخدمون طريقة جماعة المناقشة على البريد الإلكترونى يعتبر «اتصالا غير متزامن أو لا متزامن» (انظر قائمة المصطلحات). وهذا التعبير معناه أن أعضاء هذه الجماعة الذين يشاركون فى النقاش لا يكونون بالضرورة جالسين جميعًا إلى حواسبهم الآلية فى نفس الوقت. فقد يجيب العضو على إحدى رسائل البريد الإلكترونى أو ينضم إلى المناقشة فى أى وقت.

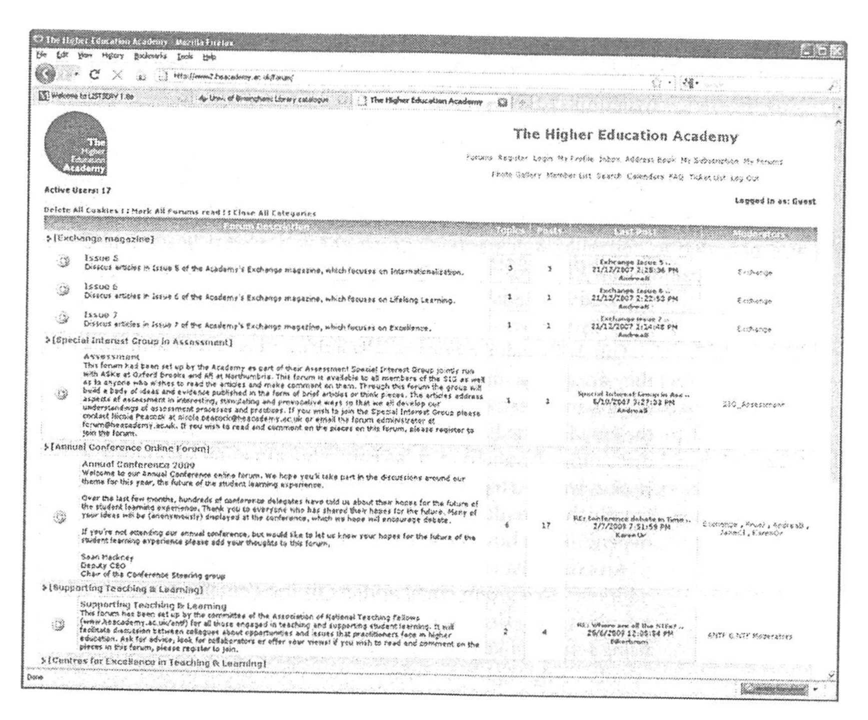
جماعات المناقشة على مواقع الشبكة

تنقسم هذه الجماعات إلى فئتين متميزتين. أولا: هناك جماعات مناقشة على الشبكة (تسمى أحيانا «منتديات») تشبه جماعات المناقشة على البريد الإلكترونى، إلا أن

مناقشاتها تـدور على أحد مواقع الإنترنت على الشبكة. وقد يعنى هذا أنها تكون متاحة لأن يطلـع عليها المشاركون بـدون الحاجة إلى تسجيل عنوان لبريـد إلكترونى. ومع ذلـك فإن الكثير من مواقع الشبكة تطلب - بالفعل - من المشاركين المحتملين أن يسجلوا عناويـن بريدهـم الإلكترونى قبـل السماح لهـم « بإرسال» الرسائـل. لاحظ أن هذه الجلسـات النقاشية تكون جلسات لا متزامنة أيضا. وأحيانـا ما يتم تنظيم هذه المناقشات تحت موضوعات مختلفة، وغالبا ما يختار هذه الموضوعات التنظيم المشرف على مواقع الشبكـة. وقد يتيح ذلك للمشاركين أن يساهموا فى المناقشات التى تهمهم بشكل خاص، أو يتيح لهم أن يحددوا بأنفسهم مسار المناقشة الذى يريدونه.

إلى جانـب ذلك توجـد «غرف الدردشـة» (انظر قائمـة المصطلحـات). وهى عبارة عـن مناقشـات تجرى فى ذات الوقـت، أو قل هى حوار أو اتصـال متزامن (انظر قائمة المصطلحـات). وفيها يستطيع المشاركون «الدردشة» مـن خلال الرسائل النصية التى يراهـا جميع أعضاء الجماعة الآخرون المشاركـون فى ذات الوقت، وذلك بمجرد أن تكتـب هذه الرسائل (وأحيانا ما يراها المشاركون أثناء كتابتها). أما الرد على الرسالة فيمكـن أن يكون فوريا، وقد يأتى من أكثر من عضـو واحد من أعضاء الجماعة. من السهولة البالغة أن تنشئ غرفة الدردشة الخاصة بك. ويكفى أن تقوم ببحث سريع على الإنترنت لكى تجد عددًا من المواقع التى تتيح لك إنشاء مثل هذه الغرفة، كما أن بوسعك أن تقصـر غرفة الدردشة التـى تنشئها على من تدعوهم إلى المشاركة عن طريق البريد الإلكترونـى. كما أن بعض الجهات التى توفر خدمات الإنترنت توفر إمكانية التراسل الفـورى (مثل موقع MSN Yahoo) وإمكانية عقد المؤتمرات التى يمكن فيها لعدد من الأفراد أن «يدردشوا» مع بعضهم إلكترونيا.

وهـذا الوضـع آخذ فـى الاتسـاع والتعاظم مـع تزايـد استعمال كامـيرات الشبكة والتوصيـلات الصوتيـة بين الحواسـب الشخصيـة. والأرجح أن يستطيـع الباحثون الاجتماعيون فى المستقبل الانتفاع بشكل متزايد بهذه الإمكانيات (ومع أن عقد المؤتمرات عـن طريق الاتصال التليفونى ظـل، بطبيعة الحال، ممكنا لسنـوات كثيرة، فإن عقد المؤتمـرات الإلكترونية على الشبكـة أصبح فى أيامنا هذه ميسـورا لمزيد من الأفراد). هذا ويمكن تحميل برمجيات عقد المؤتمرات، كما تتوفر منها حاليا حزم مجانية تتيح لك القيام بإعداد وتنظيم المؤتمرات التى تريد تنظيمها. ونؤكد مرة أخرى أن قيامك ببحث سريع على الإنترنت سيعرفك علـى عدد من المواقع التى توفر هذه الخدمات (وبعضها مجانـى)، على الرغم من أن هذه الخدمات موجهة أساسا إلى مؤسسات قطاع الأعمال أكثر مما هى موجهة إلى الباحث الاجتماعى الفرد.



شكل رقم (10-1): منتدى جماعات المناقشة على مواقع الشبكة - أكاديمية التعليم العالى.

المصدر : أكاديمية التعليم العالى /www2.heacademy.ac.uk/ forum

تم التصريح بالنشر

اليوميات، والمدونات، ومواقع الشبكة

هناك مجموعات ضخمة من المادة منشورة على الإنترنت، ابتداء من يوميات أفراد عاشوا فـى الماضى والتى كانت محفوظة فى شتى الأرشيفـات وانتهاء بالمدونات وهى مفكرات يومية أو تعليقات معاصرة يقـوم السياسيون، والمشاهير، والأفراد العاديون بنشرهـا على الشبكة بصفة يوميـة. والمادة المنشورة بهذه الطريقـة متاحة بسهولة لأى مستخـدم للإنترنـت، كمـا أن بعضها قد يكون مرتبطـا ببعض جماعـات المناقشة، أو يتوافر لها الفرص للتواصل بين كتابها وقرائها. مثال ذلك أن لكثير من أعضاء البرلمان (البريطانى) مدونات (بمن فيهم رئيس الوزراء)(*). كما أن أعضاء البرلمان من حزب المحافظين يساهمون فى المدونة المسماة «المدونة الزرقاء لحزب المحافظين».

(*) ورد في الأصل اسم رئيس الوزراء وقتها : جوردون براون واسم موقعه (وتاريخ آخر دخول عليه ٢٠٠٩/٨/٢١) (http://gordon-brown.blogspot.com) (المترجم)

www.conservatives.com/News/Blogs.aspx

(تاريخ آخر دخول على الموقع 21/8/2009)

البحث الواقعى

استعمال الإنترنت

فى أوائل سنة 2007 قُدر أن نسبة 62% من سكان المملكة المتحدة كانوا يستعملون الإنترنت (انظر موقع)

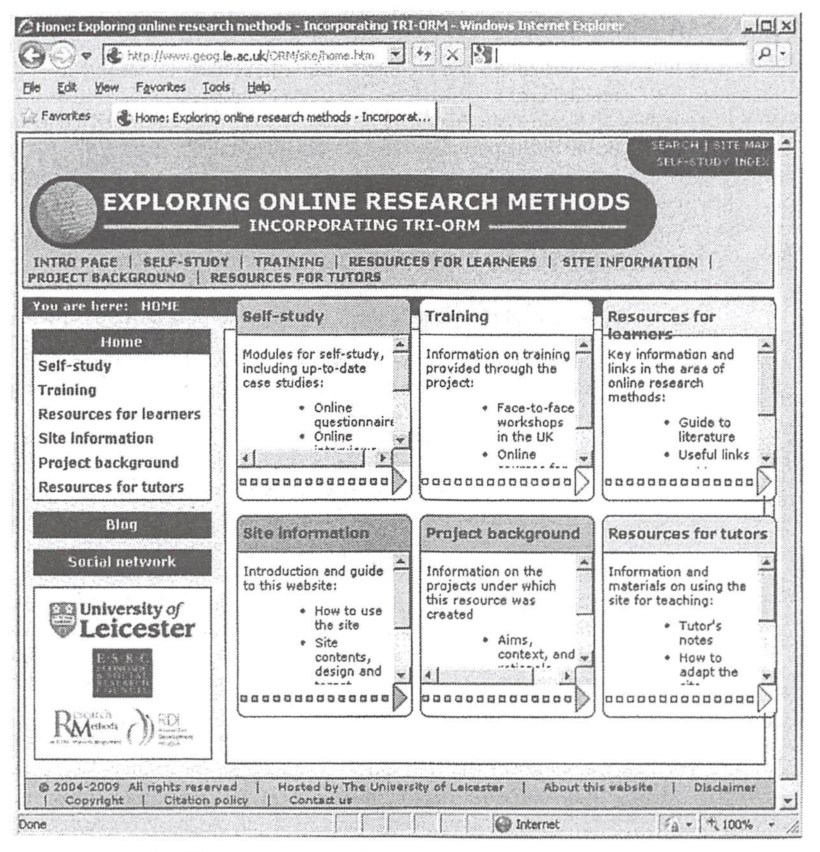
www.internetworldstats.com/stats9.htm#eu

(آخر دخول عليه بتاريخ 14/8/2009) ثم ارتفعت هذه النسبة بما يقارب 218 % خلال الفترة من سنة 2000 حتى سنة 2008.

استخدام الحاسب فى جمع البيانات

هناك من الشواهد ما يدل على استخدام الباحثين الاجتماعيين للحواسب الآلية فى جمع البيانات ابتداء من أوائل تسعينيات القرن العشرين فصاعدا (فريكر Fricker وشونلاو 2002، Schonlau، مان Mann وستيورات 2000، Stewart). وكان كل واحد من أولئك الباحثين يستخدم التقنيات والتكنولوجيا المتاحة آنذاك والمتوافقة مع سياق البحث. ونظرا لتزايد أعداد الباحثين الذين اكتسبوا تلك الخبرة وتقاسموها فيما بينهم، فقد قام بعضهم بإجراء البحوث التى تعلى من شأن طرق جمع البيانات هذه ومن إمكانيات الانتفاع بها فى مختلف سياقات البحث الاجتماعى وفى ظل مختلف النماذج الفكرية (انظر على سبيل المثال: فريكر وشونلاو، 2002، وروستر Roster وآخرين، 2004، وستيورات وويليامز، 2005). وكما هو الحال فى المجالات الأخرى للبحث الاجتماعى، فإن المؤسسات التى تقوم بدراسات السوق قد لعبت دورا حاسما فى تطوير طرق استخدام الإنترنت فى جمع البيانات، إلا أنه توجد الآن أعداد متزايدة من الدراسات الأكاديمية التى نفذت باستخدام التقنيات الإلكترونية لجمع البيانات.

فى سنة 2004 رعى «مجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية» مشروعا للتدريب على البحث عنوانه «استكشاف طرق البحث الإلكترونية فى بيئة تدريب افتراضية». اشتمل المشروع على تصميم مجموعة من الدروس الخصوصية الإلكترونية لمساعدة الباحثين الاجتماعيين على استخدام الطرق الإلكترونية فى جمع البيانات (انظر موقع: www.geog.le.ac.uk/ORM/site/home.htm وقد تم آخر دخول عليه بتاريخ 21/8/2009).



شكل رقم (10-2): استكشاف طرق البحث على الشبكة

المصدر: قسم الجغرافيا، جامعة لايسستر (www.geog.le.ac.uk/ORM/site/home.html.)

وقد أسس مجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية مشروعًا آخر هو «المركز الوطنى للعلوم الاجتماعية الإلكترونية» (على موقع: www.ncess.ac.uk وكان آخر دخول عليه فى 21/8/2009) والذى أنشأ صفحة تفاعلية على الشبكة تورد بالتفصيل نتائج البحوث الجارى تنفيذها.

من الواضح أن قدرة الباحث الاجتماعى على استخدام الإمكانيات البحثية التى توفرها الشبكة - والتى أوضحناها فيما سبق - ستعتمد على عدد من الأمور:

1 - المعرفة والمهارة الشخصية للباحث فى استخدام تكنولوجيا المعلومات.

2 - أن يتوفر للباحث جهاز الحاسب والبرمجيات التى تمكنه من تنفيذ البحث، فضلا عن الموارد المالية إن كان الأمر يقتضى تحمل تكاليف مالية.

3 – كما ستعتمد قدرة الباحث على ما إذا كان متوفرا لدى المشاركين المحتملين فى البحث الإمكانيات التكنولوجية المطلوبة والمهارة المناسبة لاستخدامها أم لا.

وهـذا الأمـر الثالث هو أكثرها جميعـا أهمية. فمع أن الباحث قـد يكون قادرا على تطويـر معرفتـه بتكنولوجيا المعلومات ومهارتـه الشخصية فـى استخدامها، وتوفر له التكنولوجيا اللازمة، فإن المشاركين فى البحث لن يستطيعوا المشاركة – وربما يكونون غـير راغبين فيها – إن لم تتوفر إمكانية الدخـول السهل على البريد الإلكترونى وعلى الإنترنت، ولم تكـن لديهم ألفة باستخدام هذه التكنولوجيا. ولا ريب أن هذا الوضع قد يـؤدى إلى استبعاد جماعة مـن الأفراد لها أهميتها بسبب استخدام هذه الطريقة فى جمع البيانـات. ورغم أن استخـدام الإنترنت أخذ فى التزايد بسرعـة، كما أنه يغطى اليوم قطاعات عريضة ومتنوعة من السكان، فإنه ما زال يوجد فى مجال استخدام الإنترنت قدر مـن التباين فى صفات الأفـراد المتعلقة بالتعليم، والعمـر، والنوع، والثروة .. إلـخ، الأمر الـذى قد يؤدى إلى وجود تحيـز ظاهر فى عينة المستجيبـين. ونظرًا لأن استخدام الحواسب الآلية، وخاصـة الإنترنت، آخذ فى الانتشار، فالأرجح أن يصبح هذا الوضع أقل إشكالية بالنسبة للباحثين الاجتماعيين.

ولا ريـب أن مجـرد إمـكان استخدام هـذه التكنولوجيا لا يعنى أن هـذا الاستخدام سيكون أكثر الطرق ملاءمة لجمع البيانات.

لماذا نختار الاتصال عبر الحاسب فى جمع البيانات؟

إذن فما عساها أن تكـون بعض الأسباب التى تدعو لاختيار الاتصال عبر الحاسب فى جمع البيانات؟

1 – لأنـه رخيص التكلفـة. فمعظم الخدمات التى سلفت الإشـارة إليها مجانية، أو أن الباحـث قد يستطيع – علـى الأقل – الحصول عليها مجانا، لأنـه – مثلا – قد سبق لـه أن دفع ثمـن توصيلة الإنترنـت فائقة السرعة (الـبرود بانـد)، أو أنه يستطيع استخدامهـا مجانا بصفته طالبا فى إحدى الجامعـات، أو لأنه يعمل فى مكان معين يوفر لـه ذلك. وليس مطلوبـا أن يُكتب الاستبيان المرسل بالبريـد الإلكترونى فى صورة مطبوعة على الورق، أو يرسل عبر البريد (العادى)، أو ينشر. كما أنه لا يتوجب على الباحث أن يتجول فى مختلف أحياء المدينة ليجرى عشرين مقابلة يلتقى فيهـا بالمشاركين وجها لوجه. ويستطيع المشاركون فى جماعة مناقشة افتراضية أن يشاركـوا فيها من بيوتهم بدون الحاجة إلى استخـدام وسائل المواصلات، أو تدبير من يقوم برعايـة أطفالهم، وبدون أن يتكلف الباحـث مصاريف الوجبات الخفيفة أو المشروبـات التى تقدم للمشاركين. ولكن لاحظ أنه قد توجد بعض التكاليف التى

يتحملهـا المشارك فى البحث والذى لا يتوافر لـه وصول سهل لحاسب آلى، وربما يتعين عليه الانتقال إلى مكتبة عامة أو دفع تكاليف الخدمة بأحد مقاهى الإنترنت.

2 - يمكـن دعوة المشاركين - المنتشرين على نطاق جغرافى واسع - إلى المشاركة من مختلف أنحاء الوطن أو من أى مكان حول العالم مادام يتوافر لهم إمكانية الوصول إلى هـذه التكنولوجيـا. ويمكن لهذا الوضـع أن يفتح الباب أمام إجـراء الدراسات المقارنة، التـى تشتمل على استعمال عينات أكبر عـددًا، وعلى جمع البيانات على امتداد فترة من الزمن، أو على عـدة مراحل.

3 - قـد يكـون الاتصال عبر الحاسب ملائمًا بصفة خاصـة عند القيام بدراسة جماعات معينة من الناس. نذكر منها على سبيل المثال:

(أ) الأفراد الذين يعجزون عن مقابلة الباحث أو مقابلة غيرهم من المشاركين لسبب من الأسبـاب. فقد يكون المانع لدى بعض الأفراد هو شدة الانشغال فحسب. وبالنسبة لأمثال تلك الجماعات قد تكون الفرصة المحددة الوقت للمشاركة من بيوتهم أو من مكان عملهم (فى المقابلات الافتراضية مثلا) بمثابة حافز يشجعهم على المشاركة.

البحث الواقعى

دراسة الأفراد غير القادرين على المشاركة بأشخاصهم

بحـث بوكـر Bowker وتوفـن Tuffin (2004) بعنـوان: «استخـدام الوسيـط الإلكترونـى (الإنترنت) فـى تحليل الخطاب المتعلـق بالأفراد ذوى العجـز البدنـى»، منشور فى: «مجلة الحاسب فى العلوم الاجتماعية»، العدد (22) ص ص 241-228.

قام بوكر وتوفن بدراسة الخبرات الإلكترونية لأفراد ذوى عجز بدنى باستخدام المقابلات عبر الإنترنت.

بحـث أوكونـور O'Connor ومـادج Madge (2001) بعنـوان: «أمهـات الفضاء الإلكترونى: مقابلات إلكترونية متزامنة باستخدام برامج عقد المؤتمرات»، منشور فى مجلة: «البحث الاجتماعى على الشبكة»، العدد (5).

قام أوكونـور ومادج بجمع البيانات من الأمهـات الواضعات باستخدام طريقة جماعة المناقشة عبر الإنترنت.

(ب) مـن الأرجـح أن تتقبل بعض الجماعـات مناقشة موضوعـات حساسة أو أقل قبـولا لدى المجتمع باستعمال الاتصال عبر الحاسب وليس بطريقة المقابلة وجها

لوجه، وذلك نظرًا لما يوفره التفاعل عبر الإنترنت من الحفاظ على إخفاء هوية أفراد هذه الجماعات .

(جـ) قد يتضاءل - أو يستحيل - احتمال أن تستجيب بعض الجماعات لباحث له سمات مرئية معينة كتلك المتعلقة بالفئة العمرية، أو فئة النوع ، أو الانتماء الإثنى. أما على الإنترنت ، فلا تظهر هذه السمات بوضوح . كما أنه قد يكون بإمكانك أن تخفى هويتك ، رغم أن هذا التصرف يتسبب فعلا فى إثارة بعض القضايا الأخلاقية (فصل 5 باب 1). إن جمع البيانات عبر الإنترنت يوفر - بالفعل - إمكانية تقليص الأثر الذى يحدثه الباحث على الإجابات التى يحصل عليها.

4 - قد يكون استخدام الحاسب طريقة مفيدة يُنتفع بها عندما يأتى مشاركون محتملون من مجتمع بحث خفى أو غير منظور (انظر قائمة المصطلحات) ، أعنى بذلك: الجماعات التى يتعذر تحديد هويات أفرادها ، كتجار المخدرات مثلا.

البحث الواقعى

اكتشاف مجتمعات البحث الخفية

بحث كومبر 1997 (Coomber) بعنوان: «استخدام الإنترنت فى البحوث الصحية»، منشور فى مجلة «البحوث السوسيولوجية عبر الإنترنت»، العدد (2).

استهدفت دراسة كومبر تجار العقاقير المحظورة الذين يجلبونها عبر الحدود الدولية.

دراسة سكوت 2004 (Scott) بعنوان : «دراسة الخجل: هل هو تضارب فى المصطلحات؟»، منشور فى : «مجلة البحوث الكيفية»، العدد (4) ص ص 91 ، 105.

استخدمت دراسة سكوت طريقة المقابلة المباشرة وطريقة الاتصال عبر الحاسب فى التحدث إلى الأفراد الذين يعتبرون أنفسهم خجولين.

يعد الإنترنت بمثابة مصدر للمجتمعات الافتراضية (انظر قائمة المصطلحات) وبيت لها: وهى جماعات من الأفراد الذين يلتقون بغيرهم ممن لهم نفس الخبرات أو السمات الشخصية بصورة افتراضية على الشبكة وليس وجها لوجه. فإن كنت تقوم بدراسة جماعات من ذلك النوع ، فإن الإنترنت قد تكون هى أنسب مكان للعثور على مشاركين فى بحثك ، كما أنها ربما تكون أيضا المكان المناسب لجمع بياناتك.

5 - إن كان بحثك يدور حول الإنترنت نفسها: كيف يستخدم الأفراد الإنترنت ، وكيف تقوم جماعات معينة بمناقشة القضايا فى غرف الدردشة . . . إلخ، فربما يتعين عليك أن تجمع بعض بياناتك - على الأقل - عبر الشبكة.

6 - يمكن لهذه البيانات أن تكون فى صورة نص مكتوب. وهذا معناه أنه لا يلزم نسخ المقابلـة، أو أن الاستبيـان يمكن تحميله مباشرة فى حزمـة إحصائية، أو فى برنامج حسابـات كومبيوترى(*)، أو فى قاعدة بيانات بغرض التحليل دون الحاجة إلى نسخ هذه البيانات من الاستبيان (وهذا النسخ مصدر محتمل لوقوع الباحث فى الخطأ).

سوف ندخل فى اعتبارنا أربع طرق لجمع البيانات إلكترونيا، تعتمد كل طريقة منها على الإمكانيات المتاحة حاليا لمعظـم مستخدمى الحواسب الآلية. أما بالنسبة لطرق البحث المباشـرة (انظر قائمة المصطلحات)، فإن دور الباحث فى جمع البيانات يختلف، وذلك على الرغم من أنه سيكون من النادر أن يلتقى بالمبحوثين لقاء مباشرا. كما أن البيانات التى يتم جمعها قد تكون بيانات مقننة، أو شبه مقننة، أو غير مقننة.

بحثـك	ملحوظة مهمة
نفترض هنا أن معظم الطـلاب سيكونون علـى دراية بالإجـراءات والحزم القياسيـة للحاسـب، ولكننا لا نتوقـع أن يكون الطلبة مبرمجـين (مصممى برامج) مهرة ومتمرسين، أو قادرين على تصميم مواقع على الشبكة. فإن كنت تتمتع بهذه المهـارات، فمن المحتمـل أنك ستكون قادرا على استخدام طـرق جمع البيانات هذه بصورة أسهل وعلى نحو أكثر فعالية. أما إذا لم تكن بمثل هذه المهارة، فإننا نرى مع ذلـك، أنه بإمكان الطالب ذى الدراية المتوسطـة باستخدام الحاسب الآلى، والبريد الإلكترونى، والإنترنت أن يستفيد من الطرق المذكورة فى جمع البيانات. وبالنسبة لمن يهتمون بالجوانب الأكثر دقة وتخصصا، فى مجال تصميم المسح الذى ينفذ على الشبكـة مثلا، فهناك بعض المراجـع التى تشير إلى مصادر لتقـديم المشورة فى هذا المجال، وقد أوردناها فى فقرة المراجع وقراءات للاستزادة فى نهاية هذا الفصل.	

الاستبيانات المسحية باستخدام الاتصال عبر الحاسب

يمكـن لاستبيانـات المسح الاجتماعى أن تـوزع وتُستوفى إلكترونيـا (على الشبكة) بسهولة بالغة، وذلك بثلاث طرق على الأقل :

1 - إن كانـت لديـك عناوين البريد الإلكترونى للأفراد الذين ترغب فى إدراجهم فى عينة بحثك، فبإمكانك أن تقتصر فحسب على إرسال الاستبيان بالإيميل محتويا على

(*) Spreadsheet وهو برنامج لمعالجة واسترجاع بيانات رقمية مجدولة. (المترجم)

الأسئلة مكتوبة فى صلب رسالة البريد الإلكترونى هذه. حينئذ يستطيع المستجيب أن يدق الـزر الخاص بالإجابة على لوحة مفاتيح الحاسب، ويضيف إجاباته على تلك الأسئلة، ثم يعيد الرسالة إليك.

ولكن يعيب هذه الطريقة بعض نواحي القصور. فالبريد الإلكترونى حاليا ليس له نفس أدوات التحرير والتنسيق الشكلى التى تتميز بها برامج معالجة الكلمات مثلا. وهذا يعنى أنك لا تستطيع تقديم الاستبيان بنفس درجة الوضوح والجاذبية التى يتصف بها الاستبيان الذى تقدمه برمجيـة أخرى. وعلى العموم يتوقع الأفراد أن تكـون رسائل البريد الإلكترونى مختصـرة تماما، مع إمكان رؤيـة محتواها كله داخل شاشة واحدة. ذلك أن هذه الرسائل الإلكترونية قد يُعرض عنها المشاركون بسبب مظهرها الخارجى وطولها الواضح.

2 - مـن البدائل الأخرى للطريقة السابقة: أن تبعث إلى مستجيبك المحتمل برسالة بريد إلكترونية ترفق بها استبيانا. وإليك الطريقة التى يعمل بها هذا البديل:

(أ) تقـوم بتصميم استبيانك الإلكترونى (انظر قائمـة المصطلحات) مستعملا برنامج معالجة كلمـات بـه صناديـق (أو براويـز) للكتابـة بداخلها وجـداول وبرنامـج لتصميم «النموذج»، وذلك مثـل برنامج «مايكروسوفت ورد» (وبهذا البرنامج إمكانيات لإنشـاء النماذج باستعمال حزم «فورمز» Forms (أى النماذج) واسمها التجارى (Word 2003) أو حزمة «المطوِّر» Developer والمسماة تجاريا (Word 2007) والتى يمكن للمستجيبين أن يلمؤها - حينئذ - إلكترونيا) (فصل2).

(ب) تقـوم بتخزين أو حفظ النموذج وتبعثه بالبريد الإلكترونى كخطاب مرفق إلى مستجيبيك المحتملين.

(جـ) يقوم المستجيبون بفتح هذا الخطاب المرفق ويجيبون على الأسئلة.

(د) يقـوم المستجيبون بحفظ استبياناتهم المستوفاة مستعملين اسم ملف مختلف تكون قـد أعطيته لهم من قبل (أو قد يقومـون - إن رغبوا فى ذلك - بطبع الاستبيان من على الحاسب وإعادته إليك بالبريد العادى).

(هـ) يقومون بالإجابة على رسالتك الإلكترونية ويرفقون بها الملف المحفوظ.

(و) تستطيع حينئذ أن تفتح الخطاب المرفق وتسجل إجاباتهم، أو تنقل هذه البيانات مباشرة باستعمال برنامج ما، فتضعها فى برنامج حسابات كومبيوترى أو فى قاعدة بيانات.

ولهـذه الطريقة مزاياهـا وعيوبها. فبإمكانك أن تقدم استبيانـا إلكترونيا أكثر جاذبية وأيسـر استيفاء باستعمالـك الإمكانيات الكاملـة للبرنامج الذى تستخدمـه. ويمكن لهذا البرنامـج أن يحتوى على إمكانيات، مثل صناديق الكتابـة (انظر قائمة المصطلحات) التى يمكـن لمستجيبك أن يكتب فيها إجاباته. كما يمكـن أن تستخدم صناديق الإجابة (انظر قائمة

المصطلحـات). ويمكنك أيضا أن تستوفى قوائم الإجابات المحتملة (انظر قائمة المصطلحات) (فصل2). وحسب مهارتك يمكنك بهذه الطريقة أن تصمم استبيانا جذابا وسهل الاستيفاء.

ولكـن هـل تستطيـع أن تفترض أن مستجيبيـك على درايـة كافية بهـذه البرامج الكومبيوتريـة وبإرفاق الوثائـق بالرسائل الإلكترونية ؟ كمـا أن بعض المستجيبين قد يكونـون غـير راغبين أو غـير قادرين علـى قبول رسائـل البريـد الإلكترونى ذات الخطابات المرفقة لأنهم يخافون من فيروسات الحاسب التى تنتشر كثيرا بهذه الطريقة. وقد يساعـد على مواجهة هذه المشكلـة أن تبعث للمستجيبين برسالـة إلكترونية تمهيدية تُعلمهم فيها بأن رسالة إلكترونية بها رسالة مرفقة سوف تصل إليهم، وأن تزودهم فى سياقها بتعليمات واضحة عن استيفاء الاستبيان وإعادته إليك.

3 - واستطـرادا فى هذا الاتجاه نقول: إن كان لديك هذه المهارات واستطعت أن توفر لنفسك هذه الموارد، فإنك تستطيع أن تصمم استبيانا إلكترونيا على أحد مواقع الشبكة. وقد يكون هذا الموقع موقعًا شخصيًا، أو موقعا تابعا لإحدى المؤسسات، أو قد يكون موقعًا يستعمله مجتمع البحث الذى تستهدفه (بتصريح من مدير الشبكة). فمن الممكن تصميم استبيان علـى الشبكة باستعمال برمجية قياسية لمعالجـة الكلمات. وإذا كنت على دراية كافية بالتقنيات التى منها تقنيات «الماكرو» macro (التى يمثل فيها أمر كومبيـترى واحد سلسلة من العمليات) فستكون قـادرا على تصميم نموذج يتضمن عمـل مراجعات على البيانات أثناء إدخالها، كما يحدث مثلا عندما يُدخل المستجيب تاريخ ميلاد لا يتطابق مع عمره، فيقوم البرنامج بلفت نظر الباحث إلى هذا الخطأ. أو أن يشتمـل تصميـم نموذجك على «تنبيهـات» reminders تلفت انتباه الباحث فى حالة عدم إجابة المشـارك على بعض الأسئلة. ويمكن تقديم الأسئلة للمستجيبين واحدا واحدا، كما أن بإمكان الباحث أن يفرز الأسئلة التى يراد تسريبها لجماعات معينة من المستجيبـين وينحيها جانبا فلا تظهر لغيرهم. فإن لم تكن تتمتع أنت نفسك بهذه المهارات، فلك أن تعلم أن هناك عددا من مواقع الشبكة التى يمكن أن تساعدك على إعداد الاستبيان وتزودك بوصلة على الشبكة يمكن أن توجه مستجيبيك إليها. مثال ذلك: اذهب إلى موقع Smart Survey (المسح الذكى) وبيانه كالتالى www.smart-survey.co.uk/ (تاريـخ آخر دخـول 21/8/2009) وابحث فيه عن عينة من المسوح التى يحويها هذا الموقع. ويقوم موقع Survey Monkey (أدوات المسـح) وبيانـه كالتـالى www.surveymonkey.com/ (تاريـخ آخر دخول 21/8/2009)؛ يقوم بمعظم ما يقوم به الموقع السابق. ويسمح كلا هذين المصدرين بالاستخدام المجانى (وإن كان فى حدود ضيقة) لموقعيهما وبرمجياتهما، كما أن لهما تعليمات معينة بخصوص الاستخدام. ويبين شكل (3-10) جزءًا من مسح التطوع

بـين الطلاب الجامعيين. وهو يوضح كيف ينبغى أن يظهر الاستبيان للطالب الذى يجيب على الأسئلة.

فـإن كنـت قادرًا علـى إدخال هـذه الطريقة فى الحسبـان باعتبارهـا طريقة لجمع البيانـات، فعليك أولا أن تفكر فى كيفية عثور مستجيبيـك على هذا الاستبيان (بإمكانك أن تبعـث إليهم بالبريد الإلكترونى (الإيميل) رسالة تعرفهم بتوصيلة للشبكة أو تتحصل على توصيلة من موقع على الشبكة يستعمله مجتمع بحثك المستهدف فتضعها على موقعك علـى الشبكة، أو تقصر الدخـول إلى استبيانك على مستخدمـى موقع معين من مواقع الشبكة يكون استبيانك موضوعا فيه.

ولأن التكنولوجيـا تتطور، وصار هنـاك المزيد والمزيد من الناس الذين يستخدمون البريد الإلكترونى والإنترنت كوسيلة رئيسية للاتصال، فمن الأرجح أن يتزايد استخدام الاستبيانـات الإلكترونية فى مجـال البحث الاجتماعـى، كما سيكون ممكنـا تقييم فعالية استخدام هذه الوسيلة بهذه الطريقة. وقد أجريت دراسات قليلة العدد تتناول مقارنة المسوح المنفـذة بالحاسب بالاستبيانات التى تنفذ بصورة مباشرة (بحضور الباحث والمشارك وجها لوجه) والاستبيانات الهاتفية والاستبيانات البريدية. وإليك بعض نتائج هذه الدراسات:

- قـد تختلف طريقـة استجابة الأفراد باختـلاف وسائل الاتصـال المستخدمة فى جمع البيانـات. مثال ذلـك أن فريكر Fricker وجد أن استبيانـات المقابلة المباشرة تؤدى على الأرجح إلى الحصول على إجابات مقبولة اجتماعيا بدرجة أكثر من الاستبيانات الإلكترونية التى يستوفيها المشارك بنفسه (فريكر وشونلاو، 2002).

[SURVEY PREVIEW MODE] Student volunteering - Windows Internet Explorer
http://www.surveymonkey.com/s.aspx?PREVIEW_MODE=DO_NOT_USE_THIS_LINK_FOR_COLLECTION&sm=pW8kDCUnWqib7gRYtizey3WCx7oSFw
File Edit View Favorites Tools Help
Student volunteering — Exit this survey
1. Your volunteering

فيما يلى بعض الأسئلة عن نشاطك التطوعى الذى قمت به أثناء السنة الدراسية الثانية:

1 – ما اسم المؤسسة التى تطوعت للعمل بها أثناء السنة الدراسية الثانية؟

شغّل البرنامج ------------------ ▲

بهدوء -------------------------- ▼

2 – كيف عرفت بهذه الفرصة للتطوع لخدمة هذه المؤسسة؟

√) موقع من مواقع الشبكة.

) وكالة تطوع.

) اتحاد الطلاب.

) المعيد

) اتصالاتك الشخصية

) سبق لك العمل بهذه المنظمة

) طرق أخرى(حددها من فضلك)

----

3 – كيف قمت بالاتصال الأول مع هذه المؤسسة؟

) خطاب

√) بريد إلكترونى (إيميل)

) هاتف

) نموذج طلب تطوع.

) زيارة للمؤسسة.

) طرق أخرى(حددها من فضلك).

----

4 – هل كان عليك أن تقوم بأى تدريب قبل أن تبدأ التطوع؟

√) نعم

) لا

5 – فى حالة الإجابة بـ«نعم» على السؤال رقم (4):

ما نوع التدريب الذى تلقيته؟

الصحة والسلامة – العمل مع الأطفال	▲
------------------------------	▼

شكل (10-3): مسح إلكترونى

• قد يرغب بعض المستجيبين فى ترك بعض الأسئلة أو عدم استكمال الاستبيان عندما يقومون باستكماله إلكترونيا (روستر وآخرون، 2004).
• قد لا تكون معدلات الإجابة كافية بالقدر المطلوب (روستر وآخرون، 2004).
• كما أنه قد يكون عسيرا - إن لم يكن مستحيلا - جمع عينة ممثلة (انظر قائمة المصطلحات) (انظر أدناه، وكذلك فصل 5 باب2).

المقابلات باستخدام الاتصال عبر الحاسب

المقابلة وسيلة تفاعلية لجمع البيانات للبحث الاجتماعى. ومع أنها قد تتخذ الشكل البسيط للسؤال والإجابة، فإننا نتوقع - فى العادة - أن تزود المقابلة الباحث بالفرصة التى تجعله أكثر تدخلا فى المقابلة، كما تجعله يستخدم هذا التفاعل كوسيلة لجمع البيانات. ومن الممكن النظر إلى درجة تقنين المقابلة باعتبارها خطا متصلا (فصل1)، يبدأ بالاستبيان المباشر المقنن ويستمر حتى ينتهى بالمقابلة غير المقننة التى فيها يتحكم شريك البحث (المبحوث) فى عرض البيانات إلى حد بعيد. ورغم أن الباحث لا يكون له وجود حسى فى المقابلات الإلكترونية، فإنه يستطيع - مع ذلك - أن يكون أداة البحث (انظر قائمة المصطلحات) الأساسية، مثلما عليه الحال فى المقابلات المباشرة وجها لوجه. كما يستطيع أن يسعى باحثا عن توليد البيانات عن طريق إيجاد الطرق التى تشجع طرف المقابلة (المبحوث) على «الكلام».

إلى أى مدى - إذن - يكون بالإمكان إعادة إنتاج سمات المقابلة المباشرة باستعمال البريد الإلكترونى والإمكانيات الموجودة على الإنترنت؟

هناك بالأساس نمطان مختلفان للمقابلة الإلكترونية هما:

1 - نمط المقابلة المتزامنة: حيث يقوم الباحث والمبحوث «بالتحدث معا» إلى بعضهما فى نفس الوقت. وعادة ما يجرى هذا النمط من المقابلة داخل غرفة للدردشة أو باستعمال برنامج كمبيوترى للتراسل أو لعقد الاجتماعات إلكترونيا. والمقابلة المتزامنة أقرب شبها بالمقابلة المباشرة وجها لوجه. كما أن بإمكان الباحث أن يعد لهذه المقابلة بطريقة مشابهة للإعداد للمقابلة المباشرة. ويتم ذلك عن طريق إعداد دليل مقابلة واستخدام الأسئلة المحفزة وأسئلة تفتيح الموضوع.

2 - نمط المقابلة غير المتزامنة: حيث لا يشترط بالضرورة أن يكون الباحث والمبحوث على اتصال ببعضهما فى نفس الوقت، كما أن بالإمكان ألا يرد أحدهما على الآخر فورا. ومن المعهود أن يتم تنفيذ هذا النمط من المقابلة باستعمال البريد الإلكترونى أو باستعمال برنامج للمراسلات.

ويمكن القول إن بنــاء مناقشة تفاعلية إلكترونيا، ســواء أكان ذلك بصورة متزامنة أو غير متزامنــة، يعد أمرًا حافلا بالتحديات. فبينما توفر المقابلة المتزامنة الفرص لتتبع إجابــات المبحوث وتشجيعه على أن «يروى حكايته»، فإن بإمكان المقابلة غير المتزامنة أن تصبــح سلسلة من الأسئلــة والأجوبة. ولمعالجة هذا العيب قد يكــون مفيدا أن تبعث بســؤال أو سؤالين إلى الشخص الذى تجرى معه المقابلة مرة واحدة، ثم تجيب مباشرة علــى رسالته التى بهــا إجاباته، بدلا من أن تكتفى بمجرد إرســال السؤال التالى. فهذا التصــرف يمكّــن الباحث الذى يجرِى المقابلة مــن تفصيل الأسئلة علــى المقاس المناسب لأجوبــة الشخص المبحوث. كما يمكّنــه من توليد قدر من النقاشــ، معطيا بذلك مزيدًا من «مذاق» المقابلة شبه المقننة (بامبتون Bampton، وكاوتون Cowton، 2002).

ومن شــأن المقابلة غير المتزامنــة أن تعطى المستجيبين مزيدا مــن الوقت للتفكير فى إجاباتهم أو فى جمع البيانات، وهو أمر ليس سيئا بالضرورة. فالمستجيبون يسعدهم أن يكونوا غير خاضعين للضغط الذى يفرض عليهم الرد فورا، مثلما هو الحال فى المقابلة المتزامنــة المباشرة. ورغم ذلك تثور هنا مشكلة تتمثل فى أن المبحوثين قد يحتاجون إلى مــا يحثهم على الإجابة، كما أنه لا يكــون من الواضح دائمًا سبب عدم إجابة شخص ما علــى سؤال معين. وقــد يكون من المناسب فى مثل هذه الحــالات إرسال التنبيهات أو رسائــل التذكير اللبقــة (التى يبعث بها الباحث إلى المستجيب ويذكــره فيها بالأسئلة التى لم يجــب عليها)، ولو أنه قد ينظر إليها أيضا بوصفها أداة ضغط للاستمرار فى المقابلة. لذلك ينبغى أن تشتمل المادة التمهيدية التى تقدم للمبحوثين على إشارة لطول الفترة التى يحتمل أن يستغرقها إجراء المقابلة وللمجالات الرئيسية المقرر تغطيتها فى النقاش.

ولا ريب أن بإمكان الباحثين أن يجروا عددا من المقابلات غير المتزامنة عن طريق البريــد الإلكترونى فى نفس الوقت. كما أن هذا التصرف قد يكون مفيدا، لأن البيانات التــى تجمع من إحدى المقابلات يمكــن أن توضع داخل أسئلة تطرح فى مقابلة أخرى، فتكون بذلك عملية من عمليات الإثراء المتبادل (بامبتون وكاوتون، 2002).

ومــن الواضــح أن إدارتــك لمقابلة ما (سواء أكانــت متزامنة أم غــير متزامنة) وأنت بعيــد عن الطرف الآخر فــى المقابلة خبرة شديدة الاختلاف عن خــبرة المقابلة المباشرة، لأن التفاعــل البشرى يشتمل على ما هو أكثر من الكلمات المنطوقة أو المكتوبة. لذلك فإن المقابلــة التى تجرى عــن طريق البريد الإلكترونى أو الإنترنت تفتقــر إلى المفاتيح الحسية للغــة الجسد، ونبرة الصــوت، ومظاهر الانفعال التى يستطيع الباحــث أن يتفطن إليها، ويلاحظها، ويستجيب لها فى حالة المقابلة المباشرة. ولا ريب أنه لا بد من أن نلاحظ كذلك

أن هـذه المفاتيح ليست متاحة للمبحـوث أيضا، وأن هذا قد يعنى ضآلة تأثير الباحث الذى يجـرى المقابلة على البيانات التى تجمع داخل نطاق المقابلـة. ولكن تبين لبعض الباحثين أن من الصعوبة البالغة بناء الألفة والثقة داخل نطاق المقابلة بدون مثل هذه المفاتيح المرئية (انظـر على سبيـل المثال أورجـاد 2005، Orgad). ووجد بعض الباحثـين أن المقابلة عـن بُعد تستطيع المساعدة فى الحث على تحقيق قـدر غير قليل من التفاعل الشخصى بين الباحث والمبحوث (انظر على سبيل المثال كيفيتيس 2005، Kivits، وأوكونور ومادج، 2001)، بفضل ما تتضمنه هذه الاتصالات من معلومات عن شخصك وعما تقوم به من عمـل، وذلك لأن هذا يساعـد المبحوث على المشاركة الجادة فـى الحوار بدلا من مجرد الاقتصـار على الإجابة على الأسئلة. وأيـا ما كان الأمر، فإن الأفراد - وكما هو الحال فى الاستبيانات الإلكترونية - قد يكونون أكثر استعدادا لتقديم إجابات تعتبر أقل قبولا من جانب المجتمع، أو لمناقشة القضايا الحساسة بصراحة أكبر عبر الشبكة.

للبريـد الإلكترونى والرسائل النصية عبر الشبكـة لغاتها الخاصة بها، وهى تتضمن طرقا لمعالجة ما تفتقر إليه من مفاتيح مرئية للفهم متاحة فى المقابلة المباشرة. وقد استحدث مستخدمو الشبكة أيقونات معبرة عـن الانفعالات (أيقونات انفعالية Emoticons - انظر قائمة المصطلحات) وغيرها من التعبيرات النصية المكتوبة ليتغلبوا على هذه المشكلة، كما أن الباحثين قد يجدون أنفسهم فى حالات كثيرة يستخدمون هذه الأيقونات والتعبيرات.





ومـن مزايا إدارة المقابـلات إلكترونيا أن البيانات تكون فـى صورة نص مكتوب فـى نفس وقت المقابلة، ومن ثم لا توجـد حاجة لتسجيلها ونسخها. ويمكن قص ولصق Copy & Paste بيانـات المقابلـة داخـل برامج تحليلية أو داخل وثيقـة منفذة ببرنامج لمعالجة الكلمات تمهيدًا لتحليلها.

جماعات المناقشة التى تستخدم الاتصال عبر الحاسب

تعمل جماعات المناقشة على جمع مجموعة من الأفراد معا، لكى يتحدثوا عن موضوع من موضوعات البحث، وهو أمر يمكن - بطبيعة الحال- تحقيقه بشكل افتراضى حيث لا يكون الأفراد موجودين فى نفس المكان المادى. وكما هو الحال فى المقابلات الإلكترونية، يمكن عقد جماعات المناقشة الإلكترونية بشكل متزامن أو غير متزامن، رغم أننا نميل فى العادة إلى توقع أن تكون جماعة المناقشة متزامنة، حيث يكون جميع المشاركين حاضرين

فـى نفس الوقت وعلـى اتصال ببعضهم، ويستعملون غرفـة دردشة موجودة من قبل أو تنشأ خصيصا لهم، أو يستعملون برنامجا لعقد الاجتماعات إلكترونيا.

بحثـك

جماعات المناقشة الإلكترونية

بحث كينى (Kenny (2004 بعنوان: «التفاعل فى الفضاء الإلكترونى: جماعة مناقشة إلكترونية»، منشور فى: مجلة التمريض المتقدم، العدد (49)، ص ص 422-414.

استخـدم «كينـى» برنامـج WebCT (وهو برنامـج يستخـدم كوسيلة تدريس فـى جامعات كثيرة ويشتمـل على إمكانيـات لعقد جماعات مناقشـة وتنظيم غرف الدردشـة، كما يعرف هذا البرنامج بوصفه بيئة تعلم افتراضية) لعقد جماعة مناقشة افتراضية لا متزامنة بين الطالبات اللائى يدرسن التمريض.

انظـر أيضا أوكونـور ومادج (2001): «أمهـات الفضـاء الإلكترونى: إجراء المقابـلات المتزامنة الإلكترونية باستخدام برامج عقـد الاجتماعات أو المؤتمرات»، منشور فى: مجلة البحوث السوسيولوجية الإلكترونية، العدد(5).

وقـد انتفع أوكونور ومادج بحزمة برامج لعقد الاجتماعات، وهى متاحة مجانا للتحميل على الحواسب؛ انتفعا بها فى إدخال آباء وأمهات جدد فى جماعة مناقشة إلكترونية متزامنة.

ستيـورات Stewart ووليامز Williams (2005)، «دراسة بعض مجتمعات البحث الإلكترونية: استخدام جماعات المناقشة الإلكترونية فى البحث الاجتماعى»، منشور فى مجلة: البحوث الكيفية، العدد (5)، ص ص 395 - 416.

تقدم هذه الدراسة رؤية عامـة مفيدة لاستخدام جماعات المناقشة الإلكترونية فى البحـث، وذلك بالاعتماد على مثالين - جماعة مناقشـة لا متزامنة وجماعة مناقشة متزامنة عقدتا فى بيئة تصويرية ثلاثية الأبعاد.

وكما هو الحال فى جماعات المناقشة المباشرة، يمكن للباحث أن يعد دليل موضوعات يحتـوى على بعضـ الأسئلة المحفـزة (وهى كلمـات وعبارات لحـث المشاركين على الإفاضة فى الـكلام) مما يساعد على تركيز النقاش، وذلك فى حالة قيام الباحث بدور الميسِّر. ويذهب بعض الباحثين المتمرسين إلى أنه قد يكون مفيدا أن يتوافر للباحث أسئلة ومحفزات مكتوبة من قبل ليقوم بقطعها ووصلها حسب الحاجة واستخدامها أثناء انعقاد جماعـة المناقشـة، وذلك بالرغم من أن الميسِّر سيكون - بطبيعة الأمـر- متجاوبا مع البيانات التى يسهم بها المشاركون.

كذلك يمكــن إدارة جلسة نقاش لا متزامنة تضم أعضــاء جماعة مناقشة يستطيع كل المشاركــين فيهــا أن يقرأوا ما كتبه الآخـرون وأن يدلوا بإجاباتهم فــى أى وقت، وقد توجـد فترات يتواصل فيها أكـثر من عضو من الأعضاء، ولكــن ليس كلهم، تواصلا إلكترونيا (على الشبكة) ويساهمون بآرائهم فى نفس الوقت. والوضع الأمثل أن تشكل جماعة المناقشة للحديث عن موضوع بعينه، كما ينبغى أن تكون طبيعة موضوع النقاش معلنــة بوضــوح. فى هذه الحالة يترجــح أن يكون للميسر دور يزيـد عن مجرد كونه ملاحظــا، لأنه لا يقدر أن يظل طوال الوقت موجودا بشخصه على الخط للتجاوب مع المتحاورين، وذلك رغــم أنه قد يكون من الضرورى أن يقوم ببث النشاط فى النقاش أحيانا بطرحه أسئلة جديدة، أو بإدلائه بتعليقات أو إجابات على ما كتبه الأعضاء.

فكر فى هذا الموضوع...

جماعات المناقشة الافتراضية

- قــد يكون عسيرا جمع كل الناس على الشبكة فى وقت واحد، كما أن من المحتمل أن يضطر الباحث إلى إجراء نوع من التفاوض عن طريق البريد الإلكترونى أو عبر الشبكة لضمان أن تكون أوقات النقاش ملائمة للمشاركين.
- من الممكن أن يكون تبادل بعض البيانات الاجتماعية - الديموجرافية (السكانية) فــى بداية انعقاد الجماعة مفيدا فى التغلب علــى تحفظ الأعضاء وفى بدء الحديث بينهــم، كما أنه يوفر معلومــات مفيدة عن خلفياتهم الاجتماعيــة. كما يمكن لهذا التبــادل للبيانات أن يدعم المناقشة إن كان الباحث مستعدًا لأن يتبادل مع أعضاء الجماعة بعض البيانات عن نفسه أيضا.
- نظــرا لعدم وجــود مفاتيح تواصل مرئيــة يراها الباحث علــى وجوه المشاركين فتساعــده على مواصلة الكلام، فقــد يكون من المفيد أن تقضى بعض الوقت، إما قبل تعرّف أعضــاء الجماعة على بعضهم وإما أثناء ذلك، وأنت تكتشف الطرق المختلفــة التــى يعبر بها المشاركون عــن أنفسهم، كأن يستعملــوا - مثلا - أيقونات انفعالية (أى صورًا دالة على مواقفهم الانفعالية) (انظر قائمة المصطلحات) أو لغة متفقا عليها عبر الشبكة أو لغة خاصة بجماعة ثقافية ما.
- ومن شأن بعض الأفراد أن يفكروا ويكتبوا مشاركاتهم على نحو أبطأ من غيرهم، كما أنــك - كميسر - تحتاج إلى أن تتنبه للأفراد الذين يبدو عليهم دائما أنهم غير مواكبين للنقاش، وأن تحرص على أن تشعرهم بأنك تتلقى رسائلهم أو ترد عليهم بشكل ما.

- بوصفك الميسِّر ، فلن تعرف ما إذا كان المشاركون هم أنفسهم من يقولون أنهم مشاركون ، كما أنك لن تعرف هل يوجد معهم أفراد آخرون أو هل توجد أنشطة أخرى تجرى ممارستها فى هذه الأثناء ، مما قد يشتت انتباههم ، أم لا .
- من السهل أن تؤثر الخروج من جماعة مناقشة افتراضية ، إما قبل انعقاد الجماعة أو فى أثناء انعقادها ، وذلك بمجرد قيامك بإغلاق سجلها . فهل ستعرف متى يحدث ذلك ، وهل ستعرف لماذا يحدث ذلك؟ إن هذا التصرف أسهل كثيرا من مغادرتك لمكان انعقاد جماعة مناقشة تلتقى فيه بالمشاركين وجها لوجه .
- ثم ماذا عن فترات الصمت؟ بصفتك ميسِّرا ، ماذا تستنتج من لحظات التوقف عن الرد قبل أن تبدأ الإجابات فى الوصول إليك؟

الملاحظة على الإنترنت

تتيح لك الإنترنت إمكانية هائلة وفرصة عظيمة للملاحظة كمشارك فى غرف الدردشة أو فى جماعات المناقشة ، أو بوصفك «مترصدًا خفيا» ، وأعنى به الشخص الذى يراقب أو يلاحظ غرفة دردشة أو جماعة مناقشة بدون المشاركة فى هذا النشاط . وبالنسبة للباحث الاجتماعى ، تتوافر الفرصة لجمع البيانات المطلوبة لأسئلة البحث والتى تتعلق بالطرق التى بها يستخدم الأفراد الإنترنت ، والطرق التى يتبعونها فى مناقشة القضايا على الإنترنت ، والقضايا التى يثيرها المشاركون . وعادة ما تكون البيانات المجموعة فى شكل حوارات مكتوبة تجرى بين المشاركين . وقد يتم اختيار المشاركين بقصد جمع مادة عن مجموعة بعينها من الأفراد ، وقد يتم اختيار أحد مواقع الشبكة على امتداد فترة من الزمن . ويوصى بعض الباحثين بملاحظة إحدى غرف الدردشة أو «رصدها خفية» كمرحلة تمهيدية قبل تجميع المشاركين فى الاستبيانات ، أو المقابلات ، أو جماعات المناقشة .

إن القضايا الرئيسية التى تهمك هنا – إن كنت تفكر فى جمع البيانات بهذه الطريقة – إنما تتعلق بأخلاقيات البحث ، كما تتعلق بدورك كباحث مشارك أو باحث «يرصد خفية» ما يدور فى جماعة ما . وتشبه هذه القضايا – فى جوهرها – القضايا التى تثيرها الملاحظة المباشرة التى تقوم بها كمشارك ، والتى تسمى ملاحظة «العالم الحقيقى» ، أو القضايا التى تثيرها الملاحظة المستترة (انظر فصل5 باب1 ، والفصل 6 من هذا الباب) . كما يميل كثير من الباحثين الاجتماعيين المتمرسين إلى الموافقة على أن تجمع البيانات كملاحظ بدون إخبار الأفراد الذين تقوم بملاحظتهم فى بعض المواقف . والحقيقة أن هذا الرأى مفاده أنك إن أخبرت الأفراد الذين تقوم بملاحظة سلوكهم بهذا الأمر ، فإنك تجازف بتغيير هذا السلوك أو تجازف بتعريض نفسك للعجز التام عن الاستمرار

فـى جمع البيانات لأنه لا يتوافر لديـك الموافقة عن علم، والتى يعطيك إياها المشاركون فـى بحثك (انظر فيما بعد للاطلاع على المزيد مـن مناقشة القضايا الأخلاقية فى البحث باستعمال الاتصال عبر الحاسب).

اختيار العينات وتجميع المشاركين فى الاستبيانات، والمقابلات، وجماعات المناقشة الإلكترونية

يمكـن لقوائم الإنترنـت والبريد الإلكترونـى أن تستخدم كمصـادر معلومات عن المشاركـين فـى البحث، وذلك فـى كل من عملية جمـع البيانات عبر الشبكـة أو جمع البيانات باستعمال وسائط أخرى خارج الشبكة.

المثال (10-1)

اختيار جمع البيانات عبر الشبكة أو خارجها

يحتـاج الباحث الطالب إلى دراسة الطريقة التـى يتبعها الطلاب الذين يدرسون العلـوم الاجتماعية فى اختيار مهنهم فى المستقبـل، وفى اختيار اللجوء إلى استخدام قسم العلوم الاجتماعية (الذى هو واحد من طلبته) لتجميع المبحوثين.

يمكن الاستفادة بدليـل البريد الإلكترونى الخاص بالقسم الذى يدرس به الطالب باعتبـاره مجتمع البحث الذى تستخـرج منه عينة عشوائية (وقد تكـون مقسمة تبعا للسنـة الدراسية أو النوع). بعـد ذلك يمكن الاتصال بالطلاب عـن طريق إرسال خطابـات إليهم، أو الحديث معهم بالهاتـف، أو إرسال بريد إلكترونى لهم يدعوهم للمشاركة فى أحد البحوث.

يمكـن أن يتم جمع البيانات عن غير طريـق الشبكة، وذلك فى مقابلات مباشرة يتـم تنظيم مواعيدهـا بالبريد الإلكترونى (البـاب الأول)، أو يمكـن جمع البيانات إلكترونيـا باستعمال استبيـان إلكترونى أو جماعـة مناقشة إلكترونيـة، مع توجيه الطلاب - داخل رسالة البريد الإلكترونى - إلى أحد مواقع الشبكة (الباب الثانى).

جدول رقم (10-1): طريقتا جمع البيانات إلكترونيا ولا إلكترونيا

	جمع المعلومات لا إلكترونيا	جمع المعلومات إلكترونيا
تجميع المشاركين بطرق غير إلكترونية	أ	ب
تجميع المشاركين إلكترونيا	جـ	د

ويمكن كبديل لذلك أن توضع على موقع الشبكة الخاص بالقسم العلمى صفحة بيانات تفصيلية (وصلة) تشتمل على معلومات عن البحث أو عن عنوان البريد الإلكترونى للباحث، ويطلب من الطلاب أن يضغطوا على «الماوس» للدخول على هذه الصفحة إن كانوا راغبين فى المشاركة فى البحث. ونلاحظ مجددًا أنه يمكن إجراء جمع البيانات بطرق غير إلكترونية من خلال المقابلات المباشرة أو جماعات المناقشة (الباب الثالث) أو قد يوجه الطلاب إلى أحد الاستبيانات الإلكترونية أو يرسل إليهم استبيان إلكترونى بالبريد الإلكترونى (الباب الرابع).

نحن هنا مشغولون بالقضايا التى تدور حول موضوع اختيار العينة وتجميع المشاركين فى البحث إلكترونيا (انظر فصل 5 باب 2 للاطلاع على مناقشة وافية لاختيار العينة). هيا بنا نفكر فى عملية التجميع بالنسبة للحالة (جـ) (أى جمع البيانات بطرق غير إلكترونية، والحالة (د) (أى جمع البيانات إلكترونيا) عند تجميع المشاركين إلكترونيا، فى المثال رقم (1-10) المذكور أعلاه. فمن هم الذين يمكن إدراجهم فى البحث ومن هم الذين يمكن استبعادهم منه؟

1 - فى هذا المثال، من الراجح تماما أن يتوافر لمعظم الطلاب الوسيلة والمهارات اللازمة للتمكن من زيارة موقع القسم العلمى على الشبكة.

2 - ولكن إن لم يكن مطلوبا من الطلبة أن يقوموا بزيارة هذا الموقع، كأن تكون هذه الزيارة واجبا دراسيا عليهم إنجازه، فمن النادر أن يقوم بعض الطلبة بتسجيل أسمائهم والدخول عليه.

3 - من يقومون بزيارة الموقع قد يسجلون أسماءهم لتحقيق غرض خاص جدًا ويفوتهم الحصول على صفحة البيانات التفصيلية (عن البحث وكذلك البريد الإلكترونى للباحث).

4 - قد يتصور طلبة آخرون أن هذا البحث شيق، فيدقون الماوس ليطلبوا الحصول على صفحة البيانات التفصيلية وحينئذ يكتشفون أنه يتوجب عليهم أن يبعثوا برسالة بريد إلكترونية إلى الباحث الطالب، أو يتوجب عليهم أن يستوفوا كتابة معلومات مفصلة عن أنفسهم فيقررون -من فورهم- ألا يزعجوا أنفسهم بهذا البحث لأن عليهم واجبًا دراسيا يجب أن ينجزوه فى بحر ساعات قليلة.

5 - أما أولئك الذين يقومون - فعلا - باتخاذ الخطوة الأولى فى المشاركة فى البحث عن طريق إرسال رسالة إلكترونية أو كتابة المعلومات فى الخانات المخصصة لها على طلب الاشتراك قد يكتشفون وقتها أنهم مطالبون بالمشاركة فى جماعة مناقشة وأنه ليس لديهم الوقت لذلك، أو يبدأون ملء الاستبيان ثم يتشتت انتباههم بسبب وصول رسالة مكتوبة إليهم أو بسبب صديق يتصل بهم تليفونيًا.

6 – وهكـذا قـد تكـون الاستجابة قليلة بشـكل لافت، أمَّا ما هو أكثر مـن ذلك : فهو أن الطالـب الباحـث لن يعرف السبب الـذى جعل الآخريـن لا يستجيبون. وسيكون الأفـراد الذين يشاركون فعلا عبارة عن مجموعـة منتقاة ذاتيا، حتى وإن يكن هذا الانتقاء من بين مجتمع بحث معروف ومحدد الهوية.

تسببـت طريقـة التجميع فى تقـديم أنماط بعينها مـن التحيز (فصل5 بـاب2) داخل العينـة، مما يعنى ضمنا أنه لا يمكن النظر إلى هـذه العينة باعتبارها عينة ممثلة، إلا أن بالإمـكان النظر إلى البيانات المجموعة من هذه العينـة باعتبارها – رغم ذلك – بيانات «دالة» على جماعة الأفراد التى استخرجت منها هذه العينة.

فـى هذه الحالة يكـون مجتمع البحث الذى استخرجت منـه العينة معروفا. وفى كثير من الحالات التى يتم فيها تجميع المستجيبين إلكترونيا يكون من المتعذر مجرد تقدير الحجم الـذى قد يكون عليه حجم مجتمع البحث. من ذلك مثلا أنه لو تم جمع المستجيبين من أحد المواقع الموجودة على الشبكة، والتى يستخدمها أفرادا مهتمون بفرقة موسيقية معينة، فمن المستبعـد أن نجـد طريقة لمعرفة عدد الأفراد الذين زاروا هـذا الموقع أو عدد الذين اهتموا بالمشاركـة فى البحث. ومرة أخرى نقول إن هؤلاء المستجيبين يتم اختيارهم ذاتيا، وإنه بدون وجود دافع ما لديهم للمشاركة، فالأرجح أن تسفر هذه العملية فى نهاية الأمر عن عينـه صغيرة الحجم. ولن يعرف الباحث ما إذا كان الذيـن استجابوا له ممثلين لجمهور المعجبين بهذه الفرقة الموسيقية أو ممثلين لمن يستخدمون هذا الموقع بعينه.

هل هذه الطريقة فى البحث «جيدة بما فيه الكفاية» ؟

علينـا أن نفكر مليا فيمـا إذا كانت توجد طرق أخرى لتجميـع المشاركين فى البحث مـع مراعاة عامل الزمـن، والموارد، وإمكانية الوصـول إلى مجتمع البحث، وكذلك مراعـاة طبيعة البيانات التى يحتاج الباحث لأن يجمعهـا – فقد تكون هذه أفضل وسيلة متاحة للعثور على مشاركى بحث لهذه الدراسة وقد تكون «جيدة بما فيه الكفاية».

وقد رأينا فيما سبق أن استخدام الإنترنت فى العثور على مجتمعات البحث الخفية قد يعنى أن بالإمكان تنفيذ دراسة لا يمكن تنفيذها بغير هذه الطريقة. كما قد يزداد احتمال استجابة بعضـ جماعات الأفراد إن كانوا يستطيعون المشاركة باستعمال الاتصال عبر الحاسب وليس الاتصال المباشر. وقد يكون هذا بالذات هو ما يحدث عندما نكون بصدد دراسة بعض الموضوعات الحساسة.

القضايا الأخلاقية المرتبطة باستخدام الاتصال عبر الحاسب فى البحـث الاجتماعـى

يثـير القيام بأى بحث اجتماعــى بعض القضايا الأخلاقيــة، لأن البحث الاجتماعى يتنـاول البشـر والمعلومات المتعلقة بهــم، وظروفهم، ومشاعرهم وآرائهـم، كما تنشأ علاقة اجتماعية بين الباحث والشخص موضوع البحث بوصفه كائنًا إنسانيًا مماثلا.

وقد سبق أن شرحنا هذه القضايا وألقينا الضوء على معالمها (فصل5 باب1)، ولذلك سوف نقتصر هنا على الإشارة إلى عدد من القضايا التى تثار فى مجال الاتصال عبر الحاسب.

الموافقة عن علم (فصل5 باب1)

إذا كان التفاعــل بين الباحث والمبحوثين قـد تم إلكترونيا، فكيف يستطيع الباحث أن يتأكد من أن المبحوث تتوافر لديه كل المعلومات اللازمة لتقديم موافقته على المشاركة فى البحــث عن علم؟ وكيف يستطيع الباحث معرفة أن المشارك قد وافق بدون توقيعه على إقرار بذلك أو بدون تأكد من ذلك نابع من اللقاء المباشر وجها لوجه؟

يمكــن إتاحــة المعلومات الكاملــة عن البحــث على مواقــع الشبكة ومن خــلال البريد الإلكترونــى، كما ينبغى أن تحتــوى على بريد إلكترونى للاتصـــال الشخصى أو عنوان بريــدى للمستجيبين الذين يرغبون فى متابعة البحــث بالأسئلة والتعليقات. ويمكن إعطاء الأشخاصــ الذين يحتمل أن يشاركوا فى البحث فرصة لأن يبعثوا برسالة بريد إلكترونى بالموافقــة أو أن يدقـوا «الماوس» عند ظهور صنــدوق خاص بالموافقة علــى الشاشة يبين رغبتهــم فى المشاركة. ويذهب البعض إلى أنه حيث يقوم المبحوثون باختيار أنفسهم، فإن هــذا يعد - فى حد ذاته - شكلا من أشــكال الموافقة على المشاركة عن علم. إلا أن مسئولية الباحث تقتضى أن يستوثق من أنه قد تم تنبيه المشارك إلى كل المعلومات المتعلقة بالبحث.

لاحظ أيضا أن المشاركين لديهم اختيارات أسهل للانسحاب عندما يتم الاتصال عبر الحاسب - فهم يستطيعون ببساطة ألا يجيبوا وأن يخرجوا من التسجيل فى البحث.

السرية، وتجهيل الهوية، والخصوصية (فصل5 باب1)

عندمــا يجــرى استخــدام الاتصال عــبر الحاسب فى جمــع البيانات، قــد لا يكون المستجيبــون معروفــين إلا من خلال عنوان بريــد إلكترونى أو ربما عــن طريق اسم مستخــدم يختــاره المستجيب نفسه. وربمــا يكون بعض المشاركين قد قامــوا - قبل ذلك - بإخفــاء هويتهم بشكل مــا داخل غرفة الدردشة أو داخل جماعــة المناقشة، وقد يكون لكل منهــم واحــدةٌ أو أكثر مــن «الهويات الافتراضيــة». وقد لاحظ تشــو Cho ولاروز (Larose 1999) أن مــن الشائــع استخدام الهويات الزائفــة - على الإنترنت، ونحن

نـرى أنه يجب علـى الباحث أن يُفكر فـى سبب حدوث ذلك. فهذا فـى حد ذاته يمكن أن يزودنـا بالقـدر المنشود من إخفاء هوية المبحوث وضمـان عنصر السرية أثناء جمع البيانـات وأثنـاء كتابة أى تقرير عن البحث. وأيًا مـا كان الأمر، فإن الإنترنت ساحة عامـة، وحتى لو كان بالإمكان أن نضـع أيدينا على بعض البيانات المستمدة من غرف دردشة خاصة أو رسائل بريد إلكترونية شخصية، أو تلك التى تغاضى عنها الآخرون فـى هـذه الغرفة، أو التى تم تمريرهـا للآخرين، فلابد أن يستوثـق الباحث من اتخاذ الحيطة البالغة لضمان السرية.

إذا اشترك عدد من الأفراد فى جماعات مناقشة متزامنة أو غير متزامنة، مثلا، فلابد أن يفهم هؤلاء الأعضاء بوضوح أن كل المشاركين سيقرؤون رسائلهم وربما سيكونون قادرين على تمييز عناوين رسائل البريد الإلكترونية التى يبعث بها الآخرون. فإن كانت هذه الغرفة غرفة عامة للدردشة، فإن البيانات التى يجرى حينئذ جمعها تكون بيانات عامة بالفعل. كذلك تعتبر بيانات عامة تلك المادة المستمدة من المدونات ومواقع الشبكة الشخصية التى ينبغى الإشارة إليها كمادة معلنة للجمهور. ومعروف أن لبعض غرف الدردشة وجماعات المناقشة شروطها المتعلقة بالخصوصية، فعليك أن تستوثق من أنك تلتزم بهذه القواعد والأعراف المتَّبعة.

الخداع (فصل 5 باب 1)

فـى التفاعلات التى تجرى أثناء الاتصـال عبر الحاسب بين الباحث والمبحوثين، قد يكـون للباحث، وكذلـك للمبحوثين، هوية افتراضية. لذلك لا يمكـن للباحث أن يتأكد بشكل قاطع أبدًا من عمر، أو جنس، أو إثنية مبحوثيه على الشبكة (هيوسن Hewson وآخـرون، 2003). كمـا لا يكون المبحوثـين على يقين أبدا من هويـة الباحث. فإن كنـت تشارك فى غرفة دردشـة أو ترصدها خفية، فقد تسعى عامدا لخداع أعضاء هذه الجماعة لكى تستطيع ملاحظتها وجمع بياناتها. وقد يعتبر بعض الباحثين هذا التصرف تصرفا غير أخلاقى، كما يتعين عليك أن تفكر - بعناية - فى سائر القضايا التى ينطوى عليهـا هذا التصرف وأن تناقشها مـع مشرفك العلمى، ومع لجنة أخلاقيات البحث (فى كليتك أو جامعتك) قبل مباشرتك لمثل هذا الخداع.

حتـى لو كان الباحث صريحا وواضحا فيما يتعلـق بموضوع البحث، فإن المبحوثين سيفتقـدون مفاتيـح الإدراك البصرية، التى تتوفـر تلقائيا فى المقابلـة أو جماعة المناقشة المباشرة، وهى المفاتيح التى قد تساعد على تقرير ما إذا كانوا سيشاركون أم لا، أو تقرير مـا يقـال وما لا يقال، وما إذا كانوا يثقون بالباحـث أم لا. وقد يكون مفيدا، خاصة فى جماعة مقصورة على مشاركى البحث فقط، وضع صورة فوتوغرافية للباحث، مثلا، مـع تزويد المبحوثين بمعلومات عن خلفية البحث وكذلـك معلومات عن خلفية الباحث.

وأيـا ما كان الأمر ، فلا بد كذلـك من الحرص على التأكد من كفالة سلامتك الشخصية ، كما أن عليك أن تفكر بعمق فى النتائج التى يمكن أن تترتب على إفصاحك عن معلومات تتعلق بشخصيتك لأفراد مجهولين لك على موقع من مواقع الشبكة متاح للجميع .

بحثـك

الخصوصية فى مسوح الإنترنت

قـام تشـو Cho ولاروز Larose (1999) بدراسة موضـوع الخصوصية فى المسـوح الاجتماعيـة التى تجـرى على الإنترنت . وقـد تناول البحث هـذه القضية انطلاقا من منظور دراسة العلم الاجتماعى للخصوصية ، فى محاولة لفهم ما يتسم به البحث المسحى عبر الإنترنت من وضع فريد للخصوصية . فالباحثون الذين يجرون المسوح الاجتماعية الإلكترونية يرتكبون من الانتهاكات المتعددة للخصوصية المادية ، والمعلوماتيـة ، والنفسية ما يمكن أن يكون أكثر حدة من الانتهاكات التى ترتكب عند استخـدام طرق المسح التقليدية . كما أن مسـوح الإنترنت تنتهك حرمة الخصوصية التفاعلية للمجتمعات الإلكترونية ، وهو شكل من أشكال انتهاك الخصوصية يندر أن يواجهه المبحوثون فى حالة استعمال طرق المسح التقليدية .

وقـد توصل الباحثان إلى هـذه النتيجة من واقع تحليل ما يقـرب من 15 دراسة مسحيـة أجريت على الإنترنـت نفذها باحثون أكاديميون علـى امتداد فترة 12 سنة (وقـد أجرى أحد هذه المسـوح فى سنة 1986 ، وهو ما ينبغى - فعلا - أن ينظر إليه كعمـل رائد فى هذا المجـال ، نظرًا لأن هذا التاريخ كان تاريخًـا مبكرًا جدا لإجراء البحث باستعمال البريد الإلكترونى!) .

يختم الباحثان مقالتهما بتقديم بعض التوصيات النافعة فى تحسين مستوى معدلات الاستجابة للمسح الإلكترونى ، والتى تتضمن ما يلى:

- قدم للمشاركين حوافز ، كشهـادات استحقاق لمنحة (وقد تكون المنحة كبيرة إن كان يتوافـر لك اعتماد مالى ، إلا أن كثيرا مـن الدارسين لا يفعلون ذلك؛ لأن هذا التصرف يثير بعض القضايا الأخلاقية ، أيضًا) .
- اجمـع البيانـات المعروضة علـى امتـداد صفحة الشبكـة ، فهذا أيسـر بالنسبة للمشارك ، لأن فى هذا التصرف ، عادة ، قدرًا من الجهد أقل مما هو موجود ، مثلا ، فى اضطراره للإجابة عن طريق البريد الإلكترونى .

- استعمل فى المسوح التى تقوم بها خيارات تحوى إجابات متعددة.
- حاول أن تبدو ذا مصداقيـة. فإن كان بإمكانك الانتفاع بموقع الشبكة الخاص بكليتك / أو جامعتك كأساس للمسح الذى تقوم به، فإن هذا التصرف جدير بأن يعد تصرفا «واقعيا» و «مفيدًا».
- خـذ فـى الاعتبار موضـوع الأمـن. لا تتوقع مـن المشاركـين أن يقدموا لك معلومات حساسة إن كنـت لا تستطيع أن تؤمن هذه المعلومات فى المستقبل من اطلاع بعض الأطراف الخارجية عليها.

ونقترح عليك أيضًا أن تدخل فى حسبانك القضايا الأخلاقية التى ناقشناها فى الفصل 5 من الباب 1.

صدق البيانات المجموعة إلكترونيا

مـع أن نفس القضايا المتعلقة بصدق البيانات تنطبـق على كل من البيانات المجموعة إلكترونيـا (الفصلين 3و4 باب 1) والبيانات التى تجمع بالطرق الأخرى، فإن مجهولية الهويـة على الإنترنت وإمكانية مغـادرة المشارك لموقع البحث بسهولـة بدون أى لقاء مباشـر مـع الباحـث أو مـع المشاركين الآخريـن يمكن أن يعنـى أن مـن السهل على المستجيبـين أن يكذبـوا علـى الباحث، أو يضللـوه، فى أقل تقدير. ومـع أن بالإمكان إدراج أدوات المراجعـة فى داخل الاستبيـان الإلكترونى (وهى أساليب التحقق من أن الإجابـات متسقـة منطقيا مع بعضها وليـس بينها تعارض أو تناقـض)، فقد يكون من العسـير على الباحث أن يكتشف أوجه التضارب فى الإجابات، أو أن يستكشف أعماق روايات المستجيبين خلال المقابلات الإلكترونية أو جماعات المناقشة الإلكترونية، حيث يكـون بوسع المستجيـب أن ينسحب بكل بساطة من البحث. وكمـا هو الحال مع معظم طـرق جمع البيانات الأخـرى، يظل بالإمكان دائمًا أن تكون هـذه البيانات المجموعة بمثابة تحريف متعمد للواقع الاجتماعى الذى يُزعم أنها تمثله. كذلك يجب على الباحث أن يتنبـه لهـذا الاحتمال، وفى نفس الوقت الذى يدرك فيه جيـدًا أن إخفاء الهوية على الإنترنـت قـد يترتب عليها أن يحرصـ بعض المستجيبين على تقـديم قدر من خبراتهم وآرائهم أكبر مما يمكن أن يقدموه فى اللقاءات المباشرة وجهًا لوجه.

إتيكيت النت (آداب التعامل اللائق على الشبكة)

لا يـزال الاتصال عبر الحاسـب ممارسة جديدة نسبيا وإن كانـت آخذة فى التطور بسرعة، وهى قادرة على تجاوز الحـدود القومية والحدود الثقافية، حتى إنه ليس من الواضـح تماما ما هـو القانونى والمقبول عند التواصل إلكترونيـا. وأن ما كان الأمر،

فإنه يجرى حاليا تطوير مواثيق السلوك وتطوير القواعد فى كثير من مجالات التعامل الإلكترونى، والتى تهدف أساسا للحيلولة دون استخدام لغة بذيئة، أو مهينة، أو مثيرة للغضب. وتشتمل هذه المواثيق على النصائح الخاصة بالممارسة القويمة داخل مختلف سياقات التعامل الإلكترونية. عليك أن تقوم بمراجعة بعض الأمثلة على الشبكة. راجع دليلا مفيدا هو دليل المستخدم ليستسيرف LISTSERV على الموقع التالى: www.lsoft.com/manuals/1.8d/userindex.htm (وقد تم آخر دخول عليه بتاريخ 21 أغسطس 2009). كما يمكنك إلقاء نظرة على دليل آلبيون Albion على الموقع التالى: www.albion.com/netiquette وقد تم آخر دخول عليه بتاريخ 21 أغسطس سنة 2009، وتأكد من أنك على دراية بنوع دليل الإتيكيت (آداب التعامل) على الشبكة الذى يخص البيئة التى تجمع منها بياناتك.

بحثك

إتيكيت الشبكة للباحثين الاجتماعيين

- ينبغى ألا تشتمل الرسائل واللافتات التى تظهر فى رسائل البريد الإلكترونى الخاصة أو فى غرف الدردشة العامة؛ ينبغى ألا تشتمل على لغة بذيئة، أو مهينة، كما ينبغى أن تراعى منع مشاركى البحث إن استخدموا مثل تلك اللغة.
- كُن مقدرًا تماما لثقافة مبحوثيك المتعلقة بما تستعمله أنت من اللغة، والدعابة، والأسلوب.
- حاول استعمال «لغة» مبحوثيك - أيقوناتهم العاطفية، واختصاراتهم، وجملهم الموجزة، إلى آخره - ولكن لا تفعل ذلك إلا إذا كنت متأكدًا أنك لا تستبعد - بذلك - أفرادًا قد لا يفهمون ما تقوله.
- احرص على احترام خصوصية رسائل البريد الإلكترونى الخاصة - خاصة عندما تبعث برسائل إلكترونية أو ترد عليها داخل جماعة مناقشة تستخدم هذه الرسائل الإلكترونية.
- كن شديد التنبه لما هو متاح لمبحوثيك من مهارات ووسائل تتعلق بإمكان الوصول إلى الحواسب والبرمجيات.
- راجع على الدوام رسائلك ولافتاتك فيما يتصل بمحتواها، ولغتها، و«أسلوبها العام» - فمن السهل أن «تبدوا حادة» أو تبدوا متجاوبة.
- تجنب أن تبعث برسائل جماعية يمكن أن ينظر إليها كأنها معلبات (أى: موحد الصياغة لا تراعى الفروق بين المشاركين).

بحثـك

مزايا استخدام الاتصال عبر الحاسب فى جمع بيانات للبحث الاجتماعى

- مفيـد فى البحث الذى يشتمل على أفراد متباعدين جغرافيا عن بعضهم البعض أو عن الباحث.
- مفيد فى البحث الذى يتعامل مع مجتمعات بحث خفية.
- مفيد فى البحث الذى يضم جماعات من الأفراد لا يستطيعون أن يلتقوا وجها لوجه.
- قد يكون من الأسهل كفالة تجهيل الهوية وضمان السرية.
- يشعر بعض الأفراد بأن مناقشة القضايا الحساسة أو الشخصية إلكترونيا أسهل من مناقشتها فى المواجهة بصورة مباشرة.
- قد يكون «تأثير الباحث فى المبحوثين»، وهو التأثير الناجم عن صفاته الشخصية المرئية، كالعمر، أو الجنس، أو الإثنية مثلا، أقل فى حالة الاتصال الإلكترونى.
- ربما يقل احتمال أن يقدم المستجيبون إجابات تحظى بدرجة عالية من القبول الاجتماعى.
- مـن الممكن للاتصال عبر الحاسب أن يكون أرخـص تكلفة من طريقة الاتصال الورقى (من خلال الاستبيانـات) أو طريقة الاتصال المباشر، وذلك فى حالة ما إذا كان الباحث والمبحوثون لديهم وسيلة اتصال رخيصة أو مجانية عبر الحاسب.
- لا تحتاج المقابلات أو جماعات المناقشة إلى تسجيلها ونسخها.
- إن كان لديـك المهارة والوسائل الخاصة بالاتصال عبر الحاسب فقد تكون قادرًا علـى نقـل بيانات ما تقوم به من مسـح اجتماعى أو مقابلة مباشـرة وإدخالها فى برنامج تحليلى كمبيوترى (كبرنامج إكسل Excel، أو الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعيـة أو «إن فيفو» NVivo[*]).

(*) الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS: هى أشهر حزم برامج الكمبيوتر وأكثرها استخداما بين علماء الاجتماع الأكاديميين. وقد تم تطويرها فى الولايات المتحدة بواسطة بعض علماء الاجتماع من أجل تقديم عدد من التسهيلات، مثل الجدولة، والتحليل المتعدد المتغيرات، وجميع اختبارات الدلالة الإحصائية التى تناسب بيانات المسح بالعينة. وكانت الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS قد وضعت فى الأصل لاستخدام الحاسبات الآلية الكبيرة، وحتى عقدين مضيا كانت أحدث نسخة من هذه الحزمة (واسمها SPSS-X) هى الوحيدة التى تصلح للاستخدام على مثل هذه الحاسبات الآلية الكبيرة. وإن كانت قد صدرت مؤخرا نسخة للاستخدام على الحاسبات الشخصية ماركة آى ب أم IBM-PC وتعرف باسم (SPSS-PC+_)، وقد اكتسبت شهرة واسعة تدريجيا. ونلاحظ أن الذين يقومون ببحوث السوق، ويحتاجون إلى نتائج من نوع التقارير، وكذلك الباحثين الذين يتعاملون مع إحصاءات المسوح والتعداد الضخمة التى تتم لصالح الحكومات يلجأون فى العادة إلى لغات برامج وحزم أكثر كفاءة وأكثر قوة. وقد بدأ علماء الاجتماع يهجرون تدريجيا الحزمة الإحصائية=

- تتوفر للجميع علــى الإنترنت تشكيلة كبيرة من البيانات الشخصية والاجتماعية، بما فيها من مناقشات تجرى فى غرف الدردشة وفى المدونات .
- عادة ما تكون البيانات فى صورة مكتوبة بالفعل، ومن ثم فلا حاجة لنسخها.

عيوب استخدام الاتصال عبر الحاسب فى جمع بيانات البحث الاجتماعى

- لا بد أن يتوافر للباحث والمبحوثين المهارات والوسائل اللازمة للانتفاع بالاتصال عبر الحاسب.
- قد تستبعد بعض جماعات الأفراد من البحث لعدم توافر هذه المهارات والوسائل لهم، مما يؤدى إلى أن تكون العينة متحيزة.
- يقــل احتمال الوصول إلا عينة ممثلة إذا كان المبحوثون هم الذين اختاروا أنفسهم إلكترونيا.
- لــن يعرف الباحــث إلا معلومات قليلة، أو لن يعرف شيئا، عن الأفراد الذين لا يشاركون أو الذين يتركون البحث قبل استيفائه.
- تفتقر المقابلات وجماعات المناقشة الإلكترونية إلى مفاتيح التواصل المرئية، ونبرة الصوت والتعبيرات عن المشاعر، وهى الأمور التى غالبا ما تكون موجودة فى حالة جمع البيانات مباشرة.
- قــد تزداد صعوبــة التأكد مــن أن المشاركين قدموا موافقتهم علــى الاشتراك فى البحث عن علم.
- قد لا يكون المبحوثون نفس الأشخاص الذين يقولون أنهم هم، بمعنى أنه قد يدعى المبحوثون لأنفسهم شخصيات لا تمثل حقيقتهم الفعلية.
- لابــد للباحثين الراغبين فــى الملاحظة أو فى «الترصد خفيــة» على الإنترنت أن يدخلوا فى حسبانهم ما يتضمنه هذا التصرف من قضايا أخلاقية عند جمع البيانات بدون أن يحصلوا من المبحوثين على موافقتهم الدالة على علمهم بذلك.

=للعلوم الاجتماعية ويقبلون على حزم أقوى منها وأسهل فى الاستخدام. انظر باللغة العربية: عبد الحميد عبد اللطيف، استخدام الحاسب الآلى فى مجال العلوم الاجتماعية، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الأداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠.(المترجم)

بحثـك

اختبار جودة البحث: جمع البيانات عبر الحاسب

- هل البيانات التى يمكنك أن تجمعها «جيدة» بما فيه الكفاية؟
- ألا يضيرك عدم رؤيتك للمشاركين ؟ (هل لذلك تأثير على صدق البحث وإمكانية تكراره؟)
- هل يقلقك أن يستغل كثير من مستخدمى الإنترنت هويات زائفة؟ (هل لذلك تأثير على صدق البحث وإمكانية تكراره).
- إذا كانت معدلات الاستجابة منخفضة بشكل واضح، فهل من الأمور المهمة أنه قد لا يتوافر لك طريق لاكتشاف سبب هذا الانخفاض؟

المراجع وقراءات للاستزادة

Bampton, R. and Cowton, C. J. (2002) The e-interview, *Forum Qualitative Social Research*, 3.

Bowker, N. and Tuffin, K. (2004) Using the online medium for discursive research about people with disabilities, *Social Science Computer Review*, 22: 228–41.

Cho, H. and Larose, R. (1999) Privacy issues in internet surveys, *Social Science Computer Review*, 17: 421–34.

Coomber, R. (1997) Using the internet for survey research, *Sociological Research Online*, 2.

ESRC (2007) E-society – Innovative Academic Research on the Digital Age, available online at www.york.ac.uk/res/e-society/projects.htm (accessed 21 August 2009).

ESRC Virtual Online Research Methods Modules, www.geog.le.ac.uk/ORM/site/home.htm (accessed 21 August 2009).

Fricker, R. D. and Schonlau, M. (2002) Advantages and disadvantages of internet research surveys: evidence from the literature, *Field Methods*, 14: 347–67. Available from www.websm.org/uploadi/editor/advantages%20and%20disadvantages%20of%20internet%20research%20surveys.pdf (accessed 21 August 2009).

Hewson, C., Yule, P., Laurent, D. and Vogel, C. (2003) *Internet Research Methods*, London: Sage.

Hillier, L. and Harrison, L. (2007) Building realities less limited than their own: young people practising same-sex attraction on the internet, *Sexualities*, 10: 82–100.

Higher Education Academy (2009) www2.heacademy.ac.uk/forum/ (accessed 15 August 2009).

Internet World Stats (2009) Internet Usage in European Union, available online at www.internetworldstats.com/stats9.htm#eu (accessed 12 December 2009).

Johns, M. D., Chen, S. S. and Hall, G. J. (eds) (2004) *Online Social Research: Methods, Issues, and Ethics*, New York: Peter Lang.

Kenny, A. J. (2004) Interaction in cyberspace: an online focus group, *Journal of Advanced Nursing*, 49: 414–22.

Kivits, J. (2005) Online interviewing and the research relationship, in C. Hine (ed.) *Virtual Methods: Issues in Social Research on the Internet*, Oxford: Berg.

Madge, C. (2006) Online Questionnaires, available from www.geog.le.ac.uk/ORM/questionnaires/quescontents.htm (accessed 22 February 2007).

Madge, C. (2006) Online Research Ethics, available from www.geog.le.ac.uk/ORM/ethics/ethcontents.htm (accessed 22 February 2007).

Mann, C. and Stewart, F. (2000) *Internet Communication and Qualitative Research*, London: Sage.

O'Connor, H. (2006) Online Interviews, available from www.geog.le.ac.uk/ORM/interviews/intcontents.htm (accessed 22 February 2007).

O'Connor, H. and Madge, C. (2001) Cyber-mothers: online synchronous interviewing using conferencing software, *Sociological Research Online*, 5.

Office for National Statistics (2009a) Statistical Bulletin: Internet Access 2009, available online at www.statistics.gov.uk/pdfdir/iahi0809.pdf (accessed 12 December 2009).

Office for National Statistics (2009b) Historical Households with Access to the Internet dataset, available online at www.statistics.gov.uk/StatBase/Product.asp?vlnk=5672_ (accessed 12 December 2009).

Orgad, S. (2005) From online to offline and back: moving from online to offline relationships with research informants, in C. Hine (ed.) *Virtual Methods: Issues in Social Research on the Internet*, Oxford: Berg.

Roster, C. A., Rogers, R. D., Albaum, G. and Klein, D. (2004) A comparison of response characteristics from web and telephone surveys, *The International Journal of Market Research*, 46. Available from www.websm.org/uploadi/editor/advantages%20and%20disadvantages%20of%20internet%20research%20surveys.pdf (accessed 21 August 2009).

Scott, S. (2004) Researching shyness: a contradiction in terms? *Qualitative Research*, 4: 91–105.

Stewart, K. and Williams, M. (2005) Researching online populations: the use of online focus groups for social research, *Qualitative Research*, 5: 395–416.

الباب الرابع

تحليل البيانات

الفصل الأول

بدء التحليل

محتويات الفصل

- ملامح التحليل.
- فكرة موجزة عن النتائج.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

لا يكفى أن تتوافر لك بعض أسئلة البحث وتجمع بعض البيانات (حتى حينما تكون على فهم ودراية بالنظرية التى تستند إليها فيما تفعله). فالبيانات التى تجمعها تعد بمثابة المادة الخام للإجابات التى ترد على أسئلة بحثك، ولكن هذه الأسئلة لا تستطيع - للأسف الشديد - أن تجيب عن نفسها، ولذلك يتعين عليك أن تباشر بنفسك المرحلة التحليلية لبحثك. يقدم هذا الفصل مفهوم التحليل كتمهيد للتقنيات التحليلية المفصلة التى سوف نستفيض فيها فى الفصول التالية.

الخبر السعيد هنا هو أنك قد بدأت بالفعل تحليلك!

فالتحليل (انظر قائمة المصطلحات) يبدأ بمجرد تفكير الباحث فى مشروع بحثه. لهذا عندما تكتمل عمليات تصميم المشروع وتخطيطه، لابد أن تكون خطة التحليل وعملياته قد أصبحتا واضحتين (انظر الباب الثانى). وتكون لهذا الأمر أهمية ملحوظة فى حالة استخدام بعض الطرق المعينة فى جمع البيانات (انظر الباب الثالث) لأن طريقة جمع البيانات ترتبط ارتباطا وثيقا بالاتجاه التحليلى الذى تختاره. من ذلك مثلا أن بيانات المقابلة المقننة لا يمكن عادة تحليلها باستعمال الطرق السردية (فصل 7 باب 3).

وهكـذا يبدو واضحا أن عملية جمع البيانات أمر على جانب كبير من الأهمية. ومع ذلـك، ليست القضيـة الأساسية هى مجرد الجمع وحسب. فالمـرء لا يمكنه، عقلا، أن يقتصـر علـى جمع البيانات وتقديمها كبحـث (رغم أن الأفراد كثـيرا ما يفعلون ذلك، وعادة مـا يكون ذلك التصرف مؤديا إلى نتائج غير محمـودة). فبيانات البحث ليست مفسرة لنفسها بنفسها ولا تتحدث (أبدًا!) عن نفسها؛ لأن التحليل أمر لا بد منه.

ولـما كانت مشروعاتنـا البحثية تقوم بجمـع البيانات (فصل 3 باب 1) فمـن الطبيعى أن نتكلم عن تحليل البيانات. غير أن تحليل البيانات ليس شيئًا أحاديا أو عملية أحادية، بل الأصح أنه مجموعة من الطـرق التى يمكننا تطبيقها على البيانات التى جمعناها بهدف رسم صورة لهـا، وتأويلها، وشرحها وتقييمها (وقد لا نقوم بكل هـذه الأمور، (انظر فصل4 باب 1). ويمكننا أيضا استخدام بعض هذه العمليات عنها نكون بصدد استخراج الأنماط الموجودة فى البيانـات (كأن يكون لمشاركين مختلفين خبرات متشابهة، مثلا) واستعمالها فى الإجابة على أسئلة بحثنـا، وفى اختبار فروضنا. كما يستخدم التحليـل، أحيانا، فى تغيير شكل البيانات حتـى يصبح من الميسور فهمها بصـورة أوضح (أو ربما ليفهمها عدد أكبر من الأفراد). إن كل علـم - اجتماعيا كان أم غـير اجتماعى - يستخدم تحليل البيانـات، كما أنه يستخدم فى المبيعات، والإدارة العامة، وقطاع الأعمال، وفى صنع السياسة.

ويحاول هذا الباب من الكتاب إلقاء الضوء على تقنيات مختلفة للتحليل وكيفية تطبيقها عمليـا. ومع ذلك، وبصرف النظر عن عمليات تحليـل البيانات التى تستخدمها، فثمة بعض الملامح التى تشترك فيها كلها.

ملامـــح التحليـــل

يهدف تحليـل البيانات إلى رسم صورة لمضمون وسمـات البيانات التى جمعتها فى مشروعـك البحثـى، ومناقشتها، وتقييمهـا، وشرحها. وتسمى هـذه المرحلة (أو: هذا الفصـل فى الرسالة العلمية) عموما «نتائج» البحـث. لاحظ أنه لا ضرورة لأن يكون لديـك فصل مستقل للنتائـج، وإن كان كثير من الباحثين يفعلـون ذلك. ويقوم غيرهم بربط فقرة النتائج بالمناقشة. وأخيرا ينبغى أن يقودنا التحليل إلى خاتمة البحث.

إن أهم ملمحين تشترك كل طرق التحليل فى الاتصاف بهما هما أن هذه الطرق:

1 - منهجيـة: أى إن كل وحـدة بيانـات فى المشـروع (سواء أكانت دراسـة حالة، أو شخصا، أو حدثا، إلى آخره) يجب أن تعالج بنفس الطريقة.

2 – شاملة : أي إن جميع البيانات التى جمعت لهذا المشروع تكون متضمنة فى التحليل .

وثمة ملمح ثالث لطرق التحليل يتعين النظر إليه بصورة مستقلة، رغم أنه بنفس أهمية الملمحين الأولين وهو كما يلى:

3 – تذكر أنك مهتم بالإجابة على أسئلة بحثك (أو ربما تقوم باختبار أحد الفروض). ونحن نؤكد على أهمية الحرص على الإجابة على أسئلتك لأنه يكاد يحدث فى كافة المشروعات البحثية أن يتم اكتشاف أمور كثيرة مثيرة للاهتمام، ولكنها لا تتصل بسؤال البحث (وعليك ألا تتجاهل هذه الاكتشافات، ولكن يجب ألا تفقد التركيز على بؤرة اهتمام المشروع الذى تقوم به، وألا تسمح لنفسك أن يصرفها شيء عن قصدها (انظر مثلا فصل 7 باب 3).

كيف تبدأ تحليلك ؟

ترسم الفصول التالية (من الثالث حتى التاسع) صورة لمجموعة من تقنيات التحليل المختلفة التى قد تستعملها، ومع ذلك يحسن بك أن تقول كلمات قليلة عن الفكرة العامة للتحليل وكيف ستشرع فى هذه العملية.

1 – **فكر فيما قمت بعمله:** تذكر أن هذا مشروع بحثى محدد وأنك ظللت تجمع البيانات لتجيب على السؤال (أو الأسئلة) التى فكرت فيها فى مرحلة مبكرة للغاية.

2 – **ارجع إلى أسئلة بحثك:** من الأهمية أن تُذكر نفسك بأسئلة بحثك وبتعريفاتها الإجرائية وكيف قمت بتوظيفها (فصل4 باب1). فإن لم تفعل ذلك، فإنك تجازف بفقدان بؤرة الاهتمام فى البحث، وبذلك تهدر وقتك وجهدك .

3 – **كرّر مراجعتك لخطة بحثك:** لا ريب أن خطة بحثك ينبغى أن تكون دائمًا فى بالك. ورغم ذلك، لا يضيرك أن تعاود النظر إليها ، وأن تتأكد أنك تتابع الإطار العام الذى استقر رأيك عليه (الباب الثانى).

4 – **تذكر:** هدف البحث أن يرسم صورة للبيانات، ويناقشها، ويقدم تأويلا لها، ويشرحها، ويقيمها، وأن يصل إلى خاتمة للبحث.

5 – **راجع:** أعد النظر فى تصورك للعملية التى ستستخدمها للتحليل الفعلى للبيانات:

- التحليل الإحصائى (فصل3).
- تحليل الموضوعات (فصل4).
- تحليل السرد (فصل5).

- تحليل الخطاب (فصل6).
- تحليل المضمون (فصل 7).
- النظرية الموثقة (فصل8)
- استخدام الحاسب فى تحليل البيانات (فصل9).

6 - اقرأ الفصل التالى لكى تضمن أنك تجهز بياناتك للتحليل الذى ستقوم به.

فكرة موجزة عن النتائج

كلنا نطمح إلى أن يقوم بحثنا بتغيير العالم. إذ يوجد إحساس هائل بالإنجاز فى اكتشاف شيء جديد وهام، وقد يكون شيئا يجعل العالم مكانا أفضل مما هو عليه. ولكن مما يؤسف له أن أمثال تلك الاكتشافات قليلة العدد وتقع فى فترات متباعدة. لذلك من المناسب أن تتذكر أنه :

- حتى إن لم تكتشف أى شيء جديد، فسوف ينجح بحثك فى توسيع نطاق المعرفة عن طريق تعزيزك للعمل الذى قام به آخرون قبل ذلك .
- لا تنزعج إن لم تكتشف أى شيء. فعدم اكتشاف حدث ما قد يكون بنفس أهمية اكتشافه تماما. إذ إن معرفة ما لا يحدث فى العالم الاجتماعى يساوى فى الأهمية معرفة ما يحدث بالفعل.

غالبا ما يكون التحليل أكثر أجزاء المشروع البحثى إرضاء للنفس وإشعارا لها بالإنجاز. ففيه شعور بالإثارة لأنك فهمت، أخيرا، مالبياناتك من دلالات (كما يوجد فيه، عادة، شعور بالراحة النفسية لأن عملك له معنى وفائدة) كما أن فيه شعورًا بالإنجاز نظرًا لدخول المشروع مراحله النهائية.

بحثك

قائمة مراجعة بدء التحليل

هل . . .

- فكرت بعناية فيما يجب عليك عمله لكى تتمكن من بدء التحليل؟
- هل رجعت إلى سؤال بحثك أو فرضه للتأكد من أنهما واضحان فيما يتصل بما يتوجب عمله؟ (فصل 4 باب 1، فصل 1 باب 2).

- هـل راجعت تفاصيل التقنية التـي تستعملها؟ (الفصول من الثالث حتى التاسع من هذا الباب).
- هل راجعـت تعريفاتك الإجرائية حتى تعرف ما الـذى تبحث عنه فى البيانات. (فصل4 باب 1)
- هل راجعت تفقد خطة مشروعك لتذكر نفسك بالاستراتيجية التحليلية التى وضعت خطتها؟ (فصل 1 وفصل6 باب 2).
- هـل تذكرت أن هدف التحليل هو الوصول إلى نتيجة للبحث؟ (الفصل العاشر من هذا الباب)

المراجع وقراءات للاستزادة

Cramer, D. (2003) *Advanced Quantitative Data Analysis*, Buckingham: Open University Press.

Miles, M. B. and Huberman, A. M. (1994) *Qualitative Data Analysis: An Expanded Sourcebook*, London: Sage.

Ritchie, J. and Lewis, J. (2003) *Qualitative Research Practice: A Guide for Social Science Students and Researchers*, London: Sage.

Wright, D. B. and London, K. (2009) *First (and Second) Steps in Statistics*, 2nd edn, London: Sage.

الفصل الثانى

معالجـــة البيانــــات

محتويات الفصل

- طبيعة البيانات ومعالجتها.
- الإعداد لتحليل البيانات.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

إنــه أمر طيب أن تكون قد فرغت من جمــع البيانات، إلا أن جمع البيانات، فى حد ذاته، ليس سوى مرحلة واحدة من مراحل هذه العملية. والآن سيتوجب عليـك أن تبدأ معالجــة البيانات التى جمعتها حتى يمكنـك استخدامها للعثور على أجوبة أسئلة بحثك أو لاختبار فروضك.

يبحــث هذا الفصل كيفية البدء فى معالجــة بياناتك. ونحن نوصيك بقراءة هذا الفصل قبل الرجوع إلى الفصول الخاصة بتقنيات التحليل المحددة فى هذا الباب، وهى:

الفصل الثالث : التحليل الإحصائى.
الفصل الرابع : تحليل الموضوعات.
الفصل الخامس : تحليل السرد.
الفصل السادس : تحليل الخطاب.
الفصل السابع : تحليل المضمون.
الفصل الثامن : النظرية الموثقة.
الفصل التاسع : استخدام الحاسب فى التحليل.

المهــم أنك فرغت من جمع بياناتك، والآن عليك أن تقوم بمعالجة هذه البيانات حتى تكــون قادرا علـــى استخدامها للإجابة علـــى أسئلة بحثك أو اختبــار فروضك. وتعنى معالجة البيانات عددا من الأمور:

1 – فهى تعنى التأكد من أن البيانات مكتملة.

2 – وتعنـــى الوصول إلى أن تعرف بياناتك حق المعرفـــة، فتصبح ـ حقا ـ على دراية تامة بما وصلت إليه من بيانات.

3 – وتعنـــى نجاحك فى تنظيم بياناتك بطريقة من شأنها أن تساعدك لتكون قادرا على أن تجد ما تريده عندما تحتاج إليه.

4 – وتعنى أيضا تنظيم بياناتك بطريقة من شأنها أن تساعدك على الإفادة منها فى خدمة بحثك.

5 – وتعنـــى أن تصمم خطة التحليل التى ستسير علـــى نهجها من أول البحث حتى نهايته، كما يمكنها تزويدك بالأساس الذى تبنى عليه سجلا كاملا لعمليات التحليل.

وهناك عـــدد من الطرق لمعالجـــة البيانات، يعتمـــد بعضها على نمـــط البيانات التى تعالجهـــا، كما يفيدك بعضها الآخر فـــى معالجة مجموعة من مختلـــف أنماط البيانات. وحتـــى إن كانت بياناتك كمية كلها أو كيفية كلهـــا، فإننا نرى أنك ستجد من المفيد لك أن تستوفى قراءة هذا الفصل كله، أو معظمه.

طبيعة البيانات ومعالجتها

حاولنا فـــى الفصل الثالث من الباب الأول إلقاء نظرة على طبيعة البيانات. وأشرنا فـــى حينه إلى أن البيانات التى يمكننـــا جمعها وتحليلها كباحثين اجتماعيين يمكن أن تتسم بالصفات التالية:

- أن تكون مكتوبة أو منطوقة أو غير لفظية.
- وأن تكون منصبة على الوقائع أو القيم.
- وأن تكون بياناتك مقننة / أو شبه مقننة/ أو غير مقننة.
- وأن يكون لها مضمون ومعنى (أى هدف وقصد).
- وأنه يقوم بإنتاجها فرد أو جماعة.
- وأن تكون بيانات تأملية ينتجها الباحث الاجتماعى نفسه.
- وأن تكون بيانات أولية قام الباحث بجمعها، أو بيانات ثانوية تم إنتاجها لغرض آخر.

واستعرضنا فى الباب الثالث عددًا من الطرق المختلفة لجمع البيانات والتقنيات التى يمكـن استخدامها للتأكد مـن أن البيانات تمثل تعبيرا دقيقا عـن الواقع الاجتماعى الذى ندرسه، وأنها ستفيد فى الإجابة عن أسئلة بحثنا أو اختبار أحد الفروض.

والآن يتوجب عليك أن تدخل فى حسبانك طبيعة البيانات التى جمعتها من حيث مدى قدرتك على معالجتها للإجابة على أسئلة البحث المذكورة. والقضايا الرئيسية التى يتوجب علينـا أن ندخلهـا فى اعتبارنا هنا هـى قضية : مـا إذا كانت بياناتك مكتملـة وذات ثبات منهجى، وقضية: كيف يمكنك البدء فى تنظيم هذه البيانات حتى تستطيع استخدام مختلف تقنيات التحليل لمساعدتك فى استكشاف وتفسير الظاهرة الاجتماعية التى تقوم بدراستها.

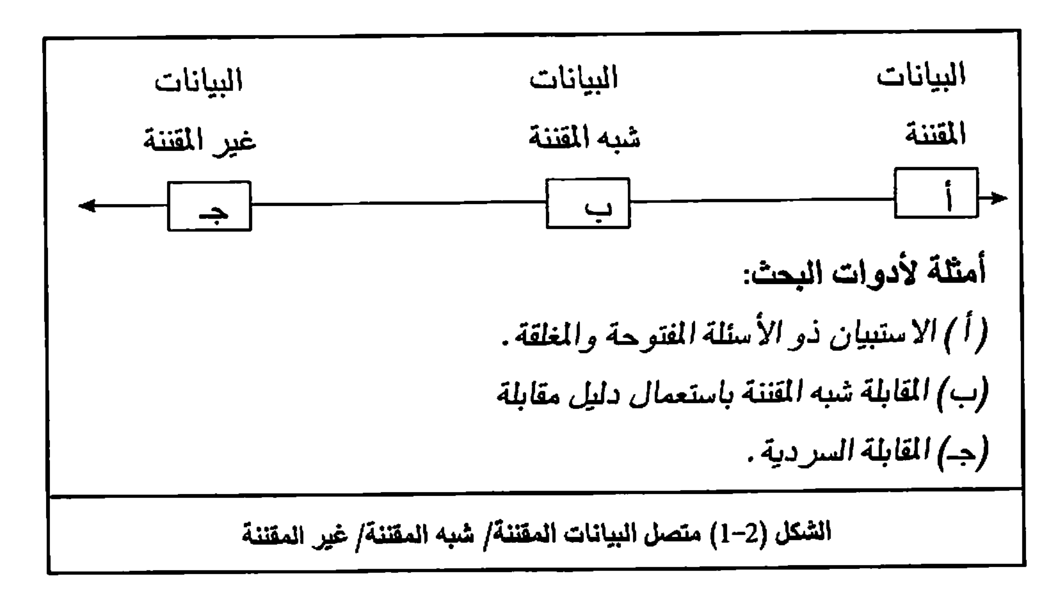
من المفيد ابتداء أن تفكر وفقا لما إذا كانت البيانات التى جمعتها بيانات مقننة/ أو شبه مقننة/ أو غير مقننة، لأن ذلك يؤثر على أساليب التحليل التى سوف تتبناها فى معالجة بياناتك.

البيانات المقننة

المعتـاد أن يتـم جمع البيانات المقننـة باستعمال استبيان أو نمـوذج آخر مقنن يطرح مجموعـة مـن الأسئلـة التى تتعلـق بفرد مـا أو موقف معـين. وتتسم البيانـات المقننة بالخصائص الأساسية التالية:

(أ) توجه نفس الأسئلة لكل مشارك أو لكل حالة.

(ب) وتقتضى الأصول أن توجد مجموعة مشتركة من الإجابات لكل سؤال.



الشكل (2-1) متصل البيانات المقننة/ شبه المقننة/ غير المقننة

تقتضى طبيعة البيانات المقننة أن تكون أساليب التحليل الأشيع استعمالا قائمة على أساس إحصاء عدد الحالات التى لها سمات معينة أو إجابات معينة. وتعتمد التقنيات الإحصائية المتاح لك استخدامها على اتساق الأداة التى استخدمتها فى جمع البيانات. ويعنى ذلك بعبارة أخرى أن: هذه البيانات قد تم جمعها بطريقة موحدة بالنسبة لكل المشاركين أو لكل الحالات.

البيانات شبه المقننة وغير المقننة

فى حين يندر - بل يكاد يستحيل - ألا يقوم الباحث أو المشارك بتقنين البيانات، فإنه توجد درجات مختلفة من تقنين البيانات على امتداد متصل (فصل 1 باب 3) يبدأ بالبيانات المقننة وينتهى بالبيانات غير المقننة.

وعادة ما تتصف البيانات التى يتم جمعها باستخدام الطرق شبه المقننة وغير المقننة إلى حد ما؛ عادة ما تتصف بالسمات التالية:

(أ) قد لا تصاغ الأسئلة دائمًا بنفس الطريقة، كما قد تستعمل أشكال مختلفة من أسئلة المتابعة وتفتيح الموضوع والأسئلة المحفزة (وهى العبارات التى تشجع المشارك على الاستفاضة فى الكلام) التى تستخدم بما يناسب كل موقف على حدة.

(ب) تتباين وتتنوع الإجابات التى تقال ردا على الأسئلة.

(جـ) غالبا ما تدون الإجابات التى تقال ردا على الأسئلة من واقع كلمات المشاركين (أو أفعالهم).

(د) قد تختلف البنية العامة للبيانات من حالة لحالة، من ذلك مثلا أن الأسئلة قد تطرح وفق ترتيب مختلف، وقد لا يتم الإجابة على بعض الأسئلة فى كل حالة.

إن طبيعة البيانات شبه المقننة تقتضى أن تكون أساليب التحليل المتاحة لك قادرة على معالجة البيانات التى تتسم بالتنوع، وكثيرا ما تكون شاملة ومصوغة فى تشكيلة متنوعة من القوالب. يضاف إلى ذلك أنه يجب أن يتيح لك أسلوب التحليل معالجة البيانات بنفس الصورة التى جمعت فيها، مثل الكلمات كما نطق بها المشارك أثناء المقابلة. وغالبا ما تسمى هذه البيانات بالبيانات الخام (انظر قائمة المصطلحات).

الإعداد لتحليل البيانات

تقدم هذه الفقرة عددا من التقنيات التى ستفيدك وأنت تستعد لتحليل بياناتك، وذلك فى كل حالة تسعى فيها لإعداد البيانات المقننة والبيانات شبه المقننة.

عليك أن تكون على اطلاع تام على البيانات

قـد يبدو غريبا إلى حد ما أن يقال إنك ستكـون «غير مطلع» على بيانات بحثك الذى تقوم بـه أو لست على ألفة بها. ومع ذلك، فإن العملية البحثية نفسها يمكن أن تستغرق شهورًا قليلة فى الحد الأدنى، فوق أنها يمكن أن تكون على جانب كبير من التعقيد، وذلك بسبب ما يحدث مـن أمور مختلفة بشـكل متزامن. ولا ريب أنك تواجه فى حياتك أمورًا من هذا القبيل أيضا. يضـاف إلى هذا أنك قد تجد - كذلك - أن تصورك الخاص لدراستك البحثية يتطور، أو ربما يتغير، أثناء الوقت الذى تشتغل فيه بالقراءة وجمع البيانات، والبدء فى معالجة هذه البيانات.

إذا كنـت قد جمعت بياناتـك باستعمال نموذج مقنن، فربما تكـون قد تصرفت بهذا الشـكل بـدون أى لقاء شخصى مباشر (كاللقاء وجها لوجه) مـع المشارك أو مع موقف الحالـة. فى هذه الحالة قد تكون تواقا إلى الاطلاع علـى الإجابات التى تصل إليك فى الردود الأولى، ولكنك قد تجد، رغم ذلك، أنه كلما يصل إليك المزيد من الردود، يقل الوقـت المتاح لك كما يقل ميلك لقراءة كل رد على حدة، وهكذا يمكن أن يكون حماسك الطبيعى (أو افتقادك لهذا الحماس!) عاملا مؤثرًا على عملية معالجة البيانات.

وفـى مقابل ذلـك، فإنك إن كنت قد جمعت بياناتك بنفسـك مستعملا، مثلا، طريقة المقابلـة، أو جماعات المناقشـة، أو الوثائق، فقد تشعر أنك تعـرف - بالفعل - بياناتك معرفة جيدة لأنك كنت حاضرًا أثناء جمعها. إلا أنك قد تجد، مع ذلك، أنه كلما أجريت المزيد من المقابلات أو قرأت المزيد من الوثائق، قلت قدرتك على تمييز كل واحدة منها عـن الباقين، كما أن النقاط المهمة التى وضعت يـدك عليها فى المقابلة الأولى قد طواها النسيان كلما أضيف إليها المزيد والمزيد من البيانات.

مـن الأهمية أن تعاود الاطلاع علـى بياناتك عندما تبدأ تحليلـك، كما يوجد أمران ستجد أنهما مفيدان لك، سواء أكانت بياناتك مقننة أو شبه مقننة هما:

1 - استـوفـ قراءة جميع الاستبيانات، والنصوص المنسوخـة (أي: المنقولة من تسجيل صوتـى، مثلا، إلى نصـ مكتوب) وملاحظاتك الميدانية عـن البحث (أما فى حالة مـا إذا كنت قد سجلت مـادة تليفزيونية أو مادة صوتية مسموعـة، فعليك أن تقوم بمعـاودة مشاهدة المادة المصـورة تليفزيونيا ومعاودة الاستمـاع للمادة المسموعة) حتى يتوافر لك إحساس جيد بما هو موجود لديك.

2 - اكتـب مذكـرات موجزة (انظر فصـل2 باب3، والفصلين 4 و8 مـن هذا الباب) لنفسك وأنت تقرأ، مع الاهتمام بكتابة ملاحظات عن:

(أ) أى شــىء ترغب فى العودة إليه أو مراجعته، مثال ذلك: المعلومات الناقصة، أو حــالات عدم الاتساق أو الكتابة المستغلَقة التى تتعـذر قراءتها، أو التسجيل الصوتى الذى يتعذر سماعه بوضوح.

(ب) التعليقـات، والإجابـات، والتلميحات الشيقة (عندما تقـول لنفسك: هذا شيء مثير للانتباه!) دونها لترجع إليها لاحقا.

(جـ) التحليل الذى ترغب فى القيام به، والأسئلة التى تريد أن تدخلها فى اعتبارك، والجداول التى ترغب فى إعدادها، والعلاقات التى ترغب فى استكشافها.

تأكد من أن بياناتك مكتملة ومسجلة تسجيلا دقيقا

قبـل أن تبدأ معالجة بياناتك يلزمك أن تتأكد من أنها مكتملة ودقيقة بقدر الإمكان. فحتى البحــث المعــد إعدادًا فى غاية الجــودة والمصمم تصميما كاملا قد يتعرضــ لبعض المشكلات الصغـيرة المتعلقــة باستيفـاء البيانات ودقتهـا، لهذا يجــب أن تكون فى هـذه المرحلة متنبها للمشــكلات المحتملــة ولكيفية مواجهتها. فى أثنــاء قراءتك لبياناتك مــن أولها لآخرها بقصد إعادة الاطلاع عليها وإدراكها من جديد، قد تجد بعض صور التضارب أو عدم الاتساق، أو تكتشف نقص بعض المعلومات. حينئذ، يتوجب عليك أن تراجع بياناتك من أولها لآخرها بعنايــة، وأن تتخذ بعض القرارات المتصلة بما يتعين عليك عمله. وتحاول الفقرات الفرعية التالية أن تتناول معظم المواقف التى يغلب أن تواجهها فى مشروعك البحثى.

مراجعة الاستبيانات

مُحددات الهوية

يحتــاج كل استبيان أو حالة إلى محدد هوية متفــرد. يحدث أحيانًا أن يُختار هذا المحدد قبل جمع البيانات عن طريق ترقيم الاستبيانات أو النماذج قبل استخدامها. فإن لم يتم هذا الاختيار، فينبغى حينئذ إعطاء مُحدد هوية لكل مصدر من مصادر البيانات فى هذه المرحلة. وقد يحتوى محتوى محدد الهويــة نفسه على بعض المعلومات. مثال ذلك، أن جميع الاستبيانات الواردة من أفراد يعيشون فى لندن قد تبدأ برقم (1) (فترقم هكذا: 101، 102، 103، إلى آخره) وتبدأ الاستبيانــات المتلقاة مــن برمنجهام برقم (2) (فترقم هكــذا: 201، 202، 203، إلى آخره). فمــن شأن ذلك أن يسهل تحديد وتصنيف المكان الذى أتت منه الاستبيانات، كما أن يأخذ بعين الاعتبار، مثلا، تحليل هاتين المجموعتين من الاستبيانات بصورة مستقلة.

كذلك ينبغى فى هذه المرحلة إزالة أى معلومات يمكن أن تكشف هوية أى فرد، أو أى جماعة أو أى مؤسسة بالاسم. (فصل5 باب1). وغالبا ما يحتفظ الباحث بهذه المعلومات

لتمكنه من الرجوع إلى مبحوثيه (فى حالة ما إذا رغب، مثلا، فى ضمهم إلى بحث تال، أو ليخبرهم أنهم قد فازوا بجائزة إن كان يستخدم نوعا من أنواع سحب الجوائز لتشجيع الأفراد على المشاركة فى البحث). ولضمان تحقق السرية وإخفاء الهوية، لابد من الاحتفاظ بأى معلومات تدل على هوية الأفراد أو الجماعات أو المؤسسات بمعزل عن البيانات نفسها، مع إمكان ترقيمها بنفس محدد الهوية المذكور بحيث يستطيع الباحث (والباحث وحده) أن يضاهى المعلومات المحددة للهوية بهذه البيانات.

ما العمل مع الأسئلة أو المعلومات الناقصة؟

توجد ثلاثة أسباب رئيسية لاحتمال عدم الإجابة على أحد الأسئلة.

جدول (2-1) : أسباب احتمال عدم الإجابة على أحد الأسئلة.

المشكلة	التصرف
١- ربما يكون هذا المبحوث قد تم استبعاده (فصل ٣ باب ٣) من هذا الجزء من الاستبيان عند طرح سؤال سابق.	فى هذه الحالة يكون المبحوث على حق فى عدم إجابته على هذا السؤال، كما يمكن حينئذ - تسجيل إجابة من النوع المسمى «لا ينطبق» .
٢ - ربما لم يجب المبحوث على هذا السؤال (خطأ أو عمدا)	فى هذه الحالة يتوجب إثبات أن المبحوث لم يجب على السؤال، والغالب أن يستعمل كود ٩٩ (انظر أدناه). إن لم يجب على هذا السؤال عدد كبير من المبحوثين، فينبغى عليك النظر فى الفقرة ٣ أدناه.
٣- قد يكون السؤال، أو التعليمات المصاحبة له، قد صيغت فى عبارة ملتبسة المعنى، أو بأسلوب غير صحيح أو غير لبق، الأمر الذى أدى إلى قيام عدد ملحوظ من المبحوثين بإغفال هذا السؤال.	فى هذه الحالة يتوجب عليك التفكير فيما إذا كنت ستتمكن من استخدام الإجابات على تلك الأسئلة فى تحليلك أم لا، وذلك لأن صدق هذه البيانات (فصل٣ باب ١، فصل ٣ باب ٣) يكون محل شك فى هذه الحالة.

ما العمل مع الإجابات الجزئية أو المبتسرة؟

إن حدث أن أجاب المبحوث على أسئلة استبيان أو نموذج بيانات بصورة جزئية، فربما يرجع ذلك إلى عدد من الأسباب، كما يكون عليك أن تمعن النظر فى النقاط التى ذكرناها أعلاه، والتفكير فى احتمال وجود أسباب أدت إلى غياب المعلومات

بالنسبة لقسم كبير من الاستبيان. قد يكون السبب راجعًا إلى أن طول الاستبيان حال دون مشاركى بحثك والإجابة عليه بالكامل، أو أنهم لم يكونوا راغبين فى الإجابة على سؤال معين أو إلى قسم معين من الاستبيان لأنه يتناول - مثلا- موضوعا حساسا، ولهذا قرروا ألا يجيبوا على الاستبيان بعد هذه النقطة (وذلك بالرغم من أنك قد لا تعرف أبدا لماذا حدث هذا- وهو أحد الإحباطات الكبرى التى يمكن أن تواجهها أثناء إجراء البحث الاجتماعى!). ويتوقف نوع تصرفك فى هذه البيانات على ما يلى:

- عدد الحالات.
- الأسباب الممكنة لعدم استكمال بعض الإجابات.
- مدى إمكان استخدام هذه البيانات، فقد تستخدمها فى الإجابة على جزء من أسئلة بحثك. وفى هذه الحالة يجب عليك أن توضح، عند كتابة تقرير بحثك ومناقشة نتائجك، أن هذا هو وضع هذه البيانات.

عند هذه المرحلة سيكون عليك أن تقرر: إما أن ترفض بعض الاستبيانات التى لم يتم الإجابة عليها بشكل كامل، أو أن تضمن المعلومات الجزئية فى تحليلك.

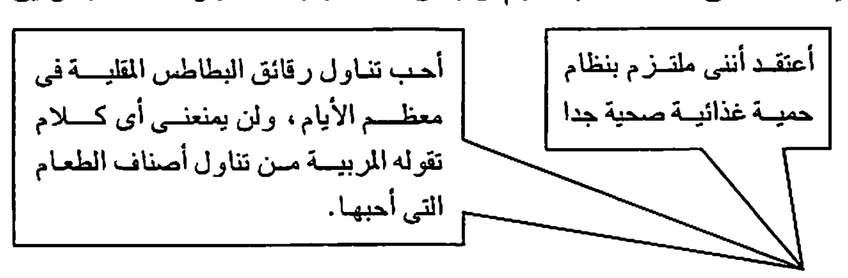
البيانات غير المتسقة

ستجد أحيانا أن المعلومات التى قدمها أحد المبحوثين فى استبيان أو مقابلة، مثلا، تتسم بالتضارب أو عدم الاتساق. وقد يحدث ذلك مع البيانات المتعلقة بالواقع والبيانات المتعلقة بالقيم، وقد يتعذر على الباحث أن يقرر ماذا يفعل إزاء هذا الوضع. من ذلك مثلا أن يدلى أحد المبحوثين بأن تاريخ ميلاده هو سنة 1990، ولكنه يُسجل أيضا أن عنده أطفالا مولودين سنة 2000. يمكن أن يرجع هذا النمط من التضارب إلى عدد من الأسباب. فقد يكون أحد تاريخى الميلاد المقدمين (أو كلاهما) غير صحيح، أو ربما قرئ خطأ أو سمع خطأ. أو ربما أساء المشارك فهم السؤال وسجل أشقاءه وشقيقاته ممن يعيشون معه باعتبارهم أبناءه، أو ربما كان يقصد أطفال شريك حياته (من زيجة أخرى سابقة).

كما هو الحال فى تعاملك مع المعلومات الناقصة، سيكون عليك هنا أن تمعن النظر فى الأمور التالية:

- هل بالإمكان مراجعة هذه البيانات بطريقة ما (ربما عن طريق الرجوع إلى أسئلة أخرى وردت عنها إجابات تحتوى على معلومات عن هؤلاء الأطفال، أو عن طريق الاتصال بالمبحوث شخصيا.
- ما مدى حدوث أشكال مشابهة من التضارب فى إجابات أخرى، من عدمه؟
- ما مدى إمكان الاستفادة بهذه البيانات فى بحثك، من عدمه؟

وقــد تتبين أيضا أن بعض المبحوثين قد قدموا لك إجابات تبدو لك متضاربة، ولكنها كانت إجابات على أسئلة تطلب منهم رأيا أو حكما قيميا. فقد يقول أحد المبحوثين مثلا:



مثل هذا الأمــر مثير للانتباه ولاشك. ومع أن هاتين العبارتين تبدوان متضادتين، فإنــه يتعين علــى الباحث أن يمعن النظر فــى كيفية فهم المبحــوث للأسئلة التى طُرحت عليه، ناهيك عن إمعان النظر فيما هو أهم: وهو كيف يمكن تأويل هذه الأجوبة؟

كما ينبغى على الباحث أن يفتش عن الأنواع الأخرى من الآراء المشابهة، والمختلفة التى يطرحها المشاركون الآخرون.

مراجعة المقابلات المسجلة وجماعات المناقشة والنصوص المدونة

محددات الهوية

يمكــن أن تتنــوع البيانات الكيفيــة، ومن الممكــن أن تقوم، مثــلا، بجمع عدد من مختلف أنماط البيانات المتعلقة بشخص معين، أو موقف معين (بما فى ذلك ملاحظاتك الشخصيــة). ستجد مــن المفيد أن يكون لديك نظام واضــح لتحديد الهوية، حيث يعطى كل مصــادر بيانــات محدد خاص للهوية. كما يمكنك أن تأخذ فــى الاعتبار ما إذا كنت ستضمــن فى محدد الهويــة هذا بعض المعلومات التى إما أن تــدل عن مصادر البيانات (كأن تضــع نظامــا يشير إلى جنس المشارك، فتقول مثــلا F 1، F 2، F 3، (F للدلالة على الأنثى). وكذلك تقول: M 1، M 2، M 3، (M للدلالة على: الذكر).

وإمــا أن تقوم هذه المعلومــات بتوضيح كيفية ارتباط المصــادر المختلفة للبيانات. مثال ذلــك أنه قد يكــون لديك عدد من المقابــلات الفردية وجماعة مناقشــة، وبعض الوثائق، بجانــب ملاحظاتــك الشخصية التــى استخرجتها مــن كل مؤسسة من ثــلاث مؤسسات، وملاحظاتــك الشخصية التى استخرجتها من كل مجموعة مــن الوثائق، كما يمكن تحديد هوية كل مجموعة من الوثائق بوضع بادئة حرفية (أبجدية) لها، أو بادئة رقمية، وعلامة تــدل على نمط البيانات، فيكون محدد الهوية 3 ج ن يعنى بالتفصيل كما يلى: 3 (المؤسسة

رقم 3)، ج ن (جماعة مناقشة)؛ ويكون محدد الهوية 3 و 4 معناه بالتفصيل هكذا: 3 معناها (المؤسسة رقم 3) ومعناها (مصدر البيانات : وثيقة)، 4 معناها (الوثيقة رقم 4).

عندما يكون لديك كميات ضخمة من البيانات الكمية، التي يجب معالجتها، فمن الأهمية - غالبا - أن تكون قادرا على معرفة مصدر هذه البيانات بسهولة، وإذا كنت تستخدم برنامج حاسب لمساعدتك في معالجة هذه البيانات فسيكون بوسعك أن تربط بسهولة محدد الهوية هذا (و9 أي : الوثيقة رقم 9) بأي بيانات موجودة داخل هذا المصدر من مصادر البيانات (انظر الفصل التاسع).

أما بالنسبة لاستيفاء الإجابة (على أسئلة الاستبيانات مثلا)، فينبغي عليك أيضا أن تتأكد من ربط المعلومات المتعلقة بمتى وأين جمعت البيانات وبمن جمعها بكل مصدر من مصادر البيانات.

مراجعة السجلات

إن كنت قد نفذت بنفسك طرقا لجمع البيانات مثل المقابلات، وجماعات المناقشة، والملاحظة، فالغالب أنك ستكون متنبها للمشكلات المحتملة في تسجيل البيانات المباشرة وبشكل فوري. ومن المستصوب هنا بعد كل جلسة جمع بيانات أن تخصص وقتا لمراجعة عملية التسجيل (سواء أكان تسجيلا سمعيا أم بصريا أو قلميا، أم كان متمثلا في ملاحظاتك الخاصة). وحين يقوم شخص آخر بجمع البيانات أو تزويدك بها (كما يحدث مثلا حين يقوم شخص آخر بإدارة جماعات مناقشة، أو حين يقوم المشاركون بتدوين مذكرات يومية)، فإنه ينبغي عليك حينئذ أن تتأكد من أنك تخصص لنفسك وقت لمراجعة هذه البيانات من حيث الاستيفاء والدقة بمجرد تلقيك لها قدر الإمكان.

الجدول (2-2): مراجعة السجلات

المشكلة	التصرف
التسجيل الناقص أو المتعذر سماعه	حدد أولا حجم المشكلة: ● إن كان قدر كبير من التسجيل غير صالح للاستخدام أو ناقص أصلا، فانظر إن كان من الممكن جمع هذه البيانات مرة ثانية. ● إن كانت الملاحظات التي كتبها الباحث (وذاكرته) حاضرة، فانظر هل يمكن ملء فجوات التسجيل ببيانات مأخوذة من الملاحظات ويجب تمييز هذه البيانات بصفتها هذه بأنها مأخوذة من الملاحظات، في أي نسخة مدونة من واقع هذا التسجيل). ● فكر في مقابلة مصدر هذه البيانات (كالمبحوث الذي تمت مقابلته مثلا) لتراجع معه البيانات الناقصة وتستكملها. **تأكد من أن هذه المشكلة لن تحدث في جلسات جمع البيانات في المستقبل، وذلك بمراجعتك لمعدات التسجيل وأوضاعها (فصل٢ باب٣).**

عدم وجود ملاحظات عند الباحث، أو وجود ملاحظات غير دالة أو غير مفهومة.	ابدأ بتحديد حجم المشكلة: ● فكر فى إعادة كتابة الملاحظات ومراجعة أى تسجيل آخر أو استثارة ذاكرتك. ● فكر فى مقابلة مصادر هذه البيانات (كالمبحوث الذى تمت مقابلته مثلا) لتراجع معه البيانات الناقصة.
احرص على ألا يحدث هذا فى الحالات القادمة، وذلك عن طريق تحسينك لمهاراتك فى تدوين الملاحظات (فصل٢ باب٣) وتخصيصك لوقت ما بعد كل جلسة جمع بيانات لاستكمال ملاحظاتك.	

تنظيم بياناتك

بدء تنظيم البيانات الكمية

البيانات المقننة هى بالضبط: تلك البيانات المقننة من قبل وفقا للطريقة التى سبق أن جمعت بها. لذلك، قد يوجد قليل من الجهد الإضافى الذى يتعين عليك بذله حتى تجعلها جاهزة لعملية التحليل. وقد لا تزيد هذه العملية عن كونها إحصاءً لعدد الأفراد الذين قدموا كل إجابة لكل سؤال ورد فى الاستبيان، أو إحصاء عدد مرات حدوث واقعة معينة أو عدد مرات استعمال كلمة معينة.

> **بحثـك**
>
> فى هذه المرحلة ينبغى عليك أن تمعن النظر فيما إذا كنت ستستعمل حزمة برمجيات لمساعدتك فى التحليل، إذ إن كل حزمة سيكون لها طرق مختلفة قليلا فى إدخال البيانات وتحضيرها للتحليل (فصل 9 من هذا الباب).

وأيا ما كان الأمر، فإن أبسط عمليات التحليل تحتاج إلى وصف واضح لما يجرى إحصاؤه وحسابه. وإذا كان التحليل يتطلب عمليات إحصائية أكثر تعقيدا، فمن الأهمية أن تكون قادرا على أن تميز بوضوح تلك البيانات التى بدأت بها. ولكى تكون قادرا على عمل ذلك يتوجب عليك أن تلقى نظرة فاحصة على كل مجموعة من الإجابات التى أجيب بها على أحد الأسئلة، أو على كل نشاط قمت بتسجيله (كمقابلة أو جماعة مناقشة مثلا)، وأن تخصص له اسما مميز له. وعادة ما يسمى هذا الاسم «متغيرا»، والسبب فى ذلك أن لكل سؤال مجموعة من الأجوبة المختلفة أو المتنوعة. فالمتغير هو الاسم الذى يطلق على تلك المجموعة من الأجوبة.

العـرف المألوف هنا أن تبدأ بإعطاء أسماء «متغـيرات» لكل سؤال من الأسئلة التى لديك إجابات عنها، أو لكل نشاط من الأنشطة التى أحصيتها.

المثال رقم (2-1)

المتغيرات والأكواد

			اسم المتغير
		الكود	**اسم المتغير**
هل أنت	ذكر ☐ أنثى ☐	١ ٢	الجنس
ما عمرك	١٦ - ٢٥ ☐ ٢٦ - ٤٥ ☐ ٤٦ - ٦٥ ☐ أكثر من ٦٥ ☐	١ ٢ ٣ ٤	العمر

عندما تفكر فيما تأكله فى يوم عادى، فهل يمكنك أن تقول إن غذاءك يعتبر (ضع علامة فى الصندوق المناسب):

الغـذاء

صحى جدا	صحى بدرجة معقولة	لا هو صحى ولا غير صحى	غير صحى إلى حد ما	غير صحى للغاية
١	٢	٣	٤	٥

لا ريـب أن بإمكانـك أن تقوم بترقيـم المتغيرات: المتغير رقـم 1، والمتغير رقم2، وهكـذا، إلا أن بعضـ الأفراد يجدون أنه مـن المفيد استعمال أسمـاء للمتغيرات مثل: العمر، الجنس، إلى آخره، لتذكيرهم بما يعنيه المتغير أو بما يتصل به من موضوعات.

سوف يوجـد بالنسبة لكل متغير مجموعة من الأجوبـة أو السمات: وهذه المجموعة هـى البيانات التى ستحتـاج إلى معالجتها، وهكذا تحتاج كل إجابـة أو سمة إلى قدر من التحديد. وعنـد معالجة البيانات المقننة يسمى هذا العمل تكويدًا، وذلك لأن «الكود (أى: محدد هوية) يضاف إلى كل إجابة ويرتبط بها» (انظر قائمة المصطلحات).

وعادة ما يستعمل نظام للترقيم فى تكويد أو ترميز الإجابات، وذلك كما هو مبين فى نموذج الاستبيـان أعلاه. بالنسبة لـكل اسم متغير ستوجد قائمة من الأكـواد والأجوبة أو السمات التى تمثلـه. وبالنسبـة لكل متغير، يمكن إحصـاء عدد الأفـراد الذين أعطوا كل إجابـة وهذا يسمى التكرار (انظر قائمة المصطلحات) - أى عدد المرات - التى أعطيت بها كل إجابة على حدة.

الأكواد المتعددة

يمكـن لبعض الأسئلـة أن تستفسر عن أكثر من إجابة واحـدة (انظر المثال رقم (2-2)). فـى هذه الحالة يوجد أكثر من متغير واحد مرتبـط بالسؤال. وبإمكانك أن تعتبر كل واحد من الأطعمة المذكورة فى القائمة متغيرا، وتعطى الكود (1)، لكل متغير عليه علامـة تدل علـى اختيار المشارك لهذا النوع من الطعـام، أو تعطيه الكود (2)، إذا لم يكن عليه علامة الاختيار. حينئذ يمكنك إحصاء عدد الأفراد الذين يأكلون - على سبيل المثال - رقائق الحبوب أكثر من مرتين فى الأسبوع.

المثال (2-2)

سؤال متعدد الأكواد

أى هذه الأطعمة تأكله أكثر من مرتين فى الأسبوع؟

(ضع علامة على الأطعمة التى ينطبق عليها هذا الكلام)

	الكود ١ أو ٢	اسم الكود
رقائق الحبوب		حب
الخبز		خ
الفاكهة الطازجة		ف ط
الخضروات الطازجة/ المجمدة		خ ط م
البيض		ب
اللحم		ل
السمك		س

توجـد طريقـة أخرى للتعامل مع الأسئلـة التى لها عدد مـن الأجوبة، ويمكن لهذه الطريقة أن تكون مفيدة عند تكويد الأسئلة المفتوحة (انظر فيما بعد)، فى هذه الحالة يتم تخصيصـ عدد من المتغيرات - كالمتغير المسمى «الرأى 1»، «الرأى 2»، «الرأى 3» إلى آخره - لسؤال معين. وتستعمل نفس مجموعة الأكواد مع كل متغير من المتغيرات كما هو مبين فى المثال (رقم 2-4).

استحداث متغيرات جديدة

أثناء تخطيطك وتطويرك لتحليلك قد تجد أنك بحاجة إلى استحداث متغيرات جديدة عن طريق ربط بعض الأجوبة باثنين أو أكثر من الأسئلة، أو عن طريق ضم الأجوبة التى أجيب بها على سؤال واحد. فبإمكان هذا الإجراء أن يساعدك على استكشاف العلاقات القائمة بين الأسئلة المختلفة وعلى تطوير تحليلات أشد تعقيدا. من المعتاد أن يكون للمتغيرات الجديدة مجموعة من الأكواد التى تحدد الطريقة التى يتم بها ربط البيانات المأخوذة - فى بعض الحالات - من سؤالين أو أكثر (انظر المثال رقم (2-3)).

يمكن أن تجد أبسط شكل للمتغير الجديد حيث يتم تجميع أو ربط الأسئلة التى أجيب بها على سؤال واحد بهدف تبسيط التحليل. مثال ذلك، أنه ربما تكون قد سألت المشاركين أن يذكروا أعمارهم بالسنوات، ولكنك لا ترغب فى تحليل سائر بياناتك تبعا للأعمار المحسوبة بالسنوات الفردية (أى المحسوبة سنة سنة)، لذلك يلزمك أن تستحدث متغيرا جديدا يضم هذه الأعمار داخل فئات عمرية مختارة لتعكس اهتمامك بأوجه الاختلاف أو أوجه التشابه بين أفراد كل فئة أو مجموعة عمرية.

> **فكر فى هذا الموضوع**
>
> يمكنك ضم الأجوبة الواردة فى المثال رقم (1-2) الذى عرضناه فيما سبق. فالمتغير المسمى «الغذاء» يمكن تبسيطه عن طريق ربط الكود رقم (1) بالكود رقم (2)، وربط الكود رقم (4) بالكود رقم (5)، لإعطاء متغير أبسط يبين ما إذا كان الأفراد يرون أنهم يتناولون غذاء «صحيا» أو غذاء غير «صحى».

> **المثال رقم (2-3)**
>
> **استحداث متغير جديد**
>
> لنفترض أنك رغبت فى معرفة ما إذا كان الرجال يأكلون غذاء أكثر صحية مما تأكله النساء، ولكنك كنت إلى جانب ذلك تشك فى مدى وجود اختلافات فى الطريقة التى يأكل بها الأفراد فى المراحل المختلفة من حياتهم. قد يكون مفيدًا أن تستحدث متغيرا جديدا يربط متغير الجنس بمتغير العمر كالتالى:
>
> الاسم الجديد للمتغير = «جنس / عمر» GENAGE

الأكــواد

الرجال / من سن 16 – 25 سنة = 1

الرجال / من سن 26 – 45 سنة = 2

الرجال / من سن 46 – 65 سنة = 3

الرجال / فوق سن 65 سنــة = 4

النساء / من سن 16 – 25 سنة = 5

النساء / من سن 26 – 45 سنة = 6

النساء / من سن 46 – 65 سنة = 7

النساء / فوق سن 65 سنــة = 8

غير مبين = 9

يمكنــك بعد ذلك البدء فى استكشــاف ما إذا كان الرجال والنســاء ذوو المجموعات العمرية المختلفة، مثلا، يرون أنهم يتناولون غذاء صحيا «أم لا» عن طريق استحداثك لتبويب مزدوج بسيط للمتغيرين جنس/عمر × الغذاء GENAGE x DIET

العمر والجنس كمتغيرين مضروبين فى متغير الغذاء(٪)	صحى جدا	صحى بدرجة معقولة	لا هو صحى ولا غير صحى	غير صحى إلى حد ما	غير صحى للغاية
الرجال: من سن ١٦–٢٥ سنة من سن ٢٦–٤٥ سنة من سن ٤٦–٦٥ سنة فوق ٦٥ سنة إجمالى الرجال					
النساء : من سن ١٦–٢٥ سنة من سن ٢٦–٤٥ سنة من سن ٤٦–٦٥ سنة فوق ٦٥ سنة إجمالى النساء					
الإجمالى الكلى					
غير مبين					

تكويد الأسئلة المفتوحة

يحتــوى كثير من أدوات جمع البيانــات المقننة أو نماذجها على أسئلــة مفتوحة (فصل3 بــاب3). وهذه الأسئلة ليس لها مجموعة مــن الأجوبة المحددة سلفا، بل هى تتيح للمشارك أن يقــدم أجوبتــه الشخصيــة، والتى تكتب غالبــا بنفس الكلمــات التى نطق بهــا المشارك

شخصيـا. لكى تكون قادرا على معالجة هذه البيانـات مستعملا التحليل الإحصائى (والذى يعتمـد على القـدرة على إحصاء عدد الأفراد الذين قالوا شيئا مـا أو عملوا عملا ما)، يجب تصنيـف البيانات المأخوذة من أجوبة الأسئلة المفتوحـة إلى أنماط مختلفة حتى يمكن تطبيق أحـد الأكواد على كل نمط منهـا. وغالبا ما تحتوى الإجابة على أكـثر من فكرة أو حكم، وبذلك يخصص لها أكثر من كود واحد، كما أن الأسئلة تكون لهذا السبب متعددة الأكواد.

فى المثال رقم (2-4) الوارد أدناه، سيتم تخصيص مجموعة من المتغيرات - والتى منها مثلا المتغير المسمى INFL1 (الدال على وجود عنصر واحد من عناصر التأثير على اختيار المشـارك للغذاء)، والمتغير المسمى INFL2 (الـدال على وجود مؤثرين اثنين على اختيار الغذاء، والمتغير المسمى INFL3 (الدال على وجود 3 مؤثرات على اختيار الغذاء)؛ نقول: سيتم تخصيصـص مجموعة من المتغيرات لتسمية هذه العوامـل المؤثرة على اختيار الغذاء)، كمـا أن من خُصصـص لأجوبتهم كود واحد (كالإجابة G) سيكـون لهم كود واحد يخصص للمتغـير المسمـى) INFL1 الدال على وجود عامل واحد مؤثر علـى اختيار الغذاء)، بينما من خصصـص لأجوبتهم كودان أو أكثر (مثل الإجابـة 'A') سيكون لهم كودان يخصصان للمتغـير، INFL2 أو ثلاثـة أكواد تخصص للمتغير INFL3 إلى آخره. (أى إن كل كود سيعطى رقما مماثلا لعدد المتغيرات التى تؤثر على اختيار المشارك لنوع الغذاء).

المثال رقم (2-4)

تكويد الأسئلة المفتوحة

إليك بعض الأسئلة التى أجيب بها على هذا السؤال :

ما الأشياء التى تؤثر على ما تتناوله من غذاء؟

	الأكواد
(أ) أذهـب إلى محـلات العروض الخاصـة للأغذية للحصول على أرخص العروض التى أقدر على دفع ثمنها فى العادة، ولكنى أراجـع - بالفعل - بعضـ الأمور : مثل ما يحتوى عليه الغذاء من السكـر، كما أن من عادتنا تناول الكثـير من الفاكهة. حينما يكون لديك أطفال تكون هذه الأمور هامة.	٢، ١ ٦
(ب) ليس لدى وقت كثير للتفكير فى هذا الموضوع، لذلك أكتفى بالنظر إلى ما في الثلاجة أو أذهب لتناول البطاطس المقلية.	٣

(جـ)	٩
(د) أرى – فى الواقع – أن هذا الأمر المؤثر فى اختيارى للغذاء هو الطريقة التى ربيت بها. فقد كانت أمى تطبخ طعاما جيدا على الدوام، كما كانت تطبخ لحما وخضروات، لذالك أحاول أن أفعل نفس الشيء.	٧
(هـ) أنا نباتى، كما أننى حريص جدا فيما آكله – فلابد أن يكون طعاما عضويا إن أمكن (*). كما أنى أتناول مقادير كبيرة من الخضروات.	٨، ١
(*) الطعام العضوى هو ذلك الذى لم تُستخدم فى زراعته مخصبات كيميائية، أو منشطات نمو، أو مضادات حيوية، أو مبيدات الآفات الزراعية (المترجم).	
(و) يتوقف الأمر على ما أشعر به – فأحيانا أشعر باشتهاء الطعام المطبوخ، وأحيانا لا أشعر بذلك فأذهب لتناول طعام جاهز من المطاعم. وأحيانا يبلغ الشعور بالتعب الشديد حدا لا يسمح لى بإزعاج نفسى بهذا الأمر.	٤
(ز) يبين لى دينى ما يمكننى وما لا يمكننى أن أتناوله من غذاء، لهذا يجب على الالتزام بتلك الأوامر.	٨
(ح) زوجى – فهو الذى يطبخ الطعام لى.	٥
(ط) أرى أنه من الأهمية حقا أن يتناول الأطفال غذاء صحيا، لذلك فأنا أحرص على أن يتضمن غذاؤهم مقادير كبيرة من الفاكهة والخضروات، وأراقب ما تحتويه أغذيتهم من دهون وسكر، كما أننى لا أسمح بالمشروبات الفوارة.	١، ٦

بعد القراءة الشاملة لجميع الأجوبة التى وردت على هذا السؤال يتم صياغة مجموعة من الأكواد لتشتمل على معظم الإجابات. ويمكن لهذه المجموعة من الأكواد أن تبدو هكذا:

1 – إشارات عابرة للغذاء الصحى الذى يحتوى على السكر، والدهن، والملح، والفاكهة، والخضروات.

2 – تكلفة الطعام – البحث عن أرخص طعام.

3– الوقت.

4 – المشاعر تجاه طهو الطعام / الطعام.

5- شخص آخر يطهو الطعام.

6- صحة الأطفال.

7- عادات الأسرة.

8- الأديان أو المعتقدات الأخرى.

9- لا إجابة.

هذه الأكواد موجودة بالعمود الأيمن - هل توافق عليها؟ هل لديك مقترحات أخرى لتكويد هذه البيانات؟

حالات التكرار

بعد مراجعتك لبياناتك والبدء في تنظيمها عن طريق تخصيص أسماء المتغيرات والأكواد، تكون أصبحت مستعدًا لتخطيط تحليلك. وأيا ما كان التحليل الإحصائى (انظر فصل 3) الذى تفكر فى استعماله، فالمناسب لك أن تبدأ بوضع بعض جداول التكرار، حتى تعرف بالنسبة لكل متغير، عدد ما قدم من كل إجابة أو كل كود. حينئذ يمكنك أن تلقى نظرة أولية على الطريقة التى بها يتم توزيع الإجابات التى أجيب بها على أسئلتك: فى المثال المذكور أعلاه، كم عدد الموجودين فى كل مجموعة عمرية؟ وكم عدد من يرون أنهم أصحاء؟ وما إلى ذلك. فى هذه المرحلة ستكون قادرا على تمييز توزيعات الإجابات المثيرة للانتباه، مما قد ترغب فى استكشافها إلى مدى أبعد من ذلك.

الجدولة المزدوجة

أثناء اختبارك لجداول التكرار وأنت مستحضر فى ذهنك لأسئلة بحثك، يكون من المناسب لك أن تبدأ فى بحث العلاقة القائمة بين المتغيرات المختلفة. هذا هو الموضوع الذى يدور حوله التحليل الإحصائى، كما أننا عالجناه بمزيد من التعمق فى الفصل 3 من هذا الباب. ومع ذلك فلكى تبدأ تحليلك، فإنك قد تحتاج إلى أن تسجل فى قائمة أى جداول بسيطة أو جداول مزدوجة ستحتاج مستقبلا إلى أن تصنعها لتساعدك على استكشاف تلك العلاقات (انظر المثال رقم 2-3). ونحن - فى العادة - نشير باستعمال الحروف الاستهلالية الكبيرة: «الكابيتال» إلى الجدول الذى يبين العمر، مثلا، بكلمة (AGE) وحسب النوع بكلمة (GEN) كما نشير إلى جدول العمر والنوع بكلمتى (GENAGE) من حيث صلتهما بالغذاء، باستعمال كلمة (DIET).

بحثــك

العلاقات والجداول المزدوجة

فــى أثنــاء تفكيرك فى ســؤال بحثك الخاصــ ، سجل فى قائمــة أى علاقات بين المتغيرات قد ترغب فى استكشافها مستقبلا ، وذلك عن طريق وضع جدول مزدوج .

المتغير «كذا»	من حيث صلته بالمتغير «كذا»	ما سبب احتمال أن تكون هذه العلاقة بين هذين المتغيرين مثيرة للانتباه؟

إن كنــت تخطط لاستعمــال حزمة برمجيــات إحصائية (كحزمــة SPPS مثلا) أو استعمــال نوع خاص من البرامج الحاسوبية للحسابات مثــل برنامج الإكسل Excel ، فإننــا نرى أن تقــرأ الآن أيضا الفصــل التاسع من الباب الرابــع ليساعدك فى إعدادك للبيانــات وفــى تخطيطك للتحليل بهدف تحقيــق أفضل استعمال فعــال لهذه الحزم (ثم ينبغى عليك أن تعود إلى هذه الفقرة من جديد).

بدء تنظيم البيانات الكيفية

البيانــات الكيفيــة التى تعد غير مقننة إلى حد مــا (أو شبه مقننة) يتــم جمعها بأساليب مختلفــة ومتنوعة وفى حالتها الخــام كما هو معهود فى شأنها – أعنــى بذلك أنها تسجل بنفســ الطريقة التى نطقت بها أو كتبت بــه أو لوحظت بها أثناء جمعها. وبجانب ذلك ، فــإن معظم طــرق تحليل البيانات التــى تستعمل فى معالجة البيانات شبــه المقننة تتطلب الاحتفــاظ بهذه البيانات فى حالتهــا الخام أثناء المراحل الأولى مــن عملية التحليل على الأقل. ويجب أن يضمن أى تنظيم أولى للبيانات الكيفية، مثلا، توافر هذين الأمرين:

(أ) أن يسهل على الباحث دائمًا الوصول إلى البيانات الخام.

(ب) وأن يستطيع الباحث العثور على أى بيانات معينة بسهولة.

نقـترح عليك فـى هذه الفقرة طريقة أوليـة أساسية يمكنك اتباعها فـى تحليل بياناتك الكيفيـة: تسمية بياناتـك «بأسماء أو عناوين محددة»، وإنشـاء دليل أو فهرست، وبعد ذلـك يجرى البدء فى القيام بنوع من التكويد الأولى، أو قل التصنيف الأولى لبياناتك. ونقـترح أن تقـوم بعد ذلك بتطوير مجموعـة من الأشكال البيانية التـى ستساعدك فى إدراك مدى ارتباط الأجزاء المختلفة من بياناتك ببعضها.

تسمية بياناتك «أو : عنونتها»

كما رأينا، فإنه عندما تجمع بياناتك الكيفية فقد تنتهى إلى جمع مقدار كبير تماما منها، وإلى جانـب الحرصـ على أن لكل مصدر بيانات رقمه الـذى يميزه، فمن المفيد كذلك أن ترقـم صفحـات كل مصدر بيانات، وأن ترقم - فى بعض الحالات - كل فقرة، أو كل سطـر من سطور النص المكتوب، أو كل مصـدر بيانات سمعى أو مصور بالفيديو علـى هيئة لقطات أو مشاهد. سوف يمدك هذا الترقيـم بعد ذلك بمصدر مرجعى دقيق ترجـع إليه بحثا عن جزئية بعينها من البيانات او وحدة معينة من تلك البيانات. وحينما تشتغـل بمعالجة البيانات الكيفيـة، فكثيرا ما يتوجب عليك أن ترجـع إلى نفس الكلمات أو العبـارات التى استعملها مصدر بياناتك، سـواء أكان مقابلة، أو جماعة مناقشة، أو وثيقـة، أو سلسلة من اللقطات أو المشاهد المصورة بالفيديو فعلا. وسوف يساعدك على القيـام بهـذا العمل أن يكون لديك بيـان دقيق يبين رقم الصفحة ورقـم السطر أو عدّاد الفيديو الدال على مكان وجود الكلمات أو العبارات المطلوب الرجوع إليها.

بحثـك

فـى هذه المرحلة ينبغى أن تمعن التفكير فيمـا إذا كنت ستستخدم حزمة برمجيات حاسوبية لتساعدك فى تحليلك، أم لا، وذلك لأن كل حزمة سيكون لها طرق مختلفة قليلا فى إدخال البيانات وإعدادها للتحليل (انظر الفصل التاسع).

عندمـا تصبح على دراية جيدة ببياناتك ستبدأ فى تقدير حجم جزئيات أو وحدات البيانات التـى ستقـوم بمعالجتها، كمـا سيمكنك بناء نظامـك الترقيمى وفقا لذلك. فـإن كنت تستخدم برمجية حاسوبية لمساعدتك فى معالجة بياناتك فستجد أن معظم الحزم تقدم تشكيلة متنوعة من طرق عنونـة أو تسمية بياناتك (انظر فصل9). وإن كنت تقوم بعملك على الورق أو باستعمال حزمة معالجة كلمات، فإن بإمكانك حينئذ أن تضيف الأرقام المرجعية لوحدات البيانات بنفسك.

إنشاء فهرست

من طـرق بدء تنظيم البيانات إنشاء نظام فهرسة يمكـن تطبيقه على البيانات الخام. ويقتصـر عمل الفهرس علـى أنه يضع فى قائمـة جميع الموضوعات وأنمـاط البيانات المختلفة التى قد توجد فى كل مقابلة، وجماعة مناقشة، ووثيقة وما إلى ذلك، ثم يخصص رمـزا أو علامة دالة (وعادة ما يكون هـذا الرمز رقما أو توليفة حروف أو كود لونى) للكلمـات أو العبارات، أو الجمـل أو اللقطات والمشاهد المصـورة الموجودة فى البيانات التى تحتوى على وحدة من نوع معين.

إن كنت تستعمـل حزمة برمجيات حاسوبية لمساعدتك فى تحليـل بياناتك فستجد أن معظـم الحزم بها تقنية تتيح لك إنشاء نظام فهرسة (انظـر فصل9). وإن كنت تستعمل معالـج كلمات فإن بإمكانـك أن تستخدم بعضا من نفس تقنيـات البحث هذه فى العثور على البيانات، وبإمكانك أن تستخدم نظامك الخاص بك والمكون من رايات وعلامات للفـت الانتباه لتمييز الأنماط المختلفة للبيانـات. وإن كنت تعمل على الورق، فبإمكانك حينئذ أن تستخدم الأقلام الملونة، أو العلامات الملونة للفت الانتباه، أو الرموز الملونة. والواقـع أنـه لا يوجد أسلوب «صحيح» أو أسلوب «خطأ» فـى مباشرة هذا العمل - إذ عليك أن تختار نظاما يعمل لصالحك.

مـن الأهمية أن تتنبه إلى أن الفهرسة ليسـت مماثلة للتكويد. فالفهرس يخبرك - فحسب - بالمكان الذى يمكن أن توجد فيه البيانات وينبغى أن يمكنك من العثور بسرعة على نفس نوع البيانـات فى كل مصدر من مصادر بياناتـك. والفهرس الأساسى يمكن إنشاؤه باستعمال العناوين الرئيسية أو الأسئلة التى سبق أن استعملتها فى دليلك الخاص بالموضوعات (انظر فصـل 4 و5 من بـاب 3). ويمكن تدقيق هذا الفهرس بعد ذلـك والتوسع فيه عندما تتمكن مـن تحديد جوانب معينة للموضوع، أو أفكار جديـدة أو نقاط تستدعى الاهتمام تعلم أنك ستحتاج للرجوع إليها وللتعمق فى التفكير فيها أثناء قيامك بعملية التحليل.

يعـد المثال (2-5) والوارد أدناه مقطعًا موجزًا مـن مقابلة متخيلة مع أم شابة كجزء من بحث كان يدرس تصورات الناس ومفاهيمهم عن «الطعام الصحى».

المثال (2-5)

مقطع من مقابلة شبه مقننة (مفهرسا)

	الفهرس
الباحثـة: إذا، عند التفكير فى الطعام الذى تتناولينه فى أسبوع عادى، ما الأمور التى تؤثر على ما تقررين تناوله من طعام؟	

المستجيبــة: حسنا، يهيأ لى أننا جميعًا نتأثر بشــيء من الروتين فى عاداتنا فى تنــاول الطعام – فكما تعرفـين، يحدث كثيرا فى كل أسبوع هذا الأمر، وهو أن نتنــاول الكارى (وهو بهــار هندى أصفر اللون) فى إحــدى الأمسيات، ونتنــاول السمك فى أمسية أخــرى، ونتناول اللحم المشــوى، كالعادة، فى نهايــة الأسبوع. كانت أمى تقدم اللحم المشوى دائمًا فى أيام الآحاد، وكانت فى الواقــع طاهية بارعة، لذلك أحاول أن أفعل مثــل ما كانت تفعل. وذلك بالرغــم من أنها لم تقدم أبــدا أطعمة كالكارى والمكرونــة بطبيعة الأمر لأن معظم الناس لم تكن تتناول هذا النوع من الطعام فى تلك الأيام. والواقع أن كثيرا من الأطعمة التى نأكلها فى أيامنا هذه مختلفة عما كنت آكله وأنا طفلة، فالأطعمــة تطهى الآن بشكل مختلف حيث تستعمــل الزيوت النباتية التى هى صحية أكثر مــن الدهون الحيوانية، مثلا، كما أننــا لا نتناول وجبات إفطار ضخمــة مثل لحم الخنزيــر والبيض إلا فى الإجــازات. إلا إننى تعلمت شيئا واحــدًا – بالفعل – من أمى وهو كيف أطهــو الأطعمة الأساسية، لذلك فإننى غالبا ما أطهو وجبات من لحوم الدجاج ولا أشترى وجبات جاهزة.

4
2
2
4
4
6
2

الباحثة: هل يوجد أى شيء آخر يؤثر على ما تأكلينه؟

4

المستجيبــة: أعتقد أن الوقــت عامل مهم. فحينما يكــون الزوجان يعملان خــارج المنزل، فلا يتوافر لهما وقت كثير ليعدا طعاما كاللحوم المشوية إلا فــى نهاية الأسبــوع. كما لا يوجد وقت لإعداد الفطائــر أو الكعك – فهذه الأصناف من الطعام لانأكلها كثيرا، ولكن إذا أردنا تناولها فإننا نميل إلى شرائها. إننى أحب أن يتوافر لى المزيد من الوقت لأندمج فى طهو الطعام فعــلا، إذ توجد فى هذه الأيام أفكار كثيرة للغايــة فى برامج التليفزيون. كل مــا أتمناه أن يتوافر لى الوقت والطاقــة لأجرب إعداد بعض الأطعمة الجديدة.

4
1
4

ثــم إن الأمــر الآخر هــو محاولة تشجيع الأطفال علــى تناول طعام متــوازن – أو علــى الأقــل يأكلــون مقادير أقــل من الحلويــات ورقائق البطاطــس المقليــة. أنــا أشعــر فعلاً أنــه ينبغــى الإقلال مــن الإعلانات التليفزيونية عــن الحلويات والوجبات الخفيفة غــير الصحية أثناء مشاهدة الأطفال للتليفزيون – فقد أصبح من العسير ألا نستجيب لهم بعد أن يكونوا قد شاهدوا شيئًا تعرضه الإعلانــات ويوجد على رفوف السوبرماركت. إن القائمين على برامج التليفزيون يقومون بعرض بعض البرامج الجيدة

1
6
3

النص	الرمز
فعــلا والتى تتناول أنظمة الغذاء الصحية ثم تكــون جميع الإعلانات التى تعرضــ فى الفاصل عــن بعض أنــواع الأطعمة التى ينبغــى ألا يتناولها الأطفــال. أو على الأقل ينبغى أن تكون هــذه الأطعمة أحد مصادر المتعة وليســت شيئا نتناولــه يوميا. أنا نفسى أحب تناول قطعــة شيكولاتة أحيانا خاصة إذا كنــت أشعر بشيء من الاكتئاب أو الإجهــاد ولكنى أحاول ألا أتمادى فى ذلك فى أغلب الأحيان.	6 5 6 3 5
الباحثة : هل تؤثر تكلفة الطعام على ما تشتريه منه؟	
المستجيبــة: أوه، لا شك فى ذلــك طبعا، فلا بد، أن تكونى ميسورة الحال لتشــترى بعض قطع اللحــوم المتميزة أو تشترى الفطائــر الباهظة الثمن. ولكن الوضع ليس هكذا بالضبط، فأنا أبحث دائمًا عن العروض الأرخص ثمنًا: «اشتر واحــدة وخذ الأخرى مجانا»، كما أننــا نحتفظ بالأطعمة فى الفريــزر إن لم نتناولها. وهذا معناه أحيانًــا أن نوعية السلعة مختلفة، كما تعلمين، وهو سبب بيع هذا الطعام بسعر أرخص فى ذلك الأسبوع. وأنا فى الواقع مطالبة بالذهاب إلى محل بيع الخضروات بدلا من شراء الفاكهة والخضروات من السوبرماركت - ينبغى على أن أفكر فى نوع الأطعمة التــى أستطيع الحصــول عليها بسعــر أرخص وأنا فى مرحلــة الاستعداد للتسوق. كل ما فى الأمر أنه لا يتوافر لى الوقت اللازم، فلا بد أن تكون الظــروف مواتية، حتى يحصل المرء على كل شيء يريد شراءه من محل واحد.	3 2 2

مــن الممكن أن تكون هــذه الدراسة قد صممت فــى المملكة المتحدة فــى أوائل القرن الواحد والعشرين مع ظهور المخاوف والاهتمامات الصحية والاجتماعية الحالية بسبب المستويــات المتزايدة للبدانة بين الســكان واستهلاك الأطعمة الجاهزة. لذلك يمكن لدليل الموضوعات أن يشتمل على الأسئلة التالية:

- أيمكنك أن تخبرنى عن نوعيات الطعام التى تناولتها فى الـ24 ساعة الأخيرة؟
- أيمكنــك أن تخبرنى عن أحوال أسرتــك: من الذين يعيشون معك، ومن الذى يتولى شراء الطعام، ومن الذى يعد الطعام؟
- إذا فكرنــا فى أحوال أسبوع عادى، ما الأمــور التى تؤثر على اختيار الطعام الذى تشتريه وعلى الوجبات التى تعدها؟

● إلى أى مدى يعتبر الطعام مهما فى نظرك؟ لماذا وكيف يعد مهما فى نظرك؟

● ما تصورك «للطعام الصحى»؟

وقد يحتوى الفهرس على الموضوعات التالية:

1 – معلومات عن الأسرة.

2 – أمثلة من الطعام الذى جرى تناوله فعلا.

3 – العوامل المؤثرة على الطعام الذى تشتريه الأسرة.

4 – العوامل المؤثرة على الطعام الذى تعده الأسرة.

5 – أهمية الطعام.

6 – التصور الذهنى للطعام الصحى.

إن الفهرس لا يميز بين أنماط المعلومات المختلفة أو الأفكار أو الآراء المختلفة المتعلقة بكل موضوع، ولكنه يكتفى بلفت نظرك إلى وجود بعض البيانات التى قد تحتاج لإمعان النظر فيها عندما تبحث مستقبلا قضية معينة.

بدء التكويد

أثناء اشتغالك بالفهرسة يغلب أن تصبح أكثر تنبها لجوانب فى بياناتك تحتاج أن تتعمق فى استكشاف معالمها وأن تخضعها لمزيد من التحليل الدقيق. أحرص أثناء الفهرسة على تدوين هذه الجوانب أو الموضوعات المتضمنة فى بياناتك، والتى تريد استكشاف معالمها، ولاحظ الطرق المختلفة التى تتبع فى مناقشة أو عرض موضوعات معينة فى كل مصدر من مصادر البيانات. وينبغى عليك أيضا أن تستحضر فى ذهنك أسئلة بحثك (فصل 4 باب 1) وأن تواصل البحث عن العبارات، والحكايات، والخبرات، والآراء الموجودة فى هذه البيانات، والتى قد تساعدك على فهم أسئلة بحثك والإجابة عليها.

إن ما تكتبه لنفسك من ملاحظات ومذكرات موجزة سريعة يوفر لك الأساس لبدء تكويد بياناتك أو تصنيفها. أيا ما كان الأسلوب التحليلى الذى تستخدمه، فإن شيئا من التكويد الأساسى – أو شيئا من تحديد وتجميع المادة المتعلقة بموضوع، أو رأى، أو خبرة ما – سيوفر لك منطلقا تبدأ منه التكويد.

ومع ذلك، فإنه يتعين عليك – مبدئيا – أن تحدد ما الذى تبحث عنه؟ وما الذى يهمك فى هذه البيانات؟ وأن تجعل نفسك على دراية وحسن معرفة بمجموعة البيانات المتعلقة

بـذاك الموضوع ، وذلك قبل اللجوء إلى استخدام نوع من التكويد الاستكشافى للبدء فى تفسير هذه البيانات بصورة تجريبية مبدئية.

فـى المثال المبـين أعلاه قد تبدأ بإلقاء نظـرة أدق على العوامل المؤثـرة على الأفراد حينمـا يقررون نوع الطعـام الذى يشترونه ويعدونه. فى أثنـاء قراءتك الشاملة لكافة مصادر بياناتك ربمـا تبدأ فى العثور على بعض الموضوعـات الأساسية المتكررة التى تتبلور أمام ناظريك، كما يمكنك أن تبدأ فى تمييزها عن طريق تطوير نوع من التكويد الأساسى لهذه البيانات. ينبغى عليك أن تنظر إلى هذا الأمر على أنه مجرد حركة ينتقل بهـا فهرسك إلى مستوى أبعد مدى، وأنه بداية لتحديد بعض الموضوعات الموجودة فى بياناتك، والتى تحتاج إلى أن تتعمق فى استكشافها فى تحليلك.

وكمـا هو الحال مع الفهرسة، فإن من المفيد البـدء بتمييز الموضوعات الأساسية عن طريق استعمال نظام للتكويد وإعطاء كل موضوع اسمًا. وفى مثالنا المذكور قمنا بتحديد مجموعـة أولية من الأكواد المتعلقة بالعوامل المؤثرة على شراء الطعام وإعداده. لاحظ أن كل كـود معـرف تعريفا واضحا وأن هـذا التعريف يحاول أن يصـف كل البيانات التى يجب إدراجها ضمن التعريف. إذا بدأت فى العثور على بيانات لا تتماشى مع هذا التعريـف فقـد تحتاج إلى التفكير فى استحداث كود جديد ليتـلاءم مع هذه البيانات – أو قـد تحتـاج إلى تعديل تعريفك حتى يتم إدراج هذه البيانات فيـه. هنا تكون قد بدأت فى المعالجة الفعلية للبيانات وفى التفكير فى طريقة تفسيرك لها.

المثال (2-6)

الأكـواد

جدول رقم (2-3): أمثلة من الأكواد

اسم الكـود	التعريـف
تأثـير الأسـرة ذات الأطفال (ت أ ط) (ICF)	الإشارة إلى الأسرة ذات الأطفال بوصفها عاملا مؤثرا سلبًا أو إيجابا على اختيار الطعام الذى يتقرر شراؤه و / أو إعداده.
وسائل الإعلام – سلبى (و إ س) (IMN)	الإشـارة إلى وسائـل الإعـلام التى تؤثـر على اختيار الأطعمة التى تعتبر غير صحية.
وسائـل الإعـلام -إيجابى (و إ إ) (IMP)	الإشـارة إلى وسائـل الإعـلام التى تؤثر علـى اختيار الطعام الذى يعتبر صحيا.

الوقت – وشراء الطعام (و – ش ط) (ITB)	الإشـارة إلى الوقت أو نقص الوقـت، الذى يؤثر على اختيار ما يُشترى من الطعام.
الوقت – إعداد الطعام (و–إ ط) (ITP)	الإشارة إلى الوقـت، أو نقص الوقت، الذى يؤثر على اختيار ما يعد من الطعام.

المثال رقم (2–7)

مقطع من مقابلة شبه مقننة (تكويد أولى)	الكـود
الباحثـة: إذا، عند التفكير فى الطعام الذى تتناولينه فى أسبوع عادى، ما العوامل التى تؤثر على ما تقررين تناوله من الطعام؟	
المستجيبـة: حسنـا، يهيـأ لى أننـا جميعا نتأثـر بشيء مـن الروتين فى عاداتنا فى تناول الطعام. فكما تعرفين، يحدث كثيرا فى كل أسبوع هذا الأمر، وهو أن نتناول الكارى (وهو بهار هندى أصفر اللون) فى إحدى الأمسيات، ونتناول السمك فـى أمسية أخرى، ونتناول اللحم المشوى، كالعادة، فى نهاية الأسبوع – **كانت أمى تقدم اللحم المشوى دائمًا فى أيام الآحاد، وكانـت فى الواقع طاهية بارعة، لذلك أحاول أن أفعل مثل ما كانت تفعل. وذلك بالرغم مـن أنها لم تقدم أبدًا أطعمة كالكارى أو المكرونة بطبيعة الأمر لأن معظم الناس لم تكن تتنـاول هذا النوع من الطعام فـى تلك الأيام. الواقع أن كثيرا مـن الأطعمة التى نأكلها فـى أيامنا هذه تختلف عما كنـت آكله وأنا طفلة** – فالأطعمـة تطهى الآن بشكل مختلـف حيث تستعمل الزيوت النباتية التى هـى صحية أكثر من الدهون الحيوانية، مثلا، كما أننـا لا نتناول الآن وجبات إفطار ضخمة مثل لحم الخنزير والبيض إلا فـى الإجازات. **إلا أننى تعلمت شيئا واحدا – بالفعل – من أمـى وهو كيف أطهو الأطعمـة الأساسية، لذلك فإننى أقوم فـى أغلب الأحوال، بطهى وجبات من لحوم الدجاج ولا أشترى وجبات جاهزة.**	ت أ ط (TCF) ت أ ط (TCF)
الباحثة: هل يوجد أى شيء آخر يؤثر على ما تأكلينه؟ **المستجيبة: أعتقد أن الوقت عامل مهم. فحينما يكون الزوجان يعملان خارج المنزل، فإنه لا يتوافر لهما وقت كثير ليعدا طعاما كاللحوم المشوية إلا فى نهاية الأسبوع. كما لا يوجد وقت لإعداد الفطائر أو الكعك – فهذه الأصناف من الطعام لا نأكلها كثيرا، ولكن إذا أردنا تناولها، فإننا نميل إلى شرائها. إننى أحب أن يتوافر لدى المزيد من الوقت لأندمج**	و إ ط ITP

فى طهو الطعام فعلا - إذ توجد فى هذه الأيام أفكار كثيرة للغاية فى برامج التليفزيون - كل مـا أتمناه أن يتوافر لى الوقـت والطاقة لتجربة بعض لهم بعد أن يكونوا قد شاهدوا شيئا تعرضه الإعلانات وموجود أصناف الطعام الجديدة.

ثم إن الأمر الآخر هو محاولة جعل الأطفال يأكلون طعاما متوازنا - أو على الأقل يأكلون مقادير أقل من الحلويات ورقائق البطاطس المقلية، أنا أشعر فعلا أنه ينبغى الإقلال من الإعلانات التليفزيونية عن الحلويات والوجبات الخفيفة غـير الصحية أثناء مشاهدة الأطفال للتليفزيون - فمن العسير جدا، ألا نستجيب لهم بعد أن يكونـوا قد شاهدوا شيئًا تعرضه الإعلانات وموجود على رفوف السوبرماركت. إن القائمين على برامج التليفزيون يقومون بعرض البرامج الجيدة فعلا والتى تتناول أنظمة الغـذاء الصحية ثم تكون الإعلانات التى تعرض فى الفاصل عن تلك الأطعمة التى ينبغى ألا يتناولها الأطفال. أو على الأقل يمكن أن تكون هذه الأطعمة أحد مصادر المتعـة وليست شيئـا نتناوله يوميا. أنا نفسى أحب تنـاول قطعة شيكولاتة أحيانًا، خاصة إذا كنت أشعر بقليل من الاكتئاب أو الإجهاد ولكنى أحاول - غالبا - ألا أتمادى فى ذلك.

و!!
IMP

و إس
IMN

الباحثة: هل تؤثر تكلفة الطعام على ما تشترينه منه؟

المستجيبـة: أوه لاشـك فى ذلك طبعـا، فلابد أن تكونى ميسـورة الحال لتشترى بعض قطع اللحوم الممتازة أو تشترى الفطائر الباهظة الثمن. ولكن الأمر ليس بهذا الوصـف تماما، فأنا أبحث دائمًا عن العروضـ الأرخص ثمنا: "اشترِ واحدةً وخذ الأخـرى مجانا"، كما أننا نحتفظ بالأطعمة فـى الفريزر إن لم نتناولها. وهذا معناه أحيانـا أن لدينا مستوى مختلف مـن الجودة، كما تعلمين، ولهـذا يباع هذا الطعام بسعر أرخص فى ذلك الأسبوع. وأنا فى الواقع مطالبة بالذهاب إلى محل بيع الخضروات بدلا من شراء الفاكهة والخضروات من السوبرماركت. ينبغى على أن أفكر فى نوع الأطعمة التى أستطيع الحصـول عليهـا بسعر أرخص إن كنت أستعد للتسوق. كل ما فى الأمر أنه لا يتوافر لى الوقت اللازم - فلابد أن يكون الوقت متاحًا، حتى يحصل المرء على كل شيء يريد شراءه تحت سقف واحد.

استخدام الرسوم البيانية

بعـد أن تبدأ استكشاف معالم بياناتك باستعمال نوع من التكويد الأولى، ربما تحتاج إلى التحـرك بهـذا التكويد إلى مدى أبعـد بواسطة إنشاء رسم بيانـى ذى بعدين. وهذا النمـط من الرسـم البيانى أو الإطار الـذى نقدمه هنا مبنى على طريقـة «الإطار» فى

تحليـل الموضوعات الأساسية، وهــي الطريقة التى شرحها بالتفصيـل ريتشى ولويس (2003) (انظر الفصل الرابع، للوقوف على مزيد من التفاصيل). وأيا ما كان الأمر، فإننــا نشعر أن بالإمكان أن يكون هذا الرسم البيانى طريقة أولية يفيدك الأخذ بها أيا ما كانت طريقتك فى التحليل، لأنك تستطيع من خلال استعمال الرسم البيانى:

(أ) تستطيع إدراك نطاق المادة المتعلقة بموضوع معين داخل أى مصدر بيانات.

(ب) وتستطيــع أن تقارن ما يقوله أحد مصادر البيانات (كأحد المشاركين مثلا) عن هذا الموضوع بما تقوله المصادر الأخرى.

والمعتــاد أن يكون لكل رسم بيانى موضــوع أساسى أو قل إنه يغطى جانبا من موضوع بحثــك، كمــا أنك قد تحتاج لإنشاء عدد مــن الرسوم البيانية فى بدايــة الأمر لمساعدتك على استكشاف معالم بياناتك. وفى مثالنا المذكور نستعمل الموضوع الأساسى المتمثل فى السؤال: «مــا الذى يؤثر على الأفراد عندما يختارون الطعام الذى يشترونه ويعدونه؟». وقد يكون لدينا أيضا رسم بيانى يركز على موضوع «تصورات الأفراد عن الطعام الصحى».

بإمكانــك أن تعد رسما بيانيا بطرق كثيرة، ابتداء بالفكرة البسيطة الخاصة باستخدام صحيفــة كبيرة من الورق مرســوم عليها شبكة، (أى شكل بيانـــى ذو أعمدة وصفوف متقاطعــة)، وانتهــاء بالطريقة الأكثر تعقيــدا والمتمثلة فى استخــدام الجداول وكشوف الحسابــات على حاسبك لتوفر لك هــذا الرسم البيانى. من واقع المثال المبين فى الجدول رقــم (4-2) أدناه سترى ضمن قائمة مكتوبة أسفل هــذا الرسم البيانى مصادر البيانات العديدة (والتى تضم فى هذه الحالة: مقابلات، وجماعات مناقشة، ووثيقة)، كما توجد على امتداد قمة الرسم البيانى الأكواد المختلفة التى حددناها.

فــى هذه الشبكة يمكنك أن تدخل شواهد أساسيــة (أى: جملا أو عبارات مقتبسة على سبيل الاستشهاد بها)، تستخرجها من مصادر بياناتك، وملخصات للمسائل التى أثارها المستجيبون، ومعلومات واقعية عن مصدر البيانات هذا. لاحظ أنك قد تحتاج إلى أكثر مــن صحيفة ورقية واحدة لكل رسم بيانى إن كان لديك من مصادر البيانات عدد أكبر مــن أن تناسبــه بسهولة صحيفة ورقية واحدة. قد تكون بعضــ الصناديق التى فى هذه الشبكــة فارغة نظرًا لعدم وجــود مادة مناسبة لها فى مصدر البيانـــات ذاك. ستجد أن مــن المفيد فى هذه المرحلة أن تضيف رقم الصفحة ورقم السطر أو الفقرة لأى مقتبسات تدرجها، حتى تكون قــادرا على العثور بسهولة على هذه المواد الخام وعلى النظر إلى تلك الشواهد داخل سياقها الأصلى.

فكر فى هذا الموضوع . . .

الرسوم البيانية

ألق نظرة على امتداد الجدول رقم (2–4)، لترى ما العوامل المؤثرة التى حددها كل مصدر من مصادر البيانات؟، وكيف تم وصف ومناقشة هذه العوامل المؤثرة؟ ثم انظر أدنى كل عمود لترى كيف قامت هذه المصادر المختلفة للبيانات بوصف ومناقشة كل عامل مؤثر من هذه العوامل.

اكتب بعض الملاحظات عن كل واحد من هذه الأعمدة، مميزا لأى تشابهات أو اختلافات فى النقاط التى أثارها المبحوثون فى كل مصدر من مصادر البيانات.

إن كنت تخطط لاستخدام حزمة برمجيات للتحليل الكيفى (كحزمة إن فيفو NVivo) فإننا نرى أن تقرأ الآن الفصل التاسع من هذا الباب لمساعدتك فى إعداد بياناتك وتخطيط تحليلك لتحقق أقصى درجات الانتفاع الفعال بهذه الحزم.

بحثك

الشروع فى التحليل

سواء أكنت تعالج بيانات كمية أو كيفية فأنت الآن متأهب للدخول فعلا فى عملية التحليل. ومن المستصوب فى هذه المرحلة أن تقوم بثلاثة أعمال :

1 – أن تعيد تفقد أسئلة بحثك. فكر فى الطريقة التى بها ستمكنك بياناتك من الإجابة على أسئلة بحثك أو اختبار فروضك.

2 – خطط تحليلك : ضع قائمة بالمهام التى ستقوم بأدائها فى أول الأمر. وقد تحتوى هذه القائمة على مجموعة من جداول التكرار والجداول المزدوجة، أو قد تتمثل هذه القائمة فى تطوير مجموعة من الرسوم البيانية.

3 – احتفظ بسجل أو قائمة بكل العمليات التحليلية التى تقوم بتنفيذها وأضف بجانب كل عملية ملاحظاتك الشخصية عما اكتشفته أو تعلمته من جدول معين، أو اختبار إحصائى أو رسم بيانى إحصائى معين. ينبغى أن يحتوى سجلك على أى متغيرات جديدة تستحدثها أو أكواد تحددها مع ذكر تعريفاتها.

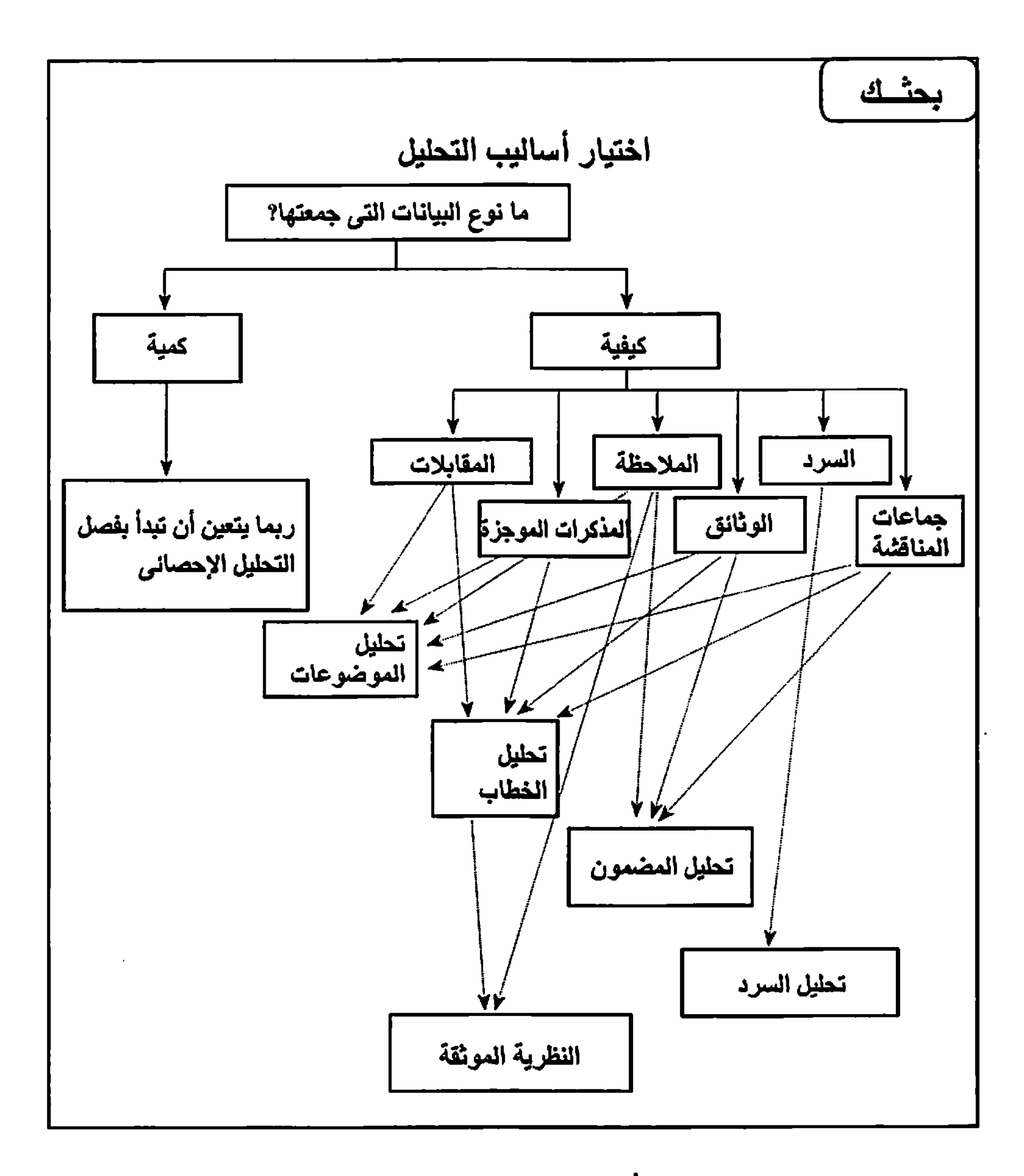
قائمة المراجعة	√
هل بياناتك كاملة؟	
هل تعرف بياناتك؟	
هل قررت كيف تنظم بياناتك بحيث تستطيع العثور على ما تريد العثور عليه؟	
هل خططت تحليلك؟	

جدول رقم (2-4) : العوامل المؤثرة على اختيارات الأفراد عند شراء الطعام وإعداده

مصدر البيانات [المميز]	نمط الأسرة	عوامل تأثير الأسرة على الأطفال	التأثيرات الإيجابية لوسائل الإعلام	المؤثرات السلبية لوسائل الإعلام	الوقت	التكلفة
المقابلة رقم ١	والدان + طفلان	كانت أمي تقدم اللحم المشوى دائمًا في أيام الآحاد، وكانت في الواقع طاهية بارعة لذلك أحاول أن أفعل مثل ما كانت تفعل.	إنهم يقومون بعرض بعض البرامج الجيدة فعلا والتي تعرف «بالأغذية الصحية».	«. . . ينبغي الإقلال من الإعلانات التليفزيونية عن الحلويات والوجبات الخفيفة غير الصحية على التليفزيون أثناء مشاهدة الأطفال له. .»	أعتقد أن الوقت عامل مهم : فحينما يكون الزوجان كلاهما يعملان خارج المنزل ، فإنه لا يتوفر لهما وقت كثير ليعدا طعاما كاللحوم المشوية إلا في نهاية الأسبوع. كما لا يوجد وقت لإعداد الفطائر أو الكعك . . . إنني أحب أن يتوافر لي المزيد من الوقت لأندمج في طهو الطعام فعلا - إذ توجد في هذه الأيام أفكار كثيرة للغاية في برامج التليفزيون - كل ما أتمناه أن يتوافر لي الوقت والطاقة لتجربة بعض الأطعمة الجديدة.	«أنا أبحث دائمًا عن العروض الأرخص ثمنا . . وهذا معناه أحيانا أن لدينا شيئا مختلفا ، كما تعلمين ، إذا كان هذا الطعام يباع بسعر أرخص في ذلك الأسبوع . . . الفاكهة والخضروات . . . يمكنني الحصول على الطعام الأرخص ثمنا إن كنت أستعد للتسوق . كل ما في الأمر أنه لا يتوافر لي الوقت اللازم - فلا بد أن تكون الظروف مواتية، الحصول على كل شيء تحت سقف واحد ملحوظة : الصلة بين الوقت والتكلفة

مصدر البيانات [المميز]	نمط الأسرة	عوامل تأثير الأسرة على الأطفال	التأثيرات الإيجابية لوسائل الإعلام	المؤثرات السلبية لوسائل الإعلام	الوقت	التكلفة
المقابلة رقم ٢	والدان + طفل واحد	إننا نذهب دائمًا إلى والدته لتناول غداء الأحد – لعلها أفضل وجبة نتناولها طوال الأسبوع.	تتردد فى أيامنا هذه معلومات كثيرة للغاية لا تستطعين أن تعرفى عنها شيئا فى الواقع.		هذا هو العامل المؤثر فى نظرى، ففى حالة اشتغالى أنا وزوجى خارج المنزل لا يتوافر لنا وقت كثير فى الواقع. إننى أشعر بالذنب، بالرغم من أنه ينبغى على أن يكون لدى وقت لطهو الطعام لطفلى.	عندما لا يتوافر لك وقت كثير فإنك لا تستطيعين – فى الواقع – أن تتحملى الشعور بالقلق البالغ من مسألة تكلفة الطعام – كل ما فى الأمر أنك تحاولين شراء أفضل ما يمكنك شراءه. ملحوظة: الصلة بين الوقت والتكلفة.
المقابلة رقم ٣	أم + طفلين	«أذكر كم كنت أتمتع كثيرا بما تطهوه أمى وبالجلوس حول المائدة كل مساء ونحن نتحدث ونأكل – هذا ما أريده لأطفالى.	أنا أقرأ كل المجلات وأشاهد جميع برامج التليفزيون – إننى أحبذ – إلى حد ما – الطعام الصحى.	إن ما يجعلنى أصاب بالاكتئاب فعلا هو تلك الإعلانات التى تدعو لتناول الحلويات والمياه الغازية فى أثناء مشاهدة الأطفال التليفزيون.	فى الواقع أنا أستمتع بطهو الطعام وأنا أرى أنه نوع من الهواية. ملحوظة: هل تتعلق هذه العبارة باستخدام الوقت؟	أنا أم عزبة، لذلك لا يتوافر لدى قدر كبير من المال، ولكنى أعرف كيف أعد وجبة صحية جيدة من عناصر رخيصة الثمن.
جماعة مناقشة رقم ١	جميع أفراد الجماعة أمهات عزبات لهن أطفال دون الخامسة من العمر.	لدى بعضهن ذكريات عن الوجبات العائلية، بينما تتذكر أخريات تناولهن الطعام أثناء مشاهدة التليفزيون أو تناول كل عضو فى العائلة طعامه بمفرده.	معظم هؤلاء الأمهات شاهدن برامج جامى أوليفر ويرين أنه ينبغى تقديم وجباته فى سائر المدارس.	يوجد دائما شىء غير مناسب لك – فأنت تصابين بالضجر من كثرة ما يقال لك أنك لا يمكنك أن تأكلى هذا الطعام، إن هذا يجعلك قلقة مضطربة.	كان الوقت ثانى أهم العوامل المؤثرة على اختيار الطعام.	كانت التكلفة أهم عامل مؤثر فى اختيار الطعام.

مصدر البيانات [المميز]	نمط الأسرة	عوامل تأثير الأسرة على الأطفال	التأثيرات الإيجابية لوسائل الإعلام	المؤثرات السلبية لوسائل الإعلام	الوقت	التكلفة
جماعة مناقشة رقم ٢	جميع أعضاء الجماعة من الآباء الذين يعيشون مع زوجاتهم ولهم أطفال دون الخامسة من العمر.	كان بعض الآباء يشعرون أن زوجاتهم لم يكن طاهيات جيدات كأمهاتهم. تذكر معظمهم أنهم كانوا يطالبون بتناول الخضروات ، وكان بعضهم يشعرون بأنهم لا يريدون أن يكونوا شديدى التزمت مع صغارهم فى شأن الطعام.	«ما أحتاج إليه هو : معلومات جيدة مباشرة عما هو سليم أو غير سليم بالنسبة لك – خاصة ما يتصل بالأطفال الصغار».	«كثير جدا من برامج طهو الطعام، تكتفى زوجتى بالجلوس إلى التليفزيون ومشاهدتها – وهى لا تطهو أبدًا أى وجبة من هذه الوجبات!»	«أنا استمتع فعلا بطهو الطعام لذلك أقوم به بالتناوب أنا وزوجى، ثم إنه لا يشكل عبئًا كبيرا، فهو لا يحدث كل يوم ...؟ «التجول فى الأسواق معناه قضاء نصف يوم الإجازة فى التسوق»	كانت التكلفة أهم عامل مؤثر فى اختيار الطعام. إن الزيادات فى أسعار الطعام، فى سبيلها – بالفعل – لأن تلقى بضغطها على الأشياء الأخرى ، إلا أنه لا بد أن يكون الطعام أهم شىء.
الوثيقة رقم ١	كتيب أصدرته وزارة الصحة عن الأطفال والطعام الصحى.	اجعلى من تناول الطعام مسألة أسرية مبهجة، اجتمعوا معا حول المائدة.	«فى هذا الكتيب اب نهدف إلى تزويدك بمعلومات واضحة عما هو مفيد لطفلك ولك – وهذه المعلومات تستند إلى الدليل الصحى والعلمى».		ليس من الضرورى أن يحتاج إعداد وجبة مكونة من عناصر طازجة إلى وقت طويل. حاولى تجربة هذه الوصفات الغذائية البسيطة.	الطعام الجيد يتكلف – بالفعل – أحيانا ثمنا أكثر قليلا ، ولكنه يستحق هذه التكلفة حتى تعرفى أن طفلك سيكبر وهو يتناول الطعام الذى يفيده...».



تبين الخطـوط المكونة من شُرَط بعض تقنيات التحليل التـى من الممكن تطبيقها على بياناتـك. أرجو أن تتذكر أن هذه التقنيات ليسـت إلا خطوطا إرشادية عامة - فتقنيات جمع البيانات التى تستخدمها تعتبر خاصة بمشروعك وحده.

(*) هذا الرسم البيانى يفرق بين البيانات الكمية والكيفية. والهدف من ذلك هو التوضيح فحسب! (إذ إن البيانات المستمدة من الملاحظة، مثلا، قد تكون كمية وكيفية أيضا).

المراجع وقراءات للاستزادة

Field, A. (2009) *Discovering Statistics Using SPSS*, 3rd edn, London: Sage.

Grbich, C. (2007) *Qualitative Data Analysis: An Introduction*, London: Sage.

Ritchie, J. and Lewis, J. (2003) *Qualitative Research Practice: A Guide for Social Science Students and Researchers*, London: Sage.

Seale, C., Gobo, G., Gubrium, J. F. and Silverman, D. (2007) *Qualitative Research Practice*, London: Sage.

Wright, D. B. and London, K. (2009) *First (and Second) Steps in Statistics*, 2nd edn, London: Sage.

الفصل الثالث

التحليل الإحصائى

محتويات الفصل

- تحليل البيانات الكمية.
- استعمال التحليل الإحصائى لتلخيص بياناتك ووصفها.
- تطوير التحليل .
- استخدام التحليل الإحصائى فى معالجة أسئلة البحث .
- اختبار العلاقات : اختبار باستعمال كاى تربيع.
- اختبار العلاقات : معامل الارتباط - معامل ارتباط بيرسون.
- التحليل الإحصائى كعملية.
- عرض نتائج التحليل الإحصائى.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

يمكّننا التحليل الإحصائى من :

- تلخيص البيانات التى جمعناها ووصف هذه البيانات.
- وصف ملامح البيانات بطرق تساعدنا على تمييز الجوانب ذات الصلة بأسئلة بحثنا.
- استكشاف واختبار العلاقات القائمة بين المجموعات المختلفة من البيانات.

فى هذا الفصل سنمعن النظر فى كل ملمح من هذه الملامح التى يتصف بها التحليل الإحصائى من حيث صلتها بعملية معالجة وتحليل البيانات بهدف المساعدة فى الإجابة على أسئلة البحث.

نقترح أن تقرأ الفصل الثانى من هذا الباب قبل قراءة هذا الفصل.

فــى هذا الفصل نقدم تقنيات التحليل الإحصائى التى تمكنك من فحص البيانات الكمية التــى جمعتها. ونظــرًا لتطور البحث الاجتماعى، وخاصة مــا تم منه باستعمال كل من المســوح الاجتماعيــة الواسعة النطــاق والتى تهدف لاكتشــاف ما يفكر فيــه الناس وما يعملونه، من جهة، وما قامت به الحكومة وغيرها من المنظمات من جمع وتحليل للبيانات بهــدف توفير المعلومات اللازمة لصناعة القرار السياســى ولتطوير الخدمات وتقسيمها مــن جهة أخرى؛ نقــول: نظرًا لذلك تم تطويــر التقنيات الإحصائيــة للمساعدة فى فهم البيانات المجموعة. وقد أصبح التحليل الإحصائى ميسرا من خلال تكنولوجيا المعلومات والاستعمال المتنامى للحواسب الآلية فى عد وحساب الإحصائيات المعقدة المتعلقة بمقادير ضخمة من البيانات التى من شأن عدها يدويا أن يكون عملا شاقا ومستنفذا للوقت.

ورغم أن التقنيات الإحصائية معقدة أحيانا، فإنها لا تعدوا أن تكون أدوات تساعدنا فــى معالجة البيانات التى جمعناها بطريقة منهجية. وهذه التقنيات لا تقوم بالتحليل نيابة عنــا، وإنما هى تزودنا ببعض الطرق البسيطة، وكذلك بعض الطرق المعقدة، لفحص ومعالجــة بياناتنا. إذ تعتمــد هذه التقنيات الإحصائية ـ فعــلا - على النظريات والصيغ الإحصائيــة، كما أن كثيرا من دارسى البحث الاجتماعى لا يملكون المعرفة والمهارات فى الرياضيات اللازمة للفهم والاستعمال الكاملين للتقنيات الأكثر تعقيدًا.

بحثــك

مــع أن حــزم البرمجيات الحاسوبيــة، والتى منهــا الحزمة الإحصائيــة للعلوم الاجتماعيــة SPSS (فصل 9) توفر - بالفعــل - للدارسين وسيلة الاستفادة بالتقنيات الإحصائيــة بدون أن يكون لديهم الاستيعــاب الكامل للنظرية الرياضية التى ترتكز عليهــا هذه التقنيات، فإنه ينبغى عليك أن تتنبه إلى أن من الضرورى أن تتفهم جيدا هدف كل تقنية إحصائية حتى تكون قادرًا على استخدامها استخداما فعالا، وعلى ما هو أهم من ذلك: وهو أن تفسر هذه النتائج.

إن مــا نحــاول القيام به هنا هو إطلاعــك على مجموعة من الطــرق الأساسية للمعالجة الإحصائية لبياناتك تتناسب مع كثير من البحوث ذات النطاق الصغير، وإرشادك للأساليب الأكثر تعقيدًا إن كنت ترغب فى الانتقال بدراستك التى تجريها فى هذا المجال إلى مدى أبعد مــن ذلك. إننا نطلعك على استعمال حزم البرمجيات، التى منها الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية فى الفصل 9 من هذا الباب، كما سنشير إلى هذه الحزم فى هذا الفصل أيضا.

ما الإحصائيات؟

1 - هى «حقائق أو أحكام كمية» (قاموس أوكسفورد للإنجليزية)

وفى البحث الاجتماعى ينطبق مفهوم الإحصائيات على البيانات المقننة القابلة للعد والحساب أو المعبر عنها فعلا بعبارات عددية. وعادة ما تجمع هذه البيانات باستعمال استبيان أو استمارة (فصل 3 باب 3)

2 - «هى أى سمة من السمات العددية لعينة ما» (قاموس أوكسفورد للإنجليزية).

وقد تم تطوير واستخراج كثير من تقنيات التحليل الإحصائى من واقع استعمال العينات المختارة من مجتمع بحث ما (فصل5 باب2) بوصف هذه التقنيات الأساس الذى يقوم عليه جمع البيانات فى كل من العلوم الطبيعية والاجتماعية. فالإحصائيات هى سمات العينة التى يمكن عدها، مثال ذلك: عدد الرجال، عدد الأفراد التى يقرؤون جريدة الديلى ميل، وعدد الطلبة الحاصلين على ثلاثة تقديرات «ممتاز».

كلا التعريفين مفيد لنا ونحن نبدأ التفكير فى إجراء تحليل إحصائى.

سوف تشتمل معظم البحوث الاجتماعية التى ستطلع عليها وتنتفع بها على شىء من التحليل الإحصائى للبيانات. فالمسوح ذات النطاق الكبير، والتعدادات السكانية والبحوث التى تستخدم الاستبيانات المقننة أو الاستمارات فى جمع البيانات تتلاءم مع تحليلها إحصائيا لأن البيانات مجموعة داخل قالب مقنن سبق تجهيزه لهذا الغرض. وينصب التأكيد هنا على حساب عدد الإجابات المختلفة التى أجيب بها على كل سؤال، وعلى النتائج التى يتم - فى العادة - عرضها فى جداول وخرائط ورسوم بيانية. إن أنسب استعمال للتحليل الإحصائى هو فى البحث الذى يجمع البيانات المستمدة من عينة احتمالية لمجتمع بحث معروف، حيث يمكنك تطبيق تقنيات التحليل الإحصائى على هذه العينة ثم تستخلص استقرائيا، أو تعمم نتائجك لتنطبق على مجتمع البحث بأكمله، وليس على هذه العينة فقط. وأيا ما كان الأمر فإن كثيرا من هذه التقنيات تعتبر مناسبة كذلك لنوع المشروعات البحثية الاجتماعية الصغيرة النطاق، والتى يقوم بها الطلاب وغيرهم وليست قائمة على أساس عينة احتمالية بل تجمع البيانات المقننة من مجموعة حالات ممثلة باستعمال طريقة مناسبة لاختيار العينة، كطريقة العينة الحصية مثلا. (فصل 5 باب 2).

ما الدلالة الإحصائية؟

الدلالــة الإحصائية أو المعنوية الإحصائية هي حكم يتعلق بمدى رجحان النتيجة الملحوظة، ليس إلا. وهى لا تضمن أن شيئا مهما أو حتى شيئا له معناه قد عثر عليه. (هايس، 1993، ص68).

1 - يتـم تصميم اختبارات الدلالــة الإحصائية لاستعمالها مع البيانات التى تجمع من عينة مأخوذة مــن مجتمع بحث ما. وعادة ما يتم اختيار هذه العينة لتمثل مجتمع بحث محــددًا تمثيلا إحصائيا. والهدف الرئيسى لاختبــار الدلالة الإحصائية هو توفــير مقياس يقيس مــدى احتمال أن العلاقات الموجودة فــى البيانات المستمدة من هذه العينة سوف توجد أيضا فى مجتمع البحث الأوسع نطاقا. ومن شأن هذا الاختبار أيضا أن يبين مدى الاحتمال الإحصائى لأن تكون العلاقات القائمة بين البيانات الموجودة فى العينة غير موجودة فى مجتمع البحث الأوسع نطاقا.

يجــب على الباحث أن يحدد مــا هو مستعد لقبوله من مستــوى الخطر الماثل فى كون بيانات عينته مختلفة عما هو متوقع وجوده من وقائع فى مجتمع البحث الكبير. إن مستوى الخطر الذى يشيع استعماله أكثر من غيره هو: احتمال < 0.05، أو 5 % احتمال أن العلاقات الموجودة فى بيانات العينة لن توجد فى مجتمع البحث الكبير.

ولا ريب أننا لا نستطيع أن نكون واثقين من أن عينتنا تعتبر، أو لا تعتبر، من تلك العينات المذكورة ذات الاحتمال 5 %، إلا أننا نستطيع بواسطة إمعان النظر فى مستــوى الاختبار الإحصائى أن نتوصل إلى شيء مــن الثقة بأن نتائجنا تعكس تلك النتائج التى من شأنها أن توجد فى مجتمع البحث الأكبر.

2 - تستعمــل الدلالــة الإحصائية كذلك لبيان احتمال أن تكون نتيجة معينة مثل كاى تربيع، قد حدثت مصادفة. ففى المثال الخاص بكاى تربيع فى موضع لاحق من هذا الفصل، طرحنا فرضا صفريا بأنه لا توجد علاقة بين المتغيرين المذكورين. فــإن وجدنــا أن هذه النتائــج ذات دلالة إحصائيــة أمكننا حينئــذ أن نرفض هذا الفرض الصفرى. والمستوى المقبول للدلالة الإحصائية، والذى يستعمله معظم الباحثــين الاجتماعيين هو ح (احتمــال). < 5.0 أى: احتمال 5 % لعدم وجود علاقة بين المتغيرين.

من الملائم كذلك أن يعتمــد الباحثون الاجتماعيون على أبحاث غيرهم، لذلك يتعين عليهم أن يكونوا قادرين على قراءة وفهم التقنيات الإحصائية التى يستعملها غيرهم من الباحثين. وسوف يساعدك هذا الفصل فــى فهم بعض التقنيات التى يستعملها الباحثون الآخرون وفى الوصول إلى فهم أفضل لنتائج بحوثهم.

بحثــك

الاتجاهات الاجتماعية

يُنشر تقرير «الاتجاهات الاجتماعيــة» كل عام (وهو الآن متاح للجمهور وتم آخــر دخول عليه فــى سبتمبر 2009، على موقــع www.socialtrends.gov.uk). يقدم التقرير إحصائيات تتعلق بمجموعة من الموضوعات الاجتماعية، وهذه البيانات مأخوذة من مصادر حكومية وغير حكومية. وتقدم البيانات فى تشكيله من القوالــب - كالجداول، والخرائط والرسوم البيانية - ويوفر موجز للنقاط الرئيسية ذات الأهمية فى هذه البيانــات الأساس الذى تقوم عليه المناقشة. من خلال قراءتك لمثــل تلك التقارير تستطيع اكتساب فهــم للبيانات الإحصائية وللطريقة التى يمكن أن تعرض بها فى أفضل صورة.

تحليل البيانات الكمية

إن أى تحليــل للبيانات الاجتماعية يزيد عن مجرد كونــه تلخيصا للبيانات التى سبق جمعهــا. فالتحليل (انظر قائمة المصطلحــات) هو عملية معالجة للبيانــات بهدف تلخيص وبيــان وتفسير هذه البيانات فى ضوء أسئلة البحث أو فرض المشروع البحثى. وتحليل البيانــات الكميــة عملية (انظر قائمــة المصطلحات) تجرى فى ثــلاث مراحل. وتعد كل مرحلة من هــذه المراحل مهمة لأننا نعمل بهدف الوصول إلى مجموعة من النتائج التى ستساعدنا فى الإجابة على أسئلة بحثنا أو فى اختبار أحد الفروض.

يمكننا التحليل الإحصائى للبيانات من:

- تلخيص البيانات التى جمعناها ووصف هذه البيانات.
- ووصف ملامح البيانات بطرق تساعدنا فى تمييز الجوانب ذات الصلة بأسئلة بحثنا.
- واستكشاف واختبار العلاقات القائمة بين المجموعات المختلفة من البيانات.

وســوف نصحبك فى هذه الفقرة على امتداد مراحل هذه العملية ونحن نبحث الطريقة التى يتطور التحليل وفقا لها. سوف نستعمل بعض البيانات المتخيلة والمستمدة من استبيان عــن التواصل الاجتماعى عــبر شبكات الكومبيوتر فى أجزاء من هــذه الفقرة. يمكن أن

يستعمل هذا الاستبيان فى جمع بيانات عن الطريقة التى يتبعها الأفراد فى عقد اللقاءات الاجتماعية والحفاظ على الاتصال بالأصدقاء والأسرة، كما يهتم الباحث بصفة خاصة بما إذا كان الرجال والنساء مختلفين فى الطرق التى يتبعونها فى هذا الشأن أم لا، ومهتم كذلك بما إذا كان السن مرتبطا باستعمال الوسائل المختلفة للاتصال أم لا. نقدم أولا جزءًا مستخلصا من هذا الاستبيان المتخيل، وبه أسماء المتغيرات ملحقة بكل سؤال/ متغير.

فكر فى هذا الموضوع . . .

تذكير: فى الفصل 2 من هذا الباب، قدمنا بعض السمات الأساسية للطريقة التحليلية فى معالجة بياناتك.

البيانات المقننة

السمتان الأساسيتان للبيانات المقننة هما:

(أ) أن الأسئلة تكون هى هى نفسها لكل مشارك أو لكل حالة؛

(ب) وأنه توجد، نموذجيا، مجموعة مشتركة من الأجوبة لكل سؤال.

المتغيرات واستحداث متغيرات جديدة

- المتغير هو مجموعة أجوبة على سؤال ما.
- يمكن استحداث متغيرات جديدة من واقع البيانات عن طريق جمع الأجوبة التى أجيب بها على متغير أو أكثر من متغير، مثل السن/الجنس.
- يبين عدد مرات تكرار كل متغير مقدار ظهور كل إجابة أو ترميزة أعطيت لكل متغير.
- تبين الجداول المزدوجة العلاقة بين متغيرين أو أكثر داخل قالب جدولى.

الأكواد

الأكواد هى الأسماء أو محددات الهوية المعطاة لكل إجابة من الأجوبة الموجودة فى مجموعة متغير ما. سوف نستعمل هذه الأكواد فى هذه الفقرة، كما أنك قد ترغب فى الرجوع إلى الفصل 2 من هذا الباب.

المثال (3-1)

استبيان التواصل عبر الشبكات الاجتماعية

اسم المتغير

1 - هل أنت ذكر ☐ أنثى ☐ — النوع

2 - أى مجموعة عمرية يقع سنك فيها؟

١٦-٢٤ سنة	
٢٥-٤٤ سنة	
٤٥-٦٤ سنة	
٦٥ سنة فما فوق	

المجموعة العمرية

3 - أى هذه الأنشطة تشارك فيها أثناء وقت فراغك؟ — وقت الفراغ

(الرجا وضع علامة على كل الأنشطة التى تنطبق على حالتك)

		اسم المتغير
مشاهدة التليفزيون		تليفزيون
الاستماع للموسيقى		موسيقى
الإنترنت (بخلاف ألعاب الكومبيوتر)		النت
قضاء الوقت مع الأصدقاء/ الأسرة		أصدقاء/ أسرة
الذهاب إلى الحانات/ النوادى		حانة
الألعاب الرياضية/ أنشطة التدريبات		العاب رياضية
ممارسة ألعاب الكومبيوتر		ألعاب الكومبيوتر

4 - ما مدى تكرارية استخدامك للإنترنت فى وقت فراغك (بخلاف ألعاب الكومبيوتر)؟ — نت وقت فراغ

كل يوم	
من ثلاثة أيام إلى ستة فى الأسبوع	
يوما أو يومين فى الأسبوع	
أقل من مرة فى الأسبوع	
لا أستخدمه إطلاقا	

5 – ما عدد الساعات التى تقضيها كل أسبوع ، تقريبا ، فى استخدام الإنترنت؟

ساعة ---	ساعات النت

٦ – مـا الطرق التى أنت معتاد على اتباعها فى الحفاظ علـى الاتصـال بأصدقائـك المقربـين أو أسرتـك (بخلاف من يعيشون مثلك فى نفس المنزل)؟ — الاتصال

(الرجاء وضع علامة على الطرق التى تنطبق على حالتك) (كود متعدد)

المقابلة الشخصية		شخصيا
المكالمة التليفونية		التليفون
إرسال رسالة مكتوبة		نص
البريد الإلكترونى		إيميل
الخطابات البريدية		خطاب
الإنترنـت، مثال ذلك: غرفـة الدردشة، وموقع التواصل الاجتماعى ، مثل الفيس بوك ، والرسائل الفورية، والتويتر.		اتصال النت

(6 «أ») إن كنـت استخدمـت الإنترنـت بالأمـس للانتفـاع بغرفة دردشة، أو موقع تواصـل اجتماعى، أو رسائل فورية، أو تويـتر وما أشبه ذلك ـ فكم دقيقة قضيتها فى هذا النشاط بالأمس.

(الرجاء إعطاء إجابتك لأقرب 15 دقيقة (أى: أقرب ربع ساعة)

وقت التواصل على النت

الساعات	الدقائق
------	-----

7 – أتميل إلى وصف نفسك باعتبار أنك :

(الرجاء وضع دائرة حول الرقم الذى ينطبق على حالتك) اجتماعى

اجتماعى جدا	اجتماعى إلى حد معقول	لا اجتماعى ولا غير اجتماعى	غير اجتماعى إلى حد ما	غير اجتماعى تماما
١	٢	٣	٤	٥

الأنماط المختلفة للبيانات الكمية

قدمنا فى الفصل الثانى من هذا الباب فكرة المتغير باعتبار أنه تلك المجموعة من فئات أو أكـواد البيانات المتصلة بسـؤال واحد أو بمعلومة واحدة: لذلـك، فإنه فى الاستبيان الخاصـ بالتواصل عبر الشبـكات الاجتماعية، فى السؤال الأول («هـل أنت ذكر أم أنثى؟»)، يكون المتغير هو «النوع». وتشكل المتغيرات الأساس الذى يقوم عليه التحليل الإحصائـى، إذ إن البيانات التى نعالجها هى مجموعة الإجابات أو الأكواد المتصلة بكل متغـير على حدة، ونحن الآن نركز على دراسة وبحـث هذه البيانات. يوجد عدد من الأنمـاط المختلفة للمتغير، كمـا أن بإمكانك أن تستخدم تقنيات مختلفـة بأساليب مختلفة مـع كل نمط على حدة، لذلك يتوجب علينا أن تميز بينها. ويصف الجدول رقم (3-1) الأنماط الرئيسية الأربعة للمتغير.

الجدول رقم (3-1) الأنماط الأربعة الرئيسية للمتغيرات

نمـط المتغير	الوصف التفصيلى
متغير النسبة	متغـير النسبة هو متغير يكون فيه الفرق بين كل إجابة أو فئة متماثلا، كمـا يوجد فيه صفر مطلق على المقياس. من الممكن إجراء عملية الضرب وعملية القسمة (أى: تكوين النسب أو المعدلات) بين قيم المتغيرات. فـى هذا المثال يتسـاءل المتغير المسمى «نت وقت فـراغ»[*] int time عن متغـير نسبى، وذلـك لأن كل الإجابات عبارة عن وحـدات لساعة واحدة، لذلك فإن من يقول إنه استخدم الإنترنت لمدة عشر ساعات يكون قد استخدمها ضعف المدة التى استغرقها من استعملها لمدة خمس ساعات، كما أن من الممكن لأحد المشاركين ألا يستعمل الإنترنت إطلاقا ـ أى إن عدد الساعات هنا صفر.
متغير الدورة /أو الفترة	متغـير الدورة/ أو الفترة مماثـل لمتغير النسبة فى كون الفرق بين كل واحدة من الإجابـات أو الفئات متماثلا، إلا أنه لا يوجد به صفر مطلق. مثال ذلـك، أن مقياس فهرنهايت ومقياسـ سلسيوس لدرجات الحرارة فيهما درجتان مختلفتان للصفر.

[*] المتغير الذى تظهر كل إجاباته فى صورة وحدات مكونة من ساعة واحدة وتكراراتها هو المتغير المسمى «ساعات النت» inthours، وليس «نت وقت الفراغ» inttime. (المترجم)

متغير الرتبة	متغـير الرتبـة هو المتغير الذى يمكـن فيه وضع الفئـات أو الأكواد في رتب متفاوتـة – أعنى بذلك أن بالإمكان أن نقـول أن فئة أو كودا أكبر أو أهم من فئة أخرى أو كود آخر. إلا أن الفرق بين كل اثنتين من الفئات ليس متماثلا. ففى السؤال رقم ٧ يعتبر المتغير المسمى «**اجتماعى**» متغير رتبة بسبب وجود نظام رتب لفئات الأجوبة ـ فالشخص «**الاجتماعى جدًا**» يعتبر أكثر اجتماعية من الشخـص «**الاجتماعى إلى حد معقول**» (ولكنه ليس بالضرورة ضعفه، فى صفـة الاجتماعية). وبالمثـل، فإن المتغير «**المجموعـة العمرية**» يعتبر متغـير رتبة، إذ إن الأفـراد الموجودين فى الفئة رقم٢ (ما بين ٢٥-٤٤ سنه) يعتبرون أكبر سنا من أفراد الفئة رقم ١ (ما بين ١٦-٢٤سنة)، كما أن هاتين الفئتين ليستا متماثلين فى الحجم. والكود الرقمى المخصص للأفراد من حيث مدى اتصافهم بالاجتماعية يعكس نظام الرتب الخاص بهذه الفئات.
المتغير الاسمى	المتغـير الاسمى هـو مجرد مجموعة من الأسمـاء. بعبارة أخرى، لا ترتبط مجموعة فئات هذا المتغير ببعضها البعض من حيث الكمية. يعتبر الكود المتعدد «وقت الفراغ» متغيرا اسميًا حيث لا تزيد كل إجابة عن ذكر اسم النشاط، كما أن أى نشاط ليس أكثر أهمية أو أضخم من أى نشاط آخر. يتم تخصيص إجابتين اثنتين، أو كودين اثنين فقط لعدد كبير تماما من المتغيرات، مثل: ذكر/أنثى، نعم/لا. وتعرف هذه المتغيرات بالمتغيرات الثنائية. فى معظم المواقف يمكننا النظر إلى هذه المتغيرات باعتبارها نمطا معينا من المتغير الاسمى، إذ إن الأجوبة تكون مختلفة ولكنها ليست مرتبة تبعا لدرجة الأهمية.

استعمال التحليل الإحصائى لتلخيص بياناتك ووصفها

بوصفـك باحثا، لابد أن تتصرف كوسيط بـين البيانات التى جمعتها والأفراد الذين سيهتمـون بما توصلت إليـه من نتائج. ويتمثل دورك فى معالجـة البيانات الخام وفى تقديم تفسير لهذه البيانات فى شكل يلخصها ويظهر مدى ارتباطها بأسئلة بحثك. وتكون الأولوية عند معظم الباحثين هي العثور على طرق لتلخيص البيانات – ومع ذلك، فإن قارئك لن يرغب فى معظم الأحوال فى قراءة كل استبياناتك من أولها لآخرها ليعرف أحوال مستجيبيك.

ولمساعدتك على القيام بهذا العمل، سنقدم عددا من الطرق التى تتبعها فى النظر إلى بياناتـك وفى استخدام ما يسمى كثيرا بالإحصائيات الوصفية. وهى إحصائيات تلخص البيانات التى سبق لك أن جمعتها فيما يتصل بكل متغير، وذلك فى ضوء:

● تكرار ظهور كل إجابة أو كود.
● وكيفية توزيع هذه الأجوبة على هذه الأكواد.
● والإحصائيات الموجزة: والتى منها مثلا: المتوسطات، والوسائط (جمع وسيط)، والمنوالات، والنسب المئوية.

وقد ذهبنا فى الفصل 2 من هذا الباب إلى أنك تستطع أن تبدأ استكشاف معالم بياناتك بالنظر إلى الكيفية التى تتوزع وفقا لها أجوبة أسئلة بحثك أو أكوادها - وبتعبير آخر، كم عدد الحالات التى سجلت لكل كود على حدة؟ ويمكن لهذه الحقيقة أن تعرض فى جدول تكرارى، وهو الذى يعد نقطة البداية فى تحليلك (وقد أدرجنا مثالا لجدول تكرارى فى المثال رقم (3-2). حينئذ يمكنك أن ترى «شكل» بياناتك، وأن تصف أو تلخص البيانات ذات العلاقة بكل متغير باستخدام أشكال بيانية بسيطة مع بعض الإحصائيات الوصفية.

وصف العينة

من المفيد أن تبدأ بوصف الخصائص التى تتسم بها عينتك أو حالاتك. قد يشتمل هذا الوصف، مثلا على سلسلة من الرسوم البيانية أو الجداول التكرارية التى تظهر ما فى هذه العينة من توزيعات العمر، ومستويات الدخل والنوع. كثيرا ما تستخدم الأعمدة البيانية البسيطة لتبين توزيع خصائص عينتك فى صورة مرئية - تستطيع حزم البرمجيات مثل SPSS وإكسل مساعدتك فى القيام بهذا العمل (انظر فصل 9)؛ سيساعدك ذلك فى التعرف على ملامح عينتك حتى تستطيع البدء فى استكشاف العلاقات القائمة بين هذه الخصائص من جهة والمتغيرات الأخرى من جهة أخرى.

المثال رقم (3-2)

وصف العينة

فى المثال الخاص بالتواصل عبر الشبكات الاجتماعية قد تحتاج لأن تبدأ باستكشاف الفروق فى التواصل عبر الشبكات الاجتماعية بين المستجيبين الذكور والإناث، وكذلك بين المجموعات العمرية المختلفة. ابدأ باكتشاف توزيع عينتك عبر الفئات العمرية وفقا للنوع، وذلك حتى تتمكن من التحقق مما إذا كانت توزيعات الذكور والإناث تختلف باختلاف السن من عدمه.

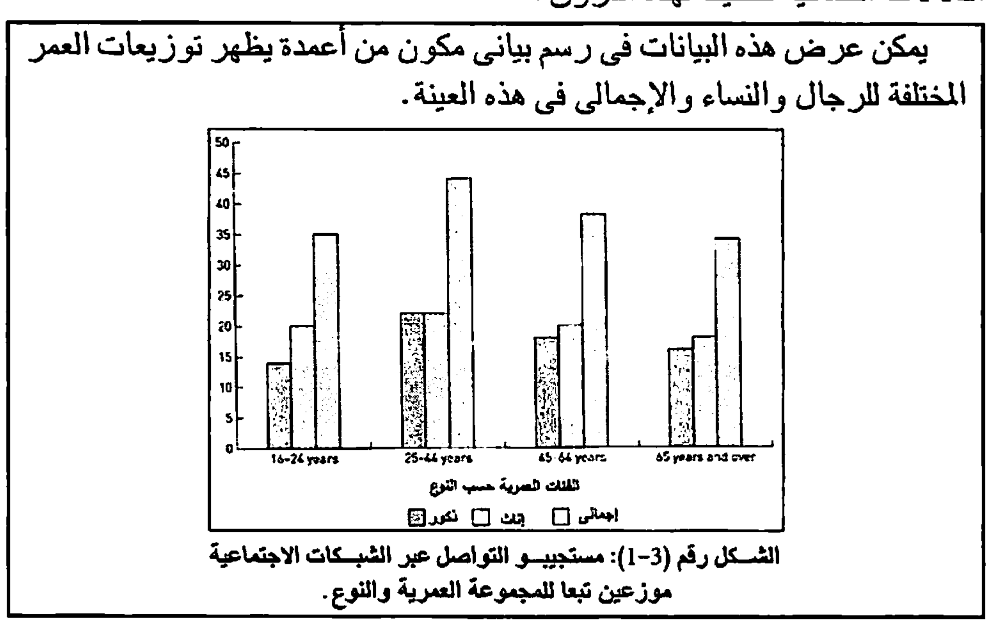
جـدول رقم (3-2) : مستجيبو التواصل عبر الشبـكات الاجتماعية موزعين تبعا للمجموعة العمرية والنوع (أ)

هذا أمر لافت للنظر

المجموعة العمرية	عدد الذكور	النسبة المئوية للذكور	عدد الإناث	النسبة المئوية للإناث	الإجمالى	النسبة المئوية للإجمالى
١٦-٢٤ سنة	١٤	٪٢٠	٢٠	٪٢٥	٣٤	٪٢٢,٦
٢٥-٤٤سنة	٢٢	٪٣١,٤	٢٢	٪٢٧,٥	٤٤	٪٢٩,٣
٤٥-٦٤ سنة	١٨	٪٢٥,٧	٢٠	٪٢٥	٣٨	٪٢٥,٣
٦٥ سنة فأكثر	١٦	٪٢٢,٩	١٨	٪٢٢,٥	٣٤	٪٢٢,٦
الإجمالى	٧٠	٪١٠٠	٨٠	٪١٠٠	١٥٠	٪٩٩,٨

يصف المثال رقم (3-2) توزيع عينة من 150 فردا. تضم هذه العينة عددا من النساء أكبر قليلا مـن عدد الرجال، كما يوجد عدد أكبر من الرجـال والنساء فى المجموعات العمرية الوسطى الواقعة بين 25-44 سنة وبين 45-64. يعد التوزيع العمرى للذكور والإنـاث مختلفا اختلافا طفيفا حيث يوجـد، مثلا، 20 % من الذكور فقط فى المجموعة العمريـة الأصغـر مقارنة بنسبة 25 % من الإناث. ونظـرا لأن أحد أهداف تحليلنا هو بحـث الفروق بـين الرجال والنسـاء وبحث المجموعـات العمرية المختلفـة فيما يتصل بخبراتهـم بالتواصل عبر الشبكات الاجتماعية، فإنه يتوجب علينا أن نتوقف ونفكر فى الدلالات الضمنية لتحليلنا لهذه الفروق.

يمكن عرض هذه البيانات فى رسم بيانى مكون من أعمدة يظهر توزيعات العمر المختلفة للرجال والنساء والإجمالى فى هذه العينة.



الشـكل رقم (3-1): مستجيبـو التواصل عبر الشبـكات الاجتماعية موزعين تبعا للمجموعة العمرية والنوع.

قـد نسأل أنفسنا عما إذا كانت توجد حـالات فى المجموعة الصغرى كافية لأن تمكننا مـن القول بأن إجاباتهم تمثل بالفعل هـذه المجموعة أم لا. فى هذه الحالة فإن المجموعة الصغـرى هى مجموعـة الرجـال الواقعة أعمارهم بـين 16-24 سنـة، وعددهم 14 حالة. والمجموعتان الكبيرتان هما مجموعة الرجال الواقعة أعمارهم بين 25-44 سنة ومجموعة النساء الواقعة أعمارهن بين 25-44 سنة وكل واحدة من المجموعتين تتكون من 22 حالة. ونظرًا لأن هذا بحث ذو نطاق محدود، فمن المستبعد أننا سنكون قادرين على معالجة هذا الوضع بالحصول، مثلا، على المزيد من الحالات.

عند هذه المرحلة من التحليل ينبغى أن نسجل هذه الفروق وأن نحتفظ بها فى أذهاننا ونحن نواصل المضى قدما فى التحليل. وقد نفكر لاحقا فى جمع المجموعات العمرية فى مجموعتين بدلا من أربع مجموعات، منشئين بذلك مجموعتين بكل واحدة منهما عدد أكبر من الأفراد.

المثال رقم (3-3)

استعمال النسب المئوية

تبـين النسبـة المئوية كل قيمة فى جدولـك التكرارى باعتبارها جـزءا من هذا المقدار الكلى (فى حالة أن الكل يساوى 100%). يتم استخراج النسبة المئوية على النحو التالى:

$$\frac{\text{عدد الحالات فى الفئة}}{\text{العدد الإجمالى للحالات}} \times 100$$

مثـال ذلك أن النسبة المئوية للرجال الذين فى المجموعة العمرية من 16-24 سنة تساوى:

$$\frac{\text{١٤ (عدد الرجال فى تلك المجموعة العمرية)}}{\text{٧٠ (العدد الإجمالى للرجال)}} \times 100 = 20\%$$

ويمكـن أن يكون تحويل ما فـى بياناتك الخام من توزيعـات تكرارية إلى نسب مئويـة مفيـدا لك فى هذه المرحلـة، إذ إن هذا سيمكنك من مقارنـة المجموعات ذات الأحجـام المختلفة. فـى المجموعة العمرية مـن 25-44 سنة يوجـد 22 رجلا و 22 امـرأة. إلا أن العدد الإجمـالى للرجال يبلغ 70 رجلا، والعدد الإجمالى للنساء 80 امـرأة، وبهذا يشـكل 22 رجلا نسبة مئوية أكبر، أو قدرا أكـبر نسبيا، من إجمالى الرجال - هو 31.4 %- بينما تشكل 22 امرأة نسبة 27.5 % من إجمالى عدد النساء.

ماذا يكون لو احتجنا إلى معرفة توزيع الرجال والنساء فى كل مجموعة عمرية؟

يمكـن استعمال نفس الجدول ولكن تستخرج النسـب المئوية على أساس المجموعات العمريـة (الموجودة فى كل صف) وليس فى كل عمـود (حيث توجد مجموعتا النوع). لاحظ أن النسبة المئوية الكلية (وهى 100 %) موجودة فى العمود الأيمن فى هذه الحالة.

بحساب النسب المئوية لـكل مجموعة عمرية يمكننا أن نرى أن توجد نسبة مئوية من النساء أعلى من نسبة الرجال فى كل مجموعة عمرية، وذلك بصرف النظر عن المجموعـة العمرية الواقعة بين 25–44 سنة والتى يمثـل الرجال 50 % منها وتمثل النســاء 50 % منها. وهذا أمر متوقع لأنه يوجد فى هـذه العينة عدد من النساء أكبر من عدد الرجال. ومع ذلك يظهر حساب النسب المئوية أيضا أن أصغر المجموعات العمرية سنا تتألف من 58.8 % من النساء (حاصل قسمة 20 امرأة فى هذه المجموعة علـى إجمالى أفراد المجموعة وهـو 34، مضروبا فى 100) بجانب أصغر مجموعة رجاليـة عددا (وهى 14 فـراد). لا بد من تدوين ذلك واستحضـاره فى الذهن عند إمعان النظر فى الخصائص والسمات الأخرى لهذه المجموعة العمرية.

جدول رقم (3-3) مستجيبو التواصل عبر الشبكة الاجتماعية موزعين تبعا للمجموعة العمرية والنوع (ب)

هذه النسبة لافتة للنظر

المجموعة العمرية	عدد الذكور	النسبة المئوية للذكور	عدد الإناث	النسبة المئوية للإناث	الإجمالى	النسبة المئوية للإجمالى
١٦-٢٤ سنة	١٤	٤١,٢٪	٢٠	٥٨,٨٪	٣٤	١٠٠٪
٢٥-٤٤سنة	٢٢	٥٠٪	٢٢	٥٠٪	٤٤	١٠٠٪
٤٥-٦٤ سنة	١٨	٤٧,٤٪	٢٠	٥٢,٦٪	٣٨	١٠٠٪
٦٥ سنة فأكثر	١٦	٤٧٪	١٨	٥٣٪	٣٤	١٠٠٪
الإجمالى	٧٠	٤٦,٧٪	٨٠	٥٣,٣٪	١٥٠	١٠٠٪

بحثــك

اختبار جودة البحث

- كـن حذرا عند استعمال النسب المئويـة إذا كان الإجمالى أقل من 20 حالة لأن من المحتمـل أن تكون الأرقام فى كل فئة قليلة. قد تعكـس الفروق الكبيرة فى النسب المئويـة الفروق الخاصة بحالة واحدة فقط أو حالتـين. فكر فى ضم الفئات لإنشاء مجموعات أكبر حجما.

- تحقق من أن النسب المئوية تصل فى مجموعها إلى 100 % (أو قريبا من ذلك). عند حساب النسب المئوية يكون من الممارسات الشائعة أن تقرب هذه النسب إلى درجة عشرية واحدة أو إلى أقرب عدد صحيح - لذلك عندما تجمع النسب المئوية إلى بعضها فقد لا تكون 100 % على وجه الدقة، وذلك كما فى الجدول الوارد فى المثال رقم (3-2) (حيث بلغ إجمالى النسب المئوية 99.8 %).
- تأكد دائما أنك تعمل على أساس الإجمالى الصحيح باعتباره 100 %، وتحقق من اتجاه النسب المئوية فى الجداول المزدوجة - الصفوف أو الأعمدة؟
- عند كتابتك لتقرير عن نتائجك اذكر دائما ما الذى ترتبط به هذه النسب المئوية، فاذكر، مثلا، أن 20 % من جميع الرجال فى العينة كانوا من المجموعة العمرية الواقعة بين 16-24 سنة.

شكل التوزيع

يمكن للوحة الأعمدة البيانية وللمدرجات التكرارية أن تساعدنا فى تصوير شكل توزيع القيم لكل متغير من متغيراتنا، كما أنها تعد أسلوبا فعالا فى تلخيص بياناتنا وفى مساعدتنا على تمييز ما فى بياناتنا من ملامح لافتة للنظر أو مخالفة للشائع أو المتوقع. فى المثال رقم (3-4) سنستعمل البيانات المستخرجة من الاستبيان المتعلق بمدى تكرارية استخدام الرجال والنساء الذين شملتهم العينة للإنترنت، سنستعملها فى إمعان النظر فى توزيعات المتغير المسمى «وقت النت» Inttime.

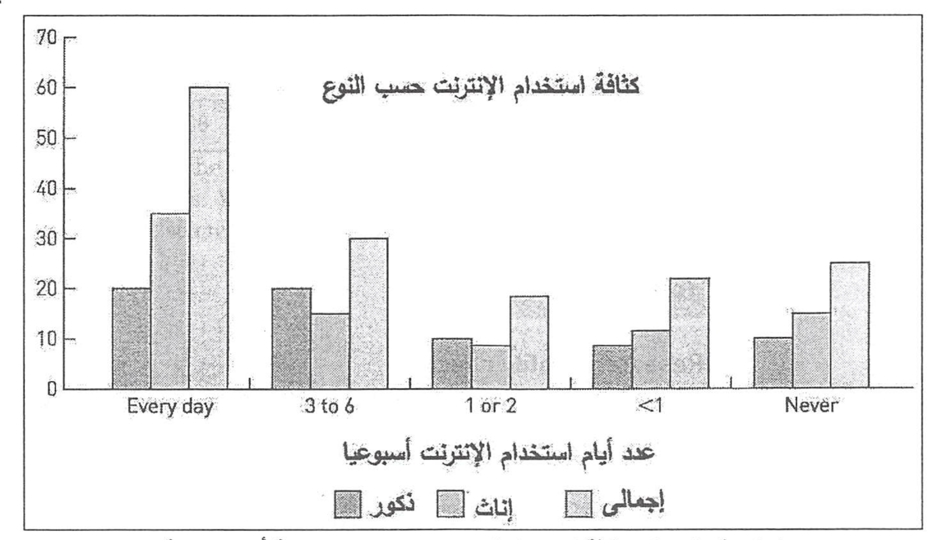
ما المدرج التكرارى؟

المدرج التكرارى هو رسم بيانى يظهر معدل تكرار متغير النسبة أو الفترة حيث تكون القيم متصلة. يتركز كل عمود فى المدرج التكرارى حول النقطة الوسطى أو القيمة الوسطى للفئة التى يمثلها (انظر المثال رقم (3-5) للاطلاع على نموذج للمدرج التكرارى.

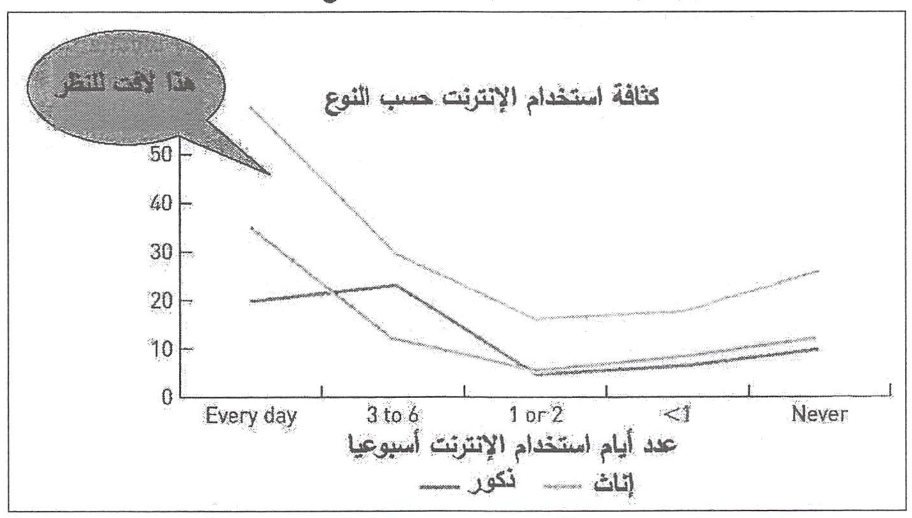
المثال رقم (3-4)

شكل التوزيع

سؤال - 4 : ما مدى تكرار استخدامك للإنترنت فى وقت فراغك (بخلاف ألعاب الكومبيوتر)؟ وقت النت Inttime



شكل رقم (3-2) : كثافة استخدام الإنترنت تبعا للنوع : لوحة أعمدة بيانية



الشكل رقم (3-3) : كثافة استخدام الإنترنت تبعا للنوع : رسم بيانى خطى

إذا وصلنا النقاط الوسطى لكل عمود من الأعمدة المتشابهة اللون ، فإننا نستطيع أن نرى هذا الشكل بصورة أكثر وضوحا . يبين الخط المثل للأرقام الإجمالية (أى الخط الواصل بين النقاط الوسطى لأعمدة الأرقام الإجمالية) أن عدد الإجابات تكون فى أعلى مستوى لها عند الطرفين : أى عند طرف «كل يوم» وطرف «لاتماما» . وأيا ما كان الأمر ، فإننا إذا نظرنا إلى قيم الرجال وقيم النساء كل على حدة ، فإننا نستطيع أن نرى أن شكل التوزيع بالنسبة للرجال والنساء يختلف اختلافا واضحا .

فى هذه المرحلة قد تتسبب نتيجة كهذه فى إثارة مزيد من الأسئلة:

- **هل توجد فروق بين المجموعات العمرية المختلفة من حيث تكرار استخدم الإنترنت؟**
- **هل تعنى هذه النتيجة أن النساء يقضين وقتا أكثر فى استخدم الإنترنت؟**
- **هل توجد فروق أخرى بين الرجال والنساء فيما يتصل بطريقة قضاء وقت الفراغ؟**

من شأن استخدام الجداول والرسوم البيانية - كما فى هذا المثال - أن يمكننا من رؤية الطريقة التى تتوزع وفقا لها الإجابات على أسئلتنا، عبر مجموعة من القيم المتصلة بالمدى - ابتداء من أقل قيمة وانتهاء بأعلى قيمة - والمتصلة بالموقع الذى تتركز فيه معظم الأجوبة. فمقارنة شكل البيانات الخاصة بالمجموعات المختلفة كالمجموعات العمرية أو المجموعات الجنسية مثلا، يمكن أن تكون طريقة مفيدة للبدء فى تمييز الفروق اللافتة للنظر بين هذه المجموعات.

المتوسط (الوسط الحسابى)، والوسيط، والمنوال

ثمة طرق أخرى لتلخيص البيانات قد تستخدم فى التعرف على الفروق القائمة بين المجموعات أو الفئات المختلفة. يعد المتوسط (الوسط الحسابى)، والوسيط، والمنوال، طرقا لتلخيص البيانات المتعلقة بمتغير واحد فى قيمة واحدة، فى كل حالة تتعلق هذه القيمة بقيمة مركزية لهذه البيانات، ومن هنا تسمى هذه الطرق أحيانا بمقاييس النزعة المركزية (انظر قائمة المصطلحات)

- **المتوسط** أو الوسط الحسابى يقدم متوسطا لكل القيم، ويمكن حسابه باستخراجه من بيانات النسبة أو بيانات الفترة .
- **الوسيط** (انظر قائمة المصطلحات) هو النقطة الوسطى فى مجموعة من البيانات، ويمكن استخدامه فى بيانات الرتبة، والفترة، والنسبة.
- **المنوال** (انظر قائمة المصطلحات): يمكن استخدام المنوال مع أى بيانات تضم بيانات اسمية nominal، وهو يشير إلى القيمة الأكثر شيوعا.

مع أن بالإمكان استخدام أى من هذه الطرق فى المراحل المبكرة للتحليل، فإن من المهم أن ننظر أيضا بإمعان فى الطريقة التى تتشتت بها البيانات حول المتوسط، أو الوسيط، أو المنوال - لذلك تأكد من أنك تأخذ فى الحسبان شكل التوزيع «انظر المثال رقم (3-4)» ومدى القيم (أى الفجوة بين أدنى قيمة وأعلى قيمة).

ما هو التوزيع الاعتدالى؟

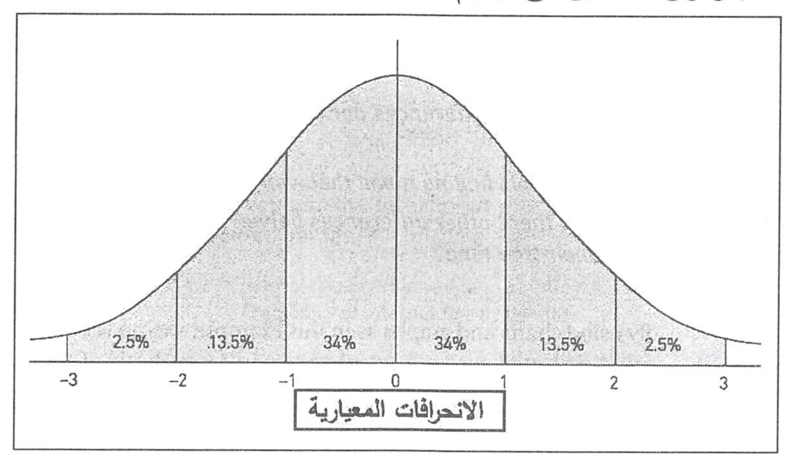
يشير التوزيع الاعتدالى بالمعنى الإحصائى إلى البيانات التى يتم توزيعها بطريقة منتظمة حول نقطة المتوسط فى «شكل ناقوسى». (وقد ناقشنا موضوع التوزيع الاعتدالى فى فصل 5 باب 2، بمناسبة افتراض أن تكون خصائص العينات المسحوبة من مجتمع بحث ما موزعة حول الخصائص الفعلية لمجتمع البحث هذا).

فى البحث الاجتماعى الفعلى، نادرا ما تتوزع البيانات بهذه الطريقة تماما، بالرغم من أن بعض أنماط البيانات يترجح أن تشبه هذا الشكل إلى حد بعيد.

مثال ذلك :

- إذا قست أطوال عينة ممثلة لأطفال من نفس السن، فبإمكانك أن تتوقع أن معظم أطوال الأطفال ستتجمع حول نقطة مركزية، مع وجود أطفال قليلى العدد أطوالهم قصيرة نسبيا وأطفال قليلى العدد طوال جدا.
- النتائج التى يحققها الطلبة فى الاختبارات أو الدرجات التى يحصلون عليها فى الامتحانات يتوقع غالبا أن تتوزع بهذه الطريقة، مع وجود طلبة قليلين حاصلين على درجات عالية جدا أو درجات منخفضة جدا.

فى التوزيع الاعتدالى تكون قِيَم المتوسط، والوسيط، والمنوال موجودة كلها عند النقطة المركزية. وتكون بعض التوزيعات ملتوية Skewed، بمعنى أن لها طرفا أو ذيلا أطول من الطرف الآخر أو الذيل الآخر، كما أن المتوسط، والوسيط، والمنوال سيكونون مختلفين فى قيمهم.



الشكل رقم (3-4) المنحنى الناقوسى الشكل مبينا الانحرافات المعيارية

ما الانحراف المعيارى؟

الانحــراف المعيارى مقياس لتشتت الحالات حــول المتوسط (الوسط الحسابى). حــين تتوزع البيانات فى توزيع اعتــدالى، حيث يقع ما يقرب من ثلثى قيم البيانات الموجــودة داخل نطاق انحــراف معيارى واحد موجود علــى كل جانب من جانبى المتوسط، ويقع 95 % من القيم داخل انحرافين معياريين من المتوسط.

ويحسب الانحراف المعيارى على النحو التالى :

الانحراف المعيارى =

$$\sqrt{\frac{\text{المجموع الكلى (لانحرافات كل قيمة لكل حالة عن المتوسط)}^2}{\text{عدد الحالات}}}$$

أو

$$\sqrt{\frac{\text{مجـ}(\text{س} - \text{م})^2}{\text{ن}}}$$

(حيث مجـ = مجموع، س = القيمة العددية، م = المتوسط، ن = عدد الحالات)

المتوسط (المتوسط الحسابى)

يحســب المتوسط (الوســط الحسابى) بتجميع كل القيم ثــم قسمتها على عدد الحالات. ويمكــن القيام بهــذا الحساب على طريق استخدام جداول تكــرارى، كما فى المثال رقم (3-5). يعطــى المتوسط قيمة وسطى للمتغير، كما أن بالإمكان أن يكون مفيدا فى هذه المرحلــة فى عقــد المقارنة بين متوسطى مجموعتين - كالرجــال والنساء مثلا - من أجل التعــرف على الفروق التى قــد تكون مهمة. وأيا ما كان الأمر، فــإن المتوسط لا ينبئك بــكل شيء عــن مدى القيم (نطاق القيم) أو كيف تتوزع هــذه القيم. فقد يكون لتوزيعات مختلفــة عن بعضها جدا نفس المتوسط. مثال ذلك، حين نحسب مجموعتين من درجات الامتحانات (ولتكن امتحان علم الاجتماع وامتحان علم النفس مثلا) بالنسبة لمجموعة من 50 طالبا، فقد يكون كلا المتوسطين 60 %. ومع ذلك، فإن درجات الطلبة فى امتحان علــم الاجتماع قد تتراوح مــن 50 % إلى 70 %، بينما قد تتراوح درجات امتحان علم النفس من 10 % إلى 90 %. فى هذه الحالة نحتاج إلى إلقاء نظرة على شكل هذا التوزيع وحســاب الانحراف المعيــارى لمساعدتنا على أن نفهم - بصــورة أفضل - هذه الفروق القائمة بين هاتين المجموعتين من درجات الامتحان.

فكر فى هذا الموضوع . . .

مقارنة المتوسطات

فى كلتا الحالتين المذكورتين سابقا ، قد يكون لأعضاء هيئة التدريس الذين يضعون هذيـن الامتحانين مبرر ما للاهتمام بنطاق الدرجات . فقد يهتم أساتذة علم الاجتماع بالنظـر فيمـا إذا كان هذا الامتحان قد وضع فى مستوى يـراد منه التمييز بين الطلبة «المجيدين» والطلبة «العاديين» ، وذلك لأن سائر الطلبة حاصلون على علامات تقع داخل نطاق 20 % . وقد يهتم أساتذة علم الاجتماع بالنظر - أيضا - فيما إذا كان من قامـوا بتصحيح الامتحان قد استفادوا تماما مـن نطاق الدرجات ولم يميزوا - بشكل فعال - بين من يستحقون تقدير «جيد» ومن يستحقون تقدير «جيد جدا» مثلا .

وقـد ينشغل أساتذة علم النفس بالطلبة الذين يستحقون الرسوب بينما حاز غيرهم مـن الطلبة درجات عالية جـدا . وربما لم يساعـد مستوى التدريـس ونمط الطلبة الضعـاف على التعلم ، فى نفـس الوقت الذى جاء فى صالـح الطلبة الذين يتمتعون بقدرات خاصة فى هذا الموضوع أو فى هذا النمط من الامتحانات .

للوصول إلى فهم أفضل لهذه الدرجات تم حساب الانحرافات المعيارية لكل مجموعة:

بالنسبة لدرجات علم الاجتماع ، وُجد أن الانحراف المعيارى = 5.883217

بالنسبة لدرجات علم النفس ، وجد أن الانحراف المعيارى = 17.54644

ومن واقع هذين الانحرافين المعياريين نستطيع أن نقول :

- كانـت درجات علم النفس مشتتة حـول المتوسط الذى قدره 60 % بصورة أكثر اتساعـا من تشتت درجات علم الاجتماع التى كانت ، وكما نتوقع ، متجمعه حول المتوسط .
- لـو أن : درجـات علم النفس كانت موزعـة توزيعا اعتداليا ، لـكان 68 % منها واقعـة داخـل (60-±17.54644) أو قل واقعة بـين 53 % و 77 % ، بمعنى أن 95 % منهـا تكـون واقعة بين 60 ± 35 (وهو ما يسـاوى تقريبا 2 × الانحراف المعيارى) أو قل واقعة بين 25 % ون 95 % .
- كانـت درجات علـم النفس موزعة على امتـداد هذا النطـاق (أو المدى) وليست متجمعة فى شريط ضيق حول المتوسط مع وجود عدد قليل من القيم المتطرفة .

المثال رقم (3-5)

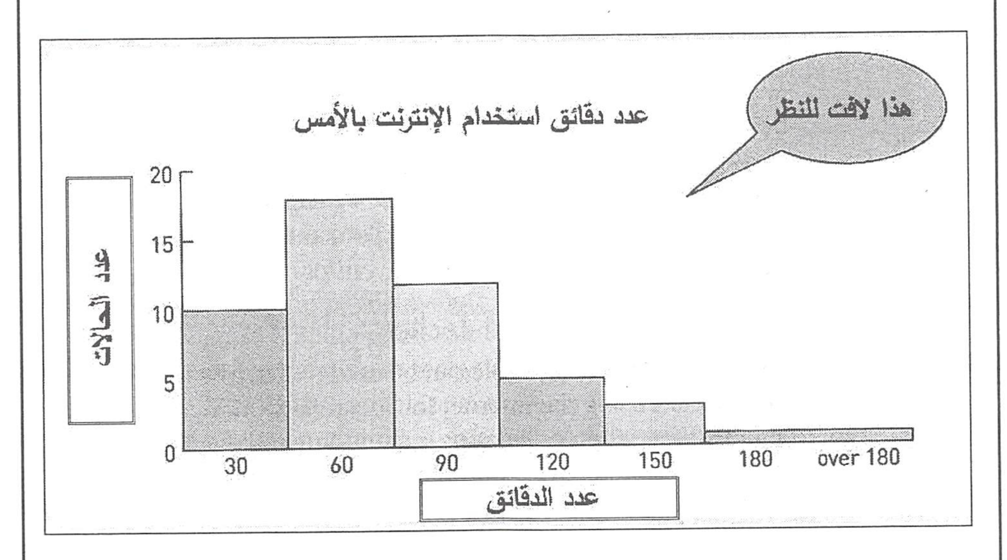
حساب المتوسط، والوسيط، والمنوال

(سـؤال 6/أ) إن كنت استخدمت الإنترنت بالأمس للتردد على غرفة دردشة أو موقع تواصل اجتماعى، أو إرسال رسائل فورية أوتويتر وما أشبه ذلك:

- فكم عدد الدقائق التى قضتيها فى هذا النشاط بالأمس؟

الرجاء إعطاء إجابتك منسوبة إلى أقرب 30 دقيقة (أى نصف ساعة)

أجاب على هذا السؤال خمسون شخصا.



الشكل رقم (3-5): حالات استخدام الإنترنت فى التواصل وفقا لعدد الدقائق التى قضاها المستجيبون فى هذا النشاط.

يبين هذا المدرج التكرارى أن التوزيع ملتو حيث له ذيل طويل فى اتجاه اليمين

حساب المتوسط

الجدول رقم (3-4): حالات استعمال الإنترنت في التواصل الاجتماعي تبعا لعدد الدقائق التي تقضى في هذا النشاط - حساب المتوسط.

عدد الدقائق س	عدد المستجيبين م	م س (عدد الدقائق × عدد الأفراد)
30	10	300
60	18	1080
90	12	1080
120	5	600
150	3	450
180	1	180
أكثر من 180 (الإجابة المعطاة =300)	1	300
الإجمالي	50	3990

المتوسط = م س / إجمالي م = 3990 / 50 = 80 دقيقة

المتوسط في هذه الحالة هو القيمتان الوسطيان (القيمة رقم 25، والقيمة رقم 26، من بين 50 قيمة) واللتان ستكونان كلتاهما 60 دقيقة. والمنوال هو القيمة الأكثر شيوعا وهي أيضا 60 دقيقة.

في هذه الحالة يكون المتوسط متأثرا بعنصر خارجي - والمتمثل في وجود قيمة متطرفة هي 300 دقيقة - والتي تضخم المتوسط. أما الوسيط والمنوال فليسا متأثرين بهذه الحالة المفردة.

الوسيط

الوسيط هو القيمة الوسطى لتوزيع ما. وبتعبير آخر: سيوجد في هذا التوزيع عدد من الحالات المتساوية فوق الوسيط وتحته. فإن كان عدد الحالات فرديا، يكون الوسيط هو القيمة الوسطى (الواقعة في أوسط هذه الحالات)، وإذا كان عدد الحالات زوجيا (كما في هذا المثال) فإن قيمة الوسيط تقع فيما بين القيمتين الوسطيين.

المنــوال

المنــوال هو القيمة الأكثر شيوعا فــى التوزيع ، ليس إلا . فــى مثالنا هذا ، تكون 60 دقيقة هى الوقت الأكثر شيوعا . ممن الممكن أن يتوافر لنا توزيع به نقطتان منواليتان أو أكــثر . مثال ذلك ، أن فى المثال رقم (3–4) كان من المكن أن يوجد من الأفراد الذين لا يستخدمون الإنترنت أبدا عــدد مماثل لمن يستخدمونها كل يوم ، ولكان لهذا التوزيع حينئذ نقتطان منواليتان .

الرُبيعات ، والخُميسات ، والعُشيرات

يمكــن استخــدام جدول توزيع تكــرارى متجمع (انظر قائمــة المصطلحات) لوصف نفــس البيانــات المتعلقة بمقدار الوقت الــذى يقضى فى استخــدام الإنترنت فى التواصل الاجتماعــى بطريقة مختلفــة . سترى من واقع هــذا الجدول أننا ، عنــد حساب التوزيع التكرارى المتجمع ، مضطرون لإعــادة التعبير عن استخدامنا للإنترنت بكلمات مناسبة وللتفكــير فى هذا الأمر فى ضوء عدد الأفراد الذين استخدموا الإنترنت لمدة 30 دقيقة أو أكثر ، ولمدة 60 دقيقة أو أكثر ، وهكذا .

جدول رقم (3–5) جدول توزيع تكرارى متجمع

عدد الدقائق	عدد الأفراد	النسبة المئوية من الإجمالى
30 أو أكثر	50	% 100
60 أو أكثر	40	% 80
90 أو أكثر	22	% 44
120 أو أكثر	10	% 20
150 أو اكثر	5	% 10
180 أو أكثر	2	% 4

هذا أمر لافت للنظر

بمقدورنا أن نستخدم جدول توزيع تكرارى متجمع لتقسيم الحالات بطرق مختلفة . مثــال ذلــك ، أننا بعــد أن رأينا أن 44 % مــن عينتنا استخدموا الإنترنــت فى التواصل الاجتماعــى لمدة 90 دقيقة أو أكثر فى اليوم السابق ، فإن باستطاعتنا أن نقسم عينتنا إلى مجموعتين (أى : فئتين) : مجموعة من استخدموا الإنترنت فى التواصل الاجتماعى لمدة أقل من 90 دقيقة (مستفيدون مُقلون) .

ومجموعــة مــن استخدموها لمدة 90 دقيقــة أو أكثر (مستخدمــون مُكثرون) ويمكننا حينئــذ أن نستعمــل هذا المتغير فــى استكشاف ما إذا كانت توجد فــروق بين المستخدمين المكثريــن والمستخدمين المقلــين أم لا . يقوم المثال المذكور فى الــبرواز المعنون «البحث

الواقعــى» الوارد أدناه على أساس مستويات الدخل الأسرى للمستجيبين ، كما أنه يقسم هذا التوزيع للمستجيبين إلى خمس مجموعات ، تمثل كل واحدة منها 20 % من العينة. فــى هذه الحالــة يكون إجمالى العينــة (100 %) مقسما إلى خمســ مجموعات بناء على مستوى الدخل - وتسمى كل مجموعة مكونة من 20 % خُميسا (أى: خُمْس) (انظر قائمة المصطلحات). كما أن بالإمكان تقسيم العينات إلى أربع مجموعات (هى الرُّبيعات) (انظر قائمة المصطلحات) أو إلى عشر مجموعات (هى العُشيرات) (انظر قائمة المصطلحات).

بالإمــكان كذلك أن نستخدم الخُميسات ، والرُّبيعات ، والعُشيرات كأساس لمتغيرات جديدة يمكن استعمالها بعد ذلك فى تحليل لاحق كما فى مثال «البحث الواقعى» التالى:

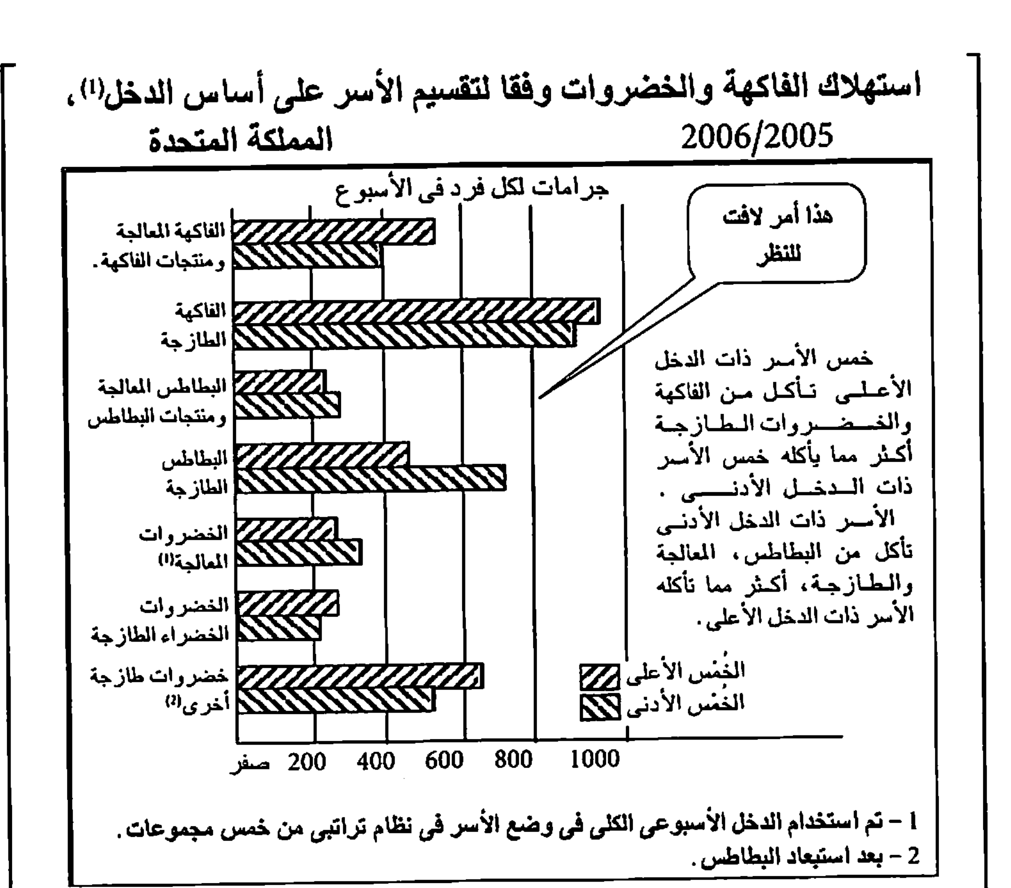
البحث الواقعى

استخدام الخُميسات

كثــيرا ما تقــوم التقارير الحكوميــة والتقارير البحثيــة بتقسيم عيناتهــا إلى أربع مجموعات (أى رُبيعات) أو خمس مجموعات (أى خُميسات) وفقا للدخول الأسرية للمستجيبــين. بهــذه الطريقة يتشكل متغير جديــد يمكن بعدها استخدامــه فى مقارنة إجابات الأفراد داخل كل مجموعة من مجموعات مستوى الدخل .

إن دخــول جميع المستجيبــين موضوعة فى قائمــة مكتوبة علــى أساس الرتبة. فالعشرون فى المائة مــن المستجيبين ذوى الدخول الأقل موضوعون فى فئة مستقلة - وهــى فئــة خُميس القــاع (أو الخُميســ الأدنــى)، والعشرون فى المائــة التالون موضوعــون فى الخُميس الرابع ، والتالون فى الخُميس الثالث . . وهكذا، وصولا إلى الخُميس الأعلى المتكون من العشرين فى المائة من الأفراد ذوى الدخل الأعلى.

اشتمل العدد 38 من التقريــر الحكومى السنوى «الاتجاهات الاجتماعية Social Trends (الصادر سنة 2008) على رسم بيانى يستخدم الخُميس الأدنى والخُميس الأعلى فــى مقارنة هاتين المجموعتــين فيما يتصل باستهلاكهما لمــواد غذائية مختلفة بالجــرام فى الأسبوع . تمكننا هذه المقارنة من إدراك مقــدار ما تتناوله الأسر ذات الدخل الأعلى والأسر ذات الدخل الأدنى من كل نوع من أنواع المواد الغذائية.



الشكل رقم (3-6) : استهلاك الأسرة للفاكهة والخضروات وفقا لتقسيم الأسر على أساس الدخل، 2006/2005.

المصدر: مكتب الإحصاءات القومية (2005) «الاتجاهات الاجتماعية» عدد 38، الشكل رقم9، الفصل 7، ص 98. المادة الخاضعة للقانون الملكى لحق النشر تم استنساخها بإذن من الجهة المشرفة على هذا البحث، وهى : مكتب معلومات القطاع العام بموجب شروط «رخصة كليك يوس» Click-Use Licence

تطويــر التحليـل

تسببت المرحلة الأولية للتحليل، حتى الآن، فى إثارة بعض الأسئلة التى من الممكن التوسع فى إلقـاء الضوء عليها (انظر إلى الفقاعات المكتوب فيها «هذا أمر لافت للنظر» كنقطة انطلاق). والآن حان الوقت لعمل ما يلى:

(أ) فكر فى استحداث متغيرات جديدة أخرى تجمع متغيرين أو تربط بين فئات مختلفة فى إطار بعض المتغيرات. فلو كان لديك، مثلا، فئات داخل متغير واحد به عدد قليل من الحالات، فإنه ينبغى عليك أن تفكر فيما إذا كان بالإمكان جمع فئتين لغرض التحليل. ولعلك تفكر أيضا فى استحداث متغيرات جديدة تقوم على أساس توزيع عينتك على متغير أو أكثر من متغير، مثال ذلك، أن تستعمل الخُميسات أو الرّبيعات كما فى المثال المأخوذ من تقرير «اتجاهات اجتماعية» العدد 38.

(ب) ضع قائمة بالجداول المزدوجة وأشكال الانتشار، والرسوم البيانية على شكل أعمدة، والتى تحتاج إليها الآن لتساعدك فى الإجابة على الأسئلة التى أثيرت.

وسوف نقدم بعض الاقتراحات فى هذا الصدد فى المثال رقم (3-6) التالى:

المثال رقم (3-6)

تطوير التحليل (أ)

أسئلة تظهر حتى الآن من واقع الأمثلة		ما الذى يتعين عمله بعد ذلك
هل توجد فروق بين المجموعات العمرية المختلفة من حيث تكرارية استخدام الإنترنت؟		كون جدولا مزدوجا يظهر العلاقة بين المتغير (الجديد) الذى يجمع الفئة العمرية والنوع من جهة وتكرارية استخدام الإنترنت من جهة أخرى - وهو متغير : وقت النت inttime.
هل تقضى النساء وقتا فى استخدام الإنترنت أكثر مما يقضيه الرجال؟		كون جدولا مزدوجا يظهر العلاقة بين المتغير (الجديد) الذى يضم المجموعة العمرية والنوع من جهة والمتغير الجديد - وهو «ساعات النت» inthours مقسمة على الجنسين.
هل توجد فروق أخرى بين الرجال والنساء من حيث طريقة قضاء وقت فراغهم؟		كون جدولا مزدوجا لإظهار العلاقة بين المتغير (الجديد) الذى يضم الفئة العمرية والنوع من جهة والمتغير المتعدد الأكواد المسمى وقت الفراغ، مبينا للنسب المئوية لكل فئة جنسية / عمرية تشارك فى كل نشاط من هذه الأنشطة.

هـل يختلف الأفـراد المكثرون من استخـدام الإنترنت فـى التواصل الاجتماعى؛ هل يختلفون فى نواح أخرى عن المقلين فى استخدامه؟		استحـدث متغـيرا جديدا لمـن سبـق لهم أن استخدموا الإنترنت فى التواصل الاجتماعى فـى اليـوم السابـق، استحدث هـذا المتغير بحيث يضم فئتين: المستخدمين المكثرين (لمدة ٩٠ دقيقـة فأكـثر فـى استخـدام الإنترنت) والمستخدمين المقلين (أقل من ٩٠ دقيقة).
أسئلة أخرى قـد تظهر لنا فى هذه المرحلة: ما الوسائل التى يستخدمها الرجـال والنسـاء مـن الفئـات العمريـة المختلفة فـى الحفاظ على اتصالاتهم بالأصدقاء والعائلة؟		كـون جـدولا مزدوجـا لإظهـار العلاقة بـين المتغـير (الجديـد) الـذى يضـم الفئة العمريـة والجنس والمتغير المتعـدد الأكواد «الاتصـال» مبينـا للنسب المئويـة لكل فئة جنسية/عمريـة تستخـدم كل طريقـة مـن طرق الاتصال مع أصدقائها وعائلاتها.
هـل يتوافر للنساء من أنشطة وقت الفراغ «الاجتماعية» ما يزيد على أنشطة الرجال؟		ألق نظرة على المتغير المتعدد الأكواد، المسمى «وقت الفراغ»، وفكر فى أى الأنشطة التى يمكن اعتبارها اجتماعية (وهى الأنشطة التى تشتمـل على اتصـال ما بين الأفـراد) وضع جداول مزدوجة لكل نشاط من هذه الأنشطة تبعا للجنس (والسن).
هل يستعمل الأفراد الذين يعتبرون أنفسهـم اجتماعيين إلى حد معقول أو اجتماعيـين جدًا؛ هل يستعملون طرقا معينة للحفاظ على الاتصال بأصدقائهم وعائلاتهم؟		كون جـدولا مزدوجا لإظهـار العلاقة بين المتغـير المسمى «اجتماعـى» والمتغير المسمى «اتصــال». يمكن بعد ذلـك أن تضع جدولا مزدوجـا للعلاقة بـين المتغـير «اجتماعى» والمتغـير المسمـى «النـوع». إن وُجـدت فـروق بـين الرجـال والنسـاء مـن حيـث رؤيتهـم لأنفسهم كاجتماعيـين، أمكن حينئذ استحـداث جدول مـزدوج مستقـل للعلاقة بـين المتغير «اجتماعى» والمتغـير «اتصال» عنـد الرجال، وجدول آخر مثله للعلاقة بين هذيـن المتغيرين عند النسـاء، وذلك بغرض البحث عـن الفروق الناجمة عـن اعتبارات النوع .

بحثــك

قائمة المراجعة

هل استخرجت المعدلات التكرارية لسائر متغيراتك؟	
هل ألقيت نظرة إلى «شكل» البيانات وأنت تبحث عن المتغيرات التى تهمك بعينها؟	
هل قمت بحساب قيم المتوسطات والوسائط ، والمنوالات بطريقة مناسبة؟	
هل فكرت فى استحداث متغيرات جديدة؟	
هل دونت فى ملاحظاتك ما استخرجته حتى الآن من أمور لافتة للنظر؟	

عنـد هذه المرحلة مـن تحليلك ، قد يكون من المفيد لك أن تكتب تقريرا موجزا عن النتائج التى توصلت إليها حتى الآن . وفيه يمكنك تلخيص بيانات عينتك وتحديد أى نتائج لافتـة للنظر يتعين عليك أن تتابعها . وربما يستعمل هذا التقرير بوصفه الجزء الأول مـن القسم الخاصـ بالنتائج التى توصلـت إليها ، والذى تكتبـه فى تقريرك النهائى أو رسالتك الجامعية .

مـن واقع استبيانك أو نموذجك لجمـع البيانات ، ضع قائمة بأى متغيرات جديدة ترى الآن أنها ستكون مفيدة فى تحليلك .

اسم المتغير الجديد	المتغيرات المستخدمة لتكوين المتغير الجديد	كيف يتكون المتغير الجديد	سيساعدنى المتغير الجديد فى . . .

من واقع أى أسئلة أثارها تحليلك حتى الآن - ومن واقع أسئلة بحثك - ضع قائمة بالجـداول المزدوجة التى يمكنك تصميمها والتى مـن شأنها أن تساعدك مستقبلا فى الاستكشاف والفهم .

المتغير الأفقى	المتغير الرأسى	هذا الجدول المزدوج سيساعدنى فى . . .

استخدام التحليل الإحصائى فى الإجابة على أسئلة البحث

بعـد تلخيص البيانات عن طريق إمعان النظر فى المعـدلات التكرارية وتوزيع قيم كل متغـير، يمكنـك القيام بأمرين همـا : العودة إلى أسئلـة بحثك لتبدأ فـى تركيز تحليلك على جوانـب البيانات التى سوف تساعدك فى معالجة هذه الأسئلـة، وإمعان النظر فى الأسئلة التـى كانت مطروحة فى المرحلة الأولى. ولعلـك ستحتاج، للقيام بذلك، إلى إمعان النظر فـى متغيرين أو أكثر معا. ويسمى بحث متغيرين معا (انظر قائمة المصطلحات).. ويسمى تحليل ما يزيد على متغيرين معا: «التحليل المتعدد المتغيرات» (انظر قائمة المصطلحات).

رأينـا حتى الآن مثالا لهذا التحليـل فى فصل2 باب4 حيث استحدثنـا متغيرا جديدا (والمسمى السن والنوع AGEGEN) جامعين بين فئتى العمر والنوع فى متغير واحد. ويمكن لهذا المتغير الجديـد بعد ذلك أن يستخدم مـن حيث صلته بمتغير ثالث (وهو المتغير المسمى «وقت الفراغ» فى المثال المذكور) بهدف بحث تباين هذا المتغير الثالث تبعا للمتغير الجامع لمتغيرى السن والنوع معا.

الجدولة المزدوجة

إن أفضل طريقة لاستكشاف العلاقات القائمة بين المتغيرات والبدء فى تمييز الجوانب اللافتة للنظر هى أن تصمم مجموعة من الجداول المزدوجة. وقد سبق أن أكدنا (فصل2 باب4، وفصل 4 باب 4)، أن بالإمكان تخطيط تحليل البيانات الكمية فى مرحلة مبكرة مـن البحث، وذلك قبل جمع البيانات، كما أن بالإمـكان إعداد قائمة بما هو محتمل من الجداول المزدوجة المهمة نتيجة استخدام أداة جمع البيانات (كالاستبيان، مثلا، أو غيره مـن استمـارات جمع البيانـات). وبعد أن تمعن النظـر فيما لديك من جـداول التكرار والمتغيرات المستحدثة، قد ترغب فى هذه اللحظة فى أن تضيف لقائمتك جداول مزدوجة أخرى ترى الآن أنها ستكون مهمة ومفيدة.

تقدم الجداول المزدوجة البيانات المأخوذة من متغيرين فى جدول واحد مما يتيح لك الوقـوف على ما هو موجود فى داخل هـذه البيانات من أوجه تشابه أو اختلافات لافتة للنظـر. وكما رأينا من قبل، فإن النسب المئويـة تستخدم كثيرا لتسهيل هذا الأمر عندما نبحـث عن أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بـين الجماعات ذات الأحجام المختلفة. ففى مثالنا الذى يستعمـل المتغير المصمم حديثا والذى يضم فئتى العمر والنوع معا، نستطيع أن نضـم ثلاثة متغيرات ـــ وهى: العمر، والنـوع ووقت الفراغ (السـؤال الثالث). وحقيقة الأمـر فى الوقع، أن متغير «وقت الفراغ» نفسـه يتكون من سبعة متغيرات. ويعد «وقت الفراغ» متغيرا متعددا من حيث أن كل شخص يستطيع أن يضع علامات على سبعة من أنشطة وقت الفراغ. كما يعد كل واحد من هذه الأنشطة ـ كذلك ـ متغيرا منفصلا يمكن أن يُعطى ترميزة بـ «نعم» أو «لا».

فكر فى هذا الموضوع . . .

ما الذى يمكنك أن تتعلمه من الجدولة المزدوجة؟

يبين الجدول رقم (3-6) الأعداد، مع إيراد النسب المئوية داخل الأقواس، وذلك بالنسبة لكل فئة عمرية اشتركت فى كل نشاط من أنشطة وقت الفراغ.

- أى هذه الأنشطة هو الأكثر شيوعا؟ وأيها الأقل شيوعا؟
- أى هذه الأنشطة الذى يظهر أشد الاختلافات بين النساء والرجال؟ وبين الفئات العمرية المختلفة؟
- ضع دائرة حول أى أرقام تثير دهشتك أو تجد أنها لافتة للنظر بصفة خاصة.
- حاول كتابة ملخص لهذا الجدول فيما لا يزيد عن خمس جمل.

الجدول رقم (3-6): جدول مزدوج لفئة العمر والنوع تبعا لنمط نشاط وقت الفراغ

العمر والنوع تبعا لأنشطة وقت الفراغ	مشاهدة التليفزيون	الاستماع للموسيقى	الإنترنت (فيما عدا ألعاب الكومبيوتر)	مع الأصدقاء والعائلة	فى الحانات والنوادى	الألعاب والتمرينات الرياضية	ألعاب الكومبيوتر	الإجمالى فى كل فئة
الذكور من16-24سنة	10 (% 71)	8 (% 57)	12 (% 86)	10 (% 71)	8 (% 57)	8 (% 57)	10 (% 71)	14 (% 100)
الذكور من 25-44سنة	16 (% 73)	16 (% 73)	18 (% 82)	12 (% 55)	12 (% 55)	14 (% 64)	14 (% 64)	22 (% 100)
الذكور من 45-64سنة	16 (% 88)	10 (% 55)	12 (% 67)	12 (% 67)	10 (% 55)	6 (33%)	6 (33%)	18 (100%)
الذكور من65سنة فأكثر	16 (% 100)	4 (% 25)	6 (% 38)	14 (% 88)	8 (% 50)	4 (% 25)	2 (% 13)	16 (% 100)
إجمالى الذكور الذين يمارسون الأنشطة	58 (% 83)	38 (% 54)	48 (% 69)	48 (% 69)	38 (% 54)	32 (% 46)	32 (% 46)	70 (% 100)
الإناث من16-24سنة	18 (% 90)	16 (% 80)	18 (% 90)	20 (% 100)	14 (% 70)	10 (% 50)	4 (% 20)	20 (% 100)
الإناث من 25-44سنة	16 (% 73)	14 (% 64)	16 (% 73)	14 (% 64)	8 (% 36)	14 (% 64)	4 (% 18)	22 (% 100)
الإناث من 45-64سنة	16 (% 80)	10 (% 50)	10 (% 50)	16 (% 80)	10 (% 50)	8 (% 40)	4 (% 20)	20 (% 100)
الإناث من65سنة فأكثر	16 (% 88)	4 (% 22)	8 (% 44)	12 (% 67)	4 (% 22)	8 (% 44)	صفر (صفر%)	18 (% 100)
إجمالى الإناث اللاتى يمارسن الأنشطة	66 (% 83)	44 (% 55)	52 (% 65)	62 (% 78)	36 (% 51)	40 (% 57)	12 (% 15)	80 (% 100)
إجمالى من سنهم من 16-24 سنة	28 (% 82)	24 (% 71)	30 (% 88)	30 (% 88)	22 (% 65)	18 (% 53)	14 (% 41)	34 (% 100)
إجمالى من سنهم من 25-44سنة	32 (% 72)	30 (% 68)	34 (% 77)	26 (% 59)	20 (% 45)	28 (% 63)	18 (% 41)	44 (% 100)
إجمالى من سنهم من 45-64سنة	32 (% 84)	20 (% 53)	22 (% 58)	28 (% 74)	20 (% 53)	14 (% 37)	10 (% 26)	38 (% 100)
إجمالى من سنهم 65 سنة فأكثر	32 (% 94)	8 (% 24)	14 (% 41)	26 (% 76)	12 (% 35)	12 (% 35)	2 (% 6)	34 (% 100)
إجمالى كل من يمارسون الأنشطة	124 (% 83)	82 (% 55)	100 (% 67)	110 (% 73)	74 (% 49)	72 (% 48)	44 (% 29)	150 (% 100)

ملاحظـة : تم تقريب النسب المئوية إلى أقرب عدد صحيح. بعض النسب المئوية قائمة على أساس إجماليات أقل من 20 فردًا، لذلك ينبغى التعامل معها بحذر. النسب المئوية محسوبة بالنظر إلى إجمالى كل فئة على حدة، مثال ذلك، أن 90 % من النساء الواقعة أعمارهـن بين 16–24 سنـة يشاهدن التليفزيون فى أوقات فراغهـن. لا تصل النسب المئوية إلى 100 % على امتداد الصفوف لأن هذا المتغير ذو أكواد متعددة ولأن كل فرد على حدة قد يمارس أكثر من نشاط واحد.

اختبار العلاقات : الاختبار كاى تربيع

الاختبـار باستعمـال كاى تربيع اختبار يمكـن استخدامه للحكم على مـا إذا كان الفرق بين قيمتى متوسطى عينتين دال إحصائيا (ونعنى بكلمة دال أنه يستحق الاعتبار والملاحظة). ويمكن استخدامه لمقارنة المتغيرات الاسميـة أو متغيرات الرتب، كمتغير الذكر والأنثى مثلا. وسوف نستخـدم هذا الاختبار لاختبار الدلالة الإحصائيـة للبيانات الواردة فى الجدول المزدوج الوارد فى المثال رقم (3–7). فى هذا المثال تتمثل العينتان فى مجموعة الرجال ومجموعة النساء.

المثال (3–7)

إلى أى مدى يعتبر الرجال والنساء أنفسهم اجتماعيين؟

هذا أمر لافت للنظر

الجدول رقم (3–7) تصورات الأفراد لمدى كونهم اجتماعيين، تبعا للنوع

تصورات الأفراد لمدى كونهم اجتماعيين تبعا للنوع	الرجال	النساء	الإجمالى
اجتماعى جدا	10 % 14.3	25 (% 31.3)	35 (% 23.3)
اجتماعى إلى حد معقول	20 (% 28.6)	30 (% 37.5)	50 (% 33.3)
لا اجتماعى ولا غير اجتماعى	15 (% 21.4)	8 (% 10)	23 (% 15.3)
غير اجتماعى إلى حد ما	20 (% 28.6)	12 (% 15)	32 (% 21.3)
غير اجتماعى تماما	5 (% 7.1)	5 (% 6.3)	10 (% 6.7)
الإجمالى	70 (% 100)	80 (% 100)	150 (% 100)

يتضح من هذا الجدول المزدوج أن ما يقرب من ثلث النساء فى عينتنا يرين أنفسهن اجتماعيات جدا بالمقارنة بنسبة 14.3 % فقط من الرجال. وأن أقل من نصف الرجال (43 %) يرون أنفسهم اجتماعيين إلى حد معقول أو اجتماعيين جدا. وهكذا يبدو واضحا تماما من هذا الجدول المزدوج أن النساء أشد من الرجال ميلا لأن يرين أنفسهن اجتماعيات. ولكن هل يمكننا أن نقول إن العلاقة بين هذين المتغيرين: متغير «الاجتماعى» ومتغير «النوع» علاقة دالة؟

بعد الاطلاع على هذا الجدول المزدوج يمكننا القول بأن لدينا فرضا بحثيا مفاده أن النساء أكثر من الرجال ميلا لأن يرين أنفسهن اجتماعيات.

للبحث عن الدلالة الإحصائية نقدر فرضا صفريا (أو سلبيا) بأنه لا توجد علاقة بين النوع وتصورات الأفراد عن أنفسهم كاجتماعيين ـ أى إن هذين المتغيرين مستقلان عن بعضهما.

يقوم الاختبار باستعمال كاى تربيع على أساس قياس مدى اختلاف القيم التى تمت ملاحظتها (من واقع البيانات التى تم جمعها)، عن تلك القيم التى يمكن توقعها لو أن هاتين الفئتين أو المجموعتين (وهما فى هذه الحالة الرجال والنساء) كانتا متماثلتين فيما يتصل بالمتغير «اجتماعى». والفرض الصفرى يقول إنه لن يوجد فرق. فإن رفض الفرض الصفرى فإن الفروق بين الرجال والنساء تكون ـ حينئذ ـ دالة إحصائيا.

كاى تربيع = مجموع القيم (الملاحظة فعلا – المتوقعة)^2 ÷ البيانات المتوقعة

حيث تكون القيم الملاحظة هى بياناتك.

(لا يُنصح باستخدام اختبار كاى تربيع حينما تكون القيم الملاحظة أو المتوقعة المذكورة فى خانات الجدول أقل من 5. وإن وُجدت أعداد أقل فمن المستصوب ضم بعض الفئات كما سنفعل هنا. سيتم تجميع البيانات داخل ثلاث فئات، هى: (1) اجتماعى جدا/ اجتماعى إلى حد معقول؛ (2) لا اجتماعى ولا غير اجتماعى؛ (3) غير اجتماعى إلى حد ما أو غير اجتماعى تماما).

تُستخرج كل قيمة متوقعة على حدة عن طريق (ضرب إجمالى الصفوف الأفقية إجمالى العمود) ويقسم الإجمالى الكلى : أى إن إجمالى الصفوف للفئة المسماة اجتماعى جدا/ اجتماعى إلى حد معقول (وهو 85) يُضرب فى إجمالى العمود للرجال (وهو 70) ويقسم الحاصل على الإجمالى الكلى (وهو 150) فتكون النتيجة = 39.7.

كاى تربيع = 5.59 + 4.88 = 10.47

الجدول رقم (3-8): اختبار العلاقات باستخدام كاى تربيع

	الرجال		$\frac{(\text{الملاحظ - المتوقع})^2}{\text{الملاحظ}}$	النساء		$\frac{(\text{الملاحظ - المتوقع})^2}{\text{الملاحظ}}$	الإجمالى
	الملاحظ	المتوقع		الملاحظ	المتوقع		
اجتماعى جدا/ اجتماعى إلى حد معقول	30	39.7	2.37	55	45.3	2.08	85
لا اجتماعى ولا غير اجتماعى	15	10.7	1.73	8	12.3	1.50	23
غير اجتماعى تماما أو غير اجتماعى إلى حد ما	25	19.6	1.49	17	22.4	1.30	42
الإجمالى	70		5.59	80		4.88	150

بعـد ذلـك يتم تدقيق نتيجة هذا الحساب تبعا لحجم هذا الجـدول – أى تبعا لعدد الفئات فـى كل متغير من المتغيرات على حدة (فمجموعة «الاجتماعى» بها 3 فئات، ومجموعة «النوع» بها فئتان). ومن هذا الحساب تستخرج درجات الحرية (انظر قائمة المصطلحات). فى حالتنا هذه توجد درجات حرية *كالتالى : (3-1) (2-1) = 2: أى درجتان للحرية.*

إذن، فهـل هـذه الدرجة من الحرية دالة إحصائيا ؟ بمقـدور جداول كاى تربيع (والتى يمكن أن تجدها فى معظم الكتب الدراسية) أن تدلنا على ما إذا كانت هذه الدرجة من الحرية دالة إحصائيا أم لا. وفى حالتنا هذه تدلنا جداول كاى تربيع (ذات الفرعين أو ذات الذيلين two-tailed) أنـه فـى حالة وجود درجتين للحرية تكون قيمـة كاى تربيع التى تزيد عن 9.21 دالـة إحصائيـا عندما يكون مستوى الاحتمال = 0.01 وهـذا معناه أنه يوجد احتمال مقـداره أقل من واحد فى المائـة أن تكون هذه النتيجة قد حدثـت مصادفة، وأن الفرق بين النساء والرجال فى هذه الحالة دال إحصائيا، وأن الفرض الصفرى مرفوض.

لاحـظ أن جميع حـزم البرمجيـات الإحصائيـة الحاسوبية، والتى منهـا (SPSS) PASW ومايكروسوفت إكسل مثلا، بها وظائف تمكنك من حساب كاى تربيع.

فكر فى هذا الموضوع . . .

الاختبارات الإحصائية – دراسة إضافية

يمكن استخدام اختبار كاى تربيع مع عينتين اسمية أو رتبية. تشتمل الاختبارات الأخرى التى يمكن تطبيقها على الأنماط المختلفة من البيانات، على ما يلى:

جدول رقم (3-9) الاختبارات الإحصائية

تحليل التباين المسمى أنوفا ANOVA'	يمكن استخدام هذا الاختبار بتطبيقه على المتغيرات الاسمية للتحقق من الفروق القائمة بين فئتين أو أكثر (أى : مجموعتين أو أكثر).
الاختبار الزوجى التائى (للدلالة الإحصائية للفروق بين متوسطين أو مجموعتين)	يمكن استخدامه لمقارنة الفروق الموجودة بين متغيرات النسبة أو الفترة لمجموعتين زوجيتين . .
اختبار ويلكوكسون لإشارات الرتب	يمكن استخدامه لمقارنة البيانات النسبية أو الدورية التى ليس لها توزيع اعتدالى.

الأشكال البيانية للتشتت

كجزء من تحليلنا نقوم بالبحث عن العلاقات القائمة بين المتغيرات - وهو ما يعنى بعبارة أخرى ، نحن مهتمون بالتعرف على ما إذا كان من الممكن لمتغيرين أو أكثر أن يتباينا أو تتأثر علاقة كل منهما بالآخر بطريقة يمكن ملاحظتها وقياسها. وقد تكون العلاقات القائمة بين المتغيرات علاقات سببية/ أو علية (انظر قائمة المصطلحات) إذا كانت قيمة أحد المتغيرين تتسبب فى إحداث قيمة معينة فى المتغير الآخر فى حالات كثيرة أو فى بعض الحالات على الأقل. ويندر فى البحث الاجتماعى أن نكون متأكدين من وجود علاقة سببية ، إلا أن ظهور علاقة ما أو ارتباط ما بين اثنين أو أكثر من المتغيرات قد يحثنا على الاستكشاف بحثًا عن الأسباب الممكنة لهذه العلاقة. لاحظ أنه ليس واضحًا - على الدوام - تحديد ما المتغير الذى يعتمد على الآخر؟

ما : المتغير المستقل؟

المتغيرات المستقلة هى متغيرات لا يمكن أن تقوم متغيرات أخرى بالتأثير فيها، مثال ذلك ، أن سن المستجيب لا يمكن أن يتأثر بمدى شعوره بالصحة .

المتغير التابع

المتغيرات التابعة يمكن أن تتباين من حيث ارتباطها بالمتغيرات - المستقلة - الأخرى ، كما أن من الممكن وجود علاقة بين هذه المتغيرات ، مثال ذلك ، أن إحساس المستجيب بصحته الشخصية قد يكون مرتبطا بسنه.

ونحـن نكرر هنا مثـالا لبرواز (عن العلاقـات) سبق أن قدمناه فـى الفصل 4 باب 1، الـذى يبحث مسألة طبيعة العلاقات بين البيانات فيمـا يتصل ببلورة أسئلة البحث. وكثـيرا ما تشتمل أسئلة البحث علـى أسئلة عن العلاقة المحتملة بين متغيرين، ونحن هنا نركز الاهتمام على إحدى طرق البدء بتمييز تلك العلاقات المحتملة بين متغيرى فترة أو متغيرى نسبة عن طريق إنشاء **شكل بيانى للتشتت** (انظر قائمة المصطلحات).

ويوضـح لنا الشكل البيانى للتشتت بكل جلاء ما إذا كان من الممكن لمتغيرين أن يكونا مرتبطين ببعضهما، ولمدى هذا الارتباط.

المثال رقم (3-8)

العلاقات

العلاقات السببية (العلّية)

كثيرا ما تُعرض العلاقة السببية فى شكل بيانى كالتالى:

أ	⇐	ب

مثال ذلك، أن بإمكاننا أن نؤكد أن زيادة ما فى القراءة المركزة ينتج عنها الحصول على درجات أعلى فى الامتحانات للطلبة الجامعيين. ويمكن أن نبين هذه العلاقة بهذا الشكل:

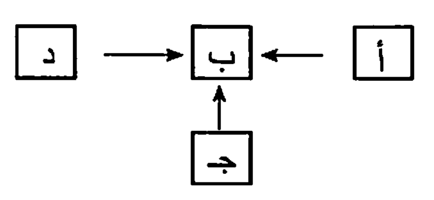
⇑		⇑
أ	⇐	ب

هنـا تتسبب زيادة مـا فى «أ» ـ وهى القراءة المركزة ـ فـى إحداث زيادة ما فى «ب» ـ أى: درجات الامتحانات.

علاقات الارتباط

ومع ذلك، فإنـه بالرغم من وجود علاقة إحصائية بين القراءة المركزة المتزايدة ودرجـات الامتحانـات المرتفعة، فقد لا نستطيـع إثبـات أن «أ» يتسبب فى إحداث «ب». وقد يرجع ذلك لعدد من الأسباب:

1 – توجد أسباب كثيرة لحصول طالب ما على درجات امتحان مرتفعة، كما أن من العسير إثبات أن القراءة المركزة وحدها هى التى سببت هذه الدرجات المرتفعة.



2 - يحتمل أن يكون الطلبة الذين يؤدون الامتحان بصورة جيدة هم أنفسهم الطلبة الذين يجدون أن القراءة المركزة تناسب طريقتهم فى الاستذكار.

أ ↔ ب

3 - وقد يكون لعامل ثالث تأثير فعال، إذ يؤثر على كل من مقدار القراءة المركزة وعلى درجات الامتحان المرتفعة. مثال ذلك، أنه قد يكون لبعض الطلبة أستاذ توقع أن يقوم طلبته بالقراءة المنتظمة قبل حضور السمينارات، ووضع أسئلة الامتحانات. وكان يرى أنهم يستعملون هذه القراءات كمراجعة للمنهج الدراسى.

أ ← جـ ← ب

المثال رقم (3-9)

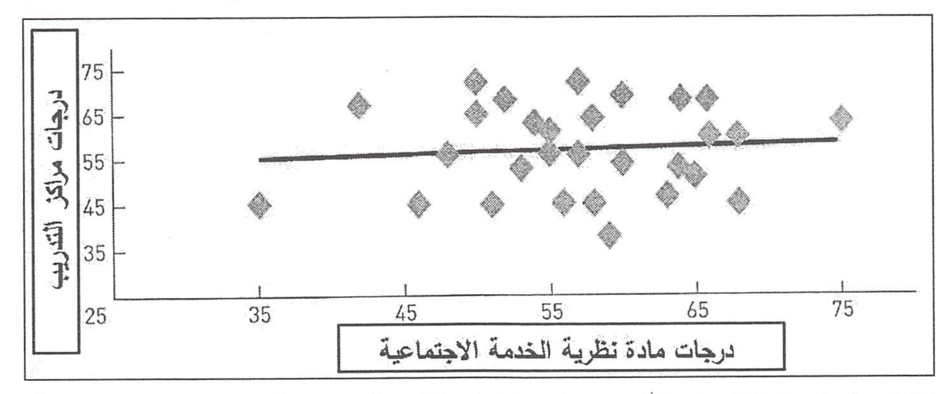
الأشكال البيانية للتشتت

(أ)

الطلبة الذين يتدربون ليكونوا أخصائيين اجتماعيين مهنيين، يحصل كل واحد منهم على درجتين: الدرجة الأولى عن امتحانهم فى مادة «نظرية الخدمة الاجتماعية»، والدرجة الأخرى عن أدائهم فى مركز التدريب العملى. بإمعان النظر فى حالة كل طالب من مجموعة الطلبة على حدة نتساءل: أتوجد علاقة ما بين هاتين الدرجتين؟ وهل الطلبة الذين يحصلون على درجات مرتفعة فى امتحان مادة «نظرية الخدمة الاجتماعية» يحصلون كذلك على درجات مرتفعة عن أدائهم فى موقع التدريب العملى؟

- يتم تحديد مكان لكل زوجين من العلامات على شكل بيانى للتشتت (أو للانتشار). ويمثل بعلامة مميزة. بإمكاننا أن نرى بمجرد إلقاء نظرة عامة على توزيع هذه العلامات المميزة، أن الطلبة الحاصلين على درجات منخفضة فى امتحان مادة «نظرية الخدمة الاجتماعية» حصلوا أيضا على درجات منخفضة فى موقع التدريب العملى.

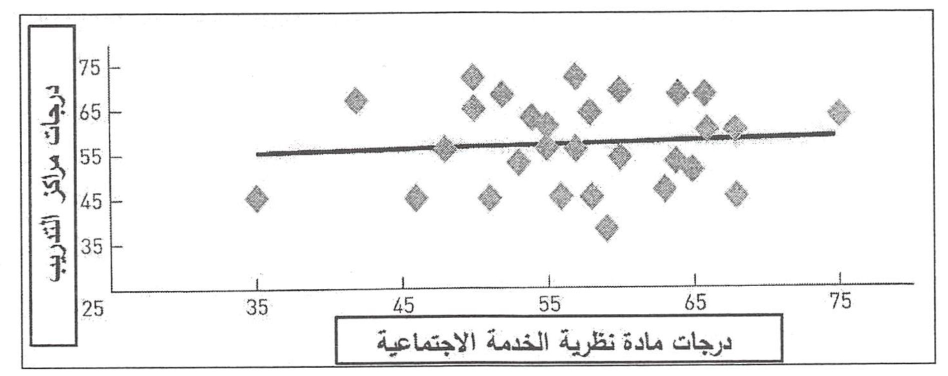
- يكـون الخط الممدود بين هذه العلامات المميزة هو خط أفضل مطابقة ـ فهذا الخط يقع أقرب ما يمكن من كل تلك العلامات ـ أو أن الفرق بين كل علامة وهذا الخط أصغر ما يمكن.
- يشـير انحدار هذا الخط إلى اتجاه العلاقة بين هذيـن المتغيرين - بمعنى أنه عندما يزداد أحد المتغيرين يزداد الآخر كذلك.
- يمكننا أن نرى أنه توجد بعض العلامات على مسافة ما من الخط. هذه العلامات هى الحالات النائية المتطرفة أو الحالات التى لا تتفق كثيرا مع هذا الاتجاه العام.



الشكل رقم (3-7): شكل بيانى لتشتت درجات مادة نظرية الخدمة الاجتماعية ودرجات التدريب العملى (أ)

(ب)

إليـك الشكل البيانى لتشتت درجـات فوج آخر من الطلبة. فمـا الذى يبينه هذا الشكل البيانى للانتشار؟



الشكل رقم (3-8): شكل بيانى لتشتت درجات مادة نظرية الخدمة الاجتماعية ودرجات التدريب العملى (ب)

اختبار العلاقات : معامل الارتباط - معامل ارتباط بيرسون

استخدمنا شكلا بيانيا للانتشار بهدف تقديم صورة مرئية للارتباط الممكن بين متغيرين نسبيين. يعد معامل الارتباط (انظر قائمة المصطلحات) هذا قيمة إحصائية توفر لنا مقياسا لقوة واتجاه هذه العلاقة. يقوم هذا الارتباط على أساس انطباق خط مستقيم على هذه البيانات «انظر مثال رقم (9-3)»، وعلى الفرق بين كل قيمة على حدة والمتوسط الحسابى لمجموعة القيم. ويحسب باستعمال المعادلة التالية:

$$ر = \frac{مجـ(س - \overline{س})(ص - \overline{ص})}{\sqrt{مجـ(س - \overline{س})^2 \; مجـ(ص - \overline{ص})^2}}$$

حيث س، ص هما قيمتا المتغير (س) والمتغير (ص) على التوالى، بينما $\overline{س}$، $\overline{ص}$ هما المتوسطان الحسابيان للمتغير (س) والمتغير (ص) على التوالى.

تعد هذه المعادلة الخاصة بحساب معامل الارتباط معقدة تماما، كما أنها تعتمد على مفاهيم إحصائية تقع خارج نطاق هذا الكتاب. ومع ذلك، فإن بالإمكان اعتبار هذا الحساب طريقة لقياس مقدار اختلاف كل قيمة عن متوسط كل الحالات الشاملة لكلا المتغيرين، ولتقدير مدى إسهام كلا المتغيرين فى إحداث ذلك التباين عن هذا المتوسط - أى تقدير مدى اعتبار هذا التباين مرتبطا بهذين المتغيرين على نحو ما.

وتكون نتيجة هذه المعادلة قيمة تتراوح بين 1-، 1+.

- تدل النتيجة 1- (ناقص واحد) على وجود علاقة سلبية كاملة بين المتغيرين - وهو ما يعنى بعبارة أخرى : أنه كلما ازداد أحد المتغيرين نقص الآخر.
- تدل النتيجة 1+ على وجود علاقة إيجابية كاملة بين المتغيرين - بمعنى أنه عندما يزداد أحد المتغيرين يزداد المتغير الآخر كذلك.
- النتيجة التى مقدارها صفر تدل على عدم وجود علاقة إحصائية بين المتغيرين - مما يعنى بعبارة أخرى، عدم وجود نمط يمكن التعرف عليه للعلاقة بين المتغيرين.

يندر - بالطبع - أن تكون نتيجة هذا الحساب 1-، أو صفر، أو 1+ تماما. ويظهر اقتراب النتيجة من 1-، أو صفر، أو 1+ مقدار قوة هذه العلاقة.

فى المثالين المعروضين فى صورة أشكال بيانية للانتشار، فى المثال رقم (3-9)، يكون معاملا الارتباط كما يلى:

(أ) معامل الارتباط (ر) يساوى 0.701+. وهذا يدل على :

- وجــود علاقة إيجابية - فعندما يزداد أحــد المتغيرين يزداد المتغير الآخر كذلك، كما يدل على :
- وجود علاقة قوية - أى إن كثيرا من الحالات قريبة من خط أفضل مطابقة لهذا التوزيع.

(ب) معامل الارتباط (ر) يساوى 0.074+ وهذا يدل على:

- وجــود علاقة إيجابية ضعيفة جدا بين المتغيرين - أى لا يوجد دليل على أن هذين المتغيرين مرتبطان ببعضهما.

بحثــك

تذكر أن معامــل الارتباط يبين العلاقة الإحصائية بين مجموعتين من البيانات. ويستطيــع الباحث أن يستخــدم هذه العلاقة للبحث عن الأسبــاب الممكنة لأن تكون المتغــيرات، أو لا تكــون، مرتبطة ببعضها، ولكن معامــل الارتباط لا يقوم وحده بإظهار أنه توجد علاقة فعلية.

لاحــظ أن جميع حــزم البرامج الكومبيوتريــة الإحصائية، والتــى منها SPSS ومايكروسوفت إكسل مثلا، لديها وظائف تمكنك من حساب معامل الارتباط - أى معامل ارتباط بيرسون، المعبر عنه بحرف «ر».

فكر فى هذا الموضوع . .

معاملات الارتباط : دراسة أخرى

يستخــدم معامل ارتباط بيرسون، والمعبر عنه بحرف «ر» بتطبيقه على أزواج متغيرات الفترة أو النسبة.

توجــد معاملات ارتباط أخرى يمكــن استخدامها فى معالجــة أنماط مختلفة من البيانات، بما فيها البيانات الواردة فى الجدول رقم (3-10)، المذكور فيما بعد.

جدول رقم (3-10) : معاملات الارتباط	
معامل ارتباط بيرسون «ر»	يمكن استخدامه على أزواج لمتغيرات الرتبة (ذات الدرجات) أو حينما يكون أحد المتغيرات رتبيا والآخر دوريا أو نسبيا.
معامل فاى	يمكن استخدامه على المتغيرات الثنائية.
معامل «فى» V لكرامر	يمكن استخدامه على المتغيرات الإسمية ليدل على قوة الارتباط (وليس على اتجاهه).
معامل جاما	يمكن استخدامه مع متغيرات الرتبة.

يمكن حساب درجة العلاقة الإحصائية القائمة بين مجموعات المتغيرات باستعمال تقنيات التحليل متعدد المتغيرات، كتحليل الانحدار المتعدد والتحليل العاملى.

التحليل الإحصائى كعملية

قدمنا التحليل الإحصائى بوصفه عملية وليس بوصفه سلسلة من التقنيات. وكما هو الحال مع أى طريقة تحليلية، يعد التحليل الإحصائى طريقة للاشتغال بالبيانات بهدف تمكين الباحث من استكشاف أسئلة البحث التى سبق طرحها والإجابة عليها، ومن عرض نتائجه على جمهوره (فصل1 باب 5). والعملية التى نعرض لها هنا تتناسب مع الأبحاث الصغيرة التى تشتمل على بيانات كمية جمعت من عينة من الحالات. وعلى الرغم من أن معظم التحليلات الإحصائية تبدأ بالإحصاءات الوصفية ثم تمضى قدما خلال البيانات للبحث عن العلاقات بين متغيرين أو أكثر، فإن هذه العملية لا تكون دائما بهذه الصورة المباشرة. فعندما يتطور تحليل ما وتتكشف ملامحه بالتدريج، يكون بالإمكان ظهور أفكار جديدة تتعلق بالبيانات، كما أن الباحث، وبالرغم من أنه عند اشتغاله بالبيانات الكمية المقننة لا يمكنه أن يضيف شيئا إلى البيانات أو يعيد تفسيرها، فإنه يستطيع اختبار كل التفسيرات والأفكار الممكنة عن طريق الاشتغال بهذه البيانات ومعالجتها بطرق مختلفة. ففى المثال الذى استخدمناه فى هذه الفقرة، دفعتنا النتيجة التى تقول إن النساء أكثر من الرجال ميلا لأن يصفن أنفسهن بأنهن اجتماعيات؛ دفعتنا للرجوع إلى البيانات المتعلقة بأنشطة وقت الفراغ والتفكير فيما إذا كان بالإمكان أن تكون هذه الأنشطة مرتبطة بما لدى مستجيباتنا من تصورات عن نزعتهن الاجتماعية أم لا، كما دفعتنا هذه النتيجة إلى التفكير فيما إذا كان الإحساس بالنزعة الاجتماعية مرتبطا أيضا بوسائل الاتصال المستخدمة فى الحفاظ على التواصل مع الأصدقاء والعائلة، أم لا.

مـن المستصوب أن تحتفـظ بسجل يومى يمكنك أن تدون فيـه جميع التحليلات التى تقوم بها، وجميع المتغـيرات التى تنشئها، وسائر النتائج اللافتة للنظر. أضف إلى هذه الأمور أفكارك الخاصة بجانب «الأمور التى يتعين القيام بها فيما بعد».

المثال رقم (3-10)

تطوير التحليل (ب)

فى المثال رقم (3-7) أظهر الجدول المزدوج الجامع للمتغير «اجتماعى» والمتغير «النـوع» (كمـا أظهر اختبار كاى) أن النساء اللاتى فـى العينة كن أميل إلى اعتبار أنفسهـن اجتماعيات أكثر من اعتبار الرجال أنفسهـم اجتماعيين. ونظرًا لأن أسئلة بحثنا تعنى بالشبكات الاجتماعية والاتصال بين الأصدقاء والعائلة، فقد نفكر فى هذا الوقـت فى البحث بمزيد من التعمق فى مدى اختلاف الأفراد الذين يصفون أنفسهم بأنهم اجتماعيون؛ مدى اختلافهم فى الاتصال بالأصدقاء والعائلة بالمقارنة يصفون أنفسهم بأنهم غير اجتماعيين. وإن بإمكاننا أن نقوم بهذا العمل على عدة مراحل.

الجدول رقم (3-11) : تطوير أسئلة البحث باستخدام الجداول المزدوجة

الأسئلة التى تظهر من واقع التحليل حتى الآن بجانب أسئلة البحث	ما الذى يتعين عمله فيما بعد؟
هـل يقومـون أيضـا بالمزيـد مـن الأنشطة الاجتماعية فى وقت فراغهم؟ هل يستخدمون أيضا أشكالا معينة من الاتصال؟ هل يقضون وقتا أطول فى استخدام الإنترنت فى التواصل الاجتماعى؟	صمـم جـداول مزدوجـة للمتغير «اجتماعـى» تبعـا لـكل متغير من المتغيرات الأخرى.
هـل الرجـال الذيـن يعتـبرون أنفسهـم اجتماعيـين/ غـير اجتماعيـين يتصرفـون بطرق مشابهة لطـرق النساء اللاتى يعتبرن أنفسهن اجتماعيات/ غير اجتماعيات؟	استحـدث متغـيرًا جديـدًا يجمع بين «الاجتماعـى» و«النوع». ثم صمم جدولا مزدوجا للمتغـير الجديد تبعا لكل متغير جديد من المتغيرين أعلاه.
هـل توجد أيضا فـروق أو اختلافـات عمرية فيما يتعلق بالاجتماعية (بالنزعة الاجتماعية)؟ وهل النساء اللاتى يعتبرن أنفسهن اجتماعيات أرجح أن يكن قادمات من فئات عمرية معينة؟ وماذا عن الرجال فى هذه الجزئية؟	صمم جـدولا مزدوجا لمتغير يجمع بين فئتى العمر والنـوع معا وبين متغير «الاجتماعى».

بالاعتماد على النتائج المستخرجة من الجداول المزدوجة، سيكون بإمكاننا:

- وصف أكثر الأنشطة شيوعا وأكثر أشكال الاتصال شيوعا بين الأفراد الذين يعتبرون أنفسهم اجتماعيين / غير اجتماعيين، وتحديد أوجه الشبه والاختلاف.
- وتقدير ما إذا كانت توجد فروق بارزة بين الرجال والنساء فيما يتصل بوجوه الشبه والاختلاف، أم لا.
- وتقدير ما إذا كان السن عاملا يجب تتبعه بالدراسة إلى مدى أبعد من حيث ارتباطه بالأنشطة الاجتماعية والاتصال.

فى مشروع بحثى كامل، قد ترتبط هذه المجموعة من الأسئلة بجزء صغير من البيانات التى جمعت، كما يجب إدخال العوامل الأخرى فى الحسبان أيضا فى هذا الوقت.

عرض نتائج التحليل الإحصائى

بعد أن تطور تحليلك الإحصائى يلزمك حينئذ أن تقدم هذا التحليل لجمهورك (الباب5) بطريقة توضح بجلاء كيف اشتغلت ببياناتك، وما الذى انتهيت إليه من نتائج، وكيف ساعدك هذا التحليل فى الإجابة على أسئلة بحثك. وكما اقترحنا فى موضع سابق من هذا الفصل، فإن من المفيد أن تكتب تقريرا، عن تحليلك المبدئى لأن ذلك قد يزودك بالجزء الأول من نتائجك. وانطلاقا من هذا الجزء يتعين عليك حينئذ أن تبين مستعملا الجداول والرسوم والأشكال البيانية المستمدة من بياناتك، كيف طورت تحليلك. يجب أن تبين كيف توصلت إلى نتائجك – أى أن تروى قصة العملية التحليلية التى قمت بها. فإن حالت قيود الحيز دون التعبير عن ذلك فى تقريرك أو فى رسالتك العلمية، فإن بإمكانك أن تدرج هذه القصة كملحق فى بحثك. إن توضيحك لكيفية اشتغالك بالبيانات، ولكيفية تفسيرك لها على الأخص، جزء لا يتجزأ من صميم تقريرك أو رسالتك العلمية لأنه يوفر لك نوعًا من التأكد من أن تحليلك وتفسيراتك صادقة ويمكن أن يعتد بها. بعد تقديمك لنتائجك ولتحليلك، يكون من الملائم أن تركز مناقشتك على النتائج الأساسية وعلى الطريقة التى تجيب بها هذه النتائج ـ بشكل ما ـ على أسئلة بحثك أو إلقاء الضوء عليها.

بحثك

إذا كنت تشتغل ببيانات كمية وتقوم بتحليل إحصائى لها، فحاول أن تتبع هذه الخطوات:

1 – نظم بياناتك باستخدام أسماء وأكواد للمتغيرات.

2 – أنشئ أى متغيرات جديدة ترى أنك ستحتاج إليها.

3 – صمم جداول تكرارية لكل متغير من متغيراتك.

4 – صف العينة فى ضوء خصائصها الأساسية التى ستستخدمها فى التحليل كالسن والنوع مثلا.

5 – انظر إلى شكل البيانات بحثا عن متغيرات أساسية.

سلط الضوء على النتائج اللافتة للنظر

6 – ضع قائمة بالجداول المزدوجة وأشكال الانتشار البيانية المطلوبة وقم بتصميمها.

سلط الضوء على النتائج اللافتة للنظر

7 – قم بالمراجعة بحثا عن العلاقات أو الارتباطات الموجودة بين المتغيرات مستعملا الأشكال البيانية للانتشار، والنسب المئوية، والاختبارات الإحصائية الملائمة.

8 – ضع قائمة بالأسئلة التى أثارتها التحليلات حتى هذه اللحظة، وبالطريقة التى ستتبعها فى الإجابة عليها.

9 – ضع قائمة بالجداول المزدوجة والأشكال البيانية للانتشار، ونفذها.

سلط الضوء على النتائج اللافتة للنظر

10 – ابحث عن أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين المجموعات (أو الفئات) وابحث عن البيانات التى من شأنها أن تساعدك فى تفسير هذه الاختلافات والتشابهات.

سلط الضوء على النتائج اللافتة للنظر

11 – أعد مراجعة أسئلة بحثك للتأكد من: هل ساعدك هذا التحليل فى الإجابة على أسئلة بحثك؟

بحثـــك

اختبار جودة البحث

فى هذه المرحلة من العملية البحثية ينصب اهتمامك بالأساس على صدق تفسيراتك وشفافية تحليلك.

- هل تحققت من أن نتائجك دقيقة على امتداد عمية التحليل كلها؟
- هل راجعت فهمك الشخصى للنتائج مع أشخاص آخرين؟
- أيمكنك أن تبين للآخرين كيف قمت بهذا التحليل؟
- هل نتائجك مفهومة فى ضوء الأبحاث والنظريات الأخرى فى هذا المجال؟
- أيمكنـــك أن تبرر أى دعاوى تدعيها بخصوص قابليـــة تعميم نتائج بحثك على مجتمع البحث الذى أخذت منه هذه العينة؟

المراجع وقراءات للاستزادة

Bryman, A. and Cramer, D. (2008) *Quantitative Data Analysis with SPSS14, 15, and 16: A Guide for Social Scientists*, London: Routledge.

Field, A. (2009) *Discovering Statistics Using SPSS*, 3rd edn, London: Sage.

Hays, W. (1993) *Statistics*, 4th edn, New York: Holt, Rinehart & Winston.

Hinton, P. R. (2004) *Statistics Explained: A Guide for Social Science Students*, Hove: Routledge.

Social Trends 38 (2008) www.statistics.gov.uk/downloads/theme_social/Social_Trends38/Social_Trends_38.pdf (accessed 21 August 2009).

Wright, D. B. and London, K. (2009) *First (and Second) Steps in Statistics*, 2nd edn, London: Sage.

الفصل الرابع

تحليل الموضوعات

محتويات الفصل

عن السياق

من الممكن استعمال تشكيلة متنوعة من الطرق والأساليب فى معالجة البيانات الكيفية: وأكثر هذه الطرق شيوعا (على الأقل فى بداية العمل) طريقة تحليل الموضوعات التى تمكنك من تمييز الموضوعات أو القضايا الرئيسية المبثوثة داخل البيانات، واستعمال البيانات التى جمعتها لبلورة وتدقيق هذه الموضوعات، والبحث عن الصلات الموجودة داخل هذه البيانات، وتمييز الأنماط والبحث عن أوجه التشابه وأوجه الاختلاف داخل الحالات : بين أفراد كل فئة أو نمط، وفيما بين الفئات أو الأنماط المتعددة.

الرجاء قراءة فصل2 باب 4، قبل قراءة هذا الفصل..

الاشتغال بالبيانات الكيفية

يبدأ تحليل البيانات الكيفية من لحظة الانتهاء من تطوير سؤال بحثنا، وبدء التفكير فى المفاهيم التى نشتغل بها واختيار عينة حالاتنا. يعد الاشتغال بالبيانات الكيفية عملية تنتقل بين جمع البيانات الاجتماعية، والاشتغال بها، والتأمل فيها على امتداد البحث كله، من أوله لآخره. وباعتبار أن الباحث هو الأداة الرئيسية لجمع البيانات، فإنه

يكون على اتصال مباشر لا ينقطع بالبيانات التى يجرى جمعها وعامل على التفكير فيها. ونظرا لأن تحليل البيانات الكيفية يعتمد إجمالا على ما يقدمه الباحث من تفسيرات للبيانات الخام، فإن هذه العملية تبدأ بمجرد البدء فى جمع البيانات. وهذا هو السبب فى أننا نوصيك بالاحتفاظ بدفتر يوميات للبحث يمكن أن يكون بمثابة سجل شخصى لأفكارك وملاحظاتك وتأملاتك أثناء كل من فترة جمع البيانات وفترة تحليل البيانات. ونلاحظ أنه فى بعض المشروعات البحثية يمضى جمع البيانات وتحليلها معا فى نفس الوقت، وذلك مع ما يتم إدخاله من حالات إضافية بهدف ضمها إلى التحليل عندما تبزغ الموضوعات المتكررة أو الأفكار من داخل البيانات مثلا (انظر بخاصة فصل 8 باب 4). ومع ذلك فإن المعهود فى معظم المشروعات البحثية المحدودة النطاق أن توجد فترات مخصصة لجمع البيانات يعقبها فترات لتحليل البيانات.

يمكن للبيانات الكيفية أن تتخذ أشكالا عديدة، كما أنها بيانات غير مقننة نسبيا. ولكى نستوثق من أن تحليلنا موثوق به وشفاف (واضح) فى نظر الآخرين، فإننا نحتاج إلى طرق تحليلية تكون:

- منهجية وشاملة: إذ يتعين أن يتبع التحليل مجموعة من الإجراءات، كما يتعين تطبيق نفس هذه الإجراءات على كل الحالات وكل البيانات.
- موثقة: عادة ما تكون البيانات المجموعة فى حالتها الخام- أعنى بذلك أنها تكون فى الصورة التى قيلت بها أو كتبت بها، كما يتوجب علينا أن نكون قادرين على الرجوع إلى هذه البيانات فى حالتها الخام على امتداد عملية التحليل من أولها لآخرها.
- دينامية: لا يمكن تخطيط عملية التحليل بأكملها فى بداية البحث، لأن الأفكار والقضايا «تنبثق» كجزء من عملية المعالجة، لذلك يتوجب أن تكون هذه الطرق فى حد ذاتها دينامية ومرنة، وتدخل فى حسبانها حدوث بعض التغييرات.
- متاحة وميسورة الفهم: يتعين أن تكون التفسيرات التى يقدمها الباحث وطريقة استخدام هذه التفسيرات فى تطوير التحليل متاحة للجميع أن يطلعوا عليها، وقابلة لأن يفهموها.

فى فصل 2 باب 4، بدأنا الحديث عن عمليات تنظيم ومعالجة البيانات الخام التى تكون فى العادة مرتبطة بالطرق الكيفية فى جمع البيانات، وذلك عن طريق إنشاء فهرس لمساعدتنا فى العثور على التفاصيل الصغيرة للبيانات المتعلقة بموضوعات معينة أو بموضوعات لها أهمية خاصة فى نظرنا. وبعدها بدأنا فى تحديد بعض الأكواد أو الفئات التى يمكن استخدامها لمساعدتنا فى البحث عن قطاعات البيانات التى كنا نرغب فى معالجتها، كما أننا تناولنا المادة المتعلقة ببعض الموضوعات المختارة أو بعض

المجـالات ذات الأهمية فعرضناها فى جداول ورسوم بيانية. والآن نطور هذه العملية التى بدأناها هناك فنبحث مسألة معالجة الأفكار الأساسية أو الموضوعات الأساسية التى يمكن تمييزها داخل هذه البيانات.

ما تحليل الموضوعات ؟

تحليـل الموضوعـات (انظر قائمة المصطلحـات) «*هو عملية تفصيص وتصنيـف وإعادة ربط مختلف عناصر البيانات قبل القيام بالتفسير النهائى لها*» (جربيش 2007، Grbich، ص16).

إن معالجـة البيانـات الكيفية أمـر يتعلق، أساسـا، بتفسير ما ذكـره مبحوثونا من عبـارات، وحكايات، وأحكام، وتفسيرات وفهمها فهما سليما. ونحن نبدأ هذه المعالجة بـكل مـا ذكـره كل مستجيب مـن كلمات ونضعهـا جنبـا إلى جنب كلمـات المستجيبين الآخرين، أو يتم ترتيب مضامين مجموعة من الوثائق بجانب بعضها لتمكننا من:

- وصف البيانات.
- الوصول إلى معنى البيانات عند الشخص الذى قدمها.
- استكشاف البيانات بحثا عن المعانى.
- البحث عن العلاقات القائمة بين الأجزاء المختلفة من البيانات.
- التفسير (بصورة مؤقتة غير نهائية) للتشابهات والاختلافات والعلاقات الواضحة.

على امتـداد العملية التحليلية، من أولها لآخرها، يتعين علينا التحقق التام من صحة تفسيراتنا وتصوراتنا فى ضوء مقابلتها بكل دفعة من دفعات البيانات المتعاقبة.

تحليل الموضوعات عبارة عن عملية، أى طريقة لمعالجة البيانات تقوم بعملها انطلاقا من البيانات الخام – أى البيانات اللفظية أو البيانات المرئية التى جمعناها ـ وتستمر على اتصال مباشر بتلك البيانات الخام حتى النهاية. وهذه سمة هامة تتسم بها طرق معالجة البيانـات الكيفيـة، إذ إنه، وبالرغم من أن هذه البيانات لابد مـن تفسيرها، وتلخيصها وتصنيفهـا، لابـد لنا أن نكون «على اتصـال مباشر» بالبيانات الخـام أو قل: لابد أن نكـون «راسخى الأقدام» فيها لا نبارحها بحال. بهذا الشكل، فإن تقنياتنا التحليلية لابد أن تمكننـا من الرجوع إلى البيانات الخام فـى بعض الأوقات على امتداد هذه العملية، وذلك للتحقق التام من صحة تفسيراتنا، وللنظر إلى هذه البيانات بطرق مختلفة، وللبدء فـى الربط بين الأجـزاء المختلفة للبيانات الموجودة فى داخـل كل حالة (فى هذه الفقرة سنستخدم لفظ "حالة" للدلالة على كل مجموعة بيانات، مثل: كل مقابلة، وكل جماعة مناقشة، وكل وثيقة، وكل حدث تمت ملاحظته).

تتـم معالجة البيانات وهـى فى صورة «نُتف» (مكتوبة عادة) من البيانات التى قد تكون كلمـات مفردة، أو عبـارات، أو جمل أو فقرات. ومع أن بالإمـكان أن تقسم بياناتك إلى نُتف قبل معالجتها، فإن ما هو أكثر شيوعا وفائدة أن تقسم البيانات حسب الحاجة إلى ذلك، وأن تنتفع بالفهرس وبأنظمة التكويد فى تحديد ما فى البيانات من نُتف لها دلالتها أو معناها.

عمليـــة التحليـل

بينا لك فى الفصل 2 باب 4 كيف تنظم البيانات:

1 – عن طريق إنشاء فهرس ـ وهو أسلوب للعثور على البيانات عندما تحتاج إلى ذلك.

2 – وعـن طريق استحداث بعض الفئات الأوليـة أو الأكواد الأولية المرتبطة ببعض الموضوعـات أو القضايا التـى استطعت أن تحددها أثناء قيامـك بعملية تذكير نفسك بالمعلومات والبيانات حتى تكون على دراية ووعى بها.

3 – عن طريق وضع رسوم وجداول موجزة لتساعدك فى النظر إلى البيانات بطريقتين:

(أ) طريقة للنظر إلى مجموعة بيانات مأخوذة من حالة واحدة.

(ب) طريقة للنظر إلى كل فئة من فئاتك الأولية بتتبعها عبر حالاتك.

عنـد هذا الحد ستكون علـى وعى ودراية تامتين بالبيانات، وقـد تتوصل إلى أفكار تتعلق بالموضوعات أو القضايا التى تأخذ فى التكشف والظهور.

ما الموضوعات الأولية؟

قبل أن تبدأ تحليلا للموضوعـات قد يكون لديك بعض الأفكار المتعلقة بنمط البيانات التـى أنـت بسبيلك إلى الاهتمام بها. سـوف تنبثق هذه الأفكار من واقـع أسئلة بحثك، واختيـار عينتك، ومن نفس عمليـة جمع البيانات. والآن تبدأ فى معرفة أنواع الأمور التى يتكلم عنها الأفراد أو التى يكتبون عنها، ويتوافر لديك إحساس بالقضايا التى تعتبر مهمة ولو فى نظر بعض المستجيبين على الأقل، كما أنك تحتاج أن تستكشف هذه القضايا إلى مدى أبعد عن طريق طرح أسئلتك الاستكشافية عن بياناتك:

– ما الذى يقولونه عن . . . . . ؟

– ما السبب الذى قد يجعلهم يقولون أن . . . . ؟

– ما الذى قد يعنون من قولهم . . . . . ؟

الآن أصبحت تتحرك بالفعل داخل المرحلة التالية، كما أن من المهم خاصة أن تسجل تصوراتـك وأفـكارك الشخصية فى هذه المرحلة لأنك شرعت فعـلا فى تفسير البيانات الخام، وبدأت فى فهم روح البيانات، وفى طرح المزيد من الأسئلة عن هذه البيانات.

إن ما تقوم به من فهرسة أولية، وتكويد ووضع للبيانات في صورة رسوم وأشكال بيانية يجب أن يرتكز على الموضوعات التي بدأت الآن في تحديدها، كما أن الرسوم والأشكال البيانية تساعدك - بصفة خاصة - في التركيز على هذه الموضوعات بمعالجتها بمزيد من التفصيل، لأنك تستطيع أن تربط مجموعة البيانات المتعلقة بموضوع معين ببعضها البعض.

المثال رقم (4-1)

الموضوعات الأولية

ستعتمد هذه الفقرة على المثال المستخدم في فصل 2 باب 4 (إن لم تكن قرأت فصل 2 باب 4 منذ مدة قريبة، فإن الوقت الحالي سيكون مناسبا للرجوع لهذا الفصل قبل الاسترسال في قراءة هذا الفصل).

استعمل هذا المثال بيانات مستمدة من بحث خيالي يدرس مدركات الأفراد الحسية وتصوراتهم عن «الطعام الصحي» في المملكة المتحدة في القرن الواحد والعشرين.

وقد تم إدراج البيانات المستمدة من المقابلات، وجماعات المناقشة، والوثائق في شكل بياني أولي لخص المصادر المختلفة للبيانات تحت موضوعات أولية هي: الوقت، والتكلفة، وتأثير الطفولة / العائلة، وتأثير وسائل الإعلام. (انظر الجدول رقم (4-2) في الفصل 2 من هذا الباب).

إن كنت وضعت شكلا بيانيا موجزًا يشتمل على أجزاء ذات أهمية خاصة مستخرجة من كل حالة، فأنت الآن قد تحتاج إلى وضع أشكال بيانية أكثر تفصيلا للموضوعات التي تنبثق من الشكل الموجز الأولي. مثال ذلك، وفي الشكل البياني الذي طورناه في فصل 2 باب 4، أثيرت قضية «الوقت» في معظم الحالات ولكنها أثيرت بطرق مختلفة من حيث صلتها بأفكار الأفراد عن الطعام الصحي، وعند هذه المرحلة يبدو أن موضوع «الوقت» يصبح جديرا بالمزيد من الإيضاح. من الممكن أن يقال إن «الوقت» واحد من الموضوعات الأولية الجوهرية في هذه المرحلة من التحليل. وقد يكون الأمر التالي الذي يتعين القيام به هو إعداد رسم بياني أكثر تفصيلا يركز على «الوقت» - حيث يستعمل بعض الأفكار المستخلصة من تلك البيانات كعناوين لأعمدة هذا الشكل البياني. يبين المثال رقم (4-2) إحدى الطرق التي بها يمكن القيام بهذا العمل.

المثال رقم (4-2)

شكل بيانى لموضوع «الوقت»

الجدول رقم (4-1): شكل بيانى لموضوع «الوقت»

	أسباب أولويات اختيارات الوقت	الطعام الصحى والتسوق ووقت طهو الطعام	الإحساسات تجاه الوقت
المقابلة رقم1	حينما يكون كلا الزوجين يعملان خارج المنزل، فإنه لا يتوافر لهما وقت كثير ليقوما بـ . . .	لا يوجد وقت كاف لإعداد أطعمة كاللحوم المشوية إلا فى نهاية الأسبوع. كما لا يوجد وقت لإعداد الفطائر أو الحلوى . . .	إننى أسلم بأن الوقت أمر مهم. وأحب أن يتوافر لى المزيد من الوقت.
المقابلة رقم 2	هذا هو العامل المؤثر فى نظرى، ففى حالة انشغالى أنا وزوجى خارج المنزل . . .		هذا هو العامل المؤثر فى نظرى، ففى حالة اشتغالى أنا وزوجى خارج المنزل لا يتوافر لنا وقت كاف فى الواقع. إننى أشعر بالذنب رغم أنه ينبغى على أن يكون لدى وقت لطهو الطعام لطفلى.
المقابلة رقم 3	فى الواقع أنا استمتع بطهو الطعام - وأنا أرى أنه نوع من الهواية.		
جماعة المناقشة رقم1	كان الوقت ثانى أهم العوامل المؤثرة على اختيار الطعام.		

جماعة المناقشة رقم2	أنـا أستمتع فعلا بطهو الطعام لذلـك نقوم به بالتناوب أنا وزوجى . . وهو لا يشكل عبئًا كبـيرا ، فهو لا يحدث كل يوم .	التجول فـى الأسواق معنـاه قضـاء نصـف الإجـازة نهايـة الأسبوع فى التسوق .	إنه لا يشـكل عبئًا كبيرًا ، فهو لا يحدث كل يوم .
الوثيقة رقم1		ليـس من الضرورى أن يحتاج إعداد وجبه مكونة من عناصـر طازجة إلى وقت طويل .	

هـذا جدول مقترح لمساعدتنـا فى استكشاف بعض التعليقـات التى طرحت وتناولها بمزيـد من التفصيـل . وبطبيعة الأمر ، سيكون من المحتمل وجـود مزيد من البيانات ، وفى هذه الحالة سيكون من المستصوب أن نعود إلى بياناتنا الخام التى قد يكون لها حينئذ مكان مناسب توضع فيه داخل الفئات الجديدة للجدول . إن عودتنا إلى هذه البيانات مع تركيزنـا على مفهوم «الوقت» ، وعلى الطريقة التى تم الحديث بها والكتابة عنها داخل كل حالة؛ نقول : إن عودتنا إلى هذه البيانات بهذه الصورة سيساعدنا فى النظر إلى هذه البيانـات بطريقـة معينة - كما لو كانت هذه النظرة مـن خلال عدسات ملونة ـ كما أن من الراجـح أن يبزغ المزيد من البيانات المتصلة بموضـوع «الوقت» بمرور الوقت . وقد نجد أيضا أننا بحاجة إلى إضافة أعمدة إلى الجدول الذى وضعناه ـ أو ، وفى مقابل ذلـك ، قد نقرر أن مفهوم «الوقـت» ليس شديد الأهمية كما بدا لنا فى أول الأمر ، وأن هذا الجدول ربما يحتاج إلى إعادة تصميم .

قد توجد جداول أو أشكال بيانية أخرى يتعين تطويرها : فى هذا المثال ، ربما نبحث عـن جدول أو شـكل بيانى يعبر عن كل موضوع من الموضوعـات الأولية الأخرى ، وهـى : تأثير وسائـل الإعلام على اختيار الأفراد للطعـام ، وتأثيرات مرحلة الطفولة والعائلة على الطعام ، وتكلفة الطعام .

تفسير البيانات

وأنـت تشـرع الآن فى تفسير البيانـات يكون مهمـا أن تسجل هـذه العمليات التى تخوضـن خلالها أثنـاء تطويرك للفئات. وعلى نهج المثال المذكـور فى ريتشى ولويس (2003)، نقـترح أن يتم ذلك على مراحل (لاحظ أننا، فى المثال المذكور أدناه، أضفنا بيانات مستمدة من مقابلتين أخريين).

المرحلـة رقم 1: أقرأ البيانات الخام ثم دون تفسـيرك لها بصورة نهائية – أى : معنى ما يقال فى هذا المقام بعبارات ذات طابع عام.

المرحلة رقم 2: ألق نظرة فاحصة إلى تفسيراتك بتتبعها عبر جميع الحالات.

المرحلـة رقم 3: حـدد الفئات التى تقع فى المستـوى التالى من مستويـات التصور العقلى والتى تندرج ضمن تفسيراتك.

مـن الأمور اللافتة للنظر أننا، فى فصل4 باب 1، ألقينا نظرة فاحصة إلى موضوع وضـع التعريفات والمفاهيم الإجرائيـة (ويعد «الوقت» أحد هـذه المفاهيم) مما أدى إلى حصولنـا على تعريفات إجرائية، يمكننـا أن نستعملها ونقيسهـا أو نميزها عندما تكون ماثلـة فى بياناتنا. والآن نحـن نعمل فى الاتجاه المعاكس لأننا نبحـث عما يعنيه مفهوم «الوقـت» فـى نظر مبحوثينا فـى ضوء الطريقة التـى يتكلمون بهـا أو يكتبون بها عن الطعـام الصحى. فكلماتهم تعطينا مجموعـة من أمثلة الطريقة التى بهـا يتفاعل الوقت مـع الطعام الصحى. كما أننـا، ونظرا لاهتمامنا بكيفية فهـم وإدراك الأفراد لخبرتهم هذه وكيفية تعبيرهم عنها، نحتاج لاستكشاف الطرق المختلفة لشعور الأفراد «بالوقت» مـن حيث صلته بالطعام الصحى. ولمساعدتنا فى القيام بهذا العمل، يتم تحديد عدد من الفئات المتعلقة بالطريقة التى بها يتفاعل الوقت والطعام الصحى.

فكر فى هذا الموضوع . . .

قدمنـا فى المثال رقـم (3–4) بعض التفسيرات لتلك البيانـات، واقترحنا بعض الفئات التى سنحتاج إلى التعمق فى استكشافها، فما رأيك فيها؟ هل ستكون تفسيراتك مختلفة؟ هل تستطيع أن تميز أى فئات أخرى سيكون من المهم استكشافها؟

المثال رقم (4-3)

تفسير وتحديد فئات الموضوعات

الجدول رقم (4-2): تفسير وتحديد فئات الموضوعات

الموضوع الأول:	الوقت	التفسير الأولى	فئات الموضوعات
المقابلة رقم 1	«أعتقد أن الوقت عامل مهم. حينما يكون الزوجان كلاهما يعملان خارج المنزل، فإنه لا يتوافر لهما وقت كاف ليعدا طعاما كاللحوم المشوية إلا فى نهاية الأسبوع. كما لا يوجد وقت لإعداد الفطائر أو الحلوى ... إننى أحب أن يتوافر لى المزيد من الوقت لأندمج فى طهو الطعام فعلا - إذ توجد فى هذه الأيام أفكار كثيرة للغاية فى برامج التليفزيون - كل ما أتمناه أن يتوافر لى الوقت والطاقة لتجربة بعض الأطعمة الجديدة».	● ينظر إلى طهو الطعام باعتباره مستنفدا للوقت. ● بعض أنواع الطهو تستغرق وقتا كبيرا. ● من المرغوب فيه توافر المزيد من الوقت. ● يمكن لطهو الطعام أن يكون استخداما ممتعا للوقت.	● طهو الطعام يستغرق وقتا. ● طهو الطعام يمكن أن يكون أمرًا ممتعًا.
المقابلة رقم 2	«هذا هو العامل المؤثر فى نظرى، ففى حالة اشتغالى أنا وزوجى خارج المنزل، لا يتوافر لنا وقت كثير فى الواقع. إننى أشعر بالذنب، بالرغم من أنه ينبغى على أن يكون لدى وقت لطهو الطعام لطفلى».	● أدوار العمل تؤثر على الوقت المتاح. ● ولا واحد من الزوجين لديه وقت للقيام بأداء دور طهو الطعام. الشعور بالذنب فى حق الطفل. هل طهو الأم الطعام للطفل - معناه أنها أم صالحة؟	● أدوار العمل/ الأسرة. ● طهو الطعام مرتبط بالوالدية «الصالحة».

الموضوع الأول:	الوقت	التفسير الأولى	فئات الموضوعات
المقابلة رقم 3	« فى الواقع أنا أستمتع بطهو الطعام - وأنا أرى أنه نوع من الهواية». ملحوظة: هل تتعلق هذه العبارة باستخدام الوقت؟	● طهو الطعام استخدام ممتع للوقت - يمكن أن يكون من أنشطة وقت الفراغ.	● يمكن أن يكون طهو الطعام ممتعا/ نشاط لقضاء وقت الفراغ/ يتم تحضيره بغرض قضاء الوقت فيه.
المقابلة رقم4	«أعتقد أن بإمكانى طهو طعام صحى بسرعة- فهى مسألة أن تكون منظما وأن تختار أطعمة بسيطة، وهذا أمر ليس شديد التعقيد».	● يمكن لطهو الطعام أن يكون سريعا وبسيطا. ● الطعام الصحى مسألة تتعلق بتنظيم الوقت	● الطعام الصحى مرتبط بالتنظيم وباختيار الأصناف المقدمة. ● الوقت يرتبط باختيار الطعام والأصناف المقدمة.
المقابلة رقم 5	«فى الواقع أنا لست مهتمة بطهو الطعام وما يشبهه من أمور - كل ما فى الأمر أنه ليس شيئا أرغب فى قضاء الوقت فيه. أنا أعلم أنه ينبغى على طهو الطعام، ولكن كل ما فى الأمر أننى لست هذا الشخص المناسب».	● ليست المسألة مسألة أولوية وقت. ● الشعور بالذنب، الضغط-ممن؟	● تمنيات بطهو الطعام - الشعور بالذنب؟ ● أولويات الوقت.

المصدر: بتصرف نقلا عن: ريتشى ولويس (2003، ص 240) حقوق الطبع 2003 محفوظة لدار نشر سيدج. مصرح بالنشر.

فكر فى هذا الموضوع . . .

الاشتغال بالوثائق

أنت الآن تقوم ببحث الطرق التى يتبعها الأفراد فى العثور على أفراد آخرين يقيمون معهم علاقة تواصل فى المملكة المتحدة فى القرن الواحد والعشرين، ثم إن أحد مصادر بياناتك هو مجموعة من الإعلانات الشخصية المنشورة فى جريدة قومية. يمكن النظر إلى كل إعلان من هذه الإعلانات باعتباره وثيقة صغيرة، لذلك اسأل نفسك أولا:

(أ) من كاتب هذا الإعلان؟

(ب) ما الذى يحاول كاتب الإعلان قوله؟

(جـ) إلى من يتحدث كاتب الإعلان؟

(د) لماذا كتب هذا الإعلان بهذه الطريقة؟

(هـ) ما الذى يسعى الكاتب إلى تحقيقه؟

ابـدأ بعد ذلـك بتناول الوثائق عـن طريق التدويـن السريع الموجـز لتفسيراتك وللفئات الممكن استخلاصها.

جدول رقم (4-3) : البدء فى تفسير الموضوعات ووضع فئاتها. (الإعلانات الشخصيـة الواردة هنا منقولة بتصرف عن ركن «أشقاء الروح» SoulMates بجريدة الجارديان).

الإعلانات الشخصية	التفسير الأولى	فئات الموضوعات
1 - أنـا صاحب مهنة محترمة، لاأزال فـى صحة جيدة، وأنا سليم جسميا ونفسيا، كما أننى وسيم على نحو فيه شيء من الجلافة. تشمل اهتماماتى: رياضة المشى، والموسيقى، وطهو الطعام.		
2- مدرسـة جميلة تبحث عـن رجل وسيم ذى بنيـة متينة ليتقاسما حلوى الشيكولاتة.		
3- لا تتغاض عنى - أنا إنسان ودود، منبسط وعملى، أتمتع بقدر يسـير من الرومانسية، أبحث عن شقيـق للروح عمره ما بين 35 و 50 سنة.		
4- أنـا مجنون بشكل طفيـف وأبحث عن شخص ذى طبيعة خاصة ليشاركنى هذه الحياة المجنونة.		
5- أنـا شخص عطوف، وحساس ولست مملا، أبحث عن شخص يشاركني تناول القهوة والحلوى.		
6- أنا مليئة بالحيوية والنشاط، شقراء، ذات قلب شاب، أبحث عن فتى مخلص أنيق حاصل على شهادة GSOH، السن غير مهم.		
7- أنا فـى حالة طيبة ولى قلب عطوف، أبحث عن علاقة ناضجة مع شخص تزيد سنه عن 40 سنة يشاركني شغفى بالفنون الإبداعية.		
8- أنـا عاطفية، شقراء، 40 سنة، أبحث عـن فتى وسيم ممتاز لا يبحث عن الحب.		

الإعلانات الشخصية	التفسير الأولى	فئات الموضوعات
9- أنـا هادئ الطباع، بل ورائـع، أود أن أتقاسم الوقت، وأتمنى أن أتقاسـم الوقت، وأتمنى أن أتقاسم ما هو أكثر من ذلك، مع سيدة رائعة الجمال سنها دون الأربعين.		
10 - أنـا محـام، سنى 35 سنـة، أبحث عن امـرأة ذات جمال لا يقـاوم، واثقة بنفسها، ذكية، جديـرة بالحب، من أجل اقتسام الحب والوقت والترويح عن النفس.		

البحث عن العلاقات فى البيانات

الآن وقـد استكشفنـا معالم مفهوم "الوقـت" من حيث صلته بالطعـام الصحى فلعلنا سنحتاج إلى إلقـاء نظرة فاحصة إلى الموضوعات الأوليـة الأخرى وإلى كيفية ارتباط كل واحد منها بالآخر. بهذا الشكل، يمكن تنفيذ جداول وأشكال بيانية مشابهة، وطرح تفسـيرات وفئـات مشابهة ذات صلـة، فى مثالنا هـذا، بتأثيرات الطفولـة، وبوسائل الإعلام، وبالتكلفة.

قد يكون مفيدًا أن تكتب تقريرا وصفيا عن بياناتك يرتكز على أساس هذا المستوى من التفسير الذى بلغته عند هذه المرحلة، لأن هذا التقرير يمكن أن يزودك بأساس لنتائجك. ومهمة التقرير الوصفى أن يبرز ما توصلت إليه من نتائج حتى هذه اللحظة، وهو:

- أن بعض الموضوعات الأولية قد تم تحديدها.
- ويتضح من واقع هذه البيانات أن لكل موضوع على حدة مجموعة طرق يرتبط وفقا لها بالموضوع المحورى (وهو موضوع الطعام الصحى فى هذا المثال).

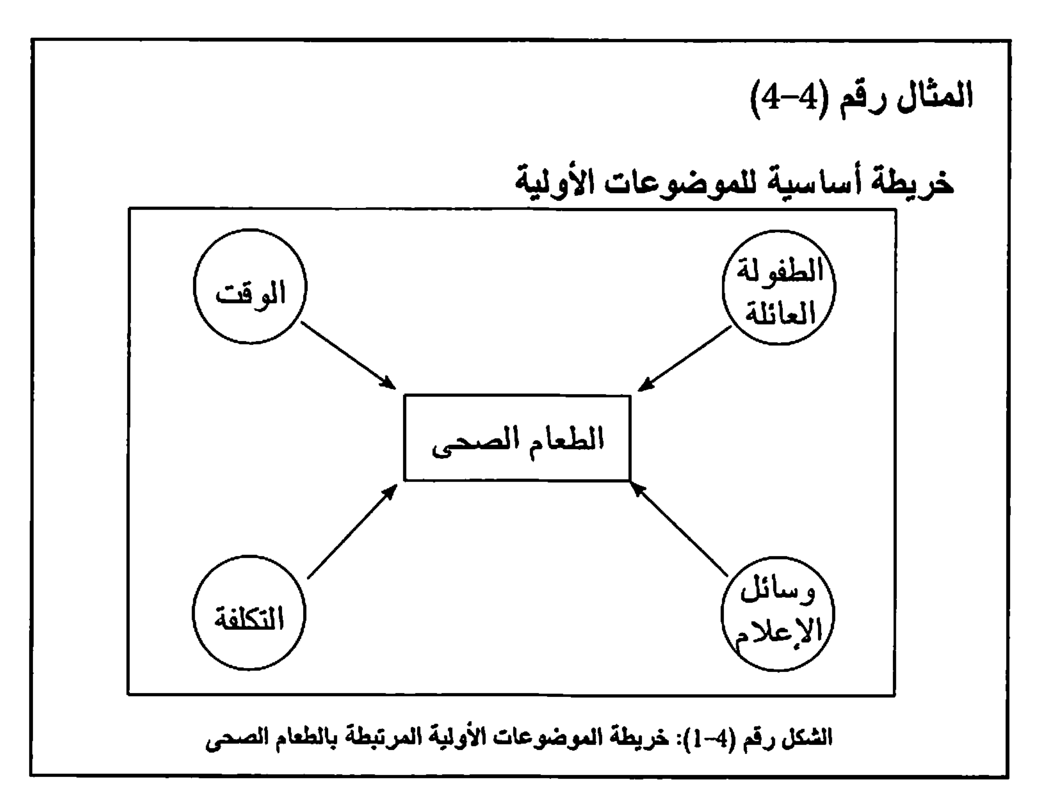
أنـت الآن بحاجة للمضى فـى تأمل الطرق التى بها تترابـط الموضوعات الرئيسية مع بعضها ولاستكشاف أوجه التشابه والاختلاف الممكنة بين حالاتك.

ومن المفيد لكثير من الباحثين أن يفكروا فى العلاقات التى بين الموضوعات والفئات بأسلوب الجداول والأشكال البيانية، كما توجد طرق متنوعة للقيام بهذا العمل. يتوافر لأغلب حـزم برامج الكومبيوتر الخاصة بتحليل البيانـات الكيفية طريقة ما لاستكشاف البيانات باستعمال الأشكال البيانية.

أبسط طريقة للبدء هو أن تصمم مخططًا أو ترسم خريطة تحدد فيها مواقع موضوعاتك بالنسبة لبعضها. من شأن هذا أن يبدأ فى صورة شكل بسيط عن طريق ربط كل موضوع بالقضية المحورية للبحث.

المثال رقم (4-4)

خريطة أساسية للموضوعات الأولية



الشكل رقم (4-1): خريطة الموضوعات الأولية المرتبطة بالطعام الصحى

الآن يمكنك أن تضيف المزيد إلى الفئات الرئيسية أو إلى الموضوعات الفرعية التى تأخذ فى الظهور، والمتصلة بكل موضوع من الموضوعات الأولية. فى المثال رقم (4-5) الوارد أدناه يتم تكويد هذه الموضوعات الفرعية بألوان مختلفة تشير للموضوعات الأولية. من المحتمل أن تتولد هذه الفئات أو قل هذه الموضوعات الفرعية من واقع تفسيراتك وفئاتك الخاصة. وفى أثناء قيامك بتجميع هذه الموضوعات الفرعية حول كل موضوع أولى على حدة، فكر فى مدى احتمال ارتباطها بالموضوعات الأولية الأخرى. حاول أن تقلبها على مختلف أوجهها لتساعدك فى استكشاف شتى الاحتمالات. فإن ألقيت نظرة فاحصة على ما لديك من أشكال بيانية أو على قائمة بكل البيانات التى لديك عن كل فئة على حدة، فسوف تبدأ فى رؤية روابط ممكنة ـ أو قل: أوجه اشتراك وتشابه.

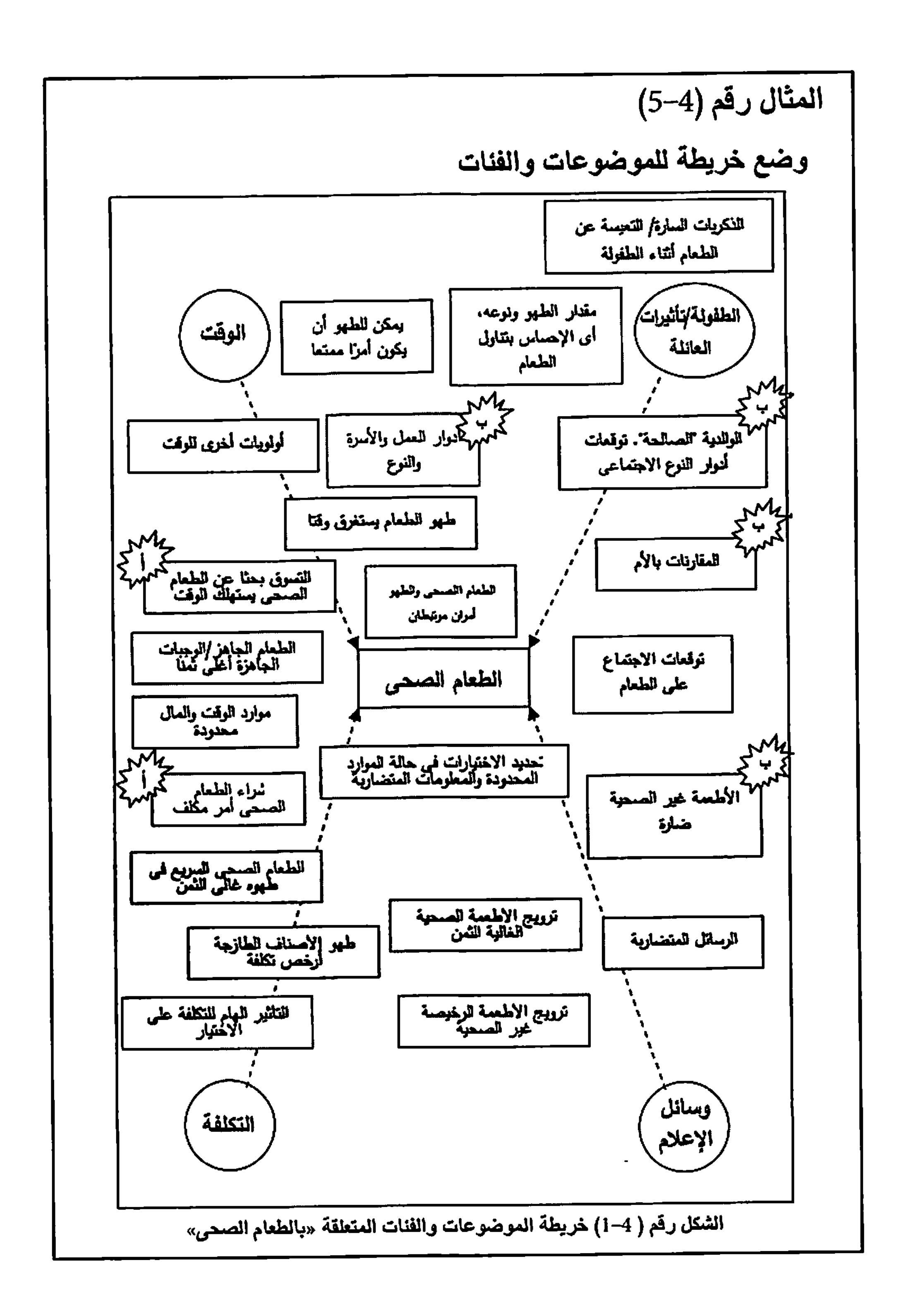
تبـدأ هـذه العملية فى الظهور بشكل معقـد تماما، إلا أن الشكل يبـدأ فى الكشف عن بعضـ الروابط اللافتة للنظر. مثال ذلك أنه لو ألقينا نظرة فاحصة على الفئات المحيطة بموضوع «الوقت» لأمكننا أن نرى أنها قد انتظمت بحيث تكون على مقربة من الفئات ذات الارتبـاط بموضوع (أ) *الطفولة وتأثـيرات العائلة* و(ب) *موضوع التكلفة*. وهذا يوحى بأنه يوجد طريقتان مختلفتان فى الواقع يتم التحدث عن موضوع «الوقت» بهما.

(أ) فـى إحدى هاتين الطريقتين يُتخذ نقصـ «الوقت» كحيلة، أو ذريعة، ويُنظر إلى الطعـام الصحى باعتبـاره مكلفا من حيث الوقت والمال كليهمـا. وقد تم تمييز هذه الفئات بحرف (أ) فى هذا الشكل البيانى بالتفصيل التالى :

- **الوقت** : التسوق بحثا عن الطعام الصحى يستهلك الوقت.
- **التكلفة** : شراء الطعام الصحى أمر مكلف.

ملاحظة سريعة : كلا هذين *الموضوعين يرتبطان بتوفر الموارد*.

(ب) الطريقة الأخرى للتحدث عن الوقت تكون من حيث ارتباطه بأدوار العمل وأدوار الأسرة، ومن حيـث توفير الوقت لطهو الطعام (للآخرين، خاصة للأطفال، كما هـو فى بعض الحالات). وقد تكـون هذه الطريقة مرتبطـة بالخبرات التى ترجع للطفولـة، والأفكار المتعلقـة بالوالدية وتوقعات الأدوار. قـد يوجد هنا فروق بين الجنسـين (الذكـور والإنـاث). وفى مقابل ذلـك، قد توجد رابطة بـين التوقعات المنتظـرة من كـون المستجيب «أبـا صالحًا» أو مـن كون المستجيبـة «أما صالحة» مـن جهة، وما تبثه وسائـل الإعلام من رسائل تتعلق بالتأثـيرات الضارة لبعض أنمـاط الطعام من جهة أخرى. وهذه الفئات التى يمكـن الربط بينها قد رمزنا لها بحرف(ب) فى هذا الشكل البيانى .



الشكل رقم (4-1) خريطة الموضوعات والفئات المتعلقة «بالطعام الصحى»

● *تأثيرات الطفولة والعائلة* : الوالدية الصالحة/ توقعات أدوار النوع الاجتماعى. المقارنات «بالأم».

● وسائل *الإعلام*: الأطعمة غير الصحية ضارة.

● *الوقت* : أدوار العمل/ الأسرة / النوع.

ملاحظة سريعة: *قد ترتبط هذه الموضوعات الفرعية جميعها بموضوع يتعلق بالتوقعات المنتظرة من الأفراد (قد يكون هؤلاء الأفراد هم الوالدين بصفة خاصة، أو الأمهات تحديدا؟) وبالتوقعات المرتبطة بتوفير الطعام الصحى للآخرين، وبالشعور بالذنب المرتبط بعدم الوفاء بهذه التوقعات. يبدو أن هذا الموضوع يتسم بالأبعاد التالية : أدوار النوع، أولويات الوقت، الضغوط المنبعثة من داخل النفس (كالإحساس الذاتى بتأثيرات الطفولة) والضغوط الآتية من خارج النفس (أى: من وسائل الإعلام) فيما يتصل بتوفير الطعام الصحى للآخرين.*

باشتغالنا بهذا الشكل البيانى بهذه الطريقة مع الرجوع المستمر للبيانات الخام لاختبار صحة التفسيرات، فإننا نرى بصورة مؤقتة أن بإمكاننا الانتقال من هذه الموضوعات الأولية إلى موضوعات أربعة عامة ذات مستوى أعم وأعلى قد تساعدنا فى تفسير كيف يحدد الأفراد اختياراتهم المتعلقة بتناول الطعام. هذه الموضوعات العامة الأربعة هى تلك التى بينا كل واحد منها فى قطاع من قطاعات هذا الشكل البيانى، كما أنها ترتبط أساسا بالعلاقة القائمة بين اثنين أو ثلاثة من الموضوعات الأولية، كما أنها مظللة باللون الغامق فى هذا الشكل البيانى:

وهذه الموضوعات الأربعة العامة هى :

الطعام الصحى والطهو مرتبطان ببعضهما.

الموارد المحدودة لكل من الوقت والمال.

الوفاء (أو عدم الوفاء) بالتوقعات الخاصة وتوقعات الآخرين.

تحديد الاختيارات فى حالة الموارد المحدودة والمعلومات المتضاربة.

عند هذا الحد قد نشعر بأننا قمنا بقفزات كبيرة من البيانات إلى مجموعة من الأحكام. وهذا معناه أن الوقت حان للعودة لمراجعة البيانات حتى تعرف ما إذا كانت هذه الأحكام تستوعب ـ بصورة ملائمة ـ تلك البيانات التى سبق لك أن جمعتها أم لا، وللنظر مرة ثانية من خلال عدسات هذه الأحكام.

المثال رقم (6-4)

المراجعة فى ضوء البيانات الخام

بالنسبة لكل موضوع عام، ضع قائمة بالموضوعات الفرعية أو فئات الموضوعات المرتبطة بذلك الموضوع العام. ثم:

فى داخل كل حالة على حدة

ابحث عن نماذج للفئات داخل المجموعة الكاملة للبيانات بالنسبة لهذه الحالة، وانظر ما إذا كان هذا الموضوع العام متسقا فى ضوء هذه الحالة.

- بالنسبة لبعض الحالات قد يكون لموضوع معين ارتباط طفيف بهذه الحالة أو ربما لا يرد لهذا الموضوع ذكر أصلا. وهذا أمر لا بأس به، فكل حالة ستكون مختلفة عن الحالات الأخرى.
- سوف يختلف الموضوع بالنسبة للحالات المختلفة. مثال ذلك، أن بعض الأفراد قد يعطى الأولوية لطهو الطعام الصحى لأطفالهم -جزئيا- لأنهم لم يحصلوا على طعام صحى عندما كانوا أطفالا، وقد يشعر غيرهم بأنهم مذنبون نظرًا لأنهم لا يعطون الأولوية لطهو الطعام، وذلك بسبب أن أمهاتهم كن يطهين الطعام لهم، ولهذا فهم ينتظرون توقعات لأفعال تصدر عنهم. إن هذه الاختلافات مثيرة للاهتمام كما أنها تعتبر نتائج رئيسية بالنسبة للبحث.

من واقع كل الحالات

ألق نظرة فاحصة على البيانات التى ترتبط بكل فئة فى جميع الحالات وتحقق مما إذا كان يوجد أى حالات لا "تتناسب" مع هذا الموضوع العام، وأمعن النظر فيما إذا كان هذا الموضوع العام يجب تعديله أم لا.

- من شأن ذلك أن يساعدك فى توضيح مجموعة البيانات المندرجة داخل كل موضوع.
- قد يساعدك ذلك على تمييز أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين الحالات.

لدينا الآن إطار نبحث فى داخله عن أوجه التشابه والاختلاف بين حالاتنا. فبإمكانك مثلا، أن تلقى نظرة فاحصة إلى مدى اختلاف الرجال عن النساء من حيث الطريقة التى يتكلمون بها عن كل موضوع من تلك الموضوعات العامة. مثال ذلك:

- هل يميل الرجال إلى تأكيد أهمية جوانب مختلفة، أو هل لديهم تصورات مختلفة عن «الوقت»؟
- هل النساء اللاتى لديهن أطفال يزداد احتمال أن يتحدثن عن التوقعات المتعلقة بطهو الطعام والطعام الصحى أكثر من النساء اللاتى ليس لديهن أطفال؟

قد توجد تشابهات واختلافات أخرى تكون قد لاحظتها أو فكرت فيها أثناء اشتغالك بالبيانات، والآن حان الوقت لاستكشافها إلى مدى أبعد. بإمكان هذا الاستكشاف أن يفضى إلى تفسيرات (مؤقتة غير نهائية) للاختلافات أو للعلاقات الخاصة بين بعض الأمور.

لعلك تفكر أيضا فى تطوير نوع من عمليات التنميط typology – والتنميط فى الواقع طريقة لتقسيم حالاتك إلى مجموعات مترابطة وفقا لمجموعة من الخصائص. وبالنسبة لتحليل الموضوعات تشير هذه الخصائص إلى موقعها من هذه الموضوعات. ومن طرق استكشاف الأنماط الممكنة فى المثال المذكور أن تحدد موقع كل حالة من هذه الحالات ضمن الموضوعات العامة الأربعة، فتنظر أى هذه الحالات متشابهة ثم تنظر فيما إذا كان يوجد تشابهات أخرى بين هذه الحالات من عدمه. فإن تبينا – على وجه الإجمال ـــ وجود تشابهات واختلافات بين المجموعات قائمة على أساس النوع والأطفال، فقد نتوصل إلى تنميط بسيط يرتبط بالجنس والأطفال على النحو التالى:

- رجال لديهم أطفال.
- رجال ليس لديهم أطفال.
- نساء لديهن أطفال.
- نساء ليس لديهن أطفال.

من جانب آخر، قد نجد أن بإمكاننا تطوير تنميط يعتمد على الموضوعات العامة الأربعة وفقا للأسس التالية:

1 – الطعام أمر مهم بصرف النظر عن الوقت والتكلفة؛ الاستمتاع بطهو الطعام؛ الصحة أعلى قدرًا.

2 – اختيارات الأفراد للأطعمة لابد أن تتم فى إطار قيود ضابطة، إلا أنهم سيحاولون بذل جهدهم لطهو الوجبات الصحية نظرًا للتوقعات المنتظر منهم القيام بها.

3 – المشاعر الناجمة عن الضغط والإحساس بالتقصير، أو العجز عن تحقيق الإنجاز المطلوب بشأن الطعام الصحى.

4 – لا اهتمام أو انشغال بأن يكون الطعام صحيا، فالوقت والتكلفة هما العاملان الحاسمان.

لا ريـب أنك ملزم بالاختبـار الشامل لأحد التنميطات حتى تعرف إن كان العمل به مجديـا (بدرجـة أو بأخرى) فيأتى بنتيجة مع كل حالة مـن حالاتك ، إلا أن هذا التنميط يمكن أن يمثل ركيزة للمناقشة التى ستوردها فى تقرير بحثك أو رسالتك العلمية.

فكر فى هذا الموضوع

لنفترضـ أننا كنا نقـوم بالبحث عما لدى الأفراد من مـدركات حسية وتصورات تتعلـق بالطعام الصحى ، وكان هذا البحث ينفذ لصالح جهة حكومية ترغب فى الحث على تناول الطعـام الصحى بين السكان فى المملكة المتحدة. يزودنا هذا المثال الخاص بتحليل الموضوعات ببعض المفاتيـح المتعلقة بالأسباب التى تجعل الناس يقبلون ، أو لا يقبلون ، على تناول الطعام الصحى ، كما قد تتوافر لنا بعض الأفكار المتعلقة بالطريقة التـى بها يمكن تشجيعهـم : بناء على هذا المثال ، ما المشورة التـى تود تقديمها لمسئول حكومى يفكر فى القيام بحملة إعلانية للحث على تناول الطعام الصحى؟

عرض تحليل الموضوعات

بعد أن تُطور تحليلا للموضوعات ، يتعين عليك وقتها أن تعرضه لجمهورك بطريقة من شأنهـا أن تبين كيف تعاملت مع بياناتك ، ومـا الذى انتهيت إليه من نتائج ، وكيف ساعدك هذا التحليل فى الإجابة عن أسئلة بحثك . وقد سبق أن أشرنا فى هذا الفصل إلى أن من المفيد أن تكتـب تقريرا عن التحليل الأولى للموضوعات لأن هذا سيكون بمثابة الجزء الأول من نتائجك . وفى ثنايا هذا التقرير يتعين عليك أن تبين ، ربما عن طريق استعمال الأشكال البيانية (انظر قائمة المصطلحات) وبعض المقتبسات الحرفية المختارة (أى: بعض الجمل والعبارات التى صدرت من المستجيبين ، وبنفس حروفها وألفاظها ، بدون تصرف) من واقع بياناتك ، وكيف تم تطوير فئات موضوعاتك ، وأخيرا كيف تعاملت مع هذه الفئات لتنتج موضوعات عامة ، وربما لتقدم نوعا ما من التنميط . ذلك أن قيامك ببيان كيفية معالجتك لهذه البيانات ، وكيفيـة تفسيرك لها بصفة خاصة ، يعد جزءًا جوهريًا من تقريـر بحثك أو رسالتك العلمية لأنـه يوفر نوعًا من التحقق من أن تحليلك موثوق به وأن تفسيراتك صحيحة يعتد بها . وقد تحتاج إلى أن تدرج بعضا من هذه البيانات فى ملحق ترفقه بتقريرك أو رسالتك العلمية إن كانت اعتبارات الحيز تحول دون ذكرها تفصيلا فى المتن . بعد عرضك لنتائجك وتحليلك ، يكون من الملائم أن تتركـز مناقشتك على الموضوعات العامة ، وعلى أى عمليات تنميط ، وعلى الطريقة التى تقوم بها هذه الموضوعات العامة والتنميطات بالإجابة ، بشكل ما ، على أسئلة بحثك وإبداء الملاحظات بشأنها .

بحثـك

إن كنت تعالج بياناتك مستخدما تحليلا للموضوعات ، فحاول اتباع نفس خطوات العملية التى استخدمناها فى هذا المثال ، هى :

1 – نظم البيانات .

2 – حدد بعض الموضوعات الرئيسية الأولية .

3 – استكشف هذه الموضوعات مستخدما للجداول والرسوم البيانية .

4 – دون تفسيراتك .

راجع باستخدام البيانات

5 – قارن هذه التفسيرات من واقع جميع الحالات .

6 – طور فئات الموضوعات التى يمكن وضع بياناتك فيها .

راجع باستخدام البيانات

7 – استخـدم شـكلا بيانيا لمساعدتك فى التصور الشامـل للعلاقات الممكنة بين هذه الفئات .

راجع باستخدام البيانات

8 – اختبر هذه العلاقات من أولها لآخرها بالرجوع إلى البيانات والنظر إليها من خلال عدسات مختلفة .

9 – ابحث عن الموضوعات العامة التى تشتمل على العلاقات التى قمت بتحديدها .

راجع باستخدام البيانات

10 – عد إلى بياناتك مراجعا لها لترى ما إذا كانت الموضوعات العامة شاملة أم لا .

11 – استخـدم الموضوعات العامة فى استكشاف البيانات وابحث عن التفسيرات الممكنة للعلاقات .

راجع باستخدام البيانات

12 – ابحـث عـن التشابهات والاختلافات الموجودة بـين الحالات ، وابحث عن البيانات التى تساعد على تفسير هذه الاختلافات والتشابهات .

13 – هل بدأ يتبلور نوع من التنميط؟

14 – عد إلى أسئلة بحثك – هل ساعدك هذا التحليل فى الإجابة على أسئلتك؟

بحثـــك

اختبار جودة البحث

فـــى هـــذه المرحلة من العمليـــة البحثية ينبغى أن تكـــون مشغولا أساســـا بصحة أو مصداقية تفسيراتك وبشفافية تحليلك.

- هـــل راجعـــت تفسيراتك باستعمال البيانـــات على امتداد عمليـــة التحليل من أولها لآخرها؟
- أيمكنك أن تبين للآخرين كيـــف اتخذت قراراتك بشأن موضوعاتك وكيف قمت بتعريف تلك الموضوعات؟
- أيمكنك أن تبين كيف قررت أن تصنف «نُتف» البيانات؟
- هل تعتبر نتائجك وتفسيراتـــك معقولة فى ضوء البحوث والنظريات التى تتناول هذا المجال؟ وهل هذه النتائج والتفسيرات ذات مصداقية؟

المراجع وقراءات للاستزادة

Grbich, C. (2007) *Qualitative Data Analysis: An Introduction*, London: Sage.
Richards, L. (2005) *Handling Qualitative Data: A Practical Guide*, London: Sage.
Ritchie, J. and Lewis, J. (2003) *Qualitative Research Practice: A Guide for Social Science Students and Researchers*, London: Sage.

الفصل الخامس

تحليـل السـرد

محتويات الفصل

- النسخ (أي: النقل من وسيلة إلى أخرى).
- التحليل
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

قدمنـا فى الفصل 7 باب 3 وصفا للروايـات الشفاهية باعتبارها حكايات تمت صياغتهـا اجتماعيـا، وبينا كيفيـة جمع هذا النـوع من البيانـات. والآن ننتقل إلى دراسـة موضـوع كيف يمكـن تحليل هـذه البيانات واستخدامهـا فى البحث الاجتماعى.

تذكـر أن ما نحاول تحليله هنا ليس بالضرورة وقائع قصـة ما، بـل الأصـح النهـج أو الطريقـة التى رتب بهـا راوى القصــة، أى (القاص/ أو الراوى) الأمور التى يريد الحديث عنها.

«القصــة الشفاهية تصوير لسلسلة من الأحــداث الماضية كما تبدو للراوى فى الوقت الحاضـر، وذلك بعـد أن تكون قـد عُولجت، وحُللـت، ورُكبت فى هيئـة حكايات. لهذا يحظى مفهـوم «التصوير» هذا بأهمية بالغة، فالروايـات الشفاهية ليست سجلات للأحداث، إنها تصورات ورؤية لسلة من الأحداث». (فصل7 باب 3).

ويمكن القول بصـورة عامة أن عملية تحليل الرواية الشفاهيـة تنقسم إلى ثلاثة أقسام (انظر، علـى سبيل المثال، ريسمـان، 1993، 2008) أو (ليبليش وآخـرين، 1998). وهذه الأقسام هى:

1 - القص (أى: حكاية القصة) (فصل7 باب 3).

2- النسـخ/ التنظيم، أى تحويـل القصة من كلام مسمـوع إلى كلام مكتوب (فصل2 باب3، وفصل 2 باب 4).

3 - التحليل (فهم البيانات واستخراج النتائج).

نفترض فى هذا الفصـل أن الخطوة رقـم (1) أعلاه قد استوفيـت، ولذلك ننتقل إلى خطوة النسخ.

النسـخ (أى : النقل من وسيلة إلى أخرى)

بعـد أن تجمع بياناتـك الشفاهية (والتى تكـون فى شكل تسجيل صوتـى عادة) فإن المرحلة الأولى للتحليل هى أن تنسخ (أى : تنقل) هذا الصوت إلى وثيقة معالجة كلمات. وهذه خطوة جوهرية لابد منها فى هذا التحليل (بالرغم من أن كثيرا من تقنيات التحليل الكيفى الأخرى تلجأ إلى عملية النسخ، فإنه ليس من اللازم دائمًا أن تقوم بهذا العمل). وغنى عـن القول إن النسخ عملية مستهلكة جدا للوقـت، إلا أنها مهمة لسببين رئيسيين (سبق أن تناولنا هذين السببين بمزيد من التفصيل فى فصل 2 باب4) وهما:

1 - الوصول إلى معرفة بياناتك بشكل أوفى.

2 - إعـداد القصة للتحليل: ومن الأمور الحيوية على وجه الخصوص أن تبقى القصة موجودة كشىء يمكن النظر إليه كوحدة متكاملة.

نـود أن نؤكد علـى أهمية التفكير فى هاتين المسألتين معـا؛ فمعرفتك لبياناتك ولطريقة تنظيمهـا وترتيبهـا أمر مهم لعملية تحليـل الرواية الشفاهية. أمـا انتفاعك بشخص آخر غـيرك لنسخ هذه البيانات فيعد (أ) أمرًا مكلفـا دائمًا، و (ب) قد يكون محفوفا بالمخاطر. ويلاحظ ريسمان فى هذا الصدد قائلا :

«فـى المرحلة المبكرة مـن دراسة أجريناها عن موضوع الطـلاق، عندما عادت زميلتى فـى البحث لمراجعة دقة النصوص المنسوخـة، اكتشفت وجود أصوات وكلمات موجودة فى شريط التسجيل لم تظهر فى النص المنسوخ على الآلة الكاتبة. وعندما سئلت عن ذلك الموظفة التـى قامت بنسخ التسجيل الصوتى إلى نص مكتـوب ردت على سؤالنا أنها نحت كل ما هو بعيـد عن الموضوع جانبا، أى الكلام الذى «لم يكن ردا على سؤال من الباحث». ومع ذلك فإن تلك الأمور التى تبدو غير ذات صلة بالموضوع تمثل السياق الجوهرى الذى لا غنى عنه للتفسـير، كما أن هذه الأصوات والكلمات البعيدة عن موضـوع السؤال كانت، وعلى نحو غير نادر، روايات شفاهية، أى إنها لب الموضوع». (ريسمان، 1993، ص57).

عندما يتم نسخ الروايات الشفاهية، يكون من الممكن الانتقال إلى المرحلة التالية : وهى مرحلة التحليل.

التحليـــل

يمكــن القول فى الواقع أن التحليل قــد يبدأ فعلا فــى مرحلــة مبكرة للغاية من البحث ويستمر خلال مرحلة النسخ. إلا أنه يصبح الآن أكثر تنظيمًا.

المرحلة الأولى لتحليل الروايــة الشفاهية هى القراءة. وتتم القراءة من أجل الفهم التام للحكايــة (وأنت بطبيعة الأمر قد قمت بقراءة هذه الحكاية عندمــا كنت تقوم بعملية النسخ ـ ومــع ذلك، فإننا نعتقد أن قراءة مستقلة للنص بعــد أن تم نسخه عمل مفيد). ولا ريب أنه يتعين عليك أن تقرأ سائر الحكايات التى جمعتها – وهذا يستغرق وقتا كبيرا بطبيعة الحال.

يوجد عــدد من الأساليب التى يمكــن استخدامها فى تحليل الروايــات الشفاهية (انظر ريسمــان، 2008، على سبيل المثال)، ويعد بعضهــا مماثلا للتقنيات المستخدمة فى تحليل الأنماط الأخرى من البيانات الكيفية (الباب 4). وتفيدنا هنا ـ بصفة خاصة ـ تقنية «تحليل الموضوعات» التى يمكن أن تأتى بنتائج جيدة.

البحث الواقعى

تحليل بعض الروايات الشفاهية لقصص حياة مراهقين مضطربى السلوك

قــام ساندرســون وماكــو(Sanderson and McKeough 2005) بدراســة لعشرين شابا تقع أعمارهم بين 16 و 21 سنة ممن يعيشون فى الشوارع بلا مأوى. كان قصــد الباحثــين أن يتعرفا على قصص حياة المشاركين بحثا عن دليل يثبت أن ما مروا به من خبرات سلبية قبل ذلك هى التى أدت إلى أوضاعهم الحالية.

كانــت جلسات جمع البيانات السردية تدار بينما كانت القصص تسجل على شريط تسجيــل صوتى فى جلسات من النوع الذى يتبع فيه أسلوب تدخل الباحث باستعمال الأسئلــة والتعليقات المحفزة. وقد تم تحليل البيانات باستعمال مزيج من تقنيات تحليل الموضوعات وتحليل المضمون (فصل7 باب 4).

انتهى هــذا البحث إلى نتيجة مفادها أنه توجد مؤشرات قويــة على أن المعاملة السلبية السابقــة هى التى أدت إلى المشكلات السلوكية التــى يعانى منها المبحوثون وإلى معيشتهم فى الشارع. كما انتهى الباحثان إلى أن البحث السردى كان طريقة فعالة ـ بصفة خاصة ـ فى الوصول إلى مجتمع البحث هذا، وكذلك فى الحصول على بيانات مفيدة للبحث.

مـن تقنيات التحليل الخاصة التـي تمكنك من الوقوف على الطريقـة التى يتم وفقا لها صياغة الرواية الشفاهية تقنيـة التحليل البنائى للرواية الشفاهية. وهى فحص لطريقة صياغة الروايـة الشفاهيـة من أجل تحقيق مقاصد الراوى. ويمكن القـول إن أكثر أسباب حكاية القصص شيوعًا هى (انظر فصل7 باب 3):

- إقناع الآخرين.
- تبرير السلوك الماضى أو القرارات الماضية.
- التسويغ التبريرى (وليس الحقيقى أو المنطقى).
- تقديم تفسيرات أو تصورات معينة للأحداث.
- انطلاق رواة الحكايات الشفاهية فى سبلهم الخاصة الموصلة لغاياتهم الخاصة.
- إثارة الشفقة أو الاهتمام.

فـى التحليـل البنائى للرواية الشفاهية، تقـرأ القصة فى أثناء البحث عـن الطرق التى بها حاولت الراوية أن تعرض قضيتها. من الممكن القيام بذلك بأساليب كثيرة، إلا أنك قد تبحث عـن أمثلة يستخدم فيها الـراوى أمورا مثيرة للشفقة أو حججـا ذات منطق قوى ليضمك إلي جانبه بأسلوب عقلى. ويستحق هذا الأمر أن تعاود تفقد قائمة «أساليب الحكايات» (المذكورة أدناه) والمثال الذى قدمناه فى فصل 7 باب 3، وذلك لأنهما يعطيان بعض المؤشرات الدالة على أصناف الأمور التى يتعين عليك البحث عنها عند استخدام التحليل البنائى.

المثال رقم (5 – 1)

أساليب الحكايات

أسلوب التأريخ.

أسلوب الأجندة الصريحة.

أسلوب الأجندة المستترة.

أسلوب السعى إلى إضفاء الشرعية.

أسلوب السعى إلى الحصول على موافقة الباحث.

أسلوب البحث عن المعلومات.

أسلوب الإفصاح عن المعلومات.

أسلوب الانتقاد.

كما هو واضح فى الأمثلة الواردة فى "البحث الواقعى" أدناه، يكون من الملائم أن يعتمد تحليل السرد على مجموعة من التقنيات والطرق الخاصة بمعالجة البيانات. بجانب ذلك يقوم الباحث بالنظر الفاحص إلى الرواية الشفاهية وهى تحكى، كما يقوم بترصد الإشارات التى توحى بها الطريقة التى تجرى وفقا لها صياغة المادة السردية وقت روايتها، كما يترصد السبب الذى جعل هذه الرواية تصاغ بهذه الطريقة. لهذا يكون من الملائم عند عرض النتائج ومناقشتها أن ينصب الاهتمام على: كيف آل أمر كل رواية شفاهية على حدة إلى أن تصاغ بهذه الطريقة، وكيف يتجلى ذلك فى القصة نفسها من خلال الأسلوب الذى تستخدم به مفاهيم التحليل الموضوعاتى ولغة التحليل الموضوعاتى فيما يقدمه الباحث من توصيفات وتفسيرات.

البحث الواقعى

تحليل رواية شفاهية لاستعمال الوالدين الدواء التكميلى أو البديل فى علاج الأطفال المصابين بمتلازمة داون (أى:المونغوليين).

قام بروسينج Prussing وآخرون (2005) بعقد جلسات لجمع بيانات سردية (من الروايات الشفاهية) مع 30 عائلة لديها أطفال مصابون بمتلازمة داون، ملقين نظرة فاحصة إلى مسألة استخدام هذه العائلات للعلاج التكميلى والبديل (المسمى CAM سى. إيه. إم).

ما الذى قام به الباحثون؟

تناول هذا المشروع الطريقة التى صاغ بها الوالدان هوياتهم كوالدين «صالحين» طوال الرواية الشفاهية. تراوحت مدة جلسات جمع بيانات الروايات الشفاهية من 45 دقيقة إلى 3 ساعات (بمتوسط 90 دقيقة) وأجريت باستعمال طريقة تدخل الباحث (فصل7 باب3) فى جمع البيانات السردية. وقد تم نسخ هذه الروايات الشفاهية وحللت باستخدام طريقة تحليل الموضوعات.

وجد الباحثون أن الوالدين «كانوا يستخدمون استراتيجيات السرد التى من خلالها صاغوا تعريفاتهم الخاصة (لمتلازمة داون) كما أكدوا التفرد الشخصى الجوهرى لأطفالهم ولأنفسهم» (بروسينج وآخرون، 2005، ص 590).

فى نفس الوقت، تحصل الباحثون على بيانات مفيدة عن استعمال المشاركين للعلاج المسمى CAM (سى إيه إم)، وعن الطرق التى أوصلتهم للإيمان بأن هذا العلاج قد ساعدهم فى حياتهم.

ومن الأمور المثيرة للاهتمام، أن الباحثين وجدوا أيضا أن المشاركين حكوا قصصهم بطرق اشتملت على معظم أساليب الحكايات (فصل7 باب 3) الشائعة فى الروايات الشفاهية.

•المراجع وقراءات للاستزادة

Grbich, C. (2007) *Qualitative Data Analysis: An Introduction*, London: Sage.

Richards, L. (2005) *Handling Qualitative Data: A Practical Guide*, London: Sage.

Ritchie, J. and Lewis, J. (2003) *Qualitative Research Practice: A Guide for Social Science Students and Researchers*, London: Sage.

Clandinin, D. J. and Connelly, F. M. (2000) *Narrative Inquiry*, San Francisco: Jossey-Bass.

Czarniawska, B. (2004) *Narratives in Social Science Research*, London: Sage.

Elliot, J. (2005) *Using Narrative in Social Research: Qualitative and Quantitative Approaches*, London: Sage.

Josselson, R. and Lieblich, A. (1999) *Making Meaning of Narratives in the Narrative Study of Lives*, London: Sage.

Lieblich, A., Tuval-Mashiach, R. and Zilber, T. (1998) *Narrative Research: Reading, Analysis and Interpretation*, London: Sage.

Prussing, E., Sobo, E. J. Walker, E., and Kurtin, P. S. (2005) Between 'desperation' and disability rights: a narrative analysis of complementary/alternative medicine use by parents for children with Down syndrome. *Social Science & Medicine*, 60: 587–98.

Riessman, C. K. (1993) *Narrative Analysis*, London: Sage.

Riessman, C. K. (2008) *Narrative Methods for the Human Sciences*, London: Sage.

Sanderson, A. and McKeough, A. (2005) A narrative analysis of behaviourally troubled adolescents' life stories, *Narrative Inquiry*, 15(1): 127–60.

الفصل السادس

تحليـل الخطـــاب

محتويات الفصل

- ما الخطاب؟
- الخلفية النظرية.
- ما تحليل الخطاب؟
- استخدامات تحليل الخطاب.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

يتنـاول هذا الفصـل موضوع تحليل الخطاب، وهو تقنيـة ترتكز نظريا على أساس النزعـة التصوريـة الاجتماعية (فصل2 بـاب1). ويناقش الفصل تلك النظرية الأساسيـة وطبيعة «الخطاب»، كما يصف بالتفصيل التقنيات المستخدمة فى تنفيذ هذا النوع من التحليل.

ونقترح عليك أن تبدأ بقراءة فصل 2 باب4.

ما الخطـــاب؟

تعـد محاولة تعريف الخطاب (انظر قائمة المصطلحات) أمر إشكاليا لأن هذا المصطلح مثير للجدل ومختلـف عليه، وقابل لتعريفات وتفسـيرات واستعمالات كثيرة مختلفة. يستخـدم علماء اللغـة هذا المصطلـح للإشارة إلى وحـدة الحديث التى تزيـد عن جملة واحدة. إلى جانب ذلك، ينظر كثير من النقاد إلى الأدب باعتباره خطابا. وبالمثل، فإن بالإمـكان أيضا أن يعد الحوار بين فردين أو أكثر خطابا، كما أن هذا المصطلح تستعمله جماعـات عدة بدءًا من العلماء الاجتماعيين ووصـولا إلى وسائل الإعلام، وقد تحول

بسبب ذلك إلى مصطلح يجمع بين المزيد من الغموض والمزيد من الانتشار. ويقول ميلز عن هذا المصطلح:

«أصبح عملة شائعة التداول فى تشكيله متنوعة من التخصصات العملية مثل: النظرية النقدية، علم الاجتماع، اللغويات، الفلسفة، علم النفس الاجتماعى وكثير من المجالات الأخرى، وقد بلغ من الرواج حدا بات معه يستخدم، فى كثير من الأحيان، من غير أن يعرّف، كما لو كان استعماله معرفة مشتركة لدى الكافة». (ميلز، 1997، ص1).

وهناك مفكرون آخرون يستخدمون هذه الكلمة بشكل مختلف: فالبعض يشترطون أن يكون الخطاب طويلا، والبعض يشترطون أن يكون حوارا ذا اتجاهين (جيئة وذهابا بين فردين على الأقل) وهو المعنى الذى يقترب بشكل ملحوظ من الجذر اللاتينى للمصطلح، وهو كلمة discursus، والذى يمكن ترجمته «بالحركة من وإلى»؛ كما يستعمله فوكو كطريقة لمناقشة المناطق المتداخلة بين التخصصات التى لا يمكن أن يناقش فيها من المفاهيم إلا القليل.

وقد سلكنا مسارا أكثر بساطة. ورعاية لأهداف هذا الفصل يتم تعريف الخطاب بأنه «نص»، سواء أكان منطوقا أو مكتوبا.

الخلفية النظرية

يستخدم تحليل الخطاب أساسا فى البحث الكيفى، وهو يرتكز نظريا على أساس النزعة التصورية الاجتماعية. والنزعة التصورية الاجتماعية نظرية معقدة، كما أننا، ورغم أن الحيز المتاح لهذه الفقرة لا يسمح بمناقشة هذا المصطلح بالتفصيل، فإننا نريد أن نبرز المسلمات الأساسية فيه:

- *الحقيقة تصور اجتماعى:* إن المنحى العلمى القائل بأن بالإمكان دراسة العالم دراسة كمية وأن الأشياء التى يمكن قياسها هى وحدها الأشياء «الحقيقية»؛ هذا المنحى مرفوض لأن اللغة والوجود الاجتماعى هما اللذان يشكلان المقولات العقلية التى بها يمكن إنجاز مثل هذا التحليل. لذلك يكون إحساسنا بالحقيقة، بدوره، إحساسا من صنع المجتمع الذى نعيش فيه.
- *لا يمكن للأفراد أبدًا أن يكونوا موضوعين تماما:* مهما بذلنا من الجهد فى المحاولة، فنحن من صنع مجتمعنا، ونحن نحمل معنا «أمتعتنا الاجتماعية» فى صورة المعايير والمسلمات. وهذا معناه، حتما، أن الباحثين لا يبدؤون بحثهم من نقطة الصفر، بل إن لديهم مجموعة من المعتقدات، والقيم، والتوقعات التى تؤثر على أى بحث يقومون به.

ما تحليل الخطاب؟

لا يوجد تعريف واضح وحيد لتحليل الخطاب. وأيا ما كان الأمر، فإن جميع تحليلات الخطـاب قائمة علـى «النصوص»، بالرغم مـن أن هذا اللفظ نفسه مختلـف عليه. ونحن ننوى أن نستعمله بمعني «الكلمات المنطوقة أو المكتوبة، والموجودة فى أى وسيلة اتصال». وهـذا يعنى أننا نـرى أن بالإمكان تطبيق تحليل الخطاب علـى المحاورات، والخطابات، ورسائـل البريد الإلكترونى، وبرامج التليفزيون، والوثائق، والسجلات وعلى كثير من الأشياء الأخرى. ونحن نرى أنه ينبغى استعماله كمصطلح شامل بقدر الإمكان.

كثـيرا ما يستخدم تحليل الخطاب عند دراسة الموضوعات اللغوية وفى علم اللغة، كما أنه شائع فى علوم اجتماعية كثيرة، بما فيها علم الاجتماع وعلم السياسة.

عنـد تحليل خطاب أو تقريـر، قد يكون الباحـث معنيا بفحص نمـط اللغة الجارى استعمالـه، وأنـواع الأفكار التى يرتكز عليها النص وكيفيـة تجلى تلك الأفكار فى هذه اللغـة. وقد استعمل بعض الباحثين تحليل الخطاب فـى دراسة الطريقة التى بها تتطور الأفـكار وتتغير عـبر الزمن أو بين البيئـات الثقافية المختلفة ـ وبتعبـير آخر، كيف يتم تشكيـل الأفكار اجتماعيا من خلال الطريقة التى بهـا يتصور الأفراد العالم الاجتماعى المحيط بهم، وبها يتحدثـون عنـه ويشعرون به.

فكر فى هذا الموضوع . . .

بعض أنواع الخطاب عن «الخُضر»

إن قـدر لك أن تقرأ التقارير الصحفية عن المنظمـات البيئية (والتى منها، مثلا، منظمـة «أصدقاء الأرض») فـى سبعينيات القرن العشرين، فمـن الراجح أن تجد فيهـا أوصافا لمـن يؤيدون هذه المنظمات بأنهم غرباء الأطـوار نوعا ما، وأنهم من الأقليات «التى تدافع عن الطبيعة لتحميها»، كما ستجد أن الأفكار المتعلقة بالاحتباس الحرارى والتغيير المناخى، محل سخرية واستخفاف، فى كثير من الحالات.

هل أصبح مثل هذا «الخطاب» مختلفا فى وقتنا هذا؟ وكيف تغير هذا الخطاب؟

يُجمل جى Gee وصف طبيعة تحليل الخطاب عندما يقول:

«خلاصة الموضوع أن تحليل الخطاب يعـد طريقة للاشتغال برسالة إنسانية مهمة. تتمثـل هذه الرسالة فـى التفكير بمزيد من العمق فى المعانى التـى نضفيها على ما ينطق النـاس به من كلمـات من أجل أن نجعل أنفسنـا أفرادًا أفضل وأكـثر إنسانية، ولنجعل العالم مكانا أفضل وأكثر إنسانية (جى، 2005).

مـن الواضـح إذا أن تحليل الخطاب طريقة قائمـة على اللغة أو طريقة لغوية للتحليل الكيفى.

استخدامات تحليل الخطاب

توجـد اتجاهات عديـدة ذات طبيعة متخصصة فى تحليل الخطـاب. ونحن لا ننوى مناقشتهـا بالتفصيـل هنـا، بيد أنـه توجـد موضوعات فى فقـرة «المراجـع وقراءات للاستـزادة» مـن شأنها أن تمد من يرغبون فى معرفة هـذه الاتجاهات بمعلومات فيها مزيد من التفصيل. وتتضمن هذه الاتجاهات المتخصصة ما يلى:

- التحليل النقدى للخطاب(*).
- دراسات الخطاب الاجتماعية المعرفية.
- تحليل الخطاب السياسى.
- الدراسة السيكولوجية للخطاب.
- تحليل المحاورات.

مـن الطرق الأخرى لتصور هذا الموضوع أن تمعـن التفكير فى أنواع الخطاب التى يمكن تحليلها باستعمال طريقة تحليل الخطاب. وتشتمل هذه الأنواع على ما يلى:

- أشـكال الخطـاب التى تجرى فى مواقع اجتماعية معينة، مثـال ذلك، أنماط الخطاب المستخدمة فى تنبؤات الطقس أو فى التدريس بالمدارس.
- المحاورات غير الرسمية بين الأفراد، سواء أتمت بصورة مباشرة وجها لوجه أم عبر نظام اتصال إلكترونى.
- المحاورات /الاتصالات الرسمية، كالمناقشة بين الطبيب والمريض مثلا.
- النصوص الدائمة وشبه الدائمة، كالرسائل البريدية أو الصحف.
- دراسـة «شكل» الخطـاب، وهو ما أسمـاه فوكو «تكوينات الخطـاب» discursive formations (هول، 1997).

ونعتقـد أن بالإمكان استخدام تحليل الخطاب على مستويـين متميزين بالنسبة للباحث الطالـب. يتعلق المستـوى الأول من هذين المستويـين بالطلبة الذيـن يستخدم تخصصهم الأكاديمـى تحليـل الخطاب بصـورة روتينية بطـرق ذات صلة بتخصصهـم (كالتحليل

(*) CDA= Critical Discourse Analysis.

اللغـوى مثلا) بوصفه واحدا من الطرق الرئيسية التى بها يجمع البيانات ويعالجها. وهذا مستـوى تخصصى تماما، كما أنه يقع خارج نطاق هذا الكتاب. وأيا ما كان الأمر، فإننا نقدم قائمة بأسماء عدد من الكتب المفيدة التى يمكنها أن تضيف إلى الدرس التفصيلى الذى يتيحه لك معهدك العلمى.

يتضـح المستوى الثانـى لتحليل الخطاب حينمـا يريد الطلبة الذيـن يدرسون تخصصات أخرى أن يستخدموا تحليل الخطاب ليساعدهم فى الإجابة على بعض الأسئلة البحثية بالذات وفـى الاشتغـال بالوثائق بصفـة خاصة. فإن كنـت تفكر فى تناول بعضـ أنماط الخطاب المكتوبة أو المنطوقة، فإن استعمالك لتحليل الخطاب سوف ينطوى بلا شك على بعض المزايا المحتملة، وكذلك على بعض العيوب، وهو ما يفرض عليك أن تكون على وعى بها.

ويصلح تحليل الخطاب للتطبيق على معظم موضوعات البحث وعلى معظم الظروف البحثية، كما أنه يمكن أن يزودك بمنظور جديد تستطيع أن تستخدمه عند تحليل البيانات. من ذلك ـ على وجه الخصوص ـ إمكانية الكشف عن المعانى «الخفية» فى النص من خلال طرح أسئلة مختلفة عن النص. ويعتمد تحليل الخطاب على التقنيات الألسنية وعلى غيرها من الأساليب والطرق القائمة على أساس اللغة. وهذا معناه أن تحليل الخطاب لا يقتصر علـى كونه ذا تخصص لغـوى أو ذا تخصص نصى، بل يضم إلى ذلك كونه ذا تخصص ثقافى أيضا. مثال ذلك، أنه لا توجد، فى العادة جدوى واضحة من محاولة القيام بتحليل خطاب لنص مترجـم، لأن التغييرات التى تفرضها عمليـة الترجمة (وكذلك التغييرات التى يقوم بها المترجم نفسه) سوف يستعصى علينا معرفتها أو فهمها. بالإضافة إلى ذلك، فإن تحليـل نص ترجمة باحث من خلفيـة ثقافية مختلفة سيكون مشكـوكا فى مصداقيته. ومـع ذلك، فإن كنت تدرس ظاهـرة اجتماعية داخل سياق لغـوى وثقافى معين وكنت مهتمـا بطريقة صياغة الأفكار المتعلقة بهـا صياغة اجتماعية من قبل الأفراد الذين يكتبون عنهـا ويتحدثون بشأنها، حينئذ يستطيع تحليل الخطاب أن يمكنك من استخدام بياناتك فى دراسة هذه الظاهرة.

فكر فى هذا الموضوع . . .

اقـرأ المقالة الافتتاحية فـى أى صحيفة (إن أردت أن تكون ممتـازا وتقوم بتحليل مقـارن، فاختر صحيفتين لهما خلفيتان سياسيتان متعارضتان ـ كصحيفة الصن Sun وصحيفة الجارديان مثلا).

عالـج المقالة الافتتاحيـة باعتبارها نصا، وحـاول أن تفهم وتحلـل استعمال اللغة داخلها. اسأل نفسك:

1 – ما نوع اللغة المستعملة (مثلا، هل هى لغة انفعالية، أم عقلية، أم لطيفة التعبير، إلى آخره)؟ فكر فى سبب استعمال هذا النوع من اللغة.

2 – ما الذى تستهدفه كلمات هذه المقالة؟ فكر فى طريقة توصيل هذا النص.

3 – ما متوسط أعمار قراء هاتين الصحيفتين اللتين اخترتهما؟ (استخدم واحدة من المعادلتين المذكورتين أدناه لحساب هذا العمر).

معادلتا حساب العمر القرائى:

(أ) معادلة التنبؤ:العمر القرائى = $25 - \frac{ن}{10}$

حيث (ن) تساوى عدد الكلمات ذات المقطع الصوتى الواحد فى فقرة مكونة من 150 كلمة.

(ب) مؤشر التشوش: العمر القرائى = $\frac{2}{5}\left(\frac{أ}{ن} + \frac{100\,ل}{أ}\right)$

حيث أ = عدد الكلمات فى الفقرة.

ن = عدد الجمل فى الفقرة.

ل = عدد الكلمات المكونة من مقطعين صوتيين أو أكثر (تجاوز النهايتين «ed» و «ing»)

هل للإجابة عن السؤال رقم 3 أهمية فى تحليل الخطاب؟

المراجع وقراءات للاستزادة

Gee, J. P. (2005) *An Introduction to Discourse Analysis*, London: Routledge.

Hall, S. (1997) The work of representation, in S. Hall (ed.) *Representations: Cultural Representations and Signifying Practices*, London: Sage.

Jorgenses, M. W. (2002) *Discourse Analysis as Theory and Method*, London: Sage.

Macgilchrist, F. (2008) Discourse analysis, available at www.discourse-analysis.de/

Mills, S. (1997) *Discourse*, London: Routledge.

Titscher, S. (2000) *Methods of Text and Discourse Analysis*, London: Sage.

Wetherell, M. (2001) *Discourse as Data: A Guide for Analysts*, London: Sage.

Wetherell, M., Taylor, S. and Yates, S. J. (eds) (2001) *Discourse Theory and Practice: A Reader*, London: Sage.

Woofit, R. (2005) *Conversation Analysis and Discourse Analysis: A Comparative and Critical Introduction*, London: Sage.

الفصل السابع
تحليـل المضمــون

محتويات الفصل

- ما تحليل المضمون؟
- كيف يستخدم تحليل المضمون؟
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

تحليـل المضمـون تقنيــة تستخدم فــى تحليل النصوصــص (ولــو أن النصوص تسمى-عادة- «رسائل» فى هذه التقنية). لتحليل المضمون أوجه تشابه مع تحليل الخطاب، إلا أنه يميــل لأن يكون أكثر دقة فى التطبيق. من الناحية التاريخية، استخــدم تحليل المضمون، غالبا، فى الدراسات الأدبية والإعلامية، إلا أنه أداة مرنة يمكن استخدامها فى كثير من فروع العلم الاجتماعى.

ما تحليل المضمون؟

تحليل المضمون: تقنية تطبق فــى العادة، وليس حصريا، على البيانات «النصية» (أو الرسائــل): إلا أن بالإمكان أيضا استخدامها مع بعض الأشكال الأخرى للبيانات، مثل تحليـل الصور ذات الأشكال البيانية (ستملر Stemler، 2001). ويتفق معظم المحللين علــى أن هذا التحليل لا يمكن استخدامه إلا مع البيانــات الثابتة، أعنى بها البيانات التى لا تكون قصيرة الأمد. ويعد تحليل المضمون ـ فى جوهره ـ تقنية للتعرف على الفئات التى تشتمل عليها البيانات ولتركيزها فى فئات أقل عددا حتى يكون من الأسهل فهمها. وبتعبير آخر، يبحث تحليل المضمــون عن وجود الكلمات (أو العبارات أو المفاهيم) فى نص ما ويحاول فهم معانيها وعلاقاتها ببعضها البعض. وهكذا يمكنك أن تتصور تحليل

المضمون باعتباره طريقة لاكتشاف الأنماط المتكررة فى البيانات، والتى تعزز فهمنا للظواهر الأساسية التى يتناولها النص. فى مبدأ الأمر، عادة ما كان ينظر إلى تحليل المضمون باعتبار أنه يبحث عن معدل تكرار ورود كلمات معينة فى النص - ومن شأن هذه الكلمات المختارة أن تعتمد على التعريفات الإجرائية وأسئلة البحث، بطبيعة الأمر (فصل 4 باب1). ويرتكز هذا الاهتمام بمعدل تكرار استخدام كلمات معينة على أساس الفكرة التى تذهب إلى أن الكلمات أو العبارات التى تستخدم أكثر من غيرها يكون من الراجح أنها أهم الكلمات أيضا. لا يزال إحصاء عدد الكلمات أمرًا مهما ولكن، نظرا لأن الأزمنة تغيرت، ونظرا لأن القدرة على إحصاء عدد مرات ورود الكلمات فى نص ما باستعمال الكومبيوتر قد أصبحت أكثر شيوعًا، فقد اتسعت هذه التقنية لتُدخل فى اعتبارها تحليل المعانى والدوافع بمزيد من التفصيل كذلك.

ما تحليل المضمون؟

1 - «أى تقنية للقيام بالاستنتاجات عن طريق التحديد الموضوعى والمنهجى لبعض السمات الخاصة للرسائل» (هولستى 14، 1969، Holsti).

2 - «التحليل المنهجى، الموضوعى، الكمى لخصائص الرسالة (نويندورف Neuendorf، 2005، 1).

يمكن النظر إلى ما فى تحليل المضمون من جزء خاص بإحصاء عدد بعض الكلمات باعتباره طريقة كمية، إلا أن هذه العملية يكن أن تتناول ما هو أكثر من إحصاءات أعداد الكلمات، كما أن كثيرين (انظر ستملر، 2001، مثلا) يرون أن قوة هذه العملية ترجع إلى عمليات التصنيف والتكويد الدقيقة للبيانات بغرض التحليل (فصل2 باب4). يصف فيبر (1990، 37) الفئات باعتبارها «مجموعة من الكلمات التى لها معنى متشابه أو دلالات ضمنية متشابهة». ويلاحظ أنه يتعين أن تكون هذه الكلمات سهلة التمييز وأن ترتبط بمفهوم واحد فقط. ومن المهم التأكيد على أن إنشاء أكواد وفئات دقيقة القياس ودقيقة التعريف يؤثر على عملية التحليل بنفس الطريقة التى تؤثر بها التعريفات الإجرائية (فصل4 باب1) على الصدق والثبات المنهجى عند جمع البيانات. فالغموض سيكون كارثة على البحث. (سبق لنا مناقشة موضوع التكويد فى موضع سابق من هذا الكتاب: انظر مثلا فصل 2 باب 4، وفصل 4 باب 4).

يكون تحليل المضمون مفيدًا بصفة خاصة فى تحديد الاتجاهات العامة والتغيرات التى تحدث بمرور الزمن، خاصة فى الأدب (فصل2 باب2)، كما يكون مفيدًا أيضا فى بحث موضوعات كالتغيرات فى الرأى العام (خاصة الطريقة التى يتم بها التعبير عن هذه التغيرات فى وسائل الإعلام).

كيف يستخدم تحليل المضمون ؟

يمكـن استعمال تحليل المضمون لتحليـل أى نص. وبسبب هذه المرونة، يستعمل فى كثير من فروع العلوم الاجتماعية. ومع ذلك، فإن موطنه، من الناحية التاريخية على الأقل، كان فى الدراسات الإعلامية وما يرتبط بها من مجالات.

إن تفصيـل تحليل المضمون أعقد من أن يكون بالإمـكان الخوض فيه هنا. إن كنت تخطـط لاستعمال هذه التقنية، فإننا نوصيـك بكتاب نويندورف (2005) باعتباره كتابا شاملا موجها للطالب الجامعى.

فكر فى هذا الموضوع . . .

فى المؤتمرات السياسية الحزبية، يقوم الصحفيون أحيانا بتحليل خطبة زعيم الحزب فى ضوء عدد المرات التى تستعمل فيها كلمة أو عبارة معينة ـ مثل كلمة «جديد» أو كلمة «فرص» أو كلمة «مسئوليتى» ـ والتى تستخدم أكبر عدد من المرات.

مـا رأيك فيما يمكنـك أن تتعلمه من تحليل لطرق استخدام كلمـة معينة أو عبارة معينة فى هذا السياق؟

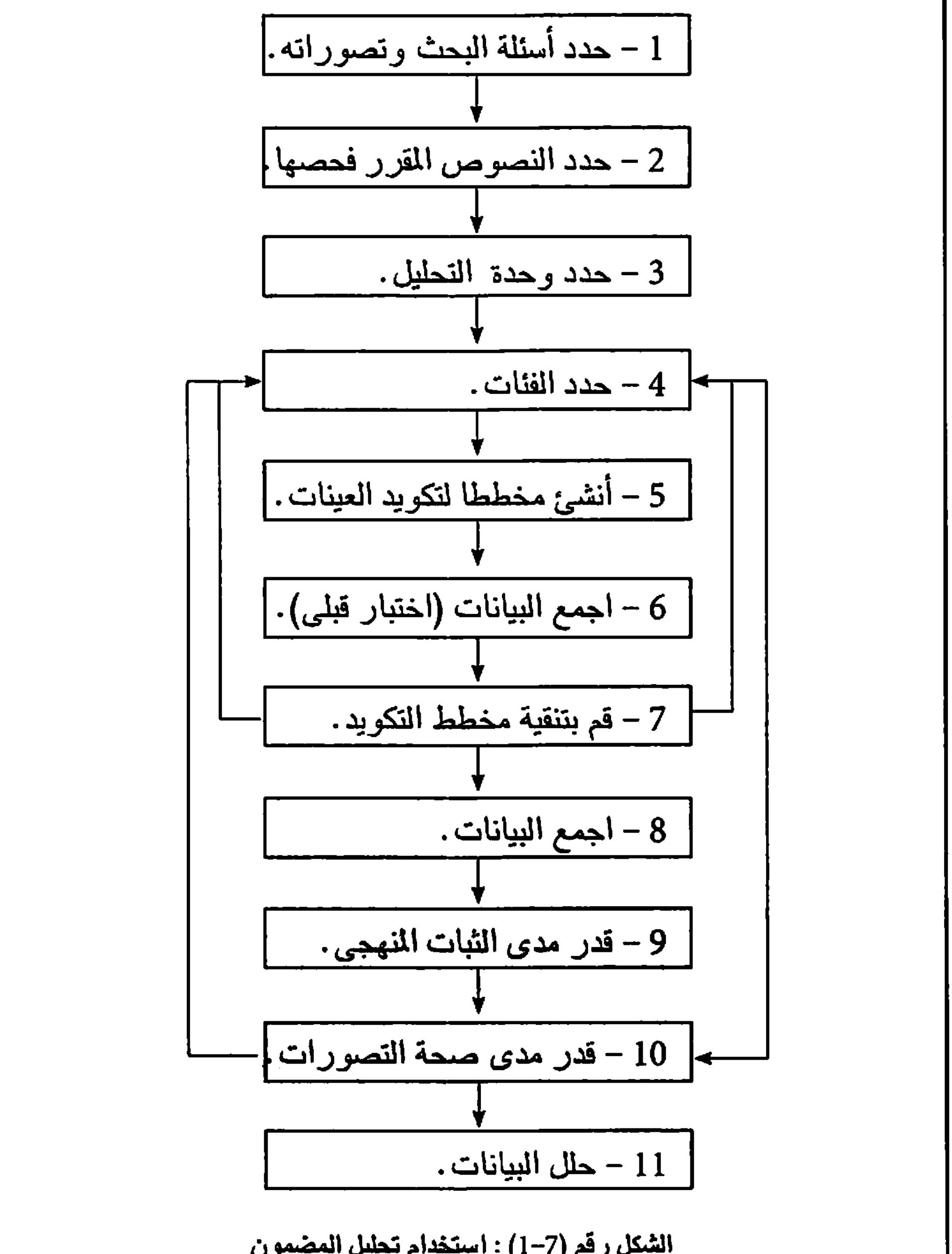
البحث الواقعى

تحليل المضمون فى أبحاث القيادة

كتـب إينش Insch وآخرون (1997) مقالا يناقش استخدام تحليل المضمون عند القيـام بالبحث عن القيـادة (يحتوى المقال على تعريفات مفيـدة واقتراحات منهجية كذلـك). مـن الأمور اللافتة للنظـر إلى حد مـا، أن هذا المشـروع يستخدم تحليل المضمون فى دراسة تحليل المضمون.

وجـد أصحاب هـذا المقال أنـه يوجد عدد مـن الدراسـات البحثيـة السابقة التى استخدمـت تحليل المضمون فى دراسة موضوع القيادة فـى البحث، كما أنهم قاموا بتحليـل مضمون لهذه الدراسـات. ورغم أن نتائجهم تعد غـير قاطعة إلى حد ما، فـإن العملية التى طوروها لتوجيه أنفسهم ـــ والباحثين فى المستقبل ـ خلال مثل هذا التحليل تعتبر مفيدة جدًا، حتى وإن كانت لا تصل إلى ما نتوقعه.

ونحن نعيد تقديم «أسلوبهم المقترح» (إينش وآخرون، 1997، 8) فيما يلى:



الشكل رقم (7-1) : استخدام تحليل المضمون

المصدر: بتصرف نقلا عن إينش جى إس، مورجيه، أى. وميرفى إل. دى. (1997): تحليل المضمون فى القيادة: أمثلة، إجراءات، واقتراحات للاستخدام فى المستقبل، مجلة القيادة، 8 (1) 1–25. النشر بتصريح من شركة Elsevier المحدودة.

يمكن لتحليل المضمون أن يكـون تقنية فعالة تبلغ مدى أبعد مما يبلغه الإحصاء البسيط لعدد الكلمات. ولو طبق بصورة ملائمة، فإن تقنياته الشكلية يمكن أن تكون دقيقة وقوية.

بحثـــك

مزايا تحليل المضمون

- يعد طريقة مرنة بشكل معقول بحيث يمكن تطبيقها على معظم أشكال البيانات، وخاصـة البيانات غـير المقننة (فصل3 بـاب1). وهو مفيد فـي تحليل البيانات الإعلامية على وجه الخصوص.
- إذا نفـذ مشـروع تحليل المضمون بطريقة سليمـة، وتم تكويده بصورة جيدة، وصممت فئاته تصميما جيدًا، فلا بد حينئذ أن يكون من السهل تكراره.
- نظـرًا لأن من الممكن استخدام تحليل المضمـون بتطبيقه على أى بيانات، فمن السهولة تطبيقـه على مجموعة من الوثائق (كالمجلات، مثـلا)، كما أنه، لهذا السبب، يستطيع توفير مقياس ما للتغير الاجتماعى على امتداد الزمن (التحليل الطولى «التتبعى») (هولستى، 1999).

عيوب تحليل المضمون

- ينظـر البعضـ إلى تحليل المضمـون - وبسبب اعتماده الجزئـى على التقنيات الآليـة، كتقنية عد الكلمات - ينظرون إليه باعتبار أنه يميل نحو نموذج فكرى وضعى (فصل2 باب1) ومن ثم لا يعتبر مناسبا للبحث الكيفى على الدوام.
- بإمـكان الاختيـار غـير السليم للفئـات أو الأكواد أن يقلل مـن درجة الصدق والثبات المنهجى.

المراجع وقراءات للاستزادة

Berelson, B. (1952) *Content Analysis in Communication Research*, Glencoe, IL: Free Press.

Holsti, O. R. (1969) *Content Analysis for the Social Sciences and Humanities*, Harlow: Addison-Wesley.

Insch, G. S., Moore, J. E. and Murphy, L. D. (1997) Content analysis in leadership: examples, procedures, and suggestions for future use, *Leadership Quarterly*, 8(1): 1-25.

Krippendorff, K. (1980) *Content Analysis: An Introduction to its Methodology*, London: Sage.

Neuendorf, K. A. (2005) *The Content Analysis Guidebook*, London: Sage.

Stemler, S. (2001) An overview of content analysis, Practical Research, Assessment & Evaluation, http://PAREonline.net/getvn.asp?v=7&n=17 (accessed August 2009).

Weber, R. P. (1990) *Basic Content Analysis*, 2nd edn, London: Sage.

الفصل الثامن
النظريـة الموثقـة

محتويات الفصل

- كيف تختلف النظرية الموثقة عن غيرها من طرق التحليل؟
- تنفيذ التحليل باستعمال النظرية الموثقة.
- التصنيف والكتابة.
- الملخص.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

من وجوه كثيرة، تعد النظرية الموثقة «مجرد طريقة أخرى» من طرق جمع البيانـات والتحليل، على نحو مـا بينا فى فصل 3 باب2. ومع ذلك، فإن لها من الشهـرة الفائقة ـ خاصة فـى الولايات المتحدة ـ ما جعلنا نقرر أنها تستحق فصلا يخصها وحدها.

ونحـن نوصيـك بأن تنظر إلى هـذا الفصل بمقدار ما من الشـك نظرًا لأن لدينا بعض مظاهر القلق الشديد من هذه الطريقة ككل. وأيا ما كان الأمر، فإننا مقتنعون بأن هذه العمليات المحددة ـ المتضمنة فى إجراءات هذه النظرية - يمكن أن تفيد فى أشكال كثيرة من البحث، حتى وإن كانت لا يمكن أن تقود إلى توليد نظريات.

أشرنـا فى فصل 3 بـاب 2 إلى أن الادعاء «الكبير» الذى تذهب إليه النظرية الموثقة هو أن البحث الاجتماعى لا نظرى a theoretical، وأن النظرية تنبثق (أو «تُبنى») مـن داخل البيانات أثناء تنفيذ العملية. كما أوضحنا أن هذا الإدعاء ليس محل قبول من جانب كل الباحثين. لذلك، ورغـم أن النظرية الموثقة تبدو عملية بسيطة فى ظاهرها، فإننا نريد أن نذكرك بأنها ليست بنفس الوضوح الذى تبدو عليه فى أول الأمر، كما أن من الشائع لهذه العملية أن يتم تغييرها بحيث يتم استبعاد عنصر «بناء النظرية» منها.

(انظر فصل3 باب 2).

ويلاحظ لاروسا (2005، ص41) فى هذا الصدد أنه :

«الملاحظ عمليا، أن كثير من الباحثين قد عمدوا إلى تبنى شكل محور من التحليل القائم على النظرية الموثقة معتمدين على الطرق التى تقدمها، ولكن بدون بناء نظرية موثقة بمعنى الكلمة».

وهذه هى خبرتنا أيضا: فنحن نجد أن هذه «العمليات» مفيدة لأنها مقننة، إلا أننا نعانى صعوبات تتعلق بالقدر الأعظم من الأسس النظرية التى تقوم عليها. ويلخص دى Dey (1999، ص 23) كثيرا من هذه المشكلات عندما يقول :

«هنا أمر يدعو إلى السخرية- وربما يكون نوعا من المفارقة- : وهو أن منهجية بحث قائمة على أساس «التفسير» يتضح فى النهاية أنه من العسير تفسيرها».

ويبدو لنا (ولكثير من الباحثين) أن أهم انتقاد موجه إلى النظرية الموثقة هو الزعم ضمنا أن بالإمكان إجراء البحث بدون أساس نظرى (انظر فصل 2 باب1). ونحن لا نتصور أن هذا ممكن بأى طريقة معقولة.

عادة ما تركز الانتقادات الأخرى الموجهة للنظرية الموثقة على وصفها «بالنظرية»، وذلك على أساس أن ما تقدمه هذه النظرية ليس «نظرية». ونحن نرى، صراحة، أن هذا الانتقاد عسير الفهم للدرجة التى يتعذر علينا متابعته هنا. فإن كنت ترغب فى الاطلاع على مناقشة حديثة لهذا الانتقاد ولغيره من الانتقادات، فإننا نقترح أن تطلع على مقال توماس وجيمس، الذى نشر سنة 2006، بعنوان: «إعادة اختراع النظرية الموثقة : بعض الأسئلة عن النظرية، والأساس المنطقى، والاكتشاف».

كما يتساءل النقاد عن طبيعة «الأساس المنطقى» وطبيعة التوثيق فى البحث، ولهم كذلك تحفظات على مدى صلة هذه المفاهيم بالبحث وعلى أهميتها أيضا. ويذهب النقاد عموما إلى أن عملية النظرية الموثقة تحاكى تقاليد البحث التجريبية فى العلوم الطبيعية لدرجة زائدة عن الحد، ولهذا السبب تكون غير مناسبة للاستخدام فى البحث الاجتماعى.

كانت النقطة الأخيرة فى شرحنا السابق للنظرية الموثقة هى القول بأن كثيرا من الباحثين يستخدمون هذه الطريقة بدون الموافقة على ما فيها من جانب يتعلق بتوليد النظرية. ويرجع سبب هذا جزئيًا، على الأقل، إلى أن كثيرا من الباحثين لا يشعرون أن ما فى هذه الطريقة من توثيق، (أيا ما كان معنى هذه الكلمة) يعد ميزة ذات شأن.

كيف تختلف النظرية الموثقة عن غيرها من طرق التحليل؟

لا يوجد اتفاق حقيقى بشأن الفلسفة التى ترتكز عليها النظرية الموثقة، فالبعض يقولون إنها تفصل النظرية عن البيانات، بينما يرى غيرهم إنها تجمع بينهما. ولا شك من الناحية العملية، أن جمع البيانات وتوليد النظرية والتحليل أمور تتم كلها بشكل متزامن. (وبطبيعة الأمر، يميل معظم الباحثين الاجتماعيين إلى القول بأن جمع البيانات والتحليل كثيرا ما يكونان متلازمين، إلا أنهما ليس بهذا الوضوح دائمًا) (انظر فصل 3 باب2 للاطلاع على مناقشة للسمات الرئيسية لهذه العملية).

تنفيذ التحليل باستعمال النظرية الموثقة

يمكن جمع البيانات بغرض تحليلها باستعمال النظرية الموثقة بعدة طرق مختلفة. ويمكن القول على وجه العموم أن هذه التقنية تستعمل مع البيانات الكيفية فقط، وذلك بالرغم من عدم وجود سبب حقيقى يمنع الاستفادة بها فى البحوث التى تستخدم الطرق المختلطة. وفى حدود معرفتنا لا يستخدم الباحثون الكميون هذه الطريقة.

يبدأ البحث القائم على النظرية الموثقة حينما تكون موجودًا فى موقع البحث. وبوصفك الباحث يكون دورك هو محاولة فهم العمليات التى يجرى حدوثها والطرق التى يتصرف بها الفاعلون المختلفون أثناء ذلك. وأكثر الطرق التى يشيع فيها استخدام النظرية الموثقة هى: المقابلات والملاحظة، وذلك بالرغم من عدم وجود سبب يمنع الاستفادة بها مع طرق البحث الكيفية الأخرى. بعد نهاية كل جلسة جمع بيانات (وأيا ما كانت الطريقة المستخدمة)، تسجل «النتائج» (وهذه النتائج قد تكون بيانات، أو قضايا أساسية، إلى آخره) وتستخدم فورا كجزء من عملية المقارنة المستمرة (انظر قائمة المصطلحات) التى تعتبر ـ إلى جانب التكويد (انظر قائمة المصطلحات) وتسجيل الملاحظات (أى: استخدام المذكرات السريعة الموجزة ـ انظر قائمة المصطلحات)؛ تعتبر عناصر محورية فى عملية التحليل. وسوف نقوم فى بادئ الأمر بعقد المقارنة بين البيانات المأخوذة من مصادر مختلفة (والتى قد تضم، بطبيعة الأمر، الدراسات السابقة والنتائج الإمبيريقية كذلك). والادعاء هنا أنه مع استمرار هذه العملية سوف تظهر النظرية بحيث يصبح من الممكن حينئذ مقارنة البيانات والنظرية. وهذا الزعم محل اعتراض وخلاف، ولكن لاشك أن العمليات المستخدمة عمليات مفيدة، كما أن المقارنة المستمرة، مثلا، تكون فى كثير من الأحيان طريقة ناجحة جدًّا لتحديد الموضوعات الأساسية والفئات المختلفة. ويذهب بعض مؤيدى هذه العملية إلى أنه ينبغى أن تسجل المقارنات التى يتم إجراؤها مع البيانات، وأن تستخدم كأكواد (انظر أدناه). فى

نفس الوقت، يسعى الباحثون للتعرف على الحالات السلبية (أى الحالات التى تبدو أنها تتعارض مع النظرية الآخذة فى الظهور أو تقوم بتفنيدها)(انظر قائمة المصطلحات). فى حالة العثور على مثل هذه الحالات فإن ذلك سيعد مؤشرا يدل على ضرورة القيام بمزيد من البحث (الذى سيعدل، بدوره، النظرية الآخذة فى الظهور)، ويدل على أن البحث لم يصل بعد إلى مرحلة تشبع البيانات (انظر قائمة المصطلحات).

يقع التكويد وكتابة المذكرات السريعة الموجزة فى صميم التحليل القائم على النظرية الموثقة. وهناك كتب كثيرة تتناول هذه العملية بالتفصيل، ولهذا لا ننوى الخوض فيها هنا. ولكننا سنعمد ـ بدلا من ذلك ـ إلى تسليط الضوء على السمات الأكثر أهمية ودلالة، لكى يستطيع القراء أن يتابعوها بمزيد من التفاصيل ـ فيما بعد ـ إن كانوا فى حاجة لذلك. ونحن نرى ـ على وجه الخصوص ـ أن هاتين العمليتين مفيدتان جدا لأنواع كثيرة من التحليل الكيفى، وأنه لا ينبغى بالضرورة أن ينظر إليهما باعتبارهما تخصان النظرية الموثقة وحدها.

المذكرات الميدانية

تحث الدراسات القائمة على النظرية الموثقة الباحثين على تدوين المذكرات الميدانية أثناء إجراء البحث. وتستعمل هذه المذكرات فيما بعد لتوفير السياق للتحليل (انظر برواز «البحث الواقعى» أدناه).

التكويد (أو الترميز)

التكويد عملية تستخدم فى الكثير من أنماط التحليل المختلفة، بيد أنها تستخدم بصورة أكثر شيوعًا فى البحوث الكيفية. وبالرغم من أن التكويد متعدد الاستعمالات جدًا، فإن فكرة التكويد، فى جوهرها، هى وضع علامة على جزء من البيانات يكون «لافتا للنظر» لكى يمكن العثور عليه مرة ثانية لإجراء المزيد من الدراسة عليه. فكر بهذه المناسبة فى استخدام علامة للفت النظر (كالأسهم ونحوها) لتؤكد أهمية نص ما لكى: (أ) تبرز أهميته و(ب) أن تعثر عليه مرة ثانية عندما تحتاج لذلك. يمكن استخدام التكويد بعدة أساليب مختلفة، مثال ذلك، أنك قد ترغب فى ملاحظة جميع مرات حدوث واقعة أو ظاهرة معينة، أو قد تريد تسليط الضوء على شىء ما لمقارنته بشىء آخر. فى النظرية الموثقة تعد من الأغراض الرئيسية للتكويد: العثور على «الفئة الأساسية» (تستعمل النظرية الموثقة كلمة «الفئات» وكلمة «الموضوعات الأساسية» بصورة متبادلة، فيأتى أحدهما محل الآخر ويدل عليه.

توجد ثلاثة أنماط من التكويد فى النظرية الموثقة. فهناك التكويد المفتوح، والتكويد المحورى، والتكويد الانتقائى.

● التكويـد المفتـوح (انظر قائمة المصطلحـات): هو المرحلة الأولى مـن التكويد، وهو قائم ـــ حسبما يرى جلاسـر Glaser وشتراوسـن (1967) ـ على مبـدأ «إظهار ما بداخل البيانـات» كخطوة أولى في تمييز الموضوعات والفئات. والواقع أن هذا التكويد يتعلق بتحديـد ووصف الظواهر محل البحث، وبإعطائها أسمـاء مناسبة. فإن كان هذا مفيدًا لـك، يمكنك أن تتصور هـذه الأسماء بوصفهـا لافتات (أو بطاقـات تمييز) تكون في العـادة في صورة أسماء (وهي الأشيـاء التي يجرى وصفها) أو أفعال (وهي العمليات التـي يجرى وصفها). ومع ذلـك فسيكون من الأهمية أيضـا أن تحدد خصائص هذه الأكواد المبدئية التي سيتم وصفها باستعمال الكلمات الدالة على الصفات والكلمات الدالة علـى الأحوال والظروف، وذلك بقصد أن نعرف حجم الأمور التي تقوم باكتشافها، وشكلهـا، ومدة بقائها، ومعدل تكرارهـا وأهميتها إلى آخره. وعادة ما تكون الأكواد المفتوحة ذات طابع عام. وعلى الرغم من أنها تعد في كثير من الأحيان أوصافا مادية محددة للوقائع، فإنه من المهم (بالنسبة للنظرية الموثقة على الأقل) أن يكون لديك أكواد مُجردة أيضا لأن هذه الأكواد هي التي تنتج النظرية بصورة أفضل.

● التكويـد المحوري (انظر قائمة المصطلحات): هـو المرحلة الثانية من عملية التكويد وهو يتعلـق بربـط الأكواد ببعضهـا البعض. وهو أمـر لا يمكن القيام بـه إلا عن طريق التفكـير، ويكون أفضل تنفيذ له، فـي أغلب الأحيان، عن طريق الجمع بين التفكير الاستنتاجـي والتفكـير الاستقرائي. ويـرى بعض الباحثـين أن من الأسهـل إنشاء مصفوفة لمقارنة مختلف العناصر والسمات.

● التكويـد الانتقائي (انظر قائمة المصطلحات): هـو الجزء الأخير من نظام التكويد، وهو عمليـة اختيار «فئة مركزية» أو قل «فئة أساسية»، ثم ربط كل ما عداها من الأكواد والموضوعـات والفئات الأخرى بها. وتوجد في النظرية الموثقة مسلمة تقول بوجود فئة مركزية دائمًا.

ومع استمرار العمل في البحث، يتزايد حجم العينة بسبب ما يسميه جلاسر وشتراوس «الاختيار النظـري للعينة» (انظر قائمة المصطلحات) (إلا أنـه شبيه بالمعاينة العمدية (انظر قائمة المصطلحات). لا يقتصـر غرض هذه المعاينـة النظرية على زيادة حجم العينة، بل يهـدف كذلك إلى زيادة ما فيهـا من تنوع واختلاف حتى يمكن اكتشاف خصائص أخرى ومختلفة مستقبلا. وحينما يصبح من المتعذر الحصول على بيانات جديدة عن الفئات التي حددتها (وخاصة البيانات المتصلة بالفئة المركزيـة لبحثك) يُقال حينئذ أننا قد وصلنا إلى حالة تشبع بالبيانات. في هذه اللحظة تتوقف عن إضافـة المزيد من البيانات عن هذه الفئة وتنتقـل إلى القيام بالتصنيف. وأيا ما كان الأمر، وقبل أن نتطـرق إلى هـذا الموضوع، فإن ثمة عملية أخرى ينبغي أن نكـون قائمين بتنفيذها في نفس وقت قيامنا بعملية التكويد، ألا وهي عملية "تدوين المذكرات السريعة الموجزة».

المذكرات السريعة الموجزة

غالبا ما يتم إغفال فكرة كتابة الملاحظات السريعة الموجزة للبحث، حتى بالرغم من أنها طريقة رائعة لتسجيل المشاعر، والأفكار والروابط المحتملة، إلى آخر هذه الأمور التى نلتقى بها مصادفة عند القيام بالبحث. والفكرة الأساسية هنا هى أن تسجل ملاحظاتك (أو أيا ما تريد تسميتها) بطريقة تربطها بالبيانات. وليس من الضرورى أن يكون هذا الربط ربطا حسيا (رغم أنه قد يكون كذلك)، فإنه مع الاستخدام الواسع الانتشار للحاسب يكون من اليسير تماما ربط الملفات المختلفة أو استخدام نوع ما من المؤشرات لإظهار أن ملحوظة ما تعد ذات دلالة بالنسبة لمسألة معينة. يقول جلاسر (1998) إن تدوين الملاحظات السريعة النظرية (انظر قائمة المصطلحات) هى المرحلة الجوهرية فى النظرية الموثقة (حتى هذه اللحظة لا بد أن تكون قد لاحظت أن مخترعى هذه العملية يرون أن كل جزء من أجزائها يعتبر فى الأعم الأغلب جوهريا بشكل ما)، ويلاحظ فى هذا الصدد قائلا:

«الملاحظات السريعة الموجزة هى التدوين التنظيرى للأفكار المتعلقة بالأكواد الأساسية وبعلاقاتها المكودة تكويدا نظريا، وذلك عندما تظهر هذه الأكواد والعلاقات أثناء تكويد، وجمع وتحليل البيانات، وأثناء كتابة الملاحظات السريعة».

يقول مؤيدو النظرية الموثقة إن كتابة الملاحظات السريعة الموجزة يعد أمرا له أهمية خاصة فى المراحل الأولى من المشروع البحثى عندما يكون الباحث بصدد صياغة المفاهيم وتحديد الأحداث والوقائع التى ستكون أساسًا للبحث.

يمكن للملاحظات السريعة الموجزة أن تظهر فى أى قالب، إلا أن وظائفها الرئيسية فى حالة استخدام النظرية الموثقة تتمثل فى:

- تشارك فى عملية المقارنة المستمرة المشار إليها قبل ذلك.
- تتيح لك أن تسجل الأفكار (والأفكار «النظرية» على وجه الخصوص) التى تتراءى لك وأنت تشارك فى هذه العملية.

حتى هذه المرحلة كانت عملياتنا المختلفة التى نقوم فيها بجمع البيانات وتكويدها وكتابة الملاحظات السريعة الموجزة تتم بشكل متزامن، كما أنها، وباستعمال المعاينة النظرية، تكون قد أفضت إلى ما نرجوه لها من تشبع البيانات (انظر أعلاه). والآن يمكننا مواصلة العمل بالانتقال إلى عمليتى التصنيف والكتابة.

البحث الواقعى

الملاحظات الميدانية والمذكرات الموجزة فى النظرية الموثقة

يُناقش مونتجومرى وبيلى (2007) استخدام الملاحظات الميدانية والملاحظات السريعة الموجـزة فى دراسة قائمة على النظرية الموثقة تتنـاول الأمهات المصابات بمرض عقلى حـاد. وقد انتهى الباحثان إلى أن هذه العمليـة ذات أهمية حيوية لطريقة النظرية الموثقة، وإلى أنها أيضا ذات قيمة أساسية فى الدراسات المشابهة التى تستخدم طرقا كيفية أخرى.

ميز الباحثان، بصفة خاصة، بين طبيعة وغرض الملاحظات الميدانية من جهة، والملاحظـات السريعة الموجزة من جهة أخرى، مشيرين إلى أن الأولى عبارة عن تسجيلات للخبرات الفعلية للباحث، وأن الثانية معنية بتطور النظرية الموثقة.

قدم الباحثان عددا من الأمثلة عن الاختلافات بين الملاحظات الميدانية والملاحظات السريعة الموجزة، ونحن ننقل فيما يلى وجهين من أوجه الاختلاف حتى تكون قادرا فيما بعد على فهم هذه الاختلافات فهما متكاملا.

الملاحظات الميدانية

فـى ردها على ما قدمته من توضيح بجهودها فى «حماية» أطفالها، تقاطعنى بروك Brooke بـرد فيـه إصرار قائلة: «لا ريـب فى ذلك». ثم تبكـى وتنظر فى شرود. وتضيـف بصوت ذى نبرة منخفضة قائلة إن أطفالهـا أسوياء، ثم تحدد معنى قولها هذا قائلة: «إنهم أسوياء إلى الحد الذى يمكن أن تكون عليه الحالة السوية فى هذه اللحظة». المرضـ «يسبب كارثة». يحدث شيء من التوقف. أشعـر بالقلق يساورنا كلينا. تقوم بـروك بعد ذلـك بتغيير مجرى الحـوار باستخدام ألفـاظ تصف بها أطفالهـا مثل أنهم «محبون للمرح»، و«حسنو التربية للغاية»، و«متوازنون بصورة جيدة».

الملاحظات السريعة الموجزة

يبـدو على إحدى الأمهات (وهى بروك) أمارات الحذر حين ينتابها الخوف من أن يكون مرضها قد آذى أطفالها عن غير قصد منها. (هذه ملاحظة ميدانية كتبت فى شهر يناير، فى السطـور رقم 140-143 من النص المنسوخ). قد يظهر هذا الحذر حمايتهـا «لنفسها كأم» (سطور رقم 254-258 من النص المنسوخ). إن جهود الأم «لحماية» صغارهـا تتكشف حقيقتها فى حالة المرضـ. (سطور 15-17 من النص المنسـوخ). فى نظر بروك والأخريات من المشـاركات السابقات، يجب ألا يتسبب

مرضهـن فى الإضـرار بصغارهن. تبـدى الأمهات انفعالات الحـزن والشعور بالذنـب لأنهـن عاجزات عن حمايـة أطفالهن من المرض. وهـن يسعين للحصول علـى التوجيه فيما يتصل بكيفية حماية صغارهن عندما يكون مرضهن شديدا. وهن يعرفن عددا قليلا من النماذج الإيجابية للأدوار (سطر 69).

التصنيـف والكتابـة

عملية التصنيف واضحة تماما: فالأمور التى اكتشفناها، بجانب المذكرات السريعة الموجزة والملاحظـات الميدانية يتم تصنيفها فى تتابعات منطقيـة تجعل النظرية البازغة جلية واضحة. وتمثل الطريقة التى بها يتم تصنيف تلك المكونات الإطار العام للتقرير النهائى للبحث.

وأيـا ما كان الأمر، فإن واضعـى النظرية الموثقة يذهبـون إلى أنه لا توجد طريقة وحيـدة لابد منها لتصنيف مكونات البحث فى سياق متتابـع لتحقيق أفضل النتائج. كما يرون بأنه من الممكن القيام بهذا العمل باستخدام طرق مختلفة مع نفس البيانات. ونحن نرى، من حيث المبدأ، أن هذه فكرة جيدة. ومع ذلك، فإنه، عمليا، لا يوجد فى العادة وقت كاف لاستعمال أكثر من سياق تتابع واحد فى التحليل.

البحث الواقعى

طرق بحث النظرية الموثقة والبحوث الكيفية عن الأسرة

قام رالف لاروسا (2005) بإمعان النظر فى استخدام النظرية الموثقة فى بحوث الأسرة. يقول فى المستخلص الذى كتبه عن ورقته هذه:

«مـن بين الطـرق الكيفيـة المختلفة التى يمكـن الاعتماد عليها فـى الوصول إلى نظريـات فى مجال الأسرة، تعد طرق بحث النظرية الموثقة، والتى طورها بارنى جلاسر وأنسلم شتراوس، هى الطرق الأكثر شيوعا.. وهدفى هنا أن أقدم تفسيرا مركزا لطرق البحث فى النظرية الموثقة، ولكنه رغم ذلك تفسير شامل، وهو تفسير أرجو أن يجد الباحثون أن من السهل فهمه وتوظيفه».

وقـد قام لاروسـا فى هذا البحث بدراسـة الجوانب المختلفة لإجـراءات النظرية الموثقـة، كمـا أنه، ورغـم حكمه عليهـا بأنها مفيدة، يشعـر بأنها بلغت مـن التعقيد والصعوبة حدا يجعل من غير الممكن فهمها فهما حقيقيا من قبل جميع الباحثين. وهو يشارك غيره القلق من أن طرق بحث النظرية الموثقة قد لا تنتج النظرية فعلا، كما يرى أن هذه العملية يمكن تبسيطها إلى درجة كبيرة.

وفــى ختام بحثه يقرر قائلا: «تعــد طرق بحث النظرية الموثقة مجموعة قيمة من الإجــراءات الخاصة بالتفكير نظريا فــى المواد المكتوبة، إلا أنه قد يكون من الصعب فــك شفرتها (أى : كشف غموضهــا، وتوضيحها)». وهو يلاحظ أيضا أهمية طرق بحث النظرية الموثقة لأنها: «تؤكد على محورية اللغة فى الحياة الاجتماعية، وأهمية الكلمات بوصفها مؤشرات، ودلالة المقارنات الإمبيريقية والنظرية، وقيمة التفكير فى كيفية ربط المتغيرات ببعضها، وآليات وجماليات الصياغة التى تأخذ فى التبلور لمسار أحداث وحبكتها».

الملخــــص

تدعــى النظرية الموثقــة أنها نظرية متميــزة، إلا أن هذا الادعــاء محل خلاف لأن الخــبراء لا يوافقون على ذلك. ونحن نتخذ موقفا مفــاده أن بعض ملامح هذه النظرية مفيدة وبعضها الآخر غير مفيد، وذلك على النحو المبين أدناه:

× الفكــرة التى تذهــب إلى أن النظرية تنبثق من (أو يتــم توليدها بواسطة) البحث غير المنطلق من نظرية معينة. والواقع أنه لا يوجد اتفاق على نوع مثل هذه النظرية .

× طبيعة ما تتصف به النظرية الموثقة من سند حقيقى صادق .

√ يمكن لهذه التقنية أن تكون مفيدة جدا، خاصة بسبب ما فيها من :

- عمليات ومفاهيم المقارنة المستمرة.
- التكويد.
- المذكرات السريعة الموجزة / الملاحظات الميدانية.
- البناء الواضح.

بحثــك

إلى أى مدى تعد النظرية الموثقة مفيدة؟

تعــد كثير من العمليات المستخدمــة فى النظرية الموثقة قابلــة للاستعمال وعظيمة الفائدة، فى الأنظمة الأخرى لجمع البيانات وتحليلها. وتشتمل هذه العمليات، بصفة خاصة، على ما يلى:

- المقارنــة المستمــرة : مقارنة البيانات المستمــدة من مصادر مختلفــة ومن أماكن وأوقات مختلفة لدعم التحليل، وذلك جنبا إلى جنب البحث عن الحالات السلبية.

- التكويد: العملية (المشهورة) «بوضع علامات» على، أو تمييز البيانات لإعدادها للتحليل فيما بعد، إلا أن هذه العملية تتشعب فى هذه الحالة إلى ثلاثة أبعاد مفيدة (التكويد المفتوح، والمحورى، والانتقائى). يمكن اعتبار هذه الطريقة طريقة تتابعية فى التكويد.
- المذكـرات السريعة الموجزة: هى طرق لتسجيل البيانات، والتفكير فيها وتحليلها (وهذه المذكرات تشبه دفتر يوميات البحث الذى تناولناه فى موضع آخر من هذا الكتاب).
- التشبع بالبيانات: وهو مفهوم مهم يذهب إلى أنه توجد طرق بها يمكن للباحث أن يتأكد مـن أنه قد تم إنجاز القـدر الكافى من البحث. (الحقيقة، أن ما يقوله هذا المفهوم هو أنـك إذا ظللت تجد نفس البيانات، وإذا كنت لا تكتشف أى شىء جديد، فقد وصلت إذا إلى حالة التشبع، كما أن عملية جمع بيانات بحثك تكون قد اكتملت).
- البناء الواضح: هو هذا الأسلوب شديد التدقيق فى بناء البحث، وتنفيذه، وتسجيله ـ وهو مصدر إلهام نافع لنا جميعًا.

المراجع وقراءات للاستزادة

Charmaz, K. (2006) *Constructing Grounded Theory: A Practical Guide Through Qualitative Analysis*, London: Sage.

Dey, I. (1999) *Grounding Grounded Theory: Guidelines for Qualitative Inquiry*, San Diego, CA: Academic Press.

Glaser, B. G. (1994) *More Grounded Theory Methodology*, Mill Valley, CA: Sociology Press.

Glaser, B. G. (1998) *Doing Grounded Theory: Issues and Discussions*, Mill Valley, CA: Sociology Press.

Glaser, B. G., and Strauss, A. (1967) *The Discovery of Grounded Theory: Strategies for Qualitative Research*, Mill Valley, CA: Sociology Press.

LaRossa, R. (2005) Grounded theory methods and qualitative family research, *Journal of Marriage and Family*, 67: 837–57.

Montgomery, P. and Bailey, P. H. (2007) Field notes and theoretical memos in grounded theory, *Western Journal of Nursing Research*, 29: 65–79.

Scott, K. W. (2004) Relating categories in grounded theory analysis: using a conditional relationship guide and reflective coding matrix, *The Qualitative Report*, 9(1) (March): 113–26.

Strauss, A. L. and Corbin, J. M. (1990) *Basics of Qualitative Research: Grounded Theory Procedures and Techniques*, London: Sage.

Strauss, A. L. and Corbin, J. M. (eds) (1997) *Grounded Theory in Practice*, London: Sage.

Strauss, A. L. and Corbin, J. M. (1998) *Basics of Qualitative Research: Techniques and Procedures for Developing Grounded Theory*, London: Sage.

Thomas, G. and James, D. (2006) Re-inventing grounded theory: some questions about theory, ground and discovery, *British Educational Research Journal*, 32(6): 767–95.

الفصل التاسع
استخدام الحواسب فى تحليل البيانات

محتويات الفصل

- ما الذى يمكنك عمله بالحواسب؟
- التحليل الإحصائى.
- تحديد المتغيرات وإدخال بياناتك باستعمال الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS).
- إنتاج مجموعة من الإحصائيات باستعمال (SPSS).
- استخدام (SPSS) فى عرض النتائج فى قوالب وأشكال مختلفة.
- برامج التحليل الكيفى.
- مصادر البيانات وبرنامج «إن فيفو» NVivo .
- التكويد وبرنامج «إن فيفو» NVivo .
- استخدام المذكرات الموجزة فى برنامج NVivo .
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

سـواءً أكانت بياناتك مقننــة أو شبه مقننة، وسواء كانت مكتوبة أو منطوقة أو مرئية، فإن تحليلها عبارة عن عملية لمعالجة هذه البيانات والاشتغال بها بغرض تقـديم نتائجك والإجابة عـن أسئلة بحثك واختبار فروضـك. ونلاحظ أنه حتى بالنسبــة للمشروعــات البحثية الصغـيرة تتراكم كميات وفيرة مــن المادة العلمية وأعنــى بها البيانــات نفسها، وملاحظــات الباحث، والملاحظــات على التراث المنشــور عن الموضوع والأبحاث الأخرى وما شابــه ذلك. ولابد أن يكون من السهــل الوصول إلى هذه النماذج كلها فى كل وقــت والاعتماد عليها أثناء القيام بالتحليل، وتستطيــع الحواسب أن تكون مفيدة فى عمليات معالجة البيانات وفى

التحليل نفسه أيضا.

وتتناول فى هذا الفصل البرامج الحاسوبية التى صممت خصوصا لمساعدة الباحثين الاجتماعيين فى تحليل بياناتهم، كما نسلط الضوء على برامج أخرى قد تكون مستعملا لها يوميا، ذلك أنها تتسم بإمكانيات مميزة، قد تكون مفيدة فى تحليل بياناتك.

ما الذى يمكنك عمله بالحواسب ؟

معروف أن معظم برامج الحاسب مصممة لتمكينك من الاشتغال بأصناف معينة من المادة البحثية ـ كالنصوص المكتوبة أو أفلام الفيديو، أو الصور الفوتوغرافية أو المسموعات (كالحوارات، والمقابلات مثلا) ـ باستعمال مجموعة من الطرق المحددة بدقة. معنى ذلك ـ بتعبير آخر ـ أن طبيعة البرامج أن تكون مصممة لاستعمالها مع أنماط معينة من المادة ولتمكينك من تنفيذ مجموعة موحدة قياسيا من إجراءات التعامل مع تلك المادة. وهناك برامج حاسوبية تساعدك فى كل جزء من أجزاء العملية التحليلية، بعض هذه البرامج مصمم خصوصا لتحليل بيانات البحث الاجتماعى وبعضها الآخر لها استعمالات أوسع نطاقا ولكنها تشتمل على وظائف وإمكانيات تعتبر مفيدة للباحث الاجتماعى.

والخلاصة أن برامج الحاسب يمكن أن تساعدك فى:

- تنظيم مادتك كلها.
- الحفاظ على بياناتك وغيرها من المادة البحثية فى قوالب وأشكال معنونة بشكل موحد.
- تساعدك فى حفظ البيانات فى شكل يسهل الوصول إليه والاستفادة منه.
- تنفيذ تشكيله متنوعة من الإجراءات التحليلية الخاصة بنوع بياناتك.
- تمكينك من تطوير تحليلك بطرق مناسبة.
- عرض نتائجك فى قوالب أو أشكال تكون واضحة وقابلة لأن يفهمها الآخرون.

بالإضافة لهذه المقومات والإمكانيات الأساسية، يمكن لاستعمال برامج الحاسب أن :

- تساعدك فى إمعان النظر فى تحليلك وفى تدوين الملاحظات عليه.
- تحتفظ بدفتر تسجيل / سجل لنشاطك التحليلى كله.
- تتيح للآخرين الاطلاع على العمليات التحليلية التى أتممتها من أولها لآخرها.

بحثك

ملحوظة : لا تستطيع برامج الحاسب أن تقوم بالتحليل نيابة عنك ـ أنت وحدك الذى تستطيع تطوير التحليل، وتفسير نتائجك وعرض ما توصلت إليه من نتائج.

التحليل الإحصائى

حزم برامج الحاسبات الخاصة بتحليل بيانات البحث الاجتماعى

توجد حزم برامج حاسبات عديدة من شأنها أن تساعدك فى تنظيم، وتحليل وعرض البيانات العددية، والحزم الأكثر استعمالا من جانب الباحثين الاجتماعيين هى «الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية» SPSS، والتى أنتجتها شركة IBM. (*) تستعمل أقسام علمية جامعية كثيرة هذا البرنامج، وتتيحه بعض الأقسام لطلبتها مجانا. وتشتمل بعض مقررات طرق البحث الاجتماعى على تعليم لاستعمال هذه الحزمة، وقد يتوافر لك إمكانية الحصول على دورات تدريبية على هذه الحزمة داخل جامعتك، أو كليتك، أو مكان عملك. من الأمور المشتركة فى معظم البرمجيات التى من هذا النمط، أن بالإمكان تحميل نسخ تجريبية منها على حاسبك والاستفادة بدروس خصوصية فيها على موقع الشركة على الشبكة (www.spss.com/ uk/statistics). كما أن هناك عددا من الكتب عن التقنيات الإحصائية تُبين تفاصيل استخدام برنامج SPSS، وبعضها مناسب خصوصا للعلماء الاجتماعيين، وهى مدرجة ضمن قائمة المراجع بنهاية هذا الفصل.

ستمكنك هذه الحزمة من أن :

- تنشئ المتغيرات (وأسماء المتغيرات وأوصافها التفصيلية).
- تدخل بياناتك فى صورة أو قالب كشف حساب كمبيوترى.
- تراجع بياناتك للتحقق من القيم المفقودة، أو البيانات المتعارضة مثلا.
- تنشئ متغيرات جديدة مستعملا لمتغير أو اثنين أو أكثر من متغيراتك الأصلية.
- تنشئ إحصائيات تبين معدلات التكرار وإحصائيات وصفية (كالمتوسط، والوسيط، والمنوال، والانحراف المعيارى، والنسب المئوية، إلى آخره) لكل متغير من متغيراتك.
- تصمم الجداول المزدوجة.

(*) أصبحت شركة IBM مالكة لحزمة SPSS منذ أكتوبر 2009 .

• تطور تحليلات معقدة مستعملا لمجموعة شاملة من التقنيات الإحصائية التى منها كاى تربيع، والارتباطات، والتحليلات المتعددة المتغيرات، وغيرها من التقنيات.
• تعرض نتائجك فى رسوم وأشكال بيانية يمكن إدراجها فى وثيقتك النهائية، أو تقرير بحثك، أو رسالتك الجامعية.

سوف نبين هنا بعض السمات الأساسية بإطلاعك على لقطات لشاشة الحاسب - مأخوذة من برنامج SPSS - لمساعدتك فى تقرير ما إذا كان ينبغى عليك استعمال هذه الحزمة فى دعم تحليل بياناتك، أم لا. لاحظ أن لقطات الشاشة مأخوذة من SPSS 017.0.(*)

تحديد المتغيرات وإدخال بياناتك

باستعمال الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS

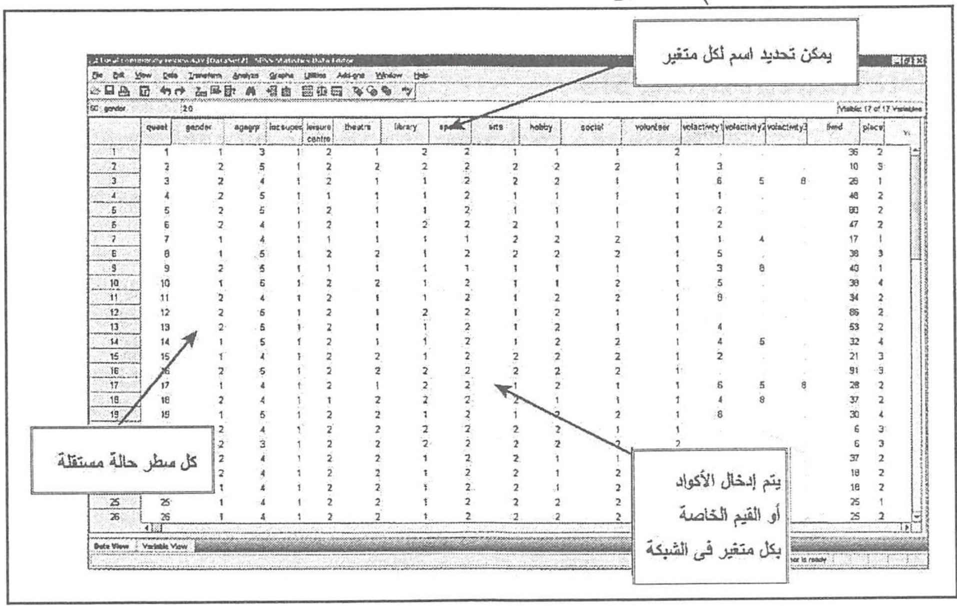
فى الفصل 2 باب 4، أوضحنا كيف أن كل مجموعة من الإجابات التى أجيب بها على سؤال ما أو كل نشاط تم تسجيله يسمى «متغيرا» كما يمكن إعطاؤه «اسم متغير». فى برنامج SPSS يتم إنشاء قائمة بكل المتغيرات فى الصفحة المسماة «مشهد المتغيرات» (انظر لقطة الشاشة رقم «9-2»). وتجد كل متغير مكتوبا فى القائمة مع معلومات عن نمطه، وعما إذا كان متغيرا اسميا، أم خاصا بالرتبة، أم النسبة، وما إلى ذلك، واسمه (أى: العنوان الدال عليه) والقيم (أو الأكواد) المرتبطة به. كما يتم إعطاء كل قيمة عنوانا أو اسما. يمكن استعمال العناوين فى الجداول أو الرسوم البيانية المستخرجة من البيانات، مما يجعل من السهل فهمها. فى هذا المثال، يعطى الكود (1) العنوان «نعم».

بعد ذلك يتم إدخال البيانات المأخوذة من كل حالة من حالات بياناتك فى الصفحة المسماة «مشهد البيانات» (لقطة الشاشة رقم «9-1»). هنا يمثل كل سطر حالة مختلفة، ويمثل كل عمود متغيرا أعلاه اسم المتغير الخاص به. يتم إدخال الأكواد أو القيم الخاصة بكل متغير لكل حالة فى هذه الشبكة.

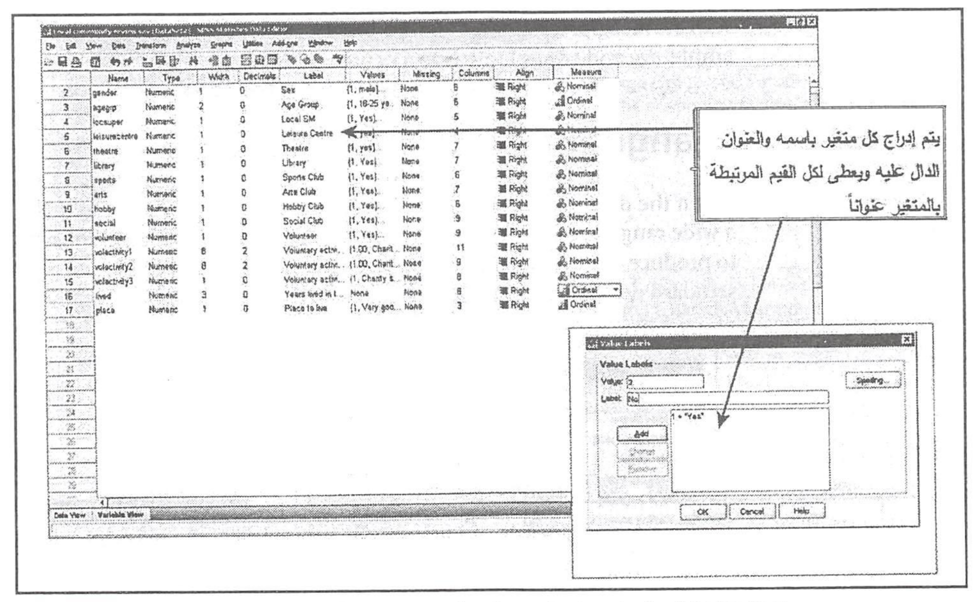
يمكن إنشاء المتغيرات التى تجمع عددا من قيم المتغيرات أو قيم المجموعات أو الفئات باستخدام برنامج SPSS. فى هذا المثال (لقطة الشاشة رقم «9-3») يتم تصنيف المتغير المسمى «الإقامة» (أى: مدة إقامة المستجيب فى المدينة التى جرى بها البحث بالسنوات) والذى قد تكون له قيم تقع بين 1 و 100؛ يتم تصنيف هذا المتغير إلى مجموعات، مدى

(*) لقطات الشاشة المأخوذة من برنامج SPSS منقولة بتصريح من شركة SPSS المحدودة (المملكة المتحدة).

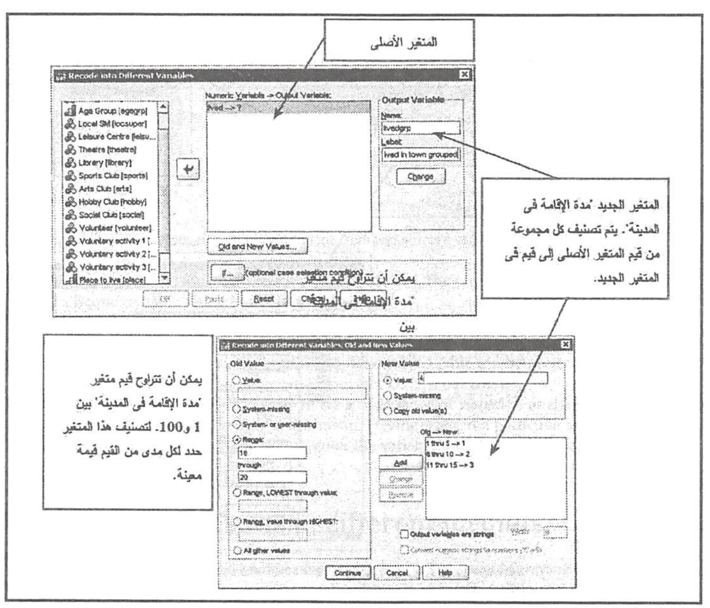
كل منهـا خمس سنوات. يتـم اختيار المتغير الأصلي المسمـى «الإقامة» ثم تخصص له مجموعـة قيم جديـدة (رقم واحد من سنة حتى نهاية 5 سنـوات، ورقم (2) من 6 حتى آخر 10 سنوات وهكذا) منشئين بذلك.



لقطة الشاشة رقم (9-1) : إدخال بياناتك باستخدام برنامج SPSS.



لقطة الشاشة رقم (9-2) : إنشاء قائمة بالمتغيرات فى برنامج SPSS



لقطة الشاشة رقم (9-3): إنشاء متغيرات جديدة عن طريق التقسيم إلى مجموعات داخل أحد المتغيرات باستخدام برنامج SPSS

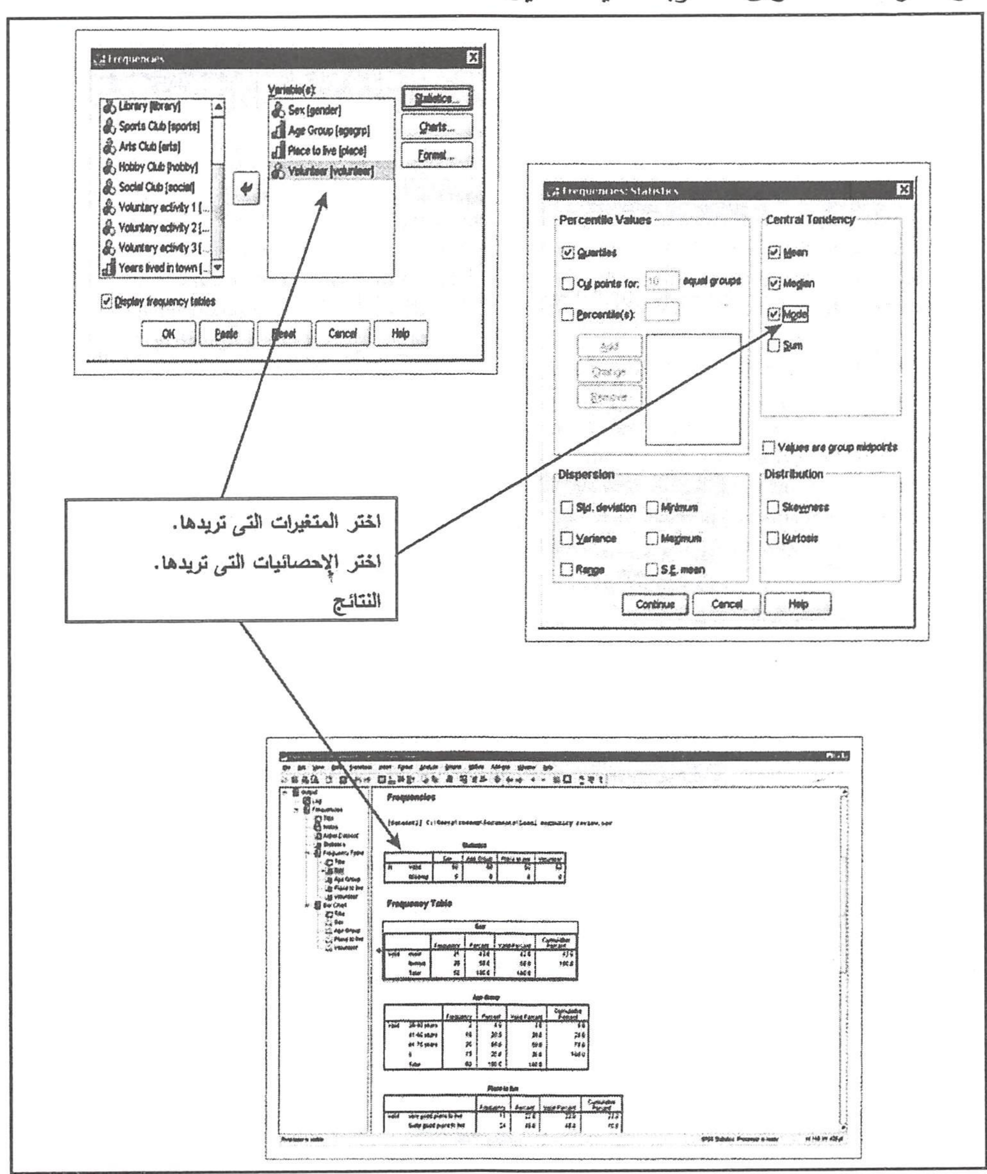
متغيرا جديدا اسمه «فئة مدة الإقامة». وباستعمال طريقة مشابهة لذلك، يمكن الجمع بين بيانات مأخوذة من متغيرين اثنين (كأن يكونا متغير «السن» age ومتغير «الجنس» gender، مثلا) لإنشاء متغير جديد نسميه «سنجنس» genage (فصل2 باب 4).

إنتاج مجموعة من الإحصائيات باستعمال SPSS

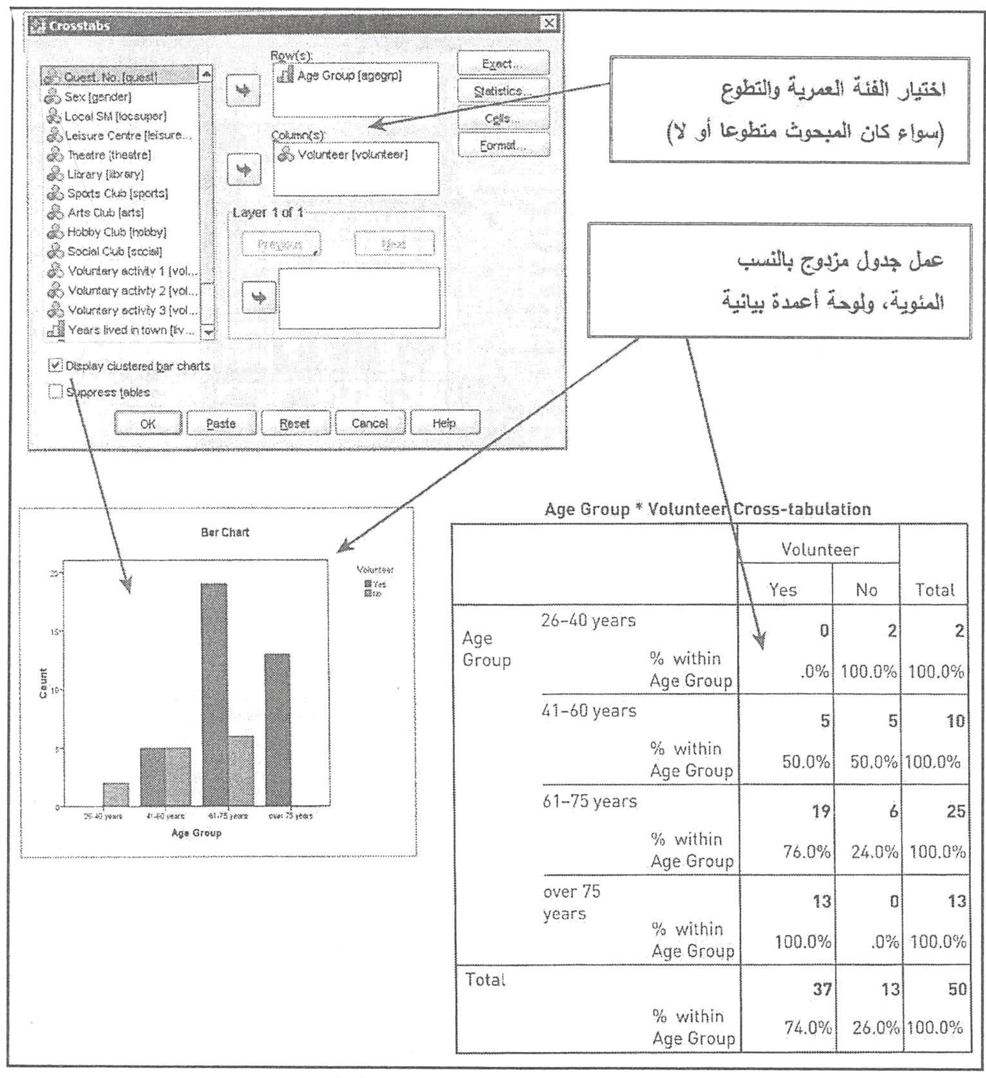
عندما يتم إدخال البيانات الخاصة بكل حالة على حدة ويتم إنشاء أى متغير جديد، يمكن تنفيذ مجموعة كبيرة من العمليات الحسابية. وتكون المرحلة الأولى لمعظم التحليلات الإحصائية هى إنتاج إحصائيات لمعدلات التكرار وإحصائيات وصفية، والتى منها مثلا المتوسط، والوسيط، والمنوال، والانحراف المعيارى (فصل3 باب 4) الخاص بالمتغيرات الأساسية. فى لقطة الشاشة رقم (9-4)، اختار الباحث قائمة بمتغيرات مطلوب عنها إحصائيات معينة. ويظهر مُخْرَج هذه العملية ـ أو النتيجة ـ فى شكل جدول تكرارى لكل متغير على حدة.

يتم إنتاج الجداول المزدوجة (فصل3 باب4) عن طريق اختيار المتغيرين وتحديد المتغير الذى يكون فى صفوف الجدول والمتغير الذى يكون فى الأعمدة. يمكن عمل إحصائيات إضافية باستعمال الزر الخاص بالإحصائيات، كما أن بالإمكان عرض الجدول الناتج عن ذلك فى عدد من القوالب أو الأشكال التى تشتمل - كما هو مبين فى لقطة الشاشة رقم (9-5) ـ على شكل لوحة الأعمدة البيانية.

وتوضح لقطة الشاشة رقم (9-6) مجموعة كبيرة من التحليلات الإحصائية التى يمكن عملها، بدءًا من إعداد قائمة تنازلية. بعد اختيارك لتقنية إحصائية معينة، فإن مجموعة من الصناديق (التى تظهر لك على الشاشة) تمكنك من إدخال المتغيرات والمعلومات الأخرى المطلوبة لتنفيذ التحليل.



لقطة الشاشة رقم (9-4) :إنتاج إحصائيات لمعدلات التكرار وإحصائيات وصفية لمجموعة مختارة من المتغيرات باستخدام SPSS .



Age Group * Volunteer Cross-tabulation

			Volunteer		Total
			Yes	No	
Age Group	26-40 years		0	2	2
		% within Age Group	.0%	100.0%	100.0%
	41-60 years		5	5	10
		% within Age Group	50.0%	50.0%	100.0%
	61-75 years		19	6	25
		% within Age Group	76.0%	24.0%	100.0%
	over 75 years		13	0	13
		% within Age Group	100.0%	.0%	100.0%
Total			37	13	50
		% within Age Group	74.0%	26.0%	100.0%

لقطة الشاشة رقم (9-5) :إنتاج جداول مزدوجة باستخراجها من اثنين أو أكثر من المتغيرات باستخدام SPSS .

استخدام SPSS فى عرض النتائج فى قوالب وأشكال مختلفة

يمكن عرض نتائج التحليلات الإحصائية بمجموعة من الطرق مستعملين ، مثلا، برنامج «صانع الأشكال البيانية» Chart Builder كما هو موضح فى لقطة الشاشة رقم (9-7). بعد أن يتم اختيار المتغيرات المطلوب إدراجها فى التحليل، يمكن عرض النتائج فى مجموعة مختلفة من القوالب والألوان التى يختارها الباحث من برنامج « جاليرى » Gallery (الخاص

تتضمن قائمة التحليلات مجموعة
كبيرة من التقنيات الإحصائية

لقطة الشاشة رقم (9-6) مجموعة كبيرة من التقنيات البسيطة والمعقدة يمكن استخدامها فى SPSS .

بالإخــراج الفنى أو الجمالى لهــذه القوالب والأشكال البيانية. يمكــن وضع لافتات أو بطاقــات ترميز وعناوين للشكل البيانى الناتج بحيــث يكون جاهزا للعرض فى وثيقة. يمكــن للصــورة النهائية هــذه أن تخزن بهــدف إدراجها فــى وثيقــة إلكترونية (تكتب باستعمال معالج للكلمات) أو فى شريحة عرض.

يمكن استعمال حزمة مثل SPSS على مستويات كثيرة. فقد يستعملها بعض الباحثين لمجــرد إدخال ومعالجة بياناتهم المأخوذة من أحــد الاستبيانات، مثلا، وإنتاج المعدلات التكرارية، والإحصائيات الوصفية والجداول المزدوجة لمساعدتهم على تطوير تحليلهم وعرضــ نتائجهم. وبوسع غيرهم استخدام ما توفره هــذه الحزم من تقنيات إحصائية معقدة التى لولاها لكان العد اليدوى للبيانات والأرقام أمرًا يستغرق وقتا طويلا، إن لم

يكن مستحيلا أصلا. وكما هو واضح من لقطات الشاشة هذه، فإن حزمة SPSS تعتبر سهلة الاستخدام تماما للمستفيد، ولكن إن لم تكن قد استخدمت هذا النمط من البرامج فينبغى أن تتوقع قضاء بعض الوقت قبل أن تُصبح على دراية وألفة بهذه العمليات الأساسية بحيث تكون قادرا على معالجة بياناتك الخاصة بكفاءة.

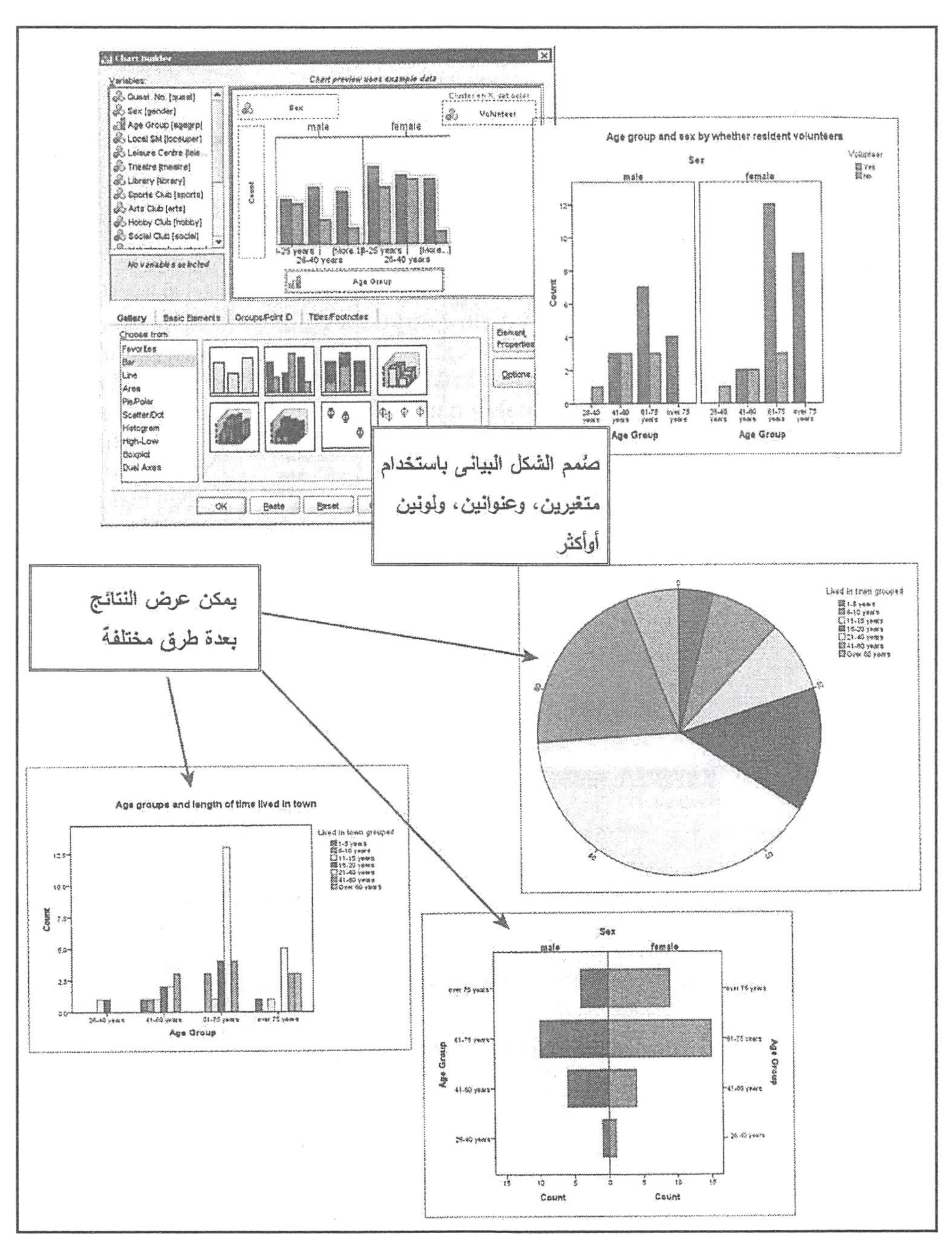
بدائل حزمة البرامج الإحصائية

إذا لم يكن:

- متاحا لك الوصول إلى حزمة برامج إحصائية...
- لديك وقت لتعلم طريقة استخدام مثل هذه الحزمة...
- لديك عدد كبير من الحالات أو مقدار كبير من البيانات...

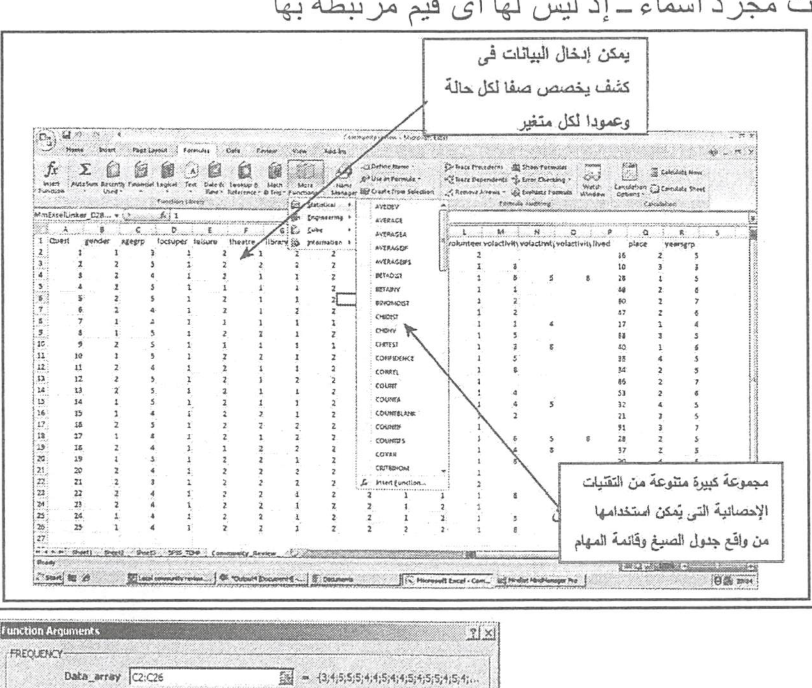
فإن كان بإمكانك أن تقوم بأداء بعض الأشياء المطلوبة باستخدام حزمة إحصائية اعتمادا على حزمة برامج محاسبية مثل مايكروسوفت إكسل Microsoft Excel. ونظرًا لأن هذه البرامج غير مصممة للتحليل الإحصائى خصوصا، فإنه لا يتوافر فيها بعض ما ذكرناه من إمكانيات عظيمة الفائدة يتسم بها برنامج SPSS - كالقدرة على تعريف المتغيرات ووضع علامات مميزة أو بطاقات ترميز لها مثلا - كما أنها بالذات ليست سهلة كل السهولة فى اكتشاف معدل تكرار القيم بشأن متغير ما أو إنتاج الجداول المزدوجة. وأيا ما كان الأمر، فإن حزمة البرامج المحاسبية يمكن أن تفيدك فى:

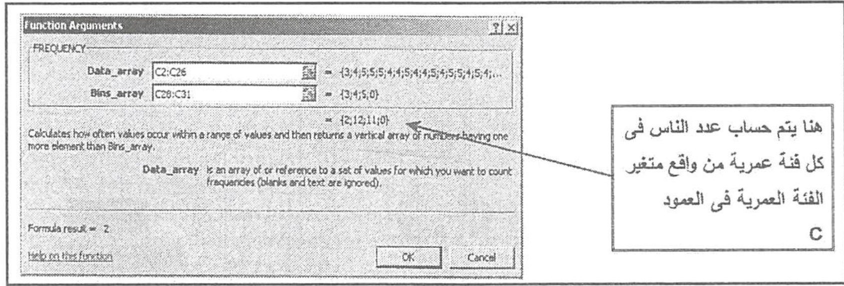
- إدخال البيانات المأخوذة من كل حالة فى أعمدة المتغيرات التى تم تسميتها.
- إجراء العمليات الحسابية للقيم الإحصائية الوصفية لكل متغير، كالمتوسطات مثلا.
- إجراء العمليات الحسابية للقيم الإحصائية الأكثر تعقيدا، مثل كاى تربيع، والارتباطات وكثير غيرها من القيم الإحصائية المستخرجة من متغيرين أو أكثر.
- عرض البيانات فى أشكال ورسوم بيانية داخل وثيقتك النهائية (رسالتك الجامعية أو تقريرك البحثى).



لقطة الشاشة رقم (9-7) استخدام SPSS فى عرض النتائج فى قوالب وأشكال مختلفة.

سترى من واقع لقطة الشاشة رقم «9-8» إن بالإمكان إنتاج صفحة بيانات أو كشف بيانات مشابه «لمشهد البيانات» (Data View) الذى ينتجه برنامج SPSS، حيث يخصص صف لكل صفحة وعمود لكل متغير. وأيا ما كان الأمر، فإن أسماء المتغيرات مجرد أسماء - إذ ليس لها أى قيم مرتبطة بها





هنا يتم حساب عدد
سنوات الإقامة فى المدينة
من واقع القيم فى العمود
P

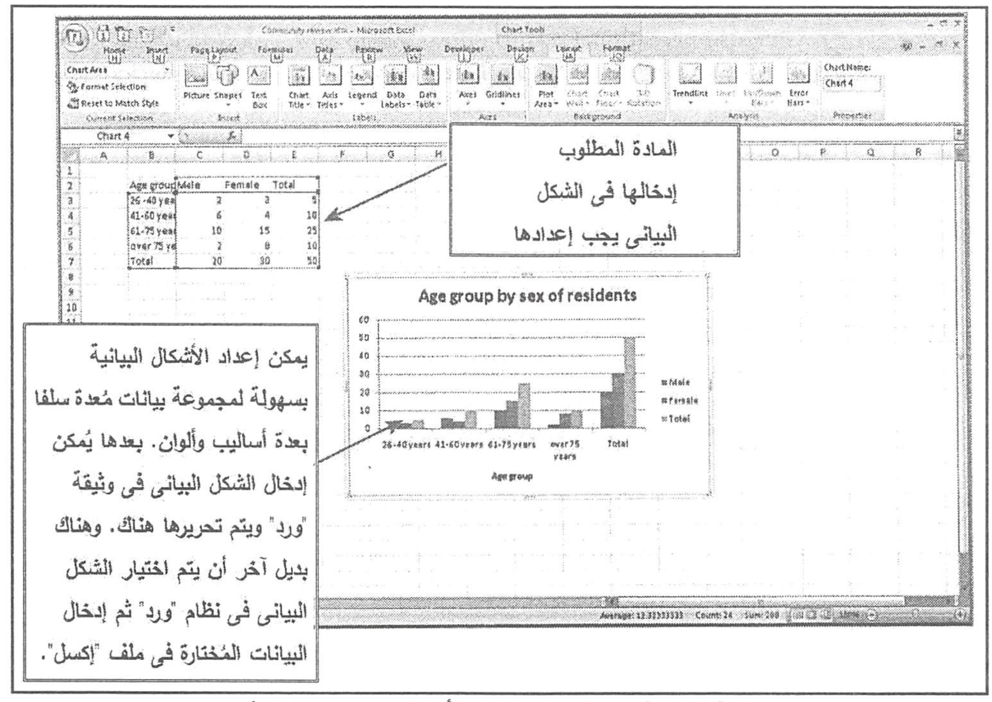
Function Arguments
AVERAGE
Number1 P2:P26 = {36;17;38;38;32;21;28;30;18;25;10...
Number2 = number
= 36.16
Returns the average (arithmetic mean) of its arguments, which can be numbers or names, arrays, or references that contain numbers.
Number1: number1,number2,... are 1 to 255 numeric arguments for which you want the average.
Formula result = 36.16
Help on this function
OK
Cancel

لقطة الشاشة رقم (9-8) : كشف البيانات فى برنامج إكسل

كمـا أن برنامج إكسـل ليس لديه الإمكانيـات لإنشاء متغيرات جديـدة. وتحتوى قائمة «الوظيفـة الإحصائية» (الموجودة فـى إكسل) على مجموعة من التقنيـات الإحصائية التى يمكـن تنفيذها على هذه البيانات. لاحظ أنه فى إكسل يتم تعريف كل خانة فى شاشة البيانات تبعـا للحرف الذى يسمى به العمود، ورقم السطـر، كما أن كل تقنية إحصائية، يتم تنفيذها على الخانات التى يضمها صندوق «خلاصات الوظائف» Function Arguments على النحو المبين فى الشكل. وكما هو واضح فى أمثلة لقطات الشاشات هذه، يتم حساب متوسط عـدد سنوات إقامــة المستجيبين فى هذه المدينة باستعمال القيم المأخـوذة من العمود (أ) (وهو عمود المتغير ـ الاقامة). ويشتمل العمود المذكور على الحالات التى تبدأ من الخانة رقم (2) من العمود (أ) حتى الخانة رقم (26) من العمود (أ) ـ أى : القيم الموجودة فى العمود أ.

بالإمـكان استخدام إكسل فى إنتاج الأشـكال البيانية والجداول التى تكون جاهزة لأن تدرجها فى وثيقتك. ومع هذا، وخلافا لبرنامج SPSS، فإنك عندما تستعمل إكسل ستحتاج عادة إلى أن تعد هذه البيانات بنفسك. ففى المثال الموجود فى لقطة الشاشة رقم (9-9)، تم ـــ قبل ذلك ـ إعداد البيانات المقرر إدخالهـا فى هذا الشكل البيانى، كما أن القيم التكرارية الموجـودة فى كل خانة قـد سبق عدها وإدخالهـا فى هذا الجدول قبـل أن يكون بالإمكان إنشـاء شكل بيانى من واقع هذه البيانات. تتوافر تشكيلة مختلفة من أنواع الأشكال البيانية والألوان، كما يسهل وضع لافتات أو بطاقات ترميز على الشكل البيانى وعنونته وربطه بوثيقـة من وثائق «مايكروسوفـت ورد» Microsoft Word، أو بشريحة عرض من شرائح «مايكروسوف باور بوينت» Microsoft PowerPoint.

رغـم أن إكسل لا يتوافـر فيها ما هو موجود فى برنامـج SPSS والحزم الإحصائية الأخـرى من الوظائف وسهولة الاستخدام، فإن بإمكانها أن تساعدك فى معالجة بياناتك وفى إنشاء الأشكال والرسوم البيانية، وهو الأمر الذى من شأنه أن يساعدك (وقراءك) فـى فهم البيانات. فإن كنت علـى دراية ومعرفة بإكسل من خـبرة سابقة، فمن الراجح حينئـذ أن تكون قادرا علـى تكييف إمكانياتهـا ووظائفها لتتناسب مـع متطلباتك كباحث اجتماعـى. فإن لم تكن على درايـة ومعرفة بإكسل فلا بد حينئذ من أن تمعن التفكير فيما إذا كنت راغبا فى قضاء بعض الوقت فى تعلم استعمال هذه الحزمة. ونظرًا لأن البرامج الحاسبيـة (التى منها إكسل) تستخدم فى كثير من مجالات الحياة، فقد يكون إنفاق بعض الوقت فى تعلم هذه المهارة القابلة للنقل أمرا جديرًا بالاهتمام به إلى حد كبير.



لقطة الشاشة رقم (9-9) : إنشاء الأشكال والرسوم البيانية

برامج التحليل الكيفى

فى الأيـام الأولى للبحث الاجتماعى الذى كان يقوم بجمع ومعالجة البيانات الكيفية أو البيانـات الخام، كانت عمليـة التحليل تستغرق وقتلا طويـلا. وكان المألوف حينها أن تكتـب النصوصـص المنسوخة والملاحظات (التـى يدونها الباحث) علـى الآلة الكاتبة وأن يكـون لها عدد من الصور الكربونيـة. وكان يتم تكويد هذه النصوص المنسوخة، باستعمـال أقـلام مختلفـة الألـوان مثلا، ثـم كان يتم تقطيع هـذه الصفحـات (بالمعنى الحرفـى للكلمـة) إلى «نُتف من البيانات». بعد ذلك يمكن لنتـف البيانات المجموعة من تتبـع الحالات المكودة بنفس الطريقة أن تلصق فـوق صفحة جديدة من الورق أو فوق صفحـة رسم بيانى لتمكين الباحث من البحث عن أوجه التشابه، وعن العلاقات الممكنة ومـا إلى ذلك. ومن الطرق الأخـرى للتحليل قديما الاحتفاظ بنظـام فهرسة قائم على استعمـال البطاقات حيث يكتب الكـود على كل بطاقة. وكانت الإحالات التى تشير إلى النقـاط أو المسائل الموجودة فـى حالة معينة أو فى وثيقة معينـة استُعمل فيها هذا الكود؛ كانت هذه الإحالات تسجل على هذه البطاقة حتى يستطيع الباحث أن يعثر بسهولة على البيانات المكودة ذات الصلة. كان من الممكن أيضا أن تشتمل البطاقة على مقتبسات (أى

جمل وعبارات مكتوبة بنفس الصيغة التى نطقها بها المستجيبون) مأخوذة من البيانات المرتبطة بهذا الكود. وكان المألوف استخدام أفرخ الورق الكبيرة الحجم لإنتاج أشكال بيانية أو رسوم بيانية توضح العلاقات القائمة بين الأكواد والبيانات.

ويمكن القول من نواح كثيرة أن ما هو متاح حاليا من برامج للمساعدة فى تحليل البيانات الخام أو شبه المقننة أو غير المقننة لا تقوم إلا بما يزيد قليلا عما كان الباحثون يقومون به فى الماضى بطريقة يدوية. ومع ذلك، فإن استعمال البرامج العامة مثل مايكروسوفت ورد أو استعمال حزمة مصممة لأغراض خاصة مثل إن فيفو NVivo بمقدروه أن يجعل هذه العملية أكثر فعالية وكفاءة، كما يمكن الباحث من معالجة البيانات بصورة دقيقة وإبداعية.

حزم الحاسبات المصممة خصوصا لتحليل البيانات الكيفية

على امتداد السنوات العشرين الماضية تم تصميم عدد من حزم البرامج المخصصة للمساعدة فى تحليل البيانات الكيفية. تطورت هذه البرامج تطورًا كبيرا بالتوازى مع نمو الطرق المختلفة فى تحليل البيانات الكيفية ومع تزايد نطاق مصادر البيانات التى يجرى إدراجها فى البحوث الاجتماعية فى وقتنا الحاضر. والبرامج التى تحظى بأوسع قدر من الاستعمال هى «إن فيفو. NVivo »(www.qsrinternational.com/products__nvivo.aspx، وقد تم آخر دخول على الموقع فى 30 أغسطس 2009). وسنحاول فيما يلى أن نتأمل بعض الأمثلة المستمدة من هذه الحزمة. من نماذج الحزم الأخرى حزمة برامج «أطلس تى» ATLASti، وموقعها هو www.atlasti.com، وقد تم آخر دخول على الموقع فى 29 أغسطس 2009) وحزمة إثنوجراف. Ethnograph (www.qualisresearch.com/. وقد تم آخر دخول على الموقع فى 29 أغسطس 2009).

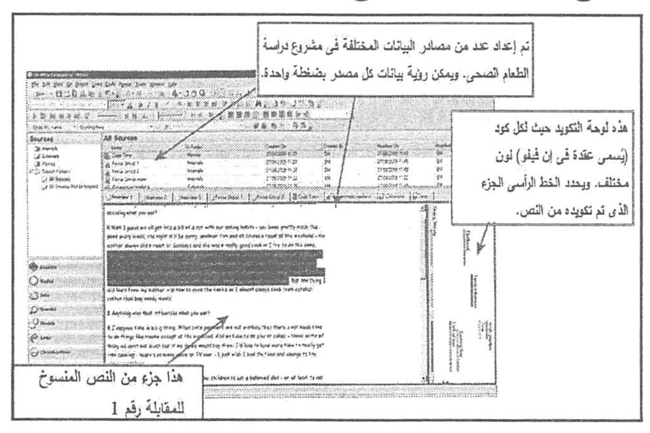
إن معظم حزم البرامج هذه:

- تتيح لك أن تستجلب مصادر بياناتك أو تنشئها - وهذه المصادر قد تكون نصوصا منسوخة من تسجيلات المقابلات، أو وثائق، أو تسجيلات صوتية أو بالفيديو، أو من مذكرات ميدانية.
- تتيح لك أن تفصص (تقسم) بياناتك إلى نُتف أو وحدات صغيرة بأساليب متنوعة؛
- تشتمل على أنظمة تكويد أو فهرسة.
- تبحث عن وتسترجع وحدات البيانات باستعمال كود معين.
- تيسر على عمليات البحث المعقدة إنشاء روابط بين وحدات البيانات.
- تبحث عما فى النص من خيوط رابطة بين مكوناته؛ وأنماط متكررة، وكلمات، وعبارات.
- لديها القدرة على ربط المذكرات الموجزة بالوثائق أو الأكواد.

- يمكنها إحصاء عدد مرات ورود الأكواد، والكلمات ... إلخ، فى مصدر البيانات؛
- لديها القدرة على إنتاج الخرائط، والشبكات، والأشكال البيانية التى تصور الروابط القائمة بين الأكواد والبيانات.

إن مشروع «تحليل البيانات الكيفية بمساعدة الحاسب» (أو مشروع «كاكداس»[*] بجامعة صرى Surry المملكة المتحدة) يقوم بانتظام بتقديم المشورة والتوجيه فى شأن اختيار واستعمال مجموعة الحزم المتاحة، كما أنه إن كنت تفكر فى استعمال أى من هذه الحزم، فمن المستصوب أن تراجع مواقع تلك الحزم على الشبكة http://caqdas.soc.surrey.ac.uk /، وقد تم آخر دخول على الموقع فى(26 أغسطس 2009)، وأن تراجع كذلك المراجع والقراءات المقترحة فى نهاية هذا الفصل.

كما هو الحال مع البرامج الإحصائية، فإن النسخ التجريبية لمعظم الحزم الحاسوبية المصممة خصوصا لتحليل البيانات الكيفية، قابلة للتحميل على حاسبك، كما أن معظمها يحتوى على دروس خصوصية وعلى بعض النماذج لمساعدتك على تعلم طريقة الاستخدام الأمثل لهذا المنتج (www.qsrinternatianal.com/products nvivo.aspx)، وقد تم آخر دخول عليه فى 30 أغسطس 2009. ونلاحظ مجددًا، أنه يمكن – كما هو الحال بالنسبة للبرامج الإحصائية – استخدام برامج الحاسب المصممة لتحليل البيانات الكيفية على مستويات مختلفة، فالبعض قد يستخدمون برامج تحليل البيانات الكيفية أساسا كوسيلة لإدارة وفهرسة كميات كبيرة من البيانات الخام أو لتكويدها؛ بينما يتابع بعض الباحثين هذا النهج فيحرصون على الانتفاع بالمزيد من تقنيات البحث، والتكويد ورسم الخرائط المعقدة والأكثر تقدما لمساعدتهم فى البحث عن التفسيرات المتضمنة فى ثنايا البيانات أو فى تطوير رؤية نظرية.



لقطة الشاشة (9–10) : مصادر البيانات فى مشروع إن فيفو NVivo

(*) CAQDAS = Computer Assisted Qualitative Data Analysis.

وستحاول الصفحات التالية إلقاء الضوء على الخطوات الأولى لاستخدام برنامج إن فيفو NVivo فى بدء تحليل البيانات الخاصة بالطعام الصحى، والمستخدمة فى الفصل الرابع من هذا الباب. لاحظ: أن لقطات الشاشات مأخوذة من برنامج «إن فيفو 8 NVivo8»(*).

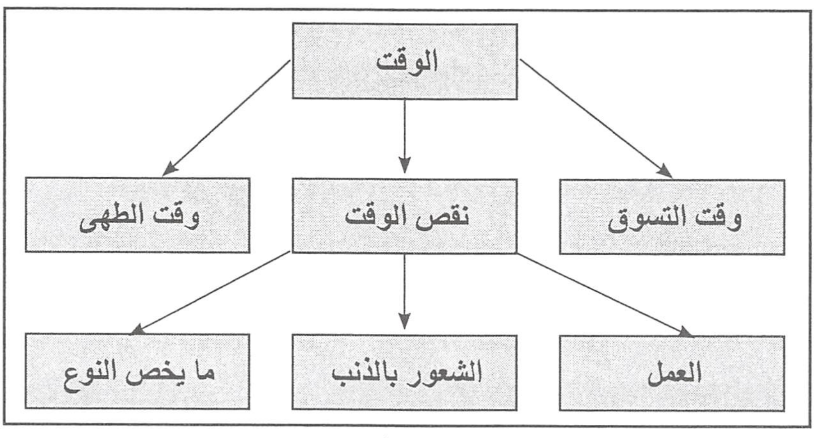
مصادر البيانات وبرنامج إن فيفو NVivo

يمكن إدخال مجموعة من الأنماط المختلفة لمصادر البيانات فى برنامج إن فيفو كما يمكن الاشتغال بها داخل هذه البرمجية. ومن هذه المصادر: النصوص المكتوبة للمقابلات وجماعات المناقشة (فصل 2 من هذا الباب) والصور الفوتوغرافية، والمادة المرئية والسمعية. وبالإمكان أيضا ضم بعض الوثائق من خارج الشبكة (فى هذا المثال وفى لقطة الشاشة رقم (10-9)، تم ضم كتيب حكومى). ونلاحظ هنا أنه على الرغم من أن نص الوثيقة لم ينقل، فإن بالإمكان إدراج الأكواد والمذكرات السريعة الموجزة المطبقة على نص الوثيقة، ومن ثم يصبح من الممكن إدراجها فى التحليل. ومن بدائل ذلك، أن تصور الوثيقة وتنقل كصورة فوتوغرافية. بعد ذلك يتم عمل قائمة بجميع مصادر البيانات المرتبطة بالمشروع البحثى، بحيث يكون من السهل الوصول إليها بالضغط على الأزرار التى تم تسميتها. فى الجزء الأوسط من الشاشة يوجد النص المنسوخ لمصدر البيانات الجارى معالجتها.

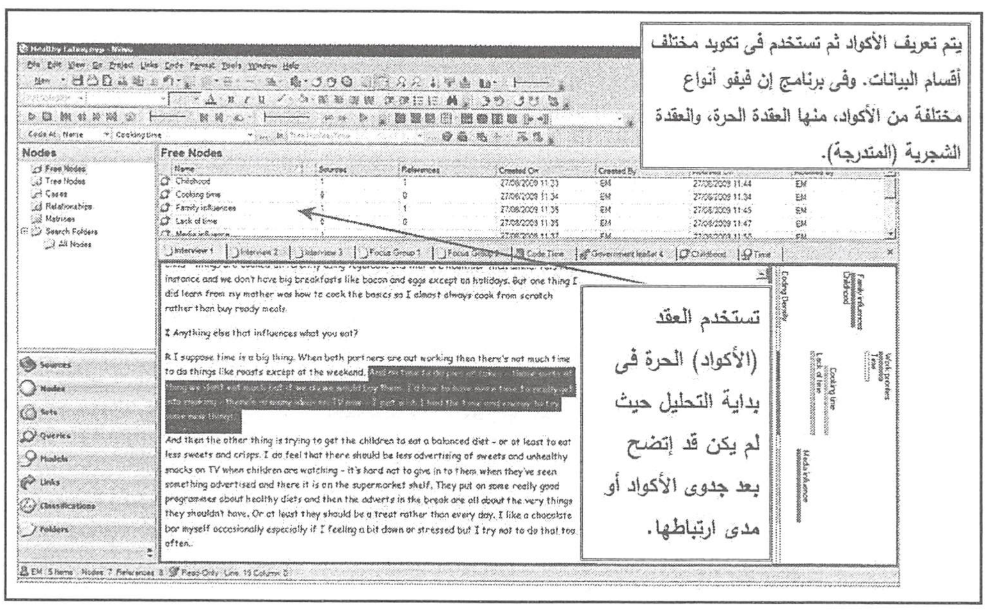
التكويد وبرنامج إن فيفو NVivo

يبين الجانب الأيمن من الشاشة التكويد الذى تم تطبيقه على مصدر البيانات هذا. ويكون لكل كود (فصل2 وفصل4 من هذا الباب) أو كل نقطة التقاء كما يسمى فى برنامج إن فيفو) لون مختلف، كما أن كل سطر من السطور الملونة فى جزء الشاشة الخاص بالتكويد تقابل ذلك المقطع من النص الموجود فى مصدر البيانات والذى تم تكويده. بعد ذلك يتم عمل قائمة للأكواد، حيث يرفق بكل كود التعريف المرتبط به. يمكنك برنامج إن فيفو من إنشاء الأكواد والاشتغال بها بطريقتين مختلفتين. أولهما طريقة نقط الالتقاء الحرة التى كثيرا ما تستخدم فى مبدأ الأمر كأسلوب لتمييز جميع البيانات التى قد تكون مرتبطة بفكرة معينة أو مفهوم معين. وبعد أن يتطور التحليل ويتم تقسيم الأكواد أو ضمها معا بطرق مختلفة، وتبدأ العلاقات التى بين الأكواد فى الظهور، يكون من المفيد ترتيب نقط الالتقاء تلك فى نسق واحد متدرج. حينئذ يتم تنظيم الأكواد أو نقط الالتقاء فى بنية شجرة متدرجة انطلاقا من الجذر، ولها عدد من المستويات المتدرجة، كما هو مبين فى الشكل (1) من هذا الفصل.

(*) تم نشر لقطات الشاشات الخاصة ببرنامج إن فيفو NVivo بتصريح من شركة QSR International Pty المحدودة. وإن فيفو علامة تجارية ومسجلة، صممتها وطورتها شركة كيو إس آر إنترناشيونال (www.qsrinternarional.com).



الشكل رقم (9-1) تنظيم الأكواد فى هيئة شجرة.



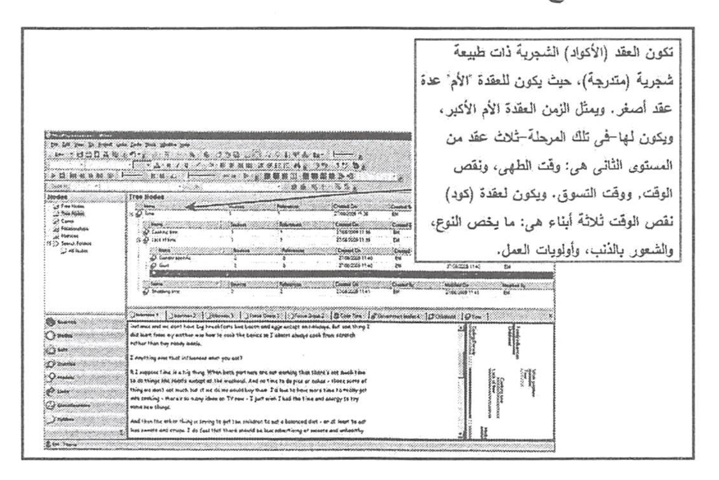
لقطة الشاشة رقم (9-11): استخدام الأكواد (نقاط الالتقاء) فى برنامج إن فيفو.

فى المثال المذكور فى لقطتى الشاشة رقم (11) و (12) من هذا الفصل يتم تمييز ثلاثة جوانب مختلفة أو ثلاث أفكار مختلفة تتعلق بكود «نقص الوقت» وردت فى البيانات، ولهذا السبب يتم تخصيص أكواد مختلفة لها عند المستوى التالى - فى برنامج إن فيفو تسمى هذه الأكواد نقاط الالتقاء «الأبناء» (أى الأكواد الفرعية أو الصغيرة) لنقطة الالتقاء «الأم» (أى الكود الرئيسى): «نقص الوقت».

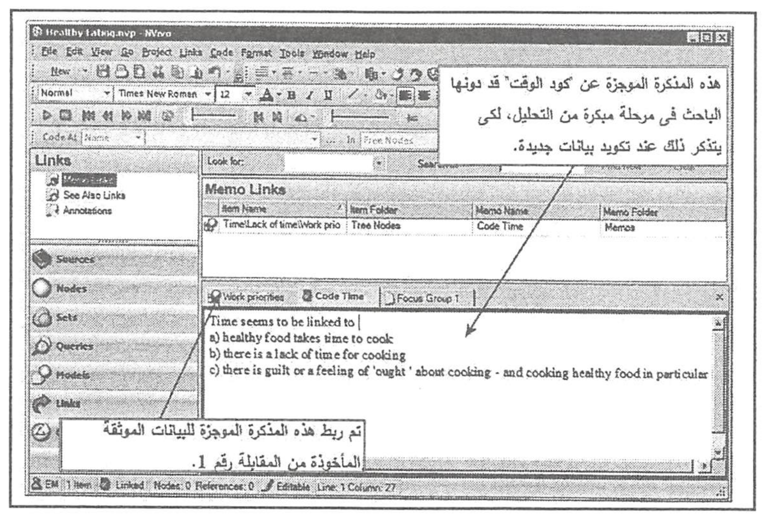
استخدام المذكرات الموجزة فى برنامج إن فيفو NVivo

تتيح معظم برامج التحليل الكيفى - بما فيها برنامج إن فيفو - إرفاق الملاحظات أو المذكرات الموجزة (فصل 4) بالبيانات الجارى معالجتها، وذلك بعدة طرق. يمكن لهذه المذكرات أن تحتوى على تذكيرات للباحث، وملاحظات على الطريقة التى تم بها تعريف كود معين، وبعض الأفكار اللافتة للنظر التى انبثقت من خلال البيانات، وما إلى ذلك. فى برنامج إن فيفو تعطى كل مذكرة موجزة علامة مميزة أو عنوانا كما يمكن أن ترفق بأحد الأكواد، أو بمقطع معين من النص موجود فى مصدر أو أكثر من مصادر البيانات، أو بمصدر محدد من مصادر البيانات. بعد ذلك يمكن تنقيح كل مذكرة موجزة أو الإضافة إليها مع اضطراد التحليل، وبخاصة فى استكشاف بعض الحقائق والعلاقات. كما يمكن أيضا تكويد تلك المذكرات باستخدام نفس هذه الأكواد بوصفها مصادر البيانات.

أصبحت الطبعات الأحدث صدورًا للبرامج، مثل إن فيفو، تركز على جعل واجهة المستخدم (أى: شاشة الحاسب التى تظهر عليها البيانات فى صور مختلفة) واضحة وسهلة الاستخدام. ورغم أن لقطات الشاشة تبدو معقدة، ورغم أن بعض المصطلحات غريبة نوعا ما، فإن المؤكد أن عملية إدخال مصادر البيانات وتطوير التكويد الأساسى واضحة تمام الوضوح. ويتوقف استخدام هذه البرامج بمستوى أكثر تعقيدًا على درجة تعقد بياناتك وعلى قدرتك على التعامل مع الأفكار والعلاقات المعقدة، وهى عملية تعتبر شاقة إذا نفذت على الورق كما هو حالها إذا نفذت بمساعدة هذا النوع من البرامج. فإن لم تكن استخدمت برامج من هذا النوع قبل ذلك، فإنه ينبغى عليك أن تقضى بعض الوقت لتجعل نفسك على دراية وألفه بهذه البرامج وللعمل من خلال بعض الأمثلة السابق تنفيذها بهذه البرامج قبل معالجة بياناتك الخاصة.



لقطة الشاشة رقم (9-12) نقاط الالتقاء الشجرية فى برنامج إن فيفو.



لقطة الشاشة (9-13) استخدام المذكرات الموجزة فى برنامج إن فيفو

بدائل برامج تحليل البيانات الكيفية

إن لم:

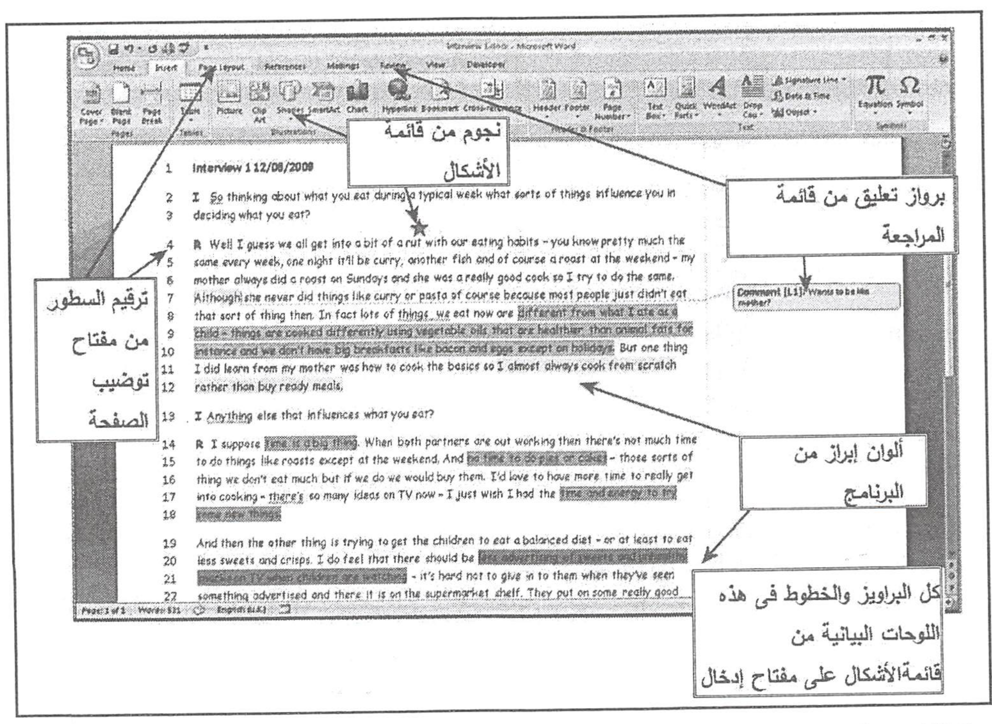
- يتوافر لك الوصول إلى حزمة لتحليل البيانات الكيفية. . .
- يتوافر لك الوقت لتعلم طريقة استخدام مثل هذه الحزمة. . .
- يتوافر لك عدد كبير من الحالات أو مقدار كبير من البيانات. . .

فقد يتعين عليك التفكير فى الطريقة التى بها تستطيع استخدام إحدى الحزم؛ كحزمة مايكروسوفت ورد»، والتى تكون على دراية ومعرفة بها، وذلك لمساعدتك فى إدارة عملية معالجة البيانات الكيفية.

باستعمال حزمة «مايكروسوفت » تستطيع:

- أن تنقل أو تلخص كل بياناتك المكتوبة.
- وأن تستعمل ما فى هذه الحزمة من خاصية «أرقام السطور» فى ترقيم كل سطور مادتك المكتوبة.
- وأن تنظم بياناتك بتقسيمها إلى نُتف من البيانات ؛ باستخدام الوظيفة المسماة «جدول» Table وما توفره من أشكال.
- وأن تبرز أجزاء من النص المكود مستخدما ما هو مختلف ألوانه من حروف الطباعة، أو الأشكال الطباعية الخاصة بإبراز النص، أو الرموز، أو أحجام الحروف.

- وأن تضيف الملاحظات أو المذكرات الموجزة مستعملا ما فى هذه الحزمة من وظيفة إسمها: «التعليق» Comment.
- وأن تنشئ أشكالا بيانية مستخدما الوظيفة المسماة «جدول».
- وأن تقص نُتف البيانات المكودة وتلصقها معا داخل صفحة جديدة أو داخل لوحة بيانية.
- وأن تنتفع بالإمكانية المسماة «اعثر على» Find فى العثور على الكلمات أو العبارات الموجودة فى وثيقتك.
- وأن تستخدم الإمكانية المسماة «أشكال» Shapes فى إنشاء العروض البيانية للروابط الموجودة بين الأكواد (انظر فصل 4 من هذا الباب، على سبيل المثال).
- وأن تستخدم الإمكانية المسماة «التأشير» Book-marking للإشارة إلى بعض الملامح المميزة الموجودة فى النص، والإمكانية المسماة الإحالة Cross-reference لربط الفقرات الموجودة فى أجزاء مختلفة من الوثيقة.



لقطة الشاشة (9-14) استخدام برنامج مايكروسوفت ورد فى تسليط الضوء على إحدى المقابلات وتكويدها.

فكر فى هذا الموضوع. . . .

البيانات البصرية (أو المرئية)

معظم حزم البرامج التى تساعدك فى إنتاج صور فوتوغرافية أو لقطات مرئية (فيديوهات) مزودة فى داخلها بإمكانيات يمكن أن تكون مفيدة لباحث اجتماعى يشتغل بالبيانات البصرية الرقمية، بما فيها إمكانية أن :

- ترتب أو تنظم الصور الفوتوغرافية.
- وتغير الألوان أو تضيف بعض المؤثرات إلى مقاطع صغيرة من إحدى الصور الفوتوغرافية.
- وتقسم المادة الفيديوية إلى قطاعات صغيرة، وأن تضع لها بطاقات تمييز وأن تعيد تنظيمها.
- وتلحق أو تضيف إحدى المذكرات الموجزة لصورة فوتوغرافية أو صورة فيديوية.

كما أن بالإمكان إضافة بطاقات التمييز للصور الفوتوغرافية، وذلك كما فعلنا مع لقطات الشاشات التى فى هذا الفصل.

ستكون قدرتك على استعمال هذه المجموعة الكبيرة من الإمكانيات المتاحة على معظم حزم برامج معالجة الكلمات أمرا ذا قيمة عظيمة بالنسبة لك، ولا يقتصر ذلك على نطاق مشروعك البحثى الاجتماعى فقط، بل إنه سوف يشمل جوانب كثيرة من دراستك ومن حياتك اليومية. فلا أقل من أنك ستكون قادرا على استعمال هذه الإمكانيات فى عرض تقريرك البحثى و رسالتك العلمية (باب5) وفى إنتاج التكليفات الدراسية الأخرى.

بحثك

هل ينبغى أن تستعمل برامج الحاسب لمساعدتك فى تحليلك؟		√
هل تستعمل حاسبا بصفة يومية؟		
هل تستعمل أيا من أنواع البرامج التالية بانتظام؟	معالج كلمات، مثل ورد.	
	الكشف المحاسبى، مثل إكسل.	
	قاعدة البيانات، مثل أكسس.	

هل أتيحت لك فرصة التعامل المنتظم مع أى واحد من أنماط البرامج التالية؟	برامج التحليل الإحصائى، مثل: برنامج (SPSS) PASW الإحصائى ومينيتاب Minitab	
	برامج تحليل البيانات الكيفية، مثل إن فيفو، إثنوجراف، أطلس تى.	
هل تعتبر نفسك مستخدما كفؤا للحاسب ؟		
هل تستمتع بالعمل على الحاسب ؟		
هل عندك وقت لتعلم كيفية استخدام البرامج الجديدة؟		

فكر فى بياناتك :

- ما أنماط البيانات التى سوف تعالجها ؟
- ما القالب الذى تظهر فيه بياناتك ـــ استبيانات، نصوص منسوخة، فيديو، مذكرات؟
- كم عدد ما لديك من حالات البيانات (كالمقابلات، والاستبيانات وما أشبه ذلك)؟
- ما نمط ومستوى التحليل الذى تخطط للقيام به؟

اقرأ عن تقنيات تحليل البيانات ذات الصلة (من فصل 3 إلى فصل8 من هذا الباب) واقرأ هذا الفصل قبل أن تتخذ قرارك.

المراجع وقراءات للاستزادة

Bazeley, P. (2007) *Qualitative Data Analysis with NVivo*, 2nd edn, London: Sage.

Bryman, A. and Cramer, D. (2008) *Quantitative Data Analysis with SPSS 14,15, and 16: A Guide for Social Scientists*, London: Routledge.

Field, A. (2009) *Discovering Statistics Using SPSS*, 3rd edn, London: Sage.

Lewins, A. and Silver, C. (2007) *Using Software for Qualitative Data Analysis: A Step-by-Step Guide*, London: Sage.

Lewins, A. and Silver, C. (2009) Choosing a CAQDAS package. University of Surrey, CAQDAS, available from http://caqdas.soc.surrey.ac.uk/PDF/2009 (accessed 29 August 2009).

Richards, L. (2005) *Handling Qualitative Data: A Practical Guide*, London: Sage.

الفصل العاشر

ثم ماذا بعد؟ استخلاص النتائج

محتويات الفصل

- محتويات الخاتمة.

عن السياق

أيـا مـا كان الفرع الذى تنتمى إليه من فروع العلـم الاجتماعى أو أيًا ما كان نمـط المشروع الذى قمت بتنفيذه، فإن استخلاص النتائج من بحثك هو أهم جزء فى هذه العملية، كما يعد ـ من بعض النواحى ـ أصعب الأجزاء.

إن كتابة خاتمة بحث أمر يزيد كثيرا عن مجرد تلخيص عملك ونتائجك، كما أنها خطوة حاسمة فى تأكيد أن عملك قد تم تنفيذه بجدية.

أشرنـا فـى الفصل (1) مـن هذا البـاب، إلى أن التحليل هو العمليـة التى بها يتم وصـف بياناتك، ومناقشتهـا، وتفسيرها، وتقييمها، وشرحهـا، وبها يتم الوصول إلى نتيجـة ما. وحتى هذه اللحظة، فإنك ستكون قد قمت بالتعمق فى بياناتك بتفصيل دقيـق، وناقشت وشرحت ما كان يحدث عندما كنت تجمـع هذه البيانات، وسلطت الضوء على الأمور التى:

(أ) تعد لافتة للنظر، (ب) والتى تجيب على أسئلة بحثك. وفى هذا الفصل نأتى إلى الجزء النهائى من التحليل وهو: كتابة الخاتمة.

الهـدف الإجمالى لأى خاتمة هو الإجابة على سـؤال (أو أسئلة) بحثك، بجانب أنها تقـدم تأملا نقديا لهذا المشروع البحثى وللإسهـام الذى يضيفه إلى القضية التى تم بحثها واستقصاؤهـا. إذ لابـد أن تجيب خاتمة البحث علـى السؤال القائل: «ثـم ماذا بعد؟» والـذى من الراجح توجيهه بهدف تقييم عملك، ومن الراجح كذلك أن يشير إلى ما فى عملـك من أوجه القوة وأوجه القصور، كما أنه قد يزودنا برؤية نقدية لدورك كباحث (انظر باب 5، وبخاصة فصل4).

فكر فى هذا الموضوع . . .

السؤال : « ثم ماذا بعد؟»

تخيل أنك تقرأ عملك للمرة الأولى، وأن مهمتك هى أن تحكم على قيمته .

عندما تصل إلى النهاية، وتكون قد فرغت من قراءة النتيجة، ينبغى أن تسأل نفسك : «ثم ماذا بعد؟»

- ما الذى حققه هذا البحث؟
- هل أجاب على الأسئلة التى طرحها ليجيب عليها؟
- هل هو بحث «جيد»؟
- هل قصر هذا البحث فى الإجابة على بعض أسئلتك؟

المسألة ببساطة، هى أنه يتعين عليك أن تكتب عما تعنيه النتائج التى انتهيت إليها وعن مدى انطباقها على العالم الاجتماعى. وبوصفك دارسا، يمكن للنتيجة التى تكتبها فى تقرير بحثك أن تكون أيضا فرصة لإظهار أنك قد أدركت طبيعة البحث الاجتماعى، كما يمكنها أن تبين مدى انطباق نتائجك على العالم الاجتماعى الكبير، ومدى تأثيرها عليه .

فى كثير من الأحيان، يبدو أن من العسير كتابة نتائج البحث، وربما يرجع ذلك إلى شعورك بأنك قلت بالفعل كل شىء فى الفصل الخاص بالنتائج والفصل الخاص بمناقشة البيانات. ومع ذلك فإن هذين الفصلين لا يعدان نتائج، بل مجرد خطوتين على هذا الطريق.

ويمكن القول ـ بصورة عامة ـ إن الخاتمة ينبغى أن تكون موجزة بقدر الإمكان (ولكن لا تختصرها إلى الحد الذى يتعذر عنده فهمها بوضوح)، وذلك فى نفس الوقت الذى تستمر فيه فى أداء المهام الضرورية التى سبق أن بيناها فيما سبق. ولعل أهم شىء هنا أن تتذكر أنه لا ينبغى أبدا أن تدخل مادة جديدة فى صلب الخاتمة التى تكتبها. وكقاعدة عامة، فإن كل ما تناقشه هنا ينبغى أن يكون قد سبق ذكره قبل ذلك، كما ينبغى أن تكون الاقتباسات المنقولة عن الآخرين والموجودة فى الخاتمة قليلة جدا، إن لم تكن منعدمه. توصى بعض المصادر أن تختم عملك بذكر قول مقتبس مناسب تنقله عن كاتب من الرواد فى مجالك : ونحن نشدد فى التوصية بعدم فعل ذلك، على أساس أن هذا العمل هو عملك أنت وينبغى ألا يحتاج ـ فى هذه المرحلة ـ إلى الدعم من الآخرين. والأهم من كل هذا : ألم يكن ذاك هو الأمر الذى كانت تدور حوله مراجعة التراث المنشور عن الموضوع (فصل2 باب2).

نحن نرى أنه يوجد شرك خطير يقع فيه كثير من الدارسين غير الحذرين. وهو ميلهم، وهم يكتبون خاتمة البحث، إلى التعميم انطلاقا من نتائج غير قابلة للتعميم (انظر خصوصا فصل 5 باب2). وهذا أمر يمكن فهمه، فقد قمت بعمل شاق وطويل فى مشروعك هذا وتريد أن تعظم من أهميته بالنسبة للعالم (وربما للشخص الذى يعطى الدرجات للتكليف الدراسى الذى تقوم به). ولكن المعروف أن معظم مشروعات الطلاب تكون عيناتها صغيرة الحجم (فصل5 باب 2) بحيث يكون من المحتمل ألا تعكس خواص هذه العينة الصغيرة خواص مجتمع البحث بصدق وأمانة. وهذه، بطبيعة الأمر، ليست مشكلة فى حد ذاتها، فالصعوبات لا تظهر إلا عندما يُفهم ضمنا أن النتائج التى تم التوصل إليها من خلال مقابلة خمسة من المدرسين الذين يعملون بمدارس وسط مدينة برمنجهام، مثلا، قابلة للتعميم على كافة المعلمين الذين يعملون بمدارس المملكة المتحدة (وأنت ستكون قد أدركت فى هذه المرحلة من البحوث أنه ليس صحيحا من نواح كثيرة القول بأن خبرات المدرسين الذين يعملون فى مدينة كبيرة متنوعة السكان تماثل خبرات المدرسين الذين يعملون، مثلا، فى إحدى الجزر النائية(*). ومع ذلك، فإننا نرى بالفعل أن من المهم مناقشة هذه القضايا فى خاتمة بحثك حتى يستطيع الباحثون فى المستقبل (وكذلك الشخص الذى يقوم بتقدير عملك) أن يتبينوا حقيقة ما أنجزته من عمل .

بحثك

الخاتمة

أمعن النظر فى السؤال الذى يقول: «ثم ماذا بعد؟» وفى خاتمة بحثك:

- ما الذى فعلته؟
- ما مدى جودته فى أداء مهمته؟
- ما الذى اكتشفت أنه :
  - مهم؟
  - جديد؟
  - مماثل لما توصلت إليه نتائج البحوث الأخرى فى هذا المجال؟
  - أضاف جديدًا إلى فهمنا للطريقة التى يعمل بها العالم الاجتماعى؟
- ما مدى احتمال أن ينتفع الآخرون بعملك أو أن يتوسعوا فيه؟

(*) وردت فى المتن الإشارة إلى جزيرة مول Mull إحدى جزر الهبرايدز Hebirdes الواقعة فى المحيط الأطلنطى غربى اسكتلندا. (المترجم)

محتويات الخاتمة

ينبغـى لمحتويات خاتمتك ، بطبيعـة الأمر ، أن تعكس مشروع بحثـك ، كما أن كل خاتمـة هى عمل فريد منقطع النظير . ومع ذلـك ، فإننا نقترح فيما يلى محتويات تقرير بحثى نموذجى أو محتويات خاتمة رسالة جامعية.

1 - **لخص عملـك :** يعد هذا الجزء من خاتمة بحثك عاما تمامـا (البند رقم 3 فيما بعد أكثر تحديدًا) كمـا ينبغى أن يكون موجزًا قدر الإمكان . فكل ما عليك فى الخاتمة هو أن تذكر القارئ بما سبق لك أن قمت به من عمل وبالطريقة التى أنجزته بها .

2 - **ما الذى تعلمته؟ هل أجبت على سؤال (أو أسئلة) بحثك؟**

3 - من الطبيعى أن تقوم الخاتمة بتلخيص ما تعلمته من البحث ، أو اكتشفته فى أثناء قيامك به. فـإن كنت تختبر فرضا ، فسيكون محتملا أن تحـاول تقييم مدى نجاحك فى ذلك. تذكر أنه حتى لو لم يُكتشف شىء جديد فى مشروعك ، فإن ذلك يعد فى نفس الوقت نتيجة بحث قيمة محتملة (فالأمور غير الموجودة قد تكون بنفس أهمية الأمور الموجودة!).

4 - **ما أوجه القوة ونواحى الضعف فى بحثك؟ بافتراض تكرار القيام بهذا المشروع ، فما التغييرات التى كنـت ستجريها؟** من حسن التصرف دائمًا أن يقوم الباحث بتقييم مشروعه ككل تقييما نقديا ، وأن يناقش ما يخص هذا المشروع من أوجه قوة ونواحى ضعف . فقد يؤدى ذلك إلى الدخول فى مناقشة عن الطريقة التى قد يتبعها الباحثون مستقبلا فى إعادة تصميم وإعادة تعريف هذه العملية.

5 - **مـا فوائد بحثك؟** (هذا البند مرتبـط بالنقطة التالية كذلك) هذه فكرة مفيدة أن تشير إلى ما (ومن) سينتفع بهذا البحث ولماذا؟

6 - **مـا الاقتراحات التى يمكن طرحها (بشأن التغييرات فى السياسـة أو الممارسة ، مثلا)؟** فإن كان للبحـث تطبيق عملـى ، فقد يحتاج الباحـث إلى طرح بعضـ الاقتراحات الخاصة بالسياسـات أو بالتطبيق مستقبلا . مثال ذلك ، أنه إن كان هذا مشروعا بحثيا يتعمق فى دراسة أوقات انتظار الركاب الجالسين فى مكتب قطع التذاكر لركوب القطار ، فقد تُطرح اقتراحات تدور حول نظام معدل للانتظار .

7 - **مـا الذى يجب عمله فـى المستقبل؟** يكاد يكون لـكل المشروعات البحثيـة بعض الأسئلة التـى تركتها بـلا إجابة (أو قد تجيب ، فـى الواقع ، على أسئلة جديـدة). لذلك تعد

الإشــارة إلى الاتجاهات التى تسلكها البحوث التى قد تجرى فى المستقبل عملا مفيدا للباحثـين الآخرين ، كما أنها تدل على أنك أصبحت قادرا على التفكير وراء نطاق الحد النهائى الواضح لمشروع بحثى معين (انظر فصل 4 باب 5).

8 – **التأمل النقدى فى المشروع البحثى ككل :** رغم أن بعض هذا التأمل قد مورس فى البند رقم 3 أعــلاه ، فلا يزال من المفيد تقييم إجمالى المشــروع وأن تمعن النظر فى الأمور التــى تحققت بشكل جيد وفى تلك الأمور التى تحققت بشكل أقل جودة . ويمكن لهذا التأمــل النقــدى أيضا أن يكون هــو المجال الذى فيه تمعن النظر فــى بعض الأسئلة الأوســع نطاقا ، مثال ذلــك: أيمكنك أن تستخرج أحكامــا عامة من عملك هذا؟ هل يمكــن أن تحصل على نتائــج مطابقة (أو مشابهة) فى منطقــة جغرافية مختلفة؟ هل كان الوصول إلى المعلومات والبيانات عسيرا أم يسيرا؟

9 – **التأمل الشخصى: (ليس هذا على الدوام أمر سليما ، إلا أنه يمكن أن يكون مفيدا فى بعض المواقف ، كالتأمــل ، مثلا ، فى الأثر الذى تكون قد أحدثته كفرد ذى صفات خاصة على البحث).** يناقس كثير مــن الباحثين الاجتماعيين تأملاتهم الشخصية فى المشروعات التى يضطلعون بها . وقــد يتخذ هــذا الأمر أشكالا كثيرة ، كما قد لا يكون مناسبــا لكل الظروف . تشتمل الأسئلة المشتركة التى يتعين على الباحث أن يأخذها فى اعتباره ما يلى :

(أ) ما الأثر الذى أحدثه كشخص ذى شخصية مميزة على هذا البحث؟

(ب) ماذا كانت خبراتى الشخصية كباحث وما الذى تعلمته منها؟

(جـ) ماذا كانت إحساساتى وأنا أنفذ هذا المشروع ، وإلى أى مدى قد يؤثر ذلك على الطريقة التى أقيم بها النتائج؟

كما قلنا قبل ذلك ، لا توجد صيغة واحدة لكتابة نتائج البحث . والواقع أن نقطة نهاية كل مشروع بحثى تتسم دائما بأنها فردية ولا نظير لها . فإن من شأن بعض جوانب البحث أن تكون مهمة فى بعض الظروف المختلفة ، ويتوقف ذلك ، عادة ، على نوع قضايا البحث أو أسئلته التى تجرى معالجتها . وأيا ما كان الأمر ، فإنك إن استحضرت فى ذهنك تلك النقاط التى ذكرناها قبل ذلك واستعملت قائمة المراجعة المبينة أدناه ، فبإمكانك أن تكون واثقا من أن نتائجك ستشتمل على كل المعلومات المناسبة (انظر الباب الخامس).

بحثـك

قائمة مراجعة الخاتمة

√	هل أجبت على السؤال القائل « ثم ماذا بعد؟»	
√	هل أجبت على سؤال (أو أسئلة) بحثك / أو بينت أنك قد اختبرت فرضك؟	
√	هل ذكرت ما تعلمته من مشروعك؟	
√	هل شرحت نتائجك وطريقة تفكيرك واستدلالك؟	
√	هل شرحت كيف يساهم مشروعك في إثراء المعرفة / أو الفهم الأكاديمي؟	
√	هل ناقشت أوجه القوة ونقاط الضعف؟	
√	هل ناقشت كيف تؤثر نتائجك على العالم الاجتماعي؟	
√	هل ذكرت فوائد بحثك (أو التى يمكن الاستفادة بها فى رسم السياسة وفى التطبيق العملى مثلا)؟	
√	هل فكرت في البحوث المستقبلية (باب ٥، فصل ٤)؟	
√	هل تأملت مدى نجاح مشروعك بطريقة نقدية؟	
√	هل تأملت في دورك كباحث؟	
√	هل فسرت أسباب وجود نتائج غير متوقعة؟	
√	هل فكرت فيمن سيقرأون نتيجة بحثك (الباب الخامس)؟	
√	هل أدرجت معلومات جديدة في هذه الخاتمة؟	
√	هل أصدرت أحكاما عامة بطريقة غير مناسبة؟	

لا يمكن لقائمة المراجعة هذه، والمقدمة كمثال، أن تدخل فى حسابها جميع المتغيرات التى قد تكون موجودة فى مشروع بحثك. ومع هذا، فإن استطعت أن تعلم بعلامة «صح» أو بعلامة «خطأ» أمام سائر الصناديق المناسبة، فمن المحتمل حينئذ أن تكون فى وضع جيد لكتابة خاتمة بحثك.

الباب الخامس

عرض البيانات والتقارير

الفصل الأول : أهمية الجمهور المتلقى للبحث .

الفصل الثانى : كتابة البحث : التقارير والرسائل العلمية .

الفصل الثالث : عرض البيانات .

الفصل الرابع : النشر والبحوث المستقبلية .

الفصل الأول
أهمية الجمهور المتلقى للبحث

محتويات الفصل

- الجمهور والوضوح .
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

علـى امتداد هذا الباب ، وهو أقصر أبواب الكتاب ، نحاول جاهدين تزويدك بـالأدوات المطلوبة لاستيفاء مهمة بحثك ، إذ لا يكفـى أن تنفذ بحثا جيدًا فحسب . بـل حتى لا يكفى أن تكتشـف شيئًا جديدًا تماما أو تفسر أمـرًا لم يكن مفهومًا قبل ذلك . وسبب هذا واضح: إذ يتوجب عليك أن تعرِّف العالم ببحثك . وعلى امتداد هـذا الباب الخامس سنناقش كلا من قضية «كيـف تكتب موضوعا عن عملك» ، وقضيــة «لماذا تكتب» ، كما نناقش ما قد يكون أشد أهمية من ذلك ، وهى قضية : «لمن تكتب هذا الكلام»؟

ورغـم أنه مـن الواضح أن محتوى عملـك هو العنصر الأكـثر أهمية ، فمن الضـرورى أيضا أن تفكر فى الطريقة التى ستتبعهـا فى تقديمه للناس . ويناقش هذا الباب المختصر ما يتعلق بأهمية «جمهورك» ويقدم بعض الأمثلة البسيطة.

نبدأ بأهميــة الجمهور ، ثم نواصـل النقاش بالتعـرض لاستراتيجيات كتابة البحث ، وعرض البيانات ، وأخيرا لنشر بحثك .

إن عرض بياناتك ، وكتابة تقريرك ، أو إعداد رسالتك الجامعية هو الخطوة الأخيرة فـى مشروعك البحثى . فقد بلغت المرحلة التى فيها يتـم اختتام عملك كله و«نشره» (قد يكـون ذلك من أجـل إنجاز رسالتـك العلمية للتخـرج ، ولكن العملية تظـل هى نفسها بصرف النظر عن المستوى العلمى الجامعى الذى تعمل فيه) . لهذا ، فإن من الأهمية أن تفكر فى سبب كون هذه المرحلة من البحث مهمة للغاية .

إن لم تعـرّف العالم، فواضـح إذن أن عملك سيظل مجهولا. وقد حدث ذلك تقريبا لتشارلـز داروين ونظريتـه عن التطور (انظر المثال 1-1). كمـا حدثت وقائع مماثلة أحـدث، من أمثلتها نشر «التقرير الأسود عن المظالم فى مجال الصحة» فى سنة 1980 (انظـر برواز «فكر فى هذا الموضوع...» فيما يلـى). تصور مدى ما قد يكون عليه عالمك من اختلاف لو أن بحثك لم ينشر.

من المهم، إذن، أن تكتب عملك فى صورته النهائية وأن «تنشره» (فإن كنت طالبا فقـد يكون مهما جدا لمستقبلك أن تستوفى تكليفاتك الدراسية وتقدمها لأستاذك). وسوف نتنـاول عملية الكتابة فـى الفصل 2 من هذا الباب، ولكننا هنا نحـاول أن نطرح مسألة خاصة التى مفادها أن «الجمهور مهم».

إننا لا نبالغ فى تأكيد أهمية منظور الجمهور. فهم الأفراد الذين سيحكمون على قيمة عملك (وقد يكونون الأفراد الذين يتحكمون فى مستقبلك!). اعرف جمهورك؛ وحاول أن تكتشـف كيف يفكرون، وكيف ينظـرون إلى موضوع بحثك، وما خبرتهم المتعلقة بالقضايـا ذات الصلة وكيـف سيستجيبون على الأرجح. فـإن استطعت وقتها أن تأخذ كل هـذه الجوانب فى الاعتبار عنـد كتابتك، فسوف تتفادى الوثائق المزعجة ذات اللغة الطنانة التى ربما يكون بعضنا معتادا عليها.

إن التركيـز على احتياجات قُراء بحثك واتجاهاتهم لـن يساعدك فقط فى إيضاح ما تبحثـه من نقاط، بل سيمكنـك أيضا من أن تفهم مادتك فهما أفضـل؛ فلا توجد طريقة لتفهم عملك الشخصى أفضل من أن تحاول جعله مفهوما للآخرين.

المثال (1-1)

تشارلز داروين وكتابه «عن أصل الأنواع» الخلفية

قـام تشارلز داروين ببحوثه الميدانية عـن التطور بين سنـة 1831 وسنة 1836 فـى رحلتـه البحثية الثانية علـى السفينـة الملكية بيجـل Beagle، وهـى الرحلة التى اشتملـت على الجزء الأكبر من ساحل أمريكا الجنوبيـة، وجزائر الفوكلاند وجزائر جالاباجوس. واستكمل بحثه النظرى عن التطور فى سنة 1845 تقريبا وكتب مسودة الكتاب النهائى فى نفس الوقت تقريبا. ومع ذلك فإن الكتاب لم ينشر إلا سنة 1859.

لماذا إذن أمضى داروين 28 سنة من غير أن يعرّف العالم باكتشافاته؟

اتضــح أن السبب الرئيسى كان يرجــع إلى أن نفوذ الكنيسة المسيحية فى بريطانيا فــى ذلك الزمن كان قويا جدا، وأنه كان من الخطورة أن ينظر إلى نظرية كنظرية داروين على أنها تحد للنظام الاجتماعى، وعلى أنها هرطقة بسبب ما فيها من إنكار دور الإله كمقدر وخالق.

إذا لما نشر الكتاب أصلا؟

الواقــع أن داروين كان يرغب فى الحصــول على الاعتراف بعمله. فقد أصبح على وعى بأن علماء آخرين كانوا يعملون بأفكار مماثلة (خاصة ألفرد والاس الذى كان يعمل فى جزيرة بورنيو بأرخبيل الملايو، جنوب شرق آسيا) كما كان داروين يتعرض لخطر ألا يحصل على الاعتراف بأنه صاحب السبق العلمى الأصلى.

وهكذا، نشر الكتاب - فما القضية فى هذه القصة؟

القضية الأولى واضحة:

- لــو أن داروين لم ينشر عمله، لما كنا علمنــا شيئا عن النظريات التطورية ما لم يقم شخص آخر بنفس الاكتشاف.

القضية الثانية أشد صعوبة:

- كتب داروين كتابه لتقرأه «الجهات العلمية» المسئولة آنذاك ـ أى مشاهير علماء ذلــك العصر. فالكتاب لم يلق الترحيب من الجميع (خاصة العلماء ذوى الآراء المختلفة وذى الخبرة البحثية الضئيلة). كما أن الكتاب، وبسعره الأصلى الذى كان يســاوى 15 شلنًا (أى: 0.75 يــورو)، كان فوق قدرة معظم الناس على شرائه. وقــد وردت تقارير عن أفراد من الطبقــة العمالية جمعوا من بعضهم مــالا ليشتروا نسخًا مــن الكتاب. وقد استــاء داروين حينئذ مــن ارتفاع سعر الكتــاب، ولكنه تمكن فى نهاية الأمر، من خفض سعر الطبعة السادسة الأكثر تنقيحًــا إلى 7 شلنات و6 بنسات (أى: 0.38 يــورو) مما جعله فى متناول أكثر السكان. ونتيجة لذلــك، تم نشر هذه المعلومات على نطاق واسع، وبدأ الناس العاديون فى التعبير عن رأيهم والإعراب عن تقبلهم لهذه النظرية.

وهكذا يتبين أن القضية المحورية تنصب على اختيار «الجمهور». اختار داروين أن يجرى تعديلات كثيرة علــى الطبعة السادسة مما أدى إلى جعلها مفهومة بدرجة أكبر عند الناس. وبإضافة هذه الميزة إلى ميزة سعرها الرخيص، استطاع عدد أكبر من الأفراد أن يصبحوا على دراية وعلم بهذا العمل.

فكر فى هذا الموضوع . . .

التقرير الأسود

كان «التقريــر الأسود» (تاونسند ودافيدسون ، 1982) قد صدر تكليف بإعداده مــن قِبَـل حكومة حزب العمــال فى سنــة 1977 ، إلا أنه لم يعلــن رسميا حتى شهر أبريل 1980 عندما كانت إحــدى حكومات حزب المحافظين فى سدة الحكم. لم تلق النتائج التى انتهى إليها التقرير ترحيبا من أعضاء حزب المحافظين. كان هذا التقرير مشروعًــا بحثيا كبيرا يتعمق فى بحث مظاهر وآثار عدم المساواة فى مجال الصحة ، فقد كان من شأن نشر مثل هذا التقرير ، فى العادة ، أن يكتسب قدرًا كبيرا من الشهرة والذيوع ، وأن يترتب عليه ظهور كتابات محركة لمشاعر الناس. وإزاء هذه الحالة لم يـؤذن إلا بنشر 260 نسخة مصورة من الأصل المكتوب بالآلة الكاتبة ، وذلك فى ليلــة عطلة البنوك فى شهر أغسطس ، وهو ما يحتمل أن يكون محاولة (من حكومة المحافظين) للتأكد من أن التقرير لن ينتشر إلا فى أضيق نطاق ممكن.

فــى نهاية الأمر ، اتخذ المؤلفان الإجــراءات لنشر التقرير فى سنة 1982 من قبل دار نشــر بنجويــن. لا يزال التقرير يبيع نسخًا كثيرة سنويــا لمدة 30 عاما تقريبا بعد صدوره ، كما أثر تأثيرًا كبيرًا على عملية إعادة تنظيم وزارة الصحة البريطانية.

1 – مــا – فــى رأيك – سبب اختيار حكومة المحافظــين لمثل هذه الطريقة المتسمة بالتقييد الواضح فى نشر هذا التقرير المهم؟

2 – ما – فى رأيك – سبب اختيار المؤلفين لدار نشر متخصصة فى إصدار الكتب الشعبية ذات الطبعات الرخيصة ؟

3 – كيف أثرت فكرة «الجمهور» على هذين القرارين؟

الجمهور والوضوح

لهذه الأسباب يكون من المهم جدا أن نقدم لجمهورنا شيئا يمكن أن يفهمه. وعلينا أن نتأكــد إلى حــد ما (وبدون أن نكون متفضلين بالإحســان على جمهورنا) من أننا كتبنــا شيئا بلغة يفهمونها ، ولــه بنية واضحة وجلية (وهو الشــىء الذى سنقوم ، فى العــادة ، بشرحه فى مقدمتنــا وبتزويده «بلافتات إرشادية» علــى امتداد النص من أوله لآخره حتى يعرف القارئ ـ أو المستمع ـ أين هو من الموضوع) وأن هذا العمل له معنى واضح.

إن فكرة « الوضوح» هذه فكرة مهمة كما أنها دليل جيد يوجه أسلوبنا. فلا بد للمعنى الذى يحمله عملنا أن يكون واضحًا لجمهورنا، وهذا يعنى أننا لا بد أن نقدر جمهورنا تقديرا سليما فيما يتصل بما لهم من:

- مستوى قرائى: لذلك جعلنا اللغة الإنجليزية التى نكتب بها فى المستوى الذى يفهمونه - فقد سبق لمعظم القراء أن عانوا من ذلك الإحساس المزعج بالكتابة «البارعة» التى يتوجب فيها على القارئ أن يضع القاموس فى متناول يده فى أثناء محاولته لفهم الاستعمال الملغز أو البالغ التعقيد للكلمات.
- افتراض المعرفة السابقة لدى الجمهور: لذلك قمنا بشرح كل شيء يتعين علينا شرحه، إلا أننا سلمنا بتوفر مستوى أساسى للفهم لدى القارئ. وتتضمن هذه الفكرة المتعلقة بالمعرفة السابقة أيضا مسألة: ما إذا كنا نضمن ما نكتبه صورا وأشكالا بيانية أو أعمدة لعرض البيانات الرقمية أم لا (ويتوقف هذا الأمر على مجال موضوع البحث أيضا)، ومسألة: ما إذا كانت الصور - مثلا - تحسّن مستوى النص الذى نقدمه أم لا.

إن الوضوح أمر مهم. فإن كان عملنا غير واضح، حينئذ سيصاب قارؤنا بالضجر سريعا. وهذا الوضع له نتيجتان هامتان، خاصة فيما يتصل بالعمل المكتوب، وهما:

1 - إن كان جمهورنا يقرؤون طلبا للمتعة أو يحاولون الحصول على معلومات، فسوف يتوقفون عن القراءة فى هذه الحالة.

2 - إن كان جمهورنا يقوم، فوق ذلك، بالحكم على عملنا (كما هو الحال غالبا فى مجال التعليم)، فمن المستبعد حينئذ أن يحصل العمل غير الواضح على درجات مرتفعة.

ولا شك أن هذا الوضوح يمكن أن ينسحب على ما هو أكثر من مجرد الكلمة المكتوبة والمنطوقة (فصل 3 باب5). كما أن اختيارك لطرق عرض البيانات الأخرى ينبغى أيضا، أن يكون قائمًا على معرفتك بهذا الجمهور.

بحثك

الجمهور

قبل أن تبدأ كتابة تقرير بحثك، أو تحضير ملصق (عرض مختلف جوانب بحثك) أو كتابة رسالتك العلمية، اسأل نفسك بعض الأسئلة القليلة:

- ماذا أعرف عن جمهورى؟

- ماذا يعرفون هم عن موضوع بحثى؟
- هل لديهم الخبرة المباشرة بهذه القضايا؟
- ما تصورى لما قد تكون عليه استجابتهم لنتائج بحثى/ أو لخاتمته؟
- هـل أرى أنهم سيفهمون الكلمات / أو الرسـوم البيانية المعقدة؟ (ربما يفضلون قراءة موجز للبيانات أكثر من قراءتهم لصفحات من الأرقام؟)
- أمن المحتمل أن يفضلوا الرسوم البيانية على الكلمات؟

المراجع وقراءات للاستزادة

Crosswaite, C. and Curtice, L. (1994) *Disseminating Research Results: The Challenge of Bridging the Gap between Health Research and Health Action*, Oxford University Press.

Marriott, S. and Palmer, C. (2000) Disseminating healthcare information: getting the message across, *Quality in Health Care*, 9: 58–62.

Townsend, P. and Davidson, N. (1982) *Inequalities in Health: The Black Report*, Harmondsworth: Penguin.

الفصل الثانى

كتابة البحث:

التقارير والرسائل العلمية

محتويات الفصل

- لماذا نكتب؟
- ما الذى تفعله الكتابة؟
- عملية الكتابة.
- التخطيط والبنية.
- بعض «قواعد» الكتابة.
- حدود الكلمات.
- كتابة المسوَّدة.
- عندما تكون الكتابة عسيرة.
- التقارير.
- الرسائل العلمية الجامعية.
- تحذير أخير: الانتحال.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

يتنـاول هذا الفصل عملية كتابة البحث. وهو موجه لطلاب الدراسات العليا، كما أن هدفه الرئيسى هو مناقشة كيف تختلف كتابة البحث عن غيرها من أنشطة الدارس وكيفية مباشرتها على أفضل وجه. ينبغى أن تقرأ هذا الفصل مع فصل (1) و (3) من هذا الباب، وذلك لأن بعض قضاياها متشابهة.

إننا لا ننوى أن نقول لك هنا كيف تكتب «مقالات»، رغم أنه توجد بعض المعلومات المفيدة التى يمكن أن تساعدك فى هذا الصدد، وذلك لأن من شأن هذه المحاولة أن تستغرق كتابا بأكمله. ولهذا يقتصر هذا الفصل على الحديث حول قيامك بالكتابة النهائية لمشروعك البحثى فى صورة تقرير، أو مقال مطول أو رسالة علمية جامعية. (توجد بعض الكتب المفيدة فى مجال الكتابة الأكاديمية «العامة» أدرجناها ضمن قائمة المراجع فى نهاية هذا الفصل).

نرجو أن ينجح هذا الفصل فى توضيح حقيقة أنه يوجد اختلاف بين «التقرير» و«الرسالة الجامعية». ويتعين عليك أن تتذكر أنهما ليسا شيئا واحدا، حتى بالرغم من أنهما قد يبدون متشابهين.

إذا قرأت هذا الفصل كما لو كان فصلا فى رواية طويلة، فستجد أنه يتسم بدرجة طفيفة من التكرار، ونحن نرى أن أفضل طريقة لفهمه هى أن تقرأ الفقرة التى تتناول المهمة التى تقوم بأدائها وأن تتابع الروابط التى تصلك بأى شىء آخر تحتاج إليه.

لماذا نكتب؟

إننا نكتب لأسباب مختلفة. والهدف الأساسى للكتابة هو الاتصال، كما أن الكتابة فى مجال التعليم العالى، تتسم بشكل تخصصى من أشكال الاتصال يحقق بعض الأهداف التخصصية. وهذه هى أهم هذه الأهداف:

- **اقتسام المعلومات وتبادلها:** وهو الهدف الأساسى للاتصال.
- **قياسا التقدم:** يستخدم معلموك المادة التى تكتبها فى الحكم على مدى التقدم الذى تحققه فى مجال محدد.
- **تحسين مستوى فهمك وقدرتك على التعبير:** الكتابة عملية تعلم تحثك على التعبير عن الأفكار والمفاهيم بكلماتك الشخصية.
- **التقدير:** يتم تقدير مقالاتك وتقدير ما سواها من عملك المكتوب من جانب أعضاء هيئة التدريس، بهدف النظر فيما إذا كانت ترقى بك للنجاح فى مقرر دراسى معين.

ما الذى تفعله الكتابة؟

الكتابة شكل متخصص من أشكال الاتصال. والمقصود من هذا الشكل التأكد من أن شخصا آخر (يفهم «الكود» الأساسى الذى نستعمله ـ أى: لغتنا التى نكتب بها) يستطيع أن يفهم ما نريد أن نخبره به. للكتابة بعض السمات المهمة:

- فهى ثابتة : أى إنه بمجرد استكمال الكتابة وخروجها من يدى المؤلف، يصبح من غير الممكن تغييرها.
- وهى باقية نسبيا : وهذا معناه أن القارئ يستطيع أن يراجع المحتوى فى أكثر من مناسبة.
- ومع ذلك، فإنها بعيدة عن المؤلف : فلا يستطيع القارئ أن يطرح أسئلة إن صادفه شيء غير واضح.
- تتيـح الكتابـة للكاتب إدراج المعلومات التـى لا يمكن إدراجها دائمًا بطـرق عرض أخرى (مثال ذلك، أنك تستطيع إدراج الجداول، والأشكال البيانية، والصور، والمراجع).
- من الممكن للعمل المكتوب أن يكون ذا طبيعة ثقافية خاصة : فحتى لو استطاع شخص مـا أن يفهم لغتك، فإن هـذا لا يعنى أنه يتقبل رؤيتك وتصـورك للطريقة التي يسير عليها العالم.

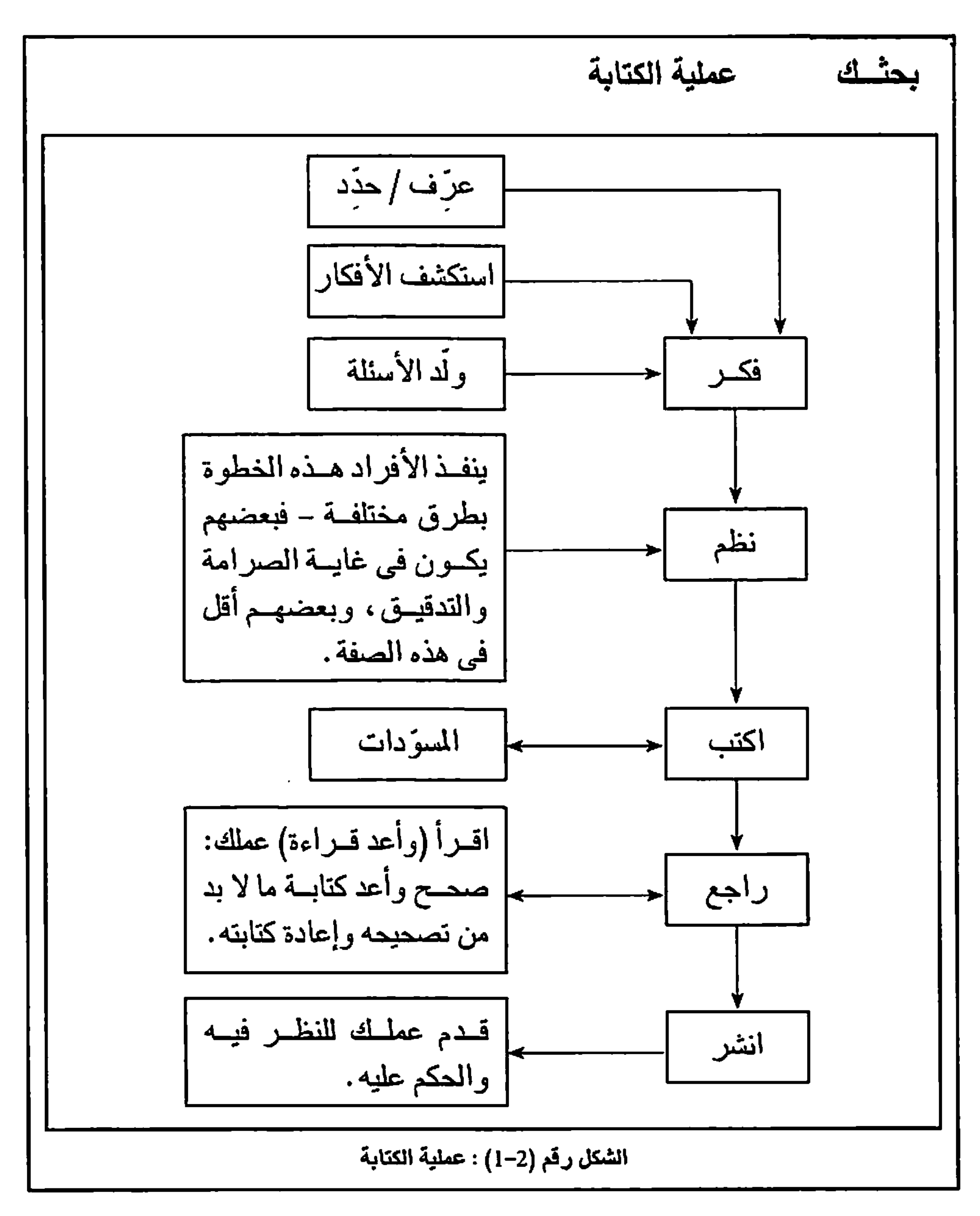
عمليـــة الكتابـــة

عـادة ما تكـون الكتابة الأكاديمية عملية معقدة تضم عددا مـن الأبعاد المختلفة. فمن النـادر أن تجلس إلى حاسبك وتكتب تقريرك أو تكتـب وثيقة أخرى دفعة واحدة. ثمة أسبـاب كثيرة لهذا الوضع تتوقف على طبيعة مشروعك، وقد حاولنا بسطها على نحو منظم فى موضع لاحق.

التخطيط والبنية

تبـدأ الكتابة الأكاديميـة كلها بنفس الشيء: التخطيط. ونحـن لا نبالغ أبدًا فى التأكيد علـى مدى أهمية التخطيط. فكل إنسان يعمل فى مجال التعليم، ممن يضعون تقديرات لأعمـال الطلبة، سوف يعرف متعة قراءة وثيقة خططهـا كاتبها، وسوف يعرف الغم والكرب من قراءته لوثيقة كتبت بدون تخطيط .

يـؤدى التخطيط عددا من الوظائـف المختلفة : مثال ذلك أنه يدلك على ما تعرفه عن الموضـوع (ويدلك ضمنا على ما لا تعرفه). وقد يبين لك مثلا، مدى اكتمال مراجعتك للكتابـات السابقة، أو يبين لك مـا إذا كان بحثك قد نجح فى توليد المعلومات التى تحتاج إليها لتصل إلى نتيجة معينة، أم لا.



الشكل رقم (2-1) : عملية الكتابة

والمعتــاد أن يخطط كل امرئ بطريقة مختلفة عن غيره؛ لذلك لم نحاول أن نحدد لك الطريقــة التى ينبغى أن ينفــذ بها التخطيط (فلابد أن تقرر أنــت الطريقة التى تحقق لك أفضــل النتائج ، بيــد أننا حاولنا أن نقدم بعض الاقتراحــات ونوضح الأمور التى تمثل عناصر أساسية لمعظم الخطط .

تقـوم الخطة ـ فى جوهرهـا ـ على محاولة الكشف عن هـدف التقرير وتقسيمه إلى مجالات مختلفة. وقد تبدأ خطتك بالتنويه إلى أن عملك يشتمل على ثلاثة أقسام رئيسية: المقدمـة، والمادة الأساسيـة للدراسة، والخاتمة. والحـق أن هذا التقسيـم يمثل تبسيطا مفرطـا لمعظم الكتابـات البحثية، كما أن من الأرجح والأنسـب كثيرا أن تكون خطتك مفصلة تماما، كما ينبغى أن تتضمن قائمة برؤوس الموضوعات على النحو التالى:

- المقدمة.
- استعراض التراث العلمى المنشور عن الموضوع.
- منهج البحث.
- النتائج.
- المناقشة.
- الخاتمة.
- الملاحق.
- المراجع.
- الجـدول الزمنـى الشخصى (فى حالـة احتياجك إليه، وذلك حتـى تستطيع أن تظل «ماضيا على الطريق السليم»).

يعـد تفصيل عمليـة التخطيط لتقريـر البحث أمـرًا شبيهًا جدا بالتخطيـط لأى مقال علمـى، بحيث إنه ينبغى عليـك أن تستوثق من أن خطتك تمـدك بتفاصيل كافية لكتابة العمل النهائى، وأنك لا تنسى الأمور الواضحة الأهمية، من قبيل العناصر التالية:

- هل فكرت فى جمهورك؟
- هل لبحثك مقدمة مناسبة وخاتمة مناسبة؟
- هل أوضحت بجلاء ما قمت بإنجازه من عمل؟
- هل عرفت المصطلحات الأساسية؟
- هل أدرجـت لافتات (أو: علامات إرشادية) للإشارة إلى ما هو موجود فى الأقسام المختلفة؟
- هـل جاء استعراضك للـتراث العلمى شاملا بمـا فيه الكفاية وذا طابـع نقدى (انظـر فصل2 باب 2)؟
- هل أرسيت خطا فكريا محددا؟ وهل تتسم وجهة نظرك بأساس منطقى؟
- هل ضمنت تقريرك قدرًا كافيا من المعلومات؟

بعض قواعد الكتابة

بالرغم من أن هذا الفصل ليس مقصورا على تقنية الكتابة فحسب، فإننا نرى أنه توجد بعض الأمور التى يتوجب التأكيد عليها لأنها مهمة من جوانب مختلفة. وهذه الأمور، إذا نفذت بصورة جيدة، تجعل قراءة تقرير البحث أو الرسالة العلمية شيئا ممتعًا، وإذا نفذت بصورة رديئة، فإنها تحط من شأن العمل وتجعل من العسير قراءته.

قواعد اللغة (النحو الصرف)

ينبغى أن نهدف للكتابة بشكل يتفق مع قواعد اللغة (انظر قائمة المصطلحات) وأن نستعمل أدوات الترقيم السليمة. لن تقدم لك هذه الفقرة درسا تعليميا عن استعمال علامات الترقيم(*) السليمة. ولن تقدم لك هذه الفقرة درسا تعليميا عن استعمال علامات الترقيم أو البناء السليم للجملة لأن هذه أمور تحتاج إلى كتب بأكملها. ويجد القارئ عددا من الكتب مذكورة فى قائمة المراجع والقراءات الإضافية الموجودة فى آخر الفصل، والتى تتناول هذه الأمور بشكل ممتاز، ومعظمها ليست مملة ـــ وبعضها مما يسر المرء قراءتها فعلا! ومع ذلك، فإننا نحتاج ـــ بالفعل ـ لأن نبين عددا قليلا من الأمور التى تعد مهمة فى كتابة البحث. وقد أسمينا هذه الأمور «قواعد»، ولكننا لا نعنى فى الواقع أنها ليست مرنة وأنه لابد من تطبيقها دائمًا بطريقة محددة؛ وربما كان الأفضل تسميتها «إرشادات» (انظر أدناه).

استعمال اللغة

اختيار الكلمات

يتوجب عليك أن تتخير الكلمات التى تستعملها بعناية. وبالتحديد، لا تستعمل كلمات طويلة لمجرد أنها طويلة ـ فاستعمالك لها لا يجعلك تبدو بارعا ويمكن أن يفضى بك إلى معاناة المصاعب. فالأساس هنا الالتزام بنوع من أنواع رعاية التوازن اللفظى: إذ يتوجب عليك أن تستعمل مفردات اللغة الملائمة والمصطلحات الفنية الصحيحة التى تناسب موضوعك، إلا أنه لا بد من أن تناضل كى لا تشوش فكر قارئك (أو فكرك أنت) بلا ضرورة.

وبنفس الطريقة ينبغى عليك ألا تستعمل «الرطانة» Jargon، وهو المصطلح الذى يعرفه قاموس أكسفورد للغة الإنجليزية بأسلوب رائع بأنه مصطلح:

«ينطبق، بشكل يشى بالازدراء، على أى نمط من أنماط الكلام التى تشيع فيها الألفاظ غير المألوفة، أو الألفاظ المقصورة على مجموعة معينة من الأشخاص، وذلك

(*) أى استعمال النقط والفواصل . . . إلخ لتوضيح المعنى. (المترجم)

كلغة العلماء أو الفلاسفة، أو هي المصطلحات الفنية لعلم ما أو لفن ما، أو هي اللكنة أو اللغة الخاصة لطبقة، أو طائفة، أو حرفة أو مهنة معينة». (قاموس أكسفورد للإنجليزية).

كما يحسن ألا تستخدم المصطلحات الفنية التي لن تكون مفهومة عند قرائك.

ينبغي عليك أيضا أن تتجنب، إلى حد ما، استخدام الاختصارات. والأسلوب الصحيح - من الناحية الفنية - أن تعرف هذه الاختصارات في المرة الأولى لاستعمالها في وثيقة ما، ثم استعمل الاختصارات بعد ذلك، فمثلا «وزارة الصحة» National Health Service تختصر إلى NHS، ولكن إن لم تكن حذرا فإن بالإمكان أن تكون النتيجة النهائية صفحة مليئة بالألغاز لدرجة تستعصي على الفهم. وبالمثل، فإنه ينبغي تفادي أن تكون الجمل والعبارات طويلة إلى حد الإملال، أو أن تكون ذات وقع طنان.

المفروض عادة ألا يمثل استعمال الرموز (والتي منها مثلا: %، £، €) أية مشكلة. فالقضية هنا، كما هو عليه الأمر في أغلب الأحيان، أن يكون هذا الاستعمال متسقا وثابتا، على مبدأ واحد من حيث دلالة كل رمز على معنى واحد على الدوام.

الأعداد

يمكن لاستعمال الأعداد في الكتابة الأكاديمية أن يسبب شيئا من الارتباك؛ إذ يحبذ بعض العلماء الثقاة استعمال الأرقام (أي: 1، 2، 3، إلى آخره) لكل الأعداد ما لم يكن العدد هو الكلمة الأولى في الجملة. بينما ينصح آخرون باستعمال الكلمات(*) عندما يكون العدد أقل من 10 واستعمال الأرقام بعد ذلك؛ ومع هذا يفضل علماء آخرون استعمال الكلمات (أو الأرقام) في سائر الأوقات. ونحن نقترح أن:

1 - تتحقق من أنه لا توجد قواعد خاصة يتعين اتباعها في العمل الذي تقوم به - فإن كان له قواعده فالتزم بها.

2 - تختار نظاما ثابتا تميل أنت إليه، ثم تلتزم به التزاما تاما.

التهجي (الرسم الإملائي للكلمات)

في أيامنا هذه التي يتم فيها تزويد الحاسبات ببرامج لمراجعة تهجئة الكلمات، قد تتصور أن الأخطاء الإملائية أصبحت من الأمور التي عفا عليها الزمن. مما يؤسف له، أن ذلك ليس صحيحا. ومع ذلك، فإن هذا معناه بالفعل أن الأخطاء الإملائية التي تظهر في بحث مكتوب نفذ باستعمال برنامج لمعالجة الكلمات أصبحت أمرا غير مقبول تماما، لأن هذا يعني (أو كما سيفترض ذلك كثير ممن سيقيمون هذا البحث على الأقل) يعني أنك ربما لم تكلف نفسك عناء الاهتمام بمراجعة عملك (انظر الفقرة الخاصة بكتابة المسودات أدناه).

(*) أي واحد، اثنان، ثلاثة... إلخ. (المترجم)

من الفخاخ الشائع الخفية التى يقع فيها الكاتب أن برامج المراجعة الإملائية لا يمكنها ـ بالطبـع ـ أن تكتشـف إذا كنت استعملـت الكلمة الخطأ أم لا ، وذلـك بشرط أن تكون تلـك الكلمة(*) مكتوبة بصـورة صحيحة إملائيا. هذا الأمر يقودنـا أيضا إلى إلقاء نظرة مختصرة على الكلمات التى تنطق بنفس الصوت ، إلا أنها تعنى معنى مختلفا (وتسمى : المتجانسات homophones، أى الكلمات ذات الصوت المتجانس). لذلك عليك التزام الحرص وإلقاء نظرة على البرواز التالى «فكر فى هذا الموضوع . . . .».

فكر فى هذا الموضوع . . .

بعضـ الكلمات التى لها نطق متماثـل (المتجانسات homophones) وتسبب الخلط والتشويش بصورة شائعة

accept	exept	
affect	effect	
cite	sight	site
compere	compare	
draft	draught	
heat	here	
guest	guessed	
knot	not	
passed	past	
principal	principle	
pole	poll	
right	rite	write
their	there	they're
wales	wails	whales
where	wear	were
whether	weather	
who's	whose	
your	you're	

(*) الواقـع أن إصدار سنة 2007 من العلامة التجارية المسجلـة لبرنامج «مايكروسوفت ورد» تحاول أن تقـوم بهـذا العمل. فعندما تتم مراجعة الرسـم الإملائى للكلمات وقواعد اللغة يقوم هـذا البرنامج ، فى غالب الأحيان ، بإعطاء إشارة عندما تستعمل كلمة ما استعمالا خاطئا (حتى وإن كانت تهجئتها صحيحة).

وضوح الكتابة والعرض

نعود فنكـرر القول: إنك قد تظـن أن المشكلات المتعلقة بوضـوح الكتابة قد انقضت بانقضاء عهد الأقلام والحبر. ليس الأمر كذلك، فبعض الآلات الطابعة ـ خاصة إذا لم تحسـن صيانتها ـ قد تنتج صـورة طباعية باهتة أو صفحات ملوثة. وبالمثل، فإن بعض أنواع الورق ليست صالحة للآلات الطابعة الملحقة بالحواسب.

ينبغـى أن تكون فخورا بالطريقة التى بها يعرض عملـك وأن تبذل جهدا فى إنجاز ذلك بصورة ممتازة. ويبدأ هذا الأمر بقراءة الشروط الخاصة بتقديمك للرسالة العلمية الجامعيـة (فبعض الجامعات تشـترط، مثلا، أن تكون الرسالـة العلمية مجلدة بغلاف مقـوى، وهو أمـر توفره لك إحدى الإدارات التابعة لهـذه الجامعات والتى من المعتاد أن تدفـع أنت ثمنها! وهنـاك جامعات أخرى لا تحدد الطريقة التـى ينبغى تقديم العمل وفقا لها). وقد توجد قواعد لاستعمال أحجام الحروف الكبيرة (التى تظهر فى العناوين مثـلا) والحروف الصغيرة (التى تظهر فى الحواشـى والهوامش مثلا) أيضا. إن قدرا يسيرا من التفكير والجهد سيكون له ثمرته الطيبة فى أغلب الأحيان. مثال ذلك:

- حـدد أى أطقم الحـروف الطباعية (الفونط) الـذى يجعل عملك أوضح فـى كتابته وتمسك به (ونذكر أن بعض المؤسسات العلمية تشترط استعمال أطقم حروف طباعية خاصة).
- انظر إلى كل صفحة فى «صورة إخراجها الطباعى» على شاشة حاسبك قبل أن تطبعها. هـل تبدو مناسبة؟ هل الرسـوم البيانية معروضة فى أحجـام صحيحة؟ هل توجد حول المادة المطبوعة مساحـة بيضاء أكثر من اللازم أو أقل من اللازم؟ هل الأشياء موجودة فى الأماكن التى تتوقع وجودها فيه؟ (فالجداول لها سمعة غير طيبة إذ تبدو أنها تتحول بمفردها). هل استقرت العناوين فوق الفقرات الخاصة بها؟
- إن كان عنـدك آلة طابعة بالألـوان، فهل أحسنت الاستفادة من إمكانياتها؟ هل تبدو الصفحات وقورة وأكاديمية (إن كان هذا هو ما تهدف إليه) أم أنها تذكرك بكتب الرسوم الهزلية؟
- تأكد مـن أن الصفحات مرقمة وأن صفحات عملك متسلسلة فى الترتيب الصحيح لها – قد تندهش من كثرة المرات التى لا يحدث فيها هذا الأمر.
- تأكد من أنك التزمت بقواعد مؤسستك العلمية المتصلة بالإحالة إلى المراجع.

أزمنة الفعل، وضمير المتكلم، وصيغة الفعل

حافـظ على تلاؤم الأزمنة فلا تخلط الزمن الماضـى، والحاضر والمستقبل فى نفس الجملـة أو الفقرة. قد يكون ذلك شديد الصعوبـة عند الكتابة عن البحث، لأن المشروع

يستغـرق تنفيذه فى العادة مدة طويلة فعلا من الزمن، كمـا أن الأمور التى كتبناها فى «زمن المستقبل» فى مقترح مشروع البحث (فصل6 باب2) والتى كنا نخطط للقيام بها قد أنجزت كلها، وهى الآن فى زمن «الماضى» فجأة.

ما ضمـير الفاعل الذى سنستخدمه فى الكتابة؟ فـى الأوساط الجامعية، نتفادى فى العـادة الكتابة باستخدام ضمير المتكلـم (أنا، ونحن)، ونتجنب كذلـك استخدام ضمير المخاطـب (أنـت، أو أنتم) وبدلا من ذلـك نستعمل كلمة «المـرء» One. ومن الناحية الفنيـة، يعتبر هذا هو «الشخص الثالث المفـرد» (أى: ضمير الغائب)، ولكن الواقع أنه يستخدم ليحل محل الشخص الأول (المتكلم).

فـى بعض الحالات يكون من المفيد استخدام ضمير المتكلم، مثال ذلك، عندما تتأمل دورك كباحث، إلا أنه من المحتمل أن تكون هذه الحالات قليلة ومتفرقة فى ثنايا تقرير البحث. لذلك يتعين فى مثل هذا الموقف أن تستمع إلى توجيهات المشرف عليك.

أخـيرا، لدينـا اختيار لأن نكتـب إما بصيغة الفعـل المبنى للمعلـوم، أو الفعل المبنى للمجهول. مثال ذلك:

- كان من مصلحة الأفراد العاجزين بدنيًا أن سُن هذا القانون (مبنى للمجهول).
- استحدث البرلمان هذا القانون لمساعدة الأفراد العاجزين بدنيًا. (مبنى للمعلوم).

ويتوقـف اختيارك لإحدى هاتين الصيغتين على عوامل متعددة: فقد يتوقع منك أهل التخصص الذى تنتمى إليه أن تكتب باستعمال صيغة المبنى للمجهول، أو قد ترغب لعملك أن يبدو أكثر دينامية فتختار لهذا السبب صيغة المبنى للمعلوم. لا توجد فى هذا الخصوص قاعدة مؤكدة، إلا أننا نريد منك أن تكون مدركا لوجود اختيار يتعين اتخاذه.

اللغة التى تستوعب التنوع

ينبغـى لكتابتك أن تراعى التقسيمات الاجتماعيـة، وذلك لكى لا تكون كتابة متعصبة لجنـس معين أو ذات طابع كاره للبشـر، مثلا. يوجد عدد من الأدلة الإرشادية وضعتها جمعيات علمية راقية يمكنها مساعدتك. من ذلك: الدليل الإرشادى للغة المضادة للعنصرية الذى وضعته الجمعية البريطانية لعلم الاجتماع (1992) والذى ستجده مفيدا جدا.

إن الطريقة التى كان الكتاب فى العلوم الاجتماعية يتبعونها فى الإشارة إلى الأفراد قـد تغيرت بمرور الزمـن. يلاحظ كوبا وكوكينـج Cuba and Cocking (1997، ص 121) أن معظـم الأعمال القديمة فى العلم الاجتماعى تتسم بالاستعمال العام لكلمة

«الإنسـان» man. ويتسبب ذلك فى صعوبات عند القـراء المعاصرين. فتأكد، وأنت تكتـب رسالتـك العلمية، من أنك لا تضع عبئا مشابها علـى قرائك. انظر «فكر فى هذا الموضوع ...» فى موضع لاحق من هذا الفصل.

فكر فى هذا الموضوع ...

استيعاب التنوع فى الكتابة

تخفـق جميع الكلمات أو العبارات المذكورة أدناه فى استيعاب التنوع والمساواة. حاول إعادة كتابتها حتى تكون أكثر دقة (وسوف تجد اقتراحاتنا بهذا الشأن مذكورة فى آخر هذا الفصل).

1 – رجل الشارع	1– the man in the street
2 – المستبد / أو المسيطر	2 – Masterful
3 – رجل الشرطة	3 – Policeman
4 – الأمريكى	4 – American
5 – الأسلاف	5 – Forefathers
6 – الهندى	6 – Indian
7 – من صنع البشر/ مصنوع	7 – Man-made

حـدود الكلمـات

الكتابـة الأكاديمية فى كل مستوياتها محكومة ـ عادة ـ بحدود الكلمات. وهذا المعنى يصـدق على كتابة المقـالات للمجلات العلميـة الدولية كما يصدق علـى كتابة المقالات الصغيرة الأولى لطالب الجامعة. سيترتب على التقصير فى رعاية حد الكلمة، فى أغلب الأحيـان، توقيع عقوبة ما على عملك، وعادة ما تكـون تخفيضا فى الدرجة النهائية. فـى هذه الأيام التى ينتشر فيهـا استخدام برامج معالجات الكلمـات، لم يعد من المقبول كسر المألـوف أو «الابتداع» فيما يتعلق بحدود الكلمات أو استعمال التقدير «التقريبى» لمعانـى الكلمات، كمـا أصحبت الأمانة هى القاعدة. وهذا يعنـى أن بعض الأمور التى قـد تعـد ذات صلة أو دلالة بالنسبـة لما نكتبه قد يتعين حذفها، وغالبا مـا يعنى هذا أننا لا نستطيع أن نروى «القصة بأكملها»، بل لابد من تنقيحها بطريقة ما. وهذا الأمر حافل

بالمشكلات المحتملة، إلا أنه يعنى، عادة أن علينا أن نسلم بأن القارئ لديه بعض المعرفة الأساسية عن موضوعنا. وبصفتك المؤلف، يتوجب عليك أن تتحمل مسئولية ما تدرجه فى كتابتك وما تستبعده. كما أن هذا يعنى أنه ينبغى عليك تعلم الكتابة «بإيجاز».

كتابـــة المســـودة

كتابـة المسودة هى المرحلة التالية فى كتابـة أطروحتك الجامعية أو تقريرك البحثى. ومن المحتمل أن تقوم بكتابة مجموعة من المسودات، لكن ينبغى عليك، فى الحد الأدنى، أن تحرص على عمل مسودة أولى ومسودة نهائية. ومن المهم أن تتذكر أن الوقت الذى تنفقه فى كتابة المسودة (والذى يشبه إلى حد ما الوقت الذى ينفق فى عملية التخطيط للبحث) لا يذهب سدى أبدا. لأن محصلة ذلك ستكون تقديم وثيقة أفضل ليس بها سوى عدد قليل من الأخطاء «السخيفة».

المسودة الأولى

المفروض أن ينظر إلى المسودة الأولى باعتبارها المخطط التمهيدى المفصل للتقدير الذى لا بد أن تقدمه. ينبغى على المسودة الأولى أن تشتمل على:

- مقدمة: ذلك أن هذه المقدمة فى هذه المرحلة قد تكون أساسية جدا، إذ إنه من حسن التصرف غالبا أن تكتب مقدمتك النهائية بعد أن تفرغ من كتابة التقرير برمته، حتى تستطيع وقتها أن تتأكد من أن عملك يقدم للقارئ ما وعد بتقديمه).
- وخاتمة: ذلك أن هذه الخاتمة - ونقول ذلك للمرة الثانية - قد تكون أساسية تماما.
- بنية التقرير: (بالنسبة للتقرير البحثى أو الرسالة الجامعية، تتمثل هذه البنية فى صورة قائمة بعناوين الفصول).
- وجميع القضايا التى يتعين أن تطرحها إن أمكن، فاطرحها بالترتيب الذى يتعين عليك أن تطرحها وفقا له.

ولكن ليس المقصود أن تكون المسودة الأولى هى الصياغة النهائية. فقد تكون لغتك غير مقننة فى تلك المرحلة، أو قد تكون كتابتك مقصورة على مجموعة من الملاحظات التى يتعين تنقحيها لتظهر فى صورة دعوى لها حجة وبرهان، ومناقشة، وفقرات.

بحثـك

«قواعد» كتابة المسودات

افعل ما يلى:

- ابدأ كل قسم بجملة تقرر هدفه.
- عالج قضية أساسية واحدة فى كل قسم.
- عالج القضايا الفرعية فى فقرات مستقلة.
- وضح عملك باستعمال الأمثلة والمقتبسات والإحالة إلى المراجع بصورة ملائمة.
- احذر انتحال أفكار وأعمال الآخرين.
- كن متنبها لحدود الكلمات.

لا تفعل:

- لا تجعل أقسام التقرير بالغة التعقيد، التزم فى كل مرة بقضية واحدة.
- انتقل بسلاسة من فكرة لأخرى: مستعملا فى ذلك الجمل والفقرات الرابطة.
- لا تصر على أفكار معينة بدون دليل.
- لا تدخل مادة جديدة للمرة الأولى فى خاتمة البحث.

راجع المسودة

مع تقدم عملك وتطوره، ستصبح المسودة الأولى أكثر تفصيلا وستصبح الفصول أو أقسام التقرير مستوفاة. لا تتردد فى قراءة عملك عدة مرات (وإن استطعت، فاقنع الآخرين بأن يقرؤوه أيضا) ولا تتردد فى إعادة الكتابة عند الضرورة.

يعمل الأفراد المختلفون خلال هذه المرحلة بطرق متباينة، كما أن بالإمكان ألا توجد قاعدة ثابتة بشأن الطريقة «المثلى» للقيام بهذا العمل: فحاول أن تطور لنفسك أسلوبا فى العمل يعود بالفائدة عليك. بجانب ذلك، إن حاولت أن تضع نصب عينيك أن هدفك هو الوصول لكتابة نص موجز (تذكر حدود الكلمات) يروى - مع إيجازه - أكبر قدر من القصة التى تريد روايتها، فستكون حينئذ ماضيا على المسار الصحيح.

حاول دائمًا أن تتيح لنفسك قدرًا كبيرا من الوقت لهذه المرحلة الخاصة بإعادة كتابة المسودة. إنه ليس كثيرا أن تستهلك الكتابة نفسها وقتا طويلا، بل الأحرى أنك تحتاج

لوقـت تقضيه بعيدا عن نصك المكتوب لكى يبدو لك «جديدا» حين تنظر إليه مرة ثانية.
وثمـة مخاطرة هنا – والتى يبدو أنهـا أصبحت أخطر من ذى قبل مـع استعمال الحواسب ـ وهـى أننا نرى أمامنا على شاشة الحاسب مـا نتوقع أن نراه، وليس ما هو موجود فى الواقـع. فاقض، إذن، بعض الوقت بعيدًا عن عملك، وربما يكون لديك مهام أخرى يتعين عليك أداؤها على أية حال. ثم عد وأنت منتعش وأعد تسويد التقرير مرة ثانية!

ينبغى أن تحاول التفكير فى أسلوب كتابتك طوال الوقت، وأن تقارنه بالأعمال الأخرى التى كتبتها والأعمال التى سبق لك قراءتها. هل يتسم أسلوب كتابتك بنفس الوضوح؟ وهل هو ذو طابع أكاديمى مثلها؟ وهل إخراجك للعمل تم فى أفضل صورة يمكن أن يكون عليها؟

إن هـذه العملية الخاصـة بمراجعة مسودتك تُفضى إلى المرحلـة النهائية التى نسميها مرحلـة «النشر». ولكن المرحلـة النهائية، بالنسبة لمعظم الطلبـة، هى فى الواقع تقديم العمل لأساتذتك لتقييمه والحكم عليه.

عندما تكون الكتابة عسيرة

أحيانا ما تكون الكتابة شاقة فعلا، كما قد ترى أحيانا أن إتمامها أمر عسير. وهو أمر يحـدث للكتاب المحترفين الذين يسمونه «عثرة الكاتب»، لذلك ليس من العجيب جدا أن يكون هذا الأمر مشكلة واسعة الانتشار. ولكل امرئ طريقته الشخصية فى القيام بعمله، ولهذا السبب تجود الاستراتيجيـات المختلفة للأفراد المختلفين. يمكن لبعض القضايا التى تظهر أن تعالج بطريقة سهلة تماما ـ فى حين يتعذر ذلك بالنسبة لقضايا أخرى.

الجدول رقم (2–1): عندما تكون الكتابة عسيرة ـ مشكلات وحلول مقترحة

عندما تكون الكتابة عسيرة		
المشكلـة	السبب المحتمل	الحـل
لا يوجـد وقت كاف	الحيـاة الدراسـية كثيرة المتطلبات، وتوجد أمور كثيرة يتعين القيام بها؛ تحقيق التـوازن بين الجامعة/والمنزل/ ووقت الفراغ أمر عسير.	• إدارة الوقت. • استخـدم بعض وقـت فراغك فى الكتابة. • اشـرح للعائلـة والأصدقـاء أن هـذا المشـروع مهـم بالنسبة لك، وعودهـم أن يتفهمـوا الأمر على حقيقته وألا يطالبوك بأشياء عندما تكون غير قادر على تلبيتها.

وجود صعوبة فى الأساليب المختلفة فى الكتابة (وفى الكتابة الأكاديمية عادة)	أنت لاتألف إلا نوع الكتابة المستخدم فى المدرسة أو العمل.	● اقرأ كميات كثيرة من الأساليب المختلفة. ● فكر فى الأسلوب عندما تقرأ بحيث يمكنك أن تبدأ فى فهم كل من هذا الأسلوب والاصطلاحات المرتبطة به.
أنت غير معتاد على كتابة الأعمال الطويلة.	● قد تكون أكثر تعودا على التواصل الفردى أو المباشر وجها لوجه. ● لم تتح لك فرص كثيرة لكى تكتب من أجل مناقشة رأى أو تبريره. ● عدم الألفة والاعتياد على الكتابة بلغة فصيحة.	● اقرأ وتعلم. ● اكتب فقرات قصيرة وطور تقنيات لربطها معا لتكون منها فقرات طويلة. ● قسم العمل إلى وحدات ذات أحجام تسمح لك بالتعامل مع بصورة أيسر.

إن كنت قد اتبعت «القواعد» التى بيناها بعاليه، فستكون معظم مشكلاتك ـ حينئذ ـ قد تبددت. ستكون مهيئا للكتابة بشكل جيد، كما أنك ستكون قد وضعت خطتكم بطريقة ملائمة. ومع ذلك، فإننا نرى أن أشد مصاعب بالكتابة لم يظهر بعد. فعندما تواجه بشاشة حاسب فارغة (أو بقطعة ورق فارغة) فقد يبدو هذا الأمر مثبطًا للهمة تماما.

ليس مهما الالتزام بترتيب كمعين فى كتابة الأجزاء المختلفة لعملك (مادام أن بإمكانك الربط بينها فى كيان كلى مترابط منطقيا فى النهاية) وبالتالى تكون إحدى الاستراتيجيات أن تكتفى باستخراج «عناوين» الأقسام المختلفة من خطتك (كالمقدمة، والخاتمة، وما إلى ذلك) وأن تكتبها أعلى مجموعة من الصفحات البيضاء. بعد هذا، لن يزيد الأمر عن «ملء الفراغات»، بأن تقوم بكتابة ملاحظاتك وأفكارك داخل هذه الفراغات ومع ذلك قد لا تكون هذه الاستراتيجية بالأمر اليسير فإنها تؤتى ثمرتها لكثير من الأفراد. فإن لم تنجح معك هذه الاستراتيجية، فلا بد إذا أن تعثر على الشىء الذى يعمل لصالحك. تحدث مع المشرف على بحثك ومع أقرانك ومع من تعرف عن ما هى استراتيجية الكتابة التى نجحت معهم، لعلك تستطيع تعديلها بحيث تصلح لاستخدامك أنت.

أيا ما كان العمل الذى تقوم به، فحاول التحكم فى وقتك. فإن لم تفعل فستظل تحاول دائمًا الظفر بنتيجة ليست موفقة أو مثمرة.

التقارير

من المحتمل أنك ستكتب قدرًا كبيرا من التقارير أثناء حياتك المهنية. وتدور كل التقارير، بشكل ما، حول البحث (أو، على الأقل، حول نتائج البحث).

ولعل أول شيء يتعين تحديده هو سبب إعداد أى تقرير. فالتقارير مختلفة قليلا عن الأنواع الأخرى من الكتابة التى قد تقوم بها وأنت تدرس فى الجامعة أو الكلية. ورغم أن لها بناء شديد الوضوح يعد، فى الظاهر على الأقل، شبيها للغاية ببناء المقالة، فإن هدفها ذو طابع تخصصى تماما. ذلك أن أهم هدف للتقرير هو أنه من المفترض أن ينقل المعلومات إلى قارئك بأسرع ما يمكن بالشكل أو القالب الأكثر تناسبا.

ولماذا نعد التقرير؟

يمكن أن تتعدد الأسباب الدافعة إلى إعداد التقارير. فقد يراد بها، مثلا:

- التزويد بالمعلومات.
- الإقناع.
- تقديم التوصيات.
- التحفيز.
- إحداث التأثير.
- إثارة النقاش (أو الإسهام فيه).
- التسجيل.
- التعليم والتوجيه.

وقد تحاول التقارير أيضا القيام بأمور أشد تعقيدا من ذلك، كتغيير الاتجاهات مثلا. (هذه العوامل لا ينافى بعضها بعض، فقد يكون التقرير متعدد الوظائف).

ما أهم ما يراعى عند كتابة التقرير؟

إنه الجمهور دائمًا. قد تبدو هذه الإجابة كما لو كان محتوى التقرير لا أهمية له، ولكنه بطبيعة الأمر، له أهميته. على أنه إن لم يدرك القارئ محتوى التقرير، أو إن لم تكن الرسالة موجهة توجيها ملائما، فسيكون الأمر مجرد مضيعة للوقت!

ما الذى يصنع تقريرا جيدًا؟

ينبغى أن يكون التقرير:

- **موجـزًا :** إن شيئا يبدو من السهل قراءته سوف يلقى قبولا حسنا. ولكن الإسهاب ـ إن حدث ـ فيجب أن يكون ملائما. المهم أن تجعل تقريرك محكما.
- **واضحـا :** فلا بـد أن يكون الجمهور قادرًا علــى فهمه (ولابد للتقريــر أن يستعمل لغة ملائمة وأن تكون بنيته واضحة – أى يكون تقريرا لا يجعلك تشعر بالغباء).
- **دقيقا :** ينبغى للتقرير أن يقول ما لا بد من قوله ـ ولا مزيد عليه.
- **بسيطا :** ينبغى للتقرير أن يتجنب التعقيد الذى لا ضرورة له؟
- **ذا بنيــة جيدة :** بحيث يتقدم بصورة منطقية خلال تتابــع واضح، وبأسلوب مقبول فى التعامل مع هذه الرسالة.
- **وصفيـا :** إن كان من اللازم أن ترسم صورة (وكثير من التقارير يفعل ذلك)، فيجب أن يكون ذلك بأسلوب قادر على نقل هذه «الصور» إلى جمهورك.
- **مخططا :** (ومسودا، ومعاد تسويده).

كل هذه العوامل تتضافر لتجعل التقرير أسهل فى قراءته ـ إن استطعت أن تثبت أنك بذلت وقتا وجهدا فى جعل عمل القارئ أسهل ، فما أحسن ذلك.

بحثـــك

تخطيط تقريرك

1 – ضع قائمة بأسماء الأشخاص الذين يترجح أن يقرؤوا تقريرك.

2 – ضع قائمة بما يمكن أن يتوقعه كل واحد منهم من هذا التقرير.

3 – هل تستطيع أن تنجز هذه المهمة فى وثيقة واحدة؟

المنظور الفكرى للقراء

نحـن لا نغالى فى التوكيد علــى أهمية مراعاة المنظور الفكـرى للقراء. فهم الأفراد الذيــن سيحكمون على قيمة تقريرك (وربما يكونــون أيضا الأفراد الذين يتحكمون فى تمويــل بحوثــك أو فى مستقبلــك!). حــاول أن تكتشف كيف يفكــرون، وكيف يرون موضــوع هذا التقرير، وما هى خبرتهم بالقضايــا ذات الصلة وكيف سيكون رد فعلهم

المحتمـل. إن استطعت وقتها أن تراعى هذه الاعتبارات عنـد كتابة تقريرك فستتفادى كتابة تقرير مثير للضجر ومكتوب بلغة طنانة، لدينا جميعا فكرة كافية عنها.

إن تركيزك على احتياجاتك واتجاهات القراء لن يقتصر أثره على توضيح قضاياك للآخريـن، بل سيمكنك أيضا مـن إحراز فهم أفضل لمادتك؛ فـلا توجد طريقة تفهم بها عملك الشخصى أفضل من جعله مفهوما للآخرين؟

بحثـك

أسئلة تتعلق بتقريرك

املأ الفراغات التى فى هـذا التمرين واستخدم المعلومات المذكورة فيه لمساعدتك على هيكلة بنية تقريرك.

1 – من أى نوع من الناس يتكون جمهورك؟ (مثال ذلك: هل هم ذكور/أم أناث، شباب/أم مسنون، مديرون أم أصحاب مهن ـ كالأطباء والمحامين آخره).

----

2 – ما مدى جودة معرفتك بهم؟

----

3 – هـل هم ممن يعملون بالعد والحساب بصفـة خاصة (كالمحاسبين مثلا) أم أنهم يفضلون الكلمات والصور (فقد يكونون مدرسين)؟

----

4 – ما الذى يعرفونه عن القضية التى تقدم تقريرا عنها؟

----

5 – هل من المرجح أن يرحبوا بتقريرك؟

----

6 – هـل لهـم ارتباط شخصـى بتقريرك (وهل من المحتمـل أن يكون لديهم هدف شخصى حملهم على الاهتمام به)؟

---

7 – ما مدى أهمية هذا التقرير ؟

---

8 – هـل من الراجـح أن يتسبب تقريرك فى جعلهم يشرعون فى عمل أو يتخذون قرارات معينة؟

إن استطعت أن تقدم إجابات على تلك الأسئلة، فأنت إذن تعرف الكثير عن أهم جزء فى بحثك ـ وهو جمهورك!

من هم جمهور تقريرك؟

نقدم فيما بعد تصورا لقائمة موجزة بأسئلة نوجهها إليك لتفكر فيها عند كتابة تقريرك:

1 – *لمن يوجه هذا التقرير (من هم جمهورك)؟* فى العادة، تكون الإجابة عن هذا السؤال هى : «هم الأفراد الذين كلفونى (أو دفعوا لى أجرى) لأعد هذا التقرير»، أو، فى حالة تقديمه فى الجامعة فإن الجمهور هو «الفرد الذى أسند إلى هذا التكليف الدراسى، وهو الذى سيتولى إعطاء الدرجة التى يستحقها عملى». وأيا ما كان الأمر، فإننا نأمل أن تبذل قدرًا من التفكير الدقيق فيما يتصل بالجمهور من قضايا، قدمناها فى هذا الفصل وفى أماكن أخرى من هذا الكتاب.

2 – *هـل هذا الجمهور جماعة متجانسة أم أنه مـن الضرورى أن تفى باحتياجات متعددة؟* نادرًا مـا يتألـف أى جمهور من جماعات من الأفـراد الذين سيستجيبون بطريقـة يتماثل فيها كل واحد مع الآخرين. فحاول أن تأخذ هذا الاعتبار فى حسبانك عند تحديد الطريقة التى سوف تتبعهـا فى تصميم تقريرك. من ذلك مثلا : هل سيستجيب جمهورك بصورة طيبة للأشكال والرسوم البيانية، أم أنهم يفضلون جداول الأرقام؟ لعلك ستحتاج إلى الطريقتين معا.

3 – *لماذا يحتاج هذا الجمهور إلى تقريرك؟* لو أنه طلب منك أن تقدم تقريرا، فمن الراجح جـدا، فى هذه الحالة، أن من طلب منك تقديمه، أيـا من كان هو، يحتاج إلى هذه المعلومـات من أجل غرض محدد. حاول التأكد مـن أنك تدرك حقيقة تلك الحاجة ومن أنك تفهم تماما أى تعليمات أو أى توجيه أساسى مطلوب مراعاته.

4 – ما نوع *الأمور التي يرغبون في سماعها*؟ وما الذى سوف لن يرغبوا في سماعه؟ لا يحب أحد سماع الأخبار السيئة. ولكن للأسف الشديد، قد تكون هذه الأخبار هي ما يعرضه تقريرك. سيلزمك أن تفكر بحرص في معالجة عيوب تقريرك لكي يكون مقبولا (إذ يمكنك، مثلا، أن تعطي انطباعا بأن رئيس جامعتك سيلومك على النتائج السيئة إن كان من المستبعد أن تلقى قبولا حسنا، حتى لو كانت صحيحة!).

5 – ما *مقدار التفصيل المطلوب*؟ التقارير خلاصات أو مختصرات (رغم أنها تحتوى أحيانا على كل البيانات). يلزمك أن تقرر مدى التفصيل الذى سيكون مفيدا لجمهورك عندما يتخذون قرارهم بالنسبة للمستقبل أو أى شيء يرغبون في القيام به (انظر البند 3 أعلاه).

بنية التقرير

للتقرير، شأنه شأن كثير من موضوعات الكتابة، ثلاثة أقسام فقط:

1 – البداية

2 – الوسط

3 – النهاية

لا ريب أن هذا إفراط في تبسيط الأمور، ولكنه يمكن أن يكون دليلا للبنية الأساسية للتقرير.

المثال (2–1)

كيف تخطط بنية التقرير

البداية	أين نحن الآن.
الوسط	١ – الكتابات السابقة، طرق البحث، النتائج، إلخ.
	٢ – الاحتمالات المختلفة بالنسبة للمستقبل.
النهاية	الخاتمة / التوصيات.

الشكل رقم (2–2): بنية التقرير

تدور «البداية» حول تقديم وصف دقيق للخلفية / أو السياق الخاص بهذا التقرير. قد يلزمك أن تفسر سبب قيامك بإعداد هذا التقرير الآن، أو سبب كون هذه القضية مهمة بما يكفي لمناقشتها. من المؤكد أنه يتعين عليك أن تبين من هي الجهة أو الشخص الذى

أسنـد إليك إعداد هـذا التقرير ولأى غرض. وأخيرا، يتعين عليـك أن تصف الوضع الحالى الذى تقدم تقريرا عنه.

ويعنـى قسم «الوسط» بالحاضر وينبثـق من الوضع الراهن. من ذلـك مثلا أن تقريرك قد يقـول: «إذا استمـر هـذا الوضع على ما هو عليه، فـإن الشركة ستفلس بحلـول شهر ديسمبر وسنكـون جميعا متعطلين». من شأن «الوسط»، بطبيعـة الأمر، أن يكون مبنيا على نوع ما من استعراض الوضع الراهن ـ فقد يكون مبنيا على كتابات سابقة أو بحوث عن الواقع الحالى. من شأن «الوسط» أن يتابع ليشرح كيف خططت لجمع المعلومات بباقى أجزاء التقرير.

كمـا يعنى «الوسط» بالمستقبـل أيضا. فهو يقدم ما يترتب علـى بحثك وتحليلك من نتائج تؤثر على المستقبل، كما أنـه يصف ويناقش المسارات المحتملة للممارسات المتبعة (ويضع قائمة بما لهذه الممارسات من سمات جيدة أو سيئة).

ينبغـى أن تطرح «النهاية» الاختيار «الأمثل» المتاح وتقـدم أسباب تفضيله. سيتعين على بعض التقارير أن تطرح عددا من الاختيارات أو سلسلة متتابعة من الاختيارات. ينبغى على قسـم «النهاية» أيضا أن يعالـج مسألة ما الذى يجب عمله، ومن الذى يتعين عليه أن يضطلع بهذا العمل، وما الذى سيتطلبه العمل فيما يتصل بالموارد (كالموارد المالية والبشرية مثلا).

كمـا قلنـا سابقا، يعد التقرير ـ على نحو ما ـ ذا بنية تشبـه بنية أى عمل آخر من أعمال الكتابة الرسمية. ومع ذلك، يوجد نوعان من الاختلافات يستحقان تسليط الضوء عليهما.

المستخلص

تبـدأ التقارير، وبصفـة تكاد تكون دائمـة، بمستخلص يمكن النظـر إليه كمختصر موجـز للتقريـر بأكمله. فى بعض الأحيـان، خاصة فيما يتصـل بالتقارير الحكومية، يعـرف هذا المستخلص بأنه «مختصر تنفيذى». يقـوم المستخلص باختصار التقرير فى حوالى 200 كلمة وينبغى أن يعطى القارئ ما يكفى من التفاصيل ليعرف ما الذى قام به التقرير من عمل وما الذى يوصى به.

الخاتمـــة

ستكـون خاتمة التقريـر، وبصفة تكاد تكون دائمة، أكبر حجمـا من المختصر الذى نجـده عادة فى نهايـة أى مقال. فالأرجـح، أنه سيوجد بالخاتمة توصيـة ما (قد تتعلق بالعمل المستقبلى، أو التغييرات فى السياسة، أو بتدبير زيادات فى الإنفاق، إلى آخره) وبعض مبررات اختيار هذه التوصية. يمكن النظر إلى هذا الأمر على أن يؤدى ثلاث وظائف مستقلة:

1 – بلوغ الخاتمة وتقديمها و /أو التوصيات.

2 – اختصار المحتوى (وليس تقديم مادة جديدة).

3 – الانتهاء بصورة إيجابية (إن استطعت ذلك)، أو على الأقل الانتهاء المستند إلى حجة، وليس مجرد الانسحاب بعيدا برفق.

عند كتابتك لخاتمة تقريرك، يوجد فخان قد تقع فيهما، ومن الممكن تحاشيهما بسهولة:

- **الانتهاء الخادع**: عندما تقول «فى النهاية» أو «فى الختام» فلا بد أن تعنى فعلا ما تقول! فقلما توجد أشياء هى أكثر إحباطا للقارئ من التقارير التى لا تكون على بينة من هذا الأمر.
- **توسيع نطاق بنية التقرير**: لا تتجاوز نطاق ما قلت فى المقدمة أنه سوف يحدث – فسيكون هذا التجاوز فى كثير من الأحيان تكرارا أو انحرافا عن الموضوع الرئيسى.

الملاحق

تحتوى معظم التقارير على ملاحق. والملاحق مستودعات للمعلومات التى تعد مهمة، ولكنها ليست مهمة بما يكفى لأن تكون موجودة فى صلب التقرير. مثال ذلك، إذا كانت البيانات معروضة فى صورة رسوم وأشكال بيانية، فمن الملائم أن تدرج البيانات الرقمية الأصلية كملحق. ستوجد فى بعض الأحيان أشياء أخرى، ربما تكون استبيانات أو وثائق تفسيرية. أيا ما كان الأمر، فإن الملاحق ليست الأوعية التى تضع فيها كل المعلومات التى تحب إدراجها فى تقريرك إن لم يكن يوجد قيد على عدد كلماته. ومع ذلك، فإنه ينبغى أن يكون تقريرك مفهوما بدون هذه الملاحق.

إن كنت تستعمل الملاحق بالفعل، فتأكد من أنه يوجد فى نص التقرير إحالات مناسبة تشير إليها.

عرضك للتقرير

قد يتوجب عليك أن تقدم عرضا لتقريرك، وأحيانا يكون ذلك فى نفس الوقت الذى تسلمه فيه، وأحيانا فى وقت لاحق. إن قدر لتقريرك أن يحظى بالقبول (وهو أمر يمكن النظر إليه باعتباره فوزا بتقدير جيد)، فإنه يلزمك أن تضع فى ذهنك أمرين اثنين. عندما تقوم بقراءة تقريريك من أوله لآخره، ولكن قبل أن ترسله لأى شخص سيقرؤه، تأكد أولا من أنك:

- **تقدم الدليل على ما تقول**: اشرح كيف وصلت إلى نتائجك وكيف تبرر أى توصيات أو اقتراحات تقومك بطرحها. لن يكفى أن تبين أنك تعتقد أمرا ما أو تعطى ما يفيد ضمنا أن رأيك فيه الكفاية. لا تنس أنه ستوجد فى أحيان كثيرة إحصائيات أو نتائج مستمدة من مصادر أخرى قد تعزز عملك.

- تتوقع الاعتراضات: لكثير من التقارير (وربما لمعظمها) نتائج سلبية بمثل ما لها من نتائج إيجابية، تأكد من أنك أوليت هذه النتائج كلها الاهتمام المناسب وأنك مستعد للإجابة على الأسئلة التى تطرح بشأنها عندما تظهر الحاجة لذلك. إن استعطت (وكان قالب تقريرك يسمح بذلك) فحاول إدراج الإجابات على هذه الأسئلة فى التقرير الأصلى.

بحثـــك

كيف تبنى تقريرك؟

- حـــاول التأكد مـــن أن لتقريريك بناء منطقيا. حـــاول أن تحافظ على بساطة تقريرك بقـدر ما تستطيع (واضعا فى اعتبارك تعقد الموضوع وطبيعة الجمهور). كن على بينة من هيكل هذا التقرير. واتبع فى كتابته تسلسلا زمنيا إن كان ذلك مناسبا.
- استخـــدم أسلوب تحديد معالم الطريق (أو: أسلوب خريطة الطريق): تأكد من أنك تعرف قراءك بمسار التقرير وهدفه (ولماذا).
- استخدم العناوين: يعد استخـــدام العناوين (والعناوين الفرعية) فى التقارير أمرا لا غنـــى عنه. فهى تعرف القـــارئ بالموضع الذى هو فيـــه وتساعد على تقسيم التقرير إلى أقسام يسهل استيعابها، وهو الأمر الذى من شأنه أن يجعل التقرير أكثر وضوحا وأيسر فهما.
- استخدم اللغة الملائمة ـ وهذا أمر مهم فى كل مراحل العمل.
- استخـــدم فنون العرض البصرى (الجرافيكس): فاستخدام الصور/ الجداول/ الأشكال الإيضاحيـــة/ البراويز (وكذلك استخدام أطقـــم الحروف المطبعية الغامقة اللون Bold، والكبـــيرة الحجم، . . . إلـــخ) يرفع مستوى الوضـــوح، كما أنه يقسم نص التقرير إلى أجزاء صغيرة ويجعله أيسر فهما.

الرسائل العلمية الجامعية

ما الرسالة الجامعية؟

عندمـــا نتكلـــم عن رسالة جامعيـــة فى هذا الكتـــاب، فإننا نعنى بصفة محـــددة رسالة جامعيـــة قائمة على أســـاس البحث. ونحن لم يسبـــق لنا أن تناولنـــا بالدراسة موضوع «المقالـــة المطولـــة/ أو المسهبة» بصورة مستقلـــة، وذلك لأن كلا مـــن الرسالة الجامعية والمقالة المطولة متشابهتان تشابها كبيرا.

أيا ما كان العمل الذى تقوم به (أو الذى يطلب منك القيام به) فتأكد أنك تعرف وتفهم القواعد التى تفرضها كليتك أو جامعتك قبل أن تبدأ العمل.

قد يكون من الأفضل أن تفكر فى الرسالة الجامعية كدراسة متعمقة لأى قضية أو موضوع من قضايا وموضوعات العلم الاجتماعى (لك كل الحرية في إدخال تخصصك الشخصى هنا). غير أن اختيار الطالب للقضية التى يدرسها يمكن أن يمثل مشكلة له. ولكنك ـ مع ذلك - لن تكون مستقلا بعملك، فسوف تقترح عليك كليتك أو جامعتك أو الأستاذ الذى سيتولى الإشراف عليك (سوف نتحدث عن ذلك لاحقا). ونحن نوصي - فعلا - أن تختار قضية يكون لديك القدرة على دراستها ويكون من الراجح أن تستأثر باهتمامك بشكل مستمر على امتداد العام.

كيفية اختيار موضوع الرسالة الجامعية؟

ليس بإمكاننا وضع قائمة بكل الموضوعات التى يمكن لطلبة العلوم الاجتماعية أن يختاروا منها ما يدرسونه فى رسائلهم الجامعية. على أية حال، فإن من شأن هذه القائمة أن تتغير من عام لآخر نظرًا لأن ثمة قضايا مختلفة قد تفرض نفسها على الساحة. نريد أن نشير إلى أن الرسائل الجامعية تندرج فى عدد من التصنيفات المختلفة، وذلك بصرف النظر عن «فرع التخصص العلمى» الذى تنتمى إليه (هل هو: علم الاجتماع، أم العلم السياسى، أم السياسة الاجتماعية، إلى آخره)، ومن أمثلة هذه التصنيفات:

- التصنيف التاريخى.
- التصنيف النظرى (المتعلق بالنظريات الفكرية).
- التصنيف السياسى (بمعنى السياسة القومية / أو الدولية وليس بمعنى العلم السياسى الذى من شأنه أن يكون مجال التخصص العلمى).
- التصنيف القومى.
- التصنيف الدولى/ المقارن/ العولمى.
- التصنيف تبعا لقضايا الفكر المعاصر محل الاختلاف.
- التصنيف المحلى.

والواقع أن هذا التصنيف يعد مفرطا فى التبسيط قليلا، إذ إن بالإمكان أن تنتمى رسالة جامعية إلى أكثر من فئة من فئات هذا التصنيف: ونحن نرى أن هذا أمر مفيد، رغم ذلك.

كما يمكن أن يكون الحديث مع الآخرين مفيدا فى هذه المرحلة. فبإمكانه أن يكون عملية مفيدة فى تعريف الآخرين بما يثير اهتمامك فى مشروعك - فإن أثار هذا الأمر اهتمامهم، فلعله سيكون اختيارا سليما حينئذ! وعلى أية حال، فإن قيامك بتوضيح

عملياتك الفكرية بطريقة يستطع شخص آخر أن يفهمها يعد شيئا مفيدا فى كل الأحوال.

«تنفيذ» رسالتك الجامعية

من العسير دائمًا أن تبدأ أى مشروع. المرحلة الأولى هى أن يكون لديك فكرة، ولكن لابد بعد ذلك أن تقرر أفضل طريقة للمضى قدما فى العمل.

يبدأ معظم طلاب الدراسات العليا فى هذه المرحلة بالقراءة عن موضوعهم (فصل2 باب2)، وهذه القراءة مفيدة فى كثير من الأحيان كذلك، ولكنك فى الواقع لابد أن تكون على وعى بتوجهك الأساسى. وإلا فإنك قد لا تنتفع بوقتك أفضل انتفاع.

ومن الطرق الأخرى للبدء فى العمل أن تشرع فى صياغة سؤال بحثك. فتوافر سؤال للبحث يعد أمرا حيويا لا غنى عنه للرسالة الجامعية الناجحة. وبطبيعة الأمر، قد يكون هذا السؤال ـ فى بداية العمل ـ ذا طابع عام إلى حد ما، بل قد يكون غامضا. فربما تريد أن تقدم بحثا عن «نساء الطبقة العاملة فى مجال التعليم». إنه موضوع لافت للنظر، ولكنك لابد أن تكون قادرًا على أن تطرح سؤالا أكثر تفصيلا وصراحة عن هذا الموضوع (واضعا فى اعتبارك أن الرسالة الجامعية التى يقدمها الطالب للحصول على الدرجة لابد أن تكون ذات نطاق محدد، وأن الوقت المتاح لك لإنجاز كل هذا العمل قصير نسبيا) وهكذا، سيلزمك أن تبلور سؤال بحثك (فصل4 باب1) بحيث يكون:

1 - ذا صلة بما تريد أن تكتشفه.

2 - وأن يكون بالإمكان معالجته: أعنى بذلك أنك تستطيع الوصول إلى مجتمع بحثك، وتتوافر لك كتابات سابقة يمكنك الوصول إليها، ولا توجد مشكلات أخلاقية تستعصى على الحل، كما أنك تكون على علم ومعرفة كافية بمناهج البحث المناسبة، إلى آخره (الأبواب: الأول، والثانى، والثالث، والرابع).

3 - وألا يكون مفرطا فى التحدى. إنك تكتب رسالة جامعية، ولا تكتب رسالة دكتوراة فلسفة. ومهما بذلت من جهد شاق، فلن تكون قادرا على رواية القصة كاملة (انظر فقرة «حدود الكلمات» أعلاه) لموضوع رسالتك (الواقع أن معظم رسائل دكتوراة الفلسفة لا تتمكن هى الأخرى من تحقيق ذلك الهدف).

4 - وأن يكون بالإمكان الإجابة عليه (فى نطاق الوقت المتاح وباستعمال الموارد المتاحة). فكن حذرا من أن تستخف بشأن الوقت الذى سيستغرقه منك أداء هذا العمل؛ ونقترح هنا أن تضع جدولا زمنيا (يبدأ بتاريخ تقديم الرسالة ثم يعود راجعًا إلى يومك هذا) وابذل أقصى جهدك فى الالتزام به. لا تنس أنه سيكون لديك عمل آخر يتعين عليك أداؤه!

اختيار منهجية البحث / طرق البحث

لابد أن تسترشد عملية اختيار منهجية البحث وطرق جمع البيانات بطبيعة سؤال بحثك (فصل4، باب2).

الإشراف

تقوم معظم الجامعات والكليات بتحديد مشرفين على الرسائل الجامعية. ويكون هذا المشرف، فى العادة، أحد أعضاء هيئة التدريس الأكاديمية وله اهتمام أو خبرة بمجال البحث الذى اخترته. ينبغى عليك أن تستفيد بمشرفك بأكبر قدر يتاح لك، لأن المشرفين يمثلون مصدرا نافعا من مصادر الخبرة.

ويتلخص دور المشرفين فى أن:

- ينصحوك فيما يتصل بجدوى مشروعك ويساعدوك فى اختيار منهجية بحث مناسبة،
- يوجهوك نحو الدراسات السابقة المناسبة لموضوعك.
- ويبذلون لك النصح فيما يتعلق بتصميم عملية جمع بيانات بحثك، وباستراتيجيات التحليل.
- ويناقشوا معك بنية الرسالة ونظام عرض المادة.
- ويعلقوا على مسودات فصولك وأنت تكتبها (الطريقة التى يتم بها ستعتمد على القواعد المتبعة فى مؤسستك التعليمية، فبعض المشرفين لا يطلعون إلا على مسودة مستوفاة، وغيرهم لا يطلعون إلا على فصول مختارة، فراجع القواعد المتبعة فى مؤسستك العلمية).

بنية الرسالة الجامعية

- **إجراءات تمهيدية**
- **صفحة العنوان**: والتى ينبغى أن تحتوى على:
- عنوان الرسالة.
- بيان عن شخصية الطالب (قد يكون رقمك الطلابى أو اسمك، راجع الضوابط الخاصة بالرسائل فى كليتك).
- البرنامج الدراسى لدرجتك العلمية (إن كان لازما).
- قسمك العلمى/ مدرستك العالية/ الكلية التى تدرس فيها.
- السنة.
- **المستخلص**: والذى يكون فى العادة فى حدود 250 كلمة (ولكن راجع القواعد الخاصة بالرسائل فى كليتك) وينبغى أن يشمل:
- معلومات عن الموضوع.
- معلومات عما قمت بعمله لبحث هذا الموضوع.

- النتائج الأساسية والخاتمة.
- **الشكــر والتقدير :** (وهو إجراء اختيارى عــادة): فرصة لكتابة جمل شخصية، قد تشكر فيها من يساعدوك ووقفوا بجانبك، أو تقول فيها لماذا قررت الاضطلاع بهذا العمل.
- **المحتويــات :** ينبغــى أن تكون المحتويات فــي صورة قائمة تفصيليــة بالمحتويات (أى : بالفصــول والأبــواب) تبين أمام كل منها أرقــام الصفحات. من المعتــاد أن يتضمن فهرس المحتويات صفحات مستقلة لبيان صفحات ورود الأشكال والجداول.
- **المــتن الرئيسى للرسالة :** ســوف تعتمد الطريقة التى يتم بها تنظيم هــذا المتن ـ تحديدا - على نوع المشــروع الذى قمت بــه، وتعتمد بصفة خاصة علــى أنواع الكتابات السابقــة التى انتفعت بها والبيانات التى جمعتها وحللتها. وقد قدمنا أدناه قائمة «نمطية» بالعناوين الرئيسية للفصول.
- **المقدمة :** تحتوى هــذه المقدمة على تفصيلات عن طبيعة رسالتك، والقضايا التى تقوم بمعالجتها وتحتوى على «إرشادات» تعرف القارئ بما هو موجود فى كل فصل.
- **استعراض التراث العلمى فى الموضوع :** (انظر فصل2 باب2).

بحثــك

لا تنس سؤال (أو أسئلة) البحث

فــى مرحلة ما، يلزمك أن تورد أسئلة بحثك بوضوح. أما التحديد الدقيق للمكان الذى تذكــر فيه هذه الأسئلة فليس واضحا على الدوام، كما يمكن أن يختلف باختلاف الرسائل. وأيا ما كان الأمر، فإننا نوصى بقوة أن ينفذ هذا الأمر قبل أن تُجاوز هذه المرحلة.

- **منهجيــة البحــث وطرق جمع البيانات :** نوع من مناقشة ووصــف (وتبرير اختيار) منهجية البحــث هذه وطرق جمع البيانات، وتفصيلات عن مجتمع بحثك وعينتك، ومناقشة لاستراتيجية التحليل التى ستستخدمها فى معالجة بياناتك؛ ومناقشة للقضايا الأخلاقية.
- **النتائــج :** هي أساسا ما قمــت بإنجازه في البحث وما اكتشفته. يمكــن أن تكون النتائج مجــرد عرض للبيانــات إلا أنها ينبغى أن تحتوى على قدر مــن المناقشة. ويمكن أن تحتوى علــى رسوم وصور بيانية، كما قد تحتوى على صــور فوتوغرافية أو حتى ملفات سمعية ومقاطع فيديو.
- **المناقشة:** ما تعنيه نتائجك ودلالاتها.
- **الخاتمــة:** هذه فرصة لك لتقــدم الإجابة على سؤال (أو أسئلة) بحثك. ربما ينبغى عليك

أيضــا ، علــى سبيل المثال ، أن تذكر كيــف يمكن الاستفادة من هــذه الإجابة فى تقدم مقترحــات لرسم سياسة جديــدة أو ، ربما يستفاد من الإجابة فــى الحث على إحداث تغيــيرات فى الممارسة أو فــى صياغة النظرية . أيا ما كان الأمــر ، فسيعتمد كل هذا على طبيعة مشروعك .

- الملاحــق : مجموعة من المواد التى تعد ذات صلــة بمشروعك ، ولكنها تكون فى شكل غير ملائم لإدراجها فى المتن الرئيسى للرسالة (وعادة ما يكون سبب ذلك أنها مفرطة فى الطــول أو مغرقة فى التفاصيل) ليست الملاحق مكانــا لوضع المادة التى لم يوجد لها مكان فى المتن الرئيسى . والمفترض ـ نموذجيا ـ أن تكون الملاحق عبارة عن :
- عينة من الاستبيانات .
- هينة من نماذج أو استمارات الموافقة على الاشتراك فى البحث .
- جداول بيانات تفصيلية (خاصة إذا كنت قد عرضت مثل هذه البيانات فى شكل رسوم بيانية فى مكان آخر) .
- مقتطفات من الوثائق المتعلقة ببعض السياسات الاجتماعية .
- مثــالا لبيانات تم جمعها (قد تكون صورة مدونة لإحدى المقابلات وما جرى فيها من حوار ، أو قد تكون استبيانا استوفى المستجيب ملء بياناته) .
- أى شىء آخر لا بد من إدراجه ولكن لم يكن مناسبا وضعه فى المتن الرئيسى .
- المراجــع : قائمة كاملــة بكل مراجع المادة التى ذكرتها وكذلــك مراجع المواد الأخرى التــى استفــدت بأفكارها ، وليس بشواهدهــا (أى : وليس بما أخذتــه منها من جمل أو فقــرات علــى سبيل الاستشهاد بهــا) . سيوجد لدى مؤسستك العلميــة قواعد تحدد أى الأنظمــة المختلفة للإحالة إلى المراجع يجب استعمالها ، تأكد من أنك تفهم هذه القواعد على وجــه صحيح . (تفرق بعضــ المؤسسات العلمية بين «المراجــع» references و«الببليوجرافيــا» bibliography ، وبعضها لا يفعــل ذلك . ومن الناحية الفنية تعد «المراجع» references هى الشواهد المقتبسة وغيرها من المادة التى ورد ذكرها فعلا فــى عملك . أمــا الببليوجرافيا فيمكن النظر إليها على أنهــا كل الأعمال الأخرى التى أثرت تفكيرك ، ولكنك لم تذكرها بالاسم) .

ما الإحالة (إلى المراجع)؟

الإحالة إلى المراجع لها أغراض رئيسية ثلاثة:

1 – فهى تبين من أين حصلت على أفكارك وشواهدك المقتبسة، ومن ثم فإنها تظهر أنك لم تحاول الإيهام بتقديم عمل شخص آخر على أنه عملك أنت، أى إنك لم تنتحل عمل غيرك.

2 – وهى تتيح للقارئ أن يتابع أفكارك بمزيد من العمق (إن رغب فى ذلك) وأن يتأكد من أنك تستخدم المادة الملائمة.

3 – وهى تظهر أنك تعلمت كيف تنتفع بأعمال غيرك فى بلورة أفكارك وإجاباتك.

المثال (2-2)

الإحالة (إلى المراجع)

تقوم كل المراجع بأداء نفس العمل: فهى تقدم معلومات مفصلة عن مصدر المادة الأصلية: وتشتمل بيانات كل مرجع على: اسم المؤلف، وتاريخ النشر، وعنوان العمل، ومكان النشر، وجهة النشر (أحيانًا، وكما يحدث مثلا عند الإحالة إلى المجلات العلمية، فإن أرقام الصفحات يتعين إدراجها).

يوجد عدد كبير من النظم المختلفة للإحالة للمراجع، ويتعين عليك استخدام النظام المعتمد من مؤسستك العلمية. ويلاحظ ـ على سبيل المثال ـ أن الإحالة إلى أحد المراجع فى النظام المعتمد فى جامعة هارفارد (وهو المفضل لدينا) ستبدو على النحو التالى:

ديكين. إن. فاينر ـ جونز، سى. وماتيوز، بى (2004) الرعاية الاجتماعية والدولة، مفاهيم نقدية فى علم السياسة، لندن، روتلدج.

التقديـــر

لكل جامعة ولكل كلية طريقة مختلفة فى تقدير الرسائل الجامعية، إلا أن هذه المعلومات ينبغى أن تكون متاحة لك بسهولة. تأكد من أنك قرأت هذه المعلومات قبل أن تشرع فى الكتابة حتى لا تستبعد بسبب وجود متطلبات غير معتادة. إن قراءة الإرشادات الخاصة بتقدير الرسائل هى أيضا طريقة جيدة لمعرفة ما هو متوقع منك.

تحذير أخير : الانتحال

الانتحال (انظر قائمة المصطلحات)، ببساطة ، هو استخدام عمل شخص آخر وتقديمه كما لو كان عملك أنت (أى بدون الإحالة إليه، أو ذكره صراحة) وهو ، فى أقل تقدير ، ترفضه بشدة كل المؤسسات الجامعية، كما أنه يجلب عليك فى أحيان كثيرة عقوبات جسيمة إن اكتشف أمرك . (إن الاستعمال المتزايد لبرامج الحاسب ذات المستوى الرفيع فى اكتشاف الانتحال يجعل اكتشافه وفضحه أكثر وأكثر رجحانا).

وأيا ما كان الأمر ، فإن الانتحال لا يقتصر على استخدام عبارات شخص آخر بدون الاعتراف بالمصدر ، ولكنه يشتمل كذلك على الأمور الآتية (ما أوردناه مجرد نماذج ، فهذه ليست قائمة كاملة):

- استخدام نص سبق نشره استخداما حرفيا (كلمة كلمة).
- الإعادة الدقيقة لصياغة كلمات أحد النصوص (وعادة ما يكون كتابا، أو مجلة علمية، أو ملاحظات على إحدى المحاضرات).
- قص ولصق النص من مواضع متفرقة مما ينشر على الإنترنت.
- نسخ عمل طالب آخر.
- استعمال أفكار قرأت عنها ، ولكنك لا تورد ذكرا لمصدرها الأصلى.
- استخدام عبارة أو اقتباس جميل اكتشفته أو تعلمته فى مكان ما ، ولكنك لا تقول أين اكتشفته أو علمت به.
- استخدام الصور الفوتوغرافية ، والرسوم والأشكال البيانية ، إلى آخره، التى وجدتها (أو: حملتها على حاسبك) بدون تصريح يسمح لك بذلك أو بدون الاعتراف بمصدر هذه المادة.

بحثك

نقاط أساسية للتقرير

- لكل تقرير جيد أهداف واضحة.
- المنظور الفكرى للقارئ أهم من المنظور الفكرى للكاتب.
- لابد من وجود بداية، ووسط، ونهاية.
- لابد من وجود بناء واضح ومنطقى للحجج المستخدمة أو المناقشات المعروضة.
- لابد أن يكون من السهل قراءته وفهمه.

- الاتصـــال أمـــر خطير بحكم طبيعته التى لا تنفك عنـــه، لذلك عليك أن تفكر فى تحقيق التواصل بوضوح.
- لن يحقق تقريرك غايته إلا إذا كنت أنت على بينة من هدفه.
- الجمهور هو أهم شيء!
- لا تكتب شيئا مما لا ينتمى إلي نوعية التقارير العلمية.

فكر فى هذا الموضوع

اللغة الموجزة

اكتب شيئا معقدا ومُطنبا ثم أعد تحريره فى صورة بسيطة ومختصره تقول نفس الشيء.

المثال رقم (2-2)

هل الكتابة المعقدة هى الأفضل دائمًا؟

[الترجمات إلى لغة سهلة بين الأقواس]

1 - إنى لأرغب فى أن أهنئكم جميعًا على مهمة أنجزت بنجاح [أحسنتم صنعا].

2 - إن تشغيل هذه المعدة يمكن إحداثه عن طريق الضغط الرقمى على زر الضغط المناسب [اضغط لبدء التشغيل].

3 - أرجـوك أن تكـون منتبهـا إلى أنه محفـوف بالمخاطر أن تقـترب من الحدود الخارجية للحفرة [خطر! ارجع!]

فكر فى هذا الموضوع...

استيعاب التنوع فى الكتابة (الإجابات المقترحة)

1 - الناس بصورة عامة.

2 - المسيطر.

3 - ضابط الشرطة.

4 – تذكر أنه توجد أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية.

5 – الأسـلاف.

6 – يصلح لمخاطبة الأفراد القادمين من الهند : أما بالنسبة لأمريكا الشمالية ادخل فى اعتبـارك الأمريكيين الأصليين الموجودين قبـل اكتشاف أمريكا (فى الولايات المتحدة) والشعوب الأولى والأقدم (فى كندا).

7 – المُصنّع، والصناعى.

بحثـك

اختبار جودة البحث : الكتابة الموجزة الموفقة

- هل عالجت القضايا بطريقة ملائمة (أو أجبت على السؤال)؟
- هل بنية تقريرك واضحة ومترابطة منطقيا؟
- هل استخدمت علامات إرشادية لإيضاح أجزاء التنقرير؟
- هل كتابتك واضحة؟
- هل قواعد النحو والتهجئة عندك سليمة؟
- هل أسلوبك مناسب؟
- هل تذكرت جمهورك؟
- هل تفاديت الرطانة؟
- هل كنت موجزًا؟
- هل حررت تقريرك وراجعت <u>كتابة</u> مسودتك ؟
- هل اعتنيت بعرض تقريرك؟

المراجع وقراءات للاستزادة

Bell, J. and Opie, C. (2002) *Learning from Research: Getting More from your Data – A Guide for Students*, Buckingham: Open University Press.

Crème, P. and Lea, M.R. (2003) *Writing at University: A Guide for Students*, 2nd edn, Buckingham: Open University Press.

Cuba, L. and Cocking, J. (1997) *How to Write about the Social Sciences*, Harlow: Longman.

Cutts, M. (1995) *The Plain English Guide: How to Write Clearly and Communicate Better*, London: QPD.

Doherty, P. (2006) Problems with apostrophes, available online at www.eng-lang.co.uk/apostrophes.htm (accessed on 21 August 2009)

Fairburn, C.J. and Winch, C. (2000) *Reading, Writing and Reasoning: A Guide for Students*, 2nd edn, Buckingham: Open University Press.

Forsyth, P. (1997) *How to Be Better at Writing Reports and Proposals*, London: The Industrial Society.

Hartley, P. and Bruckman, C. G. (2002) *Business Communication*, London: Routledge.

Joseph, A. (1998) *Put It In Writing: Learn How to Write Clearly, Quickly and Persuasively*, New York: McGraw-Hill.

Lauchman, R. (1998) *Write for Results*, New York: Amacom New Media.

Marsen, S. (2003) *Professional Writing: The Complete Guide for Business, Industry & IT*, Basingstoke: Palgrave.

Murray, R. (2002) *How to Write a Thesis: A Guide for Students*, Buckingham: Open University Press.

Peck, J. and Coyle, M. (2005) *Write It Right: A Handbook for Students*, Basingstoke: Palgrave.

Shelton, J. H. (1994) *Handbook for Technical Writing*, Chicago: NTC Business Books.

Truss, L. (2003) *Eats, Shoots & Leaves: The Zero Tolerance Approach to Punctuation*, London: Profile Books.

Wade, S. (1996) *Studying for a Degree: How to Succeed as a Mature Student in Higher Education*, Plymouth: How To Books.

الفصل الثالث
عرض البيانات

محتويات الفصل

- ما عرض البيانات؟
- لماذا تعرض البيانات بطرق مختلفة؟
- تجهيز البيانات للعرض.
- الأشكال البيانية باستعمال الأعمدة أو المستطيلات.
- اعتبارات عامة.
- طرق أخرى للعرض.
- أشكال عرض الملصقات (أو البوسترات).
- أشكال العرض الشفاهية.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

تقنيات عرض البيانات أمر مهم. ففى الوقت الذى يكون فيه من المهم «إنجاز» بحثك، يلزمك أن تفكر فى الطريقة التى توصل بها نتائجك إلى بقية الناس.

يتناول الجزء الأول من هذا الفصل عرض البيانات باستعمال الرسوم والأشكال البيانية، ولو أنك سوف تجد أمثلة أخرى على امتداد الكتاب (انظر فصل3 و9 باب4)، كما أنه إن نظرت حولك، فستجد أمثلة فى كل مكان ابتداءً من الإعلانات وانتهاء بالأفلام التسجيلية والوثائقية. ويناقش الجزء الثانى من هذا الفصل بعض الطرق «الأخرى» لعرض البيانات. وقد ركزنا فى هذا الجزء على أشكال عرض الملصقات (البوسترات) وأشكال العرض الشفاهية، وهما نوعا العرض اللذان يحظيان كلاهما بالشعبية المتزايدة داخل الأوساط الجامعية وخارجها معا.

ما عرض البيانات؟

قد يبدو هذا الأمر واضحا، ولكن بعد أن نكون قد نفذنا البحث، فإنه يلزمنا أن نتأكد من أن تكون نتائج بحثنا متاحة لكافة الأطراف المعنية. (وقد يكون السؤال عمن يمثلون الأطراف المعنية سؤالا مستقلا يعتمد على عدد من القضايا التى عرضنا لها فى موضع سابق ـ انظر فصل 1، من هذا الباب).

يمكن للبيانات أن تُعرض بكثير من الطرق المختلفة، والتى استعرضنا عددا منها فى هذا الفصل. ومع ذلك، وقبل المضى قدما إلى الاعتبارات العملية، يوجد سؤال يتعين أن نجيب عليه.

لماذا تعرض البيانات بطرق مختلفة؟

طبيعى أننا حينما نقوم بإنجاز البحث، فإننا نفهم حقيقة ما توصلنا إليه من نتائج. فقد كنا منهمكين فى العمل منذ البداية، كما أن ما نقوله فى تقريرنا النهائى يكون ـ بالنسبة لنا ـ واضحًا وضوح الشمس! ولكن مما يؤسف له أن ذلك قد لا يكون حال الأفراد الذين يتوجب عليهم أن يقرأوا نتائج بحثنا والذين قد يطبقونها على الحياة الواقعية. ونحن نرى أن من واجب الباحث أن يتأكد من أن تكون نتائج بحثه واضحة لمن يحتاجون إليها، وهذا هو الأساس فى مسألة عرض البيانات واختيار طريقة عرضها.

ونرى كذلك أن أهم أمر يجب التفكير فيه عند عرض بياناتك هو أن تحسب حساب «جمهورك». ونعنى «بالجمهور» الأفراد الذين تحرص على أن يفهموا عملك: ربما لأنهم يقومون بتقدير بحثك وإعطاء درجات له، أو ربما لأنهم هم الذين كلفوك بإنجازه. إذ توجد أسباب ممكنة كثيرة. يقول كومار (Kumar 1996: ص 226):

«الهدف الرئيسى من استخدام تقنيات عرض البيانات هو جعل النتائج واضحة ميسورة الفهم. توجد طرق كثيرة لعرض المعلومات. ينبغى أن يكون اختيارك لطريقة معينة خاضعا أساسا لانطباعاتك / أو معرفتك بما لدى مجموع قرائك من دراية محتملة بالموضوع وبالبحث والإحصائيات. فإن كان من المحتمل أن قراءك على دراية «بفهم» البيانات، فإنك تستطيع أن تستخدم الطرق المعقدة فى عرض البيانات، وإلا فإنه يكون من الحكمة أن تلتزم بالتقنيات البسيطة».

لذا، يلزمنا أن نفكر فى الطريقة التى بها ستكون بياناتنا مفهومة بأسهل وأوضح ما يكون (انظر برواز «فكر فى هذا الموضوع . . .» أدناه). من المحتمل أن كشوف الحسابات وجداول الأرقام ستكون أكثر من مقبولة من جانب الإحصائيين وعلماء الاقتصاد والمحاسبين ـ فهى رصيدهم الذى يتاجرون به، فى آخر الأمر. إلا أن الأمر

الأقل احتمالا أن تكون تلك الكشوف وجداول الأرقام مفهومة بسهولة من جانب مديرى إدارات الخدمة الاجتماعية، وعلماء الاجتماع، وخبراء الدراسات الثقافية. والمعتاد أن الطريقة التى نختارها لعرض بياناتنا يتعين أن يكون لها هدف محدد: ومن أكثر الأهداف شيوعا أن تتيح لنا هذه الطريقة مقارنة المجموعات السكانية ذات الأحجام المختلفة.

هنا ينبغى أن نحذر من أمر؛ فجانب ما ذكرنا: لا تقع تحت إغراء التضحية بالدقة فى مقابل أن يكون عرضك ملائمًا لجمهورك أو فى مقابل الإفراط فى تبسيط البيانات. والمعتاد أن ما نقوم بعمله عند عرض البيانات هو التأكد من أن جمهورنا يفهم ما توصلنا إليه من نتائج. وستستفيد بعض الجماعات أعظم فائدة من نفس أشكال العرض البيانية (انظر المثال رقم «4-3»)، أما غيرها من الجماعات (وبطبيعة الأمر، قد تكون هى الأخرى من الجماعات التى تحب الصور) فسوف ترغب فى رؤية البيانات الأصلية التى استمدت منها هذه الصورة. وكثيرا ما تكون أفضل طريقة لعمل ذلك هى أن تدرج البيانات العددية فى صورة ملحق، ولكن لا بد من معالجة كل حالة بناء على خصائصها الموضوعية.

تجهيز البيانات للعرض

عادة ما تكون البيانات «الخام» التى نجمعها فى بحثنا غير مناسبة للعرض. لذلك فإن طريقة جمع البيانات وتسجيلها يجب أن تكون قد سبق تحديدها قبل ذلك فى مرحلة تصميم البحث، كما أنه، وبالرغم من أننا ربما نكون قد بذلنا شيئا من التفكير فى الطريقة التى ستعرض بها البيانات فى صورتها النهائية، فإن الأرجح ألا يكون قد سبق اتخاذ قرارات نهائية تحدد هذه الطريقة.

تبين هذه الفقرة بعض الطرق الأساسية فى معالجة البيانات العددية لإعدادها للعرض. والأمثلة المستخدمة هنا فى غاية البساطة، حيث إننا تناولنا تحليل البيانات الإحصائية فى فصل3 باب 4.

الجداول

استعمالك لجدول (أو مصفوفة، إذا أردت أن تبدو فى مستوى راق) فى عرض البيانات فكرة ممتازة فى كثير من الأحيان. فى حالة إنشاء الجدول بحرص وعناية، فإنه سيساعد جمهورك على فهم نتائجك، و(ربما) يساعدهم على مقارنة الأجزاء المختلفة من هذه النتائج.

وإليك بعض القواعد البسيطة للجداول:

- تحتاج الجداول على عنوان مناسب.
- ينبغي أن تكون العناوين واضحة.
- اختر تصميمات مناسبة لمشروعك.
- ينبغـى فى العادة أن يوجد تنويه بمصـدر البيانات، خاصة إذا كنت قد أعدت معالجة نتائج بحث قام به شخص غيرك.

المثال رقم (3-1)

جدول لمقارنة النسب المئوية

جدول رقم (3-1): الجانحون من الذكور والإناث (النسب المئوية)

مكان الإقامة	الذكور ٪	الإناث ٪
برمنجهام	٧٣	٢٧
نوتنيجهام	٨٩	١١
الإجمالـى	١٠٠	١٠٠

المصدر: جداول تخيلية.

إلا أن بالإمـكان استخـدام الجداول لعرض البيانات غـير العددية أيضا، كما يمكن أن تكـون بسيطة أو معقـدة، وذلك بناء على الغرض من تلـك (الجداول) مثال ذلك، أن المثـال رقم (3-2) يظهر طريقة لعرض البيانات المعقـدة لتحليل الروايات الشفاهية بأسلوب يتيح للجمهور أن يقارن بعض محتويات القصص المختلفة.

المثال رقم (3-2)

ما فى الروايات الشفاهية من ارتباطات بين طريقة تصرف الراوى، ونبرة صوته، وبناء الرواية.

جدول 2-3 ما فى الروايات الشفاهية من ارتباطات بين طريقة تصرف الراوى، ونبرة صوته، وبناء الرواية.

الرواية	الوصفية	الخضوع	المسيطرة	المقاومة	المعترضة	الجازمة	الغاضبة	القمعية	العنصرية	التعليمية	المشوشة	
١												وصفية / مقاومة
٢												معترضة / جازمة
٣												جازمة / غاضبة
٤												وصفية / مقاومة
٥												وصفية/ دالة على الخضوع/ قمعية
٦												مقاومة / جازمة / غاضبة
٧												خاضعة/ عنصرية/ مشوشة
٨												وصفية / جازمة
٩												وصفية / دالة على الخضوع
١٠												غاضبة / مشوشة
١١												وصفية/ دالة على الخضوع/ غاضبة
١٢												مسيطرة/ مقاومة/ جازمة
١٣												معترضة/ قمعية/ عنصرية
١٤												وصفية/ مقاومة / جازمة
١٥												معترضة / غاضبة
١٦												جازمة / قمعية
١٧												مسيطرة / تعليمية
												قمعية / عنصرية
١٨												وصفية / مسيطرة/ معترضة
												جازمة / تعليمية
١٩												مسيطرة / جازمة/ تعليمية
٢٠												وصفية / معترضة
عدد الارتباطات	٩	٤	٤	٥	٣	١١	٣	٤	٣	٦	٢	

المصدر : جداول تخيلية

المتوسطـات

المتوسطـات أداة مفيـدة فى تلخيـص البيانات العددية ببساطـة، وهناك عدة طرق مختلفة لحساب المتوسطات، ولكنا نقول من باب التبسيط إن المتوسط الذى نستعمله هنا هـو الوسط الحسابى (انظر قائمة المصطلحات). وهذا الوسط الحسابى هو ما يشير إليه الأفراد عادة عندما يقولون كلمة «متوسط» (انظر فصل 3 باب4 لمزيد من التفصيل).

الواقــع أن المتوسطــات مفيدة فى عرض البيانــات لأنها تتيح لنا مقارنــة الجماعات (أو الأحداث، أو ما سوى ذلك) على أساس كمية سمة معينة منسوبة إلى حجم هذه الجماعات).

يمكننــا حســاب الوســط الحسابى عن طريــق جمع كل قيــم «الملاحظــات» (وهى الصفحات التى نختبرها) ثم قسمتها على «عدد» هذه الملاحظات.

المثال رقم (3-3)

حساب متوسط (الوسط الحسابى)

1 – خذ جماعة من خمسة أفراد أعمارهم هى : 21، 25، 19، 15، 22 سنة.

2 – اجمع هذه الأعمار (= 102 سنة).

3 – اقسم الناتج الإجمالى (102) على عدد الأفراد (= 5 أفراد).

4 – المتوسط (أى: الوسط الحسابى) = 20.4 سنة.

تحذيـر!

مـن السهل تشويه الوسط الحسابــى بسبب وجود « قيم متطرفة». أعنــى بذلك، أن رقما كبـيرا بشكل غير معتاد أو صغيرا بشكل غير معتاد سيكون له تأثير غير متناسب على النتيجة. فلو غيرنا مثالنا المذكور بعاليه إلى 21، 25، 19، 15، 69 سنة؛ فإن المتوسط، فى هذه الحالة، ســوف يرتفع بشكل حاد إلى 29.8سنــة. لا يجب أن يمثل هذا الوضع مشكلة، ولكنه يبين فعلا أنه توجد قضايا يجب إدخالها فى الاعتبار عند معالجة أو تجهيز أبسط البيانات للعرض!

النسب والنسب المئوية

النســب هى الحالات أو الملاحظات أو الأمثلة مقسومة على العدد الإجمالى للأمثلة . مثال ذلك، إن كان أخصائى اجتماعى مسئولا عن 70 شخصًا من الجانحين، منهم 55 من الذكور، فإن نسبة الجانحين الذكور تساوى:

0.785 = 70/55

النسب المئوية هى النسب مضروبة فى 100. باستعمال المثال أعلاه:

% 78.5 = 100 × 0.785 = 70/55

وتعد النسب المئوية والنسب مفيدة بصفة خاصة لأنها تتيح مقارنة الجماعات المختلفة الأحجام.

الأشكال واللوحات البيانية

يمكن للأشكال واللوحات البيانيــة أن تكون طريقة ممتازة لعرض البيانات. ولكن

مما يؤسف لـه أن بعض قواعد الرياضيـات وعلم الإحصاء التى تعلمنـا طريقة إعداد اللوحات والأشكال البيانية قد تكون معقدة تعقيدا شديدا (فصل3 باب4).

ولكن لأننا نعيش الآن فى القرن الواحد والعشرين ، فإن معظم الأشكال واللوحات البيانيـة التى ستستعملها فيما بعد (وجميـع الأشكال واللوحات البيانيـة المستخدمة فى هذا الفصـل) أصبح من الممكـن إنتاجها بسهولـة باستعمال حاسب شخصى. وقـد تناولنا فى الفصـل 9 باب 4 موضـوع برامج الحاسب التـى يمكن استخدامها لهـذا الغرض. ومع ذلك، فإن على معظم الطلبة أن يكونوا قادرين على الوصول إلى برنامج مايكروسوفت إكسـل الذى يعد برنامجـا ذا استعمالات متعددة جدا، كما يمكـن استخدامه لإنتاج معظم الإحصائيـات واللوحات البيانية. وقد يلزمك، تبعا لطبيعة دراساتك، أن تستخدم حزمة برامج إحصائية متخصصة مثل حزمة إس. بى. إس. إس. SPSS.

عندما تستعمل اللوحات البيانية، فإن مساحة سطح الأعمدة أو القطاعات (أو أى شكل من أشـكال العرض البيانى قررت أن تستعمله) ينبغى أن تكـون متناسبة تناسبا مباشرا مع قيمة البيانات الأصلية. عندما تنشئ لوحة بيانية ذات بعدين، تكون قد أنجزت عملا ممتـازا. لكـن إن قررت أن تستعمل الإمكانيـات التى تتيح لك إنتـاج الأشكال البيانية ثلاثيـة الأبعاد والتى تزودنا بها بوفرة معظـم برامج الحاسب، فسوف يؤدى ذلك إلى تدمـير العلاقة، كمـا أن لوحتك البيانية، مـن الناحية الفنية على أقـل تقدير، لن تعود معـبرة عن الحقيقـة». ورغم ذلك ، يمكن للوحـات البيانية ثلاثيـة الأبعاد أن تكون، أحيانا، مذهلة الجمال حتى إنك قد تقرر استخدامها بأية حال - كن حذرا فحسب!

الأشكال البيانية (أو التوضيحية)الدائرية

تعتـبر الأشكال التوضيحية الدائرية طريقة رئيسية لعرض البيانات، خاصة عند مقارنة المجموعات المختلفة من البيانات، وتستخدم تحديدا لإيضاح النسب المئوية (تخيل «كيكة» مقسمة إلى شرائح).

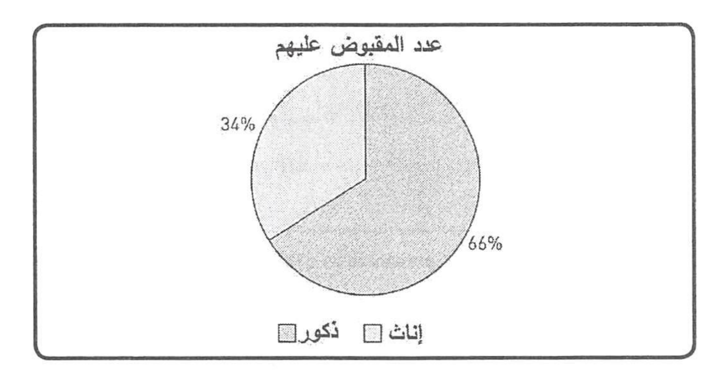
قد يكون من الأمثلة البسيطة للأشـكال التوضيحية الدائرية أن تقارن عدد المقبوض عليهم من الرجال والنساء. فإن أدخل فى برنامج إكسل، فسيبدو فى هذه الصورة:

	ذكـــور	إنـــاث
عدد المقبوض عليهم	٢٧	١٤

هذا مثال بسيط ، لذلك يكون من السهولة البالغة أن يدرك معظم الأفراد أن عدد المقبوض عليهـم مـن الذكور أكبر بكثير من عـدد المقبوض عليهن من الإناث. ومـع ذلك، وبناء على

نوعية جمهورك، قد يكون من الأفضل أن تعرض هذه البيانات فى صورة شكل بيانى.

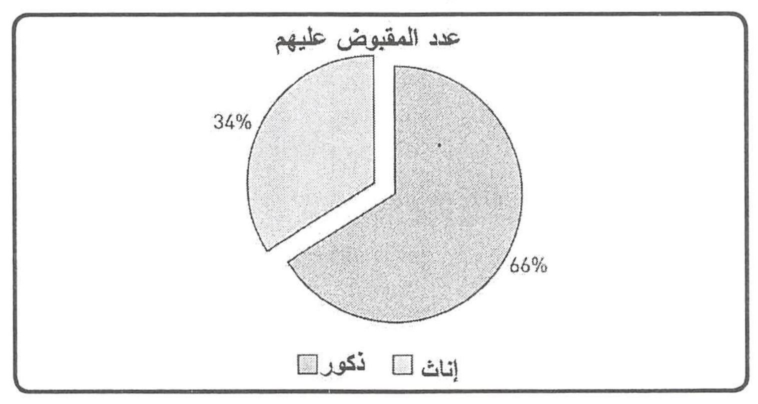
فى هذه الحالة، إن أنشأنا شكلا بيانيا دائريا ، فإن البيانات ستبدو هكذا :



الشكل (3-1) : البيانات معروضة فى صورة شكل بيانى دائرى

يمكننا حينئذ أن نتحكم فى هذا الشكل البيانى بعدد من الطرق ، مثال ذلك ، أن نغير لون «الشرائح» أو أوضاعها. ويمكن أيضا تغيير العنوان و«المفتاح» المستعمل فى تفسير مصطلحات الشكل البيانى.

من الأمور التى يمكن أن تكون مفيدة جدًا «تفصيص» الشكل الدائرى بفصل بعض أجزائه عن بعض بغرض التأكيد على أهمية مسألة معينة، مثال ذلك:



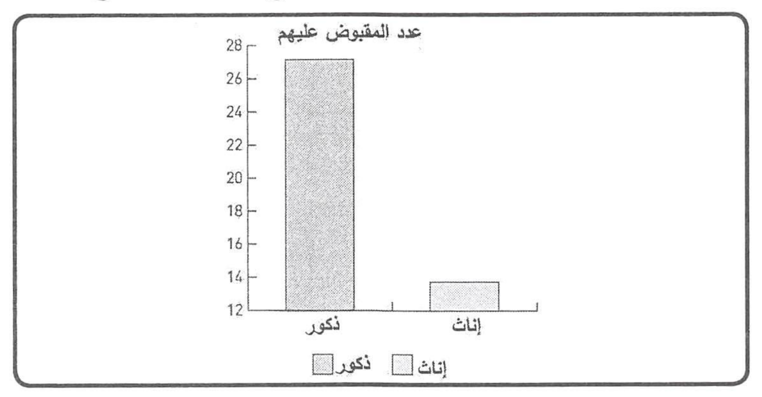
الشكل رقم (3-2): البيانات معروضة فى شكل بيانى دائرى مفصص .

الأشكال البيانية باستعمال الأعمدة أو المستطيلات

هذان النوعان من الأشكال البيانية ينتميان إلى نفس النمط فى الواقع ، إلا أن توجه كل منهما مختلف من الآخر . ومن الناحية الفنية تتألف الأشكال البيانية التى تستعمل

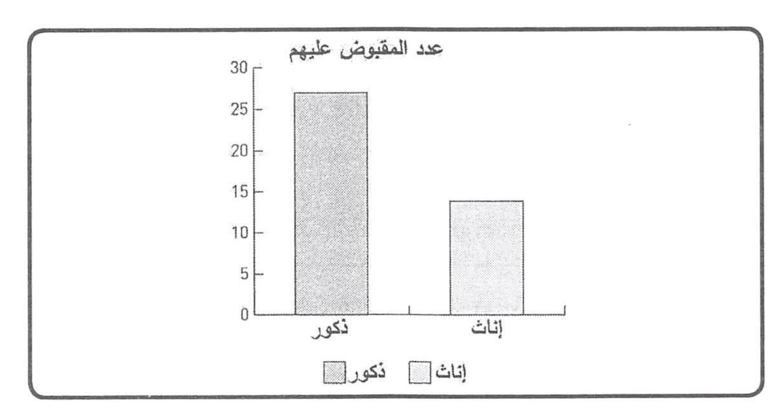
المستطيـلات مـن مستطيلات أفقية، وتتألـف الأشكال الأخرى التـى تستعمل الأعمدة مـن أعمدة رأسية، وتُمثّـل مساحة سطح المستطيلات ومساحـة سطح الأعمدة البيانات الأصليـة. وهـذا التفريق غير مهم، وسوف يشـار إليهما هنا باعتبارهمـا أشكالاً بيانية تستعمل المستطيلات .

باستعمال نفس البيانات المأخوذة من جدول إكسل المذكور قبل ذلك، نستطيع أن ننتج ـــ بسهولة ـ شكلا بيانيـا بسيطا قائما على استعمال المستطيـلات، وهو الأمر الذى سيتيح لنا مقارنة مجموعتى البيانات والحصول على انطباع بصرى واضح عن الفرق بينهما.



الشكل رقم (3-3): البيانات معروضة فى شكل بيانى يستعمل المستطيلات

ممـا يستلفت النظر أننا نستطيـع أيضا أن نعرض هذه البيانـات بطريقة تجعلها تبدو مختلفة تماما، ولكنها مع ذلك تكون دقيقة.

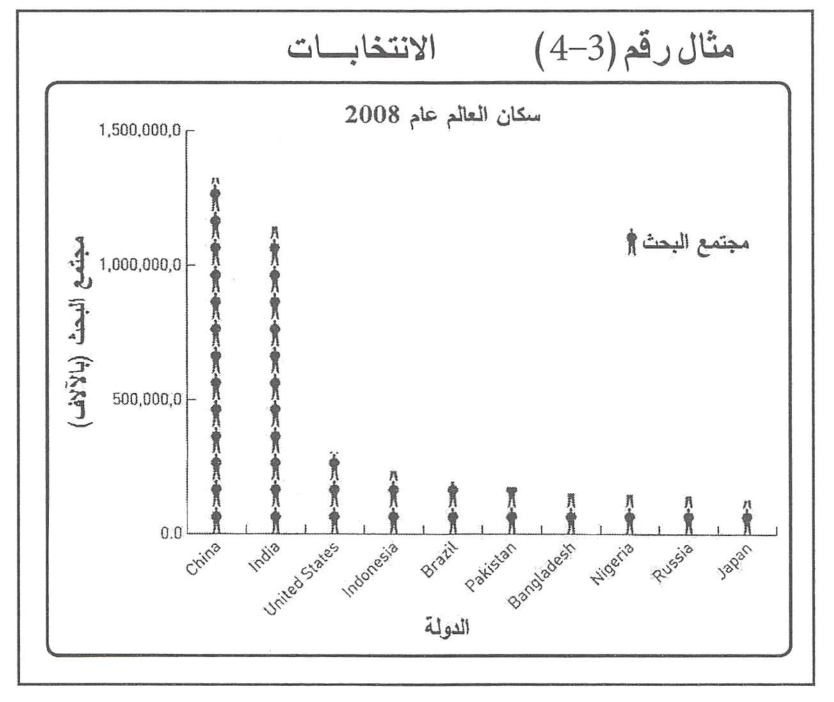


الشكل رقم (3-4): البيانات معروضة فى شكل بيانى يستعمل المستطيلات ، مع استعمال مقياس رأسى معدل

هذا القالب (والذى هو فى الواقع نوع من الغش، والذى تفضله جدًا صحف التابلويد (ذات القطـع المتوسط، والمشهورة باهتمامهـا بالإثارة والفضائح)؛ هـذا القالب يعطى الانطبـاع البصرى بأن الفارق بـين مجموعتى البيانات هائل، وذلـك بالرغم من أن البيانـات الأصلية متماثلة. وقد حققنـا هذا بسهولة بالغة: *كل ما فى الأمر أننا تلاعبنا فى المقياس الرأسى للشكل البيانية حتى لم يعد يبدأ عند القيمة صفر*.

هذا النوع من التلاعب غير ممكن تنفيذه مع الأشكال البيانية الدائرية التى تبين دائمًا المجموع الكلى للبيانات.

وليس من اللازم بالطبع أن تكـون الأشكال البيانية التى تستعمل المستطيلات بنفس الصـورة الشكلية المذكورة أعلاه. فقد ترغب ـ حسب هدف بحثك ـ فى عرض بياناتك على هيئة صور رمزية ـ انظر المثال رقم (3-4).

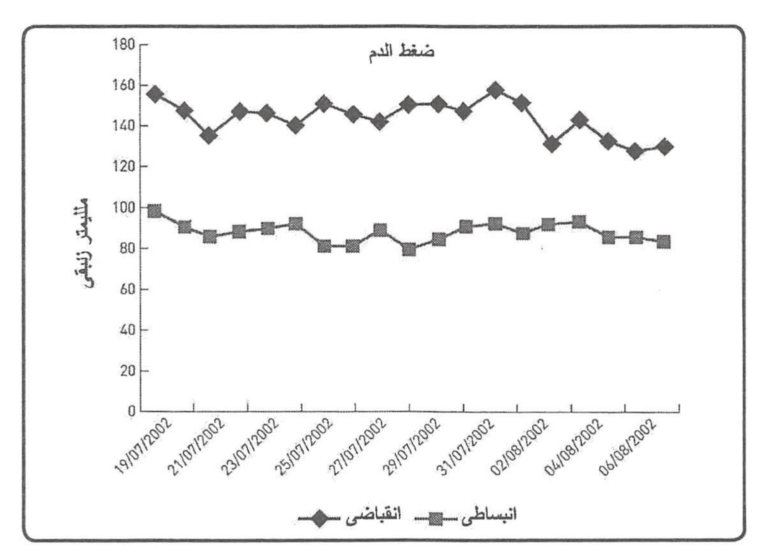


الشكل رقم (3-5): البيانات معروضة على هيئة صور رمزية

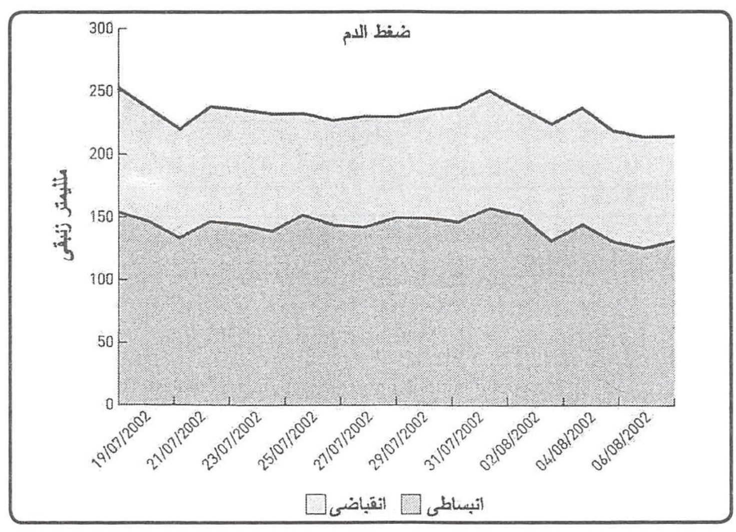
إن فرص التجريب لا حدود لها. الأمر المهم، بلا ريب، أن تتذكر استعمال الصور الرمزية المناسبة.

أشكال بيانية أخرى

إن الشكلين البيانيين الأعظم فائدة للاستخدام العام هما: الخطوط البيانية البسيطة، واللوحات البيانية التى تستعمل المساحة (انظر الشكلين (3-6) و (3-7).



الشكل رقم (3-6) البيانات معروضة فى خطوط بيانية



الشكل رقم (3-7) : البيانات معروضة فى لوحات بيانية تستعمل المساحة

اعتبــارات عامـــة

يوجـد عدد من الأمـور التى ينبغى علينـا إدخالها فى الاعتبار حينمـا نقوم بعرض البيانات التى قد لا تكون واضحة عند التفكير فيها فى أول مرة. كما قلنا قبل ذلك، فلعل أهـم شىء يتعين التفكير فيه هـو الرسالة التى تريد أن يخرج بها جمهورك. وهذا يعنى أنه لا بد أن تقرر أى نوع من التأكيد تضفيه على نتائجك.

من طرق القيام بهذا الأمر استخدام أطقم حروف طباعية مختلفة، وألوان مختلفة، وخلفيات مختلفة بالصورة التى نبينها فى الجداول التالية:

عدد المقبوض عليهم	بيـض	سـود
٠	٥	٨
١	٦	١
٢	١٦	٤
٣	٩	١
٤	٣	٤
٥	١	٩
٦	٠	١
١٩	٠	١
الإجمالـى	٤٠	٢٩

عدد المقبوض عليهم	بيـض	سـود
٠	٥	٨
١	٦	١
٢	١٦	٤
٣	٩	١
٤	٣	٤
٥	١	٩
٦	٠	١
١٩	٠	١
الإجمالـى	٤٠	٢٩

عدد المقبوض عليهم	بيـض	سـود
٠	٥	٨
١	٦	١
٢	١٦	٤
٣	٩	١
٤	٣	٤
٥	١	٩
٦	٠	١
١٩	٠	١
الإجمالـى	٤٠	٢٩

عدد المقبوض عليهم	بيـض	سـود
٠	٥	٨
١	٦	١
٢	١٦	٤
٣	٩	١
٤	٣	٤
٥	١	٩
٦	٠	١
١٩	٠	١
الإجمالـى	٤٠	٢٩

بحثـك

أمر مهم!

لا تستخدم اللوحات البيانية ثلاثية الأبعاد كالأشكال الدائرية، ولوحات الأعمدة والمستطيـلات، إلى آخـره) إذا أردت أن يكون عرضك للبيانـات دقيقا من الناحية الإحصائيـة. فالصياغة ثلاثية الأبعاد للبيانات تدمر العلاقة الهامة التى بين البيانات الأصلية والمساحة المعروضة فى اللوحة البيانية.

فكر فى هذا الموضوع . . .

هناك ثلاثة أنواع من الأكاذيب :

الأكاذيب ، والأكاذيب اللعينة ، والإحصائيات

(بنيامين دزرائلى ، كما تنسب أيضا لمارك توين)

إننـا نفترض ، كباحثين أكاديميين ، أنك ترغب فى أن يتكون لدى جمهورك فهم تـام لنتائج بحثـك . ومع ذلك ، فليس الأمـر هكذا ، كما أنه ليـس مستحيلا أن تقدم بياناتك «بأمانة» فى نفس الوقت الذى تتمكن فيه من إعطاء انطباع زائف عن أهمية هذه البيانات . وقد سبق أن تناولنا هذه النقطة فى موضع سابق .

إننا لا ندافع عن هذا السلوك ، والذى يبدو أنه الطابع الغالب لصحف التابلويد ، ولكننا نرى أن من الأهمية أن تفهم كيف إن بالإمكان تقديم النتائج الدقيقة بأسلوب مضلل!

لذا ، فإن القاعدة الأساسية أن تتأكد من أن الرسوم واللوحات البيانية تبدأ من النقطة صفر (هذا ما لم تكن تحاول عامدًا أن تؤكد أو تقلل من التأكيد على أهمية نتائجك) .

تذكر أن أهم ما تقوم به هو التأكد من أنك عرضت بياناتك بطريقة:

- ملائمة لجمهورك .
- ودقيقة .
- وواضحة .

طرق أخرى للعرض

يتعرض الباحثـون ، بصورة متزايـدة ، للمطالبة بتقديم أعمالهـم بطرق مبتكرة . ويعكس هذا الوضع ـ فى جانب منه ـ طبيعة المجتمع فى القرن الواحد والعشرين ، حيث أصبح الورق «موضة قديمة» وأصبح لوسائل الاتصال الإلكترونية القدر الأعظم من الأهمية . فمعظـم المؤتمرات تحث المشتركين على عرضـ نتائجهم وتقاريرهم بطرق بصريـة ، وأشهر هذه الطرق العرضـ باستعمال الملصقات (البوسـترات) . إن الكلمة المنطوقـة لا تزال موجودة ، رغم كل شىء ، وربما يرجع ذلك إلى أنها ما زالت وسيلة اتصـال مألوفة ومرنة ، كما أن العرض الشفاهى مـا زال محتفظًا بأهميته . وتقدم هذه الفقرة بعض التوصيات الواضحة المتعلقة بهذه الأنواع من العروض .

أشكال عرض الملصقات (البوسترات)(*)

يمكن للملصقات أن تكون وسيلة رائعة لعرض نتائجك، وذلك رغم أنها لا تخلو من المشكلات؛ إذ توجد على وجه التحديد ثلاث عناصر سلبية ينبغى إمعان النظر فيها عند إنتاج أحد الملصقات:

1 - فالملصقات ليست تفاعلية.

2 - لا تستطيع الملصقات إلا أن تعرض عملك فى لحظة زمنية واحدة محددة.

3 - لا تستطيع الملصقات أن تنقل إلا مقدارا محدودا من المعلومات.

وبإدخال هذه الاعتبارات فى الحسبان، نطرح فيما يلى بعض القضايا للتفكير عند تصميم وإنتاج اللملصقات:

- لابد أن تكون الملصقات مصممة على نحو يشد الانتباه، لذا يتعين عليك أن تفكر فى التوليفة التى يتكون منها جمهورك (انظر فصل 1 باب 5) وأن تعثر على طريقة ما تجعل ملصقك جذابا فى نظرهم.
- لا يمكن للملصقات أن تحتوى إلا على كمية محدودة من المعلومات. من الأخطاء الشائعة محاولة حشر معلومات أكثر مما يجب فى الملصق، مما يؤدى إلى صورة طباعية ذات حروف أصغر من أن تقرأ من مسافة بعيدة. فنادرا ما تبدوا الملصقات المليئة بالنصوص المكتوبة مثيرة للاهتمام، لذا فلتحرص قدر إمكانك على أن يكون عدد الكلمات فى حده الأدنى.
- تأكد من أنك تستعمل أطقم حروف طباعية سهلة القراءة (تعتبر أطقم الحروف الطباعية القياسية ذات المقاس غير الصغير، مثل حروف إيريال Arial وحروف فردانا Verdana، اختيارا مناسبا). فكر فى مقدار المسافة التى سيقف عندها الأفراد (ليقرؤوا ملصقك) وتأكد من أن حجم الحرف الطباعى كبير بما يكفى لقراءته من مسافة متر واحد على الأقل (ربما لا يكون أقل من «فونط» 18 «مقاس»).
- فكر فى الألوان. تخير بعناية لون الخلفية الذى ستكون عليه اللوحة التى سيثبت عليها

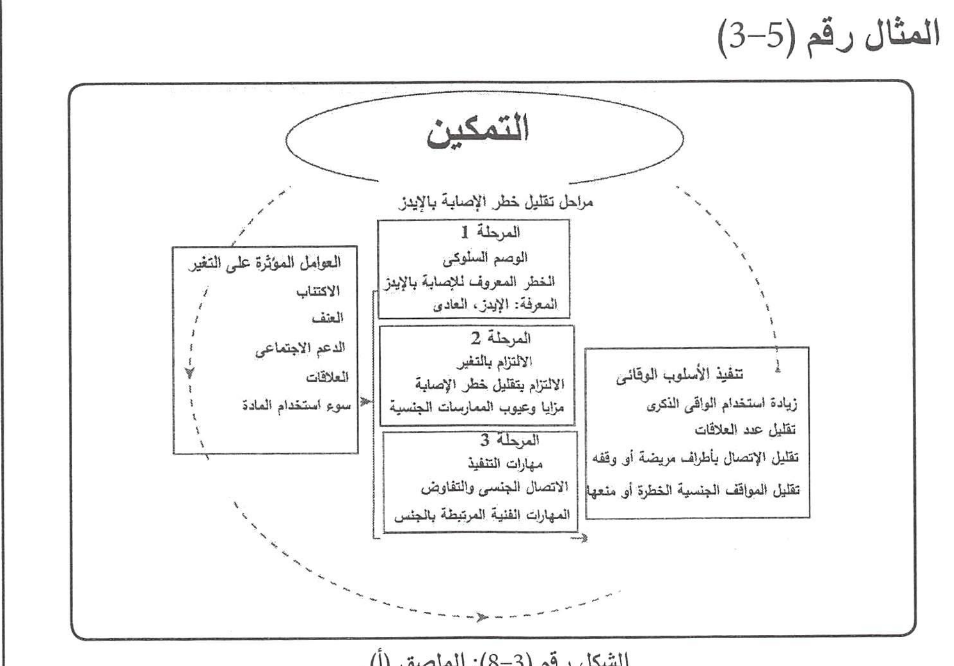
(*) تقوم المؤتمرات العلمية العالمية اليوم على نشاطين رئيسيين وعدة أنشطة ثانوية. النشاط الأول هو إلقاء البحوث والمحاضرات، والثانى هو الملصقات (أو البوسترات). والملصق لوحة من ورق (بأنواعه) أو قماش بلاستيك ... إلخ. ويحتوى البوستر على عرض مختصر لموضوع البحث، وأقسامه، وأهم النتائج، وصور توضيحية.. إلخ. وقد يشارك البعض بإلقاء بحث أو محاضرة، أو تقديم ملصق (بوستر)، أو كليهما. والعادة أن يخصص لمشاهدة الملصقات ومناقشة أصحابها جلسة أو أكثر من جلسات المؤتمر. ولم تعرف مؤتمرات العلوم الإنسانية والاجتماعية فى بلادنا تقليد الملصقات بعد، ولكن المؤتمرات فى ميدان العلوم الطبيعية والتطبيقية تعرفه جيدًا. (المترجم)

ملصقـك أو اللافتة التى سيوضع عليهـا ، وهو اللون الذى سيكون عنصرا أساسيا فى ملصقك ، واستعمل الألوان الأخرى بحرص وحذر .

- إن كنـت تعرضـ ـ فى هذا الملصق ـ تقريرا عن البحث ، فمن الأفكار الجيدة ، عادة ، أن تستعمل نفس نوع البنية الذى يجب أن تستعمله فى أى تقرير (أعنى بذلك عرض: المقدمة ، وطـرق البحـث ، والنتائج ، والخاتمـة) . إن تأكدت أن ملصقك يروى قصـة (لها بداية ، ووسط ، ونهاية) فمعنى ذلك ـ على الأرجح ـ أنك تسير على الطريق الصحيح .
- فكـر بعناية فى الصور التى سوف تستخدمها ، وكن حريصا بصفة خاصة على التأكد من أنها ذات صلة وثيقة بعملك .
- لا تنس الأمور الواضحة مثل ذكر اسمك (أو أسمائكم) وإعطاء التفاصيل الخاصة بالاتصال بك .
- تأكد من أن العنوان ظاهر (كبير فى حروفه وقاتم فى لونه!) .

ونقـدم فيمـا يلى بعض أمثلة ملصقـات عرض قدمت «فعلا» فـى مؤتمرات: اسأل نفسك عن مدى جودة أداء هذه الملصقات لمهمتها .

المثال رقم (3-5)



الشكل رقم (3-8): الملصق (أ).

المصدر : المركـز التعليمى للدعـم التكنولوجى والتربـوى [CITES] (http://nursing.unc.edu/cites/presentation/example__graphic.jpg) جامعـة نـورث كارولينا ، تشابل هيل ، معهد التمريض ، تم التصريح بالنشر .

المثال رقم (3-6)



الشكل رقم (3-9): الملصق (ب).

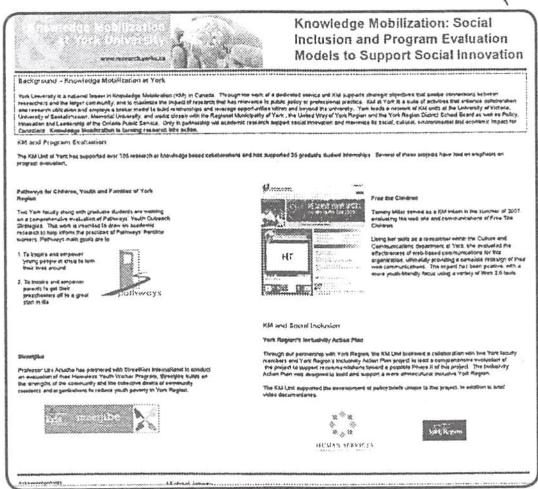
المصـدر: المركز التعليمـى للدعم التكنولوجـى والتربـوى [CITES] (http://nursing.unc.edu/cites/presentation/example__ graphic.jpg) جامعـة نـورث كارولينا، تشابل هيل، معهد التمريض، تم التصريح بالنشر من الدكتور جين جوبنجر.

أشكال العرض الشفاهية

عندمـا يطالب الدارسون بتقديم عروضـ شفاهية، فإنهم يكونون فى العادة قلقين. ورغم أن الأفـراد يتباينون فى قدراتهم وفى ثقتهم بأنفسهم، فمن النادر أن يحب أى امرئ فكرة أن يكون معرضا لجمهور يحتمل أن يكون ميالا للانتقاد، كما أن الكثير منهم يكونون خجولين. وبطبيعة الأمر، تكون المرة الأولى هى الأسوأ، كما أن كثير من المتحدثين (والممثلين) يعتقدون أن درجة ما من درجات الشعور «برهبة المسرح» أمر جوهرى لا بد منه للأداء الجيد.

يتمثل الاختلاف الأكبر بين العرض الشفاهى وغيره من أنواع العروض فى كونه عمليـة دينامية. إذ توجد غالبا حاجة للتفاعل مـع الجمهور - ويرى كثير من المتحدثين المتمرسين أن هذا التفاعل أمر جوهرى - كما تتوافر لك دائمًا الفرصة لتغيير ما تقوله.

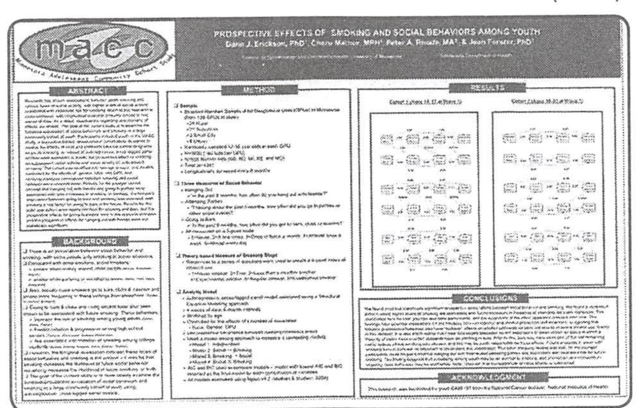
المثال رقم (3-7)



الشكل رقم (3-10) : الملصق (جـ).

المصـدر : موقـع تأثـير البحـوث (http://researchimpact.files. wordpress.com/2009/05/april-30-poster-v3mj.jpg) تم التصريح بالنشر.

المثال رقم (3-8)



الشكل رقم (3-11) الملصق (د) .

المصدر: قسـم الوبائيـات والصحة العامة ، جامعـة مينيسوتـا (www.epi.umn.edu/research/macc/2008__macc__ppt/EricksonSPR08 __Poster.jpg). حقـوق النشر مسجلة 2009 لجامعة مينيسوتا . تم التصريح بالنشر .

الإعـداد

من المحال أن نتجاوز عن تأكيد أهمية التحضير والإعداد الملائم للعروض الشفاهية، إذ يلزمك أن تعرف موضوعك معرفة تامة وأن تكون على بصيرة بالترتيب الذى ستقدم أفكارك وفقا له. بجانب ذلك، يتعين أيضا أن تدرك ما عليه حال المعدات المتوافرة لك، وهذا يقتضى منك فى العادة القيام برحلة سريعة للقاعة التى سوف تعرض فيها، وذلك للتأكـد من الإمكانيات الموجودة. ونحـن نوصيك بأن تكون حذرا فيما يتصل بالاعتماد علـى التكنولوجيا (خاصة الأشيـاء التى تشبه التوصيلات الخاصـة بالإنترنت) لأنها لا تكون مما يعتمد عليه دائمًا.

هل تكتب نص الكلمة أم لا؟

يميـل معظم الأفـراد، على الأقل فى أول مرة يعرضون فيهـا، إلى أن يكتبوا نص الكلمـة التـى سليقونها. ومن الراجح أن يكون ذلك التصرف أمـرا جيدا تقوم به حينما تشرع فى هذا العمل، وذلك لأنه يوفر لك «شبكة أمان» فيما يتصل بما تريد أن تقوله. تتمثـل الصعوبة الرئيسية فى استخدام النصوص المكتوبة فى أنها تميل إلى تقييد المتحدث بالكلمـات المكتوبة على الورق مما يعنـى أن يكون المتحدث غالبا أقل ديناميكية مما كان يمكن أن يكون عليه. ومع هذا فإنها طريقة حسنة للتحضير.

عندمـا تزداد خبرتك وثقتـك بنفسك فسيكون مـن المحتمل أن تتخلى عـن استعمال الكلمات المكتوبة وتتجه لاستخدام المذكرات المفصلة. وهذه طريقة حسنة أيضا.

بنيـة التحديـث

لعل أهم أجزاء أى عرض هو بنيته. فلا بد من التأكد من أن له بداية ووسطا ونهاية. يقول بعض المتحدثين إنه توجد ثلاث قواعد لمحتوى العروض:

1 - عرف الجمهور بما سوف تخبرهم به (المقدمة).

2 - عرفهم (الوسط/ المتن الرئيسى).

3 - عرفهم بما قد أخبرتهم به (الخاتمة).

فإن اتبعت هذه «القواعـد» على سبيل الاسترشاد، فسيكون عرضك ـ على الأقل ـ ذا بنية واضحة.

التدريب المسبق (المران أو «البروفة»)

لابد أن تتدرب على تقديم عرضك. فلن يقتصر أمر هذا التدريب على أنه يجعلك متأكدا من العلم والإحاطة بمحتوى العرض، بل سيمكنك كذلك من الالتزام بحدود وقتك وعدم تجاوزها، كما سيجعلك أكثر ثقة بنفسك. الواقع أنه لابديل عن التدريب والمران.

العـرض

الأمر كله تمثيل . . .

يتطلب الحديث الموجه للجمهور مـن أى متحدث أن يقدم نفسه بأسلوب معين يجعله جذابـا فى نظـر الجمهور. ونحن نرى أن هذا الأمر شبيه جـدا ببراعة فن التمثيل (كما أشرنـا من قبـل إلى «رهبة المسرح»). يختار المتحدثون تبنـى شخصية ما من شأنها أن تسهـل عليهم أداء دورهـم (مثال ذلك، أنك قـد تختار أن تقدم نفسـك بوصفك مضيفا لجمهـورك أو بصفتك خبيرا). اختر الدور الـذى ستؤديه بعناية، وذلك بجانب إعطاء الاهتمام اللازم للمهمة التى لابد أن تضطلع بها وللوسط الذى ستقدم فيه عرضك.

إمكانية السماع بوضوح

إن لم يستطـع جمهـورك أن يسمعوك، فقـد أخفقت إذن. فإن توافـرت الأدوات المساعـدة (كسماعات الإذاعة مثـلا)، فتأكد مسبقا من أنها تعمل ومـن أنك على دراية وعلم باستخدامها. تحقق فى بداية عرضك من أن الأفراد الموجودين فى الصف الخلفى يستطيعون أن يسمعوك.

الوضوح

لا يكفـى، بطبيعـة الأمر، أن تكون جهير الصوت فحسـب: إذ يلزمك أن تتأكد من أن حديثـك مفهوم كذلك. والملاحظ أن أغلبنـا، عندما يشعرون بالقلق يميلون للحديث بسرعـة بالغة ـ لذلك حـاول أن تحدث توازنا فى هذا الشـأن. ونكرر من جديد أنه لا بديل عن التدريب المسبق على أداء الدور.

الألفة والتجاوب مع جمهورك

يتوقـع المستمعون إليك أن تكون مهتما بهم، وهـم يستحقون ذلك– فهم فى النهاية، منصتـون إليك. سيحتـاج أفرادها هذا الجمهور إلى أن يتصـوروا أنك مهتم بهم، كما أنهم سيصدقون أن هذا هو الواقع إن نظرت إليهم والتقت عيناك بأعينهم.

تلاقى العيون وكيفية التظاهر به

يمكـن أن يكون نظر المتحدث إلى أعين أفراد الجمهور بمثابـة مشكلة له. إذ إنه مما يثبـط الهمة أن ترى أحدهم يرسـل رسائل على هاتفه المحمول أو يقرأ جريدة (رغم أن هـذا يقع لجميع المتحدثين فى لحظة ما). فـإن كنت شخصية قوية بما فيه الكفاية، فانظر إلى الأفـرد فـى أعينهم مهما كلف الأمـر (ولكن احذر فقد بسبب نظـرك هذا الارتباك لبعض الأفراد). وفيما يتعلق بنا، فإننا نقترح استراتجيتين:

1 - *استراتيجية الحواجب:* لا تنظر إلى جمهورك فى أعينهم مباشرة : بدلا من ذلك ، انظر إلى حواجبهم: فهذا التصرف له مفعوله؛ ولن يدرك جمهورك هذا الفارق.

2 - *استراتيجية الثوانى الثلاثة:* تستطيع أن تحافظ على الاتصال «الفعلى» بالعيون ، ولكنك فى حالة استراتيجية الثوانى الثلاثة تقتصر على النظر إلى أحد الأفراد فى عينيه لمدة ثلاث ثوان ، ثم تنتقل لتفعل نفس الشىء مع شخص آخر. فإن تدربت على هذه الاستراتيجية ، فستكون تقنية سهلة إلى درجة معقولة ليس فيها ما يشتت ذهنك كما يبدو عليها فى أول الأمر.

(من المستصوب ، بطبيعة الأمر ، أن تنظر إلى الجمهور كله من وقت لآخر).

الفكاهة والحيل الأخرى

لا نقترح عليك أن تروى الفكاهات لغرض الفكاهات (ولكن فى حالة وقوعك فى مأزق طارئ، يمكنك أن تقول مثلا: «كم عدد مشجعى النادى الفلانى (واذكر هنا اسم أى فريق كرة قدم) اللازمين لتغيير مصباح كهربائى؟ كلاهما)(*). إلى جانب ذلك ، فإن الأفراد يتذكرون الأمور على وجه أفضل حين يكونون مشاركين فيها ، لذلك فإن إضحاكهم (أو إغضابهم ، كبديل لإضحاكهم) أرجح فى جعل عرضك أشد لفتا لانتباههم. إننا نود أن ننبهك إلى أن تتأكد من أنك لا تدخل فى الموضوعات الجادة شيئا لا لزوم له من الخفة والطيش.

إدماج الجمهور فى العرض

سلفت الإشارة إلى أن الأفراد الذين يكونون إيجابيين يزداد احتمال تذكرهم لمضمون عرضك ، لذا أدخلهم كشركاء فيه. اجعلهم يشاركون فى أحد أشكال التصويت أو اطرح الأسئلة عليهم. فالغالب الأعم أن أى نوع من أنواع المشاركة سيكون له تأثير إيجابى.

تكلم - لا تقرأ!

يؤول أمر المتحدثين الذين يقرؤون من مذكراتهم أو نصوصهم المكتوبة إلى أن يصيبوا جمهورهم بالملل كثيرا ، ويرجع سبب ذلك فى جانب منه إلى أنهم بهذا التصرف لا يظهرون أنهم مدركون لوجود جمهورهم (أو مستمعيهم) وعادة ما يقوم المتحدثون المحنكون بعملهم مستعملين عددا قليلا من المذكرات (أو بدون مذكرات مطلقا!) ، إلا أن اكتساب هذه الخبرة يحتاج لوقت طويل ، كما تحتاج إلى الثقة بالنفس التى تظهر كما ازدادت الخبرة. بالنسبة لنا ، لا خطأ فى استعمال المذكرات ، ولكن حاول ألا تقتصر على القراءة منها.

(*) تعتمد هذه الفكاهة على التلاعب بمعانى لفظ supporter لإحداث القفشة الفكاهية هنا. (المترجم)

كيف تتظاهر بالحديث وبأنك لا تقرأ

توجد استراتيجيتان يمكنهما المساعدة فى هذا الشأن (وإن كانت الممارسة هى الأفضل فى العادة).

- إن كنـت مضطرا إلى استعمال المذكرات التفصيلية أو استعمال نص مكتوب؛ فحاول إذن طباعتها باستعمال طاقم حروف طباعية كبيرة وتركها على المنضدة أمامك بحيث تستطيع قراءتها بدون الاضطرار إلى رفعها والإمساك بها أمامك وجهك.
- ضع فى مذكراتك علامات تذكيرية فى مواقع منتظمة تذكرك بالنظر إلى جمهور المستمعين.

المعينات البصرية

يمكـن أن تكـون الوسائل البصرية المساعـدة مفيدة. وفى أيامنا هـذه، يعتبر معظم الأفراد على دراية ومعرفة ببرامج الحاسب المرنة فى العرض «باوربوينت» التى من إنتاج شركة مايكروسوفت، بجانب معرفتهم بالسبورات البيضاء والسبورات الورقية. وهذه الوسائل يمكن أن تكون مفيدة، لكن من اللازم استعمالها فى نطاق ضيق، وذلك لكى لا تشتت انتباه المستمعين عن الجزء الشفاهى من العرض.

المظهـر

نـورد فى النهايـة ملحوظة سريعة عن «أصول ارتداء الملابـس». مع أن من المستبعد أن تهتم كثيرا بالطريقة التى تقدم بها نفسك لأداء عرض لبحثك جامعى قبل التخرج، فإنه يجـدر بك أن تفكر مليا فى «الرسائل» التى تحملهـا ملابسك. يرى البعض أنه، فى حالة عرض موضوع جـاد، يكون من المفيد ارتداء الملابس الدالـة على المحافظة والاعتدال. ليسـت مهمتنا أن نعطيك تعليمات فى كيفية ارتدائك لأحسـن الملابس. لكننا نرى فعلا أنه ينبغى عليك أن تدخل هذا الأمر فى الحسبان وأنت تضع خطة حديثك أمام الجمهور.

فكر فى هذا الموضوع . . .

مبادئ: «إنجلبرج» السبعة (للحديث إلى الجمهور)

- الهـدف: لماذا تتحدث؟ ما الـذى تريد إطلاع أفراد الجمهور عليه، أو تريدهم أن يتصوروه، أو يؤمنوا به أو يعملوه كنتيجة لحديثك؟
- الأفراد: من هم جمهورك؟ كيف تؤثر السمات الشخصية، والمهارات، والآراء، والسلوكيات الخاصة بجمهورك على تحقيق هدفك؟

- المكان: لماذا تتحدث إلى هذه الجماعة فى هذا الوقت وفى هذا المكان؟ إلى أى مدى يمكنك التخطيط والتكيف مع الاعتبارات اللوجيستية (الاعتبارات الخاصة بالنقل والإمداد) لهذا المكان؟ إلى أى مدى يمكنك استخدام المعينات البصرية فى مساعدتك على تحقيق هدفك؟
- الإعداد (أو التحضير): أين وكيف يمكنك العثور على الأفكار والمعلومات الجيدة المناسبة لحديثك؟ ما مقدار، وما أنواع المواد المساعدة التى تحتاج إليها؟
- التخطيط : هل يوجد ترتيب طبيعى للأفكار والمعلومات ستأخذ به؟ ما أشد الطرق تأثيرا فى تنظيم حديثك لكى تكيفه وفقا للهدف، والأفراد، والمكان، إلى آخره؟
- الشخصية : كيف تصبح مرتبطا برسالتك بطريقة إيجابية؟ ما الذى يمكنك عمله لإظهار كفاءتك، وجاذبيتك وشخصيتك للجمهور؟
- الأداء: ما شكل الإلقاء الذى يكون ملائما بصورة أفضل لهدف عرضك؟ ما أساليب الالقاء التى ستجعل عرضك أكثر تأثيرا؟ كيف ينبغى لك أن تتدرب على الإلقاء؟

(دالى وإنجلبرج، 1994).

المراجع وقراءات للاستزادة

Daly, J. and Engleberg, I. (1994) *Presentations in Everyday Life: Strategies for Effective Speaking*, New York: Houghton Mifflin.

Flinn, C. (1999) Developing a poster presentation, George Mason University Writing Center, available at www.gmu.edu/departments/writingcenter/ppt/

Kumar, R. (1996) *Research Methodology*, London: Sage.

Murray, R., Thow, M. and Strachan, R. (1998) Visual literacy: designing and presenting a poster, *Physiotherapy*, 84(7): 319–27.

Tham, M. T. (1997) Poster presentation of research work, University of Newcastle upon Tyne, School of Chemical Engineering and Advanced Materials, available at http://lorien.ncl.ac.uk/ming/Dept/Tips/present/posters.htm

الفصل الرابع
النشر والبحوث المستقبلية

محتويات الفصل

- ما النشر؟
- لماذا ننشر؟
- القضايا الأخلاقية.
- اتخاذ القرار فى عملية النشر.
- البحوث المستقبلية.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

يناقش هذا الفصـــل الطرق التى بها يمكنك أن تعرف الناس بما أنجزه مشروعك. فهـو يلقى نظرة فاحصة على موضوع النشـر كجزء من تصميم البحث (انظر فصل3 باب2) وكقضية أخلاقية (انظر فصـل5 باب1). بالإضافة إلى ذلك، فإن ما ورد هنا من الجوانب المتنوعة للكتابة قد تمت معالجته بمزيد من التفصيل فى الفصول 1، 2، 3 من هذا الباب. ويلقى هذا الفصل نظرة فاحصة على طرق النشر ووسائله، كما يناقش الحاجــة الدائمة لإجراء المزيد من البحوث. ومع أن هـذا الفصل موجه إلى الباحثين الذين أنهوا مرحلة البكالوريوس، فإنه يقدم أيضا معلومات مفيدة لكل إنسان.

مــا النشـــــر؟

تقـدم معظم البحوث إسهاما يضاف إلى جملة المعرفة المتوافرة، كما أن من الأهمية ألا تضيـع ما تكتشفه البحوث من حقائـق وما تنتهى إليه من نتائج، بل يجب أن تكون متاحة للغـير. فـى بعض الحالات، يكون علـى الباحثين واجب (ويكون فـى الغالب نوعا من الالتـزام التعاقدى) بتقديم تقرير عن بحوثهم لأفراد أو جماعـات معينة. وهذا هو الحال غالبا حينما يكون البحث ممولا من جانب منظمة خارجية. وفى بعض الحالات، لا يسمح للباحث بنشر تقرير بحثه على نطاق أوسع، وينسحب ذلك غالبا على البحث الذى يجرى لحساب الإدارات الحكومية أو على البحث الذى يكون حساسا من الناحية التجارية.

فالنشر (انظر قائمة المصطلحات) يذيع أخبار نتائج بحثك لتصل إلى جمهورك المختار (انظر فيما بعد) أو ربما لتصل إلى الجمهور عموما.

لمــاذا ننشـــر؟

أكدنا من قبل أن النشر جزء لا يتجزأ من العملية البحثية ، وليس مجرد فكرة تخطر فى البال متأخرة ، لهذا يمكن اعتباره المرحلة النهائية فى مشروعنا.

ويستهدف النشر ـ ببساطة ـ التأكد من أن نتائج بحثنا متاحة لهؤلاء الأفراد الذين يحتاجون لمعرفتها (أو من ترى أنهم ينبغى أن يعرفوها). وهناك أيضا أهداف أخرى للنشر؛ فبالنسبة للطلبة، عادة ما يتمثل النشر فى عملية تقديم المشروع الكامل للأستاذ المشرف الذى يتولى تقييم العمل وإعطائه تقديرا. وبالنسبة للأساتذة الجامعيين، عادة ما يتمثل هدف نشر البحث بينهم فى طرح المعلومات داخل هذا المجال العام حتى يكون بالإمكان نقده وتقييمه من جانب الأقران والزملاء (كجزء من عملية النشر غالبا).

وهكذا لا يخلو نشر البحث من المخاطر. فمن الممكن أن:

- لا يحصل عملك على الدرجة التى كنت ترجوها.
- لا يكون بحثك بنفس درجة الجدة والأصالة التى كنت تأمل فيها.
- لا يرى أقرانك أن نتائج بحثك صالحة للنشر.

ولا ريب أن النتائج المعاكسة ممكنة أيضا!

القضايــا الأخلاقيــة

سبق أن تأملنا بعمق العلاقة العامة بين الأخلاقيات والبحث الاجتماعى فى فصل 5 باب 1. بجانب ذلك، يتعين أن نتأمل بنفس العمق مفهوم النشر والأخلاقيات.

وجوهر الأمر أن هذا الوضع ينطوى على قضية خلافية محتملة: هل ينبغى على الباحث أن يكشف عما يعتقد أن من شأنه أن يؤثر على الجمهور العام؟ وما الخطوات التى ينبغى اتخاذها للتأكد من إذاعة هذه المعلومات ونشرها بصورة ناجحة؟ أحيانا ما تكون الإجابة سهلة وواضحة: إن كان عملك مقيدا بالالتزامات التعاقدية، فليس أمامك حينئذ سوى الالتزام بها. وإن كان الأمر خلاف ذلك، فإن الموقف سيصبح ساعتها أشد تعقيدا كما أنه سيتطلب المزيد من التفكير. ونحن لا نملك الأهلية لنصيحة الأفراد فى هذا المقام حيث إن كل حالة سوف تختلف عن غيرها. بجانب ذلك، فإننا نلح عليك فى التأكد من أنك أدخلت فى حسبانك هذه القضية (المحتملة) فى مرحلة مبكرة من مراحل تصميم بحثك (فصل3 باب 2) حتى لا تتحول إلى مفاجأة.

اتخاذ القرار فى عملية النشر

هناك - فـى الحقيقة ـ مرحلتان رئيسيتان للنشر (مـادام أنك لست ملزما باستخدام عمليـات معينة تقضى بها التعليمـات الخاصة بما عليك من تكليـف دراسى، أو يقضى بها عقدك البحثـى). وهاتان المرحلتان هما : مرحلة تقرير من هم جمهورك؟ ومرحلة تقرير كيف وأين تنشر؟

اتخاذ القرار بشأن تحديد الجمهور

تناولنا موضوع أهمية الجمهور فى فصل 1 باب 5. والقرار الأولى الذى يتعين اتخاذه هـو الإجابة على هذين السؤالـين : من الذى يحتاج للمعرفة؟ ومن هـم الذين تعتبر نفسك ملتزما بإخبارهم؟ بالنسبة للطالب الذى يقدم العمل لتقييمه، يكون اتخاذ هذا القرار سهلا إذ سيكون لديك تعليمات تتلقاها من جامعتك أو كليتك تحدد لك الطريقة التى تقدم بها عملك.

الجدول رقم (4-1): وسائل النشر وطرقه

وسائل الاتصال	الطريقـــة
وسائل الاتصال الورقية	التكليف الدراسى الرسالة العلمية الجامعية تقرير البحث مقال فى مجلة علمية كتاب
وسائل الاتصال الإلكترونية	المجلة العلمية الإلكترونية المدونة موقع على الشبكة مقابلة إذاعية/ أو تليفزيونية
الكملة المنطوقة	مؤتمر (وغالبا ما يكون مرتبطا بالورق) سمينار (أى حلقة دراسية)

وأيا مـا كان الأمر، فإن كنت تخطط لتجعل نطاقـا أوسع من الناس يتعرفون علـى بحثك، فإليك قائمة بالأفـراد الذين قد ترغب فى (أو تحتـاج إلى، أو تكون ملزما تجاههم) بأن تعرفهم ببحثك:

- راعى البحث / أو مموله.
- المدير / رئيس العمل.

- واضعو السياسات.
- صاحب العمل المتوقع.
- الجمهور.
- الأقران/ الزملاء.

هنـاك جماعة لم يرد لها ذكر مـن قبل فى هذه الفقرة، قد تكـون ملزما بأن تقدم لها تقريـرا عن نتائج بحثـك، هذه الجماعة هى: شركاء بحثـك (المبحوثين). قد تكون اتفقت معهم على إطلاعهم على نتائج بحثك بطريقة ما، أو قد تكون راغبا فحسب فى إشراكهم فـى الاطلاع على هـذه النتائج. فإن تكن هذه هى حالتك، فتأكد مـن أنك قد أدخلت فى حسبانـك القضايا الأخلاقية التى أوجزنا القول فيها فـى فصل 5 باب 1، خاصة القضايا المتعلقة بالسرية/ أو مجهولية الاسم وبالحاجة لحماية شركائك من الضرر.

كيف وأين «تنشر»

إن كنت تخطط لتعريف الناس ببحثك، فإليك بعض القرارات التى لا بد من اتخاذها. أول هـذه القرارات يتعلـق بنطاق النشر. فهـل ستنشر نتائجك على نطـاق محلى، أم قومى، أم دولى (وربما - بالطبع - على نطاق يجمع بين توليفة من هذه النطاقات)؟

إن كنـت طالبـا جامعيا ما زلت تدرس فى مرحلـة البكالوريوس، فقد يكون احتمال صلاحيـة بحثك للنشر على نطـاق دولى احتمالا ضعيفا (إلا أنـه لا يمكنك أبدا أن تكون متأكدًا من هذا الأمر: فخذ المشورة دائما من الأستاذ المشرف عليك) كما أن من المستحسن ألا تشغل هذه القضية بالك كثيرا. فإن كنت مهتما بالأمر، فإننا نوصيك حينئذ بأن تمعن التفكير فى طرى ووسائل الاتصال المبينة فى الجدول رىم (4 - 1)أعلاه.

البحوث المستقبلية

هناك دائما حاجة لإجراء المزيد من البحوث عن أى موضوع ما. فلا شىء فى العلوم الاجتماعية، حتى الآن، تم وصفه أو تفسيره بصورة كاملة، كما أن كل مشروع بحثى سيكون له بعض أوجه العجز أو القصور.

لهذا السبب، ينبغى أن يبين نشرك لبحثك أنه، ورغم أنك قد استوفيت أداء ما سبق أن أعلنت أنك ستقوم به، ما زال يوجد المزيد الذى ينبغى القيام به (بواسطتك أو بواسطة الآخرين).

المراجع وقراءات للاستزادة

Nursing and Health Sciences، 8 (1) (March)، 2006.

Walker، D. (2001) *Heroes of Dissemination*، Swindon: ESRC.

ملحـــق الكتــــاب

قائمة المصطلحات والمفاهيم الأساسية الواردة فى الكتاب مرتبة أبجديا ومشروحة

الإبســـتمولوجيا Epistemology : الإبســتمولوجيا نظرية للمعرفة، وهــى تطرح رؤية ما وتبريــرا لمــا يمكن اعتباره معرفة، أى ما الذى يمكن معرفتــه، وما المعايير التى لا بد لمثل هذه المعرفة أن تستوفيها لكى تستحق أن تسمى معرفة وليست اعتقادات.

الاتجاه الاســتقرائى Inductive Approach : اتجاه فى جمع البيانــات وتحليلها يعالجها بالشكل الذى تم به ملاحظتها، وسماعها، وتسجيلها.

الاتجاه التأويلى Interpretivist Approach : يعنى الاتجاه التأويلى فى البحث الاجتماعى عــادة ما يلى: جمــع البيانات الكيفية (أى الغزيرة فى التفاصيــل وفى الوصف الدقيق)، كشــف النقاب عــن المعانى الذاتية، واســتخدامها مادة البحث، تأويــل المعنى فى إطار ســياق محدد، الفهم المتعاطف، أى: «وضع الباحث نفســه فى موضع الشخص الآخر» (المبحوث). (انظر الفصل 3 من هذا الباب، والفصل 4 من الباب 2 للوقوف على مزيد من المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع).

الاتجـــاه النقـــدى Critical Approach : هو طريقــة حكمنا (من واقــع معرفتنا وخبرتنا أو ملاحظاتنـــا) على قيمـــة البيانات، والمعلومات، والمعرفة... إلــخ مما يتضمنه العمل موضـــوع التقييـــم. وعندما نصف تقييمنـــا بأنه «نقدى» فإننا لا نعنى أى معنى ســـلبى: وإنما نقصد «التقييم» وحسب. وطبيعى أن نتأمل أحد أشكال هذا التراث المنشور-الذى سبق أن عرضنا له ـ وعندها سنطرح بعض الأفكار عن الأشياء التى يتوجب عليك أن تفحصها وتتأملها.

الاتجاه الواقعى النقدى Critical Realist Approach : جرت العادة على تعريف الاتجاه الواقعى النقدى فى البحث الاجتماعى على أنه : الكشف عن الأبنية والأساليب الخفية، كشف النقاب عن علاقات القوة والإيديولوجيات المسيطرة، البحث الذى يؤدى إلى الفعل (أى التدخل)، جمع البيانات الكيفية و/ أو البيانات الكمية. (انظر الفصل 3 من الباب 1، والفصل 4 من الباب 2 للوقوف على مزيد من المعلومات عن هذا الموضوع).

الاتجاه الوضعى Positivist Approach : يعنى «الاتجاه الوضعى» فى البحث الاجتماعى عادة ما يلى : جمع البيانات الكمية ، قياس مختلف جوانب العالم الاجتماعى، أى الظواهر الاجتماعية، البحث عن العلاقات السببية القائمة بين الجوانب المختلفة للعالم الاجتماعى، غالبا ما تستخدم المجموعات الضخمة من البيانات ، كما تستخدم الإحصاءات. (انظر الفصل الأول من هذا الباب، والفصل 4 من الباب 2 للاطلاع على مزيد من المعلومات عن هذا الاتجاه).

الاتجاهات الاجتماعية Social Trends : يُنشر تقرير «الاتجاهات الاجتماعية» كل عام يقدم التقرير إحصائيات تتعلق بمجموعة من الموضوعات الاجتماعية، وهذه البيانات مأخوذة من مصادر حكومية وغير حكومية. وتقدم البيانات فى تشكيله من القوالب - كالجداول، والخرائط والرسوم البيانية – ويوفر موجز للنقاط الرئيسية ذات الأهمية فى هذه البيانات الأساس الذى تقوم عليه المناقشة. من خلال قراءتك لمثل تلك التقارير تستطيع اكتساب فهم للبيانات الإحصائية وللطريقة التى يمكن أن تعرض بها فى أفضل صورة.

الاتصال عبر الحاسب Computer-mediated Communication : أى استخدام الحواسب والإنترنت فى الاتصال بين الأفراد.

الاتصال اللامتزامن Asynchronous Communication : هو الاتصال بين الأفراد الذين لا يكونون بالضرورة على اتصال شخصى ببعضهم البعض فى نفس اللحظة.

الاتصال المتزامن Synchronous Communication : هو اتصال بين أفراد يشترك فيه جميع المتواصلين فى ذات الوقت، حيث يستطيعون الدردشة. ويعرف هذا الاتصال أيضا باسم : «الاتصال الآنى أو الفورى».

الإثنوجرافيا Ethnogrphy : يصف هذا المصطلح الاستراتيجية البحثية التى تقتضى من الباحث أن ينفق وقتا طويلا (قد يبلغ عددا من السنين أحيانا) منغمسا انغماسا تاما فى مجتمع بحثه، يرى البيانات ويسمعها من أصحابها مباشرة.

الإحالة (إلى المراجع) Referncing : الإحالة إلى المراجع لها أغراض رئيسية ثلاثة : -1 تبين من أين حصلت على أفكارك وشواهدك المقتبسة، ومن ثم فإنها تظهر أنك لم تحاول الإيهام بتقديم عمل شخص آخر على أنه عملك أنت، أى إنك لم تنتحل عمل غيرك. -2 وهى تتيح للقارئ أن يتابع أفكارك بمزيد من العمق (إن رغب فى ذلك) وأن يتأكد من أنك تستخدم المادة الملائمة. -3 وهى تظهر أنك تعلمت كيف تنتفع بأعمال غيرك فى بلورة أفكارك وإجاباتك.

الإحصائيات Statistics : 1- هى «حقائق أو أحكام كمية» (قاموس أوكسفورد للإنجليزية) وفى البحث الاجتماعى ينطبق مفهوم الإحصائيات على البيانات المقننة القابلة للعد والحساب أو المعبر عنها فعلا بعبارات عددية. وعادة ما تجمع هذه البيانات باستعمال استبيان أو استمارة، -2 «هى أى سمة من السمات العددية لعينة ما» (قاموس أوكسفورد للإنجليزية)، وقد تم تطوير واستخراج كثير من تقنيات التحليل الإحصائى من واقع استعمال العينات المختارة من مجتمع بحث ما بوصف هذه التقنيات الأساس الذى يقوم عليه جمع البيانات فى كل من العلوم الطبيعية والاجتماعية. فالإحصائيات هى سمات العينة التى يمكن عدها، مثال ذلك: عدد الرجال، عدد الأفراد التى يقرؤون جريدة الديلى ميل، وعدد الطلبة الحاصلين على ثلاثة تقديرات «ممتاز»، كلا التعريفين مفيد لنا ونحن نبدأ التفكير فى إجراء تحليل إحصائى.

الاختبار الاستطلاعى Pilot Test: محاولة أو فرصة لتطبيق إحدى طرق جمع البيانات على عينة صغيرة من الحالات قبل القيام بالعملية الرئيسية لجمع بيانات البحث. ومن الممكن كذلك تجريب صياغة عبارات الأسئلة واختبار فهم المبحوثين وإجراءات جمع البيانات؛ من الممكن تجربة هذه الأمور كلها وتعديلها إن لزم الأمر قبل المرحلة الرئيسية للبحث.

اختبار كاى تربيع Chi-Squared Test : ويعنى الاختبار الذى يمكن استخدامه للحكم على ما إذا كان الفرق بين متوسطى عينتين دال إحصائيا (ويقصد بكلمة دال أنه يستحق الاعتبار والملاحظة). ويمكن استخدامه لمقارنة المتغيرات الاسمية أو متغيرات الرتب، كمتغير الذكر والأنثى مثلا.

الاختيار النظرى للعينة (أو المعاينة النظرية) Theoretical Sampling: إحدى طرق اختيار العينة التى يتم فيها انتقاء الحالات الأولية عادة على أساس غير مقنن نسبيًا : فعندما تبدأ النظرية فى الظهور من داخل البيانات الأولية، يتم اختيار حالات إضافية بغرض استكشاف واختبار تلك النظرية الآخذة فى الظهور. ويستمر هذا العمل إلى أن يتوقف ظهور نظريات جديدة، ويتم الوصول إلى التشبع النظرى.

أخلاق البحث الاجتماعى Ethics : يمكن القول بأن الأخلاق عبارة عن مجموعة من القواعد التى بواسطتها يحافظ الأفراد وتحافظ المجتمعات على الالتزام بالمعايير الأخلاقية فى حياتها. ويعرفها ماكولى على النحو التالى: تعنى أخلاقيات البحث الاجتماعى خلق علاقة احترام متبادل بين الباحث والمبحوثين، تعود على الطرفين بالفائدة، ويقبل فيها المبحوثون ـــ بكل رضا ـ على الإجابة عن الأسئلة بصراحة، وتؤدى إلى نتائج صادقة، بحيث يعتبر المجتمع هذه النتائج مفيدة وبناءة. ويعرفها مجلس بحوث العلوم

الاقتصادية والاجتماعية (2009) على النحو التالى: يشير مصطلح «أخلاقيات البحث» إلى المبادئ والأسس الأخلاقية التى توجه البحث منذ بداياته الأولى وحتى اكتماله ونشر نتائجه، وحتى فيما بعد هذا كله.

أداة البحث Research Tool : هى الشىء الذى يستخدم لجمع البيانات، كالاستبيان، أو الباحث نفسه، أو دليل المقابلة.

الإدلاء بالبيانات Data Production : هو طريقة التعبير عن الخبرات الاجتماعية، والأفكار، والمشاعر، والسلوك وغير ذلك من الظواهر الاجتماعية، وذلك باستخدام الكلمات. وهكذا تصبح هذه الظواهر متاحة كبيانات اجتماعية. ويستطيع الأفراد والجماعات الإدلاء بالبيانات بواسطة الكلام، والكتابة، والتفكير ـ باستعمال اللغة. وبهذا يمكن اقتسام هذه البيانات مع الآخرين باستعمال لغة مشتركة.

الارتباط أو العلاقة الارتباطية Association or Associative Relationship: انظر: العلاقة الارتباطية أو علاقة الارتباط.

الاستبيان Questionnaire : هو قائمة من الأسئلة يكون لكل سؤال منها مجموعة من الإجابات. أو هو استمارة تتيح جمع البيانات الموحدة قياسيا، والمقننة نسبيا، عن كل حالة من الحالات كبيرة العدد عادة.

الاستبيان الإلكترونى Electronic Questionnaire : استبيان يصممه الباحث، ويستوفيه المشارك (المبحوث)، وذلك عبر الاتصال بالكومبيوتر.

أسلوب تاريخ الحياة Life History Approach: طريقة فى جمع البيانات يطلب فيها من المبحوثين أن يحكوا قصة حياتهم، مع التركيز بشكل خاص على الأحداث المشتركة.

الأسئلة البحثية المساعدة Subsidiary Research Questions : هى أسئلة من شأنها أن تساعدك على تحديد مجالات بحثك ـ التى ستركز عليها عملك ـ بصورة أكثر دقة.

أسئلة التصفية Filter Questions : هى أسئلة تستخدم لمساعدة الأفراد على الإجابة عن أسئلة الاستبيان بمفردهم باضطراد، وتبعا لاختيار المبحوثين وفقا لما إذا كان أحد الأسئلة ذا صلة بهم، أم لا.

أسئلة تفتيح الموضوع (أو الأسئلة النابشة) Probes: هى أسئلة استكشاف عامة تعطى المبحوث الفرصة للإدلاء بالمزيد عن الأحداث والوقائع ذات الطبيعة الحساسة أو الشخصية دون اللجوء إلى طرح كثير من الأسئلة التفصيلية.

الأســئلة المحفزة Prompts : أسـئلة تتعلق بأى حوار يجرى بين الباحث والمبحوث ولكنها ترتبط أساسا بنموذج المقابلة شبه المقننة. فهى أسئلة تستهدف حث المبحوث على تغطية كل الجوانــب أو العناصر المتعلقة بموضوع الدراســة (أى موضوع المقابلة). والهدف مــن هذه النوعية من الأســئلة تذكير الباحث بأن يطرح أســئلة عن هــذه الجوانب إن لم يتعرض الباحث فى إجابته لهذه المعلومات.

الأســئلة المفتوحــة Open Questions : هى الأسـئلة التى تتيح للمبحــوث أن يجب على الأسئلة بطريقته الشخصية.

إطار المعاينــة Sampling Frame : قائمة حصرية تضم كافة أفـراد مجتمع البحث التى سوف تسحب منها العينة.

الإطــار النظرى Theoretical Framework: هو الأفـكار والاتجاهات المتعلقة بالنظرة إلى المعرفة، وجمعها، وهى التى توفر الطرق الأساسية لمعالجة موضوع بحث ما.

الاعتمادية Dependability : هى أحد مقاييس جودة البحث. وتعنى ـ مثلا ـ أن كل البيانات قد تم إدراجها، وأنه لم تُفقد أى بيانات بسبب عيب فى أجهزة التسجيل الصوتية أو بسبب قصور فى أجهزة النسخ.

إنتاج البيانات Data Production : انظر : **الإدلاء بالبيانات**.

الانتحال Plagiarism : هو تقديم عمل شخص آخر كما لو كان هو عملك أنت؛ أو نسخه؛ أو عدم الإحالة إلى العمل الأصلى، أو بيان فضل صاحب هذا العمل بطريقة أو بأخرى.

الانحراف المعيارى Standard Deviation : الانحراف المعيارى مقياس لتشتت الحالات حول المتوســط (الوسط الحســابى) حين تتوزع البيانات فى توزيع اعتدالى، حيث يقع مــا يقرب من ثلثى قيــم البيانات الموجودة داخل نطاق انحــراف معيارى واحد موجود علــى كل جانب من جانبى المتوســط، ويقع 95 % من القيم داخــل انحرافين معياريين من المتوسط .

الأنطولوجيــاOntology : هى علم أو دراســة «الوجود». وتعنــى الأنطولوجيا فى البحث الاجتماعى طريقة النظر إلى وجود العالم الاجتماعى، كما تعنى ما يمكن افتراضه بشأن طبيعة وحقيقة الظواهر الاجتماعية التى تشكل العالم الاجتماعى.

أيقونات التعبير عن الانفعالات Emoticons : وهى أشــكال اســتحدثها مســتخدمو الشــبكة للتعبيــر عن الانفعال أو الرأى أو الحالــة المزاجية. وهى تختلف عن التعبيرات النصية المكتوبة. وهى توليفه من كلمتى emotion (عاطفة / انفعال) و icons (أيقونات).

البحث Research: 1- ... هو الاستقصاء المنظم، والمنضبط والإمبيريقى، والنقدى للفروض التى توضع بشـأن بعض العلاقات التى يفترض وجودهـا بين الظواهر، -2 «البحث» فـى مفهوم اللائحة التـى تنظم عملية «تقييم البحوث الجامعية فى المملكة المتحدة» هو: عمليـة اسـتقصاء أصيل (مبتكر) يتـم القيام به من أجل تحصيـل المعرفة وبلوغ الفهم. ويغطى مثل هذا البحث أمورا تتصل مباشرة باحتياجات التجارة، والصناعة، وبأعمال كل مـن القطـاع العام والقطاع التطوعـى، وبقضايا الدرس العلمـى، وباختراع وتوليد الأفكار، والصور الذهنية، وفنون الأداء، والأعمال الفنية التى تقوم على التصميم الفنى؛ وهـى الأمور التى تؤدى للوصول إلى رؤى جديدة تتسـم بالعمـق والإتقان الفائق. كما يشـمل هذا الاسـتقصاء الانتفاع بالمعرفة المتوفرة فعلا فى عمليات التطوير التجريبى التى تسـتهدف إنتاج مواد علمية جديدة أو محسـنة تحسينا فائقًا وإنتاج معدات ومنتجات وعمليـات جديـدة، بما تنطوى عليه من تصميم وتنفيذ. ومن شـأن هذا الاسـتقصاء أن يستبعد من نطاق اهتمامه مجال الاختبار الروتينى والتحليل الروتينى لأمثال تلك المواد والمكونات والعمليات الخاصة بالالتزام بالمعايير القومية (للجودة مثلا)، وذلك باعتبار أن هذه المجالات مختلفة بشكل واضح عن مجال تطوير التقنيات التحليلية الجديدة. كما يسـتبعد هذا الاسـتقصاء من نطاق اهتمامه تطوير المواد التعليمية التى لا تنطوى على أى بحـث مبتكـر، -3 البحث عملية تدريجية تتضمن جمـع المعلومات وفحصها ونحن نقوم بالبحث كى نحسّن معرفتنا بالعالم الذى نعيش فيه وفهمنا له. ويتضمن البحث ـ فى الغالب ـ اكتشـاف شىء جديد، -4 البحث هو تنقيب أو استقصاء موجه لاكتشاف حقيقة ما عن طريق التأمل الدقيق أو الدراسـة الدقيقة لموضوع ما. فهو مسـار للدرس النقدى أو العلمى. وهو يعنى التنقيب (أو التفتيش) عن مادة أو موضوع معين : أى اسـتقصاءه أو دراسته على نحو دقيق.

البحـث الاجتماعى الإلكترونى Online Social Research : هو جمع البيانات بواسـطة الحاسب، كما يقوم ـ بالطبع ـ بتحديث الطرق التقليدية لجمع البيانات، والتى منها مثلا: الاسـتبيانات، والمقابلات، وجماعات المناقشـة ... إلخ، بحيث تكون صالحة للاستخدام فى بيئة افتراضية إلكترونية.

البحث الاستكشـافى Exploratory Research : ويسـمى كذلك البحث الاسـتطلاعى، ويقصـد بـه البحث الذى يهدف إلى الكشـف عما يعـده المبحوثون مهمـا فى موضوع البحـث، وكذلك للتعرف على الطريقة التى يسـتخدم الأفراد بهـا اللغة فى الحديث عن موضوع البحث.

البحث التفسيرى Explanatory : هو البحث الذى يهدف إلى تفسير سبب شعور الأفراد بظاهرة اجتماعية ما أو تصورهم لها بطريقة معينة.

البحث الشفاف Transparent Research : يعنى هذا الوصف ـ فى سياق البحث ـ أن العملية البحثية والقرارات التى اتخذها الباحث مسجلة ومتاحة للآخرين لتمحيصها والتدقيق فيها.

البحث المقارن Comparative Research : استراتيجية بحثية تتبع فى دراسة موضوعى بحث أو أكثر، غالبا ما تكون دولا أو ثقافات.

البيانات Data : هى مجموعة من الحقائق (أو المعلومات الأخرى، كالآراء والقيم مثلا) التى يمكن تحليلها، كما يمكن استخراج النتائج منها (مع أن كلمة data هى جمع كلمة datum فإن «قاموس أوكسفورد للغة الإنجليزية» يقر أن صيغة الجمع هذه ـ وهى كلمة data ـ تستعمل عادة بوصفها مفردا، كما هو الحال فى هذا الكتاب.

البيانات الأولية Primary Data: هى البيانات التى يجمعها الباحث خصيصا للبحث الذى يقوم بإجرائه.

البيانات التأملية (النقدية)Reflexive Data : هى البيانات التى يقدمها الأفراد بأنفسهم عندما يفكرون فيما يقومون به من أعمال، وفيما يعايشونه من خبرات ومشاعر، وعندما يحاولون فهم واقعهم الاجتماعى.

البيانات الثانوية Secondary Data : هى البيانات التى يستعملها الباحث ويكون قد سبق أن قدمها باحثون آخرون.

البيانات الخام Raw Data : هى البيانات التى لم يجرى تحليلها بأى طريقة من الطرق، وتقدم بنفس الصورة التى جمعت فيها.

البيانات الموحدة Harmonized Data : بيانات تم جمعها من عدد من المصادر المختلفة، ولكنها تأخذ فى الاعتبار اختلاف طرق جمع تلك البيانات، فهى بذلك تتيح للباحثين الحصول على بيانات مقارنة.

بيانات المؤسسات Organisational Data هى البيانات التى توفرها المؤسسات الرسمية وغير الرسمية : كالشركات الكبرى، والمعاهد التعليمية، والجمعيات الخيرية، والمنظمات الشبابية ... إلخ.

التحليل Analysis : عملية معالجة البيانات بهدف رسم صورة لها، ومناقشتها وتفسيرها وتقييمها وشرحها فى ضوء أسئلة البحث أو فرض المشروع البحثى.

تحليــل الخطاب Discourse Analysis : إحدى طرق التحليل الكيفى التى تعتمد على اللغة أو علم الألسنية.

التحليــل المتعدد المتغيرات Multivariate Analysis : هو تحليل ثلاثة متغيرات أو أكثر معا.

تحليل المتغيرين Bivariate Analysis : هو تحليل متغيرين معا فى عملية واحدة.

تحليل المضمون Content Analysis :أسـلوب للكشـف عن الفئات والمفاهيم التى تنطوى عليها البيانات وما يتكرر فيها من أفكار أو موضوعات رئيسية، وتركيزها بعد ذلك فى عدد أقل حتى يصبح من السهل فهمها.

تحليل الموضوعـات Thematic Analysis : هـو عملية معالجة البيانـات الخام لتحديد وتفسير الأفكار أو الموضوعات الأساسية.

التحيز Bias : التحيز لصالح ـ أو ضد ـ جماعة، أو فرد، أو توجه نظرى معين ... إلخ.

التخطيــط Planning : أى الترتيـب مقدما (لفعل أو لعملية يـراد تنفيذها)، وتخيل المراحل، ووضع تصور أو صياغة محددة لمشروع أو أسلوب فى التنفيذ.

التدرج الطبقى Stratification : طريقة لتنظيم مجتمع البحث لتحسـين درجة تمثيل العينة لهذا المجتمع.

تدوين الملاحظات السريعة النظرية Theoretical Memoing : «فى تحليل البيانات القائم على النظرية الموثقة، يكون تدوين الملاحظات السريعة النظرية: هى التدوين التنظيرى للأفكار المتعلقة بالأكواد الأساسية، وعلاقاتها المكودة تكويدًا نظريا، وذلك عندما تظهر هـذه الأكـواد والعلاقات أثناء تكويد، وجمع وتحليل البيانـات، وأثناء كتابة الملاحظات السريعة» (جلاسر).

التراث العلمى Literature : التراث العلمى مصطلح مركب وشامل، ولذلك إذا حاولنا وضع قائمة حصرية لعناصره ومكوناته، فسـوف يكون ذلك : (أ) وضع قائمة بالغة الطول، و(ب) سـرعان ما سـتصبح مثل هذه القائمة شـيئا باليا عفا عليه الزمن. ومع ذلك نورد فيما يلى قائمة بالمكونات الرئيسية للتراث: الكتب، المجلات العلمية المحكّمة، المجلات العلميـة غير المحكمة، الرسـائل الجامعية وبحوث المؤتمـرات، الصحف والمجلات، التلفزيون والراديو، تقارير المؤسسـات والهيئات، الوثائق الرسـمية، تقارير البحوث، شبكة الإنترنت.

الترميـز (التكويد) Coding : عملية «وضع رموز» أو علامات مميزة على المادة للانتفاع بها لاحقا عند التحليل.

التشبع بالبيانات Data Saturation : هى الفكرة القائلة بأن هناك سبلا يستطيع الباحث من خلالها أن يتأكد من أنه قد تم إنجاز «القدر الكافى» من البحث.

التصميم البحثى التجريبى Experimental Research Design : يفترض هذا النمط من أنمـاط البحوث أن المادة أو الحالات التى تجرى دراسـتها يمكن للباحث أن يتحكم فيها علـى نحو ما، بحيـث يمكنه فى النهاية قياس ما طرأ من تغيـر أو اختلاف عن الوضع الذى كان قائما قبل البحث.

التصميـم البحثـى شـبه التجريبـى Quasi-experimental Research Design : التصميم البحثى الذى يسـتخدم فى الظروف التى يمكـن فيها تحديد مجموعتين أو أكثر من المبحوثين أو البيانات التى تختلف «بشـكل طبيعى»، حيث تستخدم إحداها كجماعة ضاغطة والأخرى كجماعة تجريبية.

التصميم البحثى المقـارن (القطاعـى) Cross-Sectional Research Design : هو التصميم البحثى الذى يشـتمل على دراسـة أكثر من حالة واحدة، ويتم فيه جمع البيانات فى توقيت معين. كما يشـمل مبحوثوه مجموعات من الناس أو الحالات التى يمكن عقد مقارنات بينها.

تعـدد أدوات البحث Triangulation : مقياس للوقوف على مدى جودة البحث يعنى أنه إذا جمعت أنواع مختلفة من البيانات للإجابة على نفس السؤال البحثى، فإنه يمكن استخدام كل فئة من البيانات لاختبار نتائجها فى ضوء نتائج فئات البيانات الأخرى.

التعدد المنهجى Triangulation: انظر: المادة السابقة.

التعريف التقريبى Proxy Definition : هو تعريف مستمد من التجارب والخبرات يستخدم كبديل للأسلوب المفصل والدقيق لتعريف شىء ما.

التعريفات الإجرائية Operational Definitions : تعريفات يمكن أن يعتمد عليها الباحث وأن يعدل منها لكى تساعده فى التركيز على أسئلة البحث وعلى أن يحدد نوعية البيانات التى سيجمعها لكى يجيب عن تلك الأسئلة.

تقارير المؤسسـات والهيئـات Grey Literature: هى عبارة عن وثائـق تعدها بعض المنظمات أو الشركات، أو يتم إعدادها لحسابها.

التقييم Evaluation : هو اســتراتيجية بحثية ترتبط عادة بنــوع من التدخل أو التغيير الذى تم إحداثه، وبما إذا كان هذا التدخل قد حقق التغيير أو حقق النتائج المستهدفة أم لا.

التكرار Frequency : هو عدد مرات إعطاء كل إجابة على حدة ، أو قل: عدد مرات حدوث نتيجة معينة.

التكويد Coding : انظر الترميز.

التكويــد الانتقائى Selective Coding : فى تحليل البيانــات القائمة على النظرية الموثقة، يكــون التكويــد الانتقائى هو المرحلــة الثالثة والأخيرة فى تكويــد البيانات، وهو عملية اختيــار فئــة مركزية أو أساســية، ثم ربط كل ما ســواها من الأكــواد، والموضوعات والفئات الأخرى بها.

التكويــد المحورى Axial Coding : فى تحليل البيانات القائمة على النظرية الموثقة يكون التكويــد المحورى هو المرحلة الثانية مــن تكويد البيانات، كما أنه يتضمن ربط الأكواد بعضها ببعض.

التكويد المفتوح Open Coding : فى تحليــل البيانات القائمة على النظرية الموثقة، يكون التكويد المفتوح هو المرحلة الأولى من تكويد البيانات، وتحديد ووصف ظواهر البحث، وإعطائها أسماء مناسبة.

التنميط Typology : هو النمط الشائع لارتباط بعض المتغيرات ببعضها.

التوزيــع Distribution : هو نوع من ترتيب قيم أحــد المتغيرات الذى يبين تكرار حدوثها الملحوظ.

التوزيع الاعتدالى Normal Distribution : يشير التوزيع الاعتدالى بالمعنى الإحصائى إلى البيانات التى يتم توزيعها بطريقة منتظمة حول نقطة المتوسط فى «شكل ناقوسى». (وقد نوقش موضوع التوزيع الاعتدالى فى فصل 5 باب 2، بمناسبة افتراض أن تكون فى خصائص العينات المســحوبة من مجتمــع بحث ما موزعة حول الخصائص الفعلية لمجتمع البحث هذا). ويلاحظ فى البحث الاجتماعى الفعلى، أنه نادرا ما تتوزع البيانات بهذه الطريقة تماما، بالرغم من أن بعض أنماط البيانات يترجح أن تشبه هذا الشكل إلى حد بعيد.

التوزيع التكرارى المتجمــع Cumulative Frequency : هو ترتيب البيانات التكرارية فى فئات يصل مجموعها الكلى إلى 100 %.

الثبـــات Reliability: معيار من معايير جودة البحث، يعنى أن بوســع الباحثين الآخرين أن يتوقعــوا التوصــل إلى نفس النتائج إذا نفذوا البحث بنفــس الطريقة. أو يعنى المفهوم أن الباحث الأصلى سوف يحصل على نفس النتائج إذا كرر نفس البحث مرة أخرى.

الثقافة Culture : الثقافة هى مجمل الأفكار والسـلوكيات الاجتماعية، والعادات، والمعايير التى تشكل مجتمعة أسلوب حياة الناس فى مجتمع معين.

جداول الأرقام العشــوائية Random Number Tables : هى قوائــم أرقام تم اختيارها عشوائيا بواسطة الحاسب الآلى.

الجدولة المزدوجــة Cross Tabulation : عرض البيانات الخاصــة بمتغيرين اثنين فى جدول واحد، بحيث يمكن للباحث أن يتعرف على أوجه الشــبه وأوجه الاختلاف اللافتة داخل هذه البيانات.

الجماعة التجريبية Experimental Group: هى فى التصميم البحثى مجموعة الأفراد أو المواد التى يتم التدخل فيها أو تغييرها على نحو ما.

الجماعة الضابطة Control Group: هى فى التصميم البحثى مجموعة من الأفراد أو المواد تشبه المجموعة التجريبية من كل النواحى فيما عدا نقطة إحداث تدخل أو تغيير فيها.

جماعة المناقشة المركزة (البؤرية) Focus Group : هى طريقة لجمع البيانات تتسم عادة بأنها: تضم مجموعة من الأفراد عددهم بين 5 و 13 شــخصا، ممن يشــتركون فى أمر معين، يكون مرتبطا بموضوع البحث، وذلك للمشــاركة فى نقاش حول هذا الموضوع يقوم الباحث بإدارته.

جودة البحث Research Quality : الثبات والصدق، ودرجة الثقة، والممارســة الأخلاقية للعمل البحثى.

الحالات الســلبية Negative Cases: هى حــالات تبدو متعارضة مــع النظرية الآخذة فى الظهور أو تفندها.

الحالة التتبعية Longtiudinal Case : فى طريقة دراســة الحالة تتيح كثير من دراســات الحالة فرصة دراســتها عند نقاط زمنية مختلفة، ولذلك تُختار دراســات الحالة التتبعية على أساس إمكانية إجراء دراسات متتابعة لها عبر فترة زمنية معينة.

الحالة الكاشــفة Revelatory Case : فى طريقة دراســة الحالة تتوفر فى الحالة الكاشــفة إمكانية إلقاء الضوء على موضوع البحث. فهذه الحالة تحقق للباحث منفذًا أو تفتح أمامه سبيلا لفهم موقف كان خافيا عليه.

الحالـــة المتطرفة أو الفريـــدة Extreme or Unique Case : فى طريقة دراســة الحالة تكــون هــى الحالة التى يتم فيها التركيز على موقف أو ظرف أو جماعة تعد مختلفة عن مثيلاتهــا، ولذلك يكون هــذا التفرد هو موضوع الاهتمام. وقد تكون الحالة الوحيدة التى حدث فيها ارتباط خاص متميز بين الناس والأحداث.

الحالة الممثلـــة أو النمطية Representative or Typical Case : فى طريقة دراســة الحالة لا تكون هذه الحالة فى الحقيقة سوى عكس الحالة الفريدة تماما. فهذه الحالة تُختار لأنها تعد ممثلة لحالات مشابهة أخرى كثيرة، فهى بمعنى ما إحدى الحالات اليومية، أو المعتادة، التى تحمل أوجه شبه مع الحالات الأخرى، ويكون هذا هو مبرر اختيارها.

الحالة النقدية Critical Case : يقصد بها فى طريقة دراسة الحالة اختيار الحالة التى ستتيح للباحــث اختبار نظريـــة معينة أو فرضا معينا. فهذه الحالة تملك الإمكانيات التى توضح صحـــة تلــك النظرية أم لا. ويمكن أن تكون هــذه حالة وقع لها حدث أو طرأ عليها تغير يتيح للباحث فرصة دراسة ما ترتب على هذا الحدث أو ذلك التغير من نتائج.

الخطاب Discourse : هو نص، سواء أكان منطوقا أم مكتوبا، موجود فى أى وسيلة اتصال.

خطأ المعاينة Sampling Error : التباين المحتمل ظهوره بين متوسطات العينة ومتوسطات مجتمع البحث (أى المتوسطات الإحصائية لمختلف السمات والعناصر).

الخُميس Ouintile : هو جزء من خمسة أجزاء من عينة ما أو من مجموعات بيانات.

دراسات الأفواج/ دراسات الفوج Cohort Studies: نوع من الدراسات التتبعية التى تتناول مجموعـــة من الأفراد من نفس الســـن، وتقوم بجمع معلومات عـــن كل منهم فى مواعيد محددة طوال حياتهم.

الدراسة الاستطلاعية Pilot Test : تجربة يتم تنفيذها أو فرصة يجرى الاستفادة منها لتجربة إحدى طرق جمع البيانات من عينة صغيرة تضم عددا محدودا من الحالات، وذلك قبل الشروع فى جمع بيانات البحث الرئيسى. وفى هذه الدراسة يتم تجربة صياغات الأسئلة وفهــم المبحوثين لأســئلة البحث، وإجــراءات جمع البيانات. كما يتــم تعديل كل ذلك إذا استدعت الظروف، وذلك قبل البدء فى البحث الرئيسى.

الدراســـة التتبعية (الطولية) Longitudinal Study : التصميم البحثى الذى يتيح للباحث الالتقاء بنفس الناس أو المواقف فى توقيتات حاســمة محددة، لكى يتبين ـ من واقع هذه المتابعة ـ كيف أثرت التغيرات عبر تلك الفترات على مختلف جماعات الناس.

الدراسة التتبعية Prospective Longitudinal Study: هى دراسات بحثية تصمم منذ البداية كى تكون دراسات تتبعية.

الدراسة التتبعية الاسترجاعية Retrospective Longitudinal Study: نوع الدراسة التتبعية التى تجمع فيها بيانات عن ماضى أفراد العينة، وذلك ـ مثلا ـ عندما يطلب من المبحوثين الإدلاء بمعلومات عن خبراتهم الماضية، أو جمعها من السـجلات إن كانت متاحة.

دراسة الحالة Case Study: تشمل دراسة الحالة إما حالة واحدة أو عددا قليلا من الحالات، التــى تدرس كل واحدة منها دراســة مفصلة ومتعمقة. ويتعين جمع عــدة أنواع مختلفة من البيانات عن الحالة موضوع الدراســة، وقد تتم الاستعانة فى دراسة الحالة بالبيانات المســحية والتتبعية. وقد تكون الحالة محل الدراسة شخصا، أو منظمة، أو موقفا معينا، أو دولة، ولكن الدراسة يجب أن تنصب على جانب معين من جوانب الحالة على نحو ما يشــير ســؤال البحث. والمعتاد أن تكون لكل حالة حدود معينة ، يكون من الواضح معها ما ينتمى إلى الحالة وما لا ينتمى إليها. فدراسة الحالة ـ بهذا المعنى ـ تتبنى توجها كليا، حيــث يهتم الباحث بتأمل العلاقة بيــن مختلف الأجزاء المكونة للحالة من ناحية والحالة فــى مجملهــا، أى الســياق الاجتماعى الذى توجد فيه من ناحية أخرى. على أن دراســة الحالة ليســت مجرد دراسة متعمقة لمجتمع محلى، أو منظمة ما، أو جماعة معينة. ذلك أن الحالة ذاتها يجب أن تكون وثيقة الصلة بموضوع البحث. من هنا تكون عملية اختيار الحالة أمرًا مهما، وذلك من ناحية قدرتها على توليد البيانات التى ســتمكنك من معالجة تساؤلك البحثى.

الدراسة المنضطبة عشــوائيا Random Controlled Study : هى عبارة عن تصميم بحثى يقســم فيه المبحوثون إلى مجموعات رئيســية على أســاس العمر، أو النوع، أو الانتمــاء الإثنــى أو غيرها من الخصائــص المرتبطة بموضوع البحــث، وبعد ذلك يتم تقسيم المبحوثين عشوائيا إلى مجموعة ضابطة وأخرى تجريبية.

درجــات الحرية Degrees of Freedom : مقياس إحصائى يســتخدم مــع اختبارات كاى تربيع لحساب الدلالة الإحصائية.

الدلالــة الإحصائيــة (أو المعنويــة الإحصائيــة) Statistical Significance : الدلالــة الإحصائيــة أو المعنويــة الإحصائية هى حكم يتعلق بمدى رجحــان النتيجة الملحوظة، ليس إلا. وهى لا تضمن أن شيئا مهما أو حتى شيئا له معناه قد عثر عليه.

1 – ويتـم تصميم اختبارات الدلالة الإحصائية لاسـتعمالها مـع البيانات التى تجمع من عينـة مأخـوذة من مجتمع بحث ما. وعـادة ما يتم اختيار هـذه العينة لتمثل مجتمع بحث محددًا تمثيلا إحصائيا. والهدف الرئيسى لاختبار الدلالة الإحصائية هو توفير مقيـاس يقيـس مدى احتمال أن العلاقـات الموجودة فى البيانات المسـتمدة من هذه العينة سـوف توجد أيضا فى مجتمع البحث الأوسـع نطاقا. ومن شأن هذا الاختبار أيضـا أن يبين مـدى الاحتمال الإحصائى لأن تكون العلاقـات القائمة بين البيانات الموجودة فى العينة غير موجودة فى مجتمع البحث الأوسع نطاقا.

ويجب على الباحث أن يحدد ما هو مستعد لقبوله من مستوى الخطر الماثل فى كون بيانـات عينته مختلفة عما هو متوقع وجوده من وقائع فى مجتمع البحث الكبير. إن مستوى الخطر الذى يشيع استعماله أكثر من غيره هو: احتمال < 0.05، أو 5 % احتمال أن العلاقات الموجودة فى بيانات العينة لن توجد فى مجتمع البحث الكبير.

ولا ريب أننا لا نسـتطيع أن نكون واثقين من أن عينتنا تعتبر، أو لا تعتبر، من تلك العينات المذكورة ذات الاحتمال 5 %، إلا أننا نسـتطيع بواسـطة إمعان النظر فى مسـتوى الاختبار الإحصائى أن نتوصل إلى شـىء من الثقة بأن نتائجنا تعكس تلك النتائج التى من شأنها أن توجد فى مجتمع البحث الأكبر.

2 – تسـتعمل الدلالـة الإحصائيـة كذلك لبيـان احتمال أن تكون نتيجـة معينة مثل كاى تربيـع، قد حدثت مصادفة. ففـى المثال الخاص بكاى تربيع، طرحنا فرضا صفريا بأنه لا توجد علاقة بين المتغيرين المذكورين. فإن وجدنا أن هذه النتائج ذات دلالة إحصائية أمكننا حينئذ أن نرفض هذا الفرض الصفرى. والمسـتوى المقبول للدلالة الإحصائية، والذى يسـتعمله معظم الباحثين الاجتماعيين هو ح (احتمـال). < 5.0 أى : احتمال 5 % لعدم وجود علاقة بين المتغيرين.

دليـل المقابلـة Interview Guide : هـو برنامج المقابلـة، فضلا عما يحتـوى عليه من الملاحظات والفقرات الإضافية لمساعدة الباحث.

دليل الموضوع Topic Guide : مجموعة من الأسئلة العامة أو النقاط الرئيسية، أو الأسئلة المحفـزة المقـرر أن يغطيها الحـوار داخل جماعة المناقشـة، أو أثنـاء المقابلة. وأهم وظائفها: 1 - أنها تساعد المنسق (أو الباحث) على تذكر القضايا أو الأسئلة التى تطرح. 2 - يقتـرح طـرق لمعالجة الموضوعات وصياغة الأسـئلة. 3 - ويذكر المنسـق بأن يطرح أسـئلة تفتيح الموضوع ويتابع التعليقات. 4 - يشـتمل على نوع من التقديم وعلى طريقة لإنهاء اللقاء. 5 - يكفل تغطية نفس الموضوعات فى كل جماعة (فى حالة ما إذا

كنت تعقد جلسات لأكثر من جماعة مناقشة واحدة أو إن كان يشترك فى إدارة الحوار داخل تلك الجماعات اثنان أو أكثر من المنسقين).

الرُّبيع Quartile: جزء من أربعة أجزاء من مجموعة بيانات.

السرد Narrative : هو الوصف الذى يتناول تسلسلا لأحداث ماضية كما تبدو للراوى فى الوقت الحاضر، وذلك بعد أن يكون الراوى قد عالج هذه الأحداث، وحللها، وصاغها فى صورة حكايات.

سؤال البحث Research Question: التساؤل المبدئى الذى انبثق منه مشروع البحث بأكمله.

السؤال متعدد الأكواد Multi-Coded Question : هو السؤال الذى يتطلب أكثر من إجابة واحدة، ولذلك يرتبط به أكثر من متغير.

شبه التجربة Quasi-experiment: تعنى حرفيا «التجربة التى تكاد تكون تجربة حقيقية»، ولكنها تفتقر إلى بعض الخصائص المميزة للتجربة.

شبه المقننة Semi-Structured : مصطلح يصف البيانات، أو إحدى طرق جمع البيانات (كالمقابلة أو الاستبيان)، التى قد تختلف فيها الأسئلة والإجابات سواء من حيث صياغتها أو من حيث تفصيلها، كما أن الإجابات التى يرد بها على الأسئلة تكون ـــ غالبا ـ مصاغة بنفس الكلمات التى نطق بها المبحوث.

شفاف Transparent : انظر : **البحث الشفاف.**

الشكل البيانى Diagram : هو عرض للبيانات أو للنتائج فى قالب من الجداول والرسوم البيانية.

الشكل البيانى للتشتت Scattergram : هو رسم بيانى يحدد موقع متغيرين ليبين فى صورة واضحة ما إذا كان من الممكن أن يكون هذان المتغيران مرتبطين ببعضهما، ومدى ذلك الارتباط.

الصدق Validity : مقياس لجودة البحث، يعنى أن البيانات التى ننوى جمعها ومعالجتها لكى نجيب على الأسئلة المطروحة فى بحثنا هى تصوير دقيق وأمين لذلك الجانب من الواقع الاجتماعى الذى نقوم بدراسته.

صناديق الإجابة Check Boxes : توجد فى الاستبيان الإلكترونى، وهى صناديق (أو براويز) يمكن للمستجيبين أن يوقعوا فى داخلها علامات يجيبون بها على أحد الأسئلة.

صناديق الكتابة Text Boxes : توجد فى الاستبيان الإلكترونى، وهى صناديق (أو براويز) يمكن للمستجيبين أن يكتبوا فى داخلها إجاباتهم.

طـرق البحث الظاهـرة Overt Methods: هى طـرق البحث الصريحة التـى فيها يدرك المبحوثون أنهم جزء من البحث الذى تجربه.

طرق البحث الكميـة Quantitative Research Methods : تقوم طرق البحث الكمية أساسـا علـى جمع البيانـات المقننة ومعالجتهـا، وهى بيانات يمكن عرضها فى شـكل رقمـى. ويتـم جمع البيانات الكمية عادة ـ على نحو مـا عرضه الفصل 2 من باب 1 ـ فـى الحالات التـى يتبنى فيها الباحث اتجاها معرفيا (إبسـتمولوجيا) وضعيا، والبيانات المجموعة يمكن تحليلها إحصائيا.

طرق البحـث الكيفية Qualtitative Research Methods : أمـا طرق البحث الكيفى فتقوم أساسـا على الاهتمام بالقصص والروايـات التى يقدمها المبحوثون وتحتوى على مفاهيم، ومشـاعر، وآراء، ومعتقدات ذاتية. ويتم جمع البيانات الكيفية عادة ـ على نحو مـا أوضـح الفصل 2 من بـاب 1 ـ فى الحالات التى يتبنى فيهـا الباحث اتجاها معرفيا تأويليا ، وتكون البيانات المجموعة هى كلمات وتعبيرات المبحوثين أنفسهم.

طـرق البحث المباشـرة Face to Face Research Methods: هى طرق البحث التى تتطلب أن يلتقى الباحث بالمشاركين بأشخاصهم مباشرة.

طرق البحث المستترة Covert Methods : هى طرق البحث التى لا يدرك فيها المبحوثون أنهم جزء من مشروع البحث، أو التى يتم فيها ملاحظتهم بطريقة خفية غير ظاهرة.

الطـرق المختلطـة Mixed Methods : هى تلك الطـرق التى تجمع بين الطـرق الكيفية والكمية على نحو يكون هو الأنسب لمشروع بحثى معين.

طريقـة العينة الحصيـة (بالحصة) Ouota Sampling : طريقة من طـرق اختيار العينة تختار عددا معينا من الحالات ـ أو حصة (كوتا) ـ وفقا لتوفر عدد من المعايير فيها.

طريقة كرة الثلج Snowball Sampling : طريقة من طرق اختيار العينة يقوم فيها الباحث بسـؤال أفراد العينة المبدئية أن يحددوا له، أو يعرفوه، على أشـخاص آخرين يتسـمون بنفس خصائصهم. وبعدها يشرع الباحث فى الاتصال بهؤلاء لإجراء بحثه.

الظاهرة الاجتماعية Social Phenomenon : هى أى شـىء يؤثر فى البشر أو يتأثر بهم، فى ثنايا تفاعلهم مع بعضهم وتجاوبهم مع البعض.

العالــم الاجتماعى Social World : هو الإطــار أو الظروف الثقافية التى يتم إجراء البحث الاجتماعى فى داخلها.

العبــارات أو الأحكام التقييميــة Value Statements: هى الجمل التــى تصدر عادة من شخص ما، وتعتبر مؤشرات دالة على رأى كل شخص عندما يستعمل حكمه ومعاييره الشخصية.

عدم الاســتجابة Non-Response : تحدث عدم الاســتجابة عندما يسـحب أحد المبحوثين المختارين موافقته على الاشتراك فى مشروع البحث. وقد يرجع ذلك إلى رفضهم لفكرة البحث، أو بسبب مرضهم، أو لأنهم لا يصلحون أصلا لإجراء البحث عليهم.

العشوائى Random : يعنى أنه لا يمكن التنبؤ به، ولا يأخذ فى الاعتبار سمات أو خصائص محددة. ففى حالة المعاينة الإحصائية ـ مثلا ـ يتم اختيار العينة العشوائية من بين أفراد مجتمــع البحــث بحيث يتاح لكل حالة فرصة مســاوية لإدراجها فــى العينة التى يجرى اختيارها، ويعنى ذلك أنه لا يمكن التنبؤ بطبيعة تكوين العينة.

العشير Decile : جزء من عشرة أجزاء من عينة أو مجموعات بيانات.

العلاقة الارتباطية أو علاقة الارتباط Associalion or Associative Relationship: هى الاعتقاد بوجود علاقة إحصائية بين مفهومين أو ظاهرتين، دون أن تكون إحداهما بالضرورة سببا للأخرى.

العلاقة السببية Causal Relationship: هى التأكيد على أن تغيرًا فى الظاهرة (أ) ينتج عنه تغيرًا فى الظاهرة (ب).

العلاقة العلِّية : انظر : **المادة السابقة**.

العلوم الطبيعية Natural Sciences: هى دراســة العالم المــادى والظواهر المرتبطة به، وهى الدراسة التى تشمل ـ مثلا ـ مبحث الكيمياء ومبحث الفيزياء... إلخ.

العملية Process : سلسـلة متواصلة وغالبا ما تكون مســتمرة مــن الأفعال، التى يقصد منها تحقيــق نتيجــة محــددة. ويتطلب هذا الوضــع ــــ فى أغلب الأحيان ـ مــن هذا الأمر من الباحث أن يتبع مجموعة معتمدة عادة من الإجراءات الروتينية.

العينة الاحتمالية Probability Sample : العينة التى يمكن القول بأنها ممثلة أشــد التمثيل لمجتمع البحث كله ـ أو لكافة الحالات المحتمل دراستها ـ وذلك وفقا للمعايير المرتبطة بالموضوع.

عينة الحالات الحرجـــة Critical Case Sampling : تختار حالات مثل هذه العينة على أساس تأثيرها «الحاسم أو الشديد» فى مسار ظواهر اجتماعية معينة.

عينـــة الحالات المتطرفـــة Extreme Case Sampling : فى هـذه العينة تختار الحالات بسـبب خصائصها المتطرفة أو المنحرفة عن المعيار، وبهذا تستطيع إلقاء الضوء على ظاهرة اجتماعية معينة من منظور مختلف عن النظرة المعتادة إليها.

عينـــة الحالات النموذجية (المعتـــادة) Typical Samling : هنا تختـــار الحالات التى تعد نموذجية أو «معتادة».

العينة الحصية (بالحصة) Ouota Sampling : انظر: **طريقة العينة الحصية.**

العينة العشـــوائية Random Sample : هى العينة التى تُختار من مجتمع بحث يكون لكل حالـــة من أفراده فرصة متكافئة للدخول فى هذه العينة، ومن سـماتها أنه لا يمكن التنبؤ سلفا بطبيعة تكوين العينة.

العينـــة العمدية Puposive Sample: العينة المكونة من حالات مختارة، التى تتيح للباحث أفضل فرصة لدراسة أسئلة بحثه والإجابة عليها بشكل متعمق.

العينـــة العمدية الطبقية Stratified Purposive Sampling : لعل أشـــهر طرق اختيار العينـــة العمدية أن يتم اختيـــار أفرادها من بين مجموعات من الأفـــراد أو الحالات التى يوجد بها قدر من التباين بينها، وذلك لإتاحة إمكانية المقارنة بين تلك المجموعات. ويتم تحديد تلك المجموعات ـ التى سـتختار منها العينة ـ من واقع بيانات متوفرة سـلفا من مسح أو بيانات إحصائية سكانية.

العينة العنقودية Cluster Sample : هى عينة تتكون من حالات وقع عليها الاختيار بسبب قربها من بعضها البعض.

عينة كرة الثلج Snowball Sampleg: انظر: **طريقة كرة الثلج (فى المعاينة).**

العينة المتجانسة Homogeneous Sample : وفيها تنتمى كافة الحالات المختارة ضمن العينة لنفس الجماعة أو الفئة أو تتسم جميعها بنفس الخصائص. وتتيح لنا مثل هذه العينة أن ندرس بشكل تفصيلى متعمق ظاهرة اجتماعية معينة.

العينة المكثفة Intensity Sampling : هنا تختار الحالات لأنها «تمثل بقوة وبشكل مكثف الظواهر محل اهتمام البحث».

العينة الممثلة Representative Sample : هى العينة التى يتم اختيارها لكى تكون ممثلة لمجتمع بحث أكبر حجما.

العينة النظرية Theoretical Sample : العينة المكونة من حالات مختارة، التى تمكن الباحث - على أفضل نحو - من بلورة بعض الأفكار النظرية والكشف عن أبعادها.

العينة غير المتجانسة أو البالغة التباين Heterogeneous or Maximum Variation Sample : فى هذه العينة يعنى التأكد من التباين الشديد بين الحالات إمكانية تحديد الموضوعات الأساسية المشتركة رغم هذا التباين .

غرف الدردشة Chat Rooms : هى منتديات نقاش إلكترونى يسمح بالاتصال المتزامن، وكذلك الاتصال اللامتزامن.

غير المقنن Unstructured : مصطلح لوصف البيانات، أو طريقة جمع البيانات (كالمقابلة أو الاستبيان)، حيث لا تنتظم الأسئلة والإجابات وفق دليل أو قالب محدد.

فاقد للنظرية Atheoretical : يعنى غياب النظرية الأساسية أو مجموعة الأفكار التى تفسر ما يجرى من أمور.

الفرض Hypothesis : هو اقتراح أو حكم يقصد به شرح الملاحظات أو الوقائع؛ ويمكن النظر إليه باعتباره «تخمينا قائما على المعلومات» يتعلق بالعالم الاجتماعى، والذى من شأنه – إن كان حقا – أن يفسر الظاهرة الجارى دراستها.

الفهم Understanding: أى فهم معانى ودلالات المعلومات.

القابلية للتعميم والقابلية للتحويل Generalisability/ Transferability : وهما مقياسان لقياس جودة البحث، بهما يتساءل الباحث: إلى أى مدى أستطيع أن أدعى أن النتائج المستمدة من بحثى تصدق على المجتمع الأوسع، أم أن دلالتها تتصل ببيئة مختلفة؟

القابلية للتكرار Replicability : أحد مقاييس جودة البحث، ويعنى أن لأى باحث آخر أن يتوقع الوصول إلى نفس النتائج إذا نفذ هذا البحث نفسه بذات الطريقة التى أجرى بها.

قواعد اللغة (النحو والصرف) Grammar : هى «القواعد» التى تحكم الطريقة التى تُصاغ بها اللغة، وتحدد – فى حالة الكتابة – استعمال الترقيم وبناء الجملة حتى يكون المعنى الذى يقصده الكاتب واضحا عند القارئ.

قوائم الإجابات المحتملة Drop-down Lists : توجد فى الاستبيان الإلكترونى، وهى مجموعة من الإجابات المحتملة تقدم فى صورة قائمة يختار منها المستجيبون إجابة واحدة أو أكثر من إجابة يرونها ملائمة.

القوائـــم المعلقـــة Drop-down Lists: مصطلـــح يتعلـــق بتصميـــم الجـــداول فـــى برامج «مايكروسوفت ورد» مثلا، يشير إلى القوائم والجداول ... إلخ المؤجّل استيفاؤها لحين استكمال بياناتها.

كاى تربيع Chi-Squared Test : انظر : **اختبار كاى تربيع.**

الكلمـــة المفتاح (الكلمة المرشـــدة) Keyword: الكلمات المفتاحية هـــى المصطلحات التى توجـــه قواعد البيانات (مثل: قوائم المكتبـــات العامة، أو محرك بحث عن المراجع) إلى ما يراد منها أن تبحث عنه. ومن الواضح أنه لا بد أن يتم اختيار الكلمات المفتاحية بكل عناية، وأن تربط بين أكثر من كلمة لكى تضيِّق نطاق البحث. وتتيح لك قواعد البيانات المختلفة ومحركات البحث استخدام أدوات معينة (مثل: «&» أو «+» أو AND للربط بين أكثر من كلمة مفتاحية. كما تســـمح لك باســـتخدام OR أو «/» للاختيار بين كلمتين مطلوبتيـــن) ولذلك يجـــب أن تتأكد مقدما ما الأدوات (أو العلامـــات) التى تصلح للنظام الإلكترونى الذى تستخدمه؟

الكود أو الرمز Code : هى طريقة لتميز جواب معين أو ســـمة معينة. وقد يكون الكود رقميا أو أبجديا.

المباشـــر (وجها لوجه) Face to Face : توصف بالمباشـــرة طرق البحث التى تعتمد على التقاء الباحث والمبحوث وجها لوجه.

المتغير Variable: هو صفة أو خاصية للحالات المدروســـة (والتـــى قد تكون مثلا: أفرادا، أو منظمات أو أشياء، أو مواقف) والتى يمكن أن تتباين (أو تتغاير) فى حالة إلى حالة.

المتغيـــر التابـــع Dependant Variable : المتغيـــرات التابعة يمكـــن أن تتباين من حيث ارتباطها بالمتغيرات ـ المســـتقلة ـ الأخرى، كمـــا أن من الممكن وجود علاقة بين هذه المتغيرات، مثال ذلك، أن إحساس المستجيب بصحته الشخصية قد يكون مرتبطا بسنه.

المتغير المســـتقل Independant Variable : المتغيرات المستقلة هى متغيرات لا يمكن أن تقوم متغيرات أخرى بالتأثير فيها، مثال ذلك، أن ســـن المســـتجيب لا يمكن أن يتأثر بمدى شعوره بالصحة.

المتوســـط (الوسط الحسابى) Mean : هو متوسط إحصائى يحسب عن طريق جمع إجمالى كل القيم ثم قسمته على عدد الحالات.

مجتمع البحث Population : يشـــير مجتمع البحث من الناحية الإحصائية إلى مجموع عدد الحالات التى يمكن اعتبارها مفردات لدراستها فى البحث. وهكذا يمكن أن يكون مجتمع

البحث مثلا: جميع الناس الذين يعيشــون فى دولة معينة، جميع الطلاب الذين يدرســون فــى جامعة معينة، جميع الطلاب المقيدين بقسـم الاجتماع فى إحـدى جامعات المملكة المتحدة فى وقت معين، جميع المقالات الصحفية التى نشــرت فى المملكة المتحدة التى تتناول موضوع تطوع الطلاب الجامعيين (لأداء خدمات عامة) خلال شهر معين.

مجتمـــع البحث الخفى أو غيـــر المنظـــور Hidden or Invisible Population : هى جماعــات يــراد بحثهــا، ولكن يتعــذر تحديد هويات أفرادها لأســباب شــتى. ومن تلك الجماعات تجار المخدرات مثلا.

المجتمعات الافتراضية Virtual Communities : هى جماعات من الأفراد يتشــاركون فى خبرة ما، ولكنهم يتلاقون افتراضيا على الشبكة وليس لقاء مباشرا وجها لوجه.

المدرج التكرارى Histogram : المدرج التكرارى هو رسم بيانى يظهر معدل تكرار متغير النســبة أو الفترة حيث تكون القيم متصلة. يتركز كل عمود فى المدرج التكرارى حول النقطة الوسطى أو القيمة الوسطى للفئة التى يمثلها.

المذكــرات الميدانية الســريعة (الموجزة) Memos : هــى مذكرات يدونهــا الباحث تتعلق بتسجيل، وتأمل، وتحليل البيانات التى يجرى جمعها. وهى كذلك طريقة لوضع علامات تشير إلى معلومة ما تمهيدا للفحص والاستقصاء بعد ذلك.

مراجعة الزملاء Peer Review: عملية معروفة فى الدوائر الأكاديمية يتم بمقتضاها إحالة المقالات العلمية إلى زملاء المؤلف فى التخصص لمراجعتها وتقدير صلاحيتها للنشر.

المصداقية Credibility: يتم اختبار مصداقية (أو درجة الثقة فى) تفسيرات الباحث للبيانات التى قـام بجمعــها عن طـريق تحليلها وتفسيرها بأسلوب يتسـم بالشـفافية. ويتحـقـق ذلك ـ مثلا ـ باختبار تفسيرات البيانات بعرضها على المبحوثين، أو بالمقابلة بين تفسيراته وبين ما انتهت إليه النظريات القائمة.

معامل الارتباط Correlation Coefficient : قيمة إحصائية توفر لنا مقياســا لقوة واتجاه علاقة ما بين متغيرى نسبة.

المعاينـــة الإحصائية Statistical Sampling : هى عملية اختيار العينة الاحتمالية. انظر: **العينة الاحتمالية.**

المعاينة الحصية Quota Sampling: انظر: **طريقة العينة الحصية.**

المعاينــة النظرية Theoretical Sampling : إحدى طـرق المعاينة التى يتم فيها اختيار الحالات المبدئية ـ عادة ـ بطريقة غير مقننة نسبيا. وعندما تبدأ «النظرية» فى البزوغ مـن واقـع البيانات المبدئية، يتقرر اختيار مزيد من الحالات بهدف استكشـاف واختبار تلك النظرية البازغة. كما يهتم الباحث بتحديد «الحالات السـالبة»، وهى الحالات التى لا تتوافـق والنظريـة الآخذة فى التكويـن، لأنه يمكن الإفادة من مثـل هذه الحالات فى تعديل النظرية الجديدة وتطويرها. وتتواصل هذه العملية إلى أن يتوقف ظهور نظريات جديدة، ويصل الأمر إلى حالة من «التشبع» النظرى.

المعرفة Knowledge: 1 - هى المعلومات المتعلقة بشــىء ما، أو قضية ما، أو واقع معين، أو الوعى بذلك، 2 - هى فهم حقيقة، أو واقع معين، او قضية معينة.

المعلومات Information : هى المعرفة التى يتم تحصيلها من خلال الدراســة، أو الخبرة، أو التعليم : أى ما يتم إحاطتنا به.

المفهوم Concept : المفهوم فكرة مجردة تشـتمل على طريقة فى وصف ظاهرة اجتماعية ما، كظاهرة الأســرة ، أو ظاهرة الفقر، أو القوة، أو الصحة، أو التفكير فيها أو التعبير عنهـا. (انظـر الفصل الرابع من هـذا الباب للوقوف على المزيد فيما يتصل باسـتخدام المفاهيم).

مقابــلات الإخبارى Informant Interviews : نمط من المقابـلات يكون المبحوث (أى الإخبارى) فيه متحكما فى المقابلة، ويكون قادرا على رواية قصته الشـخصية بطريقته الخاصة (كما هو الحال فى البحث السردى مثلا).

مقابلات الباحث Researcher Interviews : نوع من المقابلات يكون الباحث فيه متحكما فى المقابلة، حيث يطرح مجموعة من الأسئلة لكى يجيب عليها المبحوث.

مقابلات المبحـوث Participant Interviews : طريقة فى جمع البيانات يسـتطيع فيها الباحث/ الملاحظ أن يتوصل إلى معرفة حميمة بمجموعة البشر الذين يتناولهم البحث، وهم فى وسط البيئية الطبيعية التى يعيشون فيها.

المقابلات المشــتركة Collaborative Interviews : هى نوع من المقابلة يشـترك فيه الباحث مع الإخبارى (المبحوث) فى خلق البيانات. وهى بذلك مقابلة لم يسـبق للباحث تقنينها، ولكنه يتدخل تدخلا إيجابيا فى خلق البيانات.

المقابلة Interview : هى طريقة من طرق جمع البيانات تقوم عادة على : تيسـير الاتصـال المباشـر بين فردين ، إما وجها لوجه، وإما عن بعد عبر الهاتف أو الإنترنت، وتمكين

القائم بالمقابلة من استخراج المعلومات، والمشاعر، والآراء من المبحوث باستعمال الأسئلة والحوار التفاعلى.

المقابلة السردية Narrative Interview : مسمى بديل لجلسة جمع البيانات السردية، ولكنها ليست تسمية دقيقة تماما.

المقارنة المستمرة Constant Comparison : هى مقارنة البيانات التى جمعت من مصادر مختلفة ، ومن أماكن وفى أوقات مختلفة لدعم عملية التحليل، وذلك فى نفس الوقت الذى يفتش فيه الباحث عن الحالات السلبية.

مقترح مشروع البحث Research Proposal : وثيقة تحدد الإطار العام لموضوع البحث، وكيف سيتم تنفيذه ، وما مبررات القيام به؟ ولماذا يجب تمويله؟

المقنن Structured : المقنن لفظ يصف البيانات، أو يصف طريقة جمع البيانات (كالمقابلة أو الاستبيان) التى تحوى أسئلة موحدة توجه هى نفسها لكل مشارك. كما أن من المعهود أن توجد مجموعة محددة من الإجابات لكل سؤال.

الملاحظة Observation : تعنى جمع البيانات بواسطة استخدام الحواس الإنسانية الخمس. وهى بمعنى محدد فعل مراقبة الظواهر الاجتماعية فى العالم الواقعى، وتسجيل الأحداث لحظة وقوعها وبالكيفية التى تحدث بها. والعادة أن يقسم مجال البحث الاجتماعى الملاحظة إلى : **الملاحظة المشاركة والملاحظة البسيطة.**

الملاحظة البسيطة Simple Observation : هى طريقة لجمع البيانات لا يكون فيها الباحث (القائم بالملاحظة) جزءًا من العملية التى يجرى بحثها، بل يكون شخصا موضوعيا غريبا.

الملاحظة المشاركة Participant Observation : هى طريقة لجمع البيانات يكتسب فيها الباحث (القائم بالملاحظة) معرفة وثيقة وعميقة بجماعة الأفراد الذين يكونون المبحوثين الذين تتناولهم الدراسة، وذلك فى داخل المكان الطبيعى لهذه الجماعة.

المنوال Mode : متوسط إحصائى يحسب بملاحظة القيمة الأكثر شيوعا فى هذا التوزيع.

الموافقة عن علم Informed Consent : التأكد من أن الأشخاص الذين سيشاركون فى البحث يفهمون جيدا ما يوافقون عليه.

النزعة التأويلية Interpretivism : وجهة نظر معرفية تعطى الأولوية للتفسيرات الذاتية التى يقدمها الأفراد وللتصورات المتعلقة بالظواهر الاجتماعية التى خبروها، وما يقومون به من أعمال وتصرفات شخصية.

النزعـــة التصوريـــة Constructivism : هى وجهة نظـر أنطولوجية تؤكـد أن الظواهر الاجتماعية التى تشـكل عالمنـا الاجتماعى لا تعد ظواهر حقيقيـة إلا بمعنى أنها أفكار متصورة، ويقوم الأفراد الذين يتبنونها بمراجعتها وإعادة تشـكيلها باستمرار، وذلك من خلال التفاعل الاجتماعى والتأمل (النقدى).

النزعـــة المركزيـــة Central Tedency : هى مقيـاس إحصائى يلخص البيانـات المتعلقة بمتغير واحد فى قيمة واحدة كالمتوسطات (الوسيط الحسابى)، أو الوسيط، أو المنوال.

النزعـــة الموضوعيـــة Objcctivism : هـو موقف فكـرى أنطولوجى يؤكـد أن الظواهر الاجتماعيـة التـى يتكون منهـا عالمنا الاجتماعـى لها وجودها المسـتقل الخاص بها - بمعزل عن، وبالاسـتقلال عن - الفاعلين الاجتماعيين (أى البشـر) المشاركين فى هذه الظواهر.

النشـر Dissemination : هو عملية نشـر أخبار نتائج البحوث بحيـث تكون معلومة لدى جمهور أوسع (من الجمهور الأكاديمى).

النظريـــات الصغرى(المايكـــرو) Micro Theories : هى النظريـات ذات النطاق المحلى المحـدود، والمرتبطة بمنطقـة محددة، أو بجماعة معينة من الناس، أو بجانب معين من جوانب العالم الاجتماعى.

النظريات الكبرى (الماكرو) Macro Theories: هى النظريات التى تحاول أن تستوعب كل جوانب العالم الاجتماعى وفق مصطلحات ومفاهيم عامة. (وتسـمى عادة النظريات الواسعة النطاق)..

النظريات الوســطى Meso Theories : هى النظريات ذات المسـتوى المتوسـط والمتعلقة بالظواهر الاجتماعية المعتادة، كظاهرة: المنظمات، والمؤسسـات، والمجتمع المحلى، والأسرة).

النظرية Theory : النظرية مجموعة أفكار أو مفاهيم مترابطة يمكن اسـتخدامها لشرح وفهم حدث، أو موقف، أو لشرح وفهم الظواهر الاجتماعية.

النظرية الموثقة Grounded Theory : اتجاه منظم فى إجراء البحث يقوم على تطوير – أو توليد ـ النظرية من البيانات التى يتم جمعها.

نقطـــة الالتقاء Node : يسـتخدم هذا المصطلح فى برنامـج «إن فيفو» NVivo للدلالة على الأكواد. انظر : **الأكواد**.

النماذج الســالبة Negative Cases : هى الشــواهد أو الحالات التــى تتناقض مع النظرية البازغة (الجارى بلورتها) أو لا تؤيدها.

النمــوذج النظرى Paradigm : 1 - هـو مجمل الاعتقادات، والقيم، والأســاليب الفنية وما يتصل بها من الأمور التى يتوافق عليها أعضاء جماعة علمية معينة، 2 - هو مجموعة مترابطــة من الاعتقادات والأحكام القاطعة التى يعتبرها العلماء المشــتغلون بتخصص معين أو بفرع معين من فروع العلم مؤثرة على تحديد ما يتعين دراســته، وكيف ينبغى إجراء البحث؟ وكيف يجب تفسير النتائج؟ وما إلى ذلك.

الواقعيــة Realism : 1 - وجهة نظر أنطولوجية تؤكد أن للعالم الاجتماعى حقيقته المنفصلة عن الفاعلين الاجتماعيين المشــاركين فيه، وأن بالإمكان معرفة ذلك من خلال الحواس وكذلك من خلال الأبنية الخفية والآليات الخفية. 2 - اتجاه معرفى يؤكد على أن معرفة ظاهرة اجتماعية ما تقوم على أســاس كل ما يمكن ملاحظته وتسـجيله من جهة، وعلى الأبنية والأساليب الخفية التى يمكن ملاحظة نتائجها من جهة أخرى.

الواقعيــة النقدية Critical Realism : الرأى الــذى يعطى أولوية فى البحث للتعرف على البنــى (جمع بنية أو بناء) والآليات التى تؤدى إلى مظاهر عدم المســاواة، وبذلك تهيئ الفرصــة لإحــداث التغير الاجتماعى عــن طريق رفض الآليات البنائيــة التى تبين أنها السبب فى هذه اللامساواة.

الوثيقة Document : من العســير تعريف الوثائق، إلا أننا نعتقد أن أفضل ما وصفت به هو أنها ســجلات مكتوبة عن أفــراد وأمور تتولد من خلال الممارســات الحياتية. ووفقا لهذا التعريف تشمل الوثائق عدة أشياء مثل : الفيلم السينمائى، وشريط التسجيل الصوتى، وفيلم الفيديو ... إلخ. ولكن يستبعد من هذا التعريف أشياء أخرى كنصوص التاريخ الشفاهى.

وحدة الدراسة Unit : المبحوث الفرد أو الموضوع الذى يجمع الباحث بيانات عنه، كالدول، أو الجامعات، أو الأسر أو الأفراد على سبيل المثال.

الوســط الحسابى Mean: متوســط إحصائى يتم حسابه عن طريق تجميع إجمالى كل القيم ثم قسمة هذا الإجمالى على عدد الحالات.

الوســيط Median : هو متوسط إحصائى يحسب عن طريق ترتيب جميع القيم الموجودة فى عينة ما فى ترتيب رقمى ثم ملاحظة القيمة الوسطى لهذا التوزيع.

الوضعية Positivism: وجهة نظر إبســتمولوجية تؤكد على أن معرفة الظاهرة الاجتماعية تقوم على أساس ما يمكن ملاحظته وتسجيله، وليس على التصورات الذاتية.

المؤلفان فى سطور:

1 - بوب ماتيوز Bob Matthews

التحق بالسلك الجامعى فى سن متأخرة. إذ كان قد ترك المدرسة بعد أن اجتاز عددا من مواد شهادة إتمام الدراسة الثانوية الإنجليزية (GCE) المستوى العادى، وعمل لمدة خمسة وعشرين عاما فى صناعة مد شبكات الطاقة الكهربائية، فى وظيفة مسح الأراضى. بعدها اكتشف أن هناك أشياء أكثر أهمية يجدر بالإنسان أن يسعى لتحقيقها. بعد أن اتخذ هذا القرار شرع فى الالتحاق بالدراسات العليا عن طريق برنامج تمهيدى يؤهله لذلك (الأمر الذى حققه بمساعدة ودعم من زميله أليسون، الذى يدين له بالفضل إلى الأبد).

وفى العام 1994 بدأ يعد نفسه للحصول على مرتبة الشرف فى تخصص السياسة الاجتماعية فى جامعة برمنجهام (ولعله من الطريف أن نذكر أن زميلته فى تأليف هذا الكتاب «ليز روس» هى التى أجرت له امتحان القبول وقررت قبوله للالتحاق بتلك الدراسة). ونجح فى الحصول علـى الدرجة بامتياز فى العام 1997. وبينما كان يعمل خلال تلك الفترة بدوام جزئى فى مكتب المراقبة نال جائزتى الدراسات الاجتماعية وفرانس و لافيت. وقد دعمه مركز البحوث الاقتصادية والاجتماعية ESRC بمنحة دراسية، حصل من خلالها على درجة الدكتوراة فى العام 2001. بعدها عمل محاضرا فى معهد الدراسات الاجتماعية التطبيقية (الذى أصبح الآن جزءًا من معهد السياسة الاجتماعية فى كلية العلوم الاجتماعية) جامعة برمنجهام. وقد شغل فى تلك الجامعة منصب مدير برامج السياسة الاجتماعية (على مستوى البكالوريوس) حتى عام 2008. وقد قادت أعباؤه الأكاديمية إلى بعض الأماكن المهمة، التى شملت إستونيا، وسيبيريا، وكوريا، والصين، حيث عمل أستاذا زائرا فى جامعة نانكاى، تيانجين.

واليوم يقوم بالتدريس والبحث فى ميادين: السياسة الاجتماعية المقارنة، والدمج الاجتماعى، وطرق البحث، والسياسة الصحية، ويعزف على الجيتار كلما سمح له الوقت.

2 - ليز روس Liz Ross

درست علم الاجتماع فى جامعة لندن، ثم عملت فيما كان يعرف وقتها باسم «المسح الاجتماعى الحكومى» (الذى أصبح الآن «إدارة الإحصائيات القومية»). وفى تلك المؤسسة تعلمت أساسيات البحث الاجتماعى فى الوقت الذى كان فيه الكمبيوتر فى بدايات استخدامه

لمعالجـة كميـات ضخمة من البيانات المسـحية. ثـم تفرغت فترة لرعاية طفليهـا الصغيرين، اتجهـت بعدها لتعلـم الخدمة الاجتماعية، حيث عملـت اختصاصية تنميـة مجتمع محلى لمدة سـنوات طويلـة قبـل أن تعود إلـى البحث الاجتماعى. وقـد تحصلت على درجة الماجسـتير فـى البحـث الاجتماعى والتربوى المتقدم مـن الجامعة البريطانية المفتوحـة. ثم حصلت على منحة بحث قادتها إلى جامعة برمنجهام، حيث تابعت الاشـتغال فى البحث والتدريس فى معهد الدراسات الاجتماعية التطبيقية.

وعملت لمدة عشـرة أعوام مديرة لبرامج الدراسات العليا، وتابعت العمل فى تنسيق وإدارة برنامج دراسات عليا بالتعاون بين الجامعة وحكومة كوريا (الجنوبية). وتعكس اهتماماتها فى البحـث والتدريس خبرتهـا بوصفها اختصاصية تنمية محلية، وعملهـا مع القطاع التطوعى، وعلاقاتها الواسعة مع كوريا الجنوبية.

وظلت لسـنين طويلة تدِّرس تخصص طرق البحث الاجتماعى على مسـتوى البكالوريوس وعلى مستوى الدراسات العليا، حيث دربت كثيرا من طلاب الماجستير والدكتوراه على طرق البحث الكيفى فى العلوم الاجتماعية. كما استطاعت أن تدرب بعض موظفى الإدارات المحلية وبعـض جمعيات المجتمع المحلى على اسـتخدام أسـاليب البحث الاجتماعـى فى عملهم وفى المجتمعات التى يخدمونها وسـيلة لدمج السكان المحليين فى اتخاذ القرارات المتصلة بحياتهم وبأوضاع مجتمعاتهم، وفى إسماع أصواتهم للمسئولين.

المترجم فى سطور:

محمد الجوهرى

- أستاذ علم الاجتماع فى جامعة القاهرة.
- عميد كلية الآداب، جامعة القاهرة ورئيس جامعة حلوان الأسبق.
- أشرف وشارك فى عدد كبير من البحوث والندوات العلمية والمؤتمرات الدولية والعربية فى ميادين: علم الاجتماع، دراسات التراث الشعبى، التنمية الاجتماعية، الدراسات الثقافية.
- مثل مصر، على امتداد أربعة عشر عاما، فى المؤتمر العام لليونسكو - باريس.
- حصل على جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية (1994).
- رأس «المجلس الدولى لدراسة التحولات الاجتماعية» التابع لليونسكو (1995-1997).
- ألف ونشر 121 بحثا ودراسة.
- ترجم وشارك فى ترجمة 38 عملا.
- أشرف على 55 رسالة دكتوراة، و52 رسالة ماجستير.
- حصل على جائزة النيل فى العلوم الاجتماعية (2012).

التصحيح اللغوى : عبير محمد
الإشراف الفنى : حسن كامل